صيانة الإنسان

عن وسوسة الشيخ دحلان

تأليف

العلّامة الكبير ، المحدِّث الفقيه النِّحرير

محمد بشير السهسواني الهندي

١٢٥٢ — ١٣٢٦

في هذه الطبعة تعليقات هامة بقلم فضيلة الشيخ اسماعيل الانصاري وغيره

الطبعة الخامسة

١٣٩٥ هـ — ١٩٧٥ م

على نفقة عبد العزيز ومحمد العبد الله الجميح

وقف لله تعالى

مقـــــدمـــة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الواحد الأحد ، تعالى عن الشريك والصاحبة والولد ، أحمده وأشكره ، وأثني عليه وأستغفره ، وأشهد أن لا اله الا الله ، ولا معبود بحق سواه ، وأشهد انه اصطفى من عباده رسلا يبلغون أممهم رسالة ربهم وينصحون لهم وختم الرسل بأفضلهم وأشرفهم محمد بن عبد الله الذي بعثه الى هذه الأمة وضمن لها باتباعه السعادة الدنيوية والأخروية ، وأشهد أنه قد بلغ ماأنزل اليه وأوضح لأمته الطريق الأقوم الذي ينتهي بهم الى رضوان ربهم وثوابه فصلى الله عليه وسلم وعلى جميع من آمن به واتبع هداه .

وبعد فان من فضائل هذه الأمة أن تكفل الله لها بحفظ أصل دينها حيث يقول (انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون) ووكل حفظ غيره من الأديان الى أهلها كما قال عنهم : (بما استحفظوا من كتاب الله) وكان من آثار هذا الحفظ قيام الحجة على العباد أولهم وآخرهم ، وقد اقتضت حكمة الله لتمام الحفظ أن يجعل فى كل زمان فترة بقايا من أهل الفضل والعلم يتحملون أصول هذا الدين وفروعه ويبلغونه الى أمة الدعوة صافيا نقيا من كل مايكدره وينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين .

وكان مما من الله به على هذه البقاع الشريفة التي هي منبع الرسالة ومهبط الوحي أن أقام بها اماما مصلحا فى القرن الثاني عشر أعاد لها مجدها التليد وجدد مااندرس من أعلام الشريعة المطهرة ، وقد عمت بركة دعوته الميمونة أكثر البلاد الاسلامية وقام بتأييدها ودعمها كل من بصره الله وأراد به خيرا فى القاصي والداني .

وقد اقتضت حكمة الله تعالى أن جبل بعض النفوس على الشر والباطل والميل الى طاعة الشيطان الرجيم ومناصرته ضد الحق وأهله وهذا الضرب من الناس هم أعداء الله وأعداء رسله فى كل زمان ومكان (سنة الله فى الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديـلا) .

وكثيرا مايتسلط هؤلاء الأعداء الالداء علىعباد الله المتقين وحزبه المفلحين محاولين اضطهادهم وقمع الحق وأهله ولكن العاقبة للمتقين وصدق الله اذ يقول (ان تنصروا الله ينصركم) (وان جندنا لهم الغالبون) .

وفى صمود أهل الحق وصبرهم علىماينالهم من الضيم والاضطهاد أكبر برهان على تأييد الله لهم وعلى قوة يقينهم بما جاء عن الله تعالى ، ودليل أيضا على أحقيـة ماهم عليه من الدين ، ثم فى جهادهم لكل من ناوأهم وحاول ابطال ماهم عليه مضاعفة لأجورهم عند ربهم .

وقد ظهر لهذه الدعوة أعداء ألداء بذلوا أقصى جهدهم فى اخمادها والقضـــاء عليها (يريدون أن يطفؤا نور الله بأفواههم ويأبى الله الا أن يتم نوره ولو كره الكافرون) ومن أشهر هؤلاء الأعداء يوسف النبهاني وأحمد زيني دحلان فقد بذل كل منهما وسعه فى رد هذا التوحيد واظهاره بأقبح مظهر وتزيين الشرك الصريح وتسميته توسلا وتبركا واستشفاعا الخ ..

وقد راجت ونفقت تلك الأكاذيب والترهات التي لفقها أمثال هذين الرجلين على السذج وضعفاء البصائر من الخاصة والعامة حتى اعتقد الكثير أن هذه الطائفة المصلحة أكفر خلق الله وأبعدهم عن الحق والصواب .

وقد تصدى للرد عليهما وعلى أمثالهما الكثير من علماء المسلمين الذين فتح اللـه عليهم ونور بصائرهم فرد على النبهاني علامة العراق محمود شكـري الألوسي رحمه الله بكتابه (غاية الأماني) ورد على دحلان بشير السهسواني عالم الهند بكتابه (صيانة الانسان) وبهذين الردين وغيرهما اتضح الحق لمن يريده وظهر زخرف القول الذي موه به هؤلاء من أكاذيب ومفتريات وافك مبين وتحريف للكلم عن مواضعه بما تمجه الاسماع وتنفر منه الطباع السليمة .

وقد طبع (غاية الأماني) للمرة الثانية قبل عامين وانتفع به كثـيرا ويطبع الآن

كتاب (صيانة الانسان) للمرة الخامسة وكلاهما من جملة مطبـــوعات مفيدة تدور أصل العقيدة تبرع بطبعها وتوزيعها مجانا أصحاب الفضل والاحسان المشائخ .

محمد بن عبد الله الجميح وبنو أخيه عبد العزيز رحمه الله تعالى .

وهذا ان شاء اللــــه من صالح الاعمـــــال التي وفق لها هؤلاء الأماجـــد أثابهم الله والتي أنفقوا فيها الأموال الطائلة مساهمة منهم فى انقاذ طوائف جمة تنتحل الاسلام الا أنها غارقة فى بحار من تلك الشبه والشكوك التي أذاعها ونشرها رسل الشيطـــان ، فالسعي فى اخراجهم من الظلمات الى النور من سنة المرسلين ومن دعى الى هدى كان له مثل اجور من تبعه أو اهتدى بدعوته .

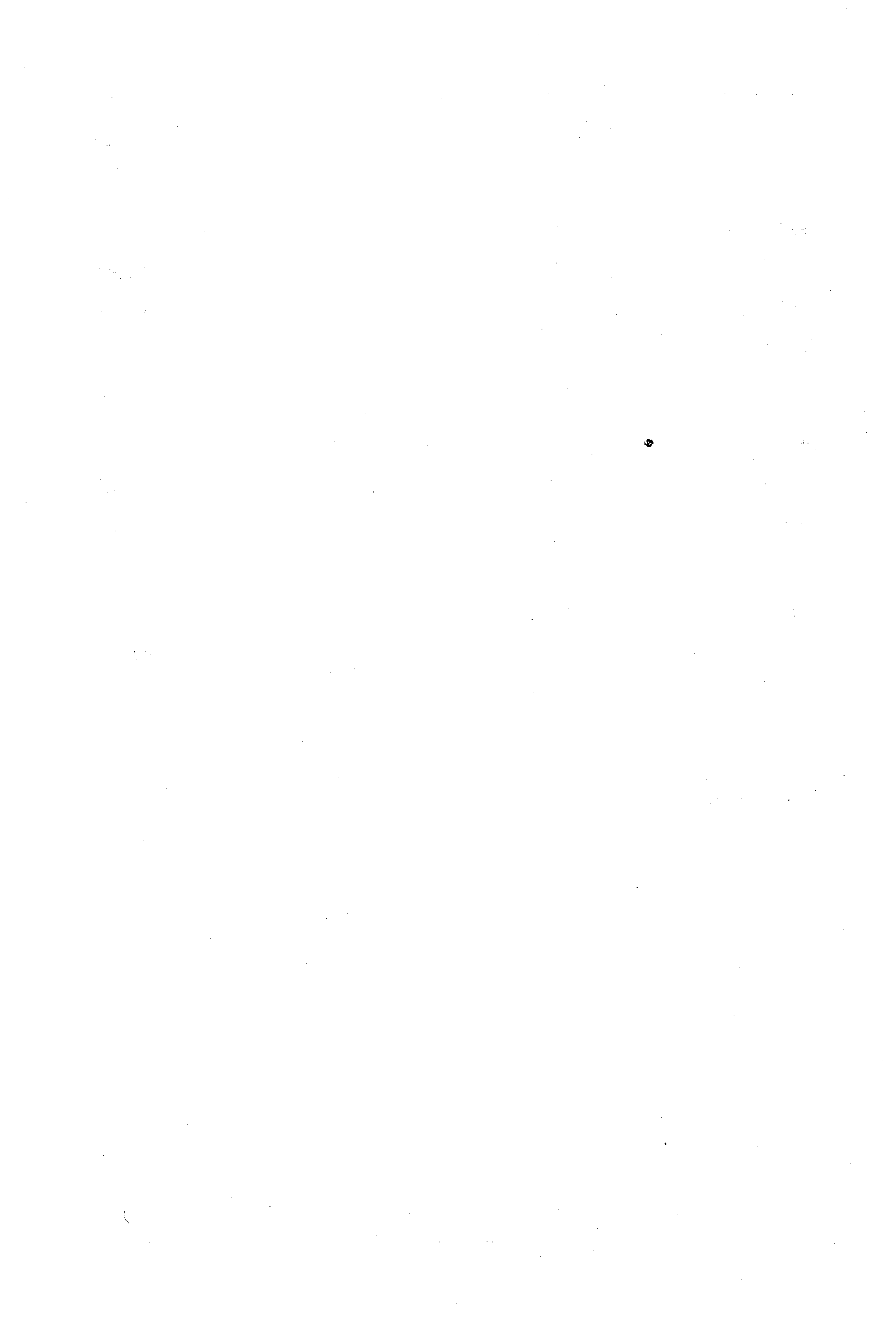
وفى هذه المرة لطبع كتاب (صيانة اللسان) تفضل بالتعليق عليه بعض المشائـخ الكرام بما يوضح بعض العبـارات أو ينبه على بعض الأخطاء اللفظيـــة أو المعنوية وقد نسبت الى من كتبها وقد أبقينا مقدمة الطبعة الثانية كما هي وكذلك ما علقه الأستاذ محمد رشيد رضا لما فى ذلك من تمام الفائدة .

والله المسؤول أن يجزل الثواب لمن كتبه أو نشره أو تسبب فى ذلك والله الموفق والهادي الى سبيل الرشاد وصلى الله على محمد وآله وسلم .

فى ١٣٩٥/٢/٢٥ هـ

المصحـح

عبد الله بن عبـد الرحمن بن جبرين



مقدمة الطبعة الثانية
بقلم الشيخ محمد رشيد رضا رحمه الله تعالى

التعريف بكتاب صيانة الانسان

بسم الله الرحمن الرحيم

(وقل جاء الحق وزهق الباطل ، ان الباطل كان زهوقا)

تمهيد فى معنى السنة والجماعة والبدع

لما حدثت البدع في الأمة وصار لها شيع وأنصار ، جعل لكل شيعة منها اسم ، وأطلق على المحافظين على ما كان عليه السواد الأعظم من الصحابة والتابعين المجتنبين للمحدثات والبدع لقب « أهل السنة والجماعة » .

والمراد بالسنة هنا معناها اللغوي ، وهي الطريقة المخصوصة للسلوك المتبعة بالفعل في أمر الدين ــ فعلا وتركا ــ من عهد النبي صلى الله عليه وسلم ، فالتعريف فيها للعهد ، وليس المراد بها ما اصطلح علماء الحديث من اطلاقها على أقوال النبي صلى الله عليه وسلم وافعاله وتقريراته وشمائله ، ولا ما اصطلح عليه الفقهاء من اطلاقها على ما واظب عليه صلى الله عليه وسلم غالبا على غير سبيل الوجوب ، فان جميع فرق المبتدعة في الاسلام يأخذون بالسنة بمعنييها الأخيرين على اصطلاحات لهم وقواعد في اثباتها ونفيها وتأويلها وتعارضها ، كما ان للفقهاء والمتكلمين المنسوبين الى السنة والجماعة بالمعنى الأصلي قواعد في ذلك . والتحقيق ان ما كان عليه السلف في الصدر الأول لم يكن يسمى مذهبا ، ولايصح أن يسمى مذهبا في الاسلام ،لأنه هو الاسلام كله ، وهو وحدة لاتفرق فيها ولا اختلاف والله يقول لرسوله صلى الله عليه وسلم :

(ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم فى شيء) . ويقول **(أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه)** .

وانما صار يسمى مذهبا بالاضافة الى ماحدث من البدع التي تتعصب لها الشيع •

ولو أن الأشاعرة جروا في تقرير العقائد للمسلمين في التعليم والتصنيف على صراط القرآن في اثبات ما أثبته ونفي مانفاه والاستدلال بما استدل به من آيات الله في الأنفس والآفاق ، والتزموا في ذلك هدي السلف من غير تعطيل ولا تمثيل ولا تأويل ، ثم جروا في الرد على المخالفين على قاعدة الغزالي من كونه ضرورة تقدر بقدرها في كل زمن بحسبه بادحاض شبهاتهم ، والتفرقة بين ما لايتفق مع أصول الملة القطعية وما يتفق معها ولو بضرب من تأويل بعض الظواهر غير القطعية — لو أنهم فعلوا هذا وذاك — لما كان ثم وجه لتقسيم أهل السنة والجماعة الى مذهبين مختلفين : سلفية ، وخلفية • حتى أفضى ذلك الى رد بعض متكلمي الخلف على متبعي السلف من أهل الحديث ورد هؤلاء عليهم ، كما يرد الفريقان على المعتزلة وغيرهم من الذين خرجوا عن صراط الجماعة الذي كان عليه أهل الصدر الأول المتفق بينهما على هديهم وهداهم •

وهذا ما جرينا عليه في مجلة المنار وفي تفسير المنار : نقرر مذهب السلف بالحجة وندافع عنه وندعو اليه • وقد نورد ما نراه ضروريا من تأويل لغير القطعي المجمع عليه لبيان سعة الاسلام ، وكون من لم يطمئن قلبه لبعض الظواهر على مذهبهم فان تأوله لها مع الايمان بكل ماهو قطعي مجمع عليه لايخرجه من حظيرة الحنيفية السمحة ، ولكن لايقتدى به في تأويله ، وهذا هو الموافق لقول أئمة السنة والجماعة : لانكفر أحدا من أهل القبلة بذنب ولا بدعة عملية ، وان المتأول المخطيء غير كافر •

ولكن الأشاعرة جروا على طريقة متكلمي المعتزلة في بناء العقائد على النظريات العقلية ، وتأويل النصوص المخالفة لها ، الا قليلا مما خالفهم فيه ابو الحسن وغيره من كبار نظارهم كمسألة الرؤية فصاروا فرقة غير أهل الحديث المتبعين للسلف من كل وجه •

لما حدثت البدع كان الأئمة يحتجون على أهلها بأنهم خالفوا السنة — أي الطريقة المتبعة — وفارقوا الجماعة والسواد الأعظم ، واتبعوا غير سبيل المؤمنين ،

ويطبقون عليهم ماورد في الكتاب والسنة من النصوص في وجوب الاتباع وحظر الابتداع والتفرق في الدين حتى كانت حجة الامام أحمد بن حنبل رحمه الله على بدعة القول بخلق القرآن أن هذا قول لم يقله رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا خلفاؤه ولا أصحابه ولا علماء التابعين ، أفلا يسعنا ماوسعهم ؟ أي ان فرضنا أنه في نفسه صحيح فكيف اذا كان رأيا باطلا في كتاب الله عز وجل فتح باب فتنة في الاسلام فرقت أهله شيعا يسفك بعضهم دماء بعض ويكفر بعضهم بعضا ؟

وقد قال قبله امام دار الهجرة مالك بن أنس رضي الله عنه : أكلما جاءنا رجل ذكي فصيح برأي في دين الله زينه بخلابته اللسانية ونظرياته الفكرية تترك ما نزل به جبريل من عند الله تعالى على محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وتتبعه فيه ، حتى اذا جاء ذكي آخر بما ينقضه بقول أفصح منه اتبعناه فيه ، وهكذا دواليك لايستقر لنا في ديننا حال ؟ اه مبسوطا بمعناه •

وكان يقول : كل ما لم يكن في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم دينا لايكون بعده دينا ، فان الله تعالى أكمل لنا الدين بنص كتابه قبل أن يقبضه اليه •

وقد قيل له : ان أناسا من أهل المدينة يقفون عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم فيسلمون ويدعون ساعة ، فقال : لم يبلغني هذا عن أحد من أهل الفقه ببلدنا وتركه واسع ، ولا يصلح آخر هذه الأمة الا ماأصلح أولها ، ولم يبلغني عن أول هذه الأمة وصدرها أنهم كانوا يفعلون ذلك ويكره الا لمن جاء من سفر أو أراده اه •

ذكر هذا في المبسوط •

وانما استثنى مالك من أراد سفرا أو قدم منه لأنه صح عن عبد الله بن عمر أنه كان يفعل ذلك أي يأتي القبر فيقول : السلام عليك يارسول الله ، السلام عليك ياأبا بكر ، السلام عليك ياأبت ، وينصرف كما في صحيح البخاري ، ولم يرو هذا عن غيره من الصحابة ، وكان عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أشدهم عناية بمثل هذا ، فقد روى عنه أنه كان يتحرى في نسكه تتبع خطوات النبي صلى الله عليه وسلم ومواقفه وأمكنة طهارته وصلاته ومنحره وان صح أن هذا غير مسنون ولم يكن يفعله أبوه ولا غيره من الخلفاء الأربعة وعلماء الصحابة ، لأن النبي صلى الله عليه

وسلم قال كما في صحيح مسلم وغيره « وقفت هنا وعرفة كلها موقف » ، وقال مثل ذلك في المزدلفة ، وقال في منى : « نحرت ها هنا ومنى كلها منحر » لئلا يتحرى الناس موقفه ومنحره ويجعلوه مشروعا فيزدحموا عليه، وهذا زيادة في الشرع وهي كالنقص منه .

ثم ان البدع فشت بضعف العلم والعمل بالكتاب والسنة ونصر الملوك والحكام لأهلها كما فعل بعض العباسيين في عصر دولة العلم ، وتفاقم في عصور من بعدهم من دول الأعاجم ، حتى صار لفظ « السنة والجماعة » لقبا مذهبيا انتحله بعض علماء الكلام المبتدع ــ وكادوا يحتكرونه دون متبعي السلف ،وهم الحنابلة وأهل الحديث ومن هؤلاء المتكلمين المقلدون في الفروع لأبي حنيفة ومالك والشافعي وكذا أحمد بن حنبل وان خالفوا أئمتهم فيما كانوا عليه من اتباع السلف ، واجتناب البدع ، وعدهم علم الكلام منها ، فترى المتأخرين منهم يشاركون العوام في بدعهم ويتأولونها لهم ، وابتدعوا لهم قاعدة في اقرار البدع والانكار على منكريها ، وهي تقسيم البدعة الى حسنة وسيئة ! واختراع محاسن لما فشا منها ، ككونها من حب الأنبياء والصالحين وتعظيمهم والتبرك بهم ، وهذا عين الغلو الذي فعله أهل الكتاب وقوم نوح من قبلهم . وحذرنا الله ورسوله من فعلهم .

ومقتضى هذه القاعدة أن لكل أحد أن يبتدع في دين الله تعالى كل مايستحسنه كما فعل أهل الملل السابقة بعد أنبيائهم ، حتى اذا فشت البدع وكثر أهلها أيدها الحكام الجاهلون المستبدون ارضاء للعامة ، وأيدها المعممون المقلدون ارضاء للفريقين وأعقب ذلك انكار الثلاثة على أنصار السنة وتسميتهم مبتدعة مخالفين للجماعة ، وهكذا انعكست القضية وانقلبت البدعة سنة والسنة بدعة ، وتحول المعروف منكرا والمنكر معروفا ، وصار أهل البدع يحتجون على دعاة الكتاب والسنة بمخالفة الجماعة ، والخروج على السواد الأعظم من الأمة ، وتبديعهم وتضليلهم بدعوى أن الأكثر هم المسلمون لا سواهم ، ولم يقتصروا في ذلك على البدع الاضافية العملية كالأوراد المخالفة للمأثور في صفتها وتوقيتها وجعلها كالشعائر في الاجتماع لها ورفع الأصوات بها ، وبدعة محمل الحج ، بل أدخلوا فيها البدع الوثنية بعبادة الصالحين بالدعاء وغيره ، والعوام يتبعون من يدافع عنهم ويدعي اتباع أئمتهم

وتؤيده حكوماتهم ، ونبز داعي السنة بلقب المجتهد المحاول لهدم المذاهب المحتقر للأئمة ، وباب الجدل واسع لانهاية له والعمدة في اتباع السنة والجماعة ما كان عليه أهل الصدر الأول في أمر الدين ــ ومنهم أئمة الحديث والفقه المعروفون ــ ولا سيما العبادات والقربات ومنها تعظيم الرسول صلى الله عليه وسلم وآل بيته وأصحابه والمهتدين بهديهم من غير غلو ولا ابتداع •

الشيخ محمد بن عبد الوهاب :

لم يخل قرن من القرون التي كثرت فيها البدع من علماء ربانيين يجددون لهذه الأمة أمر دينها بالدعوة والتعليم وحسن القدوة ، وعدول ينفون عنه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين ، وتأويل الجاهلين ، كما ورد في الأحاديث • ولقد كان الشيخ محمد بن عبد الوهاب النجدي من هؤلاء العدول المجددين ، قام يدعو الى تجريد التوحيد واخلاص العبادة لله وحده بما شرعه في كتابه وعلى لسان رسوله خاتم النبيين صلى الله عليه وسلم ، وترك البدع والمعاصي واقامة شعائر الاسلام المتروكة، وتعظيم حرماته المنتهكة المنهوكة • فنهدت لمناهضته واضطهاده القوى الثلاث : قوة الدولة والحكام وقوة أنصارها من علماء النفاق ، وقوة العوام الطغام ، وكان أقوى سلاحهم في الرد عليه أنه خالف جمهور المسلمين •

من هؤلاء المسلمون الذين خالفهم الشيخ محمد بن عبد الوهاب في دعوته ؟ هم أعراب في البوادي شر من أهل الجاهلية ، يعيشون بالسلب والنهب ، ويستحلون قتل المسلم وغيره لأجل الكسب ، ويتحاكمون الي طواغيتهم في كل أمر ويجحدون كثيرا من أمور الاسلام المجمع عليها التي لايسع مسلما جهلها ولا يقيمون ماحفظوا اسمه منها ولكنهم قد يسمون أنفسهم مسلمين وأهل حضر • فشت فيهم البدع الوثنية والمعاصي وأضاعوا هدى الشرع في العمل والحكم فضاع جل ملكهم ، وذهب سابق عزهم ، وعرف هذا عالمهم وجاهلهم ، وصرنا نسمع خطباءهم على منابر الجمعة يقولون : « لم يبق من الاسلام الا اسمه ولا من القرآن الا رسمه » على مافي كثير من هذه الخطب من تأييد البدع والكذب على الله ورسوله والتعاليم التي تزيد الأمة جهلا وضعفا وفقرا ، وهم لها مقترفون ، وعليها مصرون ، حتى اذا ما ارتفع صوت مصلح بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي يشكون منه بالاجمال ، مبينا لهم أسبابه

وسوء عاقبته بالتفصيل ، هبوا لمعارضته ، واستعدوا عليه الظالمين المستبدين للانتقام منه اذا لم يجد هؤلاء الظالمون باعثا سياسيا للايقاع به •

ولما حج ابن جبير الأندلسي في القرن السادس ورأى ما رأى من المنكرات في مصر والحجاز حكم بأن الاسلام قد ذهب من المشرق ولم يحفظ الا في المغرب •

رسالة الشيخ احمد زيني دحلان فى الرد على الوهابية

تصدى للطعن في الشيخ محمد بن عبد الوهاب والرد عليه أفراد من أهل الأمصار المختلفة ، منهم رجل من أحد بيوت العلم في بغداد قد عهدناه يفتخر بأنه من دعاة التعطيل والالحاد (١) •وكان أشهر هؤلاء الطاعنين مفتي مكة المكرمةالشيخ أحمد زيني دحلان المتوفي سنة ١٣٠٤ ألف رسالة في ذلك تدور جميع مسائلها على قطبين اثنين : قطب الكذب والافتراء على الشيخ ، وقطب الجهل بتخطئته فيما هو مصيب فيه •

أنشئت أول مطبعة في مكة المكرمة في زمن هذا الرجل فطبع رسالته وغيرها من مصنفاته فيها وكانت توزع بمساعدة أمراء مكة ورجال الدولة على حجاج الآفاق فعم نشرها ، وتناقل الناس مفترياته وبهاءته في كل قطر ، وصدقها العوام وكثير من الخواص ، كما اتخذ المبتدعة والحشوية والخرافيون رواياته ونقوله الموضوعة والواهية والمنكرة وتحريفاته للروايات الصحيحة ، حججا يعتمدون عليها في الرد على دعاة السنة المصلحين ، وقد فنيت نسخ رسالته تلك ولم يبق منها شيء بين الأيدي ، ولكن الألسن والأقلام لاتزال تتناقل كل مافيها من غير عزو ، ودأب البشر العناية بنقل مايوافق أهواءهم ، فكيف اذا وافقت هوى ملوكهم وحكامهم •

كنا نسمع في صغرنا أخبار الوهابية المستمدة من رسالة دحلان هذا ورسائل أمثاله فنصدقها بالتبع لمشائخنا وآبائنا ، ونصدق أن الدولة العثمانية هي حامية الدين ولأجله حاربتهم وخضدت شوكتهم ، وأنا لم أعلم بحقيقة هذه الطائفة الا بعد الهجرة الى مصر والاطلاع على تأريخ الجبرتي وتاريخ الاستقصا في أخبار المغرب الأقصى ،

(١) هو جميل الزهاوي .

فعلمت منهما أنهم هم الذين كانوا على هداية الاسلام دون مقاتليهم ، وأكده الاجتماع بالمطلعين على التأريخ من أهلها ولا سيما تواريخ الأفرنج الذين بحثوا عن حقيقة الأمر فعلموها وصرحوا أن هؤلاء الناس أرادوا تجديد الاسلام واعادته الى ما كان عليه في الصدر الأول ، واذاً لتجدد مجده وعادت اليه قوته وحضارته ، وأن الدولة العثمانية ما حاربتهم الا خوفا من تجديد ملك العرب ، واعادة الخلافة الاسلامية سيرتها الأولى .

على أن العلامة الشيخ عبد الباسط الفاخوري مفتي بيروت كان ألف كتابا في تاريخ الاسلام ذكر فيه الدعوة التي دعا اليها الشيخ محمد بن عبد الوهاب وقال انها عين ما دعا اليه النبيون والمرسلون . ولكنه قال ان الوهابيين في عهده متشددون في الدين ، وقد عجبنا له كيف تجرأ على مدحهم في عهد السلطان عبد الحميد . ورأيت شيخنا الشيخ محمد عبده في مصر على رأيه في هداية سلفهم ، وتشدد خلفهم ، وأنه لولا ذلك لكان اصلاحهم عظيما ورجي أن يكون عاما . وقد ربى الملك عبد العزيز الفيصل أيده الله غلاتهم المتشددين منذ سنتين بالسيف تربية يرجى أن تكون تمهيدا لاصلاح عظيم (١) .

ثم اطلعت على أكثر كتب الشيخ محمد بن عبد الوهاب ورسائله وفتاويه وكتب أولاده وأحفاده ورسائلهم ورسائل غيرهم من علماء نجد في عهد هذه النهضة التجديدية فرأيت أنه لم يصل اليهم اعتراض ولا طعن فيهم الا وأجابوا عنه ، فما كان كذبا عليهم قالوا (سبحانك هذا بهتان عظيم) وما كان صحيحا أوله أصل بينوا حقيقته وردوا عليه ، وقد طبعت أكثر كتبهم وعرف الألوف من الناس أصل تلك المفتريات عنهم .

ومن المستبعد جدا أن يكون الشيخ أحمد دحلان لم يطلع على شيء من تلك الكتب والرسائل وهو في مركزه بمكة المكرمة على مقربة منهم فان كان قد اطلع عليها ثم أصر على ماعزاه اليهم من الكذب والبهتان ـ ولاسيما مانفوه صريحا وتبرؤا منه ـ فأي قيمة لنقله ولدينه وأمانته ؟ وهل هو الا ممن باعوا دينهم بدنياهم ؟

ولقد نقل عنه بعض علماء الهند مايؤيد مثل هذا فيه . فقد قال صاحب كتاب

---

(١) يشير الى فتنة فيصل الدويش الذي سجن بالرياض ومات سنة ١٣٥١

(البراهين القاطعة على ظلام الأنوار الساطعة) المطبوع بالهند : ان شيخ علماء مكة في زماننا (قريب من سنة ١٣٠٣) قد حكم ـ أي أفتى ـ بايمان أبي طالب وخالف الأحاديث الصحيحة لأنه أخذ الرشوة الربابي القليلة من الرافضي البغدادي أهـ ٠ وشيخ مكة في ذلك العهد هو الشيخ أحمد دحلان الذي توفي سنة ١٣٠٤ ، وصاحب الكتاب المذكور هو العلامة الشيخ رشيد أحمد الكنكوهي مؤلف (كتاب بذل المجهود شرح سنن أبي داود) والخبر مذكور فيه ، وهو قد نسب الى أحد تلاميذ مؤلفه الشيخ خليل أحمد والصحيح أنه هو الذي أملاه عليه وهو كبير علماء ديو بند في عصره رحمه الله ٠

واذا فرضنا أن الشيخ أحمد دحلان لم ير شيئا من تلك الكتب والرسائل ، ولم يسمع بخبر عن تلك المناظرات والدلائل ، وأن كل ماكتبه في رسالته قد سمعه من الناس وصدقه ، أفلم يكن من الواجب عليه أن يتثبت فيه ، ويبحث ويسأل عن كتب الشيخ محمد بن عبد الوهاب ورسائله ويجعل رده عليها ، ويقول في الأخبار اللسانية قال لنا فلان أو قيل عنه كذا ، فان صح فحكمه كذا ؟

ان علماء السنة في الهند واليمن قد بلغهم كل ماقيل في هذا الرجل فبحثوا وتثبتوا وتبينوا كما أمر الله تعالى ، فظهر لهم أن الطاعنين فيه مفترون لاأمانة لهم وأثنى عليه فحولهم في عصره وبعد عصره ، وعدوه من أئمة المصلحين المجددين للاسلام ومن فقهاء الحديث كما نراه في كتبهم ، ولا تتسع هذه المقدمة لنقل شيء من ذلك وانما هي تمهيد للتعريف بهذا الكتاب في الرد عليه ٠

كتاب (صيانة الانسان ومؤلفه)

كان الشيخ محمد بشير السهسواني رحمه الله تعالى من فحول علماء الهند وكبار رجال الحديث فيهم ومن النظار الجامعين بين العلوم الشرعية والعقلية مع العمل بالعلم والتقوى والصلاح ، وهو قد اجتمع بالشيخ أحمد دحلان في مكة المكرمة وناظره في التوحيد الذي هو أساس دعوة الوهابية وأقام عليه الحجة ، ولما عاد الى الهند ألف كتابه هذا ، ولكنه طبع في عهده منسوبا الى العلامة الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد الرحيم السندي كما حصل في كتاب (بذل المجهود) ،

والعلماء كثيرا مايفعلون هذا في عصورهم ، وهذا كتاب (نيل الأماني [1] في الرد على النبهاني) هو من تأليف علامة العراق السيد محمود شكري الألوسي رحمه الله تعالى وعزى الى الشيخ أبي المعالي الشافعي السلامي .

جرى الشيخ في رده على مناهج المحدثين في التبثت في النقل بتحرير الروايات وعزو الأحاديث والأخبار الى مخرجيها ، وبيان علل أسانيدها وتحكيم قواعد الجرح والتعديل في رجالها ، بنقل ماقاله كبار المصنفين في نقد الرجال في أشهر كتبهم ، فاضطر الى التكرار الممل فيها ، ولعل سببه اتقاء تهمة كتمان بعض ماقيل في جرح المجروح منهم كما يفعله أولو العصبيات المذهبية في محاولة تضعيف مايخالف مذاهبهم وتقوية مايؤيدها ، وقد فضح بهذا جهل دحلان بعلم الحديث وأثبت أنه غير ثقة ولا صادق في النقل .

وجرى في تفنيد مطاعنه على طريقة الاستقلال الاجتهادي في الاستدلال وتحرير ماهو من دين الاسلام وماليس منه والاعتماد فيما هو سنة وما هو بدعة على نصوص الكتاب المعصوم ، والسنن الصحيحة المأثورة ، وما كان عليه أهل الصدر الأول من الصحابة والتابعين وأئمة الأمصار المجتهدين ، في مقابلة احتجاج دحلان بالآثار الموضوعة والمنكرة ، وبأقوال لبعض علماء التقليد المعروفين الذين أجمع أئمتهم على أن أقوالهم لايعتد بها ، وبنقول لايعرف لها قائل ، وبتحريف بعض النصوص الثابتة عن مواضعها ، وجعلها مثبتة للبدع المحدثة المردودة بالنصوص القطعية ، وسيرة السلف العملية ، كحديث استسقاء عمر بالعباس رضي الله عنهما وهو صحيح ولكنه حجة على القبوريين لا لهم ، وحديث توسل الأعمى بالنبي صلى الله عليه وسلم ، وهو على كونه غير صحيح يدل على توسله بدعائه صلى الله عليه وسلم في حياته لا بشخصه ، وحجة على توسل القبوريين المخالف لأصول الدين ونصوص القرآن والسنن الصحيحة .

علم مما أجملناه أن قواعد الجهل التي بنى عليها الشيخ أحمد دحلان رده على الوهابية ، واباحة دعاء غير الله تعالى من الأنبياء والصالحين الميتين والاستغاثة بهم

(١) الصواب فى اسمه (غاية الاماني) .. كما هو عنوان الكتاب المطبوع .

وشد الرحال الى قبورهم لدعائهم عندها وطلب قضاء الحوائج منهم ــ ثلاث قواعد :

(١) الروايات الباطلة وما في معناها من الحكايات والمنامات والأشعار ، وهي لاقيمة لها عند أحد من علماء الملة وانما تروج بضاعتها في سوق العوام .

(٢) الاستدلال بالنصوص على مالا تدل عليه شرعا كاستدلاله بالسلام على أهل القبور ، وبخطاب النبي صلى الله عليه وسلم لقتلى المشركين ببدر وأمثال ذلك على حياة الموتى وجواز دعائهم ومطالبتهم بقضاء الحوائج ودفع المصائب ، ووجه الجهل في هذا أنه يقيس حياة البرزخ على حياة الدنيا ، وعالم الغيب على عالم الشهادة ، وهو قياس باطل عند علماء أصول الشرع وعند جميع العقلاء ، ويترتب عليه عقائد وأحكام تعبدية لاتثبت الا بنص الشارع مع كون الذي يثبتها مقلدا ليس من أهل الاجتهاد باعترافه واعتراف متبعيه في جهله هذا .

(٣) قلب الحقيقة وعكس القضية فيما ورد من الترغيب في اتباع جماعة المسلمين والترهيب من مفارقة الجماعة فالجماعة بزعمه ومقتضى جهله هم الأكثرون في العدد في كل عصر ، وهذه الدعوى مخالفة لنصوص القرآن والأحاديث الصحيحة وآثار السلف والواقع ونفس الأمر في كثير من البلاد والأزمنة ، وقد فند المؤلف هذه الدعوى بما أوتي من سعة الاطلاع على كتب الحديث والآثار فبين ماورد من الآيات والروايات فيها وما قاله أئمة العلماء في تفسيرها ، وما في معناها من فشو البدع والضلالات بعد خير القرون ، وكون كل زمان يأتي شرا مما بعده ، ومن بقاء طائفة على الحق في كل زمان هم الأقلون ، حتى تقوم الساعة ، فعلم من هذا التفصيل المؤيد بالنقل ماهو الحق في هذه المسألة المهمة التي يبنافي التمهيد سبب ضلال المتأخرين فيها .

ومن فضائل هذا الكتاب ومؤلفه علو أدبه في عباراته ، وتحاميه المبالغة في ذم المذموم ، ومدح الممدوح ، فهو لايطري الامام المجدد الذي يدافع عنه ، ولا يهجو المتجرم الذي يرد عليه هجوا شعريا يدخل في مفهوم السباب المذموم وان كان جزاء وفاقا ، ومقابلة للسيئة بمثلها ، فتراه يقول في كل فرية من مفترياته على الشيخ نفسه

أو نقوله غير المسندة : هذا قول لم تصح به رواية ، فليأتنا بروايته وما قيل في تعديل رواتها لنجيب عنها •

وجملة مايقال في هذا الكتاب أنه ليس ردا على الشيخ دحلان وحده ، ولا على من احتج بما نقله عنهم من الفقهاء مما لاحجة فيه كالشيخ تقي الدين السبكي والشيخ أحمد بن حجر الهيتمي المكي ، بل هو رد على جميع القبوريين والمبتدعين حتى الذين جاءوا بعده الى زماننا هذا •

ومما ينتقد على كتاب (صيانة الانسان) هذا من ناحية صناعة التصنيف أنه لم يجعله أبوابا مقسمة ، ولا فصولا مفصلة ، ذات عناوين تسهل المراجعة ، وقد تلافينا هذا في طبعتنا هذه فجعلنا لكل صفحة عنوانا في أعلاها لأهم مافيها ، وأحصينا في الفهرس جميع المسائل المهمة فيها ، فبهذا سهل سبيل المراجعة لها كلها وقد طبع من نسخة الطبعة الهندية الأولى ، وهي طبعة حجرية كثيرة الغلط والتحريف فمنه ماهو معروف بالبداهة ، ومنه ماهو منقول عن كتب موجودة راجعناها عند التصحيح ومنه ماوضعنا له حواشي بينا رأيه فيه ، وما عدا هذا قليل يمكن فهم المراد منه بالقرينة غالبا ونسأل الله تعالى أن يثيبنا على ماأنفقناه من وقت طويل في العناية بهذا الكتاب المفيد والحمد لله على ما من به من التوفيق •

وكتب في صفر سنة ١٣٥٢

محمد رشيد رضا
منشيء مجلة المنار بمصر

* ● *

ترجمة المؤلف

معربة من كتاب (الياقوت والمرجان ، فى ذكر علماء سهسوان)

للعلامة محمد عبد الباقي السهسواني

هو العلامة المحدث النحرير مولانا الشيخ بشير الفاروقي ، ابن الحكيم محمد بدر الدين بقية السلف الصالحين في الفضائل والكمالات وأعظم مفخرة في العلم والحكمة ، كان من المجددين للدين وأحد المحققين المتأخرين ، بلغ درجة الاجتهاد المطلق في عصره ، ولد في أواسط القرن الثالث عشر الهجري وتوفي أبوه وهو ابن تسع سنين ، وكان له أخوان أكبر منه وثالث أصغر •

قضى زمن طفولته في لكنو ، وبدأ فيها تعلمه بالقراءة على الشيخ محمد واجد علي ، وعلى بعض أفاضل فرنجي محل ، قرأ فنون المعقولات والمنقولات المتداولة ، ثم ذهب الى دهلي لتكميل علوم التفسير والحديث والفقه والأصول ، فقرأ على السيد أمير حسن بعض الكتب الدينية ، وأخذ عن مولانا سيد نذير حسين كتب الصحاح والسنن الستة وغيرها سماعا وقراءة واستجاز من الشيخ حسين بن محسن الأنصاري اليمنى والشيخ أحمد بن ابراهيم بن عيسى النجدي نزيل مكة ، والشيخ محمد السهارنبوي المهاجر بمكة •

وبعد فراغه من الطلب اشتغل أولا بتدريس العلوم العقلية من المنطق والفلسفة ثم حصل له انهماك كثير في الفقه والأصول والأدب ، وكان يفتي في الفقه موافقا لمذهب الحنفية ، ثم صاحب السيد أمير حسن فغلب عليه ذوق التحقيق في الدينيات وتقدم في تحقيق اتباع القرآن والحديث ومن ذلك الحين يرجع في تحقيق جميع المسائل الجزئية والفرعية الى الكتاب والسنة ، وشرع في العمل بالحديث على طريقة المجتهدين ، وصار يفتى بوجوب ترك الآراء والتقليد الشخصي ، وكل مسألة وقع

فيها اختلاف بين الأئمة الأربعة كان يرجح فيها مسلك وآثار الصحابة ، وكان يستدل لكل مطلب بالحجج القوية ، ويستنبط شواهده من الكتاب والسنة .

وكان رحمه الله وحيد عصره في سعة المعلومات والاطلاع على مذاهب السلف يصرف أكثر أوقاته في التدريس والتصنيف والوعظ والارشاد ، ثم صار مدرسـا للغة الفارسية والعربية في كلية سنت جونس بمدينة آكره ، وزيادة على هذا كـان يدرس للطلبة الذين يجيئون الى داره فنون المعقول والمنقـول فقرأ عليه الحكيم مبارك علي والحكيم معصوم علي كتاب (الأفق المبـين) واشترك في هـذا الدرس السيد أمير أحمد السهسواني .

وقد خرج حاجا من آكره ولما رجع من الحج ـ أي بلا زيارة لقبر الرسـول صلى الله عليه وسلم فاعترضوا عليه ـ صنف كتاب (القول المحقق المحكم ، في حكم زيارة قبر الحبيب الأكرم) فرد عليه الشيخ عبد الحي اللكنوي بكتاب أسمـاه (الكلام المبرور) .. فرد عليه الشيخ بكتابه (القول المنصـور) .. فكتب جوابه الشيخ عبد الحي اللكنوي « المذهب المأثور » فكتب الشيخ جوابه وجمع فيه جميع الاعتراضات على هذه المسألة من قديم وحديث وأجاب عنها كلهـا بجـواب جامع سماه (اتمام الحجة على من أوجب الزيارة كالحجة) والمعارضون له وان كانوا قد كتبوا في جوابه لم يلتفت أهل التحقيق الى جوابهم ، ومع ذلـك فقد كتب الشيـخ جوابا على ذلك لكنه لم يطبع ، وكان ابتداء هذا البحث من السيد امداد علي الذي كان من أكابر تلاميذ الشيخ بشير الدين القنوجي لكن الشيخ امـداد علي لما أحس بضعفه عن مقابلة الشيخ بشير دعا الشيخ عبد الحي لهذا الميدان وفوض اليه الأمـر وأعطاه جميع ماكتب .

وامداد علي هذا كان نائب مدير المقاطعة ، وكان الشيخ بشير المترجم مع ذلك كلما ذهب الى لكنو نزل ضيفا على الشيخ عبد الحي ، فيستقبله بالاحترام والبشاشة ويمسكه في ضيافته أياما كثيرة أزيد ممـا يريد الشيـخ ويجلس في درس وعظـه مستمعا مع الأدب والتوقير للشيخ ، وفي أيام مقامه بآكره حصل للشيخ أمير أحمد السهسواني مع الشيخ بشير اختلاف في بعض المسائل الفرعية ، وكان الشيخ أمـير

أحمد يدفع فيها بلين والشيخ بشير يخالفه بالشدة ثم انتهي الأمر الى الاعتراف بالحق والمصالحة بينهما .

كان الشيخ بشير على جانب عظيم من الورع والتقوى والعبادة وقيام الليل ، وكان يغلب عليه في وعظه رقة القلب والخشية حتى تدمع عيناه .

وفي ٥ المحرم سنة ١٢٩٥ استدعاه النواب صديق حسن خان بهادر من (آكره) الى (بهوبال) وفوض اليه رئاسة المدارس الدينية في امارة بهوبال ؛ فكان يتبرع بتدريس التفسير والحديث ، وكان يجيب عن المسائل ويكتب الفتاوي بطريق الاجتهاد ، وفي كل جمعة يجلس لدرس الوعظ في جامع القاضي ويصرح برأيه ولو خالف الحكومة بلا مبالاة ، ويقيم حجته على المخالفين تقريرا وتحريرا مع التواضع وحسن الخلق .

وكان يخالط أحبابه بلا تكلف ولا احتشام ، وكان ديدنه اكرام الضيوف وامداد الغرباء بلا رياء ولا عجب ولا سمعة ، وكان نصب عينيه اتباع آداب الكتاب والسنة ، حتى كان يثقل على طبعه ترك المستحبات ، وقد أقر له أهل الهند كافة بقوة الاجتهاد والفضيلة العلمية واعترفوا له بها .

تناظر الشيخ أحمد دحلان مفتي مكة في زمانه [1] والشيخ بشير في مسألة التوحيد فكتب الشيخ ردا عليه كتابه المسمى (صيانة الانسان ، عن وسوسة الشيخ دحلان) واشتهر الكتاب وطبعه علماء نجد ولم يرد عليه أحد من المخالفين .

ولما حصل النزاع بين النواب صديق حسن خان والشيخ عبد الحي اللكنوي وكتبت كتب من الطرفين وقع في نفس الشيخ عبد الحي أن بعض رسائل الرد من تصنيف الشيخ ، وصرح بذلك في كتابه (ابراز الغي) فسعى الشيخ لدفع هذا الوهم عن فكر الشيخ عبد الحي وتصالحا بعد هذا .

ولما توفي النواب رحمه الله في جمادى الأولى سنة ١٣٠٧ أراد الشيخ مفارقة بهو بال ولكن بيكم بهوبال [2] تعلقت به وعطفت عليه واستبقته ، فكان يذهب في

(١) لعل المناظرة كانت لما حج واجتمع بدحلان بمكة فناظره شفويا ، ثم لما رجع رد عليه بكتاب (صيانة الانسان) .

(٢) هي زوجة النواب صديق حسن خان أمير بهوبال الشهيرة و (بيكم) مؤنث بك كما أن (خاتم) وتنطق في مصر (هانم) مؤنث خان . وبك وخان ـ ومؤنثهما بيكم وخاتم ـ من ألقاب التعظيم .

كل يوم اثنين من الأسبوع الى تاج محل (قصر الأميرة بيكم) فيجلس للوعظ ويجتمع عليه النساء المتصلات ببيكم لسماع وعظه وطلب الدعوات الصالحة منه ، وكان يتكلم في وعظه هذا بالترغيب والترهيب والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بلا مداهنة ولا مبالاة ، حتى توفيت بيكم رحمها الله في سنة ١٣١٩ ، ولما جلست بعدها على عرش ولايتها بنتها سلطان جهان بيكم وأخذت في نشر العلوم العصرية والفنون الأوروبية وتقليل شأن العلوم الدينية والقائمين بها ارتحل الشيخ عن بهوبال الى دلهي بعدما أقام فيها خمسا وعشرين سنة •

وكان الشيخ قد دعي لمناظرة مرزا غلام أحمد القادياني في دلهي فجاءها بأمر حكومة بهوبال ، فأقبل عليه أهل العلم والدين والتجار وغيرهم ممن لهم تعلق بالشيخ نذير حسين كبير علمائها ورغبوا اليه أن يقيم بدلهي بسبب ضعف الشيخ نذير حسين وكبر سنه للقيام مقامه ، ولكن لما كانت حكومة بهوبال لاتزال تعظم الشيخ وتسند اليه رئاسة الأمور الدينية لم يستطع اجابتهم الى رغبتهم حينئذ فلما تغيرت الأحوال في بهوبال استأنفوا الطلب فأجابهم الى ذلك وتحول اليهم ثم جلس في مقام شيخه يدرس ويفتي ويعظ •

وكان مرزا غلام أحمد ادعى أنه المهدي المنتظر ، ثم ترقى عن دعوى المهدوية لنفسه الى دعوى المسيحية ، وتحول عن اشتغاله بمناظرة المسيحية وأرياسماج من الهندوس الى مناظرة علماء المسلمين ، وكان لايناظر الا بالقرآن معرضا عن الأحاديث وأقوال الصحابة واشتهر أمره حتى صرح بطلب المناظرة حينئذ أمرت بيكم بهوبال الشيخ محمد بشير أن يتوجه الى دلهي لمناظرة المرزا ، ولما لم يرض مرزا بالمناظرة الشفوية تناظرا كتابة وهما في دلهي وكل منهما في محله •

كان مرزا يصرح بموت المسيح مستدلا بقوله تعالى (اني متوفيك ورافعك الي) فعارضه الشيخ مثبتا حياة المسيح بقوله تعالى (وان من أهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته) ثم أخذ مرزا على عادته يجادل بالتأويلات ، وينتقد القواعد النحوية والصرفية ليستدل على أن الآية لاتثبت حياة المسيح فرد عليه الشيخ بأجوبة لم يستطع ردها فانقطع عن المناظرة معتذرا بأن أحد أقاربه بقاديان مريض • وأنه سيسافر لعيادته ، وجميع المكاتبات التي دارت في هذه المناظرة حتى انقطع المرزا

مدونة في (كتاب الحق الصريح ، في اثبات حياة المسيح) وهو مطبـوع ، وكانت تلك المناظرة في سنة ١٣١٢ •

وفي مدة اقامته في دلهي كتب رسالة سماها (القول المحمود في رد السود) [١] وكان أصل تلك المسألة من الشيخ نذير أحمد الدهلوي •

ومن مفردات الشيخ أنه كان يجيز الأضحية الى آخر ذي الحجة ، وخالفه أهل العلم في ذلك ، فجمع كتابا استدل فيه على رأيه بأقوال أهل العلم فجاء كتابا ضخما ولكنه لم يطبع •

وصنف كتابا مبسوطا في مسألة القراءة خلف الامام سماه (البرهان العجاب ، في مسألة فرضية ام الكتاب) طبع بعد وفاته •

وله غير ذلك رسائل دينية منسوبة الى بعض تلاميذه •

وكانت عادة الشيخ مدة مقامه في دلهي أن يعقد مجالس للتدريس في جميـع العلوم ومن ذلك ساعتان بعد صلاة الصبح لتفسير القرآن بالحديث [٢] وكان الناس يحضرون من اماكن بعيدة لاستماع هذا الدرس بشوق عظيم •

توفي رحمه الله في دلهي سنة ١٣٢٦ هـ وكان عمره حينئذ أربعا وسبعين سنـة (انا لله وانا اليه راجعون) طيب الله ثراه وجعل الجنة مثواه ، وقد جمع الشـيخ (نظر أحمد) تاريخ وفاته بحسب الجمل الحرفية فكانت (قد دخل الجنة بلا حساب) والشيخ اعجاز أحمد قد أخرج من لفظ (مغفور) تاريـخ وفاته • وأنشد في ذلك قصيدة عربية فصيحة بليغة لابأس بايراد شيء منها قال :

خطب أبـاد نفوسنـا لكبـير ... وكـذا الزمـان على النفوس يجـور
أمـا الهـدى فتضعضعت أركانه ... والـدين اسـقمه ضـنى وفتـور
شمس الضحى أفلت وغاب شروقها ... فـاذا النهـار كليلنـا ديجـور

(١) أي الرباء ، والسود لغة اوردية .
(٢) لعل الاصل (بالمأثور) لان الاحاديث المرفوعة فى التفسير قليلة والمأثور يعم الآثار الموقوفة .

وقال بعد هذا ولله دره :

تبكـي عليـه مسـاجد ومنـابر ... ولأهـل علـم رنـة وزفـير
قـد كـان مجتهدا مصـيبا ناسـكا ... يحمي الشـرائع سـعيه المشـكور
متخاشـعا للـه منقـادا لـه ... متلألئـا مـن وجهـه التنـوير
نقـاد اسـناد الحديث ومتنـه ... كشـاف اسـرار الكتـاب بصـير
لمـا سـألت القلب عام وفـاته ... فأجـابني تاريخـه (مغفـور)

صيانة الإنسان

عن وسوسة الشيخ دحلان

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي تعالى عن الشريك والمثل والكفؤ والنديد • والحمد لله الذي لاملجأ ولا منجى منه الا اليه ، وهو (فعال لما يريد) • ونشهد أن لا اله الا الله وحده لاشريك له ،كلمة خلقت لأجلها الجن والانس من أماء وعبيد •ونشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله المبعوث بالملة الحنيفية القيمة وخالص التوحيد • اللهم فصل وسلم على سيدنا محمد قاطع ذرائع الكفر وحبائل التقليد • وعلى آله وصحبه الآخذين بسنته والمقتدين بأمره في المدن والقرى والبيد • وعلى العدول الحاملين لهذا العلم النافين عنه تحريف كل غال عنيد ، وانتحال كل مبطل مريد ، وتأويل كل جاهل ضديد [1]

أما بعد فاني وقفت على الرسالة التي جمعها الشيخ احمد بن زيني دحلان ، أنقذه الله من دحلاز الخذلان ، وسماها (الدرر السنية ، في الرد على الوهابية) ورأيت مؤلفها يدعى في ديباجة رسالته الباطلة الساقطة الدنية الردية ، أنه جمع فيها ماتمسك به أهل السنة في زيارة النبي صلى الله عليه وسلم والتوسل به من الدلائل والحجج القوية ، من الآيات والأحاديث النبوية • فتعجبت منه التعجب الصراح ، كيف وليس في الباب حديث واحد حسن فضلا عن الصحاح • فتأملت فيها تأمل الناقد البصير ، لكي أعلم أنه هل صدق في تلك الدعوى أم كذب كذب المجادل الضرير • فوجدت دعواها عارية عن لباس الصدق والحق المبين ، محلاة بحلية الزور والكذب والباطل المهين • فانه ليس فيها من الأحاديث الا ماأورده التقي السبكي (في شفاء الأسقام) [2] وهي دائرة بين الاحتمالات الثلاثة السقام : أما موضوعة عملتها أيدي الوضاع اللئام ، أو ضعاف واهية رواها من وسم بمثل كثرة الغلط والاوهام ، او شيء يسير من الصحيح والحسن في زعمه قاصر عن افادة المرام ، كما بين ذلك كله الامام أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عبد الهادي في (الصارم المنكى)

---

(١) مبالغة من الضد .

(٢) سماه فى (الصارم) شفاء السقام ، وذكر فى هذا الكتاب بالاسمين ، فتركناه على اصله فى كل موضع فليعلم .

وليس فيها من الآيات والأحاديث الصحاح والحسان مايدل على المطلوب المحكى • وكان حقا على المؤلف تعاطي واحد مما يذكر ، لئلا يعد كلامه مما يهجر وينكر : أما ايراده لأحاديث صحيحة أو حسنة دالة على المطلوب غير ماأورد في الشفاء [1] أو الاجابة عما تكلم به عليها صاحب الصارم وغيره من الائمة الاذكياء • واذ لم يفعل هذا ولا ذاك فليس لها فائدة ولا يؤول هذا الطول الى منفعة وعائدة •

ومن عجائب صنيعه ان المؤلف مع زعمه أنه من جملة المقلدين ، يستدل بالأدلة الشرعية وهو منصب المجتهدين • فعن لي أن أنبه على ما وقع فيه من مساوىء المفاهيم وزخارف الأقوال ، وأراجيف الاستدلال ، لئلا يغتر بها من يقف عليها ممن لاخبرة له بحقائق علم السنة من المتون والرجال ، فالله استعين وأقول ، وبه أحول وبه أصول •

قوله : (اعلم رحمك الله تعالى أن زيارة قبر نبينا صلى الله عليه وسلم مشروعة) •

أقول : لانزاع لنا في نفس مشروعية زيارة قبر نبينا صلى الله عليه وسلم •وأما مانسب الى شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله من القول بعدم مشروعية زيارة قبر نبينا صلى الله عليه وسلم فافتراء بحت [2] قال الامام العلامة ابو عبد الله محمد بن أحمد بن عبد الهادي المقدسي الحنبلي في (الصارم المنكي) : وليعلم قبل الشروع في الكلام مع هذا المعترض ان شيخ الاسلام رحمه الله لم يحرم زيارة القبور على الوجه المشروع في شيء من كتبه ، ولم ينه عنها ، ولم يكرهها ، بل استحبها وحض عليها ، ومصنفاته ومناسكه طافحة بذكر استحباب زيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم وسائر القبور • قال رحمه الله في بعض مناسكه :

باب زيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم

« اذا أشرف على مدينة النبي صلى الله عليه وسلم قبل الحج أو بعده فليقل ما تقدم ، فاذا دخل استحب له أن يغتسل ، نص عليه الامام أحمد • فاذا دخل المسجد

(١) يعني شفاء الاسقام الذي مر ذكره آنفا .

(٢) كما علم ذلك يقينا كل من اطلع على كتابيه (الجواب الباهر) و (الرد على الاخنائي) .

بدأ برجله اليمنى وقال : بسم الله ، والصلاة على رسول الله ، اللهم اغفر لي ذنوبي ، وافتح لي أبواب رحمتك • ثم يأتي الروضة بين القبر والمنبر فيصلي بها ويدعو بما شاء ، ثم يأتي قبر النبي صلى الله عليه وسلم فيستقبل جدار القبر لايمسه ولا يقبله، ويجعل القنديل الذي في القبلة عند القبر على رأسه ليكون قائما وجاه النبي صلى الله عليه وسلم ، ويقف متباعدا كما يقف لو ظهر في حياته بخشوع وسكون منكس الرأس وغاض الطرف ، مستحضرا بقلبه جلالة موقفه ، ثم يقول : السلام عليك يارسول الله ورحمة الله وبركاته ، السلام عليك يانبي الله وخيرته من خلقه ، السلام عليك ياسيد المرسلين ، وخاتم النبيين ، وقائد الغر المحجلين • أشهد ان لا اله الا الله واشهد أنك رسول الله ، أشهد أنك قد بلغت رسالات ربك ، ونصحت لأمتك ، ودعوت الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة ، وعبدت الله حتى أتاك اليقين • فجزاك الله أفضل ما جزى نبيا ورسولا عن أمته • اللهم آته الوسيلة والفضيلة وابعثه مقاما محمودا الذي وعدته ، ليغبطه به الأولون والآخرون • اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على آل ابراهيم انك حميد مجيد ، اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل ابراهيم انك حميد مجيد • اللهم احشرنا في زمرته ، وتوفنا على سننه ، واوردنا حوضه ، واسقنا بكأسه شربا [1] لانظمأ بعده ابدا •

« ثم يأتي أبا بكر وعمر رضي الله عنهما فيقول : السلام عليك ياأبا بكر الصديق ، السلام عليك يا عمر الفاروق ، السلام عليكما ياصاحبي رسول الله ، صلى الله عليه وسلم وضجيعيه ورحمة الله وبركاته • جزاكما الله عن صحبة نبيكما وعن الاسلام خيرا (سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار) • قال ويزور قبور أهل البقيع وقبور الشهداء ان أمكن » •

هذا كلام الشيخ رحمه الله بحروفه • انتهى مافي الصارم •

وقال في موضع آخر : وقد قال الشيخ رحمه الله في منسك له صنفه في أواخر عمره [2] :

(١) الذي في كتاب الصارم المنكى المطبوع « مشربا رويا » .

(٢) في عبارته مخالفة قليلة لهذا المنسك المطبوع بمصر سنة ١٣٢٤

فصـــــل

واذا دخل المدينة ـ قبل الحج او بعده ـ فانه يأتي مسجد النبي صلى اللـه عليه وسلم ويصلي فيه .

والصلاة فيه خير من ألف صلاة فيما سواه الا المسجد الحرام ، ولاتشد الرحال الا اليه والى المسجد الحرام والمسجد الأقصى ، هكذا ثبت في الصحيحين من حديث أبي هريرة وابي سعيد وهو مروي من طرق أخرى ، ومسجده كان أصغر مما هـو اليوم ، وكذلك المسجد الحرام ، لكن زاد فيهما الخلفاء الراشدون ومن بعـدهم ، وحكم الزيادة حكم المزيد في جميع الاحكام ، ثم يسلم على النبي صلى الله عليـه وسلم وصاحبيه فانه قد قال « ما من أحد يسلم علي الا رد الله على روحي حتى أرد عليه السلام » . رواه أبو داود وغيره .

وكان عبد الله بن عمر اذا دخل المسجد قال : السلام عليك يارسـول الله ، السلام عليك يا أبا بكر ، السلام عليك ياأبت ، ثم ينصرف . وهكذا كان الصحابة يسلمون عليه . واذا قال في سلامه : السلام عليك يارسول الله ، السلام عليك يانبي الله ، السلام عليك ياخيرة الله من خلقه ، السلام عليـك ياأكرم الخلـق على ربه ياامام المتقين ، فهذا كله من صفاته بأبي هو وأمي صلى الله عليه وسلم . واذا صلى عليه مع السلام عليه فهذا مما أمر الله تعالى به ، ويسلم مستقبل الحجرة مستدبر القبلة عند أكثر العلماء كمالك والشافعي واحمد . أما أبو حنيفة فانه قال يستقبل القبلة . فمن أصحابه من قال يستدبر الحجرة ، ومنهم من قال يجعلها عن يسـاره ، واتفقوا على أنه لايستلم الحجرة ولا يقبلها ولا يطوف بها ولا يصلي اليها ولا يدعو هناك مستقبلا الحجرة ، فان هذا كله منهي عنه باتفاق الائمة ، ومالك من أعظم الأئمة كراهية لذلك .

وقوله : « اما الكتاب فقوله تعالى (ولو أنهم اذ ظلموا أنفسهم جاؤوك » الـخ أقول : في هذا الاستدلال فساد من وجوه :

(الأول) ان قوله : دلت الآية على حث الأمة على المجيء اليه صلى الله عليـه وسلم . ماذا أراد به ؟ ان أراد حث جميع الأمة فغير مسلم ، فان الآية وردت في قوم

معينين كما سيأتي ، وليس هناك لفظ عام حتى يقال العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص المورد ، بل الألفاظ الدالة على الأمة الواقعة في هذه الآية كلها ضمائر • وقد ثبت في مقره أن الضمائر لاعموم لها ، ولذا لم يتشبث أحد من المستدلين بهذه الآيـــة على القربة ـ من التقي السبكي والقسطلاني وابن حجر المكي ـ بعموم اللفظ ، حتى أن صاحب الرسالة [1] أيضا لم يذكره • وأما ما قــال صاحب الرســالة تبعا للتقى السبكي والقسطلاني وابن حجر المكي من أن الآية تعم بعموم العلة ففيه أنه على هذا التقدير لايكون الدليل كتاب الله بل القياس • وقد فرض أن الدليل كتاب الله ، على أن المعتبر عند من يقول بحجية القياس قياس المجتهد الذي سلم اجتهاده الجامع للشروط المعتبرة فيه المذكورة في علم الأصول ، وتحقق كلا الأمرين فيما نحن فيه ممنوع ، كيف وصاحب الرسالة من المقلدين والمقلد لايكون من أهل الاجتهاد، مع أن الاجتهاد عند المقلدين قد انقطع بعد الأئمة الأربعة ، بل المقلد لايصلح لأن يستدل بواحد من الأدلة الشرعية ، وما له وللدليل ؟ فان منصبه قبول قول الغير بلا دليل ، فذكر صاحب الرسالة الأدلة الشرعية هناك خلاف منصبه ، وان أراد حث بعض الأمة فلا يتـــم التقريب •

و (الثاني) أن صاحب الرسالة جعل المجيء اليه صلى الله عليه وسلم الوارد في الآية عاما شاملا للمجيء اليه صلى الله عليه وسلم في حياته وللمجيء الى قبره صلى الله عليه وسلم بعد مماته ، ولم يدر أن اللفظ العام لايتناول الا ما كان من افراده، والمجيء الى قبر الرجل ليس من أفراد المجيء الى الرجل لا لغة ولا شرعا ولا عرفا ، فان المجيء الى الرجل ليس معناه الا المجيء الى عين الرجل ، ولا يفهم منه أصلا أمر زائد على هذا ، فان ادعى مدع فهم ذلك الأمر الزائد من هذا اللفظ فنقول له : هل يفهم منه كل أمر زائد ، أو كل أمر زائد يصح اضافته الى الرجل ، أو الأمر الخاص أي القبر ؟

والشق الاول مما لايقول به احد من العقلاء •

فان اختير الشق الثاني يقال : يلزم على قولك الفاسد أن يطلق المجيء الـــى الرجل على المجيء الى بيت الرجل والى أزواجه والى أولاده والى أصحابه والى عشيرته والى اقاربه والى قومه والى اتباعه والى أمته والى مولده والى مجالســه

(1) أي رسالة دحلان المردود عليها .

والى آباره والى بساتينه والى مسجده والى بلده والى سككه والى ديـاره والى مهجره ، وهذا لايلتزمه الا جاهل غبي ، وأن التزمه أحد فيلزمه أن يلتزم أن الآية دالة على قربة المجيء الى الأشياء المذكورة كلها ، وهذا من أبطل الأباطيل •

وان اختير الشق الثالث فيقال : ما الدليل على هذا الفهم ؟ ولن تجد عليه دليلا من اللغة والعرف والشرع ، أما ترى أن أحدا من الموافقين والمخالفين لايقول في قبر غير قبر النبي صلى الله عليه وسلم اذا جاءه أحد أنه جاء ذلك الرجل ، ولا يفهم أحد من العقلاء من هذا القول أنه جاء قبر ذلك الرجل •

فتحصل من هذا أن المجيء الى الرجل أمر ، والمجيء الى قبر الرجل أمر آخر • كما أن المجيء الى الرجل أمر ، والمجيء الى الأمور المذكورة أمور أخر ، ليس أحدها فردا للآخر •

اذا تقرر هذا فالقول بشمول المجيء الى الرسول : المجيء الى الرسول والمجيء الى قبر الرسول ، كالقول بشمول الانسان الانسان والفرس ، وهذاهو تقسيم الشيء الى نفسه والى غيره ، وهو باطل باجماع العقلاء ، وهكذا جعل الاستغفار عنده عاما شاملا للاستغفار عنده في حياته وللاستغفار عند القبر بعد مماته ، مع أن الاستغفـار عند قبره ليس من أفراد الاستغفار عنده •

فان قلت : لانقول ان المجيء اليه صلى الله عليه وسلم شـامل للمجيء اليه في حياته وللمجيء الى قبره بعد مماته حتى يـرد ماأوردتم ، بل نقـول ان المجيء اليه شامل للمجيء اليه في حياته الدنيوية المعهودة والمجيء اليه في حياته البرزخية ، ولمـا كان المجيء اليه في حياته البرزخية مستلزما للمجيء الى قبـره ثبت من الآية المجيء الى قبره صلى الله عليه وسلم الذي هو المسمى بزيارة القبر •

قلنا : لاسبيل الى اثبات الحياة البرزخية من لغة ولا عرف ، فلا يفهم من هذا اللفظ ــ بحسب اللغة والعرف ــ الا المجيء اليه في حياته الدنيوية المعهودة ، فـلا يكون المجيء اليه في حياته البرزخية فردا للمجيء اليه بحسب اللغة والعرف ، انما تثبت الحياة البرزخية ببيان الشرع ، لكن يبقى الكلام في أن كون المجيء اليـه في حياته البرزخية فردا من المجيء اليه هل يثبت من الشرع أم لا ؟ وعلى مدعي الثبوت

البيان ، وفي أن المجيء الى قبره هو عين المجيء اليه في حياته البرزخية أو مستلزم له أم لا ؟ وعلى المدعى الدليل ، لم لايجوز أن لايكون المجيء الى قبره عين المجيء اليه في حياته البرزخية ولا مستلزما له بل يتوقف المجيء اليه في حياته البرزخية على أن يموت الجائي وينتقل الى عالم البرزخ • فلا بد من نفي هذا الاحتمال بدليل من الشرع ، ويؤيد هذا أنا اذا قلنا جئنا زيدا ، انما نريد به أنا جئنا الى مكان يرى منه زيد ويسمع كلامه بحسب العادة ، والمجيء الى القبر ليس مجيئا الى مكان يرى منه المقبور ويسمع كلامه ويسمع المقبور كلام الجائي ، أما تعلم أن الحي لو دفن في القبر كما يدفن الميت لن يرى أصلا ولن يسمع كلامه ولا هو يسمع كلام الجائي ، وأما سماع الموتى خفق نعالنا وغير ذلك مما ثبت في الأحاديث فليس بحسب العادة ، انما هو باسماع الله تعالى ، بخلق قوة فيه هي خارجة عن العادة ، أو بطريق آخر لا علم لنا بتعيينه ، انما نجزم أنه بطريق غير عادي •

يرشدك الى هذا أن الزوار لايرون المقبور ولا يسمعون كلامه ، والمقبور يرى الزائر ويسمع كلامه ، وهذا أدل دليل وأوضح برهان على أن رؤية المقبور وسماعه ليس بطريق عادي بل بطريق غير عادي ، والا لسمع الزائر أيضا كلام المقبور ورآه ، على أن المجيء اليه قد انقطع بعد موته كما انقطع سائر الأحكام التي سيأتي ذكرها في الوجه الثالث ، والفرق بين المجيء اليه وسائر الأحكام لايقبل بغير بيان فارق شرعي ، وأنى لك ذلك ! وأما ما قال السبكي في تعليله وتبعه القسطلاني تعظيما له فيرد عليه أنه على هذا يلزم أن لاتنقطع جميع الأحكام المذكورة أيضا تعظيما له ، على أنه ما الدليل على أن التعظيم يوجب عدم انقطاع هذا الحكم بالموت من كتاب أو سنة ؟!

و (الثالث) أن قوله « وهذا لاينقطع بموته » قول لادليل عليه ، فان انقطاع هذا الحكم لااستبعاد فيه ، كما أن سائر الأحكام ــ من الامامة الصغرى والكبرى [1] والجهاد ، والصلاة ، والصيام ، والحج ، والزكاة ، وصلة الأرحام ، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وتحريض المؤمنين على القتال ، والمشاورة ، وتجهيز الجيوش ، وحفظ الثغور ــ قد انقطعت بعد موته ، فان زعم زاعم أن النبي صلى الله عليه وسلم حي في قبره فما معنى انقطاعه بعد الموت ؟ يقال : ان الحياة

(١) الامامة الصغرى امامة الصلاة ، والكبرى هي الخلافة وتنفيذ الاحكام .

البرزخية هل هي مساوية للحياة الدنيوية في كل الأحكام عندكم أم لا ؟ والأول بديهي البطلان لاطباق الأمة على انقطاع الأحكام المذكورة من الامامة الصغرى وغيرها ، وعلى الثاني فلا استبعاد في انقطاع حكم المجيء اليه بعد موته صلى الله عليه وسلم .

(الرابع) قوله « فأما استغفاره صلى الله عليه وسلم فهو حاصل لجميع المؤمنين بنص قوله تعالى :

(واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات) . فاسد .

بيانه ان المراد باستغفار الرسول الواقع في آية :

(ولو انهم اذ ظلموا انفسهم جاءوك)

الاستغفار بعد وقوع الظلم استغفارا مستأنفا ، فان (استغفر) في قوله (واستغفر لهم الرسول) معطوف على (فاستغفروا الله) وهو الظاهر ، أو على (جاءوك) كما زعم السبكي في شفاء السقام ، وعلى كلا التقديرين يكون بعد وقوع الظلم . أما على الاول فلأن (استغفروا الله) متأخر عن (جاءوك) بدليل فاء التعقيب ، والمعطوف في حكم المعطوف عليه ، فيكون (استغفر لهم الرسول) متأخرا عن (جاءوك) ، و (جاءوك) متأخرا عن الظلم ، والمتأخر عن المتأخر عن الشيء متأخر عن ذلك الشيء ، وأما على الثاني فلأن (استغفر لهم الرسول) على هذا التقدير معطوف على (جاءوك) والمعطوف في حكم المعطوف عليه ، و (جاءوك) متأخر عن الظلم فاستغفار الرسول متأخر عن الظلم ، فعلم بذلك ان الاستغفار العام المأمور به صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى :

(واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات)

لا يكفي فيما هنالك ، وتدل عليه الآية الاخرى والسنة :

أما الآية فقوله تعالى في سورة الممتحنة :

(يأيها النبي اذا جاءك المؤمنات يبايعنك على أن لايشركن بالله شيئا ولا يسرقن ولا يزنين ولا يقتلن أولادهن ولا يأتين ببهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلهن ولا يعصينك فى معروف فبايعهن واستغفر لهن الله ان الله غفور رحيم) .

فعلم أن الاستغفار العام المأمور به صلى الله عليه وسلم لايكفي ، بل كان صلى الله عليه وسلم مأمورا باستغفار آخر وقت أخذ البيعة والتوبة من الشرك والمعاصي .

وقوله تعالى في سورة الفتح :

(سيقول لك المخلفون من الأعراب شغلتنا أموالنا وأهلونا فاستغفر لنا)

وقوله تعالى في سورة المنافقين :

(واذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله لووا رءوسهم ورأيتهم يصدون وهم مستكبرون)

فان هاتين الآيتين تدلان على أن المسلمين كانت عادتهم أن أحدهم متى صدر منه مايقتضي التوبة جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم فيقول : يارسول الله فعلت كذا وكذا فاستغفر لي ، وكان هذا فرقا بينهم وبين المنافقين ، وهذا الاستغفار كان غير ماأمر به صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى :
(واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات) .

وأما السنة فما روى عن كعب بن مالك حين تخلف عن غزوة تبوك في حديث طويل فيه : فلما قيل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أظل قادما زاح عني الباطل ، وعرفت أني لن أخرج منه أبدا بشيء فيه كذب ، فأجمعت صدقه ، وأصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم قادما ــ وكان اذا قدم من سفر بدأ بالمسجد فيركع فيه ركعتين ، ثم جلس للناس ــ فلما فعل ذلك جاءه المخلفون فطفقوا يعتذرون اليه ويحلفون له ، وكانوا بضعة وثمانين رجلا ، فقبل منهم رسول الله صلى الله عليه وسلم علانيتهم وبايعهم واستغفر لهم ووكل سرائرهم الى الله ، وفي ذلك الحديث : وسار رجال من بني سلمة فاتبعوني فقالوا لي : والله ما علمناك كنت أذنبت ذنبا قبل هذا ، ولقد عجزت أن لاتكون اعتذرت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بما اعتذر به المخلفون ، قد كان كافيك من ذنبك استغفار رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وفي ذلك الحديث قال كعب : وكنا تخلفنا أيها الثلاثة عن أمر أولئك الذين قبل منهم رسول الله صلى الله عليه وسلم حين حلفوا له فبايعهم واستغفر لهم ، وأرجأ رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرنا حتى قضى الله فيه ، رواه البخاري

ومسلم وغيرهما واللفظ للبخاري ، فعلم من هناك أنه كان من عادته صلى الله عليه وسلم أنه اذا جاءه مذنب وتاب واستغفر يستغفر له النبي صلى الله عليه وسلم استغفارا مستأنفا ، ولا يقنع بالاستغفار العام •

على أن الله تعالى أمر رسوله صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى :

(واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات) بالاستغفار لاهل الايمان ، وآية (ولو انهم اذ ظلموا انفسهم) الاية وردت في شأن المنافقين •

فالاستغفار الذي فعله صلى الله عليه وسلم بامتثال **قوله تعالى(واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات) لايكون شاملا للاستغفار لأهل النفاق** بل قد نهى الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم عن الاستغفار للمنافقين فقال تعالى : **(استغفر لهم أو لاتستغفر لهم ، ان تستغفرلهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم)** وقال تعالى : **(ولا تصل على أحد منهم مات أبدا ولا تقم على قبره)**

وقال تعالى :

(ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولى قربى من بعد ماتبين لهم أنهم أصحاب الجحيم)

فلا بد من أن يراد باستغفار الرسول ــ الذي ورد في شأن المنافقين ــ غير ماورد في قوله تعالى : **(واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات)** فان المنافقين داخلون في آية **(ولو انهم اذ ظلموا أنفسهم)** دخولا أوليا ، وان سلم دخول غيرهم فيها بعموم العلة وما ضاهاه دخولا ثانويا •

وههنا نظر وعنه جواب فتأمل ، وهكذا فهم جمهور أهل التفسير من الاستغفار الاستغفار الخاص ولم يقل أحد منهم ان الاستغفار العام يكفي هاهنا ، قال الشوكاني رحمه الله في فتح القدير : (ولو أنهم اذ ظلموا أنفسهم) بترك طاعتك والتحاكم الى غيرك (جاءوك) متوسلين اليك متنصلين عن جناياتهم ومخالفاتهم (فاستغفروا الله) لذنوبهم وتضرعوا اليك حتى قمت شفيعا فاستغفرت لهم •

وقال الامام الرازي في مفاتيح الغيب : يعني أنهم عندما ظلموا أنفسهم بالتحاكم

الى الطاغوت والفرار من التحاكم الى الرسول جاءوا الرسول وأظهروا الندم على مافعلوه وتابوا عنه واستغفروا منه واستغفر لهم الرسول بأن يسأل الله أن يغفر لهم عند توبتهم (لوجدوا الله توابا رحيما) انتهى .

وقال أيضا (المسألة الثانية) لقائل أن يقول : أليس لو استغفروا الله وتابوا على وجه صحيح لكانت توبتهم مقبولة ؟ فما الفائدة في ضم استغفار الرسول الى استغفارهم ؟

(قلنا) الجواب عنه من وجوه : (الأول) أن ذلك التحاكم الى الطاغوت كان مخالفة لحكم الله ، وكان أيضا اساءة الى الرسول صلى الله عليه وسلم وادخالا للغم في قلبه ، ومن كان ذنبه كذلك وجب عليه الاعتذار عن ذلك الذنب لغيره ، فلهذا المعنى وجب عليهم ان يطلبوا من الرسول (صلعم) ان يستغفر لهم . (الثاني) أن القوم لما لم يرضوا بحكم الرسول ظهر منهم ذلك التمرد ، فاذا تابوا وجب عليهم أن يفعلوا مايزيل عنهم ذلك التمرد ، وما ذاك الا بأن يذهبوا الى الرسول صلى الله عليه وسلم ويطلبوا منه الاستغفار . اه

وقال أبو السعود : (جاءوك) من غير تأخير ، كما يفصح عنه تقديم الظرف ، متوسلين بك في التنصل عن جناياتهم القديمة والحادثة ، ولم يزدادوا جناية على جناية بالقصد الى سترها بالاعتذار الباطل ، والأيمان الفاجرة ، فاستغفروا الله بالتوبة والاخلاص ، وبالغوا في التضرع اليك حتى انتصبت شفيعا لهم الى الله تعالى واستغفرت لهم . اه

وقال في المدارك [1] : ولو وقع مجيئهم في وقت ظلمهم مع استغفارهم واستغفار الرسول لوجدوا الله توابا اه . وقال البيضاوي : فاستغفروا الله بالتوبة والاخلاص، واستغفر لهم الرسول واعتذروا اليك حتى انتصبت لهم شفيعا . اه

وقد علم من تلك العبارات أن عامة أهل التفسير قد فهموا من الآية أن استغفار الرسول يكون بعد استغفارهم . وأما ما قال السبكي في شفاء الأسقام : وليس في الآية مايعين أن يكون استغفار الرسول بعد استغفارهم بل هي محتملة والمعنى يقتضي

(١) هو تفسير النسفي

بالنسبة الى استغفار الرسول أنه سواء تقدم أم تأخر فان المقصود ادخالهم بمجيئهم واستغفارهم تحت من يشمله استغفارا الرسول صلى الله عليه وسلم ، وانما يحتاج الى المعنى المذكور اذا جعلنا (واستغفر لهم الرسول) معطوفا على (فاستغفروا الله) أما ان جعلناه معطوفا على (جاءوك) لم يحتج اليه ، هذا آخر مافي الشفاء [1] ففيه نظـر من وجوه :

(الأول) أن عامة المفسرين قد فهموا من الآية أن يكون استغفار الرسول بعد استغفارهم ، فالقـول بأن ليس في الآية مايعـين أن يكون استغفار الرسـول بعد استغفارهم تخطئة للجمهور ومخالفة لهم •

(الثاني) أن تقديم استغفارهم على استغفار الرسول في الآية يستـدعي أن يكون استغفارهم قبل استغفار الرسول صلى الله عليه وسـلم ، كما أن الشـافعية استدلوا على وجوب الترتيب في الوضوء بالترتيب المذكور في الآية والسبكي أيضا منهم • ويقويه ماورد عن جابر بن عبد الله في صفة حج النبي صلى الله عليه وسـلم « ابدءوا بما بدأ الله به » أخرجه النسائي •

و (الثالث) أنه لو سلم أنه ليس في الآية مايعين أن يكون استغفار الرسـول بعد استغفارهم ، فلا شك أن في الآية مايعين أن يكون استغفار الرسول بعد وقوع الظلم منهم ، وهذا القدر يكفي لاثبات مرامنـا ، فانه يدل دلالة واضحـة على أن الاستغفار العام غير كاف فيما هنالك •

و (الرابع) أن في قوله [2] أما ان جعلناه معطوفا على (جاءوك) لم يحتـج اليه اه فان هذا العطف لايضرنا أصلا ، فانه يدل على أن استغفار الرسول بعد وقوع الظلم منهم اذ المعطوف في حكم المعطوف عليه ، ولا شك ان (جاءوك) بعد وقوع الظلم منهم •

(الخامس) من وجوه الاصل : ان قوله [3] « فاذا وجد مجيئهم واستغفارهم فقد تكملت الأمور الثلاثة الموجبة لتوبة الله ورحمته » مردود بأنا لانسـلم أنه اذا

(١) أي شفاء السقام للسبكي
(٢) أي السبكي في شفائه
(٣) أي المردود عليه دحلان تبعا للسبكي في شفائه

وجد المجيء الى القبر واستغفارهم عنده وجدت الأمور الثلاثة الموجبة لتوبة الله ورحمته ، فان الأمور الثلاثة الموجبة لتوبة الله ورحمته هي المذكورة في الآية ، وانما هي المجيء اليه صلى الله عليه وسلم في الحياة بعد الظلم ، واستغفارهم عنده في الحياة بعد الظلم ، واستغفار الرسول صلى الله عليه وسلم لهم في الحياة بعد الظلم ، وفي زيارة القبر لايوجد واحد منها •

(السادس) قوله : « وسيأتي في الأحاديث الآتية مايدل على أن استغفاره صلى الله عليه وسلم لا يتقيد بحال حياته » فيه انه سيأتي الكلام عليها فانتظره •

(السابع) قوله : « وقد علم من كمال شفقته صلى الله عليه وسلم أنه لايترك ذلك لمن جاءه مستغفرا ربه » ظن محض وتخمين صرف ليس عليه أثارة من كتاب ولا سنة فلا يسمع ، على أن لنا أن نعارض فنقول : انه لو كان استغفاره لمن جاءه مستغفرا بعد موته ممكنا أو مشروعا لكان كمال شفقته ورحمته يقتضي ترغيبهم في ذلك وحضهم عليه ، ومبادرة خير القرون اليه ، لكن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يرغب في ذلك ، ولم يبادر خير القرون اليه ، فتبين أن الاستغفار بعد موته صلى الله عليه وسلم ليس ممكنا أو مشروعا ، وهذا التقرير مستفاد من (الصارم)[1] •

(الثامن) قوله : « والآية الكريمة وان وردت في قوم معينين في حال الحياة تعم بعموم العلة كل من وجد فيه ذلك الوصف في حال الحياة وبعد الممات » •

قلت : الامر كما اقر به الخصم في هذا المقام من ان الآية وردت في قوم معينين من أهل النفاق ، يدل عليه قوله تعالى :

(واذا قيل لهم تعالوا الى ما انزل الله والى الرسول رأيت المنافقين يصدون عنك صدودا)

وورد نظير ذلك في حقهم في سورة المنافقين :

(واذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله لووا رءوسهم ورأيتهم يصدون وهم مستكبرون)

ولكن عمومها بعموم العلة قد تقدم مافيه في الوجه الأول ، وبعد تسليم ذلك العموم يقال : ان الآية تعم ما وردت فيه وما كان مثله ، فهي عامة في كل منافق قيل له تعال

(١) يعني الصارم المنكى فى الرد على السبكي للحافظ ابن عبد الهادي رحمه الله .

(الى ما انزل الله والى الرسول) فصد عن الرسول صدودا ، وتحاكم الى الطاغوت ، ثم جاء الرسول في حياته فاستغفر الله واستغفر له الرسول في حياته ، وأما المؤمن الذي عصى فجاء قبر الرسول صلى الله عليه وسلم فاستغفر الله فليس مثله .

(التاسع) قوله « ولذلك فهم العلماء منها العموم في الحالتين واستحبوا لمن أتى قبره صلى الله عليه وسلم أن يقرأها مستغفرا الله تعالى ، واستحبوها للزائر ورأوها من آدابه التي يسن له فعلها ، وذكرها المصنفون في المناسك من أهل المذاهب الأربعة » .

قلت : هذا مما أورده السبكي في الشفاء ورد عليه العلامة ابن عبد الهادي رحمه الله في الصارم ، فلنذكر هنا عبارة الصارم بلفظها ، قال في الصارم « وقوله : ولذلك فهم العلماء من الآية العموم في الحالتين » فيقال له : من فهم هذا من سلف الأمة وأئمة الاسلام ؟ فاذكر لنا عن رجل واحد من الصحابة أو التابعين أو تابعي التابعين أو الأئمة الأربعة أو غيرهم من الأئمة أو أهل الحديث والتفسير أنه فهم العموم بالمعنى الذي ذكرته أو عمل به أو أرشد اليه ، فدعواك على العلماء بطريق العموم هذا الفهم دعوى باطلة ظاهرة البطلان . اه

ومن عجائب فهم صاحب الرسالة [1] أنه زعم أن ضمير « حكاها » في الشفاء راجع الى الآية فقال : وذكر المصنفون . مع أن مرجعه حكاية العتبى ، ولفظ الشفاء هكذا : ولذلك فهم العلماء من الآية العموم في الحالتين ، واستحبوا لمن أتى الى قبره صلى الله عليه وسلم أن يتلو هذه الآية ويستغفر الله تعالى . وحكاية العتبى في ذلك مشهورة ، وقد حكاها المصنفون في المناسك من جميع المذاهب . أ هـ

لايقال ان الامام مالكا من الأئمة الأربعة فهم العموم كما سيأتي في حكاية مناظرة الخليفة المنصور والامام مالك ، لأنا نقول : هذه الرواية ليست مما يعتمد عليه كما سيأتي . على أن من فهم العموم فمناطه حكاية الأعرابي وهي ليست بثابتة ، كما ستطلع عليه عن قريب [2]

(١) أي الشيخ دحلان المردود عليه .

(٢) وانظر (التوسل والوسيلة) لابن تيمية طبع السلفية ص ٦٧ ــ ٨٢ و ١٥٤ ــ الخ .

(العاشر) قوله : « ودلت الآية أيضا على أنه لافرق في الجائي بين أن يكون مجيئه بسفر أو غير سفر ، لوقوع « جاءوك » في حيز الشرط الدال على العموم .

قلت : هذا ذكره ابن حجر المكي في (الجوهر المنظم) ، وهو فاسد . بيانه ان عموم الفعل الواقع في حيز الشرط ليس الا عموم النكرة في موضع الشرط . قـال الامام المحلى في شرحه على جمع الجوامع : لتضمن الفعل المنفى لمصدر منكر . وقال السعد في حاشيته على العضدي : والمحققون من النحاة على أن المراد بتنكير الجملة أن المفرد الذي يسبك منها نكرة ، وعموم الفعل المنفى ليس من جهة تنكيره بل من جهة مايتضمنه من المصدر نكرة ، فمعنى « لايستوى زيد وعمرو » لايثبت استواء بينهما . اه

وعموم النكرة في موضع الشرط ليس الا عموم النكرة في موضع النفى ، قال السعد في التلويح : يريد أن الشرط في مثل « ان فعلت فعبده حر أو امرأته طالق » لليمين على تحقق نقيض الشرط ان كان الشرط فيها مثل « ان ضربت رجـلا فكذا » فهو يمين للمنع ، بمنزلة قولك « والله لاأضربن رجلا » ، وان كان منفيا مثل « ان لم أضرب رجلا فكذا » فهو يمين للحمل بمنزلة قولك « والله لأضربن رجـلا » ، ولا شك أن النكرة في الشرط المثبت خاص يفيد الايجاب الجزئي فيجب أن يكـون في جانب النقيض للعموم والسلب الكلي ، والنكرة المنفية عام يفيد السلب الكلي فيجب أن يكون في جانب النقيض للخصوص والايجاب الجزئي ، فظهر أن عموم النكرة في موضع الشرط ليس الا عموم النكرة في موضع النفي . اه

فتحصل من هذا أن عموم الفعل في سياق الشرط لايكون الا في موضع يحصل فيه نكرة في سياق النفي ، وهذا لايحصل الا في مثل شرط يكون اليمين التي للمنع ، ولذا قال السعد في حاشيته على العضدي : قوله « أو في معناه » يعني النكرة الواقعة في الشرط المستعمل موضع اليمين التي للمنع ، مثل « ان أكلت فأنت طـالق » فانه للمنع عن الأكل ، اذ انتفاء الطلاق مطلوب وذلك بانتفاء الأكل ، فهو في معنى لا آكل البتة ، وهذا معنى قوله : « اذ ينتفي الطلاق بأن لايأكل » . اه

وقال في التوضيح : والنكرة في موضع الشرط اذا كان مثبتا عام في طـرف النفي ، وانما قيد بقوله اذا كان الشرط مثبتا ، حتى لو كان الشرط منفيا لايكـون

عاما ، كقوله ان لم أضرب رجلا فعبدي حر ، فمعناه أضرب رجلا ، فشرط البر ضرب واحد من الرجال ، فيكون للايجاب الجزئي • اه

وفي الآية الكريمة كون الشرط لليمين التي للمنع غير مسلم ، وأيضا قد علم أن في قوله « ان لم أضرب رجلا فعبدي حر » الفعل واقع في سياق الشرط مع أنه ليس عاما ، فالقول بعموم الفعل الواقع في سياق الشرط عموما فاسد •

(الحادي عشر) : أن جميع الأمة عصاة مذنبون ، وخطاء ظالمون • ورد في الحديث القدسي « ياعبادي انكم تخطئون بالليل والنهار » رواه مسلم من حديث أبي ذر ، وفيه « ياعبادي كلكم ضال الا من هديته » • وعن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « كل بني آدم خطاء وخير الخطائين التوابون » رواه الترمذي وابن ماجة والدرامي ، وعن ابن عباس في قوله تعالى (الا اللمم) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« ان تغفر اللهم تغفر جما وأي عبد لك لا ألما » ؟

رواه الترمذي وقال : هذا حديث حسن صحيح غريب • وفي حديث أبي ذر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « كلكم مذنب الا من عافيت » رواه أحمد والترمذي وابن ماجة ، وفي حديث ابن مسعود قال : لما نزلت (الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم) شق ذلك على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا: يارسول الله ، أينا لم يظلم نفسه ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ليس ذاك، انما هو الشرك » رواه البخاري ومسلم •

فلو كانت الآية تعم كل ظالم سواء كان مؤمنا أو كافرا أو منافقا ، وسواء كانت بينه وبين النبي صلى الله عليه وسلم مدة سفر أو لم تكن ، وسواء كان يدعى أو لم يدع ، وسواء كان مجيئه الى النبي صلى الله عليه وسلم في حياته أو الى قبره بعد وفاته كما زعم صاحب الرسالة (١) للزم أن يكون مجيء كل أحد من أمته بعد كل ظلم ومعصية صغيرة كانت أو كبيرة اليه صلى الله عليه وسلم والاستغفار عنده قربة مطلوبة بالكتاب ، وهذا مما لم يقل به أحد من المسلمين ولا يطيقه أحد ، وأيضا يلزم

(١) أي المردود عليها وهو دحلان .

أن يكون جميع مسلمي زمانه صلى الله عليه وسلم الذين لم يجيئوا اليه صلى الله عليه وسلم بعد كل ظلم تاركين لهذه القربة ، وأيضا يلزم أن لايكون المجيء الى القبر مرة كافيا ، بل يكون المجيء بمرات غير محصورة على قدر ذنوبهم قربة مطلوبة، كيف وذنوبنا غير محصورة ولا واقفة عند حد ، وأيضا يلزم مزية زيارة القبر على الحج ، فان حج بيت الله فرض في العمر مرة وتكون زيارة قبر الرسول صلى الله عليه وسلم قربة في كل سنة بل في كل شهر بل في كل أسبوع بل في كل ساعة بل في كل لمحة ، فانا لانخلو في لمحة من اللمحات من الذنوب ، بل يلزم سكنى المدينة فيلزم أن يكون جميع الأكابر الذين لم يقيموا في المدينة من السلف والخلف تاركين لهذه القربة ، وأيضا يلزم أن يكون الزاد والراحلة غير مشروط في الزيارة مع أنهما شرطان في الحج ، وهذه المفاسد مما لايلتزمها الا جاهل غبي •

(الثاني عشر) أن في الآية تقبيحا لضرب من المجيء ، أي اتيانهم حالفين بالله حلفا كاذبا كما جاء المنافقون ، وتحسينا لضرب آخر منه وهو ان يجيء مستغفرا ، فالمقصود الحث على تقدير المجيء على المجيء مستغفرا ، فالثابت منها أنه على تقدير المجيء الاتيان مستغفرا قربة ، لا أن نفس المجيء مع الاستغفار قربة ، والمطلوب الثاني لا الأول فلا يتم التقريب •

(الثالث عشر) أنه لو صح الاستدلال المذكور بالآية المذكورة لصح بالأولى الاستدلال بالآية الواقعة في سورة الحجرات **(ان الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون ، ولو انهم صبروا حتى تخرج اليهم لكان خيرا لهم والله غفور رحيم)** على عدم كون زيارة القبر المعهودة في زماننا قربة الذي هو نقيض مطلوب صاحب الرسالة (1) ، فان الآية دلت على ذم نداء النبي صلى الله عليه وسلم من وراء الحجرات، وهذا لاينقطع بموته صلى الله عليه وسلم تعظيما له كما قال الخصم في تقرير الآية بل هو أولى ، فان النداء من وراء الحجرات بعد الموت بيارسول الله وغيره من الألفاظ فرد من أفراد نداء النبي صلى الله عليه وسلم من وراء الحجرات بلا ريب ولا شبهة ، بخلاف المجيء الى قبره صلى الله عليه وسلم ، فان كونه فردا من أفراد المجيء الى

(1) أي دحلان .

النبي صلى الله عليه وسلم فاسد كما تقدم • ودلت أيضا على تعليق ثبوت الخيرية لهم بالصبر على النداء من وراء الحجرات ، والآية الكريمة وان وردت في قوم معينين في حال الحياة تعم بعموم العلة كل من وجد فيه ذلك الوصف في حال الحياة وبعد الممات كما قرر الخصم في الآية ، بل عمومه أولى بالنسبة الى الآية التي استدل بها الخصم فان في هذه الآية (الذين) لفظ موصول وهو من الألفاظ العامة ، بخلاف الآية المتقدمة فان فيها ضميرا وهو ليس من العموم في شيء ، ولذلك فهم العلماء منها العموم للمنادين •

قال القاضي عياض في الشفا : ناظر أبو جعفر أمير المؤمنين مالكا في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال له مالك : ياأمير المؤمنين لاترفع صوتك في هذا المسجد فان الله تعالى أدب قوما فقال **(لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي)** ومدح قوما فقال : **(ان الذين يغضون اصواتهم عند رسول الله)** الآية

وذم قوما فقال **(ان الذين ينادونك من وراء الحجرات)** •

وبأن حرمته ميتا كحرمته حيا • فاستكان له أبو جعفر اه • وهذه الرواية وان كان فيها مقال كثير ولكنها من مسلمات الخصم •

وأيضا قال القاضي فيه : ولما كثر على مالك الناس قيل له : لو جعلت مستمليا يسمعهم ، فقال قال الله **(يا ايها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي)** وحرمته حيا وميتا سواء • اه

وقال القسطلاني في المواهب : روى عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه قال : انه لا ينبغي رفع الصوت على نبي حيا ولا ميتا ، وروي عن عائشة رضي الله عنها أنها كانت تسمع صوت الوتد يوتد والمسمار يضرب في بعض الدور المطيفة بمسجد النبي صلى الله عليه وسلم ، فترسل اليهم : لاتؤذوا رسول الله صلى الله عليه وسلم • قالوا : وما عمل علي بن أبي طالب رضي الله عنه مصراعي داره الا بالمناصع توقيا لذلك ، نقله ابن زبالة اه

ودلت الآية أيضا على أنه لافرق في الصابر بين أن يكون صبره بحيث تكون بينه وبين قبر النبي صلى الله عليه وسلم مدة سفر او لا لوقوع (صبروا) في حيز الشرط الدال على العموم كما قرر الخصم ، على أن زيارة قبره صلى الله عليه وسلم

المعهودة في زماننا هل يرفع فيها الصوت ويجهر له بالقول أم لا ؟ والاول منهي عنه لقوله تعالـــــى :

(ياأيها الذين آمنوا لاترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم وأنتم لاتشعرون ، ان الذين يغضون أصواتهم عنـد رسول الله اولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى ، لهم مغفرة وأجر عظيم) .

وعن أبي هريرة قال : لما نزلت (ان الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله) قـال أبو بكر : والذي أنزل عليك الكتاب يارسول الله لاأكلمك الا كأخي السـرار (1) حتى ألقى الله ، أخرجه عبد بن حميد والحاكـم وصححه . وفي صحيح البخاري : قال ابن الزبير فما كان عمر يسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يستفهمه ، ولم يذكر ذلك عن أبيه يعني أبا بكر . قال القسطلاني : وان أكابر الصحب ما كانوا يخاطبونه الا كأخي السرار . اهـ

وبما جاء في صحيح البخاري عن السائب بن يزيد قال : كنت نائما في المسجـد فحصبني رجل ، فنظرت فاذا هو عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، فقال : اذهب فائتني بهذين ، فجئته بهما فقال : ممن أنتما ، ومن أنتما ؟ قالا : من أهل الطائف . قال : لو كنتما من أهل المدينة لأوجعتكما ، ترفعان أصواتكما في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وعن مالك قال : بنى عمر رحبة في ناحية المسجد تسمى البطحاء وقال : من كان يريد أن يلغط أو ينشد شعرا أو يرفع صوته فليخرج الى هذه الرحبـة . رواه في الموطأ ، كذا في المشكاة ، وعن أبي هريرة في حديث مرفوع في أشراط السـاعة فيه « وظهرت الأصوات في المساجد » ، وفي رواية « وارتفعت الأصوات في المساجد » . وعن مكحول في حديث في أشراط الساعة « وأن تعلو أصوات الفسقة في المساجد » رواه ابن أبي الدنيا مرسلا ، هكذا في الترغيب والترهيب للمنذري . ففي هذا الشق يلزم ثلاث محذورات : (الأول) رفع الصوت في المسجد ، و (الثاني) رفع الصوت في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، و (الثالث) رفع الصوت عند رســول الله صلى الله عليه وسلم .

(1) هو المسارة ، أي كصاحب السرار أو كمثل المساررة ، لخفض صوته ، والكاف صفة مصدر محذوف . اهـ مجمع البحار .

قال القسطلاني في المواهب : ومنها أنه حرم على الأمة نداءه باسمه ، قال تعالى (**لاتجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا**)أي لاتجعلوا دعاءه وتسميته كدعاء بعضكم بعضا باسمه ورفع الصوت به ، والنداء وراء الحجرات ، ولكن قولوا: يارسول الله ، يانبي الله ، مع التوقير والتواضع وخفض الصوت اه • قال الزرقاني بحرمة رفعه عليه ، والظرف أي (بينكم) متعلق بتجعلوا لا حال من الرسول ، لانه يوهم انهلا يحرم نداؤه باسمه بعد وفاته مع ان الحرمة ثابتة مطلقا أه

وقال القسطلاني في المواهب أيضا : ومنها أنه يحرم الجهر له بالقول ، قال الله تعالى :

(**يأأيها الذين آمنوا لاترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم وأنتم لاتشعرون**)

اه ، قال الزرقاني : أي خشية ذلك بالرفع والجهر المذكورين • روى البخاري عن ابن أبي مليكة قال : كاد الخيران ان يهلكا : أبو بكر وعمر • لما قدم وفد بني تميم قال أبو بكر : أمر القعقاع بن معبد ، وقال عمر : أمر الأقرع بن حابس • فقال أبو بكر لعمر : انما أردت خلافي • فقال عمر : ماأردت خلافك • فارتفعت أصواتهما عند النبي صلى الله عليه وسلم ، فنزلت (يأأيها الذين آمنوا لاترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ــ الى قوله ــ عظيم) قال ابن أبي مليكة عن ابن الزبير : فكان عمر بعد اذا حدث النبي صلى الله عليه وسلم بحديث حدثه كأخي السرار لم يسمعه حتى يستفهمه ، ولم يذكر ذلك عن أبيه ، يعني أبا بكر اه •

وقال القسطلاني في المواهب : وقال ابن عباس لما نزل قوله تعالى (لاترفعوا أصواتكم) كان أبو بكر لايكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم الا كأخي السرار اه

وقال في المواهب : وينبغي للزائر أن يستحضر من الخشوع ماأمكنه ، وليكن مقتصدا في سلامه بين الجهر والاسرار اه • وأيضا في المواهب : ثم يقول الزائر بحضور قلب وغض طرف وسكون جوارح واطراق : السلام عليك يارسول الله الخ

وقال ابن حجر في الجوهر المنظم : اذا وقف أو جلس ثم سلم لايرفع صوته ، بل يقتصد فيقول : السلام عليكم أيها النبي ورحمة الله وبركاته الخ • وقال السيوطي

في (موجز اللبيب في خصائص الحبيب) : ويحرم التقدم بين يديه ، ورفع الصوت فوق صوته ، والجهر له بالقول ، ونداؤه من وراء الحجرات ، والصياح به من بعيد اه

والشق الثاني أيضا باطل ، فان السلام المشروع عند القبر سلام تحية لاسلام دعاء ، وسلام التحية لا بد فيه من أن يفعل بحيث يسمعه المسلم عليه حتى يرده على المسلم .

قال في المواهب وشرحه للزرقاني : ويكثر من الصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم بحضرته الشريفة حيث يسمعه ويرد عليه ، بأن يقف بمكان قريب منه ويرفع صوته الى حد لو كان حيا مخاطبا لسمعه عادة اه . وقال الزرقاني : والظاهر أن المراد بالعندية قرب القبر بحيث يصدق عليه عرفا أنه عنده ، وبالبعد ماعداه وان كان بالمسجد اه . ولما سدت حجرة عائشة رضي الله عنها التي هي مدفن رسول الله صلى الله عليه وسلم وبنيت على القبر حيطان مرتفعة مستديرة حوله ثم بنى عليه جدران من ركني القبر الشماليين تعذر الوصول الى قرب القبر ، فالزائرون اليوم انما يسلمون من مسافة لو سلم على حي من تلك المسافة لما سمعه ، فكيف يسمعه النبي صلى الله عليه وسلم ويرد عليه ولو سلم حياته صلى الله عليه وسلم في القبر [1] ؟ فان قيل : ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد الممات يمكن أن يزداد قوة سمعه فيسمع من تلك المسافة ؟ فيقال : أي دليل على هذا من كتاب أو سنة ؟ ومجرد الامكان العقلي لايغني من شيء ، على أنه هل لذلك تحديد أم لا ؟ على الثاني يستوي المسلم من بعيد والمسلم عند القبر ، وهذا باطل عند من يقول بقربة الزيارة فانهم فضلوا السلام عند القبر على السلام من بعيد كالسبكي وابن حجر المكي ، وعلى الأول فلا بد من بيانه بدليل شرعي ، وأنى له ذلك ؟

---

(١) الحق فى مسألة حياة النبي صلى‌الله‌عليه‌وسلم الحياة البرزخية فى قبره هو ما نقله السهسواني رحمه الله تعالى فى ص ٤٧٦ من هذا الكتاب الطبعة قبلها عن العلامة الشيخ عبد الله بن مجدد القرن الثاني عشر محمد بن عبد الوهاب أنه قال « والذي نعتقده فى مرتبة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم أنها أعلى مراتب المخلوقات على الاطلاق وأنه حي فى قبره حياة مستقرة أبلغ من حياة الشهداء المنصوص عليها فى التنزيل اذ هو أفضل منهم بلا ريب وأنه يسمع سلام من يسلم عليه » ا.هـ فهذا هو الذي يجب اعتقاده ويبين أن للحياة البرزخية أحكاما وللحياة الدنيوية أحكاما فمن قاس الأولى على الثانية وبنى على ذلك القياس اباحة دعاء غير الله عز وجل خالف النصوص القطعية . كتبه اسماعيل الانصاري .

(الرابع عشر) أنه لو صح الاستدلال بالآية المذكورة لجاز أن يستدل على جواز بيعة رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد الموت ، لقوله تعالى في سورة الممتحنة

(يأأيها النبي اذا جاءك المؤمنات يبايعنك على الا يشركن بالله شيئا ولا يسرقن ولا يزنين ولا يقتلن أولادهن ولا يأتين ببهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلهن ولا يعصينك فى معروف فبايعهن واستغفر لهن الله ان الله غفور رحيم)

ولقوله تعالى في سورة الفتح :

(ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم فمن نكث فانما ينكث على نفسه ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجرا عظيما)

وهذا لاينقطع بموته صلى الله عليه وسلم تعظيما له صلى الله عليه وسلم كما قال الخصم ، ودلت الآية على أنه لافرق في الجائية بين أن يكون مجيئها بسفر أو غير سفر ، لوقوع (جاءك) في حيز الشرط الدال على العموم كما قال الخصم ، ولكون (الذين) من الأسماء الموصولة وهي من ألفاظ العموم ، مع أن أحدا من الأمة لم يقل بجواز بيعة رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد الموت ، ولم يفعلها أحد من السلف والخلف .

(الخامس عشر) أنه لو دلت الآية على كون زيارة القبر قربة ، وعلى أنه شرع لكل مذنب أن يأتي الى قبره ليستغفر له ، لكان القبر أعظم أعياد المذنبين وأجلها ، وهذه مضادة صريحة لما قاله رسول اللهصلىاللهعليهوسلم « لا تجعلوا قبري عيدا »

(السادس عشر) أن أعلم الأمة بالقرآن ومعانيه وهم سلف الأمة لم يفهم منهم أحد الا المجيء اليه في حياته ليستغفر لهم . ولم يكن أحد منهم قط يأتي الى قبره ويقول يارسول الله فعلت كذا وكذا فاستغفر لي ، ومن نقل هذا عن أحد منهم فقد جاهر بالكذب والبهت ، أفترى عطل الصحابة والتابعون ــ وهم خير القرون على الاطلاق ــ هذا الواجب القربة التي ذم الله سبحانه من تخلف عنها وجعل التخلف

عنه من أمارات النفاق ، ووفق له من لايؤبه له من الناس ولا يعد في أهل العلم [1] ؟ ويالله العجب ! أكان ظلم الأمة لأنفسها ــ ونبيها حي بين أظهرها ــ موجودا وقد دعيت فيه الى المجيء اليه ليستغفر لها وذم من تخلف عن المجيء ، فلما توفي صلى الله عليه وسلم ارتفع ظلمها لأنفسها بحيث لايحتاج أحد منهم الى المجيء اليه ليستغفر له ، وهذا يبين أن هذا التأويل الذي تأول عليه المعترض هذه الآية تأويل باطل قطعا ، ولو كان حقا لسبقونا اليه علما وعملا وارشادا ونصيحة ، ولا يجوز احداث تأويل في آية أو سنة لم يكن على عهد السلف ولا عرفوه ولا بينوه للأمة [2] . وهذان الوجهان الأخيران مأخوذان من الصارم .

قوله : وقد قال تعالى

(ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله)

ولا شك عند من له أدنى مسكة من ذوق العلم أن من خرج لزيارة رسول الله صلى الله عليه وسلم يصدق عليه أنه خرج مهاجرا الى الله ورسوله ، لما يأتي من الأحاديث الدالة على أن زيارته صلى الله عليه وسلم بعد وفاته كزيارته في حياته ، وزيارته في حياته داخلة في الآية الكريمة قطعا ، فكذا بعد وفاته بنص الأحاديث الشريفة الآتية .

أقول : هذا كله مأخوذ من كلام ابن حجر المكي في الجوهر المنظم ، وهو مردود من وجـوه :

---

(١) زاد فى الصارم المنكى هنا مانصه : وكيف أغفل هذا الأمر أئمة الاسلام ، وهداة الأنام ، من أهل الحديث والفقه والتفسير ومن لهم لسان صدق فى الأمة ، فلم يدعوا اليه ، ولم يحضوا عليه ، ولم يرشدوا اليه ، ولم يفعله أحد منهم البتة ، بل المنقول الثابت عنهم ماقد عرف مما يسوء الغلاة فيما يكرهه وينهى عنه من الغلو والشرك الجفاة عما يحبه ويأمر به من التوحيد والعبودية ، ولما كان هذا المنقول شجى فى حلوق البغاة، وقذى فى عيونهم وريبة فى قلوبهم ، قابلوه بالتكذيب والطعن فى الناقل ، ومن استحيى منهم من أهل العلم بالآثار قابله بالتحريف والتبديل ، ويأبى الله الا ان يعلى منار الحق ويظهر أدلته ليهتدي المسترشد وتقوم الحجة على المعاند ، فيعلى الله بالحق من يشاء ، ويضع برده وبطره وغمص أهله من يشاء اهـ

(٢) يعنى أن أحكام العبادات العملية المنصوصة فى القرآن لايعقل أن يجهلها أو يترك العمل بها الصحابة والتابعون وسائر علماء السلف ، ثم ينفرد بعملها وفهمها مثل السبكي وابن حجر المكي بعدهم ببضعة قرون ، وليس معناه أنه ليس لأحد بعد الصدر الأول أن يفهم من علوم القرآن وحكمه مالم ينقل عنهم ، فان هذا باطل لم يقل به أحد ، فعلوم القرآن وحكمه كدرر البحار لاتنفد ، ولا تفتأ تتجدد . وكتبه محمد رشيد رضا .

(الأول) أن الآية واردة في الهجرة من دار الشرك الى دار الاسلام ، يدل عليه سياق الآية وسباقها [1] ، فان أولها

(ان الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم قالوا فيم كنتم ؟ قالوا كنا مستضعفين فى الأرض ، قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها ؟ فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا . الا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان لايستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا . فأولئك عسى الله أن يعفو عنهم ، وكان الله عفوا غفورا . ومن يهاجر فى سبيل الله يجد فى الأرض مراغما كثيرا وسعة)

ويدل عليه أيضا شأن نزولها : أخرج أبو يعلى وابن أبي حاتم والطبراني ـ قال السيوطي [2] بسند رجاله ثقات ـ عن ابن عباس قال : خرج ضمرة بن جندب من بيته مهاجرا ، فقال لقومه : احملوني فأخرجوني من أرض الشرك الى أرض رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فمات في الطريق قبل أن يصل الى النبي صلى الله عليه وسلم فنزل الوحي (ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله) الآية . كذا في فتح القدير للامام الشوكاني رحمه الله ، ويدل عليه أيضا معنى الهجرة : قال في المصباح والهجرة ـ بالكسرة ـ مفارقة بلد الى غيره ، فان كانت قربة لله فهي الهجرة الشرعية اه . وفي الصحاح : والمهاجرة من أرض الى أرض ترك الأولى للثانية اه وفي القاموس : والهجرة ـ بالكسر والضم ـ الخروج من أرض الى أخرى اه . وفي النهاية : الهجرة في الأصل الاسم من الهجر ضد الوصل ، وقد هجره هجرا وهجرانا ، ثم غلب على الخروج من أرض الى أرض وترك الأولى للثانية ، وفي مجمع البحار : الهجرة في الأصل الاسم من الهجر ضد الوصل ، ثم غلب على الخروج من أرض الى أرض .

فقد علم من ههنا أنه لابد في معنى الهجرة من أمرين : (الأول) الخروج من أرض الى أرض (والثاني) ترك الأولى للثانية ، والخروج لزيارة النبي صلى الله عليه وسلم في حياته يتحقق فيه الأمر الأول لا الثاني ، ويدل على كون الأمرين معتبرين في معنى الهجرة أحاديث :

منها ماروى الشيخان عن جابر بن عبد الله أن أعرابيا بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم فأصاب الأعرابي وعك بالمدينة ، فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال:

---

(١) أي الايات السابقة عليها .

(٢) أي فى الدر المنثور .

يامحمد أقلني بيعتي ، فأبى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم جاءه فقال : أقلني بيعتي ، فأبى . ثم جاءه فقال : أقلني بيعتي ، فأبى . فخرج الأعرابي ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « انما المدينة كالكير تنفى خبثها ، وتنصع طيبها » .

ومنها ماروى مسلم عن جابر قال : جاء عبد فبايع النبي صلى الله عليه وسلم على الهجرة ، ولم يشعر أنه عبد ، فجاء سيده يريده ، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : « بعنيه » ، فاشتراه بعبدين أسودين ، ولم يبايع أحدا بعده حتى يسأله : أعبد هو او حر ؟ .

ومنها مارواه البخاري ومسلم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : جاء أعرابي الى النبي صلى الله عليه وسلم فسأله عن الهجرة فقال « ويحك ان الهجرة شأنها شديد ، فهل لك من ابل » ؟ قال : نعم . قال « فتعطى صدقتها » ؟ قال : نعم . قال « فهل تمنح منها » ؟ قال : نعم . قال « فتحلبها يوم وردها » ؟ قال : نعم . قال « فاعمل من وراء البحار فان الله لن يترك من عملك شيئا [1] »

ومنها ماروى البخارى ومسلم عن العلاء بن الحضرمي قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ثلاث للمهاجر بعد الصدر » [2]

ومنها مارواه البخاري عن سعد بن أبي وقاص قلت : يارسول الله أخلف [3] بعد أصحابي ؟ قال « انك لن تخلف فتعمل عملا تبتغي به وجه الله الا ازددت به درجة ورفعة ، ولعلك تخلف حتى ينتفع بك أقوام ، ويضر بك آخرون . اللهم امض لاصحابي هجرتهم ، ولا تردهم على اعقابهم » لكن البائس سعد بن خولة يرثي له رسول الله صلى الله عليه وسلم ان توفي بمكة [4] .

ومنها مارواه البخاري عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت : لما قدم رسول الله

---

(١) يترك بكسر التاء أي لن ينقصك .

(٢) الصدر بفتحتين : الرجوع ، أي ان المهاجر بعد الرجوع من منى وانتهاء حجه له ان يلبث فى مكة ثلاث ليال (٣) بتشديد اللام ، أصله أأخلف أي اتأخر ؟

(٤) جملة الاستدراك هذه مدرجة فى الحديث من رواية الزهري عن ابراهيم بن سعد ، وليست من كلامه صلى الله عليه وسلم .

صلى الله عليه وسلم المدينة وعك أبو بكر ، فكان أبو بكر اذا أخذته الحمى يقول :

كل امريء مصبح في أهله　　　والموت أدنى من شراك نعله

وكان بلال اذا أقلع عنه الحمى يرفع عقيرته ويقول :

ألا ليت شعري هل أبيتن ليلة　　　بواد وحولي اذخر وجليل ؟
وهل أردن يوما مياه مجنة　　　وهل يبدون لي شامة وطفيل ؟

اللهم العن شيبة بن ربيعة وعتبة بن ربيعة وأمية بن خلف كما أخرجونا من أرضنا الى أرض الوباء • ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اللهم حبب الينا المدينة كحبنا مكة أو أشد ، اللهم بارك لنا في صاعنا وفي مدنا وصححها لنا وانقل حماها الى الجحفة » • قال القاضي في الحديث الأول : انما استقاله على الهجرة ولم يرد الارتداد عن الاسلام [1] ، قال ابن بطال : بدليل انه لم يرد حل ما عقده الا بموافقة النبي صلى الله عليه وسلم على ذلك ، ولو أراد الردة ووقع فيها لقتله اذ ذاك وانما لم يقله بيعته لأنها ان كانت بعد الفتح فهي على الاسلام فلم يقله اذ لايحل الرجوع الى الكفر ، وان كانت قبله فهي على الهجرة والمقام معه بالمدينة ، ولا يحل للمهاجر أن يرجع الى وطنه ، كذا قال القسطلاني •

قال النووي : قال العلماء انما لم يقله النبي صلى الله عليه وسلم بيعته لأنه لايجوز لمن أسلم أن يترك الاسلام ، ولا لمن هاجر الى النبي صلى الله عليه وسلم للمقام عنده أن يترك الهجرة ويذهب الى وطنه أو غيره • اه

وقال النووي في الحديث الثاني : وفيه ما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم من مكارم الاخلاق والاحسان العام ، فانه كره ان يرد ذلك العبد خائبا مما قصد من الهجرة وملازمة الصحبة ، فاشتراه ليتم له ما اراده • أه •

وقال القسطلاني في الحديث الثالث « فسأله عن الهجرة » : أي ان يبايعه

(١) يعني ان الاعرابي انما طلب من النبي صلى الله عليه وسلم ان يقيله بيعته على الهجرة ليخرج من المدينة فرارا من الحمى ، ولم يطلب اقالته من الاسلام نفسه ، أي لانه لو اراد هذا لفر من المدينة ولم يقل يا رسول الله اقلني بيعتي •

على ان يقيم بالمدينة « ويحك ان الهجرة شأنها » أي القيام بحقها « شديد » لا تستطيع القيام بحقها « فاعمل من وراء البحر » فلا تبال ان تقيم في بلدك ولو كنت في اقصى بلاد الاسلام أه •

وقال القسطلاني في الحديث الرابع : وهو بعد الرجـــوع من منى من غير زيادة ، وجوز بعضهم الاقامة بعد الفتح • قال النووي : معنى الحديث : ان الذين هاجروا من مكة قبل الفتح الى رسول اللـــــه صلى الله عليه وسلم حرم عليهم استيطان مكة والاقامة بها ، ثم أبيح لهم اذا وصلوها بحج او عمرة او غيرهما ان يقيموا بعد فراغهم ثلاثة ايام ولا يزيدوا عن الثلاثة • وقال القاضي عياض : في هذا الحديث حجة لمن منع المهاجر قبل الفتح من المقام بمكة بعد الفتح ، قال : وهو قول الجمهور ، وأجاز لهم جماعة بعد الفتح مع الاتفاق على وجوب الهجرة عليهم قبل الفتح ووجوب سكنى المدينة لنصرة النبي صلى الله عليه وسلم ومواساتهم له بأنفسهم • وأما غير المهاجر ومن آمن بعد ذلك فيجوز له سكنى أي بلد أراد سواء مكة وغيرها بالاتفاق • هذا كلام القاضي أه •

وقال القسطلاني في الحديث الخامس « ولا تردهم على اعقابهم » : بترك هجرتهم ورجوعهم عن استقامتهم • « ان توفي » أي لاجل وفاته « بمكة » التي هاجر منها أه •

وقال القسطلاني في الحديث السادس : وتأمل كيف تعزى أبو بكر رضي الله عنه عند أخذ الحمـــى بما ينزل به من الموت الشامل للاصيل والغريب ، وبلال رضى الله عنه تمنى الرجوع الى وطنه على عادة الغرباء ، يظهر لك فضل أبي بكر على غيره من الصحابة رضى الله عنهم اه •

ومنها ما روى مسلم عن ابي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول اللـــه صلى الله عليه وسلم « كلا اني عبد الله ورسوله ، هاجرت الى الله واليكم ، والمحيا محياكم والممات مماتكم » قال النووى : معنى هذه الجملة أنهم رأوا رأفة النبي صلى الله عليه وسلم بأهل مكة وكف القتل عنهم فظنوا انه يرجع الى سكنى مكـــة والمقام فيها دائما ويرحل عنهم ويهجر المدينة ، فشق ذلك عليهم ، فاوحى اللـــــه

تعالى اليه صلى الله عليه وسلم فأعلمهم بذلك اه • وأيضا قال : فمعناه انى هاجرت الى الله والى دياركم لاستيطانها ، فلا أتركها ولا أرجع عن هجرتي الواقعة لله تعالى ، بل أنا ملازم لكم ، المحيا محياكم ، والممات مماتكم ، اني لا احيا الا عندكم ، ولا أموت الا عندكم • اه •

ومنها ما روى الترمذي عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لمكة « ما اطيبك من بلد واحبك الى ، ولولا ان قومي اخرجوني منك ما سكنت غيرك » •

ومنها ما روى مسلم عن سلمة بن الا كوع انه دخل على الحجاج فقال : يا ابن الا كوع ارتددت على عقبيك ، تعربت • قال : لا ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم اذن لى في البدو •

قال النووى : قال القاضي عياض أجمعت الامة على تحريم ترك المهاجر هجرته ورجوعه الى وطنه ، وعلى ان ارتداد المهاجر اعرابيا من الكبائر • ولهذا أشار الحجاج ، الى ان أعلمه سلمة ان خروجه الى البادية انما هو باذن النبي صلى الله عليه وسلم • قال : ولعله رجع الى غير وطنه ، اولان الغرض في ملازمة المهاجر أرضه التي هاجر اليها وفرض ذلك انما كان في زمن النبي صلى الله عليه وسلم لنصرته ، او ليكون معه ، او لان ذلك انما كان قبل فتح مكة لمواساة النبي صلى الله عليه وسلم ومؤازرته ونصرة دينه وضبط شريعته اه •

ومن ثم قال عثمان رضى الله عنه لما قال له الصحابة رضى الله عنهم — وقد حوصر — الحق بالشام : لن افارق هجرتي ، ومجاورة رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها ، كذا في الجوهر المنظم لابن حجر المكى • فقد علم من تلك الاحاديث ان الامرين المذكورين معتبران في معنى الهجرة •

وجملة القول في هذا المقال ان ليست الهجرة عين الخروج لزيارته صلى الله عليه وسلم ، بل بينهما عموم وخصوص من وجه يجتمعان في مادة كمن هاجر في حياته صلى الله عليه وسلم الى المدينة وزار النبي صلى الله عليه وسلم ، ويفترقان كمن هاجر بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم من دار حرب الى دار الاسلام

فيصدق عليه أنه خرج (من بيته مهاجرا الى الله ورسوله) ، فان معنى (الى الله ورسوله) حيث أمر الله ورسوله ، كذا في المدارك ، ولا يصدق عليه أنه زار النبي صلى الله عليه وسلم • وكمن زار النبي صلى الله عليه وسلم في المدينة ثم رجع الى وطنه فيصدق عليه انه زار ولا يصدق عليه انه هاجر ، فدخول زيارته صلى الله عليه وسلم في حياته في الآية الكريمة ممنوع فضلا عن دخول الزيارة فيها بعد مماتـــــه •

(والثاني) ان مثل من يستدل بهذه الآية على كـــون الزيارة قربة كمثل من يستدل على كون الزيارة قربة بحديث « انتدب الله لمن خرج في سبيله لا يخرجه الا ايمان بي وتصديق برسلي ان ارجعه بما نال من أجر او غنيمة او ادخله الجنة » متفق عليه ، وحديث « لغدوة في سبيل الله او روحة خير من الدنيا وما فيها » متفق عليه ، وحديث « ما اغبرت قدما عبد في سبيل الله فتمسه النار » رواه البخارى ، وحديث « من فصل في سبيل الله فمات أو قتل أو وقصة فرسه أو بعيره أو لدغته هامة او مات على فراشه بأي حتف شاء فانه شهيد وان له الجنة » رواه ابو داود ، وحديث « ان الهجرة تهدم ما كان قبلهـــا » ، وحديث « فمن كانت هجرتـــه الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله » وجميع الآيات التي ورد فيها ذكر الهجـــرة كقوله تعالى (ان الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهـــدوا في سبيل الله أولئك يرجون رحمة الله والله غفور رحيم) وقوله تعالـــى (الذين آمنوا وهاجـــروا وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة عند الله وأولئك هم الفائزون • يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنات لهم فيها نعيم مقيم • خالدين فيها أبدا ان الله عنده أجر عظيم) وقوله تعالى (والذين هاجروا في سبيل الله ثم قتلـــوا أو ماتوا ليرزقنهم الله رزقا حسنا ، وان الله لهو خير الرازقين • ليدخلنهم مدخلا يرضونه وان الله لعليم حليم) وغير ذلك من الآيات ، مع أن أحدا من أهل العلـــم والدين لم يستدل بهذه الأحاديث والآيات على كون الزيارة قربة •

(والثالث) انه لو سلم دخول زيارته صلى الله عليه وسلم في الآية الكريمـــة في الحياة ، فلا نسلم دخول زيارته صلى الله عليه وسلم بعد الممات فيها ، والاحاديث الدالة على ان زيارته صلى الله عليه وسلم بعد وفاته كزيارته في حياته لم يثبت واحد منها كما سيأتي •

قوله : اما السنة فما يأتي من الاحاديث •

أقول : تلك الاحاديث ليس شيء منها قابلا لان يحتج به ، كما ستطلع عليه عن قريب •

قوله : وأما القياس فقد جاء أيضا في السنة الصحيحة المتفق عليها الامر بزيارة القبور الخ •

أقول : الاستدلال بالسنة التي فيها الامر بزيارة القبور استدلال بالسنة لا بالقياس ، ولذا ذكر السبكي هذا الاستدلال في الاستدلال بالسنة في شفاء الاسقام ونصه هذا : وأما السنة فما ذكرناه في الباب الاول والثاني من الاحاديث ، وهي أدلة على زيارة قبره صلى الله عليه وسلم بخصوصه • وفي السنة الصحيحة المتفق عليها الامر بزيارة القبور ، فقبر النبي صلى الله عليه وسلم سيد القبور داخل في عموم القبور المأمور بزيارتها اه ملخصا • وهذا الغلط قد صدر من المؤلف تقليدا لابن حجر المكي في الجوهر المنظم ، وعبارته هكذا : وأما القياس فقد جاء أيضا في السنة الصحيحة المتفق عليها الامر بزيارة القبور ، فقبر نبينا منها أولى واحرى ، وأحق وأعلى ، بل لا نسبة بينه وبين غيره •

قوله : وأما اجماع المسلمين فقد قال العلامة ابن حجر في الجوهر المنظم في زيارة قبر النبي المكرم صلى الله عليه وسلم : قد نقل جماعة من الأئمة حملة الشرع الشريف الذين عليهم المدار والمعول الاجماع •

أقول : ليس في المسألة اجماع ، لتحقق ثبوت الخلاف فيها عن بعض المجتهدين ، وان كان قوله ضعيفا من حيث الدليل • قال شيخ الاسلام في اثناء كلامه : مع ان نفس زيارة القبور مختلف في جوازها ، قال ابن بطال في شرح البخارى : كره قوم زيارة القبور لانه روى عن النبي صلى الله عليه وسلم احاديث في النهى عنها • وقال الشعبى : لولا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن زيارة القبور لزرت قبر النبي صلى الله عليه وسلم • وقال ابراهيم النخعي : كانوا يكرهون زيارة القبور • وعن ابن سيرين مثله • قال : وفي مجموعه قال على بن زياد : سئل مالك عن زيارة القبور فقال : قد نهى عنه عليه الصلاة والسلام ثم أذن فيه ، فلو فعل ذلك

انسان ولم يقل الا خيرا لم أر بذلك بأسا ، وليس من عمل الناس . وروى عنه أنه كان يضعف زيارتها . فهذا قول طائفة من السلف ، ومالك في القول الذي رخص فيه يقول : ليس من عمل الناس . وفي الاخر ضعفها فلم يستحبها لا في هذا ولا في هذا . اه ما حكاه الشيخ ، كذا في الصارم . وأما ما قال ابن حجر المكي في الجوهر المنظم « شاذ لا يلتفت اليه لمخالفة اجماع غيرهما » فهو مردود من وجهين : (الاول) ان قوله « لمخالفة اجماع غيرهما » غير صحيح ، فان ابن سيرين ومالكا في قول موافق لهما . (والثاني) سلمنا انه شاذ لكن كاف لنقض الاجماع كما تقرر في الاصول ، وما قال ابن حجر المكى من أنه مؤول بفرض تسليمه الاعتداد به فهو لا يأتي في قبر نبينا صلى الله عليه وسلم لا يخفى سخافته .

قوله : واحتج القائلون بوجوب الزيارة بقوله صلى الله عليه وسلم « من حج البيت ولم يزرني فقد جفاني » رواه ابن عدى بسند يحتج به .

أقول : في سند ابن عدى نعمان بن شبل ومحمد بن محمد بن النعمان بن شبل وهما ضعيفان جدا ، أما النعمان فقد قال الحافظ ابن حجر في تلخيص الحبير : النعمان ضعيف جدا . وقال الذهبي في الميزان : النعمان بن شبل الباهلي البصري عن ابي عوانة ومالك ، قال موسى بن هارون : كان متهما . وقال ابن حبان : يأتي بالطامات . وقال في تنزيه الشريعة : النعمان بن شبل الباهلي البصري عن ابي عوانة ومالك قال موسى بن هارون : كان متهما . وقال ابن حبان : يأتي بالطامات، وعن الأثبات بالمقلوبات . وقال في الصارم : قد اتهمه موسى بن هارون الحمال . وقال ابو حاتم البستي : يأتي عن الثقات بالطامات ، وعن الاثبات بالمقلوبات .

وأما محمد بن محمد بن النعمان فقال الحافظ في اللسان : محمد بن محمد بن النعمان بن شبل الباهلي عن مالك روى عنه الوارق وقد طعن فيه الدار قطني واتهمه . وقال في تنزيه الشريعة : محمد بن محمد بن النعمان بن شبل الباهلي طعن فيه الدار قطنى واتهمه ، وقال في الصارم : والطعن فيه على ابنه محمد بن محمد ابن النعمان كما ذكر ذلك شيخ الصنعة امام عصره وفريد دهره ونسيج وحده الحافظ الكبير أبو الحسن الدار قطنى ولم يخالفه أحد يعتمد على قوله اه . وقال

الحافظ في التقريب : محمد بن محمد بن النعمان بن شبل الباهلي البصرى متروك اهـ .

فقولك « بسند يحتج به » باطل قطعا ، ومن ثم صرح جماعة من أهل النقد بضعف الحديث وجماعة بوضعه ، ولم يذهب أحد الى صحته او حسنه ، انما تفرد به ابن حجر المكى وقلده علي القاري ولا عبرة بتحسينهما فانهما ليسا بأهل لذلك ومن يدعى فعليه الاثبات .

قوله : ويدل لذلك احاديث كثيرة صحيحة صريحة لا يشك فيها الا من انطمس نور بصيرته .

أقول : ليس في الباب حديث واحد صحيح فضلا عن الأحاديث الكثيرة الصحيحة ! ولا اراك شاكا في ان هذا القول غلط واضح وخطأ بين ، فان السبكى مع شدة سعيه في هذا الباب لم يثبت في زعمه الا حسن حديثين او صحتهما ، الاول « من زار قبري وجبت له شفاعتي » ، والثاني « من جاءني زائرا لا تعمله حاجة الا زيارتي كان حقا علي أن أكون له شفيعا يوم القيامة » وهذان الحديثان فيهما أيضا كلام شديد كما سيأتي ، وبالجملة ادعاء صحة الاحاديث الكثيرة في زيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم باطل بالبداهة .

قوله : منها قوله صلى الله عليه وسلم « من زار قبري وجبت له شفاعني » .

أقول في هذا الحديث كلام من وجهين : (الاول) ان في سنده موسى بن هلال العبدي وهو ضعيف ، قال الحافظ ابن حجر في لسان الميزان قال أبو حاتم : مجهول ، وقال العقيلي : لا يتابع على حديثه . ثم ذكر اي ابن القطان [1] كلامهم في موسى بن هلال وقال : الحق أنه لم تثبت عدالته . وفي أسئلة البرقاني أنه سأل الدار قطني عن موسى ابن هلال فقال : هو مجهول ، وقد اورد شيخنا في الذيل هذا ، وهو المذكور فيه واطلق عليه ذلك أبو حاتم اه ملخصا .

---

(١) ابن القطان لم يسبق له ذكر يصحح عود الضمير اليه كما في لسان الميزان فكان ينبغي للمؤلف ان يقول ثم ذكر الحافظ عن ابن القطان كذا .

فان قلت : قال الحافظ ابن حجر فيه قال ابن عدي : أرجو أنه لا بأس به ، قلت هو صويلح الحديث . فقد حصل التوثيق .

(قلت) : هاتان الكلمتان للتوثيق مما يكتب حديث صاحبها للاعتبار لا للاحتجاج ، قال السيوطي في التدريب : الرابعة وهي سادسة بحسب ما ذكرنا « صالح » فانه يكتب حديثه للاعتبار . وزاد العراقي فيها : صدوق ان شاء الله تعالى ، ارجو ان لا بأس به ، صويلح اه

وبالجملة فموسى بن هلال في عداد من ينجبر ضعفه بالمتابعة وتعدد الطرق ، فلينظر هل تابع أحد موسى بن هلال في رواية هذا الحديث أم لا ؟ وعلى الاول فهل ذلك المتابع صالح للمتابعة أم لا ؟ فأقول : قد تابعه مسلم بن سالم الجهني وهو لا يصلح للمتابعة ، فان أبا داود السجستاني قال في حقه : انه ليس بثقة ، نص عليه الحافظ في اللسان . ومن يكتب في حقه هذا اللفظ فهو لا يصلح للمتابعة .

قال السيوطي في التدريب : واذا قالوا : متروك الحديث أو واهيه أو كذاب فهو ساقط لا يكتب حديث ولا يعتبر به ولا يستشهد ، الا ان هاتين مرتبتان وقبلهما مرتبة أخرى لا يعتبر بحديثها أيضا . وقد أوضح ذلك العراقي ، فالمرتبة التي قبل وهي الرابعة رد حديثه ، مردود الحديث ، ضعيف جدا ، واه بمرة ، طرحوا حديثه ، مطرح ، مطرح الحديث ، ارم به ، ليس بشيء ، لا يساوي شيئا . ويليها متروك الحديث ، تركوه ، ذاهب ، ذاهب الحديث ، ساقط ، هالك ، فيه نظر ، سكتوا عنه ، لا يعتبر به ، لا يعتبر بحديثه ، ليس بالثقة ، ليس بثقة ، غير ثقه اه

(الثاني) ان في سنده عبد الله بن عمر العمري وهو ضعيف . قال ابو عبدالله بن عمر بن حفص بن عاصم بن عمربن الخطاب العمري أخو عبيدالله بن عمر جماعة من ائمة الجرح والتعديل ونسبوه الى سوء الحفظ والمخالفة للثقات في الروايات .

قال ابو حاتم محمد بن حبان البستي في كتاب المجروحين من المحدثين : عبدالله بن عمر بن حفص بن عاصم بن عمر بن الخطاب العمري أخو عبيدالله بن عمر من أهل المدينة يروى عن نافع ، روى عنه العراقيون وأهل المدينة ، كان ممن غلب

عليه الصلاح والعبادة حتى غفل عن حفظ الاخبار ، وجودة الحفظ للاثار ، فوقع المناكير في روايته ، فلما فحش خطؤه استحق الترك ومات سنة ثلاث وأربعين ومائة • حدثنا الهمداني حدثنا عمرو بن علي قال : كان يحيى بن سعيد لا يحدث عن عبدالله ابن عمر • قال ابو حاتم : وهو الذي روى عن نافع عن ابن عمر ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا توضأ خلل لحيته • وروى عن نافع عن ابن عمر ان النبي صلى الله عليه وسلم قال « من اتى عرافا يسأله لم تقبل له صلاة اربعين يوما » وروى عن نافع عن ابن عمر ان النبي صلى الله عليه وسلم أسهم للفارس سهمين وللراجل سهما — فيما يشبه هذا من المقلوبات والملزوقات التي ينكرها من أمعن في العلم وطلبه من مظانه • وقال ابو عيسى الترمذي في جامعه : وعبد الله بن عمر ضعفه يحيى بن سعيد من قبل حفظه • وقال البخاري في تاريخه : عبد الله بن عمر بن حفص العمري المدني القرشي كان يحيى بن سعيد يضعفه • وقال النسائي في كتاب الكنى : ابو عبد الرحمن عبد الله بن عمر بن حفص بن عاصم بن عمر ضعيف • وقال العقيلي : حدثنا عبد الله بن احمد بن حنبل قال : سألت يحيى بن معين عن عبد الله بن عمر العمري فقال ضعيف • حدثنا عبد الله قال : سألت أبي عن عبد الله ابن عمر فقال كذا وكذا • وقال ابو زرعة الدمشقي قيل لاحمد بن حنبل : كيف حديث عبد الله بن عمر ؟ فقال : كان يزيد في الاسانيد ويخالف ، وكان رجلا صالحا • وقد ذكر العقيلي هذا القول عن الامام أحمد بن حنبل من رواية أبي بكر الأثرم عنه ، وروى اسحق بن منصور عن يحيى ابن معين قال : عبد الله بن عمر صويلح • وقال عبدالله ابن علي بن المديني عن أبيه : ضعيف ، وقال أبو حاتم الرازي : يكتب حديثه ولا يحتج به ، وقال يعقوب بن شيبة : صدوق ، في حديثه اضطراب • وقال صالح بن محمد البغدادي : لين ، مختلط الحديث • وقال الحاكم ابو احمد : ليس بالقوى عندهم اه • قال الحافظ في التقريب : عبد الله بن عمر بن حفص بن عاصم بن عمر بن الخطاب ابو عبد الرحمن المدني ضعيف عابد • اه

فان قلت : قد ورد عن أئمة الجرح والتعديل في حقه ما يدل على حسن روايته وتقويته كما في الكاشف وتهذيب التهذيب ، قلت : تلك الالفاظ انما هي صويلح ، لا بأس به ، صدوق ، ليس به بأس ، يكتب حديثه ، ثقة في حديثه اضطراب ، صالح

ثقة ، فمنها ما يكتب حديثه للاعتبار والاستشهاد لا للاحتجاج ، ومنها ما يكتب حديثه وينظر فيه • وطريق النظر ان يقابل حديثه بحديث الضابطين فان كان اكثره موافقا فهو ضابط يحتج بحديثه ولا تضره مخالفته النادرة ، وان كانت المخالفة اكثر والموافقة نادرة ففي ضبطه خلل لا يحتج به • وعبد الله بن عمر العمري كثير المخالفة ، قال ابو حاتم محمد بن حبان البستي في كتاب المجروحين : كان ممن غلب عليه الصلاح والعبادة حتى غفل عن حفظ الاخبار وجودة الحفظ للاثار فوقع المناكير في روايته ، فلما فحش خطؤه استحق الترك اهـ • ومنها ما يدل على ان حديثه بانفراده لائق للاحتجاج وهو لفظ ثقة ، وهذا مما كتبه يعقوب بن شيبة وابن معين ، ولكن يعلم بعد البحث والنظر ان هذه اللفظة ليست نصا على كونه قابلا للاحتجاج عموما ، فان لفظة « ثقة » تطلق على معانى : (الاول) العدل المطلق ، (والثاني) العدل الضابط ، (والثالث) رجل لم يرد في حقه جرح ولا تعديل ، وشيخه والذي يروى عنه ثقتان ، ولم يأت بحديث منكر ، فيحتمل ان يكون المراد في كلامهما بالثقة العدل المطلق ، وحديث العدل المطلق لا يصح الاحتجاج به حتى يكون ضابطا • ومما يعين ذلك الاحتمال ان يعقوب بن شيبة قال مع ذلك : في حديثه اضطراب ، ويحيى بن معين قال مع ذلك : ضعيف •

قوله : وفي رواية « حلت له شفاعتي » رواه الدارقطني وكثير من أئمة الحديث •

أقول : هذا اللفظ رواه البزار في مسنده واسناده هكذا : حدثنا قتيبة حدثنا عبد الله بن ابراهيم حدثنا عبد الرحمن بن زيد عن ابيه عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « من زار قبري حلت له شفاعتي » • وفي هذا السند ضعيفان : (احدهما) عبد الله بن ابراهيم الغفاري ، (والاخر) عبد الرحمن بن زيد ابن أسلم •

قال ابن عبد الهادي في الصارم المنكى : واعلم ان هذا الحديث الذي ذكره من رواية البزار حديث ضعيف منكر ساقط الاسناد لا يجوز الاحتجاج بمثله عند احد من أئمة الحديث وحفاظ الأثر كما سنبين ذلك ان شاء الله تعالى • وقتيبة شيخ البزار هو ابن المرزبان روى عنه غير هذا الحديث • وأما عبد الله بن ابراهيم فهو

ابن أبى عمرو الغفاري ابو محمد المدني ، يقال انــه من ولد ابى ذر الغفاري ، وهو شيخ ضعيف الحديث جدا منكر الحديث ، وقد نسبه بعض الائمة الى الكــذب ووضع الحديث نعوذ بالله من الخذلان • قال ابو داود : وهو شيخ منكرالحديث • وقال الدارقطنى : حديثه منكر • وقال الحاكم ابو عبد الله : يروي عن جماعة من الثقات احاديث موضوعة لا يرويها عنهم غيره • وقال البزار عقب رواية حديثه : وعبد الله بن ابراهيم حدث باحاديث لا يتابع عليها • وقال ابو حاتم بن حبــان البستي : عبد الله بن ابي عمرو الغفاري شيخ يروي عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم وأهل المدينة ، واسم ابيه ابراهيم ، روى عنه سلمة بن شبيب والناس ، كان ممن يأتي عن الثقات بالمقلوبات ، وعن الضعفاء بالملزوقات ، روى عن عبد الرحمن ابن زيد بن أسلم عن ابيه عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « ما جزت ليلةاسرى بي من سماء الى سماء الا رأيت اسمي مكتوبا محمد رسول اللـــه أبو بكر الصديق » وهذا خبر باطل ، فلست ادري البلية منه او من عبد الرحمن ابن زيد بن أسلم ؟ على ان عبدالرحمن بن زيد ليس هذا من حديثه بمشهور ، فكأن القلب الى أنه من عمل عبد الله بن أبي عمرو (1) أميل اه • وأيضا قال في الصارم : وذكر ابن عدى لعبد الله بن ابراهيم احاديث كثيرة منكرة بل موضوعة ، ثم قال : وعامة ما يرويه لا يتابعه عليه الثقات • وقال العقيلى : عبد الله بن ابراهيم الغفارى كان يغلب على حديثه الوهـــم •

وأما عبد الرحمن بن زيد بن أسلم فضعيف غير محتج به عند أهل الحديث ، قال الفلاس : لم أسمع عبد الرحمن بن مهدي يحدث عنه ، وقال ابو طالب عن احمد ابن حنبل : ضعيف ، وقال عباس الدورى عن يحيى بن معين : ليس حديثه بشيء ، وقال البخارى وابو حاتم الرازي : ضعفه على بن المديني جدا • وقال ابو داود وأبو زرعة والنسائي والدارقطنى : ضعيف • وقال ابن حبان : كان يقلب الاخبار وهو لا يعلم ، حتى أكثر من ذلك في روايته من رفع المراسيل واسناد الموقــوف فاستحق التــــرك •

(1) فى الصارم المنكى ابن ابراهيم بدل ابن ابي عمرو ، وهو هو •

وقال الحاكم ابو عبد الله : روى عن ابيه احاديث موضوعة لا يخفى على من تأملها من اهل الصنعة ان الحمل فيها عليه ، وقال ابن خزيمة : عبد الرحمن بن زيد ليس ممن يحتج أهل الحديث بحديثه . وقال الحافظ ابو نعيم الاصبهاني : حدث عن ابيه لا شيء . وقال محمد بن عبد الله بن الحكم : سمعت الشافعي يقول : ذكر رجل لمالك حديثا فقال : من حدثك ؟ فذكر اسنادا منقطعا ، فقال : اذهب الى عبد الرحمن بن زيد يحدثك عن أبيه عن نوح . وقال الربيع بن سليمان سمعت الشافعي يقول : سأل رجل عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : حدثك أبوك عن أبيه ان سفينة نوح طافت بالبيت وصلت ركعتين ؟ قال : نعم اه . وقال في الخلاصة : عبد الرحمن بن زيد بن اسلم المدني عن أبيه ، وعنه وكيع وابن وهب وقتيبة وخلق ، ضعفه احمد وابن المديني والنسائي وغيرهم ، مات سنة اثنتين وثمانين ومائة . وقال الذهبي في الميزان : عبد الرحمن بن زيد بن اسلم العمري مولاهم المدني أخو عبد الله وأسامة ، قال أبو يعلى الموصلي سمعت يحيى بن معين يقول : بنو زيد بن اسلم ليسوا بشيء . وروى عثمان الدرامي ان يحيى بن معين يقول : بنو زيد ضعفاء . وقال البخاري : عبد الرحمن ضعفه على جدا .. وقال النسائي : ضعيف . وقال احمد : عبد الله ثقة والاخران ضعيفان اه . وقال الترمذي في جامعه : وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم ضعيف في الحديث ، ضعفه احمد بن حنبل وعلي بن المديني وغيرهما من أهل الحديث ، وهو كثير الغلط اه . وقال الحافظ ابن حجر في اللسان وذكر — يعني عبد الحق — ان البزار رواه ايضا ، وانما رواه البزار من طريق عبد الرحمن بن زيد بن اسلم وهو ضعيف أيضا . وفيه أيضا عبد الله بن ابراهيم الغفاري وقد تكلموا فيه أيضا اه . وقال في تنزيه الشريعة : عبد الله ابن ابراهيم الغفاري ويقال ابن أبي عمرو نسبه ابن حبان الى وضع الحديث . وقال الذهبي في الميزان : نسبه ابن حبان الى انه يضع الحديث . وقال ابن عدي : عامة ما يرويه لا يتابع عليه ، وقال الدارقطني : حديثه منكر . وذكر له ابن عدى الحديثين اللذين في جزء ابن عرفة في فضل ابي بكر وعمر وهما باطلان . وقال الحاكم : عبد الله يروى عن جماعة من الضعفاء احاديث موضوعة اه ملخصا . وقال في تهذيب التهذيب قال ابو داود : منكر الحديث . وقال ابن حبان : يضع الحديث . وقال ابن عدى : عامة ما يرويه لا يتابع عليه اه . وقال الحافظ في التقريب : عبدالله بن ابراهيم

ابن ابي عمــــرو الغفاري ابو محمد المدنــي متروك ، ونسبه ابن حبــــان الى الوضع ، من العاشرة اه • وقال الذهبي في الكاشف : عبد الله بن ابراهيــم الغفاري المدني ، عن ابراهيم بن مهاجر ومالك ، وعنه الكديمي وابو قلابة ، متهم ، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد : عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « من زار قبري حلت له شفاعتي » رواه البزار ، وفيه عبد الله بن ابراهيم الغفارى وهو ضعيف اه • وقال في تنزيه الشريعة في حق عبد الرحمن بن زيد بن أسـلم قال الحاكم : روى عن أبيه احاديث موضوعة لايخفى على من تأملها من أهل الصنعة ان الحمل فيها عليه ، وقال الذهبي في التذهيب : ضعفه أحمد وأبو داود والنسائي وغيرهم ، وقال ابو حاتم : كان في نفسه صالحـا وفي الحديث واه ، وضعفه ابن المديني جدا • وقال الحافظ في التقريب : عبد الرحمن بن زيد بن أسلم العدوى مولاهم ضعيف اه • وقال الذهبي في الكاشف : عبد الرحمن بن زيد بن أســلم المدني عن أبيه وابن المنكدر وعنه أصبغ وقتيبة وهشام ، ضعفوه اه • وقال الهيثمي في مجمع الزوائد : عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « من زار قبرى حلت له شفاعتي » رواه البزار ، وفيه عبد الله بن ابراهيم الغفارى وهو ضعيف اه ، وقال الحافظ في التلخيص : ورواه البزار من حديث زيد بن أسلم عن ابن عمر ، وفي اسناده عبد الله بن ابراهيم الغفاري وهو ضعيف اه • وقال الامام الحافظ صفى الدين احمد بن عبد الله الخزرجي الانصاري في الخلاصة : عبد الله ابن ابراهيم بن أبي عمروالغفاري ابومحمدالمدني عن أبيه وابراهيم بن مهاجر ، وعنه الحسن بن عرفة وسلمة بن شبيب : قال ابن حبان : يضع اه • وقال في التهذيب : قال ابن عدى عامة ما يرويه لا يتابعه عليه الثقات • وقال الدار قطنى : حديثـــه منكـــر اه •

قوله : وقد اطال الامام السبكي في كتابه المسمى شفاء السقام في زيارة قبر خير الانام في بيان طرق هذا الحديث وبيان من صححه من الأئمة •

أقول : قد رد الامام ابن عبد الهادي على السبكي ردا شنيعا في كتابه المسمى (الصارم المنكى) وقد بين من ضعفه من الأئمة •

قوله : منها رواية « من زارني بعد موتي فكأنما زارني في حياتي » •

أقول : هذا الحديث رواه الدارقطني في سننه واسناده هكذا : حدثنا أبوعبيد والقاضي ابو عبد الله وابن مخلد قالوا حدثنا محمد بن الوليد البسرى حدثنا وكيع حدثنا خالد بن أبي خالد وابو عون عن الشعبي والاسود بن ميمون عن هارون ابن ابي قزعة عن رجل من آل حاطب عن حاطب قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من زارني بعد موتي فكأنما زارني في حياتي ، ومن مات بأحد الحرمين بعث من الامنين يوم القيامة » .

قال في الصارم والجواب ان يقال : هذا الحديث الذي جعله ثامنا هو بعينه الحديث السادس والسابع ، فهو حديث واحد ضعيف مضطرب الاسناد ، وهذه الرواية التي ذكرها لم تزده الا اضطرابا في الاسناد وفي المتن أيضا ، وقد اخرجها البيهقي في كتاب شعب الايمان من طريق الدارقطني ثم قال : كذا وجدته في كتابه ، وقال غيره سوار بن ميمون وقيل ميمون بن سوار ووكيع هو الذي يروي عنه أيضا . وفي تاريخ البخاري : ميمون بن سوار العبدي عن هارون بن ابي قزعة عن رجل من ولد حاطب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم « من مات في احد الحرمين » قال يوسف بن راشد حدثنا وكيع حدثنا ميمون . والحاصل أن هذه الرواية المذكورة عن محمد بن الوليد عن وكيع لم تزد الحديث الا ضعفا واضطرابا في اسناده وفي لفظه ، فالحديث حديث واحد مجهول الاسناد مضطرب اضطرابا شديدا ، ومداره على هارون ابي قزعة ، وقيل ابن قزعة ، وقيل ابن ابي قزعة ، وبعض الرواة يذكره وبعضهم يسقطه ، وشيخه بعضهم يذكره وبعضهم يسقطه وبعضهم يقول فيه عن رجل من آل عمر ، وبعضهم يقول عن رجل من آل الخطاب ، وبعضهم يقول عن رجل من ولد حاطب . ثم الرجل المبهم بعضهم يسنده عن عمر ، وبعضهم يسنده عن حاطب ، وبعضهم يرسله ولا يسنده لا عن حاطب ولا عن عمر ، وهو الذي ذكره البخاري وغير واحد . ثم الراوي عن هارون يسميه بعض الرواة سوار بن ميمون ويقلبه بعضهم فيقول ميمون بن سوار ، ويسميه بعضهم الأسود بن ميمون ، ولا يرتاب من عنده ادنى معرفة بعلم المنقولات ان مثل هذا الاضطراب الشديد من اقوى الحجج وأبين الادلة على ضعف الخبر ، وسقوطه ورده ، وعدم قبوله وترك الاحتجاج به ، ومع هذا الاضطراب الشديد في الاسناد ، فاللفظ مضطرب أيضا اضطرابا شديدا مشعرا بالضعف وعدم الضبط .

وأما ما وقع من الزيادة في الاسناد عن وكيع عن خالد بن ابى خالد وابى عون او ابن عون عن الشعبي او باسقاط الشعبي فانها زيادة منكرة غير محفوظة ، وليس للشعبي مدخل في اسناد هذا الحديث ، وخالد بن ابى خالد وابو عون او ابن عون قد ذكر في الرواية الاولى انهما يرويان عن الشعبى وفي الاخرى انهما يرويان عن هارون بن ابى قزعة ، ولم يذكر في الاولى عمن أسند الشعبي الحديث ، واسقط في الاخرى ذكره بالكلية وذكر الرجل الذي يروى عنه هارون الحديث ، وكل ذلك مشعر بشدة الضعف وعدم الضبط •

وقوله عن خالد بن ابى خالد وهم ، وانما هو ابن ابى خلدة • قال البخارى في تاريخه : خالد بن ابى خلدة الحنفي الاعور ، سمع الشعبي وابراهيم ، روى عنه الثورى ومروان بن معاوية منقطع • وقال ابن أبي حاتم : خالد بن أبى خلدة الحنفي الاعور روى عن الشعبى وابراهيم وروى عنه الثورى وابن عيينه ومروان ابن معاوية سمعت أبى يقول ذلك •

والحاصل ان ذكر هذه الزيادة المظلمة في الاسناد لم يزد في الحديث قوة بل لم يزده الا ضعفا واضطرابا ، فقد تبين ان هذا الحديث الذي احتج به المعترض على شيخ الاسلام وجعله ثلاثة احاديث هو حديث واحد غير صحيح اهـ •

وقال في الصارم تحت حديث « من زار قبرى — او من زارني — كنت له شفيعا أو شهيدا » : ومدار الحديث على هارون ، وهو شيخ مجهول لا يعرف له ذكر الا في هذا الحديث ، وقد ذكره ابو الفتح الازدى وقال : هو متروك الحديث لا يحتج به ، وقال ابو بشر محمد بن احمد بن حماد الدولابي في كتاب الضعفاء والمتروكين له : هارون ابو قزعة روى عنه ميمون بن سوار لا يتابع عليه ، قاله البخارى • وقال ابو احمد ابن عدى في كتاب الكامل في معرفة الضعفاء وعلل الاحاديث : هارون ابو قزعة ، سمعت ابن حماد يقول قال البخاري : هارون ابو قزعة روى عنه ميمون بن سوار لا يتابع عليه • قال ابن عدى : وهارون ابو قزعة لم ينسب ، وانما روى الشيء الذي اشار اليه البخارى •

هذا جميع ما ذكره ابن عدى في ترجمة هارون ، ولو كان عنده شيء عن أمره غير ما قاله البخارى لذكره كما هي عادته • فقد تبين ان مدار هذا الحديث على

هارون بن قزعة ، وهو شيخ لا يعرف الا بهذا الحديث الضعيف ، ولم يشتهر من حاله ما يوجب قبول خبره ، ولم يذكره ابن ابى حاتم في كتاب الجرح والتعديل ، ولا ذكره الحاكم ابو احمد في كتاب الكنى ، ولم يذكره النسائي في كتاب الكنى ايضا اه . قال الحافظ في اللسان : هارون بن قزعة عن رجل في زيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم قال البخارى : لا يتابع عليه . قال الأزدي : هارون أبو قزعة يروى عن رجل من آل حاطب المراسيل .

قلت : فتعين انه الذي اراد الازدى . وقد ضعفه أيضا يعقوب بن شيبة ، وذكره العقيلى والساجي وابن الجارود في الضعفاء ، واورد العقيلي حديثه من طريق الجندى اه ملخصا . وقال الحافظ أيضا في اللسان : هارون أبو قزعة لا يعرف ، قال الازدى : متروك اه . وقال البخاري روى عنه ميمون بن سوار لا يتابع عليه . قلت : ما يبعد ان الأزدي اراد ابن قزعة الذي تقدم . اه .

قوله : وفي رواية « من جاءني زائرا لا تعمله حاجة الا زيارتي كان حقا علي ان أكون له شفيعا يوم القيامة » .

اقول : رواه الطبراني ، وفي سنده مسلمة بن سالم الجهني ، قال في اللسان : مسلم بن سالم الجهنى البصرى كان يكون بمكة ، قال أبو داود السجستانى : ليس بثقة اه . وقال في التقريب . مسلم بن سالم الجهني بصرى ، كان يكون بمكة ، ضعيف . ويقال فيه مسلمة بزيادة هاء اه . قال الهيثمي في مجمع الزوائد : وعن ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من جاءني زائرا لا تعمله حاجة الا زيارتي كان حقا على ان أكون له شفيعا يوم القيامة » رواه الطبراني في الاوسط والكبير ، وفيه مسلمة بن سالم وهو ضعيف . قال الامام ابن عبدالهادي في الصارم : هذا الحديث ليس فيه ذكر زيارة القبر ولا ذكر الزيارة بعد الموت مع انه حديث ضعيف الاسناد ، منكر المتن ، لا يصلح الاحتجاج به ولا يجوز الاعتماد على مثله ، ولم يخرجه أحد من أصحاب الكتب الستة ، ولا رواه الامام أحمد في مسنده ولا أحد من الأئمة المعتمد على ما أطلقوه في روايتهم ، ولا صححه امام يعتمد على تصحيحه . وقد تفرد به هذا الشيخ الذي لم يعرف بنقل العلم ولم يشتهر بحمله ولم يعرف من حاله ما يوجب قبول خبره وهو مسلمة بن سالم الجهني الذي لم يشتهر الا برواية هذا

الحديث المنكر وحديث آخر موضوع ذكره الطبراني بالاسناد المتقدم ومتنه « الحجامة في الرأس أمان من الجنون والجذام والبرص والضرس » ، وروى عنه حديث اخر منكر من رواية غير العبادى . واذا انفرد مثل هذا الشيخ المجهول الحال القليل الرواية بمثل هذين الحديثين المنكرين عن عبيد الله بن عمر اثبت آل عمر بن الخطاب رضى الله عنه في زمانه واحفظهم عن نافع عن سالم عن أبيه عبد الله بن عمر من بين سائر اصحاب عبيد الله الثقات المشهورين ، والاثبات المتقنين ، علم أنه شيخ لا يحل الاحتجاج بخبره ، ولا يجوز الاعتماد على روايته .

هذا مع ان الراوي عنه وهو عبد الله بن محمد العبادي احد الشيوخ الذين لا يحتج بما تفردوا به ، قد اختلف عليه في اسناد الحديث فقيل عنه عن نافع عن سالم كما تقدم ، وقيل عنه عن نافع وسالم ، وقد خالفه من هو أمثل منه وهو مسلم ابن حاتم الانصاري وهو شيخ صدوق ، فرواه عن مسلمة بن سالم عن عبد الله — يعني العمرى — عن نافع عن سالم عن ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من جاءني زائرا لم ينزعه حاجة الا زيارتي كان حقا علي ان أكون له شفيعا يوم القيامة » هكذا رواه الحافظ ابو نعيم عن أبى محمد بن حبان عن محمد ابن احمد بن سليمان الهروى عن مسلم بن حاتم الانصاري . وهذه الرواية رواية مسلم بن حاتم التي قال فيها عن عبد الله وهو العمري الصغير المكبر [1] الضعيف أولى من رواية العبادي التي اضطرب فيها وقال عن عبيد الله يعنى العمري الكبير المصغر الثقة الثبت ، وكلا الروايتين لا يجوز الاعتماد عليهما لمدارهما على شيخ واحد غير مقبول الرواية وهو مسلمة بن سالم ، وهو شبيه بموسى بن هلال صاحب الحديث المتقدم الذي يرويه عن عبدالله العمري او عن اخيه عبيد الله وقد اختلف عليه في ذلك كما اختلف على مسلمة . اه

قوله : وفي رواية « من جاءني زائرا كان له حقا على الله عز وجل ان اكون له شفيعا يوم القيامة » .

---

(1) قوله « المكبر » يعني به المسمى عبد الله ، وعن أخيه « المصغر » يعني المسمى عبيد الله .

أقول : قد روى (١) أبو بكر بن المقرى في معجمه بهذه اللفظة ، وفي سنده أيضا مسلمة بن سالم الجهني .

قوله : وفي رواية لابي يعلى والدارقطني والطبراني والبيهقي وابن عساكر « من حج فزار قبرى ـ وفي رواية فزارنى ـ بعد وفاتي عند قبري كان كمن زارني في حياتي » .

أقول : في سنده حفص بن ابى داود وليث بن ابى سليم ، وفي بعض طرقه الحسن بن الطيب وأحمد بن رشدين ، وكلهم ضعفاء مجروحون . قال الامام ابن عبد الهادي في الصارم : واعلم ان هذا الحديث لا يجوز الاحتجاج به ولا يصلح الاعتماد على مثله ، فانه حديث منكر المتن ، ساقط الاسناد ، لم يصححه احد من الحفاظ ، ولا احتج به احد من الأئمة ، بل ضعفوه وطعنوا فيه ، وذكر بعضهم أنه من الاحاديث الموضوعة والاخبار المكذوبة ، ولا ريب في كذب هذه الزيادة فيه ، أما الحديث بدونها فهو منكر جدا ، وراويه حفص بن ابي داود هو حفص بن سليمان ابو عمر الاسدي الكوفي البزاز القارىء الغاضري ، وهو صاحب عاصم بن أبي النجود في القراءة وابن امرأته ، وكان مشهورا بمعرفة القراءة ونقلها ، وأما الحديث فانه لم يكن من أهله ولا ممن يعتمد عليه في نقله ، ولهذا جرحه الائمة وضعفوه وتركوه ، واتهمه بعضهم ، قال عثمان بن سعيد الدرامي وغيره عن يحيى بن معين : ليس بثقة . وذكر العقيلي عن يحيى انه سئل عنه فقال : ليس بشيء . وقال عبد الله بن الامام احمد سمعت أبي يقول : حفص بن سليمان ابو عمر القارى متروك الحديث . وقال البخاري : تركوه .

وقال ابراهيم بن يعقوب الجوزجاني قد فرغ منه من دهر . وقال مسلم بن الحجاج : متروك . وقال علي بن المديني : ضعيف الحديث وتركته على عمد . وقال النسائي : ليس بثقة ولا يكتب حديثه . وقال مرة : متروك الحديث . وقال صالح ابن محمد البغدادي : لا يكتب حديثه ، وأحاديثه كلها مناكير . وقال زكريا الباجي : يحدث عن سماك وعلقمة بن مرثد وقيس بن مسلم وعاصم احاديث بواطيل . وقال

(١) الظاهر ان يقول : قد رواه .

أبو زرعة : ضعيف الحديث • وقال ابن ابي حاتم سألت أبى عنه فقال : لا يكتب حديثه هو ضعيف الحديث لا يصدق متروك • قال ما حاله في الحروف ؟ قال : ابو بكر بن عياش اثبت منه • وقال عبد الرحمن بن يوسف بن خراش : كذاب متروك يضع الحديث • وقال الحاكم ابو احمد : ذاهب الحديث • وقال الدارقطني : ضعيفه وقال ابو حاتم بن حبان : كان يقلب الاسانيد ويرفع المراسيل ، وكان يأخذ كتب الناس فينسخها ويرويها من غير سماع • وقال ابن عدى اخبرنا الباجي حدثنا احمد ابن محمد البغدادي قال سمعت يحيى بن معين يقول : كان حفص بن سليمان وابو بكر بن عياش من اعلم الناس بقراءة عاصم ، وكان حفص اقرأ من ابي بكر ، وكان ابو بكر صدوقا ، وكان حفص كذابا • وروى ابن عدى لحفص احاديث منكرة غير محفوظة منها هذا الحديث الذي رواه في الزيارة ، قال : وهذه الاحاديث يرويها حفص بن سليمان ، ولحفص غير ما ذكرت ، وعامة حديثه عمن روى عنهم غير محفوظ •

وقال العقيلى : حدثنا عبد الله بن احمد قال حدثني ابى قال حدثنا يحيى القطان قال ذكر شعبة حفص بن سليمان وقال : كان يأخذ كتب الناس وينسخها • وقال شعبة : اخذ منى حفص بن سليمان كتابا فلم يرده • وقال العقيلي أيضا : حدثنا محمد بن اسمعيل حدثنا الحسن بن على حدثنا شبابة قال : قلت لابي بكر بن عياش : أبو عمر رأيته عند عاصم ؟ قال : قد سألني عن هذا غير واحد ولم يقرأ على عاصم أحد الا وأنا أعرفه ، ولم أر هذا عند عاصم قط •

وقال ابو بشر الدولابي في كتاب الضعفاء والمتروكين : حفص بن سليمان متروك الحديث • وقد روى البيهقي في السنن الكبير حديث حفص الذي رواه في الزيارة وقال : تفرد به حفص ، وهو ضعيف • وقال في شعب الايمان : وروى حفص ابن ابي داود ــ وهو ضعيف ــ عن ليث بن ابي سليم عن مجاهد عن ابن عمر مرفوعا « من حج فزار قبري بعد موتي كان كمن زارني في حياتي » أخبرنا أبو سعد الماليني أنبأنا أبو أحمد ابن عدى حدثنا عبدالله بن أحمد البغوى حدثنا أبو الربيع الزهراني حدثنا حفص بهذا الحديث ، وأخبرنا على بن أحمد بن عبدان أنبأنا أحمد بن عبيد حدثنى محمد بن اسحق الصفار حدثنا بكار حدثنا حفص بن سليمان فذكره وقال :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال البيهقي : تفرد به حفص وهو ضعيف في رواية الحديث . هكذا ضعف البيهقي حفصا في كتاب السنن الكبير وفي كتاب شعب الايمان وذكر انه تفرد برواية هذا الحديث . فاذا كانت هذه حال حفص عند أئمة هذا الشأن فكيف يحتج بحديث رواه او يعتمد على خبر نقله ؟ مع انه قد اختلف عليه في رواية هذا الحديث فقيل عنه عن ليث بن ابى سليم كما تقدم مع ان ليثا مضطرب الحديث عندهم ، وقيل عنه عن كثير بن شنظير عن ليث ، قال أبو يعلى أحمد بن على بن المثنى الموصلى : حدثنا يحيى بن أيوب المقابري حدثنا حسان بن ابراهيم حدثنا حفص بن سليمان عن كثير بن شنظير عن ليث بن ابى سليم عن مجاهد عن ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من حج فزارني بعد وفاتى عند قبرى فكأنما زارني في حياتي » اه ، وأيضا قال في الصارم : وليث بن أبى سليم مضطرب الحديث قاله الامام أحمد بن حنبل .

وقال أبو معمر القطيعى : كان ابن عيينة يضعف ليث بن ابى سليم ، وقال يحيى ابن معين والنسائي : ضعيف ، وقال السعدي ، يضعف حديثه .

وقال ابراهيم بن سعيد الجوهري حدثنا يحيى بن معين عن يحيى بن سعيد القطان أنه كان لا يحدث عن ليث بن أبى سليم ، وقال أحمد بن سليمان الرهاوى عن مؤمل بن المفضل قلنا لعيسى بن يونس : ألم تسمع من ليث بن أبى سليم ؟ قال : قد رأيته وكان قد اختلط ، وكان يصعد المنارة بارتفاع النهار فيؤذن .

وقال ابن ابى حاتم سمعت أبى وأبا زرعة يقولان : ليث لا يشتغل به ، هو مضطرب الحديث . وقال ايضا سمعت أبا زرعة يقول : ليث بن ابى سليم لين الحديث ، لا تقوم به الحجة عند أهل العلم بالحديث . اه .

وقال الذهبي في الميزان في ترجمة حفص بن سليمان : وكان ثبتا في القراءة ، واهيا في الحديث ، فانه كان لا يتقن الحديث ويتقن القرآن ويجوده ، والا فهو في نفسه صادق اه . وأيضا فيه قال حنبل بن اسحاق عن أحمد : ما به بأس ، وروى الحسين بن حبان عن ابن معين قال : هو أصح قراءة من أبى بكر وأبو بكر أوثق منه . وقال عبد الله بن أحمد عن أبيه : متروك الحديث . فهذه رواية

ابـــن أبـــي حاتـــم عـــن عبـــد اللـــــه ، وأمـــا روايـــــة أبي على الصواف عن عبد الله عن أبيه فقال : صالح • وقال ابن معين أيضا : ليس بثقة • وقال البخارى : تركوه • وقال أبو حاتم : متروك • وقال ابن خراش : كذاب يضع الحديث • وقال ابن عدى : لا يصدق ، عامة أحاديثه غير محفوظة • وقال ابن حبان : يقلب الأسانيد ويرفع المراسيل ، وكان يأخذ كتب الناس فينسخها ويرويهـا من غير سماع •

وقال أحمد بن حنبل أخبرنا يحيى القطان قال : ذكر شعبة حفص بن سليمان فقال : كان يأخذ كتب الناس وينسخها ، أخذ منى كتابا فلم يرده ، وقال أحمد بن محمد الحضرمي : سألت يحيى بن معين عن حفص بن سليمان أبى عمر البزاز فقال : ليس بشىء اه • وقال الذهبى في الكاشـــف : ثبت في القراءة لا الحديث • قال البخارى : تركوه • انتهى • وقال الحافظ ابن حجر في التقريب : حفص بن سليمان الأسدي أبو عمرو البـزاز الغاضري بمعجمتين وهو حفص بن أبى داود القارىء صاحب عاصم ويقال له حفيص متروك الحديث مع امامتـه في القراءة • اه • وقال الحافظ في التلخيص : أما حفص فهو ابن سليمان ضعيف الحديث ، وان كان أحمد قال فيه صالح • اه • وقال الهيثمي في مجمع الزوائد : وفيه حفص بن أبـى داود القارىء وثقة أحمد وضعفه جماعة اه •

وقال في الخلاصة : حفص بن سليمان الاسدي الغاضري بمعجمتين ثم مهملة أبو عمرو البزاز ابن امرأة عاصم ويقال له حفيص بن أبى داود الكوفى المقرىء عن علقمة بن مرثد ومحارب بن دثار ، وعنه آدم بن أبى اياس ومحمد بن سليمان لوين وعلى بن حجر وخلق ، قال البخاري : تركوه في رواية الحديث ، وأما القراءة فهو فيها ثبت باجماع اه •

وقال في تنزيه الشريعة : حفص بن أبى داود ، وهو حفص بن سليمان صاحب القراءة ، قال ابن خراش : كذاب يضع الحديث ، اه • وقال الحافظ زكى الديـن عبد العظيم المنذرى في ترجمة ليث بن أبى سليم : فيه خلاف ، وقد حدث عنه الناس وضعفه يحيى والنسائى ، وقال ابن حبان : اختلط في آخر عمره •

وقال مؤمل بن الفضل سألت عيسى بن يونس عن ليث فقال : رأيته وكان قد

اختلط ، وكنت ربما مررت به ارتفاع النهـــار وهو على المنارة يؤذن • وقال الدارقطني : كان صاحب سنة ، انما أنكروا عليه الجمع بين عطاء وطاوس ومجاهد حسب ، ووثقه ابن معين في رواية • اه •

وقال النووي في شرح صحيح مسلم : وأما ليث بن أبي سليم فضعفه الجماهير ، قالوا : واختلط واضطربت أحاديثه ، قالوا : وهو ممن يكتب حديثه ، قال أحمد بن حنبل : هو مضطرب الحديث ولكن حدث الناس عنه • وقال الدارقطني وابن عدي : يكتب حديثه ، وقال كثيرون : لا يكتب حديثه ، وامتنـــع كثيرون من السلف من كتابة حديثه اه • وقال في تهذيب الاسماء : اتفق العلماء على ضعفه • وقال ابن جملة في فوائده : وأكثر المحدثين على تضعيفه في الحديث ، وصرح جماعــة من ائمتهم بتركــه • اه •

وفي الانساب للسمعاني : ليث بن أبى سليم بن زنيم الليثي من الابناء ، واصله من ابناء فارس ، واسم ابى سليم أنس ، كان مولده بالكوفة فكان معلما بها يروى عن مجاهد وطاوس ، وروى عنه الثورى وأهل الكوفة ، وكان من العباد ، ولكـــن اختلط في آخر عمره حتى لا يدرى ما كان يحدث به ، وكان يقلب الأسانيد ، ويرفع المراسيل ، ويأتى عن الثقات بما ليس من أحاديثهم ، كل كان منه من اختلاط ، تركه يحيى بن القطان وابن مهدى واحمد بن حنبل ويحيى بن معين ، ومات ليث سنة ثلاث وأربعين ومائة ، قال عيسى بن يونس : ليث بن أبي سليم كان قد اختلط ، ربما مررت به ارتفاع النهار وهو على المنارة يؤذن •

وذكر محمد بن خلف العسقلانى أنه رأى مجاهدا في النوم فقال له : يا أبا الحجاج أى شيء حال ليث بن أبي سليم عندكـــم ؟ قال : مثل حاله عندكم • هكذا في تراجم الحفاظ للبدخشي • وقال الحافظ في التقريب : الليث بن أبى سليم بن زنيم بالزاى والنون مصغرا ، وأسم أبيه أيمن ، وقيل أنس ، وقيل غير ذلك • صدوق ، اختلط أخيرا ولم يتميز حديثه فترك • اه • وقال الحافظ في الفتح : قوله ولم يصح وذلك لضعف اسناده واضطرابه ، تفرد به ليث بن أبى سليم وهو ضعيف • اه •

وقال الذهبى في الميزان في ترجمة الحسن بن الطيب : الحسن بن الطيب البلخى

عن قتيبة ، قال ابن عدى : كان له عم يقال له الحسن بن شجاع فادعى كتبه حيث وافق اسمه اسمه ، اخبرني بهذا عبدان ، وكان عبدان يروى عن عمه ، وقال ابن عدى : وقد حدث أيضا بأحاديث سرقها ، وكان قد حمل الى بغداد وقرىء عليه • وقال الخطيب : حدث عن هدبة وقتيبة وأبى كامل الجحدرى ، روى عنه ابن المظفر والزيات وطائفة ، قال البرقانى : انه ذاهب الحديث • وقال الدارقطنى : لا يساوى شيئا ، يحدث بما لا يسمع • وعن مطين : أنه كذاب • اه •

وقال في الميزان في ترجمة أحمد بن رشدين قال ابن عدى : كذبوه وأنكرت عليه أشياء • قلت :فمن أباطيله رواية الطبراني وغيره عنه قال : حدثنا حميد بن على البجلى الكوفى حدثنا ابن أبى لهيعة عن أبى عثانه عن عقبة بن عامر مرفوعا « قالت الجنة يا رب ، أليس وعدتني أن تزيننى بركنين ؟ قال : ألم أزينك بالحسن والحسين ؟ فماست الجنة كما تميس العروس » اه •

وقال في تنزيه الشريعة : أحمد بن محمد بن الحجاج بن رشدين بن سعد أبو جعفر المصرى ، قال ابن عدى : كذبوه • اه • وقال السيوطى في التدريب : وأوهى أسانيد المصريين أحمد بن محمد بن الحجاج بن رشدين بن سعد عن أبيه عن جده عن قرة بن عبد الرحمن عن كل من روى عنه فانها نسخة كبيرة • اه • وقال الحافظ في اللسان : محمد بن حجاج بن رشدين المهرى عن أبيه عن جده قال العقيلى : في حديثه نظر ، روى عنه ابنه أحمد بن محمد ، ويروى أيضا عن ابن وهب • توفى سنة ٢٣١ • اه •

وقال ابن عدى : كأن بيت رشدين خصوا بالضعف ، رشدين ضعيف ، وابنه حجاج ضعيف ، وللحجاج ابن يقال له محمد ضعيف • قلت : وابن محمد أحمد ضعيف ، وقد تقدم ، ويقال له أحمد بن رشدين ينسب الى جده الاعلى • اه •

قوله : وفي رواية « من حج فزارني في مسجدي بعد وفاتى كان كمن زارني في حياتي » •

أقول : رواه بهذا اللفظ بعض الحفاظ في زمن عبد الله بن منده ، وفي سنده حفص بن سليمان وليث بن أبي سليم وقد تقدم الكلام فيهما ، قال في الصارم :

وقال بعض الحفاظ في زمن عبد الله بن منده : حدثنا أبو الحسن حامد بن حماد ابن المبارك السر من رأى (١) بنصيبين حدثنا أبو يعقوب اسحاق بن سيار ابن محمد النصيبي حدثنا عامر بن سيار بمصر حدثنا حفص بن سليمان عن ليث بن أبي سليم عن مجاهد عن عبد الله بن عمر قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم « من حج فزارني في مسجدي بعد وفاتي كان كمن زارني في حياتي » هكذا رواه بهذا اللفظ اهـ .

قوله : وفي رواية « من زارني الى المدينة كنت له شفيعا وشهيدا » .

أقول : قال في (الصارم) : والجواب أن يقال : هذا اللفظ المذكور غلط في هذا الحديث ـ حديث نافع عن ابن عمر ـ ولفظ الزيارة فيه غير محفوظ ، ولو كان محفوظا لم يكن فيه حجة على محل النزاع ، والمحفوظ في هذا عن أيوب السختياني ما رواه هشام الدستوائي وسفيان بن موسى عنه عن نافع عن ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من استطاع منكم أن يموت بالمدينة فليمت فانه من مات بها كنت له شفيعا او شهيدا » . هذا هو حديث أيوب عن نافع ، ليس فيه ذكر الزيارة أصلا ، وكذلك رواه الحسن بن أبي جعفر الجعفري ـ وهو ضعيف ـ عن أيوب عن نافع عن ابن عمر ، ورواه وهيب عن أيوب عن نافع مرسلا عن النبي صلى الله عليه وسلم ، ورواه اسماعيل بن علية عن أيوب قال نبئت عن نافع قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال موسى بن هارون : ووهيب وابن علية أثبت من الدستوائي ومن الجعفري ومن سفيان بن موسى ، وقد ذكرنا ألفاظ هذا الحديث فيما تقدم ، وذكرنا من رواته نافعا من اصحابه ، وحكينا ما ذكره الدارقطني وغيره في ذلك ، وقد وقف هذا المعترض على ما ذكره في كتاب العلل من الاختلاف في اسناد الحديث ومتنه ولم ينقل منه الا طريقا واحدة أخطأ فيها ، ولفظا واحدا وهم فيه الناقل ، وأعرض عن ذكر الطرق الواضحة والالفاظ الصحيحة ، وهل هذا الا عين الخذلان ان ينظر الرجل في ألفاظ الحديث وطرقه في موضع واحد فينقل

---

(١) سر من رأى اسم مدينة بين بغداد وتكريت استحدثها المعتصم . قال أبو عثمان المازني : سألني الخليفة الواثق : كيف ينسب رجل الى سر من رأى ؟ فقلت : سرى ، بضم السين وتشديد الراء كالنسبة الى تأبط شرا : تأبطى .

منها الضعيف السقيم ، ويدع القوي الصحيح من غير بيان لذلك ، ثم يعتــل بأن النسخة التي نقل منها سقيمة ! .

وهذا الحديث الذي نقله المعترض من كتاب العلل للدارقطني أخطأ راويه في اسناده ، ووهم في متنه ، أما خطؤه في اسناده فقوله « عن عون بن موسى » وانما هو سفيان بن موسى ، وهو شيخ من أهل البصرة روى له مسلم في صحيحه حديثا واحدا متابعة يرويه عن أيوب عن نافع عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسـلم قال « اذا اقيمت الصلاة ووضع العشاء فابدوءا بالعشاء » وقد ذكر ابن أبي حاتم أنه سئل عنه فقال مجهول ، وذكره ابن حبان في آفات الثقات .

وأما وهمه في متنه فقوله صلى الله عليه وسلم « من زارني الى المدينة » ولفظ الزيارة في حديث أيوب عن نافع ليس بصحيح ، والمعروف من حديثـه عنه « من استطاع منكم أن يموت بالمدينة فليفعل » وأصح منه اللفظ الذي رواه مسلم في صحيحه من حديث ابن عمر قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « لا يصبر على لأوائها وشدتها أحد الا كنت له شهيدا او شفيعا يوم القيامة » اهـ .

قوله : وفي رواية « من زارني الى المدينة كنت له شفيعا وشهيدا ، ومن مات بأحد الحرمين بعثه الله من الآمنين يوم القيامـــة » رواه بهذه الزيادة أبو داود الطيالسي .

أقول : قال في (الصارم) والجواب أن يقال : هـذا الحديث ليس بصحيح لانقطاعه وجهالة اسناده واضطرابه ، ولأجل اختلاف الرواة في اسناده واضطرابهـم فيه جعله المعترض ثلاثة أحاديث ، وهو حديث واحد ســاقط الاسناد لا يجوز الاحتجاج به ولا يصلح الاعتماد على مثله كما سنبين ذلك ان شاء الله تعالى . وقد خرجه البيهقي في كتاب شعب الايمان وفي كتاب السنن الكبير ، وقال في كتاب السنن بعد تخريجه : هذا اسناد مجهول . (قلت) : وقد خالف أبو داود غيره في اسناده ولفظه ، وسوار بن ميمون شيخه يقلبه بعض الرواة ويقول ميمون بن سوار ، وهو شيخ مجهول لا يعرف بعدالة ولا ضبط ، ولم يشتهر بحمل الحديث ونقله . وأما شيخ سوار في هذه الرواية رواية أبي داود فانه شيخ مبهم ، وهو أسوأ حالا من

المجهول ، وبعض الرواة يقول فيه « عن رجل من آل عمر » كما في هذه الرواية ، وبعضهم يقول « عن رجل من ولد حاطب » ، وبعضهم يقول « عن رجل من آل الخطـــــاب » •

وقد قال البخارى في تاريخه : ميمون بن سوار العبدى عن هارون أبى قزعة عن رجل من ولد حاطب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم « من مات في أحـــد الحرمين » قاله يوسف بن راشد حدثنا وكيع حدثنا ميمون ، هكذا سماه البخاري ميمونا من رواية وكيع عنه ، ولم يذكر فيه عمر ، وزاد فيه ذكر هارون • وقال « عن رجل من ولد حاطب » وفي هذا مخالفة لرواية أبى داود من وجوه •

وقال في حرف الهاء من التاريخ هارون ابو قزعة عن رجل من ولد حاطب عن النبي صلى الله عليه وسلم « من مات في أحد الحرمين » روى عنه ميمون بن سوار لا يتابع عليه ، وقال العقيلى في كتاب الضعفاء : هارون بن قزعة مدنى ، روى عنه سوار بن ميمون حدثنى آدم قال سمعت البخارى يقول : هارون بن قزعة مدنى لا يتابع عليه ، هكذا ذكر العقيلي هارون بن قزعة ، والذي في تاريخ البخارى : هارون أبو قزعة ، وقد يكون اسم ابى هارون قزعة وهارون يكنى بأبى قزعة •

ثم قال العقيلى : حدثنا محمد بن موسى حدثنا احمد بن الحسن الترمـــذى حدثنا عبد الملك بن ابراهيم الجدى حدثنا شعبة عن سوار بن ميمون عن هارون بن قزعة عن رجل من آل الخطاب عن النبي صلى‌الله‌عليه‌وسلم قال « من زارني متعمدا كان في جواري يوم القيامة ، ومن مات في احد الحرمين بعثه الله من الآمنين يوم القيامة » قال العقيلى بعد ذكر هذا الحديث : الرواية في هذا لينة • (قلت) : هكذا في هذه الرواية « عن رجل من آل الخطاب » وهو يوافق رواية الطيالسى « عن رجل من آل عمر » ، وكأنه تصحيف من حاطب ، والذي في تاريخ البخارى « عن رجل من ولد حاطب » ، وليس في هذه الرواية التي ذكرها العقيلى ذكر عمر كما في رواية الطيالسي ، وكذلك رواية وكيع التي ذكرها البخاري ليس فيها ذكر عمر أيضا ، فالظاهر ان ذكره وهم من الطيالسي ، وكذلك اسقاطه هارون من روايته وهم أيضا • اهـ •

قوله : ثم ذكر أحاديث كلها تدل على مشروعية الزيارة •

أقول : قد رد على كلها صاحب الصارم ، فلم يبق واحد منها قابلا لأن يحتج به على مشروعية الزيارة •

قوله : فتلك الأحاديث كلها مع ما ذكرنا صريحة في ندب بل تأكد زيارته صلى الله عليه وسلم حيا وميتا للذكر والأنثى •

أقول : قد عرفت فيما تقدم أن تلك الأحاديث ليست قابلة لأن يحتج بها على حكم من الاحكام الشرعية ، على ان بعضا فيها غير دال على المطلوب ، فانه ليس فيه ذكر القبر ولا ذكر الوفاة •

قوله : والزيارة شاملة للسفر ، لانها تستدعي الانتقال من مكان الزائر الى مكان المزور كلفظ المجيء الذي نصت عليه الآية الكريمة •

أقول : هب أن الزيارة مطلقة شاملة للسفر ، ولكن قوله صلى الله عليه وسلم « لا تشد الرحال الا الى ثلاثة مساجد : المسجد الحرام ، ومسجدى هذا ، والمسجد الأقصى » مقيد لذلك الاطلاق ، والتأويل الذي ذكره صاحب الرسالة ستطلع على فساده • على ان لفظ الزيارة مجمل كالصلاة والزكاة والربا فان كل زيارة قبر ليست قربة بالاجماع للقطع بأن الزيارة الشركية والبدعية غير جائزة ، فلما زار النبي صلى الله عليه وسلم القبور وقع ذلك الفعل بيانا لمجمل الزيارة ، ولا يثبت السفر من فعله صلى الله عليه وسلم مع ان الخروج الى مطلق المسجد أيضا شامل للسفر وهو قربة كما سيأتي بيانه ، فيكون السفر الى مسجد غير المساجد الثلاثة أيضا قربة والخصم أيضا لا يقول به ، وكذلك الصلاة والذكر شاملان لجميع الصلوات المبتدعة والاذكار المحدثة ، فلو سوغ الاستدلال بمثل تلك الاطلاقات للزم جواز تلك الصلوات المبتدعة والاذكار المحدثة •

قوله : واذا كانت كل زيارة قربة كان كل سفر اليها قربة •

أقول : هذا اما مبنى على القاعدة الآتية وهي فاسدة كما سيأتي بيانه ، والمبنى على الفاسد فاسد ، أو مبنى على أن الزيارة شاملة للسفر فالجواب ما تقدم آنفا من كون لفظ الزيارة مجملا ووقوع فعل النبى صلى الله عليه وسلم بيانا لاجماله وكون

حديث « لا تشد الرحال » الحديث مقيدا لاطلاق الزيارة على تقدير تسليم شمول الزيارة للسفر •

قوله : وقد صح خروجه صلى الله عليه وسلم لزيارة قبور أصحابه بالبقيع وبأحد ، فاذا ثبت مشروعية الانتقال لزيارة قبر غير قبره صلى الله عليه وسلم فقبره الشريف أولى •

أقول : الثابت بالحديث المذكور انما هو مشروعية الانتقال الذي هو دون السفر للزيارة ولم ينكره أحد ، والانتقال الذي تنكر مشروعيته هو السفر وهو ليس بثابت •

قوله : والقاعدة المتفق عليها ان وسيلة القربة المتوقفة عليها قربة — الى قوله : صريحة في أن السفر للزيارة قربة مثلها •

أقول : فيه كلام من وجوه :

(الأول) أن هذه القاعدة في أي كتاب من كتب الأصول والفقه ؟ وما الدليل عليها من الكتاب والسنة ؟ ولا بد من نقل الاجماع عليها •

و (الثاني) أن هذه القاعدة منقوضة بأن اتيان مسجد قباء والصلاة فيه ركعتين قربة لما روى الشيخان عن ابن عمر رضى الله عنهما قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم يأتي مسجد قباء كل سبت ماشيا وراكبا ويصلى فيه ركعتين • وعن أسيد بن ظهير الانصاري رضى الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال « صلاة في مسجد قباء كعمرة » رواه الترمذي وابن ماجه والبيهقي • وعن سهل بن حنيف قال : قال : رسول الله صلى الله عليه وسلم « من توضأ فأحسن الوضوء ثم دخل مسجد قباء فركع فيه أربع ركعات كان ذلك عدل رقبة » رواه الطبراني في الكبير • مع أن السفر الى قباء ليس بقربة ، فانه سفر الى مسجد غير المساجد الثلاثة التي تشد اليها الرحال ، وكذلك تحية المسجد في غير المساجد الثلاثة قربة ، لحديث أبى قتادة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « اذا دخل أحدكم المسجد فليركع ركعتين قبل أن يجلس » متفق عليه ، وكذلك الغدو الى مسجد غير المساجد الثلاثة لتعليم الآيتين اذ قراءتهما قربة لحديث عقبة بن عامر رضى الله عنه قال : قال رسول الله

صلى الله عليه وسلم « أفلا يغدو أحدكم الى المسجد فيعلم أو يقرأ آيتين من كتاب الله » الحديث رواه مسلم . وكذلك الخروج الى مسجد غير المساجد الثلاثة قربة لحديث أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من غدا الى المسجد أو راح أعد اللهله نزله من الجنة كلما غدا أو راح » متفق عليه . ولحديث أبى موسى الأشعري قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أعظم الناس أجرا في الصلاة أبعدهم فأبعدهم ممشى » متفق عليه ، ولحديث أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « وذلك أنه اذا توضأ فأحسن الوضوء ثم خرج الى المسجد لا يخرجه الا الصلاة لم يخط خطوة الا رفعت له بها درجة وحط عنه بها خطيئة » متفق عليه . وعن بريدة رضى الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال « بشر المشائين في الظلم الى المساجد بالنور التام يوم القيامة » رواه أبو داود والترمذي . وعن أبي أمامة رضى الله عنه « من خرج الى المسجد فهو ضامن على الله » رواه أبو داود وابن حبان في صحيحه . مع أن السفر الى مسجد غير المساجد الثلاثة ليس بقربة ، وكذلك دخول بيت الله قربة مع أن وسيلته في بعض الاحيان ــ أي دفع الرشوة التي يأخذها الحجبة ــ ليس بقربة ، كذا في كتب الفقه . وكذلك الحج قربة مع أن وسيلته في بعض الأزمنة والأمكنة دفع الرشوة واعطاء المكس والخفارة ، وهي ليست من القربة في شىء .

و (الثالث) أن القربة على نوعين : نوع ورد الترغيب فيه من الشارع بخصوصه كصلاة الليل والضحى وغيرهما ، ونوع لم يرد الترغيب فيه من الشارع بخصوصه بل وقع الترغيب في عام وهو من أفراده ، كالنفل الذي يؤدى بعد الظهر عقب الراتبة فانه لم يرد في حقه ترغيب في حديث بل انما ورد الترغيب في مطلق التطوع وهو من أفراده . والقربة التي هي من النوع الأول قربة بالذات ، وأما القربة التي هي من النوع الثاني فانها داخلة في عموم الأمر بزيارة القبور [1] ولم يثبت حديث في خصوص كون زيارة قبره صلى الله عليه وسلم قربة كما عرفت فيما تقدم ، فالقربة حقيقة فيما هنالك مطلق الزيارة وهو لا يتوقف على السفر بل تحصل هذه

(١) لعله سقط من هنا بيان أن عموم الأمر بصلاة التطوع من هذا النوع ، وأن زيارة قبره صلى الله عليه وسلم تدخل فى عموم الأمر بزيارة القبور .

القربة بزيارة قبر من قبور بلد الزائر وقريته وان كان فرده الكامل هو زيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم .

و (الرابع) أنا لا نسلم أن مطلق زيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم قربة ، بل القربة هي الزيارة التي لا يقع فيها شد رحل بدليل حديث « لا تشد الرحال » .

و (الخامس) أنه لو سلم كون مطلق زيارة قبر النبى صلى الله عليه وسلم قربة فلا نسلم كونها متوقفة على السفر للزيارة ، لجواز أن يسافر لزيارة المسجد النبوي أو أمر آخر من التجارة وغيرها ، ثم بعد وصول المدينة الطيبة يزور قبرالنبي صلى الله عليه وسلم ، فحينئذ تكون الزيارة متوقفة على مطلق السفر لا على سفر الزيارة (1) ، فيكون مطلق السفر قربة لا سفر الزيارة ، ومطلوب الخصم هذا دون ذاك فلا يتم التقريب .

(السادس) أنه لو سلمت هذه القاعدة فهي انما هى وسيلة لم ينه الشارع عنها ، والسفر للزيارة قد نهى الشارع عنه بدليل حديث « لا تشد الرحال » .

قوله : ومن زعم أن الزيارة قربة في حق القريب فقط فقد افترى على الشريعة الغراء فلا يعول عليه .

أقول : هذا ليس من الافتراء على الشريعة في شيء بل هو الحق والصواب ، فان لفظ الزيارة الواقعة في الاحاديث مجمل يشمل الزيارة البدعية والشركية وهما غير مرادتين بالاجماع ولم يعلم أن المراد أي الزيارة ، فبين النبي صلى الله عليه وسلم المراد منها بفعله ، والثابت من قوله صلى الله عليه وسلم ليس الا زيارة القبور القريبة التي ليس بينه صلى الله عليه وسلم وبينها مسافة سفر ، ولو سلم أن المراد بالزيارة في الاحاديث مطلقها فحديث « لا تشد الرحال » يكون مقيداً لها ، على أنه لو كانت الزيارة قربة في حق البعيد لفعلها النبي صلى الله عليه وسلم أو واحد من أصحابه في زمنه صلى الله عليه وسلم أو بعده ، ولما لم يفعلها النبي صلى الله عليه وسلم ولا أحد من أصحابه في زمنه صلى الله عليه وسلم ولا بعده ، بل ولا فعلها واحد من التابعين وتبع التابعين علم أن السفر لزيارة القبور ليس من القربة في شيء .

(1) انما يجيء هذا فى غير المقيم بالمدينة وجوارها .

قوله : وأما تخيل بعض المحرومين أن منع الزيارة أو السفر اليها من باب المحافظة على التوحيد ، وأن ذلك مما يؤدى الى الشرك ، فهو تخيل باطل •

أقول : لعل المراد ببعض المحرومين شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله وأتباعه ، ولكن لم أجد بعد [1] ذلك التخيل في كلام الشيخ المذكور ولا في كلام أحد من أتباعه ، بل قد وجد في غير ما موضع من كلامه ما يدل صراحة على مشروعية زيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم ، وقد تقدم نقل بعض عباراته في هذا الباب فتذكر ، فلعل هذا افتراء على الشيخ رحمه الله • نعم قد منع شيخ الاسلام الافراط في تعظيم قبره صلى الله عليه وسلم معللا بالعلة المذكورة ، وعليه اعترض السبكى في شفاء الاسقام حيث قال : فان قلت : الفرق أيضا أن غيره لا يخشى فيه محذور ، وقبره صلى الله عليه وسلم يخشى الافراط في تعظيمه أن يعبد • قلت : هذا كلام تقشعر منه الجلود ، ولولا خشية اغترار الجهال به لما ذكرته ، فان فيه تركا لما دلت عليه الادلة الشرعية بالآراء الفاسدة الخيالية ، وكيف يقدم على تخصيص قوله صلى الله عليه وسلم « زوروا القبور » وعلى ترك قوله « من زار قبرى وجبت له شفاعتي » وعلى مخالفة اجماع السلف والخلف بمثل هذا الخيال الذي لم يشهد به كتاب ولا سنة ، وهذا بخلاف النهى عن اتخاذه مسجدا وكون الصحابة احترزوا عن ذلك للمعنى المذكور ، لأن ذلك قد ورد النهى فيه وليس لنا أن نشرع أحكاما من قبلنا (أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله) فمن منع زيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم فقد شرع في الدين ما لم يأذن به الله ، وقوله مردود عليه ، ولو فتحنا هذا الخيال الفاسد لتركنا كثيرا من السنن بل ومن الواجبات ، والقرآن كله والاجماع المعلوم من الدين بالضرورة وسير الصحابة والتابعين وجميع علماء المسلمين والسلف والصالحين على وجوب تعظيم النبي صلى الله عليه وسلم والمبالغة في ذلك • ومن تأمل القرآن العزيز وما تضمنه من التصريح والايماء الى وجوب المبالغة في تعظيمه وتوقيره والأدب معه وما كانت الصحابة يعاملونه به من ذلك امتلأ قلبه ايمانا واحتقر هذا الخيال الفاسد واستنكف أن يصغى اليه ، والله

(1) لعل كلمة ((بعد)) هنا من سبق القلم أو غلط الطبع ، لأنها تدل على أنه يتوقع أن يجد ذلك بعد الان ، وكيف وقد وجد ما يخالفه ؟ وهو ما ذكره بعده من تصريح شيخ الاسلام بأن زيارة قبره صلى الله عليه وسلم قربة ، وهو ما تقدم فى أول الكتاب •

تعالى هو الحافظ لدينه (ومن يهد الله فهو المهتد) و (من يضلل الله فلا هادى له) وعلماء المسلمين مكلفون بأن يبينوا للناس ما يجب من الادب والتعظيم والوقوف عند الحد الذي لا يجوز مجاوزته بالأدلة الشرعية ، وبذلك يحصل الأمن من عبادة غير الله ، ومن أراد الله ضلاله من أفراد الجهال فلن يستطيع أحد هدايته ، فمن ترك شيئا من التعظيم المشروع لمنصب النبوة زاعما بذلك الأدب مع الربوبية فقد كذب على الله تعالى وضيع ما أمر به في حق رسله ، كما أن من أفرط وجاوز الحد الى جانب الربوبية فقد كذب على رسل الله وضيع ما أمروا به في حق ربهم سبحانه وتعالى ، والعدل حفظ ما أمر الله به في الجانبين ، وليس في الزيارة المشروعة من التعظيم ما يفضى الى محذور . انتهى ما ذكره [1] .

وقد أجاب عنه الامام العلامة أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عبد الهادي المقدسي الحنبلي في الصارم المنكى [2] فقال « قوله : فان قلت الفرق أيضا أن غيره لا يخشى فيه محذور وقبره يخشى الافراط في تعظيمه أن يعبد ـ سؤال لا تخفى صحته وقوته على أهل العلم والايمان . وقوله في جوابه : هذا كلام تقشعر منه الجلود ولولا خشية اغترار الجهال به لما ذكرته . فيقال : نعم تقشعر منه جلود عباد القبور الذين اذا دعوا الى عبادة الله وحده وأن لا يشرك به ، ولا يتخذ من دونه وثن يعبد ، اشمأزت قلوبهم ، واقشعرت جلودهم واكفهرت وجوههم . ولا يخفى أن هذا نوع شبه وموافقة للذين قال الله فيهم (واذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة) . ثم يقال : أما جلود أهل التوحيد المتبعين للرسول ، العالمين بمقاصده ، الموافقين له فيما أحبه ورغب فيه ، وكرهه وحذر منه ، فانها لا تقشعر من هذا الفرق ، بل تزيد قلوبهم وجلودهم طمأنينة وسكينة (وهم يستبشرون) ، وأما الذين في قلوبهم مرض فلا تزيدهم قواعد التوحيد وأدلته وحقائقه وأسراره الا رجسا الى رجسهم ، واذا سلك التوحيد في قلوبهم دفعته قلوبهم وأنكرته ظنا منهم أنه تنقص وهضم للأكابر وازراء بهم وحط لهم عن مراتبهم ، وأتباع هؤلاء ضعفاء العقول ، وهم أتباع كل ناعق ، يميلون مع كل

(١) أى السبكى فى شفائه .
(٢) ص ٣٣٢ ـ ٣٣٨

صائح ، لم يستضيئوا بنور العلم ولم يلجأوا الى ركن وثيق • وأما أهل العلم والايمان فانما تقشعر جلودهم من مخالفة الرسول فيما أمر ، ومن ترك قبول قوله فيما أخبر ، ومن قول القائل واقراره بأن اليقين لا يستفاد بقوله ، وأنه يجب او يشرع الحج الى قبره ويجعل من أعظم الأعياد ، ويحتج بفعل العوام والطغام على ان هذا من دينه ، ويقدم هديهم على هدى (المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم باحسان) ، ويستحل تكفير من نهى عن اسباب الشرك والبدع ، ودعا الى ما كان عليه خيار الأمة وساداتها ، ويستحل عقوبته وينسبه الى التنقص والازراء ، فهذا وأمثاله تقشعر منه جلود أهل العلم والايمان •

وقوله : « ان في هذا الفرق تركا لما دلت عليه الأدلة الشرعية ، بالآراء الفاسدة الخيالية ، ففي هذا الكلام ، من قلب الحقائق وترك موجب النصوص النبوية والقواعد الشرعية والمحكم الخاص المقيد ، الى المجمل المتشابه العام المطلق ، كما يفعله أهل الأهواء الذين في قلوبهم زيغ ما نبينه بحول الله ومعونته وتأييده ، فان النصوص التي صحت عنه صلى الله عليه وسلم بالنهي عن تعظيم القبور بكل نوع يؤدي الى الشرك ، ووسائله من الصلاة عندها واليها واتخاذها مساجد ، وايقاد السرج عليها ، وشد الرحال اليها ، وجعلها أعيادا يجتمع لها كما يجتمع للعيد ونحو ذلك ، صحيحة صريحة محكمة فيما دلت عليه • وقبور المعظمين مقصودة بذلك النص والعلة ، ولا ريب أن هذا من أعظم المحاذير ، وهو أصل أسباب الشرك والفتنة به في العالم ، فكيف يناقض هذا ويعارض باطلاق « زوروا القبور » وبأحاديث لا يصح منها شيء البتة في زيارة قبره ولا يثبت خبر واحد ، ونحن نشهد بالله أنه لم يقل شيئا منها ، كما نشهد بالله أنه قال تلك النصوص الصحيحة الصريحة ، وهؤلاء فرسان الحديث وأئمة النقل ومن اليهم المرجع في الصحيح والسقيم من الآثار ، وقد ذكرنا فيما تقدم أنهم لم يصححوا منها خبرا واحدا ولم يحتجوا منها بحديث واحد ، بل ضعفوا جميع ما ورد في ذلك وطعنوا فيه وبينوا سبب ضعفه وحكم عليه جماعة منهم بالكذب والوضع •

وكذلك دعواه اجماع السلف والخلف على قوله ، فاذا أراد بالسلف المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم باحسان فلا يخفي أن دعوى اجماعهم مجاهرة بالكذب ،

وقد ذكرنا غير مرة فيما تقدم أنه لم يثبت عن أحد من الصحابة شيء في هذا الا عن ابن عمر وحده فانه ثبت عنه اتيان القبر للسلام عند القدوم من سفر ، ولم يصح هذا عن احد غيره ولم يوافقه عليه أحد من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لا من الخلفاء الراشدين ولا من غيرهم . وقد ذكر عبد الرزاق في مصنفه عن معمر عن عبيد الله بن عمر أنه قال : ما نعلم أحدا من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فعل ذلك الا ابن عمر . وكيف ينسب مالك الى مخالفة اجماع السلف والخلف في هذه المسألة وهو أعلم أهل زمانه بعمل أهل المدينة قديما وحديثا ، وهو يشاهد التابعين الذين شاهدوا الصحابة وهم جيرة المسجد وأتبع الناس للصحابة ، ثم يمنع الناذر من اتيان القبر ويخالف اجماع الأمة ؟ هذا لا يظنه الا جاهل كاذب على الصحابة والتابعين وأهل الاجماع .

« وقد نهى علي بن الحسين زين العابدين ــ الذي هو أفضل أهل بيته وأعلمهم في وقته ــ ذلك الرجل الذي كان يجيء الى فرجة كانت عند القبر فيدخل فيها فيدعو ، واحتج عليه بما سمعه من أبيه عن جده علي بن أبي طالب رضى الله عنهم عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال « لا تتخذوا قبري عيدا ولا بيوتكم قبورا ، فان تسليمكم يبلغني أينما كنتم » وكذلك ابن عمه الحسن بن الحسن بن علي شيخ أهل بيته كره أن يقصد الرجل القبر للسلام عليه ونحوه عند غير دخول المسجد ، ورأى أن ذلك من اتخاذه عيدا ، وقال للرجل الذي رآه عند القبر : مالى رأيتك عند القبر ؟ فقال : سلمت على النبي صلى الله عليه وسلم . فقال : اذا دخلت المسجد فسلم . ثم قال : ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « لا تتخذوا بيتي عيدا ولا تتخذوا بيوتكم مقابر ، لعن الله اليهود اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد ، وصلوا علي فان صلاتكم تبلغني حيثما كنتم » ما أنتم ومن بالأندلس الا سواء .

« وكذلك سعد بن ابراهيم بن عبد الرحمن بن عوف الزهري أحد الأئمة الأعلام وقاضي المدينة في عصر التابعين ذكر عنه ابنه ابراهيم أنه كان لا يأتى القبر قط ، وكان يكره اتيانه ، أفيظن بهؤلاء السادة الأعلام أنهم خالفوا الاجماع وتركوا تعظيم صاحب القبر وتنقصوا به ؟ فهذا لعمر الله هو الكلام الذي تقشعر منه الجلود .

« وليس مع عباد القبور من الاجماع الا ما رأوا عليه العوام والطغام في الاعصار التي قل فيها العلم والدين ، وضعفت فيها السنن ، وصار المعروف فيها منكرا والمنكر معروفا من اتخاذ القبر عيدا والحج اليه ، واتخاذه منسكا للوقوف والدعاء ، كما يفعل عند مواقف الحج بعرفة ومزدلفة ، وعند الجمرات ، وحول الكعبة . ولا ريب ان هذا وأمثاله في قلوب عباد القبور لا ينكرونه ولا ينهون عنه ، بل يدعون اليه ويرغبون فيه ، ويحضون عليه ، ظانين أنه من تعظيم الرسول صلى الله عليه وسلم والقيام بحقوقه ، وأن من لم يوافقهم على ذلك أو خالفهم فيه فهو منتقص تارك للتعظيم الواجب وهذا قلب لدين الاسلام وتغيير له ، ولولا أن الله سبحانه وتعالى ضمن لهذا الدين أن لا تزال طائفة من الأمة قائمة به لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم الى قيام الساعة لجرى عليه ما جرى على دين أهل الكتاب قبله ، وكل ذلك باتباع المتشابه ، وما لا يصح من الحديث ، وترك النصوص المحكمة الصحيحة الصريحة .

وقوله (١) : ان من منع زيارة قبره فقد شرع من الدين ما لم يأذن به الله وليس لنا ذلك . جوابه (٢) أن يقال : أما من منع مما منع الله ورسوله منه ، وحذر مما حذر منه الرسول بعينه ، ونبه على المفاسد التي حذر منها الرسول صلى الله عليه وسلم بتعظيم القبور وجعلها أعيادا واتخاذها أوثانا ومناسك يحج اليها كما يحج الى البيت العتيق ، ويوقف عندها الدعاء والتضرع والابتهال كما يفعل عند مناسك الحج ، وجعلها مستغاثا للعالمين ومقصدا للحاجات ، ونيل الرغبات ، وتفريج الكربات ، فانه لم يشرع دينا لم يأذن به الله ، وانما شرعه من خالف ذلك ودعا اليه ، ورغب فيه ، وحض النفوس عليه ، واستحب الحج الى القبر وجعله عيدا يجتمع اليه كما يجتمع للعيد ، وجعله منسكا للوقوف والسؤال والاستغاثة به ، فأي الفريقين الذي شرع من الدين ما لم يأذن به الله ان كنتم تعلمون ؟

ونحن نناشد عباد القبور هل هذا الذي ذكرناه عنهم وأضعافه كذب عليهم أو هو أكبر مقاصدهم وحشو قلوبهم ؟ والله المستعان .

---

(١) يعني السبكي (٢) هذا خبر « وقوله » .

« وقوله [1] : والقرآن كله والاجماع المعلوم من الدين بالضرورة وسير الصحابة والتابعين وجميع علماء المسلمين والسلف الصالحين على وجوب تعظيم النبي صلى الله عليه وسلم والمبالغة في ذلك . جوابه : أنه قد عرف بما قررناه أهل تعظيمه المتبعون له ، الموافقون لما جاء به ، والتارك لتعظيمه بتقرير خلاف ما جاء به ، والحض على ما حذر منه ، والتحذير مما رغب فيه ، وترك ما جاء به لآراء الرجال وعقولهم ، وتقريره وتقرير سلفه أن اليقين والهدى لا يستفاد بكلامه ، وان ما عليه عباد القبور هو من الغلو لا من التعظيم الذي هو من لوازم الايمان ، فلا حاجة الى اعادته .

« وقوله : من تأمل القرآن وما تضمنه من التصريح والايماء الى وجوب المبالغة في تعظيمه وتوقيره والأدب معه ، وما كانت الصحابة تعامله به من ذلك ، امتلأ قلبه ايمانا واحتقر هذا الخيال الفاسد واستنكف ان يصغي اليه .

جوابه : أن يقال : أنت وأضرابك من أقل الناس نصيبا من ذلك التعظيم ، وان كان نصيبكم من الغلو الذي ذمه وكرهه ونهى عنه نصيبا وافرا . فان أصل هذا التعظيم وقاعدته التي يبتني عليها هو طاعته فيما أمر ، وتصديقه فيما أخبر . وأنت وأضرابك اكتفيتم من طاعته بأن أقمتم غيره مقامه ، تطيعونه فيما قاله ، وتجعلون كلامه بمنزلة النص المحكم ، وكلام المعصوم ان التفتم اليه بمنزلة المتشابه ، فما وافق نصوص من اتخذتموه من دونه قبلتموه ، وما خالفها تأولتموه او رددتموه أو أعرضتم عنه ووكلتموه الى عالمه . فنحن ننشدكم الله هل تتركون نصوص من قلدتموه لنصه ؟ او تتركون نصه لنص من قلدتموه ، واكتفيتم من خبره عن الله وصفاته بخبر من عظمتموه من المتكلمين الذين أجمع الأئمة الأربعة والسلف على ذمهم والتحذير منهم والحكم عليهم بالبدعة والضلالة فاكتفيتم من خبره عن الله وصفاته بخبر هؤلاء ، وجعلتم خبرهم قواطع عقلية ، وأخباره ظواهر لفظية لا تفيد اليقين ، ولا يجوز تقديمها على أقوال المتكلمين .

ثم مع هذا العزل الحقيقي عظمتم ما يكره تعظيمه من القبور ، وشرعتم فيها وعندها ضد ما شرعه ، وعدتم بهذا التعظيم على مقصوده بالابطال فعظمتم بزعمكم

(1) أي السبكي .

ما يكره تعظيمه ، وتقربتم اليه بما يباعدكم منه ، واستهنتم بالايمان كله في تعظيمه ، ونبذتموه وراء ظهوركم ، واتخذتم من دونــه من عظمتم اقواله غاية التعظيم حتى قدمتموها عليه ، وما اشبه هذا بغلو الرافضة في على رضى الله عنه وهم أشد الناس مخالفة له ، وكذلك غلو النصارى في المسيح وهم من أبعد الناس منه وان ظنوا أنهم معظمون له ، فالشأن كل الشأن في التعظيم الذي لا يتم الايمان الا به ، وهو لازم وملزوم له ، والتعظيم الذي لا يتم الايمان الا بتركه ، فان اجلاله عن هذا الاجلال واجب ، وتعظيمه عن هذا التعظيم متعين •

« وقوله : ان المبالغة في تعظيمه واجبة ، أيريد بها المبالغة بحسب ما يراه كل أحد تعظيما حتى الحج الى قبره ، والسجود له والطواف به ، واعتقاد انه يعلم الغيب ، وانه يعطى ويمنع ويملك لمن استغاث به دون الله الضر والنفع ، وأنه يقضي حوائج السائلين ، ويفرج كربات المكروبين ، وأنه يشفع فيمن يشاء ، ويدخل الجنة من يشاء؟ فدعوى وجوب المبالغة في هذا التعظيم مبالغة في الشرك وانسلاخ من جملة الدين ، أم يريد بها التعظيم الذي شرعه الله ورسوله صلى الله عليه وسلم من وجوب محبته وطاعته ومعرفة حقوقه ، وتصديق أخباره ، وتقديم كلامه على كلام غيره ، ومخالفة غيره لموافقته ولوازم ذلك ؟ فهذا التعظيم لا يتم الايمان الا به ، ولكن هذا المعترض وأضرابه عن ذلك بمعزل ، واذا أخذ الناس منازلهم من هذا التعظيم فمنزلتهم منــه أبعد منزل ، وهو وحقوقه كما قال الاول :

نزلوا بمكة في قبائل هاشم ونزلت بالبيداء أبعد منزل

« وقولوا : ان من ترك شيئا من التعظيم المشروع لمنصب النبوة زاعما بذلك الأدب مع الربوبية الى آخر كلامه ، فنعم ولكن الشأن في التعظيم المشروع وتركه وهل هو الا طاعته وتقديمها على طاعة غيره ، وتقديــم خبره على خبر غــيره ، وتقديــم محبته على محبة الولد والوالد والناس أجمعين • فمن ترك هذا فقد كذب على الله وعصى أمره وترك ما أمر به من التعظيم • وأما جعل قبره الكريم عيدا تشد المطايــا اليه كما تشد الى البيت العتيق ، ويصنع عنده ما يكرهه الله ورسوله ويمقت فاعله ،

ويتخذ موقفا للدعاء وطلب الحاجات وكشف الكربات ، فمن جعل ذلك من دينه فقد كذب عليه وبدل دينه » . انتهى .

هذا آخر ما في الصارم ، ومحصوله ان شيخ الاسلام لا يقول ان نفس الزيارة مما يؤدي الى الشرك ، انما يقول : ان الافراط في تعظيم قبره صلى الله عليه وسلم ــ بأن يجعل قبره الكريم عيدا او يتخذ مسجدا او موقفا ، او تطلب الحاجات عنده ، أو يعتقد وجوب زيارة قبره صلى الله عليه وسلم أو استحبابها استحبابا متأكدا فوق ما ثبت من قوله صلى الله عليه وسلم « فزوروها » أو من فعله صلى الله عليه وسلم في زيارة قبور المسلمين ــ مما يؤدي الى الشرك ، ولا يبعد ان يقال ان نفس الزيارة وان كانت مشروعة عند شيخ الاسلام وجميع المسلمين ولكنها بالنسبة الى العوام والطغام قد تفضي الى الشرك ، فاذن يمنعون عن نفس الزيارة قطعا للذريعة وسدا للوسيلة ، كما لو كانت زيارة قبر أحد غيره صلى الله عليه وسلم بالنسبة الى العوام مفضية الى الشرك فيمنع العوام عن نفس الزيارة هناك أيضا ، وهذا أمر جلي لا يجحده من فهم باب قطع الذرائع وسد الوسائل حق الفهم من أهل الفقه والحديث ، ويدل عليه آيات بينات واحاديث صحيحة وعبارات السلف والخلف من المتقدمين والمتأخرين لم تتعرض لذكرها خشية الاطناب .

* ● *

قوله [1] « ومنها أمران لا بد منهما : احدهما وجوب تعظيم النبي صلى الله عليه وسلم ورفع رتبته عن سائر الخلق ، والثاني افراد الربوبية واعتقاد ان الرب تبارك وتعالى منفرد بذاته وصفاته وأفعاله عن جميع خلقه » .

أقول : لا يخفى ما في هذا الحصر من النظر ، فانه لا بد هناك من أمر ثالث وهو عدم احداث ما ليس من أمر الدين مما لم يأذن به الله ورسوله ، بل من أمر رابع هو الاجتناب عما نهى الله عنه ورسوله ، فمن احدث في أمر الزيارة ما ليس

(١) يعنى قول الشيخ دحلان .

عليه دليل شرعي او ارتكب ما نهى الله عنه ورسوله فقد صار مبتدعا ضالا[1] •

قوله : ومن بالغ في تعظيمه صلى الله عليه وسلم بأنواع التعظيم ولم يبلغ به ما يختص بالباري سبحانه وتعالى فقد أصاب الحق وحافظ على جانب الربوبية والرسالة جميعا ، وذلك هو القول الذي لا افراط فيه ولا تفريط •

أقول : فيه نظر عويص ، فان من انواع التعظيم ما هو محدث ، ومنها ما هو منهي عنه ، مع انهما مما لا يختص بالباري سبحانه وتعالى • فكيف يقال لمرتكبه انه أصاب الحق ؟

قوله : وأما قوله صلى الله عليه وسلم « لا تشد الرحال الا الى ثلاثة مساجد : المسجد الحرام ، ومسجدي هذا ، والمسجد الأقصى » فمعناه أن لا تشد الرحال الى مسجد لأجل تعظيمه والصلاة فيه الا الى المساجد الثلاثة — الى قوله — وهذا التقدير لا بد منه ، ولو لم يكن التقدير هكذا لاقتضى منع شد الرحال للحج والجهاد والهجرة من دار الكفر ولطلب العلم وتجارة الدنيا وغير ذلك ، ولا يقول بذلك أحد •

أقول : عدم التقدير المذكور لو اقتضى منع شد الرحال الى الامور المذكورة فأي محذور فيه ؟ فان الآيات والأحاديث الدالة على وجوبها او جوازها تقع مخصصة لعموم حديث « لا تشد الرحال » ، وبناء العام على الخاص مسألة مشهورة ، على

---

(١) هذه مسألة أخطأ فيها كثير من الناس ، زعموا أنه لا يحظر من تعظيم النبي صلى الله عليه وسلم الا وصفه بالربوبية والألوهية كما قال البوصيري :

دع ما ادعته النصارى فى نبيهم   واحكم بما شئت مدحا فيه واحتكم

وفى معناه :

دعوا مقال النصارى فى نبيهم   يا مادحيه ، ومهما شئتم قولوا

والحق أن التعظيم غير المشروع نوعان : أحدهما كفر وهو ما يختص بالله تعالى ، ومنه الدعاء والاستغاثة فى الشدائد • والآخر معصية كالكذب واختراع الآيات والمعجزات غير المروية بالأسانيد القوية وهو كثير • وكتبه محمد رشيد رضا •

أن ذكر الحج في الأمور المذكورة غفلة شديدة ، اذ حديث « لا تشد الرحال » لا يقتضي منع شد الرحال للحج أصلا[1] .

قوله : قال العلامة ابن حجر في الجوهر المنظم : ومما يدل أيضا لهذا التأويل للحديث المذكور التصريح به في حديث سنده حسن وهو قوله صلى الله عليه وسلم « لا ينبغي للمطي أن تشد رحالها الى مسجد يبتغى الصلاة فيه غير المسجد الحرام ومسجدي هذا والمسجد الأقصى » .

أقول : هذا الحديث رواه أحمد في مسنده عن شهر بن حوشب قال : سمعت أبا سعيد الخدرى وذكر عنده صلاة في الطور فقال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا ينبغي أن تشد رحال الى مسجد ينبغي فيه الصلاة غير المسجد الحرام والمسجد الأقصى ومسجدي هذا . ولا ينبغي لامرأة دخلت في الاسلام ان تخرج من بيتها مسافرة الا مع بعل او ذي محرم منها . ولا ينبغي الصلاة في ساعتين من النهار : من بعد صلاة الفجر الى ان ترتحل الشمس ، ولا بعد العصر الى ان تغرب الشمس . ولا ينبغي الصوم في يومين من الدهر : يوم الفطر من رمضان والاضحى » . قال الهيثمي في مجمع الزوائد قلت : هو في الصحيح بنحوه ، وانما اخرجته لغرابة لفظه انتهى . فحكم الهيثمي عليه بالغرابة .

والجواب عنه بوجوه : (الأول) أن هذا الحديث ضعيف لأن في سنده شهر ابن حوشب ، وهو وان وثقه جماعة من الأئمة فقد جرحه جماعة من النقاد هي أكثر عددا من الأولى .

قال الدارقطني في سننه : شهر بن حوشب ليس بالقوى . وقال في موضع آخر منه : حدثنا صالح بن أحمد قال : سألت موسى بن هرون عن هذا الحديث ، قال : ليس بشيء ، فيه شهر بن حوشب ، وشهر ضعيف اه . وقال مسلم في صحيحه : وحدثنا

---

(١) الاكتفاء بهذا التعليل السلبي قصور في تشنيع غفلة المعترض وبلادته . فكان ينبغي أن يقول : غفلة عن كون شد الرحال الى الحج هي عين شدها الى المسجد الحرام ، أفما قرأت يا دحلان قوله تعالى (ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا) وتفسير الرسول صلى الله عليه وسلم الاستطاعة بالزاد والراحلة ، ثم ألم تعلم أيها المفتى الذكي لم سميت الراحلة راحلة ، وكتبه محمد رشيد .

عبيد الله بن سعيد قال سمعت النضر يقول : سئل ابن عون عن حديث شهر وهو قائم على أسكفة الباب فقال : ان شهرا نزكوه ان شهرا نزكوه[1] • قال ابو الحسين مسلم بن الحجاج : يقول أخذته ألسنة الناس ، تكلموا فيه ، وحدثني حجاج بن الشاعر قال حدثنا شبابة قال : قال شعبة : ولقد لقيت شهرا فلم اعتد به اه • قلت : نقل مسلم جرحه عن ابن عون وشعبة وسكت عليه ولم ينقل توثيقه عن أحد ، وهذا يدل على ان الراجح عنده الجرح ، ومن ثم والله أعلم لم يورد حديثه في صحيحه الا مقرونا بغيره •

وقال الترمذي في جامعه قال أحمد بن حنبل : لا بأس بحديث عبد الحميد ابن بهرام عن شهر بن حوشب • قال محمد[2] : شهر حسن الحديث وقوى أمره ، وقال انما تكلم فيه ابن‌عون • ثم روى‌عن هلال‌بن أبى زينب عن شهربن‌حوشب‌حدثنا أبو داود أخبرنا النضر بن شميل عن ابن عون قال : ان شهرا نزكوه ، قال ابو داود قال النضر : نزكوه أي طعنوا فيه اه • قال الذهبي في الميزان : شهر بن حوشب الأشعري عن أم سلمة وابي هريرة وجماعة ، وعنه قتادة وداود بن أبى هند وعبد الحميد بن بهرام وجماعة . قال احمد : روى عن اسماء بنت يزيد احاديث حسانا • وروى ابن ابي خيثمة ومعاوية بن صالح عن ابن معين ثقة ، وقال أبو حاتم ليس هو بدون أبى الزبير ولا يحتج به ، وقال ابو زرعة : لا بأس به ، وروى النضر بن شميل عن ابن عون قال : ان شهرا نزكوه ، وقال‌النسائي وابن عدى : ليس بالقوى • يحيى ابن أبي بكير الكرماني حدثني أبي قال : كان شهر على بيت المال فأخذ منه دراهم فقال قائل :

لقد باع شهر دينه بخريطة فمن يأمن القراء بعدك يا شهر

(١) نزكوه بالنون والزاى : عابوه وطعنوا فيه . واصله الطعن بالنيزك وهو الرمح القصير ، واستعمل فى الطعن بغير حق علمه الطاعن • قال فى مجاز الأساس : نزكه : عابه بغير ما رأى منه ، وشهر قد نزكوه اه يعنى شهر بن حوشب فهو قد حكى عبارتهم فيه شاهدا ، وكتبه محمد رشيد رضا •

(٢) يعنى البخارى •

وقال الدولابي : شهر لا يشبه حديثه حديث الناس ، كأنه مولع بزمام ناقة النبي صلى الله عليه وسلم ، قال السعدي وقال الفلاس : كان يحيى بن سعيد لا يحدث عن شهر ، وكان عبد الرحمن يحدث عنه .. أبو داود أخبرنا شعبة عن أبى اسحاق عن عبد الله بن عطاء عن عقبة بن عامر ، قال شعبة فلقيت ابن عطاء فسألته فقال : حدثني زياد بن مخراق ، فقدمت على زياد فسألته ، فقال : حدثنى رجل من بني ليث عن مجاهد عن شهر عن حديث عقبة بن عامر عن عمر بن الخطاب في الوضوء . معاذ بن معاذ سألت ابن عون عن حديث هلال بن أبي زينب عن شهر عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم « لا تجف الأرض من دم الشهيد حتى تبتدره زوجتاه » فقال ما يصنع بشهر ؟ ان شعبة قد ترك شهرا . يحيى القطان عن عباد بن منصور قال : حججت مع شهر بن حوشب فسرق عيبتي .

وقال علي بن حفص المدايني : سألت شعبة عن عبد الحميد بن بهرام فقال : صدوق ، الا انه يحدث عن شهر . قال أحمد بن حنبل : عبد الحميد حديثه مقارب من حديث شهر ، وكان يحفظها كأنه يقرأ سورة وهي سبعون حديثا . سيار بن حاتم حدثنا جعفر بن سليمان عن أبي بكر عن شهر بن حوشب قال : لما قتل ابن آدم أخاه مكث آدم مائة سنة لا يضحك ، ثم أنشأ يقول :

تغيرت البلاد ومن عليها ... فوجه الأرض مغبر قبيح
تغير كل ذي لون وطعم ... وقل بشاشة الوجه المليح

اسحاق بن المنذر صدوق ، حدثنا عبد الحميد بن بهرام عن شهر عن ابن عباس مرفوعا قال « لكل نبي حرم وحرمي المدينة » . قال ابن عدى حدثناه محمد بن يحيى المروذى حدثنا اسحق قال أبو عيسى الترمذي قال محمد ــ هو البخاري ــ : شهر حسن الحديث ، وقوى أمره ، وقال أحمد بن عبد الله العجلى ثقة شامى ، وروى عباس عن يحيى : ثبت ، وقال يعقوب بن شيبة شهر ثقة طعن فيه بعضهم ، قال ابن عدى : شهر ممن لا يحتج به ولا يتدين بحديثه : قلت : قد ذهب الى الاحتجاج به جماعة ، فقال حرب الكرمانى عن احمد : ما احسن حديثه ! ووثقه ، وهو حمصى . وروى حنبل عن أحمد : ليس بـه بأس ، وقال الفسوى : شهر وان تكلم فيه ابن عون فهو ثقة ، قلت : أما روايته عن بلال وتميم الدارى فظاهرة الانقطاع ، قال

صالح جزرة : قدم على الحجاز[1] فحدث بالعراق ولم يوقف منه على كذب وكان رجلا يتنسك • وتفرد ثابت عنه عن أم سلمة ان النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن كل مسكر ومفتر • انتهى •

قال المنذرى في الترغيب والترهيب : شهر بن حوشب قال ابن عون نزكوه ، وقال شبابة عن شعبة لقيت شهرا فلم أعتد به ، وقال ابن عدى شهر ممن لا يعتد بحديثه ولا يتدين بدينه ، وقال أبو حاتم : ليس بدون أبي الزبير ولا يحتج به ، وقال النسائي وغيره : ليس بالقوى ، وقال ابو زرعة : لا بأس به ، وقال يعقوب بن شيبة : شهر ثقة طعن فيه بعضهم ، ووثقه ابن معين وأحمد بن حنبل والعجلى والفسوى ، وروى له مسلم مقرونا ، واحتج به غير واحد . انتهى •

وقال النووي في شرح صحيح مسلم : ويدل عليه أيضا أن شهرا ليس متروكا بل وثقه كثيرون من كبار أئمة السلف أو أكثرهم ، فممن وثقه احمدبن‌حنبل ويحيى‌بن معين وآخرون • وقال احمد بن حنبل : ما احسن حديثه ! ووثقه ، وقال احمد بن عبد الله العجلى : هو تابعي ثقة ، وقال ابن أبى خيثمة عن يحيى بن معين : هو ثقة ، ولم يذكر ابن أبى خيثمة غير هذا ، وقال أبو زرعة : لا بأس به ، وقال الترمذي قال محمد — يعني البخاري — شهر حسن الحديث وقوى أمره وقال : انما تكلم فيه ابن عون • ثم روى عن هلال بن أبي زينب عن شهر • وقال يعفوب بن شيبة : شهر ثقة ، وقال صالح بن محمد : شهر روى عنه الناس من أهل الكوفة وأهل البصرة وأهل الشام ولم يوقف منه على كذب وكان رجلا يتنسك أي يتعبد الا انه روى أحاديث لم يشركه فيها أحد • اه •

قال الحافظ في التقريب : شهر بن حوشب الاشعري الشامي مولى أسماء بنت يزيد بن السكن صدوق كثير الارسال والأوهام اه • وقال في الخلاصة : شهر ابن حوشب مولى أسماء بنت يزيد بن السكن أبو سعيد الشامي أرسل عن تميم الداري وسلمان ، وروى عن مولاته وابن عباس وعائشة وأم سلمة وجابر وطائفة ، وعنه قتادة وثابت والحكم وعاصم بن بهدلة ، وثقة ابن معين واحمد ، وقال يعفوب

---

(١) فى الميزان : الحاج • وفى نسخة منه : الحجاج •

ابن سفيان : شهر وان قال ابن عون نزكوه فهو ثقة ، وقال ابن معين ثبت ، وقال النسائي : ليس بالقوى ، وقال أبو زرعة لا بأس به لم يلق عمرو بن عبسة ، وقال البخاري وجماعة : مات سنة مائة وقيل سنة أحدى عشرة • أه •

اذا دريت ما تلونا عليك من العبارات فقد علمت ان القوم قد تحزبوا في شهر ثلاثة أحزاب : فحزب يقتصر على الجرح ، وحزب يقتصر على التوثيق ، وحزب يجمع بين الجرح والتعديل • فمن الأول الدارقطني وموسى بن هارون وابن عون وشعبة ومسلم والنسائي وابن عدى وأبو بكير والدولابي ويحيى بن سعيد وعباد ابن منصور • ومن الثاني أحمد بن حنبل والبخاري والترمذي وابن معين وأبو زرعة والعجلي ويعقوب بن شيبة والفسوى • ومن الثالث أبو حاتم الرازي وصالح بن محمد وابن حجر العسقلاني • ومن البين أن حديث شهر ـ على رأي الحزب الأول ـ ليس مما يحتج به قطعا ، وكذلك على رأى الجامعين بين التوثيق والجرح لا يكون حديثه منفردا قابلا للاحتجاج ، فان أبا حاتم قد نص على انه لا يحتج به ، وأما صالح بن محمد فانه قال : روى احاديث لم يشركه فيها أحد فيكون عنده منكر الحديث ، والحافظ ابن حجر قد صرح بأنه كثير الارسال والأوهام ، وقد ثبت في الأصول أن حديث منكر الحديث وكثير الأوهام مما لا يحتج به •

قال ابن الصلاح : ولا تقبل رواية من كثرت الشواذ والمناكير في حديثه ، جاء عن شعبة أنه قال : لا يجيئك الحديث الشاذ الا من الرجل الشاذ ، ولا تقبل رواية من عرف بكثرة السهو في رواياته اذا لم يحدث من أصل صحيح اه • وأيضا من شرائط من يحتج بروايته ان يكون عدلا ضابطا لما يرويه • وكونه منكر الحديث كثير الأوهام مشعر بعدم ضبطه ، فيكون حديثه على رأي أربعة عشر اماما مما لا يحتج به ، وعلى رأي ثمانية أئمة مما يحتج به ، وكثرة العدد من المرجحات كما تقرر في الأصول •

قال الحافظ في الفتح ، باب الخلع : ويؤخذ من اخراج البخاري هذا الحديث في الصحيح فوائد : منها أن الأكثر اذا وصلوا وأرسل الأقل قدم الواصل ولو كان الذي ارسل احفظ ، ولا يلزم منه أنه تقدم رواية الواصل على المرسل دائما اه •

فالراجح ان حديث شهر مما لا يحتج به منفردا ، ومن ثم لم يرو عنه مسلم الا مقرونا بغيره ، على ان الجرح مقدم على التعديل •

قال ابن الصلاح في مقدمته : اذا اجتمع في شخص جرح وتعديل فالجرح مقدم ، لأن المعدل يخبر عما ظهر من حاله والجارح يخبر عن باطن خفي على المعدل ، فان كان عدد المعدلين أكثر فقد قيل التعديل أولى ، والصحيح الذي عليه الجهمور ان الجرح اولى لما ذكرنا اه • فان قلت : الجرح المبهم غير مقبول وجرح شهر كذلك فلا يقبل • قلت : بعض جروحه مفسر كجرح أبى بكير حيث قال : كان شهر على بيت المال فأخذ منه دراهم ، وكجرح عباد بن منصور فانه قال حججت مع شهر بن حوشب فسرق عيبتي • والبعض الآخر وان كان مبهما والجرح المبهم لا يقبل ، ولكن يقبل لأن يتوقف في قبول حديثه •

قال ابن الصلاح في مقدمته : ولقائل ان يقول انما يعتمد الناس في جرح الرواة ورد حديثهم على الكتب التيصنفها أئمة الحديث في الجرح او في الجرح والتعديل ، وقلما يتعرضون لبيان السبب ، بل يقتصرون على مجرد قولهم فلان ضعيف ، وفلان ليس بشيء . ونحو ذلك أو « هذا حديث ضعيف ، وهذا حديث غير ثابت » ونحو ذلك ، فاشتراط بيان السبب يفضي الى تعطيل ذلك وسد باب الجرح في الأغلب والأكثر • وجوابه أن ذلك وان لم نعتمده في اثبات الجرح والحكم به فقد اعتمدناه في ان توقفنا عن قبول حديث من قالوا فيه مثل ذلك ، بناء على ان ذلك اوقع عندنا فيهم ريبة قوية يوجب مثلها التوقف ، ثم من انزاحت عنه الريبة منهم ببحث عن حاله أوجب الثقة بعدالته قبلنا حديثه ولم تتوقف ، كالذين احتج بهم صاحبا الصحيحين وغيرهما ممن مسهم مثل هذا الجرح من غيرهم ، فافهم ذلك فانه مخلصحسن • اه •

ولو سلم أن شهرا عدل ضابط ، فعلى هذا أيضا لا يقبل حديثه لأنه شاذ رواه مخالفا لمن هو اوثق وأحفظ وأضبط منه ، فان قزعة مولى زياد روى عن ابى سعيد الخدرى هذا الحديث وليس فيه ذكر المستثنى منه •

قال البخاري في صحيحه [1] : حدثنا أبو الوليد قال : حدثنا شعبة عن عبد

(١) رواه فى باب مسجد بيت المقدس (فتح البارى) قبل أبواب العمل فى الصلاة •

الملك قال : سمعت قزعة مولى زياد قال : سمعت أبا سعيد الخدري يحدث بأربع عن النبي صلى الله عليه وسلم فأعجبنني وآنقننى[1] قال : « لا تسافر المرأة يومين الا ومعها زوجها أو ذو محرم • ولا صوم في يومين : الفطر والأضحى ، ولا صلاة بعد الصبح حتى تطلع الشمس ، وبعد العصر حتى تغرب الشمس ، ولا تشد الرحال الا الى ثلاثة مساجد : مسجد الحرام ، ومسجد الأقصى ، ومسجدى •

وقال مسلم في صحيحه حدثنا قتيبة بن سعيد وعثمان بن أبى شيبة جميعا عن جرير ، قال قتيبة : حدثنا جرير عن عبد الملك وهو ابن عمير عن قزعة عن أبي سعيد قال : سمعت منه حديثا فاعجبني ، فقلت له : أنت سمعت هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : فأقول على رسول الله صلى الله عيه وسم ما لم أسمع ؟ قال : ما سمعته يقول ؟ قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا تشدوا الرحال الا الى ثلاثة مساجد : مسجدي هذا ، والمسجد الحرام ، والمسجد الاقصى » وسمعته يقول « لا تسافر المرأة يومين من الدهر الا ومعها ذو محرم منها أو زوجها »•

وقال الترمذي في جامعه : حدثنا ابن ابي عمر أخبرنا سفيان بن عيينة عن عبد الملك بن عمير عن قزعة عن ابى سعيد الخدرى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا تشد الرحال الا الى ثلاثة مساجد : مسجد الحرام ، ومسجدي هذا ، ومسجد الاقصى » قال : هذا حديث حسن صحيح • اه •

ومن اجل ذلك حكم صاحب مجمع الزوائد على حديث شهر بالغرابة ، وقزعة اثبت من شهر ، وحسبك في توثيقه انه من رجال الصحيحين ولا اعلم احدا ذكره بجرح ، ولذا والله أعلم لم يذكره الذهبى في الميزان لأنه موضوع لذكر الضعفاء ، ولو كان فيه جرح خفيف وجرحه من لا يعتمد على جرحه •

وروى قزعة وغيره عن غير ابى سعيد هذا الحديث ، وليس فيه أيضا ذكر

(٢) اعجبني الشيء استحسنته ، وآنقنى راعنى حسنه او اتقانه ، فهو اخص مما قبلـه ، وقل من يدقق فى التفرقة بينهما •

المستثنى منه ، فقد روى سعيد عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « لا تشد الرحال الا الى ثلاثة مساجد : المسجد الحرام ، ومسجد الرسول ، ومسجد الأقصى » هذا لفظ البخارى • ولفظ مسلم في رواية هكذا « لا تشد الرحال الا الى ثلاثة مساجد : مسجدي هذا ، ومسجد الحرام ، ومسجد الأقصى » • وفي رواية « تشد الرحال الى ثلاثة مساجد » •

وروى سلمان الأغر عن ابى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « انما يسافر الى ثلاثة مساجد : مسجد الكعبة ، ومسجدي ، ومسجد ايليا » رواه مسلم •

وروى أبو سلمة عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا تشد الرحال الا الى ثلاثة مساجد : الكعبة ، ومسجدي هذا ، ومسجدالأقصى » رواه الدارمى • وروى حجية بن عدى عن على قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا تشد الرحال الا الى ثلاثة مساجد ، مسجدي هذا ، والمسجد الحرام ، والمسجد الأقصى » رواه الطبراني في المعجم الصغير •

وروى قزعة عن عبد الله بن عمرو بن العاص ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « لا تشد الرحال الا الى ثلاثة مساجد : الى المسجد الحرام ، والى المسجد الأقصى ، والى مسجدي هذا » رواه ابن ماجه •

وروى ابو سلمة بن عبد الرحمن من حديث أبي هريرة عن بصرة بن أبي بصرة الغفاري قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « لا تعمل المطى الا على ثلاثة مساجد : الى المسجد الحرام ، والى مسجدي هذا ، والى مسجد ايلياء أو بيت المقدس » رواه مالك في الموطأ • قال ابن عبد البر الصواب أبا بصرة[1] واسمه جميل بن أبي بصرة ، والغلط من يزيد لا من مالك ، وفي التقريب أبو بصرة الغفاري جميل بن بصرة اهـ فيكون حديث شهر شاذا مردودا •

قال السيوطي في التدريب في بيان الشاذ « فالصحيح التفصيل : فان كان

(١) كذا فى الأصل ومقتضى الاعراب : أبو بصرة •

الثقة بتفرده مخالفا لمن هو احفظ منه وأضبط » عبارة ابن الصلاح : لما رواه من هو أولى منه بالحفظ لذلك ، وعبارة شيخ الاسلام : لمن هو ارجح منه لمزيد ضبط او كثرة عدد او غير ذلك من وجوه الترجيحات « كان ما انفرد به شاذا مردودا » •

قال شيخ الاسلام : ومقابله يقال له المحفوظ قال : مثاله ما رواه الترمذي والنسائي وابن ماجه من طريق ابن عيينة عن عمرو بن دينار عن عوسجة عن ابن عباس « ان رجلا توفى على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يدع وارثا الا مولى هو أعتقه » الحديث ، وتابع ابن عيينة على وصله ابن جريج وغيره ، وخالفهم حماد بن زيد فرواه عن عمرو بن دينار عن عوسجة ولم يذكر ابن عباس ، قال أبو حاتم : المحفوظ حديث ابن عيينة •

قال شيخ الاسلام : فحماد بن زيد من اهل العدالة والضبط ومع ذلك رجح أبو حاتم رواية من هم اكثر عددا منه قال : وعرف من هذا التقرير أن الشاذ ما رواه المقبول مخالفا لمن هو أولى منه قال ، وهذا هو المعتمد في حد الشاذ بحسب الاصطلاح •

ومن امثلته في المتن ما رواه ابو داود والترمذي من حديث عبد الواحد بن زياد عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة مرفوعا « اذا صلى احدكم ركعتي الفجر فليضطجع على يمينه » قال البيهقي خالف عبد الواحد العدد الكثير في هذا ، فان الناس انما رووه من فعل النبي صلى الله عليه وسلم لا من قوله ، وانفرد عبد الواحد من بين ثقات اصحاب الأعمش بهذا اللفظ • انتهى •

قال الذهبي في الميزان : عبد الواحد بن زياد ، ابو بشر العبدي البصري أحد المشاهير احتجا به في الصحيحين وتجنبا تلك المناكير التي نقمت عليه فيحدث عن الأعمش بصيغة السماع عن أبي صالح عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اذا صلى احدكم الركعتين قبل الصبح فليضطجع على يمينه » أخرجه أبو داود • انتهى •

وقال السيوطي في بحث المنكر : مثال الاول ، وهو المنفرد المخالف لما رواه

الثقات ، روايـة مالك عن الزهري عن علي بن حسين عن عمر بن عثمان عن أسامة ابن زيد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « لا يرث المسلم الكافر ولا الكافر المسلم » فخالف مالك غيره من الثقات في قوله « عمر بن عثمان » بضم العين .

وذكر مسلم في التمييز ان كل من رواه من اصحاب الزهري قال بفتحها وأن مالكا وهم في ذلك .

قال العراقي : وفي هذا التمثيل نظر ، لأن الحديث ليس بمنكر ، ولم يطلق عليه أحد اسم النكارة فيما رأيت ، وغايته ان يكون السند منكرا او شاذا لمخالفة الثقات لمالك ، ولا يلزم من شذوذ في السند ونكارته وجود ذلك الوصف في المتن .

وقد ذكر ابن الصلاح في نوع المعل أن العلة الواقعة في السند قد تقدح في المتن وقد لا تقدح كما سيأتي ، قال فالمثال الصحيح لهذا القسم ما رواه اصحاب السنن الأربعة من رواية همام بن يحيى عن ابن جريج عن الزهري عن أنس رضى الله عنه قال « كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا دخل الخلاء وضع خاتمه » قال ابو داود بعد تخريجه : هذا حديث منكر ، وانما يعرف عن ابن جريج عن زياد بن سعد عن الزهري عن أنس « ان النبي صلى الله عليه وسلم اتخذ خاتما من ورق ثم ألقاه » قال والوهم فيه من همام ولم يروه الا همام ، وقال النسائي بعد تخريجه : هـذا حديث غير محفوظ ، فهمام بن يحيى ثقة احتج به أهل الصحيح ولكن خالف الناس فروى عن ابن جريج هذا المتن بهذا السند ، وانما روى الناس عن ابن جريج الحديث الذي أشار اليه ابو داود . فلهذا حكم عليه بالنكارة . اه .

قال المؤلف : قد علم من العبارة المنقولة ان العلة الواقعة في السند قد تقـدح في المتن ومثل لها ابن الصلاح بالارسال والوقف ، وكم من احاديث رواتها ثقات عدت من الشواذ لمخالفة روايات الثقات ، وتلك المخالفة الموجبة لشذوذها قد تكون في السند بحيث توجب شذوذ المتن أيضا ، وقد تكون في نفس المتن .

فمن أمثلة القسم الأول حديث محمـد بن فضيل عن الأعمش عن ابى صالح عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ان للصلاة اولا وآخرا » قال الترمذي في جامعه قال أبو عيسى : سمعت محمدا يقول : حديث الأعمش عن

مجاهد في المواقيت أصح من حديث محمد بن فضيل عن الأعمش ، وحديث محمد بن فضيل خطأ أخطأ فيه محمد بن فضيل : حدثنا هناد حدثنا أبو أسامة عن أبي اسحاق الفزاري عن الأعمش عن مجاهد قال : كان يقال ان للصلاة اولا وآخرا ، فذكر نحو حديث محمد بن فضيل عن الأعمش ، نحوه بمعناه اه • وقال الدارقطنى : هذا لا يصح مسندا ، وهم في اسناده ابن فضيل ، وغيره يرويه عن الأعمش عن مجاهد مرسلا ، أخبرنا أبو سهل بن زياد أخبرنا محمد بن أحمد بن النضر حدثنا معاوية بن عمرو أخبرنا زائدة عن الأعمش عن مجاهد قال : كان يقال ان للصلاة اولا وآخرا ، ثم ذكر هذا الحديث وهو أصح من قول ابن فضيل ، وقد تابع زائدة عبثر بن القاسم• وحدثنا ابو بكر الشافعي حدثنا محمد بن شاذان أخبرنا معلى بن منصور أخبرني أبو زبيد ــ وهو عبثر ــ أخبرنا الأعمش عن مجاهد عن النبي صلى الله عليه وسلم نحوه ، اه • مع ان محمد بن فضيل ثقة من رجال الصحيحين •

قال الذهبي في الميزان : ان محمد بن فضيل بن غزوان كوفى صدوق مشهور كان صاحب حديث ومعرفة ، وثقه ابن معين ، وقال أحمد : حسن الحديث شيعي ، وقال النسائي : لا بأس به ، اه ملخصا . وقال الحافظ في التقريب : صدوق عارف ، رمى بالتشيع اه • وقال أبو زرعة : صدوق كذا في التهذيب ، وقال الذهبي في الكاشف : ثقة شيعي اه •

ومنها حديث ابي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا يغلق الرهن من صاحبه الذي رهنه ، له غنمه وعليه غرمه » • عند جماعة قال الحافظ في البلوغ : رواه الدارقطني والحاكم ورجاله ثقات ، الا ان المحفوظ عند ابي داود وغيره ارساله •

ومنها حديث ابن عمر رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « من وهب هبة فهو أحق بها ما لم يثب عليها » قال الحافظ في البلوغ : رواه الحاكم وصححه ، والمحفوظ من رواية ابن عمر عن عمر من قوله اه • وقال في تخريج الهداية : وعن ابن عمر أخرجه الحاكم والدارقطني واسناده صحيح ، الا ان البيهقي قال : غلط فيه عبيد الله بن موسى عن حنظلة عن سالم عنه ، والصواب رواية ابن وهب عن حنظلة عن سالم عن ابن عمر عن عمر قوله ، وهكذا قال ابن عيينة عن عمرو عن سالم • انتهى •

وقال الدارقطني : حدثنا أبو على الصفار من أصل كتابه حدثنا على بن سهل بن المغيرة حدثنا عبيد الله بن موسى أخبرنا حنظلة عن أبي سفيان قال : سمعت سالم بن عبد الله عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « من وهب هبة فهو أحق بها ما لم يثب منها » لا يثبت هذا مرفوعا ، والصواب عن ابن عمر عن عمر مرفوعا . انتهى ما في سنن الداقطنى ، هكذا في النسخة المكتوبة في سنة تسع وعشرين وسبع مائة المقروءة على ابن الجزرى بلفظ : والصواب عن ابن عمر عن عمر مرفوعا . ولعله من سهو الناسخ ، والصواب : عن ابن عمر عن عمر موقوفا كما قال الحافظ . والله أعلـــــم .

ومنها حديث عكرمة أن أخت عبد الله بن أبي أتت النبي صلى الله عليه وسلم فقالت : يا رسول الله ثابت بن قيس ما أعتب عليه في خلق ولا دين ، الحديث الذي روى مرسلا ، فان البخاري قدم هناك الموصول على المرسل لكثرة الواصلين .

قال الحافظ في الفتح : ويؤخذ من اخراج البخاري هذا الحديث في الصحيح فوائد : (منها) ان الاكثر اذا وصلوا وأرسل الاقل قدم الواصل ، ولو كان الذي أرسل أحفظ ، ولا يلزم منه أنه تقدم رواية الواصل على المرسل دائما . (ومنها) أن الراوي اذا لم يكن في الدرجة العليا من الضبط ووافقه من هو مثله اعتضد وقاومت الروايتان رواية الضابط المتقن ، انتهى . مع ان رجاله كلهم ثقات أثبات .

ومن أمثلة القسم الثاني حديث عبد الرحمن بن سابط عن أبى أمامة رضى الله عنه قال : قيل يا رسول الله أي الدعاء أسمع ؟ قال « جوف الليل الآخر ، ودبر الصلوات المكتوبات » رواه الترمذي .

قال الحافظ في شرح الأذكار : قال الترمذي : هذا حديث حسن غريب ، وفيما قاله نظر لأن فيه عللا : (منها) الشذوذ فانـــه جاء عن خمسة من اصحاب أبي أمامة أصل الحديث من رواية صاحب النبي صلى الله عليه وسلم عن عمرو بن عبســـة واقتصروا كلهم على الشق الأول ، انتهى ملخصا ، مع ان عبد الرحمن بن ســـابط ثقة من رجال صحيح مسلم . (ومنها) حديث أبي اسحاق عن الأسود عن عائشـــة قالت : كان النبي صلى الله عليه وسلم ينام وهو جنب ولا يمس ماء رواه الترمذي .

قال : وقد روى غير واحد عن الأسود عن عائشة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان يتوضأ قبل أن ينام ، وهذا أصح من حديث أبى اسحاق عن الأسود ، وقد روى عن أبي اسحاق هذا الحديث شعبة والثوري وغير واحد ، ويرون أن هذا غلط من أبى اسحاق ، انتهى • مع أن أبا اسحاق ثقة من رجال الصحيحين •

(ومنها) حديث أبى قيس عن هزيل بن شرحبيل عن المغيرة بن شعبة قال : توضأ النبي صلى الله عليه وسلم ومسح على الجوربين والنعلين رواه الترمذي ، فان راويه عبد الرحمن بن ثروان أبا قيس الأودي مع أنه ثقة وثقه ابن معين وغيره وهو من رجال صحيح البخاري لما خالف الثقات في رواية هذا الحديث عد حديثه هذا من الشواذ ، فان نافع بن جبير روى هذا الحديث عن عروة بن المغيرة عن أبيه المغيرة بن شعبة أخرجها البخاري ومسلم والنسائي وابن ماجه ، وان عامرا الشعبى رواه عن عروة بن المغيرة عن أبيه أخرجها البخاري ومسلم وأبو داود والدارمى والدار قطنى ، وان أشعث رواه عن الاسود بن هلال عن المغيرة أخرجها مسلم ، وان مسلما رواه عن مسروق عن المغيرة بن شعبة أخرجها مسلم والنسائي ، وان بكر بن عبد الله المزنى رواه عن عروة بن المغيرة بن شعبة عن أبيه اخرجها مسلم ، وان ابن سيرين رواه عن عمرو بن موهب الثقفي عن المغيرة بن شعبة اخرجها النسائي والدارقطنى ، وان عبد الرحمن بن أبى الزناد رواه عن أبيه عن عروة بن الزبير عن المغيرة بن شعبة أخرجها أبو داود والترمذي والدارقطني ، وان عباد بن زيد رواه عن عروة بن المغيرة بن شعبة عن أبيه رواه أبو داود ومالك بغير ذكر عروة ، وان قتادة رواه عن الحسن وعن زرارة بن أوفى عن المغيرة بن شعبة أخرجها ابو داود ، وان بكر بن عامر البجلى رواه عن عبد الرحمن بن أبى أنعم عن المغيرة بن شعبة أخرجها أبو داود ، وان اسماعيل بن محمد بن سعد رواه عن حمزة بن المغيرة بن شعبة عن أبيه ، وان بكر بن عبد الله المزنى رواه عن حمزة بن المغيرة بن شعبة عن ابيه اخرجها النسائي ، وان بكر بن عبد الله المزنى رواه عن ابن المغيرة عن أبيه أخرجها ابو داود والنسائي والدارقطني ، وليس في رواية هؤلاء الثقات الأثبات المسح على الجوربين ومن أجل ذلك ضعفه الأئمة •

قال النسائي : لا اعلم احدا تابع أبا قيس ، والصحيح عن المغيرة المسح على

الخفين ، وقال أبو داود : كان ابن مهدي لا يحدث به ، وقال البيهقى ضعف هـذا الحديث الثوري وابن مهدي وابن معين واحمد وابن المدينى ومسلم ، كذا في تخريج الهداية للحافظ ابن حجر .

* ● *

قوله : وأما التوسل فقد صح صدوره من النبي صلى الله عليـه وسلم ، فقد صح في أحاديث كثيرة منها أنه صلى الله عليه وسلم كان من دعائه « اللهـم اني أسألك بحق السائلين عليك » ، وهذا توسل لا شك فيه . وصح في أحاديث كثيرة أنه كان يأمر اصحابه أن يدعوا بها ، فمنها ما رواه ابن ماجه بسند صحيح عن أبى سعيد الخدري رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من خرج من بيته الى الصلاة فقال : اللهم اني أسألك بحق السائلين عليك ، وأسألك بحق ممشاى هذا اليك ، فانى لم أخرج أشرا ولا بطرا ولا رياء ولا سمعة » اه .

أقول في حديث أبى سعيد كلام من وجوه :

(الأول) أن في سنده عطية بن سعد العوفى ، وهو وان كان ممن اختلف في الاحتجاج به لكن الراجح والمحقق أنه ضعيف ، وها أنا أذكر عبارات القوم ثـم أرجح ما هو الراجح فنقول : قال الذهبي في الميزان : عطية بن سعد العوفي الكوفي تابعى شهير ضعيف عن ابن عباس وأبى سعيد وابن عمر ، وعنه مسعر وحجاج بن أرطاة وطائفة وابنه الحسن ، قال أبو حاتـم : يكتب حديثه ضعيف ، وقال سـالم المرادى : كان عطية يتشيع ، وقال ابن معين : صالح ، وقال أحمد : ضعيف الحديث ، وكان هشيم يتكلم في عطية .

وروى ابن المدينى عن يحيى قال : عطية وأبو هارون وبشر بن حرب عندى سواء . وقال أحمد : بلغنى أن عطية كان يأتى الكلبى فيأخـذ عنه التفسير وكان يكنيه بأبي سعيد فيقول قال أبو سعيد : قلت : يعنى يوهم انـه الخدرى . وقال النسائي وجماعة : ضعيف اه . وقال المنذرى في الترغيب والترهيب : عطية بن سعد العوفى قال أحمد وغيره : ضعيف الحديث ، وقال أبو حاتم : ضعيف يكتب حديثه ، ووثقه ابن معين وغيره ، وحسن له الترمذي غير ما حديث ، وأخرج حديثه ابن خزيمة في صحيحه وقال : في القلب من عطية شيء . اه .

وقال الحافظ ابن القيم في الهدى في بيان سنة الجمعة : عطية العوفى قال البخارى كان هشيم يتكلم فيه ، وضعفه احمد وغيره • وقال البيهقي : عطية العوفي لا يحتج به ومبشر بن عبيد الحمصى منسوب الى وضع الحديث ، والحجاج بن أرطاة لا يحتج به •

قال بعضهم : ولعل الحديث انقلب على بعض هؤلاء الثلاثة الضعفاء لعدم ضبطهم واتقانهم • اه • ملخصا • وقال الحافظ ابن حجر في التقريب : عطية بن سعد ابن جنادة بضم الجيم بعدها نون خفيفة العوفى الجدلى بفتح الجيم والمهملة الكوفى أبو الحسن صدوق ، يخطىء كثيرا ، كان شيعيا مدلسا من الثالثة ، مات سنة احدى عشرة [1] • اه •

وقال الذهبى في الكاشف : عطية بن سعد العوفى أبو الحسن عن أبي سعيد وطائفة وعنه ابناه عمر والحسن ومسعر ومرة وخلق ، ضعفوه ، مات سنة ١١١ أه • وقال الحافظ صفى الدين بن أحمد بن عبد الله الخزرجي في الخلاصة : عطية بن سعد بن جنادة العوفى بفتح المهملة واسكان الواو بعدها فاء الجدلى بفتح الجيم أبو الحسن الكوفى عن أبي هريرة وأبى سعيد وابن عباس ، وعنه ابناه عمر والحسن واسماعيل ابن أبى خالد ومسعر وخلق ، ضعفه الثورى وهشيم وابن عدى ، وحسن له الترمذي احاديث ، قال مطين : مات سنة احدى عشرة ومائة • اه •

وقال في التهذيب : قال ابو حاتم وابن سعد مع ضعفه يكتب حديثه اه • وقال المنذري في تلخيصه لسنن أبي داود : عطية ضعيف الحديث ، وقال في غير ما موضع لا يحتج بحديثه ، وقال في موضع : في اسناده محمد بن الحسن بن عطية العوفى عن أبيه عن جده وثلاثتهم ضعفاء ، وقال في موضع : في اسناده عطية العوفى وهو ضعيف ، وقال الحافظ ابن حجر في تلخيص الحبير تحت حديث أبى سعيد « من أسلف في شىء فلا يصرفه الى غيره » أبو داود وابن ماجه ، وفيه عطية بن سعد العوفى وهو ضعيف ، وأعله أبو حاتم والبيهقي وعبد الحق وابن القطان بالضعف والاضطراب • اه •

(١) أى بعد المائة •

وقال الهيثمي في مجمع الزوائد : عطية مختلف في الاحتجاج به ، وفي موضع : وفيه الحجاج بن أرطاة وعطية وكلاهما فيه كلام ، وفي موضع : وفيه عطية وثقه ابن معين وضعفه جماعة تضعيفا لينا اه • وقال الدارقطنى في سننه تحت حديث عبد الله بن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « طلاق الأمة اثنتان وعدتها حيضتان » وحديث عبد الله بن عيسى عن عطية عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم منكر غير ثابت من وجهين : (أحدهما) ان عطية ضعيف وسالم ونافع اثبت منه واصح رواية ، (والوجه الآخر) ان عمر بن شبيب ضعيف الحديث لايحتج بروايته والله أعلم • اه •

فهذه عبارات القوم في عطية ، وقد اتضح من هذه العبارات أمور : (الأول) أن الذهبي مختاره التضعيف حيث قال في حقه في الميزان : تابعى شهير ضعيف • يؤيد ما قاله في الكاشف من قوله ضعفوه ، ولم ينقل هناك القول بالتوثيق ، فعلم أنه رجح التضعيف : وقال في الميزان في ترجمة الحكم بن فضيل عن عطية العوفى : (قلت) وقد وثقه أبو داود وعطية واه • وقال في الميزان في ترجمة فضيل بن مرزوق: وقال ابن حبان منكر الحديث جدا ، كان ممن يخطىء على الثقات ، ويروى عن عطية الموضوعات • (قلت) عطية أضعف منه اه ، وكذا اختار الحافظ ابن القيم تضعيفه في الهدى ، وكذا المنذرى في تلخيصه لسنن ابي داود في غير ما موضع ، والحافظ ابن حجر في تلخيص الحبير ، والدارقطني في سننه •

(والثانى) أن عطية وأبا هارون وبشر بن حرب سواء كما نقل عن يحيى ، أما أبو هارون فاسمه عمارة بن جوين • قال الذهبي في الميزان : عمارة بن جوين أبو هارون العبدي تابعي لين بمرة ، كذبه حماد بن زيد • وقال شعبة : لأن اقدم فتضرب عنقي أحب الى من ان احدث عن ابى هارون • وقال أحمد : ليس بشىء ، وقال ابن معين : ضعيف لا يصدق في حديثه • وقال النسائي متروك الحديث • وقال الدار قطنى : متلون خارجي وشيعى ، فيعتبر بما روى عنه الثورى • وقال ابن حبان: كان يروى عن أبى سعيد ما ليس من حديثه • وروى معاوية بن صالح عن يحيى : ضعيف ، يحيى القطان قال قال شعبة : كنت أتلقى الركبان أسأل عن أبى هارون العبدى فقدم ، فرأيت عنده كتابا فيه أشياء منكرة في على رضى الله عنه فقلت : ما

هذا الكتاب ؟ قال : هذا الكتاب حق ، قال القطان : لم يزل ابن عون يروى عن أبى هارون حتى مات ، قال الجوزجانى : أبو هارون كذاب مفتر ، ابن عدى حدثنا الحسن بن سفيان حدثنى عبد العزيز بن سلام حدثني على بن مهران سمعت بهز بن أسد سمعت شعبة يقول : أتيت أبا هارون فقلت أخرج الى ما سمعته من ابي سعيد ، فأخرج الى كتابا فاذا فيه حدثنا ابو سعيد ، ان عثمان ادخل حفرته وانه لكافر بالله . فدفعت الكتاب في يده وقمت . الأثرم حدثنا يحيى بن آدم حدثنا معلى بن خالد قال لى شعبة : لو شئت ان يحدثني ابو هارون العبدى عن أبى سعيد بكل شيء ارى أهل واسط يصنعونه بالليل لفعلت .

وقال ابن معين : كانت عند ابى هارون صحيفة يقول : هذه صحيفة الوصي ، قال السليماني : سمعت ابا بكر بن حامد يقول سمعت صالح بن محمد أبا علي وسئل عن ابى هارون العبدي فقال : أكذب من فرعون .

ابو أحمد الزبيري حدثنا سفيان عن ابي هارون سمعت أبا سعيد قال : كانت لي جارية كنت أعزل عنها فولدت احب الناس الي . رواه محمد بن كثير عن الثورى . وبالاسناد الثاني عن أبي سعيد مرفوعا « اذا ضرب احدكم خادمه فذكر الله فارفعوا أيديكم » اهـ .

وأما بشر بن حرب فقال الذهبي في الميزان : بشر بن حرب ابو عمرو الندبي البصري والندب حي من الأزد ، له عن ابي سعيد وجماعة ، وعنه شعبة وحماد بن زيد ، ضعفه علي ويحيى ، وقال احمد : ليس بالقوى ، وقال ابن خراش : متروك ، وكان حماد بن زيد يمدحه وقال محمد بن عثمان بن أبى شيبة : سألت ابن المدينى عنه فقال : كان ثقة عندنا ، وقال ابن عدى : لا بأس به عندي ، لا اعرف له حديثا منكرا .

وحيث كان عطية سواء لهما [1] صدق عليه انه لين بمرة ، كذاب ، ليس بشيء ، لا يصدق في حديثه ، متروك الحديث ، كذاب ، مفتر ، أكذب من فرعون . فعلم ان في عطية كلاما شديدا لا كما قال الهيثمي . وضعفه جماعة تضعيفا لينا . والغرض

(١) أي مساويا لبشر بن حرب وأبى هارون عمارة بن جوين المار ذكرهما .

من نقل هذا ليس أن اطلاق تلك الكلمات عليه مختار عندي ، فان المختار عندي قول أبي حاتم : ضعيف يكتب حديثه ، فانه اعدل الأقوال وأصوبها ، ولكن المقصود التنبيه على خطأ الهيثمي في قصر التضعيف على تضعيف لين ،

(والثالث) أنه مدلس كما صرح به الحافظ ابن حجر ، ويدلس شر تدليس كما قال الامام أحمد ، بلغني ان عطية كان يأتي الكلبى فيأخذ عنه التفسير ، وكان يكنيه بأبي سعيد فيقول قال ابو سعيد : يعنى يوهم انه الخدرى ، فهذا تدنيس أي تدليس ، قال في توضيح الافكار : فان صادف شهرة راو ثقة يمكن اخذ ذلك الراوي عنه فمفسدته أشد كما وقع لعطية العوفى في تكنية محمد بن السائب الكلبى أبا سعيد فكان اذا حدث عنه يقول حدثني ابو سعيد ، فيوهم انه أبو سعيد الخدرى ، لأن عطية كان قد لقيه وروى عنه ، وهذا اشد ما بلغنا من مفسدة تدليس الشيوخ اه يعنى ما قال الحافظ ابن حجر ، اه ،

(والرابع) ان جماعة من النقاد اعلوا حديث أبى سعيد « من أسلف في شيء فلا يصرفه الى غيره » بالضعف كما نقله الحافظ في تلخيص الحبير مع ان رواته كلهم الى عطية موثقون ، فما جاء فيه الضعف الا من قبله ، فان سنده في سنن ابى داود هكذا : حدثنا محمد بن عيسى أخبرنا أبو بدر عن زياد بن خيثمة عن سعد ــ يعنى الطائي ــ عن عطية بن سعد عن ابى سعيد الخدري ،

وفي سنن ابن ماجه هكذا : حدثنا محمد بن عبد الله بن نمير حدثنا شجاع ابن الوليد حدثنا زياد بن خيثمة عن سعد عن عطية عن ابى سعيد ، وفي رواية أخرى هكذا : حدثنا عبد الله بن سعيد حدثنا شجاع بن الوليد عن زياد بن خيثمة عن عطية عن أبى سعيد ، قال ابن ماجه فذكر مثله ، لم يذكر سعدا ، أما محمد ابن عيسى فقال الحافظ في التقريب : محمد بن عيسى بن نجيح ابو جعفر الطباع البغدادي نزيل أذنة[1] ثقة فقيه ، كان من اعلم الناس بحديث هشيم ، من العاشرة مات سنة اربع وعشرين وله أربع وسبعون اه ،

وقال في الخلاصة : محمد بن عيسى بن نجيح البغدادي ابو جعفر الطباع سكن

(١) أذنة هي التى يسميها الترك أطنه ، وهي فى الأصل من سورية ،

أذنــة ، عن محمد بن مطرف وابن ابراهيم بن سعد وهشيم وخلق ، وعنه البخاري تعليقا وأبو داود والذهلى والدرامى ، وقال ابو حاتم : ثقة مأمون ، وقال ابو داود وكان يحفظ نحوا من أربعين ألف حديث • اه •

وقال في الكاشف : محمد بن عيسى بن الطبــــاع ابو جعفر أخو اسحاق ويوسف ، نزل أذنة ، وروى عن مالك وأبى غسان ومحمد بن مطرف وعبدة ، وعنه الدارمى واحمد بن جليد الحلبي وعلق له البخارى ، وكان حافظا مكثرا فقيها ، قال وكان يحفظ نحوا من اربعين ألف حديث ، وقال ابو حاتم : ثقة مأمون ، ما رأيت أحفظ للأبواب منه • اه •

وأما أبو بدر فاسمه شجاع بن الوليد قال في التقريب : شجاع بن الوليــد ابن قيس السكونى ابو بدر الكوفى صدوق ورع له أوهام ، من التاسعة ، مات سنة أربــع ومائتين اه • ورمز له الحافظ ع الدال على أنه روى له أصحاب الأصول الستة ، وقال في الكاشف : شجاع بن الوليد ابو بدر السكونى الحافظ الصالح عن الأعمش وهشام بن عروة وعنه ابنه الوليد • اه •

وقال في الخلاصة : شجاع بن الوليد بن قيس السكونى ابو بدر الكوفــى نزيل بغداد محدث صالح عن الأعمش وهشام وعطاء بن السائب ، وعنه محمد بن عبد الرحيم البزاز واحمد بن محمــد بن حنبل واسحاق بن راهويه وابنه الوليــد ابن شجاع : قال أحمد : كان شيخا صالحا صدوقا ، وقال احمد بن ابى خيثمة وعبد الخالق بن منصور : ثقة ، قال ابن سعد : مات سنة اربــع ومائتين ، له في البخارى فرد حديث اه • وقال في الميزان : شجاع بن الوليد ابو بدر الكوفى السـكونى الحافظ صدوق مشهور ، روى عن مغيرة بن مقسم وليث وعنه ابنه الوليــد وأبو خيثمة وخلق ، وثقه ابن معين وغيره ، قال ابو زرعة : لا بأس به ، وقال أبو حاتم : لين الحديث شيخ ليس بالمتين لا يحتج به الا ان عنده عن محمد بن عمــرو احاديث صحاح ، وقال المروذي : قلت لأبى عبد الله : ابو بدر ثقة ؟ قال : أرجو أن يكــون صدوقا قد جالس الصالحين ، وروى وكيع عن الثورى قال : ليس في الكوفـــة أعبد من أبى بدر • اه • ملخصا •

وأما زياد بن خيثمة فقال في التقريب : زياد بن خيثمة الجعفى الكوفى ثقة من

السابعة اه . وقال في الخلاصة : زياد بن خيثمة الجعفى عن الشعبي ومجاهد وعنه زهير بن معاوية وهشيم ووكيع ، وثقه ابن معين اه . ورمز له في الخلاصة م٤ الدال على انه روى له مسلم واصحاب السنن الأربعة ، وقال في الكاشف : زياد بن خيثمة الكوفى عن الشعبي ومجاهد وعنه هشيم ووكيع ثقة . اه .

وأما سعد الطائي فقال الحافظ في التقريب : سعد ابو مجاهد الطائي الكوفى لا بأس به من السادسة ، ورمز له خدتق وهذا يدل على أنه من رجال البخارى ، وقال في الخلاصة : سعد الطائي أبو مجاهد الكوفى عن محل بن خليفة وعنه اسرائيل والأعمش وثقة ابن حبان اه ، وقال في التهذيب : ووكيع اه .

وأما محمد بن عبد الله بن نمير الواقع في سند ابن ماجه فقال الحافظ في التقريب : محمد بن عبد الله بن نمير الهمدانى بسكون الميم الكوفى ابو عبدالرحمن ثقة حافظ فاضل من العاشرة ، مات سنة اربع وثلاثين[1] اه ، وقال في الخلاصة : محمد بن عبد الله بن نمير بضم النون الهمداني خارفى بمعجمة أبو عبد الرحمن الكوفى الحافظ احد الأعلام عن أبى خالد الأحمر وابن عيينة وابى معاوية وخلق وعنه خمدق ، عظمه أحمد وأجله ، وقال النسائي : ثقة مأمون ، قال ابن حبان : مات سنة أربع وثلاثين ومائتين اه . وقال في الكاشف : محمد بن عبد الله بن نمير ابو عبد الرحمن الخارفى الحافظ الزاهد عن المطلب بن زياد وابن عيينة وخلق وعنه خ م د ق ومطين وأبو يعلى ، قال ابو اسماعيل الترمذي : كان احمد بن حنبل يعظم ابن نمير تعظيما عجيبا ، وقال احمد بن صالح : ما رأيت بالعراق مثله اه .

وأما عبد الله بن سعيد ـ الواقع في سند ابن ماجه الآخر ـ فقال الحافظ في التقريب : عبد الله بن سعيد بن حصين الكندى ابو سعيد الأشج الكوفى ثقة من صغار العاشرة مات سنة سبع وخمسين [1] اه .

وقال في الخلاصة : عبد الله بن سعيد بن حصين الكندي الكوفي أبو سعيد الأشج الحافظ أحد الأئمة عن عبد السلام بن حرب وأبى خالد الأحمر والمحاربى وابن ادريس وهشيم وطبقتهم وعنه ع قال ابو حاتم : ثقة امام أهل زمانه ، قيل

(١) أي ومائتين .

مات سنة سبع وخمسين ومائتين اه •

وقال في الكاشف : عبد الله بن سعيد ابو سعيد الأشج الكندي الحافظ عن هشيم والمطلب بن زياد وعنه ع وابن ابى حاتم ، قال ابو حاتم : ثقة امام أهل زمانه • وقال الشطوى (٢) : ما رأيت أحفظ منه • اه •

فقد ثبت ان ضعف الحديث المذكور ليس الا من قبل عطية ، ولذا صرح بـه الحافظ ، فعلم انـه عند هؤلاء النقاد ضعيف •

(والخامس) ان وجـه ضعف عطية ليس منحصرا في التشيع والتدليس بل له وجه آخر أيضا غيرهما وهو عدم الضبط وكثرة الخطأ ، صرح به الحافظ ابن القيم في الهدى والحافظ ابن حجر في التقريب ، فليفهم •

(السادس) أن جارحيه اكثر من موثقيه ، فلنعد الجارحين فنقول : من الجارحين ابو حاتم وسالم المرادى واحمد وهشيم ويحيى والنسائي والبيهقـي والثوري وابن عدى وعبد الحق والذهبي والمنذرى والحافظ ابن القيم والحافظ ابن حجـر والدارقطنى ، ومن الموثقين ابن معين والترمذي ، فما وزانهما في جنب ذلك السواد الاعظـم •

اذا تمهد هذا فنقول : الراجح في عطية الضعف ، فان جارحيه اكثر من معدليه ، ولأن كلام الموثقين أيضا لا يقتضي ان حديثه فيما تفرد به مما يحتج بـه فان ابن معين قال في حقه صالح كما في الميزان ، وهذه اللفظة في المرتبة السادسة من مراتب التوثيق ، فهذا توثيق لين ، وحكمه انـه يكتب حديثه للاعتبار ، فهذا التوثيق لا ينافى القول بالضعف ، وأما الترمذي فلم يصرح بتوثيقه ، نعم حسن له غير مـا حديث ، وتحسينه لا يدل على ان عطية ممن يحتج بحديثه في كل موضع ، فانه ربما يحسن الحديث لمجيئه من طريق اخرى ، ولاحتمال ان يكون التحسين في موضع قد ثبت عند الترمذي التصريح بالتحديث فيه ، فان عطية مدلس ، وحديث المدلس انما يقبل اذا صرح بالتحديث ، على ان الترمذي متساهل في التصحيح والتحسين ولذا

---

(٢) وهو محمد بن احمد بن بلال ، كذا فى تهذيب التهذيب فى ترجمة أبى سعيد الاشج هنا •

لم يعتمد العلمـــاء عليه في هذا الباب ، وردوا على تصحيحه وتحسينه في غير ما موضـع •

قال الذهبي في الميزان في ترجمة كثير بن عبد الله بن عمرو بن عوف بن زيد المزنى : وأما الترمذي فروى من حديثه « الصلح جائز بين المسلمين » وصححه ، فلذا لا يعتمد العلماء على تصحيح الترمذي • اه •

وقال في (البرهان شرح مواهب الرحمن) : وقال ابن دحية في العلم المشهور : وكم حسن الترمذي في كتابه من أحاديث موضوعة وأسانيد واهية [١] ، منها هذا الحديث اه • وابن حزم قد زعم انه مجهول ، والمجهول لا يعتبر تحسينه وتصحيحه • كذا في توضيح الأفكار ، وهذا القول وان كان متعقبا ، ولكن المقصود هنـاك تعداد من لم يعتمد على تصحيح الترمذي وتحسينه ، وقال المنذري في الترغيـب والترهيب : وأنبه على كثير مما حضر في حال الامـــلاء مما تساهل ابو داود في السكوت عن تضعيفه ، او الترمذي في تحسينه ، أو ابن حبان والحاكم في تصحيحه ، لا انتقادا عليهم رضى الله عنهم ، بل مقياسا للتبصر في نظائرها من هذا الكتاب ، وكل حديث عزوته الى ابى داود وسكت عنه فهو كما ذكر ابو داود ، ولا ينزل عن درجة الحسن ، وقد يكون على شرط الصحيحين اه •

وقال الحافظ ابن حجر في (تلخيـــص الحبير) تحت حديث جابر ان النبـي صلى الله عليه وسلم سئل عن العمرة أواجبة ؟ قال « لا وان تعتمر فهو أولى » اه : في تصحيحه أى الترمذي نظر كثير من أجل الحجاج ، فان الأكثـــر على تضعيفه ، والاتفاق على انــه مدلس ، وقال النووي : ينبغي ان لا يغتر بكلام الترمذي في تصحيحه فقد اتفق الحفاظ على تضعيفه • اه •

وقال في التلخيص تحت حديث جد كثير [٢] في تكبير العيد : وقد قال البخارى

---

(١) هذه مبالغة لا تليق بجلالة الترمذي وحفظه ومعرفته التامة لعلل الحديث ، ولا تعتبر جهالة ابن حزم للترمذي فقد عرفه الأئمة الكبار وعرفوا منزلته رحمه الله •

(٢) كذا فى الأصل ، وهو مغلق لا يفهم ، والمـراد كما فى التخليص : حديث كثير ابن عبد الله بن عمرو بن عوف عن أبيه عن جده ، قال الحافظ بعد ذكره هكذا : وكثير ضعيف وقد قال البخاري الخ • وكتبه محمد رشيد رضا

والترمذي : انه أصح شيء في هذا الباب ، وأنكر جماعة تحسينه على الترمذي . وقال تحت حديث عبد الله بن مسعود في عدم رفع اليدين : هذا الحديث حسنه الترمذي ، وصححه ابن حزم ، وقال ابن المبارك : لم يثبت عنه ، وقال ابن أبي حاتم عن أبيه : هذا خطأ ، وقال احمد بن حنبل وشيخه يحيى بن آدم : هو ضعيف . نقله البخارى عنهما وتابعهما على ذلك ، وقال ابو داود : ليس بصحيح ، وقال الدارقطني : لم يثبت ، وقال ابن حبان في الصلاة : هذا أحسن خبر روى أهل الكوفة في نفى رفع اليدين في الصلاة عند الركوع وعند الرفع منه ، وهو في الحقيقة أضعف شيء يعول عليه ، وان له عللا تبطله ، وهؤلاء الأئمة انما طعنوا كلهم في طريق عاصم بن كليب الأولى . اه .

ومن ثم صرح العلماء [1] بأن ما حسنه الترمذي او صححه ليس من جنس ما صححه امام من الأئمة أو حسنه حتى يكون مما يجب العمل به بل هو اصطلاح جديد ، قال في (توضيح الأفكار) : فان قلت قد صرحوا بأن عنده ـ أي الترمذي ـ نوع تساهل في التصحيح ، فقد حكم بالحسن مع وجود الانقطاع في احاديث في سننه ، وحسن فيها بعض ما انفرد به راويه كما صرح هو بذلك ، فانه يورد الحديث ثم يقول عقيبه : انه حسن غريب ، وحسن صحيح غريب ، لا نعرفه الا من هذا الوجه ، قلت : هذا كله لا يضره ، لأن ذلك اصطلاح جديد له ، ومن بلغ النهاية في الامامة والحفظ لا ينكر عليه ابتداع اصطلاح يختص به ، وحينئذ فلا مشاحة في الاصطلاح ، وبهذا يجاب عما استشكلوه من جمعه بين الصحة والحسن على متن واحد مع ما هو معلوم من تغايرهما . اه . أي كلام ابن حجر الهيتمي .

قلت : اذا كان اصطلاح الترمذي ان الحسن والصحيح شيء واحد ، فانه لا يصح حمل قوله «صحيح» على المعنى الذي نحن بصدده ، بل يحمل على انه قسم من الحسن .

ثم قال : وقد وقع للبغوى في المصابيح اصطلاح آخر في الصحيح والحسن ، فجعل الصحيح مارواه الشيخان او احدهما في كتابيهما ، والحسن ما رواه غيرهما .

(1) لا ينبغي هذا الاطلاق بل الغالب ان ما صححه او حسنه الترمذي قد وافقه عليه أئمة المحدثين وان تساهله انما كان في قليل نزر اداه الى ذلك اجتهاده فله عذر كغيره .

وقد اخترع غيره اصطلاحا آخر كالحاكم والخطيب ، فانهما اصطلحا على اطلاق الصحة على جميع ما في سنن ابى داود والنسائي ، ووافقهما في النسائي جماعة منهم أبو على النيسابوري وابو احمد بن عدى والدارقطنى • اه • ملتقطا من فهرست ابن حجر الهيتمي • وانما نقلته لئلا يقف الناظر على تصحيح الترمذي او تحسين البغوى فيظن انه من قسم ما صححه امام من الأئمة ، أو تحسين بالمعنى الذي ذكره المصنف وغيره للصحيح ، بل لا بد من معرفة اصطلاح الامام الذي قال « صحيح » أو « حسن » قبل ذلك ا ه •

وقال في (توضيح الأفكار) بعد ذكر صحيح ابن خزيمة وابن جبان : وعلى كل حال فلا بد للمتأهل من الاجتهاد والنظر ، ولا يقلد هؤلاء ومن نحا نحوهم ، فكم حكم ابن خزيمة بالصحة لما لا يرتقى عن رتبة الحسن ، بل فيما صححه الترمذي من ذلك جملة مع أنه يفرق بين الحسن والصحيح • انتهى أي ما قال ابن حجر في فهرسته • قلت : فلا تأخذ ما قاله المصنف والزين وغيرهما حكما كليا • اه •

وأيضا قال في (توضيح الأفكار [1]) : اعلم أنه يظهر من كلام المصنف انه يعمل بما حسنه الترمذي ، وقد عرفت مما سقناه عن الحافظ ابن حجر أنه حسن الترمذي احاديث فيها ضعفاء وفيها من رواية المدلسين ومن كثر غلطه وغير ذلك ، فكيف يعمل بتحسينه وهو بهذه الصفة ؟ وقد نقل الحافظ عن الخطيب اته قال : أجمع أهل العلم على أن الخبر لا يجب قبوله الا من العاقل الصدوق المأمون على ما يخبر به ، قال الحافظ أيضا :وقد صرح أبو الحسن بن القطان أحد الحفاظ النقاد من أهل المغرب في كتابه (بيان الوهم والايهام) بأن هذا القسم لا يحتج به كله بل يعمل به في فضائل الأعمال ، ويتوقف عن العمل به في الأحكام ، الا اذا كثرت طرقه أو عضده اتصال عمل أو موافقة شاهد صحيح او ظاهر القرآن ، وهذا حسن قوى رائق ما أظن منصفا يأباه دال على أن الحديث اذا وصفه الترمذي بالحسن لا يلزم ان يحتج به ، لأنه أخرج حديث خيثمة البصرى عن الحسن عن عمران ابن حصين وقال بعده : هذا حديث حسن ، وليس اسناده بذاك • وقال في كتاب العلم بعد أن أخرج حديثا فيفضل العلم : هذا حديث حسن ، وانما لم نقل هذا

---

١ ـ ج ١ ص ١٧٦ وقد قابلناه وأصلحنا بعض الأخطاء فيه •

الحديث صحيح لأنه يقال ان الأعمش دلس فيه فقال : حدثت عن ابى صالح عن أبى هريرة ، فحكم له بالحسن للتردد الواقع فيه ، وامتنع عن الحكم عليه بالصحة لذلك ، لكن في كل من المثالين نظر ، لاحتمال أن يكون سبب تحسينه لهما أنهما جاءا من وجه آخر كما تقدم تقريره ، ولكن محل بحثنا هنا هل يلزم من الوصف بالحسن الحكم له بالحجة أم لا بل يتوقف فيه ؟ والقلب الى ما حرره ابن القطان أميل • وأيضا قال فيه : ثم قال — أي الحافظ في نكته على ابن الصلاح — : انه يدل على ان الحديث اذا وصفه الترمذي بالحسن لا يلزم ان يحتج به ، فانه اخرج حديثا من طريق خيثمة البصرى عن الحسن عن عمران بن الحصين وقال بعده : هذا حديث حسن ، وليس اسناده بذاك ، وقد قدمنا ذلك اه • وأيضا قال فيه : على انه لا يعزب عنك ما أسلفناه فيما صححه او حسنه من البحث فتذكر • اه •

ومن أجل ذلك قد رد المنذرى في (تلخيص سنن ابى داود) على الترمذي في غير ما موضع ولم يقبل تصحيحه وتحسينه •

فمنه ما قال تحت حديث المغيرة بن شعبة ان رسول الله صلى الله عيله وسلم توضأ ومسح على الجوربين والنعلين : أخرجه الترمذي وقال : هذا حديث حسن صحيح ، وذكر ابو بكر البيهقي حديث المغيرة هذا وقال : ذلك حديث منكر ضعفه سفيان الثوري وعبد الرحمن بن مهدي واحمد بن حنبل ويحيى بن معين وعلى بن المدينى ومسلم بن الحجاج • وأبو قيس الأودي اسمه عبد الرحمن بن مروان الأودي الكوفى ، وهو وان كان البخارى قد احتج به فقد قال الامام احمد بن حنبل : لا يحتج بحديثه ، وسئل عنه ابو حاتم الرازي فقال : ليس بقوى ، هو قليل الحديث وليس بحافظ • قيل له كيف حديثه ؟ قال صالح ، هو لين الحديث • ا هـ •

ومنه ما قال تحت حديث على ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يخرج من الخلاء فيقرئنا القرآن ، الحديث ، قال الترمذي : حسن صحيح • وذكر أبو بكر البزار انه لا يروى عن على الا من حديث عمرو بن مرة عن عبد الله بن سلمة ، وحكى البخارى عن عمرو بن مرة : كان عبد الله يعنى ابن سلمة يحدثنا فنعرف وننكر وكان قد كبر ، لا يتابع في حديثه • وذكر الامام الشافعي هذا الحديث وقال :

وان لم يكن أهل الحديث يثبتونه • وذكر الخطابي ان الامام احمد بن حنبل رضى الله عنـــه كان يوهن حديث على هذا •

ومنه ما قال تحت حديث أبى عطية قال : كان مالك بن الحويرث يأتينـــا الى مصلانا هذا فأقيمت الصلاة ، الحديث ، قال الترمذي : حسن • وسئل أبو حاتـــم الرازي عن أبى عطية قال : لا يعرف ولا يسمى • اهـ •

قلت : قال الترمذي تحت حديث أبى عطية في تعجيل الافطار : وأبو عطيـــة اسمه مالك بن أبى عامر الهمداني ، ويقال مالك بن عامر وهو أصح • هذا آخركلام الترمذي ، فقول أبى حاتـــم « لا يسمى » يعارضه [1] •

ومنه ما قال تحت حديث وائل بن حجر في باب وضع الركبتين قبل يديه : قال الترمذي : حسن ، قال الدارقطنى : تفرد به يزيد عن شريك ولم يحدث به عن عاصم ابن كليب غير شريك ، وشريك ليس بالقوى فيما يتفرد به ، وقال أبو بكر البيهقي : هذا حديث يعد في افراد شريك القاضي ، وانما تابعه همام مرسلا ، هكذا ذكـــره البخارى وغيره من الحفاظ المتقدمين • قلت : قال الترمذي نفسه تحت حديث جابر ان النبي صلى الله عليه وسلم توضأ مرة مرة ومرتين مرتين وثلاثا ثلاثا ، قال : نعم : وشريك كثير الغلط ، وقد استغرب الترمذي حديث على « أنا دار الحكمة وعلي بابها » وأنكره من جهة تفرد شريك ولم يحسنه •

ومنه ما قال تحت حديث « لا جلب ولا جنب » : وأخرجه الترمذي منحديث الحسن البصرى عن عمران بن حصين وقال : حديث حسن صحيح • وقد ذكرعلى بن المدينى وأبو حاتم الرازي وغيرهما من الأئمة أن الحسن لم يسمع من عمران بـــن حصين • اهـ •

قلت : قد حسن الترمذيحديث الحسن عن عمران وصححه في غير ما موضع ، منه حديث في ميراث الجد ، ومنه حديث في الكى ، ومنه حديث « لا أركب الأرجوان ولا ألبس المعصفر » ، ومنه حديث في الجلب على الخيل في السباق .

---

١ ــ أي يعارض قول الترمذي فى تسمية أبى عطية •

ومنه ما قال تحت حديث سعيد بن المسيب عن عتاب بن أسيد قال : أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يخرص العنب كما يخرص النخل • أخرجه الترمذي وقال : هذا حديث حسن غريب • وذكر غير الترمذي ان هذا الحديث منقطع ، وما ذكره ظاهر جدا فان عتاب بن أسيد توفى في اليوم الذي توفى فيه أبو بكر الصديق رضى الله عنه ، ومولد سعيد بن المسيب في خلافة عمر سنة خمس عشرةعلىالمشهور، وقيل كان مولده بعد ذلك • والله عز وجل أعلم •

ومنه ما قال تحت حديث ابى سلمة عن عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « قال الله تعالى : أنا الرحمن وهي الرحم » وأخرجه الترمذي وقال : حديث صحيح • وفي تصحيحه نظر ، قال يحيى بن معين : أبو سلمة بن عبد الرحمن لم يسمع من أبيه شيئا ، وذكر غيره أن أبا سلمة وأخاه حميدا (لم يصح[1]) لهما سماع من أبيهما •

ومنه ما قال تحت حديث ابن عباس رضى الله عنهما قال : وقت رسول الله صلى الله عليه وسلم لأهل المشرق العقيق • وأخرجه الترمذي وقال : هذا حديث حسن • هذا آخر كلامه . وفي اسناده يزيد بن أبى زياد وهو ضعيف ، وذكر البيهقي أنه تفرد بـه • قلت : وقد صحح الترمذي حديث ابن أبي زياد في مواضع •

منها حديث على في المذى ، وحديث ان النبي صلى الله عليه وسلم احتجم وهو صائم ، وحديث ان العباس دخل على النبيصلى الله عليه وسلم مغضبا • وقد حسن أيضا حديثه في حديث انها دخلت العمرة في الحج ، وفي حديث عبد الله بن عمر في التولى يوم الزحف ، مع ان يزيد ليس من رجال الحسن فكيف الصحيح ؟ قال الذهبي : يزيد بن ابى زياد الكوفى احد علماء الكوفة المشاهير على سوء حفظه ، قال يحيى : ليس بالقوى ، وقال أيضا : لا يحتج به ، وقال ابن المبارك : ارم به ، وقال شعبة : كان يزيد بن ابى زياد رفاعا [1] ، وقال على بن عاصم قال لى شعبة : ما أبالي اذا كتبت عن يزيد بن أبي زياد ان لا اكتبه عن أحد ، وقال وكيع : يزيد بن

(١) هذا ساقط من تهذيب السنن ج ٢ ص ٢٦٢ •
(٢) أي يرفع الأحاديث الموقوفة كثيرا •

أبى زياد عن ابراهيم عن علقمة عن عبد الله ــ يعنى حديث الرايات ــ ليس بشيء ، وقال أحمد : حديثه ليس بذاك ، وحديثه عن ابراهيم يعنى في الرايات ليس بشيء . ثم بعد ذكر حديث الرايات قال : قلت هذا ليس بصحيح .

وما أحسن ما روى أبوقدامة سمعت أبا أســــامة يقول في حديث يزيد عن ابراهيم في الرايات : لو حلف عندي خمسين يمينا قسامة ما صدقته ، أهذا مذهب ابراهيم ؟ أهذا مذهب علقمة ؟ أهذا مذهب عبد الله ؟ قال ابن عدى : يزيد بن أبى زياد مولى بني هاشم يكنى أبا عبد الله ، على بن المنذر حدثنا ابن فضيل قال : كــان يزيد بن أبى زياد من أئمة الشيعة الكبار ، خرج له مسلم مقرونا بآخر . اه .

قال المنذري في الترغيب والترهيب : يزيد بن أبى زياد الكوفى أحد الأعلام ، قال يحيى : لا يحتج به . وقال مرة : ليس بالقوى ، ووهاه ابن المبارك ، وقال على بن عاصم قال لى شعبة : ما أبالى اذا كتبت عن يزيد بن أبى زياد ان لا أكتبه عن أحد ، وقال أحمد : حديثه ليس بذاك ، وأخرج له مسلم مقرونا ، وحسن له الترمذي . اه قال الحافظ ابن حجر في التقريب : يزيد بن أبى زياد الهاشمي مولاهــم الكوفــى ضعيف ، كبر فتغير ، صار يلقن ، وكان شيعيا . من الخامسة ، مات سنة ســـت وثلاثين[1] . اهـ .

قال الذهبى في الكاشف : يزيد بن ابى زياد الكوفى مولى بني هاشم عن مولاه عبد الله بن الحارث بن نوفل وابن جحيفة وابن أبى ليلى ، وعنه زائدة وابن ادريس ، شيعى عالم فهيم صدوق ردىء الحفظ لين ولم يترك . اهـ .

وقال في الخلاصة . يزيد بن أبى زياد الهاشمي عن مولاه عبد الله بن الحارث بن نوفل وأبى جحيفة ، وعنه زائدة بن قدامة وأبو عوانة وابن فضيل ، وقال : كان من أئمة الشيعة الكبار ، وقال ابن عدى : يكتب حديثه ، وقال الحافظ شمس الذين الذهبي : هو صدوق ردىء الحفظ ، قال بطين : مات سنة سبع وثلاثين ومائة ، روى له مسلم مقرونا . اهـ .

ومنه ما قال في حديث ابن عباس رضى الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم

---

(1) أى ومائة .

قال « يلبى المعتمر حتى يستلم الحجر » وأخرجه الترمذي وقال صحيح ، هذا آخر كلامه ، وفي اسناده محمد بن عبد الرحمن بن أبى ليلى وقد تكلم فيه جماعة من الأئمة اه • قلت : قال المنذرى في الترغيب والترهيب محمد بن عبد الرحمن بن أبى ليلى الأنصارى الكوفى صدوق امام ثقة ردىء الحفظ كثيرا • كذا قال الجمهور فيه • وقال ابن حبان : كان ردىء الحفظ فاحش الخطأ فكثر المناكير في حديثه فاستحق الترك ، تركه احمد ويحيى كذا قال اه . قال الحافظ في التقريب : محمد بن عبد الرحمن ابن ابى ليلى الانصاري الكوفى القاضى أبو عبد الرحمن صدوق سيء الحفظ جدا اه • وقال في الخلاصة : قال ابو حاتم : محله الصدق ، شغل بالقضاء فساء حفظه • وقال النسائي : ليس بالقوى ، وقال العجلى : كان فقيها صاحب سنة جائز الحديث اه • وقال الذهبي في الكاشف : قال احمد سيء الحفظ ، وقال ابو حاتم محله الصدق • اه •

ومنه ما قال تحت حديث واثلة بن الأسقع رضى الله عنه في ميراث ابن الملاعنة : قال الترمذي : حسن ، وفي اسناده عمرو بن رؤبة التغلبى قال البخاري : فيه نظر ، وسئل عنه ابو حاتم الرازي فقال : صالح الحديث • قيل تقوم به الحجة ؟ فقال : لا ولكن صالح ، وقال الخطابى : وهذا الحديث غير ثابت عند اهل النقل ، وقال البيهقي: لم يثبت البخاري ولا مسلم هذا الحديث لجهالة بعض رواته • اه •

ومنه ما قال تحت حديث عائشة رضى الله عنها في تقبيل الميت : قال الترمذي حسن صحيح ، وفي اسناده عاصم بن عبيد الله بن عاصم بن عمر بن الخطاب وقد تكلم فيه غير واحد من الأئمة • اه •

ومنه ما قال تحت حديث أبى صالح عن ابن عباس في زيارة النساء القبور : قال الترمذي حديث حسن ، وفيما قاله نظر ، فان أبا صالح هذا هو باذام ويقال باذان مولى أم هانىء بنت أبي طالب وهو صاحب الكلبى ، وقد قيل : انه لم يسمع من ابن عباس ، وقد تكلم فيه جماعة من الأئمة ، وقال ابن عدى : ولا أعلم أحدا من المتقدمين رضيه ، وقد نقل عن يحيى بن سعيد القطان وغيره تحسين أمره فلعله يريد رضيه حجة ، او قال هو ثقة • اه •

وقال الذهبي في الميزان : باذام ابو صالح تابعي ضعفه البخاري ، وقال النسائي : باذام ليس بثقة ، وقال ابن معين : ليس به بأس ، وقال ابن عدي : عامـة ما يرويـه تفسير . قلت : روى عن مولاتـه أم هانىء واخيها على وابى هريرة ، وعنه مالك بن مغول وسفيان الثورى وابن اخته عمار بن محمد ، وقال يحيى القطان : لم أر احدا من أصحابنا ترك أبا صالح مولى أم هانىء .

وقال محمد بن قيس عن حبيب بن أبى ثابت : كنا نسمى ابا صالح باذام مولى أم هانىء : دروعزن [1] ، وقال زكريا بن أبى زائدة : كان الشعبي يمر بأبى صالح فيأخذ بأذنه فيهزها ويقول له : ويلك تفسر القرآن وأنت لا تحفظ القرآن ! وقال اسماعيل بن ابى خالد : كان أبو صالح يكذب ، فما سألته عن شيء الا فسره لي .

وروى ابن ادريس عن الأعمش قال : كنا نأتي مجاهدا فنمر على أبي صالح وعنده بضعة عشر غلاما ما نرى أن عنده شيئا . ابن المديني سمعت يحيى بن سعيد يذكر عن سفيان قال : قال الكلبي قال لي ابو صالح : كل ما حدثتك كذب : وروى مفضل ابن مهلهل عن مغيرة قال : انما كان ابو صالح صاحب الكلبي يعلم الصبيان ، وضعف تفسيره ، وقال ابن معين : اذا روى عنه الكلبى فليس بشىء ، وقال عبد الحـق في أحكامه : ضعيف جدا ، فأنكر هذه العبارة عليه أبو الحسن بن القطان .

ومنه ما قال تحت حديث عبد الله بن مالك عن عقبة بن عامر في « باب النذر في المعصية » : قال الترمذي : حديث حسن ، وفي اسناده عبيدالله بن زحر وقد تكلم فيه غير واحد من الأئمة . قلت : قال المنذري في الترغيب والترهيب : عبيد الله بن زحر قال ابن معين : ليس بشيء . وقال ابن حبان : يروي الموضوعات عن الأثبات ، واذا روى عن على بن زيد أتى بالطامات ، واذا اجتمع في اسناد عبيد الله وعلى بن زيـد والقاسم بن عبد الرحمن لم يكن ذلك الحديث الا مما عملت أيديهـم ، وقال الدارقطنى : ليس بالقوى اهـ . وقال ابن عدى : يقع في أحاديثه ما لا يتابع عليه ، كذا في الخلاصـة .

ومنه ما قال تحت حديث الحسن عن سمرة رضى الله عنه في الشفعة : قال الترمذي : حسن صحيح . هذا آخر كلامه . وقد تقدم اختلاف الأئمة في سـماع

(١) ضبطت فى الميزان بضم الدال واسكان العين المهملة وفتح الزاي ولم يذكر لها معنى .

الحسن من سمرة ، والأكثر على انـه لم يسمع منه الا حديث العقيقة اه • قلت : قد حسن الترمذي وصحح حديث الحسن عن سمرة في غير ما موضع ، ومنها حدبث في الصلاة الوسطى ، وحديث في السكتتين ، وحديث في غسل يوم الجمعة ، وحديث « نهى عن بيع الحيوان بالحيوان نسيئة » ، وحديث « جار الدار أحق بدار الجار »، وحديث « لا تلاعنوا بلعنة الله ولا بغضب الله ولا بالنار » ، فأكثر المحـدثين لم يقبلوا تصحيحه في تلك الأحاديث •

ومنه ما قال تحت حديث عمر بن حرملة عن ابن عباس في « باب ما يقول اذا شرب اللبن » : قال الترمذي : حسن ، وعمر بن حرملة ــ ويقال ابن أبى حرملة ــ سئل عنه أبو زرعة الرازي فقال : بصرى لا أعرفـه الا في هذا الباب ، وفي اسناده أيضا على بن زيد بن جدعان أبو الحسن البصري وقد ضعفه جماعة من الأئمة • اه•

ومنه ما قال تحت حديث ابن عباس قال : لما نزلت هذه الآية (وما كان لنبى أن يغل) الحديث ، قال الترمذي : حسن ، وفي اسناده خصيف وهو ابن عبد الرحمن الجزرى وقد تكلم فيه غير واحد •

ومنه ما قال في (كتاب الحمام) : وأما حديث ابن عباس فأخرجه الترمذي وقال حسن ، وفي اسناده ابو يحيى القتات واسمه عبد الرحمـن بن دينار ــ وقيل اسمه زاذان ، وقيل عمران وقيل غير ذلك ــ وقد تكلم فيه غير واحد • اه •

ومنه ما قال تحت حديث سهل بن معاذ بن أنس في « كتاب اللباس » قـال الترمذي : حسن ، وسهل بن معاذ مصري ضعيف ، والراوي عنه أبو مرحـوم عبد الرحيم بن ميمون مصري أيضا لا يحتج به اه • قال الذهبي في الميزان : سهل بن معاذ بن أنس الجهني عن أبيه ضعفه ابن معين ، وقال ابن حبان في الثقات : لست أدري أوقع التخليط منه أو من صاحبه زبان بن فائد •

ومنه ما قال تحت حديث عبد الله بن عمرو بن العاص قال : مر على النبـي صلى الله عليه وسلم رجل عليه ثوبان أحمران فسلم ، الحديث : قال الترمذي : حسن . وفي اسناده ابو يحيى القتات وهو كوفى لا يحتج بحديثه ، وقال ابو بكر البزار : وهذا الحديث لا نعلمه يروى بهذا اللفظ الا عن عبدالله بنعمرو ، ولانعلمله طريقا الا هذه الطريق ، ولا نعلم رواه عن اسرائيل الا اسحاق بن منصور • اه •

ومنه ما قال تحت حديث أبي عبيدة وهو ابن عبد الله بن مسعود عن عبد الله ابن مسعود في « باب الأمر والنهى » قال : الترمذي : حسن • وقد تقدم ان أبا عبيدة بن عبد الله بن مسعود لم يسمع من أبيه فهو منقطع • اه • قال الحافظ في التقريب : والراجح انه لا يصح سماعه من أبيه • اه •

ومنه ما قال تحت حديث عبد الرحمن بن محيريز عن فضالة بن عبيد في تعليق يد السارق في عنقه • قال الترمذي : حسن غريب لا نعرفه الا من حديث عمر بن على المقدمى عن الحجاج بن أرطاة • وقال النسائي : الحجاج بن أرطاة ضعيف لا يحتج بحديثه ، قاله غير واحد من الأئمة •

ومنه ما قال تحت حديث عبد الله بن سراقة عن أبى عبيـدة بن الجراح في الدجال ، قال الترمذي : حسن • وذكر البخارى أن عبد الله بن سراقة لا يعرف له سماع من أبى عبيدة •

ومنه ما قال تحت حديث عبيد الله بن أبي رافـع عن أبيه في باب الصبي يولد فيؤذن في اذنه ، قال الترمذي : حسن صحيح • و في اسناده عاصم بن عبيد الله ابن عاصم بن عمر بن الخطاب وقد غمزه الامام مالك ، وقال ابن معين : ضعيف لا يحتج بحديثه ، وتكلم فيه غيرهما ، وانتقد عليه أبو حاتم محمد بن حبان البستى رواية هذا الحديث وغيره • اه •

قال الحافظ في التقريب : عاصم بن عبيد الله بن عاصم بن عمر بن الخطـاب العدوى المدنى ضعيف من الرابعـة • اه ، قال الذهبي في الميزان : عفان قال كان شعبة يقول : عاصم بن عبيد الله لو قلت له : من بنى مسجد البصرة ؟ لقال : حدثنا فلان عن فلان ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بناه • وقال ابو زرعة وابو حاتم : منكر الحديث ، وقال الدارقطنى : يترك وهو مغفل ، وقال ابن عدى : هو مع ضعفه يكتب حديثه ، وقال العجلى : لا بأس به ، وقال ابن خزيمة ، لا احتج به لسـوء حفظـه •

ومنه ما قال تحت حديث ابن عباس في اتباع الصيد ، قال الترمذي : حسـن وفي اسناده ابو موسى عن وهب بن منبه ولا نعرفه • قال الحافـظ أبو أحمـد

الكرابيسي : حديثه ليس بالقائم اه ، قال الحافظ في التقريب : أبو موسى عن وهب ابن منبه مجهول من السادسة اه •

ومنه ما قال تحت حديث عامر وهو الشعبي قال أخبرني عروة بن مضرس الطائي قال أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم بالموقف يعنى بجمع[1] قلت : جئت يا رسول الله من جبلى طيء ، الحديث ، قال الترمذي : حسن صحيح • هذا آخر كلامه ، وقال على بن المدينى : عروة بن مضرس لم يرو عنه (غير) [2] الشعبي • والله أعلم • اه •

قلت : قد راجعت سنن ابى داود فوجدت فيه من رواية اسماعيل أنبأنا عامر أخبرني عروة بن مضرس • وراجعت سنن الترمذي فوجدت فيه هكذا عن داود بن أبى هند واسماعيل بن أبى خالد وزكريا بن أبى زائدة عن الشعبي عن عروة بن مضرس بن اوس بن حارثة بن لام الطائي • ا هـ •

ومنه ما قال تحت حديث أبى سعيد في ذكاة الجنين : قال الترمذي : حديث حسن ، هذا آخر كلامه • وفي اسناده مجالد بن سعيد الهمدانى وقد تكلم فيه غير واحد • اه •

ومنه ما قال تحت حديث أبى واقد في صيد قطع منه قطعة : قال الترمذي : حسن • وفي اسناده عبد الرحمن بن عبد الله بن دينار المدنى قال يحيى بن معين : في حديثه ضعف ، وقال ابو حاتم الرازي : لا يحتج به اه • قال ابن عدى : هو في جملة من يكتب حديثه من الضعفاء • كذا في الخلاصة •

ومنه ما قال تحت حديث سليمان بن يسار عن سلمة بن صخر البياضي في الظهار : قال الترمذي : حسن • وقال محمد ـ يعنى البخارى ـ : سليمان بن يسار لم يسمع عندي من سلمة بن صخر ، وقال البخارى أيضا : هو مرسل ، سليمان بن يسار لم يدرك سلمة بن صخر •

---

(١) جمع هي مزدلفة .

(٢) زيادة من المنذري فى تهذيب السنن ، ولقد تبين من مراجعته تصرف المؤلف رحمه الله فيما ينقله منه مما يظهر منه تحامله على الترمذي والله يعفو عنه .

ومنه ما قال تحت حديث قيس بن طلق عن أبيه في السحور : أخرجه الترمذي وقال : حسن غريب ، وقيس هذا قد تكلم فيه غير واحد من الأئمة • اه •

ومنه ما قال تحت حديث عبد الله بن عامر بن ربيعة عن أبيه في السواك للصائم : أخرجه الترمذي وقال : حسن • وفي اسناده عاصم بن عبيد الله وقد تكلم فيه غير واحد . اه •

ومنه ما قال تحت حديث يونس بن عبيد مولى محمد بن القاسم قال : بعثنى محمد بن القاسم الى البراء بن عازب ، « في باب الرايات والألوية » : قال الترمذي : حسن غريب لا نعرفه الا من حديث ابن أبى زائدة • هذا آخر كلامه ، وأبو يعقوب الثقفى هذا كوفى ، وقال ابن عدى الجرجانى : روى عنه الثقات ما لا يتابع عليه ، وقال أيضا احاديثه غير محفوظة • اه •

قال الذهبي في الميزان : اسحاق بن ابراهيم الثقفى الكوفى عن ابن المنكدر وأبى اسحاق وعنه أبو نعيم وطائفة ، قال ابن عدى : روى عن الثقات ما لا يتابع عليه • اه •

وللترمذي احاديث أخر صححها أو حسنها وليست بحرية للتصحيح والتحسين:

(منها) حديث اسماعيل بن عبيد بن رفاعة بن رافع الزرقى عن أبيه عن جده « ان التجار يبعثون فجارا الا من اتقى الله وبر » ما علمت روى عنه سوى عبد الله ابن عثمان بن خثيم ، ولكن صحح هذا الترمذي ، قاله الذهبي في الميزان •

(ومنها) ان الترمذي حسن حديث جميع بن عمير التيمى وفيه كلام شديد ، قال الذهبي في الميزان : قال ابن حبان : رافضى يضع الحديث ، وقال ابن نمير : كان من أكذب الناس ، كان يقول : الكراكي تفرخ في السماء ولا تقع فراخها ، وقال ابن عدى : عامة ما يرويه لا يتابع عليه • اه • ملخصا •

(ومنها) ان الترمذي صحح حديث حفص بن عبد الله عن عمران بن حصين في النهي عن التختم بالذهب ، وهو حفص الليثي ما علمت روى عنه سوى أبي التياح ففيه جهالة ، قاله الذهبي في الميزان •

(ومنها) حديث حنظلة السدوسى البصرى : أينحنى بعضنا لبعض ؟ قال يحيى

القطان : تركته عمدا كان قد اختلـط ، وضعفه أحمد وقال : منكر الحديث يحدث بأعاجيب ، وقال ابن معين : ليس بشيء ، تغير في آخر عمره ، وقال النسائي : ليس بقوى ، وقال مرة : ضعيف . قاله الذهبي في الميزان .

(ومنها) حديث « صلاة في مسجد قباء كعمرة » في سنده زياد أبو الابرد عن أسيد بن ظهير ، وهذا حديث منكر ، روى عنه عبد الحميد بن جعفر فقط .

(ومنها) حديث « الفريعة في العدة » قال الذهبي : زينب بنت كعب بن عجرة ما روى عنها سوى سعيد بن اسحاق حديث الفريعة في العدة قال ابن حزم مجهولة ، وقال ت (٢) : تحديثها صحيح .

(ومنها) حديث ابن مسعود « لا تتخذوا الضيعة فترغبوا في الدنيا » حسنه الترمذي ، مع ان في سنده سعد بن الأخرم الطائى الكوفى وهو مجهول ذكـره الذهبي في الميزان فقال : تفرد عنه ولده مغيرة . اه .

(ومنها) حديث ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للعباس « اذا كان غداة الاثنين فائتنى انت وولدك » الحديث أخرجه الترمذي وقال : حديث حسن غريب لا نعرفه الا من هذا الوجه . أنكر هذا الحديث على راويه عبد الوهاب ابن عطاء حتى قال ابن معين : موضوع . كذا في الخلاصة .

(ومنها) حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من سبح مائة بالغداة ومائة بالعشى كان كمن حج حجة » الحديث ، قال الذهبي في الميزان : رواه الترمذي عن محمد بن وزير وحسنه فلم يصنـع شيئا . أ ه .

(ومنها) حديث عثمان في تخليل اللحية ، فان الترمذي حسنه وصححه ، مع أن في سنده عامر بن شقيق ضعفه ابن معين ، وقال ابو حاتم : ليس بالقوى ، وقال النسائي : ليس به بأس ، كذا في الميزان ، والراجح فيـه الضعف ، قال الحـافظ في التقريب : لين الحـديث ، وقال أحمد : ليس في تخليـل اللحية شيء صحيح ،

(١) أي الترمذي ، وقوله هو الصواب ، وقد ذكرها بعضهم فى الصحابة كما فى تهذيب التهذيب . وكتبه محمد رشيد رضا .

وقال ابو حاتم : لا يثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم في تخليل اللحية شيء .

(ومنها) حديث أنس ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يتوضأ لكل صلاة اه . في سنده سلمة بن الفضل الابرش قاضي الري وراوى المغازي عن ابن اسحاق يكنى أبا عبد الله ، ضعفه ابن راهويه ، قال البخارى : في حديثه بعض المناكير ، وقال النسائي ضعيف ، وقال ابن المدينى : ما خرجنا من الري حتى رمينا بحديث سلمة ، وقال ابو حاتم ، لا يحتج به ، وقال أبو زرعة : كان أهل الري لا يرغبون فيه لسوء رأيه وظلم فيه ، كذا في الميزان ، وقال الحافظ في التقريب : سلمة بن الفضل الابرش بالمعجمة مولى الانصار قاضى الري صدوق كثير الخطأ اه . وفي سنده حميد أيضا وهو مدلس وقد عنعنه ، وفيه محمد بن اسحاق وهو أيضا مدلس وقد عنعنه .

هذا كله كلام على تحسين الترمذي وتصحيحه ، ولو سلم أن تحسين الترمذي وتصحيحه حقيق بالقبول فلا يقبل تحسينه لحديث عطية بالخصوص لظهور علة قادحة .

قال في تنقيح الانظار : اعلم أن التصحيح على ضربين : أحدهما أن ينص على صحة الحديث أحد الحفاظ المرضيين المأمومين ، فيقبل ذلك منه الاجماع وغيره من الأدلة الدالة على وجوب قبول خبر الآحاد كما ذلك مبين في موضعه ، الا أن تظهر علة قادحة في صحة الحديث من فسق في الراوي خفي على من صحح حديثه ، أو تغفيل كثير ، أو غير ذلك من المانع من قبول الثقات . اه .

وقال في توضيح الأفكار : حاصله أن قبول خبر العدل بأن الحديث صحيح مقتض للعمل به ، مالم يعارضه المانع . انتهى .

ومن موجبات ضعف حديث عطية العوفي أنه قد روى عنه حديثان منكران ضعيفان جدا حتى قيل انهما موضوعان ، ورجال سنديهما كلهم ثقات غير عطية فهما من بلاياه : (أحدهما) ماذكره الذهبي في الميزان في ترجمة الحكم بن فضيل ونصه : [1] حدثنا القاسم بن زكريا حدثنا سويد أنبأنا الحكم بن فضيل حدثنا عطية

(١) ناقلا عن ابن عدى .

عن أبي سعيد مرفوعا « اليدان جناح ، والرجلان بريد ، والاذنان قمع ، والعينان دليل ، واللسان ترجمان ، والطحال ضحك ، والرئة نفس ، والكليتان مكر ، والكبد رحمة ، والقلب ملك ، فاذا فسد الملك فسد جنوده » قلت : وقد وثقه أبو داود ، وعطية واه • قال الخطيب : الحكم بن فضيل واسطى سكن المدائن يكنى أبا محمد عن سيار أبي الحكم ويعلى بن عطاء ، روى عنه عاصم بن علي ومحمد بن أبان الواسطي وقال : كان من العباد • هذا آخر كلام الذهبي ، فعلم أن ضعف هذا الحديث ليس من قبل الحكم بن فضيل بل من جهة عطية •

و (ثانيهما) ماذكره الذهبي أيضا في الميزان في ترجمة سلام بن سليمان (١) ونصه هكذا : أخبرنا عبد الرحمن بن محمد كتابة أخبرنا عبد الصمد بن محمد سنة تسع وستمائة أنبأنا عبد الكريم بن حمزة أنبأنا عبد العزيز بن أحمد أنبأنا تمام أنبأنا عبد الرحمن بن عبد الله بن عمر بن راشد حدثنا يزيد بن محمد بن عبد الصمد حدثنا سلام بن سلمان حدثنا فضيل بن مرزوق عن عطية العوفي عن أبي سعيد قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يوم السبت يوم مكر وخديعة ، ويوم الأحد يوم غرس وبناء ، ويوم الاثنين يوم سفر وطلب رزق ويوم الثلاثاء يوم حديد وبأس ، ويوم الأربعاء لاأخذ ولا اعطاء ، ويوم الخميس يوم طلب الحوائج ودخول على السلطان ، ويوم الجمعة يوم خطبة ونكاح » وقال النسائي في الكنى : أنبأنا العباس ابن الوليد حدثنا سلام بن سليمان ثقة مدائني ، وقال ابن عدي : سلام بن سليمان عامة ما يرويه حسان ، الا أنه لا يتابع عليه ، كذا في الميزان • فعلم أن هذا البلاء ما جاء من قبل سلام بن سليمان انما جاء من قبل عطية •

و (الثاني) أن في سنده فضيل بن مرزوق وهو ممن اختلف فيه ، قال الذهبي في الميزان قال النسائي : ضعيف ، وكذا ضعفه عثمان بن سعيد • قلت : كان معروفا بالتشيع من غير سب ، وقال أبو عبد الله الحاكم : فضيل بن مرزوق ليس من شرط الصحيح ، عيب على مسلم اخراجه في الصحيح ، وقال ابن حبان : منكر الحديث جدا كان ممن يخطىء على الثقات ، ويروى عن عطية الموضوعات • قلت : عطية أضعف منه ، قال ابن عدي انه اذا وافق الثقات يحتج به ، وروى أحمد بن أبي خيثمة عن ابن معين : ضعيف • انتهى ملخصا •

(١) أي ابن سوار •

وأيضا قال في الميزان : فضيل بن مرزوق الرقاشي هو الأول روى عن عطية وضعف ، وهم من فرقهما ! ه • وقال أبو حاتم : صدوق يهم كثيرا يكتب حديثه ولا يحتج به كذا في التهذيب • وقال الحافظ في التقريب : صدوق يهم ، ورمى بالتشيع ا ه والقول الراجح فيه ما قاله ابن عدي من أنه اذا وافق الثقات يحتج به ، وفي روايته هذا الحديث لايعلم أحد تابعه ، ومن يدعي فعليه البيان •

و (الثالث) أن في سنده الفضل بن موفق أبو الجهم ، ضعفه أبو حاتم ، كذا في الميزان والترغيب والترهيب للمنذري والكاشف والتلخيص • فان قلت : قد وثقه ابن حبان كما ذكر المنذري في الترغيب والترهيب ، قلت لااعتداد بتوثيق ابن حبان اذا تفرد به • قال الذهبي في الميزان في ترجمة عمارة بن حديد : ولا تفرح بذكر ابن حبان له في الثقات فان قاعدته معروفة من الاحتجاج بمن لايعرف • ا ه

و (الرابع) أن الأشبه أن هذا الحديث موقوف ، قال الذهبي في الميزان في ترجمة عبدالله بن صالح بن مسلم العجلي الكوفي : وله عن فضيل بن مرزوق عن عطية عن أبي سعيد عن النبى صلى الله عليه وسلم قال « اذا خرج الرجل من بيته فقال : اللهم بحق السائلين عليك وبحق ممشاى » خالفه أبو نعيم رواه عن فضيل فما رفعه ، قال أبو حاتم : وقفه أشبه ا هـ ، والموقوف ليس بحجة عند المحققين •

و (الخامس) أن عطية مدلس وقد عنعنه فلا يقبل • فان قلت : قال الحافظ ابن حجر في تخريج الاذكار : في كتاب الصلاة لأبي نعيم عن فضيل عن عطية قال حدثني أبو سعيد فذكره ، لكن لم يرفعه ، فقد أمن بذلك تدليس عطية العوفي • قلت : لا يحصل الأمن من تدليس عطية ، فان عطية يكني محمد بن السائب الكلبي أبا سعيد ، فكان اذا حدث عنه يقول حدثني أبو سعيد فيوهم أنه أبو سعيد الخدري كما تقدم • على أن الحديث على ذلك التقدير موقوف لا مرفوع ، فاذاً لا أظنك شاكا في الحكم بضعف هذا الحديث ، ومن ثم صدر المنذري هذا الحديث في باب الترغيب في المشي الى المساجد بلفظ « روى » وأهمل الكلام عليه في آخره، وهما عنده دلالتان للاسناد الضعيف كما قال في ديباجة الكتاب ، وصرح النووي

في الاذكار بضعفه ، فبطل قول صاحب الرسالة [1] « بسند صحيح » [2] •

قوله : وروى الحديث المذكور أيضا ابن السني باسناد صحيح عن بلال رضي الله عنه مؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولفظه : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا خرج ، الحديث •

أقول : القول بصحة اسناده خطأ بين ، وغلط فاحش ، فان هذا الحديث أشد ضعفا من حديث أبي سعيد الخدري ، قال النووي في الأذكار : حديث ضعيف ، أحد رواته الوازع بن نافع العقيلي وهو متفق على ضعفه ، وأنه منكر الحديث • اهـ

قال الحافظ في شرح الاذكار بعد تخريجه من طريق ابن السني بهذا اللفظ : هذا حديث واه أخرجه الدارقطني في الأفراد من هذا الوجه وقال : تفرد به الوازع، وهو متفق على ضعفه وأنه منكر الحديث • قال الحافظ : والقول فيه أشد من ذلك، فقال ابن معين والنسائي : ليس بثقة ، وقال أبو حاتم وجماعة : متروك ، وقال الحاكم : روى أحاديث موضوعة ، قال ابن عدى : أحاديثه كلها غير محفوظة •

قال الحافظ : وقد اضطرب في هذا الحديث فأخرجه أبو نعيم في اليوم والليلة من وجه آخر عنه فقال عن سالم عن ابن عمر عن بلال ــ محل قوله في الطريق الأول: عن نافع عن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن جابر بن عبد الله عن بلال ــ قال الحافظ ولم يتابع عليه • كذا في الفتوحات الربانية • وفي (كتاب الجرح والتعديل) لابن أبي حاتم : الوازع بن نافع العقيلي أصله من المدينة سكن الجزيرة ، يروى عن سالم بن عبد الله وأبي سلمة بن عبد الرحمن ، وروى عنه أهل الجزيرة ، وكان ممن يروى الموضوعات عن الثقات على قلة روايته ، ويشبه أنه لم يكن المتعمد لذلك ، بل وقع في روايته لكثرة وهمه ، فبطل الاحتجاج به لما انفرد به عن الثقات بما ليس من أحاديثهم •

---

(1) اي المردود عليه وهو أحمد دحلان • (2) ومع هذه الاطالة في رد هذا الحديث فهو لا دلالة فيه على جواز التوسل بذوات السائلين والصالحين أو بجاههم وانما المراد منه سؤال الله تعالى بما جعله حقا على نفسه من اجابة السائلين بقوله (ادعوني استجب لكم) فحق السائلين على الله أن يجيبهم وحق الماشين الى المساجد أن يثيبهم ، فالتوسل هنا بصفتين من صفات الله وهما ما جعله حقا على نفسه تكرما وفضلا من كونه يجيب من سأله ويثيب من أطاعه والله أعلم •

حدثنا الحنبلي قال حدثنا أحمد بن زهير عن يحيى بن معين قال : وازع بن نافع ليس بثقة ، ثم نقل عنه أحاديث تكلم في اسناد بعضها بأنه موضوع أو مقلوب • اه كذا في الفتوحات الربانية ، وقال الذهبي في الميزان : الوازع بن نافع العقيلي الجزري روى عن أبي سلمة وسالم بن عبد الله وعنه علي بن ثابت وبقية وجماعة ، قال ابن معين : ليس بثقة • وقال البخاري : منكر الحديث • وقال النسائي : متروك • وقال أحمد : ليس بثقة • قال ابن عدى : عامة ما يرويه الوازع غير محفوظ ، ا هـ ملخصا • وقال الدار قطني في سننه : الوازع بن نافع ضعيف الحديث • وقال الهيثمي في مجمع الزوائد : وهو ضعيف • وقال أيضا : وهو متروك • وقال أيضا : مجمع على ضعفه •

قوله ومما جاء عنه صلى الله عليه وسلم من التوسل أنه كان يقول في بعض أدعيته : بحق نبيك والأنبياء الذين من قبلي ــ الى قوله ــ وهذا اللفظ قطعة من حديث طويل رواه الطبراني في الكبير والأوسط وابن حبان والحاكم وصححوه •

أقول : قال الهيثمي في مجمع الزوائد : وعن أنس بن مالك قال : لما توفيت فاطمة بنت أسد بن هاشم أم علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه دخل عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم فجلس عند رأسها فقال « رحمك الله يا أمي ، كنت أمي بعد أمي ، تجوعين وتشبعينني ، وتعرين وتكسينني ، وتمنعين نفسك طيبا وتطعمينني ، تريدين بذلك وجه الله والدار الآخرة » ثم أمر أن تغسل ثلاثا ثلاثا ، فلما بلغ الماء الذي فيه الكافور سكبه رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده ثم خلع رسول الله صلى الله عليه وسلم قميصه فألبسها اياه ، وكفنها ببرد فوقه ، ثم دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم أسامة بن زيد وأبا أيوب الانصاري وعمر بن الخطاب وغلاما أسود يحفرون فحفروا قبرها ، فلما بلغوا اللحد حفره رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده وأخرج ترابه بيده ، فلما فرغ دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم فاضطجع فيه ثم قال « الله الذي يحيي ويميت وهو حي لا يموت ، اللهم اغفر لي ولأمي فاطمة بنت أسد ، ولقنها حجتها ووسع عليها مدخلها بحق نبيك والأنبياء الذين من قبلي فانك أرحم الراحمين » وكبر عليها أربعا وأدخلوها اللحد هو والعباس وأبو بكر الصديق رضي الله عنهما ، رواه

الطبراني في الكبير والأوسط ، وفيه روح بن صلاح وثقه ابن حبان والحاكم وفيه ضعف ، وبقية رجاله رجال الصحيح • اهـ [1]

وقال الذهبي في الميزان : روح بن صلاح المصري يقال له ابن سبابة ، ضعفه ابن عدى ، يكني أبا الحارث ، وقد ذكره ابن حبان في الثقات ، وقال الحاكم : ثقة مأمون اهـ • فقد علم بذلك أن في سنده روح بن صلاح المصري وهو ضعيف ضعفه ابن عدى ، وهو داخل في القسم المعتدل من أقسام من تكلم في الرجال كما في فتح المغيث للسخاوي ، ولا اعتداد بذكر ابن حبان له في الثقات ، فان قاعدته معروفة من الاحتجاج بمن لا يعرف كما في الميزان ، وقد تقدم • وكذلك لا اعتداد بتوثيق الحاكم وتصحيحه فانه داخل في القسم المتسمح ، قال السخاوي : وقسم منهم متسمح كالترمذي والحاكم اهـ • قال السيوطي في تدريب الراوي : وهو متساهل ، فما صححه ولم نجد فيه لغيره من المعتمدين تصحيحا ولا تضعيفا حكمنا بأنه حسن ، الا أن تظهر فيه علة توجب ضعفه •

قال البدر ابن جماعة : والصواب أنه يتتبع ويحكم عليه بما يليق بحاله من الحسن أو الضعف أو الصحة • ووافقه العراقي وقال : ان حكمه عليه بالحسن فقط تحكم ، قال : الا أن ابن الصلاح قال ذلك بناء على رأيه أنه انقطع التصحيح في هذه الأعصار ، فليس لأحد أن يصححه ، فلهذا قطع النظر عن الكشف عليه • والعجب من المصنف كيف وافقه هنا مع مخالفته له في المسألة المبني عليها كما سيأتي • اهـ

وليعلم أن في هذا الباب أيضا حديث أبي أمامة فيه « أسألك بنور وجهك الذي أشرقت له السموات والأرض وبكل حق هو لك وبحق السائلين عليك » رواه الطبراني في الكبير • قال الهيثمي في مجمع الزوائد : وفيه فضالة بن جبير وهو ضعيف مجمع على ضعفه اهـ • قال الذهبي في الميزان : فضالة بن جبير أبو المهند

(1) هذا الحديث لا يصح دراية ، اذ صيغة متنه وركاكة الفاظه وما فيه من المبالغة مما يدل على عدم ثبوته ، زيادة على غرابته وما في سنده من الضعف الذي تكلم عليه المؤلف • وكتبه عبد الرحمن الدوسري •

الغداني صاحب أبي أمامة ، قال ابن عـدى : عامة أحاديثه غير محفوظة ، وقال ابن حبان : لا يحل الاحتجاج به بحال : يروى أحاديث لا أصل لها . وروى الكناني عن أبي حاتم الرازي قال : ضعيف الحديث . انتهى ملخصا .

وفي الباب حديث أن ابن عباس قال : سألت النبي صلى الله عليه وسلم عن الكلمات التي تلقاها آدم من ربه [1] قال « سأل بحق محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين الا تبت علي ، فتيب عليه » قال الدارقطني : تفرد به عمرو بن ثابت ، وقد قال يحيي : انه لا ثقة ولا مأمون ، وقال ابن حبان : يروى الموضوعات ، كذا في الفوائد المجموعة للشوكاني . قال الذهبي في الميزان : عمرو بن ثابت أبي المقدام ابن هرمز الكوفي يكني أبا ثابت ، قال ابن معين : ليس بشيء ، وقال مرة : ليس بثقة ولا مأمون ، وقال النسائي : متروك الحديث ، وقال ابن حبان : يروى الموضوعات ، وقال أبو داود : رافضي ، وقال البخاري : ليس بالقوى عندهم .

وقال هناد : كتبت عنه كثيراً فبلغني أنه كان عند حبان بن علي فأخبرني من سمعه يقول : كفر الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم الا أربعة ، فقيل لحبان : ألا تنكر عليه ؟ فقال حبان : هو جليسنا . ولما تكلم عمرو بهذا أخذ يتنادم [2] يعني حبان . وقال ابن المبارك : لا تحدثوا عن عمرو بن ثابت فانه كان يسب السلف . وقال الفلاس : سألت عبد الرحمن عن حديث لعمرو بن ثابت فأبى أن يحدث عنه . وروى معاوية بن صالح عن يحيي قال : عمرو بن ثابت لا يكذب في حديثه . وفي سؤالات الآجري أخبرنا داود عنه قال : رافضي خبيث . وقد روى اسماعيل بن أبي خالد وسفيان عنه كذا قال أبو داود . انتهى ملخصاً .

قوله : ومن الأحاديث الصحيحة التي جاء التصريح فيها بالتوسل ما رواه الترمذي والنسائي والبيهقي والطبراني باسناد صحيح عن عثمان بن حنيف وهو

---

(١) ان الله تعالى قد بين الكلمات التي تلقاها آدم من ربه فدعا بها هو وحواء بقوله (قالا ربنا ظلمنا أنفسنا ، وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين) وهذا أقوى رد للمتن الذي رواه هذا الوضاع المجوسي الأصل من غلاة الرافضة ، وكتبه محمد رشيد رضا .

(٢) كذا فى الأصل المطبوع ، والتنادم تفاعل من المنادمة على الشراب ، فالظاهر أن أصله يتندم من الندم : وكتبه محمد رشيد رضا .

صحابى مشهور رضى الله تعالى عنه أن رجلا ضريرا أتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال : ادع الله أن يعافيني فقال « ان شئت دعوت وان شئت صبرت وهو خير » قال : فادعه . فأمره أن يتوضأ فيحسن وضوءه ويدعو بهـذا الدعاء « اللهم اني أسألك وأتوجه اليك بنبيك محمد نبي الرحمة ، يا محمد اني أتوجه بك الى ربي في حاجتي لتقضى ، اللهم شفعه في » فعاد وقد أبصر ، الى قوله : ففي هذا الحديث التوسل والنداء أيضاً .

أقول : في سنـده أبو جعفر ، فان كان هو عيسى بن أبي عيسى ما هـان أبو جعفر الرازي التميمي ــ كما ظنه الحافظ ابن حجر في التقريب ــ فالأكثرون على ضعفه . قال الذهبي في الميزان : عيسى بن أبي عيسى ما هان الرازي صالح الحديث ، روى عن الشعبي وعطاء بن أبي رباح وقتادة وجماعة ، ولد بالبصرة واستوطن الري . روى عنه ابنه عبد الله وأبو نعيم وأبو أحمد الزبيرى وعلى بن الجعد وآخرون ، قال ابن معين : ثقة ، وقال أحمد والنسائي : ليس بالقوي . وقال أبو حاتم : صـدوق . وقال ابن المديني : ثقة ، كان يخلط . وقال مرة : يكتب حديثه ، الا أنه يخطىء . وقال الفلاس : سيء الحفظ . وقال ابن حبان : ينفرد بالمناكير عن المشـاهير . وقال أبو زرعة : يهم كثيراً . وروى حاتم بن اسماعيل وهاشم أبو النضر وحجاج بن محمد وغيرهم عن أبي جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن أبي العالية عن أبي هريرة أو غيره عن النبي صلى الله عليه وسلم حديثاً طويلا في المعراج فيه ألفاظ منكرة . ا هـ

وقال الحافظ في التقريب في ترجمـة الرازي التميمي : أبو جعفـر الرازي التميمي مولاهم مشهور بكنيته ، واسمه عيسى بن أبي عيسى عبد الله بن ماهان ، وأصله من مرو وكان يتجر الى الرى ، صدوق سيىء الحفظ خصوصاً عن مغيرة ، من كبار السابعة مات في حدود الستين . ا هـ

وقال في الكاشف : أبو جعفر الرازي مولى تميم عيسى بن أبي عيسى مروزي يتجر الى الرى ، عن عطاء وابن المنكدر ، وعنه ابنه عبد الله وأبو أحمد الزبيري وعبد الرحمن الفتكي ، قال أبو زرعة يهم كثيراً ، وقال النسائي ليس بالقوي ، ووثقه أبو حاتم . ا هـ

قال في الخلاصة : أبو جعفر التميمي مولاهم الرازي اسمه عيسى عن عطاء وعمرو ابن دينار وقتادة ، وعنه أبو عوانة وشعبة ، وقال ابن معين : ثقة ؛ قال الفلاس : سيء الحفظ ، قال ابن المديني : يخلط عن المغيرة • ا هـ •

وان كان أبا جعفر المدني كما في سنن ابن ماجه ــ ولكن النسخة التي رأيت فيها سقيمة جدا ــ فهو مجهول لأن الذهبي قال في الميزان في ترجمته : روى عنه يحيى بن أبي كثير وحده • على أن قول الذهبي هذا يرد هذا الاحتمال ، فان الراوي عنه في الحديث المتنازع فيه هو شعبة لا يحيى بن أبي كثير •

وأما ما في التقريب من أن أبا جعفر المؤذن الانصاري المدني مقبول من الثالثة ومن زعم أنه محمد بن علي بن الحسين فقد وهم انتهى ، وما في الخلاصة من أن أبا جعفر الانصاري المؤذن المدني عن أبي هريرة ، وعنه يحيى بن أبي كثير حسن الترمذي حديثه ا هـ ، فلا يقتضي أنه ممن يحتج به ، فان لفظ مقبول من ألفاظ المرتبة السادسة التي يكتب حديثها للاعتبار لا للاحتجاج بها ، وتحسين الترمذي لا يغني عنك شيئا لما قد عرفت فيما تقدم من الكلام فيه • على أنه لا يعرف رواية شعبة عن أبي جعفر المدني هذا ، ولا رواية أبي جعفر هذا عن عمارة بن خزيمة •

وان كان رجلا آخر فلا بد من تعيينه حتى ينظر فيه ، فان قلت قال الترمذي حديث حسن صحيح ، ورواه ابن خزيمة في صحيحه والحاكم وقال : صحيح على شرط البخاري ومسلم كذا في الترغيب والترهيب للمنذري ، قلت : قد عرفت ما في تصحيح الترمذي والحاكم من التساهل ، وأما رواية ابن خزيمة في صحيحه فلا تقتضي الصحة مطلقا •

قال في توضيح الأفكار : ونقل العماد ابن كثير أيضا أن ابن حبان وابن خزيمة التزما الصحة وهما خير من المستدرك بكثير وأنظف اسنادا ومتونا ، وعلى كل حال فلا بد للمتأهل من الاجتهاد والنظر ولا يقلد هؤلاء ومن نحا نحوهم ، فكم حكم ابن خزيمة بالصحة لما لا يرتقي عن رتبة الحسن ، بل فيما صححه الترمذي من ذلك جملة ، مع أنه يفرق بين الحسن والصحيح ا هـ • قلت : فلا تأخذ ما قاله المصنف والزين وغيرهما مما ذكروه حكما كليا • ا هـ

قوله : وليس لمنكر التوسل أن يقول ان هذا انما كان في حياة النبي صلى الله عليه وسلم ، لأن قوله ذلك غير مقبول ، لأن هــذا الدعاء استعمله الصحابة رضي الله عنهم والتابعون [1] أيضا بعــد وفاته صلى الله عليه وسلم لقضــاء حوائجهم ، فقد روى الطبراني والبيهقي أن رجلا كان يختلف الى عثمان بن عفان في زمن خلافته في حاجة ، فكان لا يلتفت اليه ولا ينظر اليه في حاجته ، فشكا ذلك لعثمان بن حنيف الراوي للحديث المذكور فقال : ائت الميضأة فتوضأ ، ثم ائت المسجد فصل ، ثم قل : اللهم اني أسألك وأتوجه اليك بنبينا محمد نبي الرحمة ، يا محمد اني أتوجه بك الى ربك لتقضي حاجتي • وتذكر حاجتك » الى قوله : فهذا توسل ونداء بعد وفاته صلى الله عليه وسلم •

أقول : هذا الحديث قال الطبراني عقبه والحديث صحيح بعــد ذكر طرقه التي روى بها ، كذا في مجمع الزوائد والترغيب والترهيب للمنذري ، ولكن في سنده روح بن صلاح وقد ضعفه ابن عدى كما تقدم •

قوله : وروى البيهقي وابن أبي شيبة باسناد صحيح أن الناس أصابهم قحط في خلافة عمر رضى الله عنه ، فجاء بلال بن الحــارث رضى الله عنه وكان من أصــحاب النبي صلى الله عليه وسلم الى قبر النبي صلى الله عليه وسلم وقال : يا رسول الله استسق لأمتك فانهم هلكوا ، فأتاه رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام وأخبره أنهم يسقون •

أقول : قال الحافظ في الفتح : وروى ابن أبي شيبة باسناد صحيح من رواية أبي صالح السمان عن مالك الداري وكان خازن عمر رضى الله عنه قال : أصاب الناس قحط في زمن عمر رضى الله عنه ، فجاء رجل الي قبر النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله استسق لأمتك فانهم قد هلكوا ، فأتى الرجل في المنام فقيل له : ائت عمر الحديث • وقد روى سيف في الفتوح أن الذي رأى المنــام المذكور هو بلال بن الحارث المزني أحد الصــحابة • انتهى • فعلم أن ما روى

(1) في هذا مبالغة في العموم مع أنه لم ينقل بسند صحيح عن صحابي أو تابعي مشهور ، وحديث الأعمى على فرض صحته انما فيه التوسل بدعائه وفيه سؤال الله ان يشفعه فيه فيتقبل دعاءه •

باسناد صحيح ليس فيه أن الجائي أحد الصحابة ، وما فيه أن الجائي أحد الصحابة ضعيف غاية الضعف .

قال الذهبي في الميزان : سيف بن عمر الضبي الأسدي ـ ويقال التميمي البرجمي ويقال السعدي الكوفي ـ مصنف الفتوح والردة وغير ذلك هو كالواقدي يروى عن هشام بن عروة وعبيد الله بن عمر وجابر الجعفي وخلق كثير من المجهولين ، كان اخباريا عارفا ، روى عنه عبادة بن المغلس ، وأبو معمر القطيعي ، والنضر بن حماد العتكي ، وجماعة ، قال عباس عن يحيى : ضعيف ، وروى مطين عن يحيى : فليس خير منه ، قال أبو داود : ليس بشيء ، وقال أبو حاتم : متروك ، وقال ابن حبان : اتهم بالزندقة ، وقال ابن عدى : عامة حديثه منكر . مكحول البيروتي : سمعت جعفر بن أبان سمعت ابن نمير يقول : سيف الضبى تميمي ، كان جميع يقول : حدثني رجل من بني تميم ، وكان سيف يضع الحديث وقد اتهم بالزندقة . انتهى ملخصا .

قال الحافظ في التقريب : سيف بن عمر التميمي صاحب الردة ـ ويقال له الضبى ويقال غير ذلك ـ الكوفي ، ضعيف في الحديث ، عمدة في الأخبار . أفحش ابن حبان القول فيه ا هـ . وقال الذهبي في الكاشف : قال ابن معين وغيره ضعيف .

وقال في الخلاصة : سيف بن عمر الاسدي الكوفي صاحب الردة عن جابر الجعفي وأبي الزبير ، وعنه محمد بن عيسى الطباع وأبو معمر الهذلي ، ضعفوه . ا هـ

قوله : وحديث توسل آدم عليه السلام بالنبي صلى الله عليه وسلم رواه البيهقي باسناد صحيح في كتابه المسمى « دلائل النبوة » الذي قال فيه الحافظ الذهبي : عليك بهفانه كله هدى ونور ، فرواه عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لما اقترف آدم الخطيئة قال : يارب أسألك بحق محمد الا ما غفرت لي » الى قوله : رواه الحاكم وصححه ، والطبراني .

أقول : العجب من المؤلف أنه ينقل عن الذهبي ما قال في وصف (كتاب

دلائل النبـوة) ولم يذكر ما قال في حق الحديث بالخصوص • قال الذهبي في الميزان : عبدالله بن مسلم أبوالحارث الفهري روى عن اسماعيل بن مسلمة بن قنعب عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم خبرا باطلا فيه « يا آدم لولا محمد ما خلقتك » رواه البيهقي في دلائل النبوة • قال في مجمع الزوائد : رواه الطبراني في الأوسط والصغير ، وفيه من لم أعرفهم • ا هـ

قال في الصارم المنكى : واني لأتعجب منه كيف قلد الحاكم فيما صححه من حديث عبد الرحمن بن زيد بن أسلم الذي رواه في التوسل وفيه قول الله لآدم « ولولا محمد ما خلقتك » مع أنه حديث غير صحيـح ولا ثابت بل هو حديث ضعيف الاسناد جدا ، وقد حكم عليه بعض الأئمة بالوضع ، وليس اسناده من الحاكم الى عبد الرحمن بن زيد بصحيح بل هو مفتعـل على عبد الرحمن كما سنبينه ، ولو كان صحيحا الى عبـد الرحمن لكان ضـعيفا غير محتج به ، لأن عبد الرحمن في طريقه ، وقد أخطأ الحاكم في تصحيحه وتناقض تناقضا فاحشا كما عرف له ذلك في مواضع ، فانه قال في كتاب الضعفاء بعـد أن ذكر عبد الرحمن منهم ، وقال ما حكيته عنه فيما تقدم أنه روى عن أبيه أحاديث موضوعة لا يخفى على من تأملها من أهل الصنعة أن الحمل فيها عليه • قال في آخر هذا الكتاب : فهؤلاء الذين قدمت ذكرهم قد ظهر عندي جرحهم لأن الجرح لا يثبت الا ببينة ، فهم الذين أبين جرحهم لمن طالبني به ، فان الجرح لا أستحله تقليـدا • والذي أختاره لصاحب هذا الشأن أن لا يكتب حديث واحد من هؤلاء الذين سميتهم ، فالراوي لحديثهم داخل في قوله صلى الله عليه وسلم « من حدث بحديث وهو يرى أنه كذب فهو أحد الكاذبين » هـذا كله كلام الحاكم أبي عبد الله صاحب المستدرك ، وهو متضمن أن عبد الرحمن بن زيد قد ظهر له جرحه بالدليـل ، وأن الراوي لحديثه داخل في قوله صلى الله عليه وسلم « من حدث بحديث وهو يرى أنه كذب فهو أحد الكاذبين » •

ثم انه رحمه الله لمـا جمع المستدرك على الشيخين ذكر فيه من الأحاديث الضعيفة والمنكرة ـ بل والموضوعة ـ جملة كثيرة ، وروى فيـه لجمـاعة من المجروحين الذين ذكرهم في كتابه في الضعفاء ، وذكر أنه تبين له جرحهم ، وقد أنكر

عليه غير واحد من الأئمة هذا الفعل ، وذكر بعضهم أنه حصل له تغير وغفلة في آخر عمره فلذلك وقع منه ما وقع ، وليس ذلك ببعيد •

ومن جملة ما أخرجه في المستدرك حديث لعبد الرحمن بن زيد بن أسلم في هذا الكتاب في التوسل ، قال بعد روايته : هذا حديث صحيح الاسناد ، وهو أول حديث ذكرته لعبد الرحمن بن زيد بن أسلم في هذا الكتاب • فانظر الى ما وقع للحاكم في هذا الموضع من الخطأ العظيم ، والتناقض الفاحش •

ثم ان هذا المعترض المخذول [1] عمد الى هذا الذي أخطأ فيه الحاكم وتناقض فقلده فيه ، واعتمد عليه ، وأخذ في التشنيع على من خالفه ، فقال : والحديث المذكور لم يقف ابن تيمية عليه بهذا الاسناد ولابلغه أن الحاكم صححه[2] ولو بلغه أن الحاكم صححه لما قال ذلك ، يعني أنه كذب • ولنعرض للجواب عنه • قال وكأني به ان بلغه بعد ذلك يطعن في عبد الرحمن بن زيد بن أسلم راوي الحديث ، ونحن نقول قد اعتمدنا في تصحيحه على الحاكم ، وذكر قبل ذلك بقليل أنه مما تبين له صحته ، فانظر رحمك الله الى هذا الخذلان البين والخطأ الفاحش ، كيف جاء هذا المعترض الى حديث غير صحيح ولا ثابت — بل هو حديث موضوع — فصححه ، واعتمد عليه ، وقلد في ذلك الحاكم مع ظهور خطأه وتناقضه ، ومع معرفة هذا المعترض لضعف راويه وجرحه ، واطلاعه على الكلام المشهور فيه ، وأخذ مع هذا في التشنيع على من رد هذا الحديث المنكر ولم يقبله ، ويبالغ في تخطئته وتضليله •

وليس المقصود هنا الكلام على ضعف هذا الحديث ، ومناقشة المعترض على ما وقع منه من الكلام عليه بغير علم ، وانما أشرنا الى ذلك اشارة لما أخذ المعترض يقوى أمر عبد الرحمن بن زيد عند ذكر الحديث المروى عنه في الزيارة • ا هـ

(١) أى السبكي • (٢) زاد فى شفاء السقام هنا ما نصه : فانه قال اعني ابن تيمية : أما ما ذكره فى قصة آدم من توسله فليس له أصل ولا نقله أحد عن النبى صلى الله عليه وسلم باسناد يصلح للاعتماد عليه ولا الاعتبار ولا الاستشهاد ، ثم ادعى ابن تيميــة أنه كذب وأطال الكلام فى ذلك جدا بما لا حاصل تحتــه بالتوهم والتخرص • ا هـ

قال الترمذي في جامعه تحت حديث أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ثلاث لا يفطرن الصائم : الحجامة ، والقيء ، والاحتلام » وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم يضعف في الحديث . سمعت أبا داود السجزي يقول : سألت أحمد بن حنبل عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم فقال : أخوه عبد الله بن زيد لا بأس به ، وسمعت محمدا يذكر عن علي بن عبد الله قال : عبد الله بن زيد بن أسلم ثقة ، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم ضعيف ، قال محمد [1] ولا أروي عنه شيئا اهـ . قال السيوطي في مناهل الصفا في تخريج أحاديث الشفا : حديث أن آدم قال عند معصيته الحديث عند البيهقي والطبراني من حديث عمر رضى الله عنه بسند ضعيف اهـ .

قوله : والي هذا التوسل أشار الامام مالك رضى الله عنه للخليفة المنصور ، وذلك أنه لما حج المنصور وزار قبر النبي صلى الله عليه وسلم سأل الامام مالكا رضى الله عنه وهو بالمسجد النبوي فقال لمالك ، يا أبا عبد الله أستقبل القبلة وأدعو ، أم أستقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقال له الامام مالك : ولم تصرف وجهك عنه وهو وسيلتك ووسيلة أبيك آدم عليه السلام الى الله تعالى يوم القيامة ؟ بل استقبله واستشفع به يشفعه الله فيك ، قال الله تعالى (ولو أنهم اذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما) ذكره القاضي عياض في الشفاء وساقه باسناد صحيح .

أقول : قال في الصارم المنكي : وهذه الحكاية التي ذكرها القاضي عياض ورواها باسناده عن مالك ليست بصحيحة عنه ، وقد ذكر المعترض في مواضع من كتابه أن اسنادها اسناد جيد ، وهو مخطىء في هذا القول خطأ فاحشا ، بل اسنادها ليس بجيد ، بل اسناد مظلم منقطع ، وهو مشتمل على من يتهم بالكذب ، وعلى من يجهل حاله .

وابن حميد هو محمد بن حميد الرازي ، وهو ضعيف كثير المناكير غير محتج بروايته ولم يسمع من مالك شيئا ولم يلقه ، بل روايته منقطعة غير متصلة ، وقد

---

(١) اى البخاري .

ظن المعترض أنه أبو سفيان محمد بن حميد المعمري أحد الثقات المخرج لهم في صحيح مسلم ، قال : فان الخطيب ذكره في الرواة عن مالك . وقد أخطأ فيما ظنه خطأ فاحشا ، ووهم وهما قبيحا ، فان محمد بن حميد المعمري رجل متقدم لم يدركه يعقوب بن اسحاق بن أبي اسرائيل راوي الحكاية عن ابن حميد بل بينهما مفازه بعيدة . وقد روى المعمري عن هشام بن حسان ومعمر والثوري وتوفى سنة اثنتين وثمانين ومائة قبل أن يولد يعقوب بن اسحاق بن أبي اسرائيل . وأما محمد بن حميد الرازي فانه في طبقة الرواة عن المعمري كأبي خيثمة وابن نمير وعمرو الناقد وغيرهم ، وكانت وفاته سنة ثمان وأربعين ومائتين ، فرواية يعقوب ابن اسحاق عنه ممكنة ، بخلاف روايته عن المعمري فانها غير ممكنة .

وقد تكلم في محمد بن حميد الرازي ـ وهو الذي رويت عنه هذه الحكاية ـ غير واحد من الأئمة ، ونسبه بعضهم الى الكذب . قال يعقوب بن شيبة السدوسي : محمد بن حميد الرازي كثير المناكير . وقال البخاري : حديثه فيه نظر ، وقال النسائي : ليس بثقة . وقال ابراهيم بن يعقوب الجوزجاني : رديء المذهب ، غير ثقة .

وقال فضلك الرازي : عندي عن ابن حميد خمسون ألف حديث لا أحدث عنه بحرف . وقال أبو العباس أحمد بن محمد الأزهري سمعت اسحاق بن منصور يقول : أشهد على محمد بن حميد وعبيد بن اسحاق العطار بين يدي الله أنهما كذابان .

وقال صالح بن محمد الحافظ : كان كل ما بلغه من حديث سفيان يحيله على مهران ، وما بلغه من حديث منصور يحيله على عمرو بن قيس ، وما بلغه من حديث الأعمش يحيله على مثل هؤلاء وعلى عنبسة ، ثم قال : كل شيء كان يحدثنا ابن حميد كنا نتهمه فيه .

وقال في موضع آخر : كانت أحاديثه تزيد ، وما رأيت أحدا أجرأ على الله منه ، وكان يأخذ أحاديث الناس فيقلب بعضها على بعض .

وقال في موضع آخر : ما رأيت أحدا أحذق بالكذب من رجلين ، سليمان

الشاذكوني ومحمد بن حميد الرازي ، كان يحفظ حديثه كله ، وكان حديثه كل يوم يزيد .

وقال أبو القاسم عبد الله بن محمد بن عبد الكريم الرازي ابن أخي ابي زرعة : سألت أبا زرعة عن محمد بن حميد فأومأ بأصبعه الى فمه ، فقلت له كان يكذب ؟ فقال برأسه : نعم . قلت له : قد شـاخ ، لعله كان يعمل عليه ويدلس عليه ؟ فقال : لا يابني ، كان يتعمد .

وقال أبو حاتم الرازي : حضرت محمد بن حميد وحضره عون بن جرير ، فجعل ابن حميد يحدث بحديث عن جرير فيه شعر ، فقال عون ، ليس هذا الشعر في الحديث ، انما هو من كلام أبي . فتغافل ابن حميد فمر فيه .

وقال أبو نعيم عبد الملك بن محمد بن عـدى : سمعت أبا حاتم محمد بن ادريس الرازي في منزله وعنده عبد الرحمن بن يوسف بن خراش وجماعة من مشايخ أهل الري وحفاظهم للحديث ، فذكروا ابن حميـد ، فأجمعوا على أنه ضعيف في الحديث جدا ، وأنه يحـدث بما لم يسمعه وأنه يأخذ أحاديث لأهل البصرة والكوفة فيحدث بها عن الرازيين .

وقال أبو العباس بن سعيد سمعت داود بن يحيى يقول : حدثنا عنه — يعني محمد بن حميد — أبو حاتم قديما ثم تركه بآخرة قال : سمعت عبد الرحمن بن يوسف بن خراش يقول : حدثنا ابن حميد ، وكان والله يكذب . وقال أبو حاتم ابن حبان البستي في كتاب الضعفاء : محمد بن حميد الرازي ، كنيته أبو عبدالله ، يروي عن ابن المبارك وجرير،حدثنا عنه شيوخنا ، مات سنة ثمان وأربعين ومائتين ، كان ممن ينفرد عن الثقـات بالأشياء المقلوبات ، ولا سيما اذا حدث عن شيوخ بلده ، سمعت ابراهيم بن عبد الواحد البغـدادي يقول قال صالح بن أحمد بن حنبل : كنت يوما عند أبي اذ دق عليه الباب ، فخرجت فاذا أبو زرعة ومحمد بن مسلم بن وارة يستأذنان على الشيخ ، فدخلت وأخبرته فأذن لهم ، فدخلوا وسلموا عليه ، فأما ابن وارة فباس يده فلم ينـكر عليه ذلك ، وأما أبو زرعة فصافحه ، فتحدثوا ساعة ، فقال ابن وارة : يا أبا عبد الله ان رأيت تذكر حديث أبي القاسم

ابن أبي الزناد ، فقال : نعم ، حدثنا أبو القاسم بن أبي الزناد عن اسحاق بن حازم عن ابن مقسم — يعني عبيد الله — عن جابر بن عبد الله أن النبى صلى الله عليه وسلم سئل عن ماء البحر فقال « هو الطهور ماؤه ، الحلال ميتته » وقام ، فقالوا ماله ؟ قلنا : شك في شيء ، ثم خرج والكتاب بيده ، فقال في كتابه « ميته » بتاء واحدة ، والناس يقولون « ميتته » • ثم تحدثوا ساعة فقال له ابن وارة : يا أبا عبد الله رأيت محمد بن حميد ؟ قال : نعم ، قال كيف رأيت حديثه ؟ قال : اذا حدث عن العراقيين يأتي بأشياء مستقيمة ، واذا حدث عن أهل بلده مثل ابراهيم ابن المختار وغيره أتى بأشـياء لا تعرف ، لا يدرى ما هي • قال فقال أبو زرعة وابن وارة : صح عندنا أنه يكذب • قال : فرأيت أبي بعد ذلك اذا ذكر ابن حميد نفض يده •

وقال العقيلي في (كتاب الضعفاء) : حدثني ابراهيم بن يوسف قال : كتب أبو زرعة ومحمد بن مسلم عن محمد بن حميد حديثا كثيرا ، ثم تركا الرواية عنه ، وقال الحاكم أبو أحمد في (كتاب الكنى) : أبو عبد الله محمد بن حميد الرازي ليس بالقوى عندهم ، تركه أبو عبد الله محمد بن يحيى الذهلي ، وأبو بكر محمد ابن اسحاق بن خزيمة •

فاذا كانت هذه حال محمد بن حميد الرازي عند أئمة هذا الشأن ، فكيف يقال في حكاية رواها منقطعة ان اسنادها اسناد جيد ، مع أن في طريقها اليه من ليس بمعروف ؟ وقد قال المعترض بعد أن ذكر هذه الحكاية وتكلم على رواتها : فانظر هذه الحكاية وثقة رواتها ، وموافقتها لمـا رواه ابن وهب عن مالك ، هكذا قال ، والذي حمله على ارتكاب هذه السقطة قلة علمه وارتكاب هواه ، نسـأل الله التوفيق •

والذي ينبغي أن يقال : فانظر هذه الحكاية وضعفها وانقطاعها ونكارتها ، وجهالة بعض رواتها ، ونسبة بعضهم الى الكذب ، ومخالفتها لمـا ثبت عن مالك وغيره من العلماء • ا هـ

وقال الذهبي في الميزان : محمد بن حميد الرازي الحافظ عن يعقوب القمي

وابن المبارك من بحور العلم وهو ضعيف • قال يعقوب بن شيبة : كثير المناكير • وقال البخاري : فيه نظر ، وكذبه أبو زرعة • وقال فضلك الرازي : عندي عن ابن حميد خمسون ألف حديث ، ولا أحدث عنه بحرف • وروى محمد بن شاذان عن اسحاق الكوسج قال : قرأ علينا ابن حميد كتاب المغازي عن سلمة الأبرش ، فقضى أني صرت الى علي بن مهران فرأيته يقرأ كتاب المغازي عن سلمة ، فقلت له : قرأه عليه ابن حميد ـ يعني عن سلمة ـ فتعجب علي وقال : سمعه محمد بن حميد مني ، وعن الكوسج قال أشهد أنه كذاب • وقال صالح جزرة : كنا نتهم ابن حميد في كل شيء يحدثنا ، ما رأيت أجرأ على الله منه ، كان يأخذ أحاديث الناس فيقلب بعضها على بعض • وقال ابن خراش : حدثنا ابن حميد ، وكان والله يكذب • وجاء عن غير واحد أنه كان يسرق الحديث ، وقال النسائي : ليس بثقة • وقال صالح جزرة : ما رأيت أحذق بالكذب من ابن حميد ومن ابن الشاذكوني •

وقال أبوعلى النيسابوري : قلت لابن خزيمة لو أخذت الاسناد عن ابن حميد فان أحمد بن حنبل قد أحسن الثناء عليه • قال : انه لم يعرفه ، ولو عرفه كما عرفناه لما أثنى عليه أصلا • وقال أبو أحمد العسال : سمعت فضلك الرازي يقول دخلت على محمد بن حميد وهو يركب الأسانيد على المتون •

قلت : ولم يكن يحفظ القرآن ، فقد قال محمد بن جرير الطبري فيما صح عنه قال : قرأ علينا محمد بن حميد الرازي (ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك) • وقال أبو بكر الصغاني : حدثنا محمد بن حميد ، فقيل له : أتحدث عنه ؟ فقال : ومالي لا أحدث عنه وقد حدث عنه أحمد بن حنبل وابن معين • وقال أبو زرعة من فاته محمد بن حميد يحتاج أن ينزل في عشرة آلاف حديث [1] • ومن آخر أصحاب ابن حميد أبو القاسم البغوي وابن جرير الطبري • مات سنة ثمان وأربعين ومائتين • اهـ •

قوله : وقال بعض المفسرين في قوله تعالى (فتلقى آدم من ربه كلمات) : ان من جملة تلك الكلمات توسل آدم بالنبي صلى الله عليه وسلم حين قال يا رب أسألك بحرمة محمد الا ما غفرت لي •

---

(١) أى من فاتته الرواية عنه ولم يدركه من أهل زمانه نزل درجة وذلك لطول عمره •

أقول قد عرفت فيما تقدم أن هذه الرواية ليست صالحة لأن يحتج بها على حكم من أحكام الشريعة ٠

* ● *

قوله : واستسقى عمر بن الخطاب رضى الله عنه في زمن خلافته بالعباس بن عبد المطلب رضى الله عنه عم النبى صلى الله عليه وسلم ٠

أقول : هذا الحديث مما لا شك في صحته ، ولكنه بمعزل عما نتكلم فيه ، فان الكلام في التوسل بالأموات وهذا التوسل بدعاء الأحياء وهو مما لا نزاع فيه ٠ قال في الصارم : وقد أجدب الناس على عهد عمر بن الخطاب رضى الله عنه فاستسقى بالعباس رضي الله عنه ، ففي صحيح البخاري عن أنس رضي الله عنه أن عمر استسقى بالعباس رضي الله عنه وقال : « اللهم انا كنا اذا أجدبنا نتوسل اليك بنبينا فتسقينا ، وانا نتوسل اليك بعم نبينا فأسقنا ٠ فيسقون » فاستسقوا به كما كانوا يستسقون بالنبي صلى الله عليه وسلم في حياته ، وهم انما كانوا يتوسلون بدعائه وشفاعته لهم فيدعو لهم ويدعون معه كالامام والمأمومين من غير أن يكونوا يقسمون على الله بمخلوق ، كما ليس لهم أن يقسم بعضهم على بعض بمخلوق ٠ ولما مات صلى الله عليه وسلم توسلوا بدعاء العباس واستسقوا به ٠ اهـ

قال الحافظ في الفتح : وقد بين الزبير بن بكار في الأنساب صفة ما دعا به العباس في هذه الواقعة والوقت الذي وقع فيه ذلك ، فأخرج باسناد له أن العباس لما استسقى به عمر قال : اللهم انه لم ينزل بلاء الا بذنب ، ولم يكشف الا بتوبة ، وقد توجه القوم بي اليك لمكاني من نبيك ، وهذه أيدينا اليك بالذنوب ونواصينا اليك بالتوبة ، فاسقنا الغيث ٠ فأرخت السماء مثل الجبال حتى أخصبت الأرض وعاش الناس [1] ٠ اهـ

---

(١) وهذا الأثر حجة عليه لاله ، فانه لوكان التوجه والاستسقاء بالنبى صلى الله عليه وسلم جائزا عندهم لم يعدلوا عنه الى العباس أبدا ، لكن لما كان عدم الجواز مستقرا عندهم عقيدة عمدوا الى العباس ٠ وكتبه عبد الرحمن الدوسري ٠

قوله : وفعل عمر رضى الله تعالى عنه حجة لقوله صلى الله عليه وسلم « ان الله جعل الحق على لسان عمر وقلبه » رواه الامام أحمد والترمذي عن ابن عمر رضى الله عنه •

أقول : فيه كلام من وجوه : (الأول) أن في سنده خارجة بن عبد الله الانصاري ، وهو ضعيف ضعفه أحمد ، قال الذهبي في الكاشف : خارجة بن عبد الله بن سليمان بن زيد بن ثابت عن أبيه ونافع ، وعنه معن والقضبي ، ضعفه أحمد • توفي سنة ١٦٥ • ا هـ • وقال الحافظ في التقريب : صدوق له أوهام من السابعة مات سنة خمس وستين [١] • ا هـ •

و (الثاني) أن جعل الحق على لسان عمر وقلبه لا يستلزم كون فعله رضى الله عنه حجة ، ومن يدعيه فعليه البيان •

و (الثالث) أن المقصود أن الله تعالى أجرى الحق على لسان عمر رضى الله عنه في وقائع كما قال ابن عمر راوي الحديث : ما نزل بالناس أمر قط فقالوا فيه وقال فيه عمر الا نزل فيه القرآن على نحو ما قال عمر ، ويقويه الحديث المتفق عليه عن أنس وابن عمر أن عمر قال : وافقت ربي في ثلاث ، قلت يا رسول الله لو اتخذنا من مقام ابراهيم مصلى فنزلت (واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى) • وقلت يا رسول الله يدخل على نسائك البر والفاجر فلو أمرتهن يحتجبن فنزلت آية الحجاب • واجتمع نساء النبى صلى الله عليه وسلم في الغيرة ، فقلت (عسى ربه ان طلقكن أن يبدله أزواجا خيرا منكن) فنزلت كذلك • وفي رواية لابن عمر قال : قال عمر وافقت ربي في ثلاث : في مقام ابراهيم ، وفي الحجاب ، وفي أساري بدر •

قال الحافظ في الفتح : قوله وافقت ربي في ثلاث أى وقائع ، والمعنى وافقني ربي فأنزل القرآن على وفق ما رأيت • لكن لرعاية الأدب أسند الموافقة الى نفسه ، أو أشار الى حدوث رأيه وقدم الحكم • وليس في تخصيصه العدد بالثلاث ما ينفي الزيادة عليها ، لأنه حصلت له الموافقة في أشياء غير هذه من مشهورها قصة أسارى بدر وقصة الصلاة على المنافقين وهما في الصحيح •

(١) أى بعد المائة •

وصحح الترمذي من حديث ابن عمر أنه قال : ما نزل بالناس أمر قط فقالوا فيه وقال فيه عمر أو قال ابن الخطاب فيه ــ شك خارجة ــ الا نزل القرآن فيه على نحو ما قال عمر ، وهذا دال على كثرة موافقته ، وأكثر ما وقفنا منها بالتعيين على خمسة عشر لكن ذلك بحسب المنقول • ا هـ

وجملة القول أن هذا الحديث على تقدير ثبوته ليس معناه الا ما روى في الصحيح عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لقد كان فيما قبلكم من الأمم محدثون ، فان يكن في أمتي أحد فانه عمر » وفي رواية « لقد كان فيمن كان قبلكم من بني اسرائيل رجال يكلمون من غير أن يكونوا أنبياء ، فان يكن في أمتي منهم أحد فعمر » •

قال الحافظ في الفتح : قوله « محدثون » بفتح الدال جمع محدث ، واختلف في تأويله فقيل ملهم قاله الاكثر ، قالوا المحدث بالفتح هو الرجل الصادق الظن ، وهو من ألقى في روعه شيء من قبل الملأ الأعلى فيكون كالذي حدثه غيره به ، وبهذا جزم أبو أحمد العسكري • وقيل من يجري الصواب على لسانه من غير قصد • وقيل مكلم أى تكلمه الملائكة بغير نبوة • وهذا ورد من حديث أبي سعيد الخدري مرفوعا ولفظه « قيل يا رسول الله وكيف يحدث ؟ قال تتكلم الملائكة على لسانه » رويناه في فوائد الجوهري ، وحكاه القابسي وآخرون ، ويؤيده ما ثبت في الرواية المعلقة ويحتمل رده الى المعنى الأول أى تكلمه في نفسه وان لم ير مكلما في الحقيقة فيرجع الى الالهام ، وفسره ابن التين بالتفرس • ووقع في مسند الحميدي عقب حديث عائشة : المحدث الملهم بالصواب الذي يلقى على فيه •

وعند مسلم من رواية ابن وهب « ملهمون » وهي الاصابة بغير نبوة ، وفي رواية الترمذى عن بعض أصحاب ابن عيينة « محدثون » يعني مفهمون •

وفي رواية الاسماعيلي قال ابراهيم ــ يعني ابن سعد راويه ــ قوله « محدث » أى يلقى في روعه ا هـ • ويؤيده حديث « ان الله جعل الحق على لسان عمر وقلبه » أخرجه الترمذى من حديث ابن عمر و أحمد من حديث أبي هريرة والطبراني من حديث بلال ، وأخرجه في الأوسط من حديث معاوية ،

وفي حديث أبي ذر عند أحمد وأبي داود « يقول به » بدل قوله « وقلبه » ، وصححه الحاكم ، وكذا أخرجه الطبراني في الأوسط من حديث عمر نفسه • ا هـ

وأيضا قال في الفتح : وقوله « وان يك في أمتي » قيل لم يورد هذا القول مورد الترديد ، فان أمته أفضل الأمم ، واذا ثبت أن ذلك وجد في غيرهم فامكان وجوده فيهم أولى ، وانما أورده مورد التأكيد كما يقول الرجل : ان يكن لي صديق فانه فلان يريد اختصاصه بكمال الصداقة لا نفي الأصدقاء ، ونحوه قول الأجير : ان كنت عملت لك فوفني حقي ، وكلاهما عالم بالعمل ، لكن مراد القائل ان تأخيرك حقي عمل من عنده شك في كوني عملت • وقيل الحكمة فيه أن وجودهم في بني اسرائيل قد تحقق وقوعه ، وسبب ذلك احتياجهم حيث لا يكون حينئذ فيهم نبى ، واحتمل عنده صلى الله عليه وسلم أن لا تحتاج هذه الأمة الى ذلك لاستغنائها بالقرآن عن حدوث نبى ، وقد وقع الأمر كذلك حتى أن المحدث منهم اذا تحقق وجوده لا يحكم بما وقع له بل لا بد له من عرضه على القرآن ، فان وافقه أو وافق السنة عمل به والا تركه ، وهذا وان جاز أن يقع لكنه نادر ممن يكون أمره مبنيا على اتباع الكتاب والسنة ، وتمحضت الحكمة في وجودهم وكثرتهم بعد العصر الأول في زيادة شرف هذه الأمة لوجود أمثالهم فيها ، وقد تكون الحكمة في تكثيرهم مضاهاة بني اسرائيل في كثرة الأنبياء فيهم ، فلما فات هذه الأمة كثرة الأنبياء فيها — لكون نبيها خاتم الأنبياء — عوضوا بكثرة الملهمين • ا هـ

وأيضا قال فيه : والسبب في تخصيص عمر بالذكر لكثرة ما وقع له في زمن النبى صلى الله عليه وسلم من الموافقات التي نزل القرآن مطابقا لها ، ووقع له بعد النبى صلى الله عليه وسلم عدة اصابات • انتهى

اذا عرفت هذا فقد علمت أن معنى ما ورد في الصحيح عند الأكثر أنه ملهم ، وعند البعض أنه ممن يجري الصواب على لسانه من غير قصد ، وعند البعض أنه مكلم تكلمه الملائكة بغير نبوة • وقد رده الحافظ الى المعنى الأول ، وعند البعض أنه متفرس ، وعلى كل تقدير لا يحكم بما وقع للمحدث ، بل لا بد له من عرضه على الكتاب والسنة •

ومن ثم أجمع أهل السنة على أن الهام غير النبى صلى الله عليه وسلم ليس بحجة ، وعلى هذا المعنى ينبغي أن يحمل حديث ابن عمر المذكور ، وليس الغرض أن الله جعل الحق في كل حادثة وواقعة على لسان عمر وقلبه ، وأن فعله وقوله حجة شرعية ، وأنه لا يقع منه خطأ قط ، والا لما خالفه ونازعه أحد من الصحابة والتابعين ومن بعدهم من أهل الحديث والفقه • (والثاني) باطل فان مخالفات الصحابة والتابعين وغيرهم لعمر رضى الله عنه أكثر من أن تكتب في هذا المختصر، وأشهر من أن تخفى على من له المام بصحف الحديث والأثر ، فالمقدم مثله •

ويالله العجب كيف يصح القول بحجية فعل عمر رضى الله عنه عموما كما زعم هذا المؤلف ، فقد أخطأ عمر رضى الله عنه في مسائل :

(منهـا) عدم جواز التيمم عنده لمن أجنب فلم يجد المـاء •
(ومنها) عدم جواز التمتع في الحج عنده •
(ومنها) قوله رضى الله عنه : ان لمعتدة الثلاث السكنى والنفقة •

واذ قد ثبت من عبارة الفتح أن الحديث المتنازع فيه قد روى بطرق كثيرة فلا بأس أن نذكر منها ما وقفنا عليه ، ونتكلم عليه بالعدل والانصاف فنقول :

أما حديث ابن عمر فقد رواه الترمذى ، وفي سنـده خارجة بن عبد الله الانصاري ضعفه أحمد ، له أوهام ، كذا في الكاشف والتقريب • ولكن حسنه الترمذى وصححه ، وقد عرفت فيما سلف ما في تحسين الترمذى وتصحيحـه من التساهل •

وأما حديث أبي هريرة فقـد رواه أحمد والبزار والطبراني في الأوسط ، ورجال البزار رجال الصحيح ، غير الجهم بن أبي الجهم وهو ثقة ، كذا في مجمع الزوائد •

قال الذهبي في الميزان : جهم بن أبي الجهم عن ابن جعفر بن أبي طالب وعنه محمد بن اسحاق لا يعرف ، له قصة حليمة السعدية اهـ • فعلم أن جهما هـذا مجهول •

وأما حديث بلال فقد رواه الطبراني ، وفيه أبو بكر بن أبي مريم وقد اختلط

كذا في مجمع الزوائد ، قال الذهبي في الميزان : أبو بكر بن عبد الله بن أبي مريم الغساني الحمصي ، يقال اسمه بكر وقيل بكير وقيل عمرو وقيل عامر وقيل عبد السلام ، ضعيف عندهم • قلت : وكان من العباد ، عن راشد بن سعد وخالد بن معدان ، وعنه بقية وأبو اليمان وطائفة ، ضعفه أحمد وغيره لكثرة ما يغلط ، وكان أحد أوعية العلم ، وقال ابن حبان : رديء الحفظ لا يحتج به اذا انفرد •

قال بقية : قال لنا رجل في قرية أبي بكر وهي كثيرة الزيتون : ما في هـذه القرية شجرة الا وقد قام أبو بكر اليها ليلة جمعاء ، وقال آخر : كان كثير البكاء ، وقال الجوزجاني : هو متماسك ، وقال ابن عدى : أحاديثه صالحة ولا يحتج به ، وقال يزيد بن عبد ربه : مات سنة ست وخمسين ومائة • وله حديث آخر منكر جدا •

قال أبو داود سرق لأبي بكر بن أبي مريم حلى ، فأنكر عقله ، وسمعت أحمد يقول : ليس بشيء ا هـ ملخصا •

قال الحافظ في التقريب : أبو بكر بن عبد الله بن أبي مريم الغساني الشامي ، وقد ينسب الى جده ، قيل اسمه بكير وقيل عبد السلام ، ضعيف • وكان قد سرق بيته فاختلط ، من السابعة ، مات سنة ست وخمسين • ا هـ

وقال الذهبي في الكاشف : أبو بكر بن عبد الله بن أبي مريم الغساني اسمه بكير وقيل عبد السلام ، عن خالد بن معدان ومكحول ، وعنه ابن المبارك وأبو اليمان ، ضعفوه ، وله علم وديانة • ا هـ •

وأما حديث معاوية فقد رواه الطبراني وفيه ضعفاء ، سليمان الشاذكوني وغيره ، كذا في مجمع الزوائد • قال الذهبي في الميزان : سليمان بن داود المنقري الشاذكوني البصري الحافظ أبو أيوب ، لقي حماد بن زيد وجعفر بن سليمان فمن بعدهما ، قال البخاري : فيه نظر ، وكذبه ابن معين في حديث ذكر له عنه ، وقال عبدان الأهوازي : معاذ الله أن يتهم ، انما كانت كتبه قد ذهبت فكان يحدث من حفظه • وقال ابن عدى : كان أبو يعلى والحسن بن سفيان اذا حدثا عنه يقولان : حدثنا سليمان أبو أيوب ، ولم يزيدا فيدلسانه ويسترانه •

وقال أبو حاتم : متروك الحديث ، وقال النسائي : ليس بثقة . وقال يحيى ابن معين قال لنا سليمان الشاذكوني هاتوا حرفا من رأى الحسن البصري لا أحفظه . وقال حنبل : سمعت أبا عبد الله يقول : كان أعلمنا بالرجال يحيى بن معين ، وأحفظنا للأبواب الشاذكوني ، وكان ابن المديني أحفظنا للطوال ، وقال صالح بن محمد الحافظ : ما رأيت أحفظ من الشاذكوني ، وكان يكذب في الحديث . وقال أحمد : جالس الشاذكوني حماد بن زيد وبشر بن المفضل ويزيد ابن زريع فما نفعه الله بواحد منهم ، وقيل كان يتعاطى المسكر ويتماجن . مات سنة أربع وثلاثين ومائتين . وقال ابن عدى : قال محمد بن موسى السواق قال ابن الشاذكوني لما حضرته الوفاة : اللهم من اعتذر اليك فاني لا أعتذر اليك ما قذفت محصنة ، ولا دلست حديثا ، وساق له ابن عدى أحاديث خولف فيها ثم قال : وللشاذكوني حديث كثير مستقيم ، وهو من الحفاظ المعدودين ، ما أشبه أمره بما قال عبدان : يحدث حفظا فيغلط . اهـ .

وأما حديث عمر بن الخطاب فقد رواه الطبراني في الأوسط ، وفيه على بن سعيد المقري العكاوى ولم أعرفه ، وبقية رجاله رجال الصحيح ، غير عبد الله بن صالح كاتب الليث وقد وثق وفيه ضعف ، كذا في مجمع الزوائد . قال الحافظ في التقريب : عبد الله بن صالح بن محمد بن مسلم الجهني أبو صالح المصري كاتب الليث ، صدوق كثير الغلط ، ثبت في كتابه وكانت فيه غفلة ، من العاشرة مات سنة اثنتين وعشرين وله خمس وثمانون سنة . اهـ .

وقال الذهبي في الكاشف : عبد الله بن صالح الجهني مولاهم كاتب الليث ، عن معاوية بن صالح وموسى بن على ، وعنه البخاري تعليقا ، والأصح أنه أيضا روى عنه في الصحيح . وابن معين وبكر بن سهل ، وكان مكثرا جدا ، قال أبو زرعة : كان حسن الحديث لم يكن ممن يكذب ، وقال الفضل الشعراني : ما رأيته الا يحدث أو يسبح ، وقال ابن عدى : هو عندي مستقيم الحديث ، وله أغاليط . وكذبه جزرة اهـ . وقال الذهبي في الميزان : عبد الله بن صالح بن محمد ابن مسلم الجهني المصري أبو صالح كاتب الليث بن سعد على أمواله ، صاحب حديث وعلم ، مكثر له مناكير ، حدث عن معاوية بن صالح وخلق ، وعنه شيخه الليث وابن وهب وابن معين وأحمد بن الفرات والناس .

قال عبد الملك بن شعيب بن الليث : ثقة مأمون سمع من جدي حديثه ، وقال أبو حاتم : سمعت محمد بن عبد الله بن عبد الحكم وسئل عن أبي صالح فقال : تسألني عن أقرب رجل الى الليث لزمه سفرا وحضرا وكان يخلو معه كثيرا ، لا ينكر لمثله أن يكون قد سمع منه لكثرة ما أخرج عن الليث . وقال أبو حاتم سمعت ابن معين يقول : أقل أحواله أن يكون قرأ هذه الكتب على الليث وأجازها له ، ويمكن أن يكون ابن أبي ذئب كتب اليه بهذا الدرج . قال : وسمعت أحمد ابن صالح يقول : لا أعلم أحدا روى عن الليث عن ابن أبي ذئب الا أبا صالح . وقال أحمد بن حنبل : كان أول أمره متماسكا ثم فسد بآخرة ، يروى عن الليث عن ابن أبي ذئب ولم يسمع الليث من ابن أبي ذئب شيئا .

وقال أبو حاتم : هو صدوق أين ما علمته . وقال أبو زرعة : لم يكن عندي ممن يتعمد الكذب ، وكان حسن الحديث .

وقال أبو حاتم : أخرج أحاديث في آخر عمره أنكروها عليه ، يرى أنها مما افتعل خالد بن نجيح ، وكان أبو صالح يصحبه ، وكان سليم الناحية ، لم يكن وزن أبي صالح الكذب ، كان رجلا صالحا .

وقال أحمد بن محمد الحجاج بن رشدين : سمعت أحمد بن صالح يقول : متهم ، ليس بشىء ، يعني الحمراوي عبد الله بن صالح . وسمعت أحمد بن صالح يقول في عبد الله بن صالح : فأجروا عليه كلمة أخرى .

وقال ابن عبد الحكم : سمعت أبا عبد الله يقول ما لا أحصى ، وقد قيل له : ان يحيى بن بكير يقول في أبي صالح شيئا ، فقال : قل له : هل حدثك الليث قط الا وأبو صالح عنده ؟ وقد كان يخرج معه الى الاسفار ، وهو كاتبه ، فتنكر أن يكون عنده ما ليس عند غيره ؟

وقال سعيد بن منصور : كلمني يحيى بن معين وقال : أحب أن تمسك عن عبد الله بن صالح . فقلت : لا أمسك عنه ، وأنا أعلم الناس به ، انما كان كاتبا للضياع . وقال أحمد : كتب الى وأنا بحمص يسألني الزيارة . قال الفضل بن محمد الشعراني : ما رأيت أبا صالح الا وهو يحدث أو يسبح . قال صالح جزرة :

كان ابن معين يوثقه ، وهو عنـدي يكذب في الحديث • وقال النسائي : ليس بثقة ، ويحيى بن بكير أحب الينا منه • وقال ابن المديني : لا أروي عنه شيئـا ، وقال ابن حبان : كان في نفسه صدوقا ، انما وقعت المناكير في حديثه من قبل جار له ، فسمعت ابن خزيمة يقول : كان له جار كان بينه وبينه عداوة ، كان يضـع الحديث على شيخ أبي صالح ويكتبه بخط يشبه خط عبد الله ويرميه في داره بين كتبه فيتوهم عبد الله أنه خطه فيحدث به • وقال ابن عدي : هو عندي مستقيم الحديث ، الا أنه يقع في أسانيده ومتونه غلط ولا يتعمد ، قلت : وقد روى عنه البخـاري في الصحيح على الصحيح ، ولكنه يدلسه فيقول : حدثنا عبـد الله ولا ينسبه وهو هو • نعم قد علق البخاري حديثا فقال فيه : قال الليث بن سعد حدثني جعفر بن ربيعة •

ثم قال في آخر الحديث : حدثني عبد الله بن صالح أنبأنا الليث فذكره ، ولكن هذا عند ابن حمويه السرخسي دون صاحبيه • وفي الجملة ما هو بدون نعيم بن حمـاد ولا اسماعيل بن أبي أويس ولا سويد بن سعيـد وحديثهم في الصحيحين ولكل منهم مناكير تغتفر في كثرة ما روى ، وبعضها منكر واه ، وبعضها غريب محتمل • انتهى •

وعن عائشة رضي الله عنها أن النبى صلى الله عليه وسلم قال « ما كان نبى الا في أمته معلم أو معلمان ، فان يكن في أمتي منهم أحد فهو عمر بن الخطاب ، ان الحق على لسان عمر وقلبه » قلت في الصحيح بعضه بغير سياق ، رواه الطبراني في الأوسط وفيه عبد الرحمن بن أبي الزناد وهو لين الحـديث كذا في مجمـع الزوائد ، قال ابن معين : هو أثبت النـاس في هشام بن عروة ، وقال أبو حاتم وغيره : لا يحتج به ، كذا في الكاشف • وقال الحافظ في التقريب : صدوق ، تغير حفظه لـمـا قدم بغداد ، وكان فقيها من السابعة ، ولى خراج المدينة فحمد • اهـ

وعن على قال : اذا ذكر الصالحون فحيهلا بعمر ، ما كنا نبعد أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم أن السكينة تنطق على لسان عمر • رواه الطبراني في الأوسط واسناده حسن •

وعن ابن مسعود قال : ما كنا نبعد أن السكينة تنزل على لسان عمر رضي الله عنه • رواه الطبراني واسناه حسن •

وعن طارق بن شهاب قال : كنا نتحدث أن السكينة تنزل على لسان عمر ، رواه الطبراني ورجاله ثقات ، كذا في مجمع الزوائد ، فالصواب أن حديث « ان الله جعل الحق على لسان عمر وقلبه » وان كان لا يخلو طريق من طرقه من مقال ولكنه لكثرة الشواهد صالح لأن يحتج به ، الا أن دلالته على أن فعل عمر رضي الله عنه حجة ممنوعة •

قوله : روى الطبراني في الكبير وابن عدى في الكامل عن الفضل بن العباس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « عمر معي وأنا مع عمر والحق بعدي مع عمر حيث كان » •

أقول : مجرد رواية الطبراني وابن عدى هذا الحديث لا يقتضي أن يصح الاحتجاج به ما لم يثبت كونه صحيحا أو حسنا ، فيجب على من يحتج به أن يبين صحته أو حسنه ، ودونه خرط القتـــاد • على أن دلالته على المطلوب غير مسلمة على نحو ما مر في الحديث المتقدم •

قوله : وهذا مثل ما صح في حق على رضي الله عنه حيث قال صلى الله عليه وسلم في حقه « وأدر الحق معه حيث دار » وهو صحيح •

أقول : مدعى صحة هذا الحديث يطالب أولا باقامة الدليل عليه ، وأنى له ذلك ؟ كيف وهذا الحديث رواه الترمذي وفي سنده سعيد بن حيان ، قال الذهبي في الميزان : لا يكاد يعرف • ا هـ • أيضا فيه مختار بن نافع التيمي عن أبى حيان التيمي قال النسائي وغيره : ليس بثقة • وقال ابن حبان : منكر الحديث جدا •

أحمد بن عبد الرحمن الكزبراني حدثنا مختار بن نافع عن أبي حيان عن أبيه عن على مرفوعا « رحم الله أبا بكر زوجني ابنته وصحبني الى دار الهجرة » وذكر الحديث • قال البخاري : منكر الحديث ، كنيته أبو اسحاق • كذا في الميزان • وقال الحافظ في التقريب : مختار بن نافع التيمي ـــ ويقال العكلي ـــ أبو اسحاق التمار الكوفي ضعيف من السادسة ا هـ • وفيه أيضا سهل بن حماد ، قال الذهبي

في الميزان : كان بعد المائتين لا يدري من هو ، وليس بالدلال أبي عتاب • والظاهر أنه هو فقد قال عثمان الدارمي : سألت يحيى بن معين عن سهل بن حماد الدلال ، فقال لا أعرفه ، عنى أنه ما يخبر حاله وقال فيه أبو زرعة وأبو حاتم : صالح الحديث ، شيخ • وأما أحمد فقال : لا بأس به •

قلت : مات سنة ثمان ومائتين ، روى عن قرة بن خالد وشعبة وطبقتهما ، ما خرج له البخاري شيئا اهـ •

ويا لله العجب ما أجرأ هذا المؤلف على تصحيح هذا الحديث ، مع أن في سنده مختار بن نافع التيمي وهو ضعيف جدا ، على أن دلالة مثل هذا الحديث على المطلوب غير مسلمة والا لزم أن يكون فعل معاوية رضي الله عنه أيضا حجة ، فانه روى عن عبد الرحمن بن أبي عميرة وكان من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال لمعاوية « اللهم اجعله هاديا مهديا واهد به » أخرجه الترمذي وقال هذا حديث حسن غريب • وعن عمير رضي الله عنه قال : لا تذكروا معاوية الا بخير ، فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « اللهم اهد به » رواه الترمذي • وعن عائشة قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اللهم اهده بالهدى ، وجنبه الردى ، واغفر له في الآخرة والأولى » رواه الطبراني في الأوسط وفيه السدى بن عاصم وهو ضعيف كذا في مجمع الزوائد ، مع أن القول بحجية فعله رضي الله عنه بعيد جدا •

قوله : ومن الأدلة على أن توسل عمر بالعباس رضي الله عنه حجة على جواز التوسل قوله صلى الله عليه وسلم « لو كان بعدي نبي لكان عمر » اهـ •

أقول : أخرجه الترمذي ، وفي سنده مشرح بن هاعان ، قال الذهبي في الميزان : مشرح بن هاعان المصري عن عقبة بن عامر صدوق لينه ابن حبان ، وقال عثمان بن سعيد عن ابن معين : ثقة ، قال ابن حبان يكنى أبا مصعب ، يروى عن عقبة مناكير لا يتابع عليها ، روى عنه الليث وابن لهيعة ، فالصواب ترك ما انفرد به ، وذكره العقيلي فما زاد في ترجمته أكثر من أن قيل : انه ممن جاء مع الحجاج الى مكة ، ونصب المنجنيق على الكعبة اهـ •

وأما حديث عصمة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لو كان بعدي نبي لكان عمر » فقد رواه الطبراني ، وفيه الفضل بن المختار وهو ضعيف ، كذا في مجمع الزوائد . قال الذهبي في الميزان : الفضل بن المختار أبو سهل البصري عن ابن أبي ذئب وغيره قال أبو حاتم : أحاديثه منكرة يحدث بالأباطيل . وقال الأزدي : منكر الحديث جدا . وقال ابن عدي : أحاديثه منكرة ، عامتها لا يتابع عليها ، ثم ذكر له أربعة أحاديث وقال بعده : فهذه أباطيل وعجائب . ثم ذكر حديث عصمة بن مالك في السرقة الذي رواه الدارقطني وقال : هـذا يشبه أن يكون موضوعا . والله أعلم اهـ .

وفي الباب عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لو كان الله باعثا رسولا بعدي لبعث عمربن الخطاب » رواه الطبراني في الأوسط ، وفيه عبد المنعم بن بشير وهو ضعيف ، كذا في مجمع الزوائد . قال الذهبي في الميزان : عبد المنعم بن بشير أبو الخير الأنصاري المصري عن عبد الله بن عمر العمري وعنه يعقوب الفسوي جرحه ابن معين . وقال ابن حبان : منكر الحديث جدا ، لا يجوز الاحتجاج به . قال الحنبلي : سمعت ابن معين يقول : أتيت عبدالمنعم فأخرج الي أحاديث أبي مودود نحوا من مائتي حديث كذب ، فقلت له يا شيخ أنت سمعت هذه من أبي مودود ؟ قال نعم . قلت : اتق الله ، فان هذه كذب ، وقمت ولم أكتب عنه شيئا ، اهـ ملخصا . على أن دلالة تيك الأحاديث على المطلوب ممنوعة .

قوله : وروى الطبراني في الكبير عن أبي الدرداء رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « اقتدوا باللذين من بعدي أبي بكر وعمر ، فانهما حبل الله الممدود ، من تمسك بهما فقد تمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها » .

أقول : قال في مجمع الزوائد : رواه الطبراني وفيه من لم أعرفهم اهـ ، وفي الباب عن حذيفة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اقتدوا باللذين من بعدي : أبي بكر وعمر » أخرجه الترمذي بثلاث طرق في اثنتين منهما عبد الملك بن عمير اللخمي الكوفي الثقة كان من أوعية العلم ، ولكنه طال عمره وساء حفظه . قال أبو حاتم : ليس بحافظ تغير حفظه ، وقال أحمد : ضعيف يغلط ،

وقال ابن معين : مخلط وقل ابن خراش : كان شعبة لا يرضاه ، وذكر الكوسج عن أحمد أنه ضعفه جدا ، ووثقه العجلي . وقال النسائي وغيره : ليس به بأس .

قال عبد الله بن أحمد : سئل أبي عن عبد الملك بن عمير وعاصم بن أبي النجود فقال : عاصم أقل اختلافا عندي ، وقدم عاصما . قلت : لم يورده ابن عدي ولا العقيلي ولا ابن حبان ، وقد ذكروا من هو أقوى حفظا منه . وأما ابن الجوزي فذكره فحكى الجرح ، وما ذكر التوثيق . والرجل من نظراء السبيعي أبي اسحاق ، وسعيد المقبري لما وقعوا في هرم الشيخوخة فنقص حفظهم ، وساءت أذهانهم ، ولم يختلطوا ، وحديثهم في كتب الاسلام كلها . وكان عبد الملك ممن جاوز المائة ، كذا في الميزان. وقال الحافظ في التقريب : ثقة فقيه ، تغير حفظه ، وربما دلس . اهـ

واذ قد عرفت أنه مع تغير حفظه مدلس ، وقد عنعن في هذا الحديث ، فلا يقبل حديثه .

وفي الأولى منها الحسن بن الصباح البزار ، وهو وان كان صدوقا لكنه يهم كما قال الحافظ في التقريب ، وقال النسائي : ليس بالقوي . كذا في الميزان .

وفي الثانية منها هلال مولى ربعي وهو مجهول ، ما حدث عنه سوى عبد الملك ابن عمير كذا في الميزان . وأيضا فيها سفيان الثوري وهو مدلس وقد عنعنه . وفي الثالثة منها عمرو بن هرم ضعفه يحيى القطان ووثقه أحمد وابن معين وأبو حاتم كذا في الميزان ، وفيها سالم بن العلاء أبو العلاء المرادي ، وقيل سالم بن عبد الواحد عن ربعي بن حراش وعطية العوفي ، وعنه يعلى بن عبيد وجماعة ، وضعفه ابن معين والنسائي . وقال أبو حاتم : يكتب حديثه . كذا في الميزان . على أن دلالة هذا الحديث على المقصود أيضا غير مسلمة ، لاحتمال أن يكون المراد بالاقتداء الاقتداء في الأمور التي يجب فيها طاعة الخلفاء وأولي الأمر ، كما هو المراد بلفظ السمع والطاعة الواردين في الأحاديث التي أمر فيها باطاعة الأمراء والأئمة كقوله صلى الله عليه وسلم « من أطاعني فقد أطاع الله ، ومن عصاني فقد عصى الله ، ومن يطع الأمير فقد أطاعني ، ومن يعص الأمير فقد عصاني » رواه البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة ، وعن أم الحصين قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ان أمر عليكم عبد مجدع يقودكم بكتاب الله فاسمعوا وأطيعوا » رواه مسلم .

وعن أنس رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « اسمعوا وأطيعوا ، وان استعمل عليكم عبد حبشي كأن رأسه زبيبة » رواه البخاري • وعن ابن عمر رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « السمع والطاعة على المرء المسلم فيما أحب وكره ، ما لم يؤمر بمعصية ، فاذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة » متفق عليه • وعن عبادة بن الصامت رضى الله عنه قال : بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم « على السمع والطاعة في العسر واليسر والمنشط والمكره ، وعلى أثرة علينا ، وعلى أن لا ننازع الأمر أهله ، وعلى أن نقول بالحق أينما كنا لا نخاف في الله لومة لائم » وفي رواية « على أن لا ننازع الأمر أهله ، الا أن تروا كفرا بواحا عندكم من الله فيه برهان » متفق عليه •

وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من رأى من أميره شيئا يكرهه فليصبر ، فانه ليس أحد يفارق الجماعة شبرا فيموت الا مات ميتة جاهلية » متفق عليه • وعن أبي هريرة قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « من خرج من الطاعة وفارق الجماعة فمات مات ميتة جاهلية » رواه مسلم • وغير ذلك من الأحاديث الواردة في ذلك الباب •

ومن البين أن المراد بالسمع والطاعة في تيك الأحاديث ليس الا الاتباع في الأمور المتعلقة بالخلافة والامامة ، لا أن أفعالهم وأقوالهم وتقريراتهم حجة كفعل النبى صلى الله عليه وسلم وقوله وتقريره ، ولعل هذا هو المراد في كل حديث أمر فيه بالتمسك بسنة الخلفاء الراشدين المهديين • وفي حديث « اتبعوا السواد الأعظم، وعليكم بالجماعة والعامة » •

ومما يؤيد ارادة هذا المعنى في الحديث المتنازع فيه قوله صلى الله عليه وسلم « اللذين من بعدي » فانه لو كان المقصود أن أفعالهما حجة لكفى أن يقال اقتدوا بأبى بكر وعمر ، فلما زيد فيه « اللذين من بعدي » علم أن الاقتداء بهما ليس الا في أمر يحصل لهما بعد موت النبى صلى الله عليه وسلم لا في حياته ، وهو أمر الخلافة والامارة • ونظير ذلك اطاعة المرأة لبعلها ، واطاعة الولد للوالدين، ولن ترى أحدا من المسلمين يقول ان فعل البعل والوالدين وقولهم أو تقريرهم حجة ، فكذلك الحال فيما نحن فيه •

وهذا كله كان تكلما على الأحاديث التي ذكرها صاحب الرسالة لاثبات التوسل وما والاه ، وها أنا أشرع في تحقيق مسألة التوسل ، فننقل أولا كلام بعض أهل العلم والتحقيق ، ثم نذكر ما هو الحق عندي فأقول :

قال العلامة محمد بن اسماعيل بن صلاح الأمير اليماني الصنعاني في (تطهير الاعتقاد عن أدران الالحاد) في ديباجة الكتاب [1] .

« الحمد لله الذي لا يقبل توحيد ربوبيته من العباد ، حتى يفردوه بتوحيد العبادة كل الافراد ، من اتخاذ الأنداد ، فلا يتخذون له ندا ، ولا يدعون معه أحدا ، ولا يتوكلون الا عليه ، ولا يفزعون في كل حال الا اليه ، ولا يدعونه بغير أسمائه الحسنى ولا يتوسلون اليه بالشفعاء (من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه) اهـ

ثم ذكر أصولا خمسة هي من قواعد الدين فقال في الأصل الثاني : « ان رسل الله وأنبياءه من أولهم الى آخرهم بعثوا لدعاء العباد الى توحيد الله تعالى بتوحيد العبادة ، وكل رسول أول ما يقرع به أسماع قومه قوله (يا قوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره) و (أن لا تعبدوا الا الله) و (أن اعبدوا الله واتقوه وأطيعون) وهذا هو الذي تضمنه قول لا اله الا الله ، فانما دعت الرسل أممها الى قول هذه الكلمة واعتقاد معناها لا مجرد قولها باللسان ، ومعناها هو افراد الله بالالهية والعبادة ، والنفي لما يعبد من دونه والبراءة منه » .

وقال في الأصل الثالث : « ان التوحيد قسمان : (القسم الأول) توحيد الربوبية والخالقية والرازقية ونحوها ، ومعناه أن الله وحده هو الخالق للعالم وهو الرب لهم والرازق لهم ، وهذا لا ينكره المشركون ولا يجعلون لله فيه شريكا ، بل هم مقرون به .

(والقسم الثاني) توحيد العبادة ، ومعناه افراد الله وحده بجميع أنواع العبادات الآتي بيانها ، فهذا هو الذي جعلوا لله فيه الشركاء . وبهذا تعرف أن المشركين لم يتخذوا الأوثان والأصنام ولم يتخذوا المسيح وأمه ولم يتخذوا الملائكة

---

(١) قد قابلنا ما نقله المؤلف من (تطهير الاعتقاد) عند التصحيح بالأصل المطبوع ، فوجدنا فيه زيادة سقطت من مؤلفنا فلم نثبتها ، لأن الظاهر أنه قد تركها اختصارا .

شركاء لله تعالى لأجل أنهم أشركوهم في خلق السموات والأرض وفي خلق أنفسهم، بل اتخذوهم لأنهم يقربونهم الى الله زلفى كما قالوه ، فهم مقرون بالله تعالى في نفس كلمات كفرهم ، وأنهم شفعاء عند الله . قال الله تعالى (قل أتنبئون الله بما لا يعلم في السموات ولا في الأرض سبحانه وتعالى عما يشركون) فجعل الله اتخاذهم للشفعاء شركا به نزه نفسه عنه ، لأنه لا يشفع عنده أحد الا باذنه » اه .

وقال في الأصل الرابع : « ان المشركين الذين بعث الله الرسل اليهم مقرون بأن الله تعالى خالقهم (ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله) ، وأنه الذي خلق السموات والأرض (ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض ليقولن خلقهن العزيز العليم) وبأنه الرازق الذي يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى ، وأنه هو الذي يدبر الأمر من السماء الى الأرض ، وأنه هو الذي يملك السمع والأبصار والأفئدة (قل من يرزقكم من السماء والأرض أم من يملك السمع والأبصار ومن يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى ومن يدبر الأمر ؟ فسيقولون الله ، فقل أفلا تتقون ؟ — قل لمن الأرض ومن فيها ان كنتم تعلمون ؟ سيقولون لله ، قل أفلا تذكرون ؟ * قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم ؟ سيقولون لله ، قل أفلا تتقون * قل من بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه ان كنتم تعلمون ؟ سيقولون لله قل فأنى تسحرون) وكل مشرك مقر بأن الله خالقه وخالق السموات والأرض ورب ما فيهما ورازقهم » اهـ .

ثم قال : « اذا عرفت هذه الأصول فاعلم أنه سبحانه جعل العبادة له أنواعا : (منها) اعتقادية وهى أساسها ، وذلك أن تعتقد أنه الرب الواحد الأحد الذي له الخلق والأمر بيده النفع والضر ، وأنه الذي لا شريك له ولا يشفع عنده أحد الا باذنه [1] ، وأنه لا معبود بحق غيره ، وغير ذلك مما يجب من لوازم الالهية . (ومنها) لفظية وهى النطق بكلمة التوحيد . (ومنها) بدنية كالقيام والركوع

(١) فلا يحصل فى قلبه شيء من الاعتقاد بأي مخلوق حي أو مقبور بأنه يشفع أو ينفع أو أن الدعاء عنده مستجاب ، فضلا عن كونه يدعي والعياذ بالله ، فان الذين يزورون المقدسين عندهم ويدعونهم أو يدعون عندهم وينذرون لهم ويدفعون لسدنتهم ما يدفعون ونحو ذلك لم يفعلوا ما فعلوه الا لما خالط قلوبهم من الاعتقاد فيهم المخل بالاخلاص . وكتبه عبد الرحمن الدوسري .

والسجود • (ومنها) الصوم وأفعال الحج والطواف • (ومنها) مالية كاخراج جزء من المـال امتثالا لمـا أمر الله تعالى به • وأنواع الواجبات والمندوبات في الأبدان والأموال والأفعال والأقوال كثيرة ، ولكن هذه أمهاتها » اهـ •

ثم أدرج التوسل في الشرك في العبادة حيث قال :

« قد عرفت من هذا كله أن من اعتقد في شجر أو حجر أو قبر أو ملك أو جنى أو حى أو ميت أنه ينفع أو يضر ، أو أنه يقرب الى الله تعالى أو يشفع عنده في حاجة من حوائج الدنيا بمجرد التشفع والتوسل الى الرب تعالى الا ماوزد في حديث فيه مقـال في حق نبينا صلى الله عليه وسلم أو نحو ذلك فانه قد أشرك مع الله غيره » اهـ •

وقال في موضع آخر : « والنذر بالمـال على الميت ونحوه والنحر على قبره والتوسل به وطلب الحاجات منه ، هو بعينه الذي كان تفعله الجاهلية » اهـ •

وقال في موضع آخر « فان قلت : القبوريون وغيرهم الذين يعتقـدون في فسقة الناس وجهالهم من الأحياء يقولون : نحن لا نعبد هؤلاء ولا نعبد الا الله وحده ولا نصلي لهم ولا نصوم ولا نحج • قلت : هذا جهل بمعنى العبـادة ، فانها ليست منحصرة فيما ذكرت ، بل رأسها وأساسها الاعتقاد ، وقد حصل في قلوبهم ذلك • بل يسمونه معتقدا ويصنعون له ما سمعته مما تفرع عن الاعتقاد من دعائهم وندائهم ، والتوســل بهم ، والاســتغاثة والاســتعانة والحلف والنــذور وغير ذلك » اهـ •

وقد ظهر من ملاحظة تلك العبارات أن التوسل عند هذا الامام داخل في الشرك في العبادة •

* ● *

وقال الامام محمد بن على الشوكاني في (الدر النضيد في اخـلاص كلمة التوحيد) : « اعلم أن الكلام على هذه الأطراف يتوقف على ايضاح ألفاظ هى منشأ الاختلاف والالتباس : (فمنها) الاستغاثة بالغين المعجمة والمثلثة ، (ومنها) الاستعانة بالعين المهملة والنـون ، (ومنها) التشفع ، (ومنها) التوسل • فأما

الاستغاثة بالمعجمة والمثلثة فهي طلب الغوث وهو ازالة الشدة ، كالاستنصار وهو طلب النصر ، ولا خلاف أنه يجوز أن يستغاث بالمخلوق فيما يقدر على الغوث فيه من الأمور ، ولا يحتاج مثل ذلك الى استدلال فهو في غاية الوضوح ، وما أظنه يوجد فيه خلاف ، ومنه (فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوه) وكما قال (ان استنصروكم في الدين فعليكم النصر) وكما قال الله تعالى (وتعاونوا على البر والتقوى) •

« وأما ما لا يقدر عليه الا الله فلا يستغاث فيه الا به كغفران الذنوب ، والهداية ، وانزال المطر والرزق ، ونحو ذلك • كما قال تعالى (ومن يغفر الذنوب الا الله) وقال (انك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء) وقال (يا أيها الناس اذكروا نعمة الله عليكم هل من خالق غير الله يرزقكم من السماء والأرض)؟ وعلى هذا يحمل ما أخرجه الطبراني في معجمه الكبير أنه كان في زمن النبى صلى الله عليه وسلم منافق يؤذي المؤمنين ، فقال أبو بكر رضى الله عنه : قوموا بنا نستغيث برسول الله صلى الله عليه وسلم من هذا المنافق ، فقال صلى الله عليه وسلم « انه لا يستغاث بي ، وانما يستغاث بالله » فمراده صلى الله عليه وسلم أنه لا يستغاث به فيما لا يقدر عليه الا الله •

« وأما ما يقدر عليه المخلوق فلا مانع من ذلك ، مثل أن يستغيث المخلوق بالمخلوق ليعينه على حمل حجر ، أو يحول بينه وبين عدوه الكافر ، أو يدفع عنه سبعا صائلا أو لصا أو نحو ذلك •

« وقد ذكر أهل العلم أنه يجب على كل مكلف أن يعلم أن لا غياث ولا مغيث على الاطلاق الا الله سبحانه ، وأن كل غوث من عنده ، واذا حصل شيء من ذلك على يد غيره فالحقيقة له سبحانه ولغيره مجاز • ومن أسمائه المغيث والغياث •

وقال أبو عبد الله الحليمي : الغياث هو المغيث ، وأكثر ما يقال ، يا غياث المستغيثين ومعناه المدرك عباده في الشدائد اذا دعوه ومجيبهم ومخلصهم ، وفي خبر الاستسقاء في الصحيحين « اللهم أغثنا ، اللهم أغثنا » اغاثة وغياثة وغوثا ، وهو في معنى المجيب والمستجيب ، قال تعالى (اذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم) ، الا أن الاغاثة أحق بالافعال ، والاستجابة بالأقوال ، وقد يقع كل منهما موقع الآخر •

« قال شيخ الاسلام ابن تيمية في بعض فتاواه ما لفظه : والاستغاثة بمعنى أن يطلب من الرسول صلى الله عليه وسلم ما هو اللائق بمنصبه لا ينازع فيه مسلم ، ومن نازع في هذا المعنى فهو اما كافر واما مخطىء ضال . وأما بالمعنى الذي نفاه رسول الله صلى الله عليه وسلم فهــو أيضا مما يجب نفيه ، ومن أثبت لغير الله ما لا يكون الا لله فهو أيضا كافر اذا قامت عليه الحجة التي يكفر تاركها .

« ومن هــذا البــاب قول أبى يزيد البسطامي : استغاثة المخلوق بالمخلوق كاستغاثة الغريق بالغريق . وقول الشيخ أبى عبد الله القرشي : استغاثة المخلوق بالمخلوق كاستغاثة المسجون بالمسجون .

« وأما الاستعانة بالنون فهي طلب العون ، ولا خلاف أنه يجوز أن يستعان بالمخلوق فيما يقدر عليه من أمور الدنيا ، كأن يستعين به على أن يحمل معه متاعه أو يعلف دابته أو يبلغ رسالته ، وأما ما لا يقدر عليه الا الله جل جلاله فلا يستعان فيه الا به ، ومنه (اياك نعبد واياك نستعين) .

« وأما التشفع بالمخلوق فلا خلاف بين المسلمين أنه يجوز طلب الشفاعة من المخلوقين فيما يقدرون عليه من أمور الدنيا ، وثبت بالسنة المتواترة واتفاق جميع الأئمة أن نبينا صلى الله عليه وسلم هو الشافع المشفع ، وأنه يشفع للخلائق يوم القيامة ، وأن الناس يستشفعون به ويطلبون منه أن يشفع لهم الى ربه ، ولم يقع الخلاف الا في كونها لمحو ذنوب المذنبين أو لزيادة ثواب المطيعين ، ولم يقل أحد بنفيها قط . وفي سنن أبى داود أن رجــلا قال للنبى صلى الله عليه وسلم : انا نستشفع بالله عليك ونستشفع بك على الله ، فقال « شأن الله أعظم من ذلك ، انه لا يستشفع به على أحد من خلقه » ، فأقره على قوله نستشفع بك على الله ، وانكر عليه قوله نستشفع بالله عليك ، وسيأتي تمام الكلام في الشفاعة .

* ● *

« أما التوسل الى الله سبحانه بأحد من خلقه في مطلب يطلبه العبد من ربه فقد قال الشيخ عزالدين ابن عبدالسلام : انه لايجوز التوسل الى الله تعالى الا بالنبى صلى الله عليه وسلم ان صح الحديث فيه . ولعله يشير الى الحديث الذي أخرجه

النسائي في سننه والترمذي وصححه وابن ماجه وغيرهم أن أعمى أتى الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله انى أصبت في بصري ، فادع الله تعالى لي • فقال له النبى صلى الله عليه وسلم « توضأ وصل ركعتين ثم قل : اللهم اني أسألك وأتوجه اليك بنبيك محمد ، يا محمد اني أستشفع بك في رد بصري ، اللهم شفع النبى في • وقال : فان كان لك حاجة فمثل ذلك » فرد الله بصره •

« وللناس في معنى هذا قولان : أحدهما أن التوسل هو الذي ذكره عمر بن الخطاب لما قال : كنا اذا أجدبنا تتوسل بنبينا اليك فتسقينا ، وانا نتوسل اليك بعم نبينا ، وهو في صحيح البخاري وغيره ، فقد ذكر عمر رضى الله عنه أنهم كانوا يتوسلون بالنبى صلى الله عليه وسلم في حياته في الاستسقاء ، ثم توسلوا بعمه العباس بعد موته • وتوسلهم هو استسقاؤهم بحيث يدعو ويدعون معه فيكون هو وسيلتهم الى الله تعالى ، والنبى صلى الله عليه وسلم كان في مثل هذا شافعا وداعيا لهم •

« والقول الثاني التوسل به صلى الله عليه وسلم يكون في حياته وبعد موته وفي حضرته ومغيبه » •

ولا يخفاك أنه قد ثبت التوسل به صلى الله عليه وسلم في حياته ، وثبت التوسل بغيره بعد موته باجماع الصحابة اجماعا سكوتيا لعدم انكار أحد منهم على عمر رضى الله عنه في التوسل بالعباس رضى الله عنه •

« وعندي أنه لا وجه لتخصيص جواز التوسل بالنبى صلى الله عليه وسلم كما زعمه الشيخ عز الدين ابن عبد السلام لأمرين :

(الأول) ما عرفناك به من اجماع الصحابة رضى الله عنهم •

و (الثاني) أن التوسل الى الله بأهل الفضل والعلم هو في التحقيق توسل بأعمالهم الصالحة ومزاياهم الفاضلة [1] ، اذ لا يكون الفاضل فاضلا الا بأعماله ،

---

(1) هذا خطأ من وجهين : أحدهما أن توسل الانسان بعمل غيره ومزاياه غير مشروع ولا معقول ، وانما توسل أصحاب الغار بعملهم • والثاني سيأتي الرد عليه : وكتبه محمد رشيد •

فاذا قال القائل : اللهم اني أتوسل اليك بالعالم الفلاني ، فهو باعتبار ما قام به من العلم • وقد ثبت في الصحيحين وغيرهما أن النبى صلى الله عليه وسلم حكى عن الثلاثة الذين انطبقت عليهم الصخرة أن كل واحد منهم توسل الى الله بأعظم عمل عمله فارتفعت الصخرة ، فلو كان التوسل بالأعمال الفاضلة غير جائز أو كان شركا كما يزعمه المتشددون في هذا الباب كابن عبد السلام ومن قال بقوله من أتباعه لم تحصل الاجابة من الله لهم ولاسكت النبى صلى الله عليه وسلم عن انكار مافعلوه بعد حكايته عنهم ، ولهذا تعلم أن ما يورده المانعون من التوسل الى الله بالأنبياء والصلحاء من نحو قوله تعالى (ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى) ونحو قوله تعالى (فلا تدعوا مع الله أحدا) ونحو قوله تعالى (له دعوة الحق والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشىء) ليس بوارد ، بل هو من الاستدلال على محل النزاع بما هو أجنبى عنه ، فان قولهم (ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى) مصرح بأنهم عبدوهم لذلك ، والمتوسل بالعالم مثلا لم يعبده بل علم أن له مزية عند الله بحمله العلم فتوسل به لذلك ، وكذلك قوله تعالى (فلا تدعوا مع الله أحدا) فانه نهى أن يدعى مع الله غيره كأن يقول يا الله ويافلان ، والمتوسل بالعالم مثلا لم يدع الا الله ، وانما وقع منه التوسل اليه بعمل صالح عمله بعض عباده كما توسل الثلاثة الذين انطبقت عليهم الصخرة بصالح أعمالهم ، وكذلك قوله (والذين يدعون من دونه) الآية فان هؤلاء دعوا من لا يستجيب لهم ولم يدعوا ربهم الذي يستجيب لهم ، والمتوسل بالعالم مثلا لم يدع الا الله ولم يدع غيره دونه ولا دعا غيره معه •

« فاذا عرفت هذا لم يخف عليك دفع ما يورده المانعون للتوسل من الأدلة الخارجة عن محل النزاع خروجا زائدا على ما ذكرنا كاستدلالهم بقوله تعالى (وما أدراك ما يوم الدين ، ثم ما أدراك ما يوم الدين * يوم لا تملك نفس لنفس شيئا والأمر يومئذ لله) فان هذه الآية الشريفة ليس فيها الا أنه تعالى المنفرد بالأمر في يوم الدين ، وأنه ليس لغيره من الأمر شىء ، والمتوسل بنبى من الأنبياء أو عالم من العلماء هو لا يعتقد أن لمن توسل به مشاركته جل جلاله في أمر يوم الدين ، ومن اعتقد هذا لعبد من العباد سواء كان نبيا أو غير نبى فهو في ضلال

مبين ، وهكذا الاستدلال على منع التوسل بقوله تعالى (ليس لك من الأمر شيء) (قل لا أملك لنفسي نفعا ولا ضرا) فان هاتين الآيتين مصرحتان بأنه ليس لرسول الله صلى الله عليه وسلم من أمر الله شيء وأنه لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا فكيف يملك لغيره ، وليس فيهما منع التوسل به أو بغيره من الأنبياء والأولياء أو العلماء ، وقد جعل الله لرسوله صلى الله عليه وسلم المقام المحمود مقام الشفاعة العظمى ، وأرشد الخلق الى أن يسألوه ذلك [(١)] ويطلبوه منه ، وقال له « سل تعطه واشفع تشفع » وقيد ذلك في كتابه العزيز بأن الشفاعة لا تكون الا باذنه ، ولا تكون الا لمن ارتضى . ولعله يأتي تحقيق هذا المقام ان شاء الله تعالى [(٢)] .

« وهكذا الاستدلال على منع التوسل بقوله صلى الله عليه وسلم لما نزل قوله تعالى (وأنذر عشيرتك الأقربين) : « يا فلان ابن فلان لا أملك لك من الله شيئا ، يا فلانة بنت فلان لا أملك لك من اللهشيئا » فان هذا ليس فيه الا التصريح بأنه صلى الله عليه وسلم لا يستطيع نفع من أراد الله تعالى ضره ، ولا ضر من أراد الله نفعه ، وأنه لا يملك لأحد من قرابته فضلا عن غيرهم شيئا من الله . وهذا معلوم لكل مسلم ، وليس فيه أنه لا يتوسل به الى الله ، فان ذلك هو طلب الأمر ممن له الأمر والنهي ، وانما أراد الطالب أن يقدم بين يدى طلبته ما يكون سببا للاجابة ممن هو المتفرد بالعطاء والمنع وهو مالك يوم الدين .

---

(١) نعم ، ان الله تعالى يلهم الخلائق يوم القيامة أن يطلبوا الشفاعة من انبياء الله تعالى فى فصل القضاء ، ولكن الله تعالى لم يأمرهم فى كتابه بأن يقصدوا قبور الأنبياء والأولياء والعلماء ليسألوهم عندها قضاء حوائج الدنيا ولا الآخرة ، ولم يشرع لهم أن هذا عبادة ، ولا أنه سبب لقضاء الحوائج ولا لمغفرة الذنوب وسعادة الآخرة ، وانما شرع لهم أن يطلبوا الرزق وشفاء الأمراض ونحو ذلك من أسبابها المعروفة بالاختبار والتجارب ، وسعادة الآخرة بالايمان والعمل الصالح والتوبة من الذنوب . وأن لا يدعوا غير الله تعالى فيما وراء الأسباب التي أقدر الله عليها الناس وأمرهم بالتعاون عليها فى دائرة الشرع،وهو ينكر هذا أشد الانكاركما يأتي قريبا . وكتبه محمدرشيد .

(٢) النصوص واضحة فى أن التوسل الجائز هو بدعاء الأحياء من الأنبياء والصالحين ، فأما الأموات فلا يملكون ذلك ، بل هم فى حاجة الى الدعاء لهم ونحوه مما ينفعهم من الصدقات الجارية ، ولا يخفى ما يؤول اليه الأمر من التساهل فى دعاء الأموات مما ذكره الشوكاني فى نهاية كلامه بقوله : فاعلم أن الرزية الخ . وكتبه عبد الرحمن الدوسري .

« واذا عرفت هذا فاعلم أن الرزيةكل الرزية ، والبليةكل البلية ، أمر غير ما ذكرنا من التوسل المجرد والتشفع بمن له الشفاعة، وذلك ماصار يعتقده كثير من العوام وبعض الخواص في أهل القبور ، وفي المعروفين بالصلاح من الأحيـاء من أنهم يقدرون على ما لا يقدر عليه الا الله جل جلاله ، ويفعلون ما لا يفعله الا الله عز وجل ، حتى نطقت ألسنتهم بما انطوت عليه قلوبهم فصاروا يدعونهم تارة مع الله وتارة استقلالا ، ويصرخون بأسمائهم ، ويعظمونهم تعظيم من يملك الضر والنفع، ويخضعون لهم خضوعا زائدا على خضوعهم عند وقوفهم بين يدى ربهم في الصلاة والدعاء ، وهذا اذا لم يكن شركا فلا ندري ما هو الشرك ، واذا لم يكن كفرا فليس في الدنيا كفر . وها نحن نقص عليك أدلة في كتاب الله سبحانه ، وفي سنة رسوله صلى الله عليه وسلم فيها المنع مما هو دون هذا بمراحل ، وفي بعضهـا التصريح بأنه شرك ، وهو بالنسبة الى هذا الذي ذكرناه يسير حقير ، ثم بعد ذلك نعود الى الكلام على مسألة السؤال » اهـ .

ثم قال بعد عدة أوراق : « وبالجملة فالوارد عن الشرع من الأدلة الدالة على قطع ذرائع الشرك وهدم كل شيء يوصل اليه في غاية الكثرة ، ولو رمت حصر ذلك على التمام لجاء في مؤلف بسيط ، فلنقتصر على هذا المقدار ونتكلم على حكم ما يفعله القبـوريون من الاستغـاثة بالأموات ، ومناداتهم لقضـاء الحاجات ، وتشريكهم مع الله في بعض الحالات ، وافرادهم بذلك في بعضها ، فنقول :

« اعلم أن الله لم يبعث رسله ولم ينزل كتبه لتعريف خلقه بأنه الخالق لهم ، والرازق لهم ونحو ذلك ، فان هـذا يقر به كل مشرك قبـل بعثة الرسل (ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله ـ ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن خلقهن العزيز العليم ❊ قل من يرزقكم من السماء والأرض أم من يملك السمـع والأبصار ومن يخـرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى ومن يدبر الأمر ؟ فسيقولون الله ، فقل أفلا تتقون) (قل لمن الأرض ومن فيها ان كنتم تعلمون ؟ سيقولون لله ، قل أفلا تذكرون ❊ قل من رب السموات السبع ورب العـرش العظيم ؟ سيقولون لله ، قل أفلا تتقون ❊ قل من بيده ملكوت كل شيء وهو

يجير ولا يجار عليه ان كنتم تعلمون ؟ سيقولون لله قل فأنى تسحرون) ولهذا نجد كل ما ورد في الكتاب العزيز في شـأن خالق الخلق ونحوه في مخاطبـة الكفار معنونا باستفهـام التقرير (هل من خالق غير الله ؟ أفي الله شك فاطر السموات والأرض ؟ أغير الله أتخذ وليا فاطر السماوات والأرض ؟ أروني ماذا خلق الذين من دونه) ؟ بل بعث الله رسله وأنزل كتبه لاخلاص توحيده وافراده بالعبـادة (يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره ـ ألا تعبدوا الا الله ـ أن اعبدوا الله واتقوه وأطيعون ـ قالوا أجئتنا لنعبد الله وحده ونذر ما كان يعبد آباؤنا ـ أن اعبدوا الله ما لكم من اله غيره ـ واياى فاعبدون) واخلاص التوحيد لا يتم الا بأن يكون الدعاء كله لله والنداء والاستغاثة والرجاء واستجلاب الخير واستدفاع الشر له ومنه لا لغيره ولا من غيره (فلا تدعوا مع الله أحدا ـ له دعوة الحق ، والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشيء ـ وعلى الله فليتوكل المؤمنون ـ وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين) وقد تقرر أن شرك المشركين الذين بعث الله اليهم خاتم رسـله صلى الله عليه وسلم لم يكن الا باعتقادهم أن الأنداد التي اتخذوها تنفعهم وتضرهم وتقربهم الى الله وتشفع لهم عنده ، مع اعترافهم بأن الله سبحانه هو خالقها وخالقهم ، ورازقها ورازقهم ، ومحييها ومحييهم ، ومميتها ومميتهم (ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى ـ فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون * ان كنا لفي ضلال مبين * اذ نسويكم برب العـالمين ـ وما يؤمن أكثرهم بالله الا وهم مشركون * هؤلاء شفعاؤنا عند الله) وكانوا يقولون في تلبيتهم [1] : لبيك لا شريك لك ، الا شريكا هو لك ، تملكه وما ملك .

« واذا تقرر هذا فلا شك أن من اعتقد في ميت من الأموات ، أو حي من الأحياء أنه يضره أو ينفعه اما استقلالا أو مع الله تعالى ، وناداه أو توجه اليه ، أو استغاث به في أمر من الأمور التي لا يقدر عليها المخلوق فهو لم يخلص التوحيد لله ، ولا أفرده بالعبادة ، اذ الدعاء بطلب وصول الخير اليه ودفع الضر عنه ، هو نوع من أنواع العبادة ، ولا فرق بين أن يكون هذا المدعو من دون الله أو معه حجرا أو ملكا أو شيطانا كما كان يفعل ذلك أهل الجاهلية وبين أن يكون انسانا من الأحياء أو الأموات كما يفعله الآن كثير من المسلمين ، وكل عالم يعلم هـذا

(١) كما في صحيح البخاري .

ويقر به ، فان العلة واحدة ، وعبادة غير الله تعالى وتشريك غيره معه يكون للحيوان كما يكون للجماد ، وللحى كما يكون للميت .

« فمن زعم أن ثم فرقا بين من اعتقد في وثن من الأوثان أنه يضر أو ينفع ، وبين من اعتقد في ميت من بنى آدم أو حي منهم أنه يضر أو ينفع أو يقدر على أمر لا يقدر عليه الا الله تعالى ، فقد غلط غلطا بينا ، وأقر على نفسه بجهل كثير ، فان الشرك هو دعاء غير الله في الأشياء التي تختص به أو اعتقاد القدرة لغيره فيما لا يقدر عليه سواه ، أو التقرب الى غيره بشىء مما لا يتقرب به الا اليه .

و [ليس في] مجرد تسمية المشركين لما جعلوه شريكا بالصنم والوثن والاله لغير الله زيادة على التسمية بالولي والقبر والمشهد كما يفعله كثير من المسلمين [1] بل الحكم واحد اذا حصل لمن يعتقد في الولي والقبر ما كان يحصل لمن كان يعتقد في الصنم والوثن ، اذ ليس الشرك هو مجرد اطلاق بعض الأسماء على بعض المسميات ، بل الشرك هو أن يفعل لغير الله شيئا يختص به سبحانه ، سواء أطلق على ذلك الغير ما كانت تطلقه عليه الجاهلية أو أطلق عليه اسما آخر ، فلا اعتبار بالاسم قط ، ومن لم يعرف هذا فهو جاهل لا يستحق أن يخاطب بما يخاطب به أهل العلم .

« وقد علم كل عالم أن عبادة الكفار للأصنام لم تكن الا بتعظيمها ، واعتقاد أنها تضر وتنفع ، والاستغاثة بها عند الحاجة والتقريب لها في بعض الحالات بجزء من أموالهم ، وهذا كله قد وقع من المعتقدين في القبور ، فانهم قد عظموها الى حد لا يكون الا لله سبحانه ، بل ربما يترك العاصي منهم فعل المعصية اذا كان في مشهد من يعتقده أو قريبا منـه مخافة تعجيل العقوبة من ذلك الميت ، وربما لا يتركها اذا كان في حرم الله أو في مسجد من المساجد أو قريبا من ذلك . وربما حلف بعض غلاتهم بالله كاذبا ولم يحلف بالميت الذي يعتقده [2] .

(١) المعنى أن مجرد التسمية لا تقتضي التفرقة فى الحكم بين المتفقين فى الاعتقاد .

(٢) وهذا واقع حقيقة ، فانهم يكررون الأيمان الكاذبة بالله ولا يحلفون بالمقبور وهم كاذبون بل يبرون فى ايمانهم بالقبور ويحنثون فى أيمانهم بالله عمدا هذا شيء مستفيض عنهم مشاهد . وكذلك ما يحصل من خوف الزائر وخشيته من المقبور خشية يمتنع بها من فعل أي خطيئة وهو لا يخشى من الله فى أي مسجد أو حرم فيقترف الفاحشة ، وقد زين لهم الشيطان أن الولي يغضب والله غفور رحيم . وكتبه عبد الرحمن المحمد الدوسري .

« وأما اعتقادهم أنها تضر وتنفع فلولا اشتمال ضمائرهم على هذا الاعتقاد لم يدع أحد منهم ميتا أو حيا عند استجلابه لنفع ، أو استدفاعه لضر ، قائلا : يا فلان افعل لي كذا وكذا ، وعلى الله وعليك ، وأنا بالله وبك .

« وأما التقرب للأموات فانظر ما يجعلونه من النذور لهم وعلى قبورهم في كثير من المحلات ، ولو طلب الواحد منهم ليسمح بجزء من ذلك لله تعالى لم يفعل ، وهذا معلوم يعرفه من عرف أحوال هؤلاء .

« فان قلت : ان هؤلاء القبوريين يعتقدون أن الله تعالى هو الضار والنافع ، والخير والشر بيده ، وان استغاثوا بالأموات قصدا لانجاز ما يطلبونه من الله سبحانه . قلت : وهكذا كانت الجاهلية ، فانهم يعلمون أن الله هو الضار النافع وأن الخير والشر بيده ، وانما عبدوا أصنامهم لتقربهم الى الله زلفى كما حكاه الله عنهم في كتابه العزيز . نعم اذا لم يحصل من المسلم الا مجرد التوسل الذى قدمنا تحقيقه فهو كما ذكرناه سابقا ، ولكن من زعم أنه لم يقع منه الا مجرد التوسل — وهو يعتقد من تعظيم ذلك الميت ما لا يجوز اعتقاده في أحد من المخلوقين ، وزاد على مجرد الاعتقاد فتقرب الى الأموات بالذبائح والنذور ، وناداهم مستغيثا بهم عند الحاجة — فهذا كاذب في دعواه أنه متوسل فقط ، فلو كان الأمر كما زعمه لم يقع منه شيء من ذلك ، والمتوسل به لا يحتاج الى رشوة بنذر أو ذبح ولا تعظيم ولا اعتقاد ، لأن المدعو هو الله سبحانه وهو أيضا المجيب ، ولا تأثير لمن وقع به التوسل قط ، بل هو بمنزلة التوسل بالعمل الصالح فأى جدوى في رشوة من قد صار تحت أطباق الثرى بشيء من ذلك ؟ وهل هذا الا فعل من يعتقد التأثير اشتراكا أو استقلالا [1] ، ولا أعدل من شهادة أفعال جوارح الانسان على بطلان ما ينطق به لسانه من الدعاوى الباطلة العاطلة ، بل من زعم أنه لم يحصل منه الا مجرد

(1) لا شك أن الذي يرتاد القبورين يعتقد فيهم التأثير ، ويحصل له من تلبيس الشيطان واغوائه ما يزداد به فى هذا الاعتقاد ، هـذا وأن ربط حكم الشرك بدعوى اعتقاد التأثير هو من ألاعيب شياطين الانس والجن ، وذلك لأن المشركين الأوائل لم يذكر الله عنهم اعتقاد التأثير ، بل ذكر غاية ما يتعللون به أنهم يقربونهم الى الله زلفى، فاعجب كيف زين الشيطان للمتأخرين استباحة الشرك بحجة عـدم اعتقاد التأثير ، وهي شـبهة باطلة بل واقعهم يشهـد عليهم باعتقاد ما نفـوه من التـأثير . وكتبه عبد الرحمن الدوسري .

التوسل ــ وهو يقول بلسانه « يا فلان » مناديا لمن يعتقده من الأموات ــ فهو كاذب على نفسه • ومن أنكر حصول النداء للأموات والاستغاثة بهم استقلالا فليخبرنا ما معنى ما نسمعه في الأقطار اليمنية من قولهم : يا ابن العجيلي ، يا زيلعي، يا ابن علوان ، يا فلان يا فلان ؟ هل ينكر هذا منكر ، ويشك فيه شاك ؟ وما عدا ديار اليمن فالأمر فيها أطم وأعم ، ففي كل قرية ميت يعتقده أهلها وينادونه وفي كل مدينة جماعة منهم ، حتى أنهم في حرم الله ينادون : يا ابن عباس ، يا محجوب ! فما ظنك بغير ذلك ؟ فلقد تلطف ابليس وجنوده أخزاهم الله تعالى لغالب أهل الملة الاسلامية بلطفة تزلزل الأقدام عن الاسلام ، فانا لله وانا اليه راجعون •

أين من يعقل معنى (ان الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم ــ فلا تدعوا مع الله أحدا ــ له دعوة الحق والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشيء) ، وقد أخبرنا الله سبحانه أن الدعاء عبادة في محكم كتابه بقوله تعالى (ادعوني أستجب لكم ان الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين) •

« وأخرج أبو داود والترمذي وقال حسن صحيح من حديث النعمان بن بشير قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ان الدعاء هو العبادة » وفي رواية « مخ العبادة » ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم الآية المذكورة ، وأخرجه أيضا النسائي وابن ماجه والحاكم وأحمد وابن أبي شيبة باللفظ المذكور ، وكذلك النحر للأموات عبادة لهم ، والنذر لهم بجزء من المال عبادة لهم ، والتعظيم عبادة لهم ، كما أن النحر للنسك واخراج صدقة المال والخضوع والاستكانة عبادة لله عز وجل بلا خلاف ، ومن زعم أن ثم فرقا بين الأمرين فليهده الينا •

« ومن قال انه لم يقصد بدعاء الأموات والنحر لهم والنذر عليهم عبادتهم ، فقل له فلأى مقتض صنعت هذا الصنيع ؟ فان دعاءك للميت عند نزول أمر بك لا يكون الا لشيء في قلبك عبر عنه لسانك ، فان كنت تهذي بذكر الأموات عند عروض الحاجات من دون اعتقاد منك لهم فأنت مصاب بعقلك ، وهكذا ان كنت تنحر لله وتنذر لله فلأى معنى جعلت ذلك للميت وحملته الى قبره ؟ فان الفقراء على ظهر البسيطة في كل بقعة من بقاع الأرض ، وفعلك وأنت عاقل لا يكون الا

لمقصد قد قصدته أو أمر قد أردته ، والا فأنت مجنون قد رفع عنك القلم ، ولا نوافقك على دعوى الجنون الا بعد صدور أفعالك وأقوالك في غير هذا على نمط أفعال المجانين ، فان كنت تصدرها مصدر أفعال العقلاء فأنت تكذب على نفسك في دعواك الجنون في هذا الفعل بخصوصه فرارا عن أن يلزمك ما لزم عباد الأوثان الذين حكى الله عنهم في كتابه العزيز ما حكاه بقوله (وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيبا فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا) وبقوله (ويجعلون لما لا يعلمون نصيبا مما رزقناهم ، تالله لتسألن عما كنتم تفترون) •

« فان قلت : ان المشركين كانوا لا يقرون بكلمة التوحيد ، وهؤلاء المعتقدون في الأموات يقرون بها ، قلت : هؤلاء انما قالوها بألسنتهم وخالفوها بأفعالهم ، فان من استغاث بالأموات أو طلب منهم ما لا يقدر عليه الا الله سبحانه ، أو عظمهم أو نذر عليهم بجزء من ماله أو نحر لهم فقد نزلهم منزلة الآلهة التي كان المشركون يفعلون لها هذه الأفعال ، فهو لم يعتقد معنى لا اله الا الله ولا عمل بها ، بل خالفها اعتقادا وعملا ، فهو في قوله لا اله الا الله كاذب على نفسه ، فانه قد جعل الهاً غير الله يعتقد أنه يضر وينفع ، وعبده بدعائه عند الشدائد والاستغاثة به عند الحاجة ، وبخضوعه له وتعظيمه اياه نحر له النحائر ، وقرب اليه نفائس الأموال •

« وليس مجرد قول لا اله الا الله من دون عمل بمعناها مثبتا للاسلام ، فانه لو قالها أحد من أهل الجاهلية وعكف على صنمه يعبده لم يكن ذلك اسلاما » اه •

وأيضا قال فيه [1] « فان قلت : فقد ورد الحديث الصحيح بأن الخلائق يوم القيامة يأتون آدم فيدعونه ويستغيثونه ثم نوحا ثم ابراهيم ثم موسى ثم عيسى ثم محمدا صلى الله عليه وسلم وسائر اخوانه من الأنبياء • قلت : أهل المحشر انما يأتون هؤلاء الأنبياء يطلبون منهم أن يشفعوا لهم الى الله سبحانه ويدعوا لهم بفصل الحساب ، والاراحة من ذلك الموقف ، وهذا جائز فانه من طلب الشفاعة والدعاء المأذون فيهما •

« وقد كان الصحابة يطلبون من رسول الله صلى الله عليه وسلم في حياته

(١) أى الشوكاني في كتابه الدر النضيد •

أن يدعو لهم كما في حديث « يا رسول الله ادع الله أن يجعلني منهم » لما أخبرهم بأنه يدخل الجنة سبعون ألفاً ، وحديث « سبقك بها عكاشة » وقول أم سليم « يا رسول الله خادمك أنس ادع الله له » . وقول المرأة التي كانت تصرع « يا رسول الله ادع الله لي » . وآخر الأمر سألته الدعاء بأن لا تتكشف عند الصرع فدعا لها .

ومنه ارشاده صلى الله عليه وسلم لجماعة من الصحابة بأن يطلبوا الدعاء من أويس القرني اذا أدركوه ، ومنه ما ورد في دعاء المؤمن لأخيه بظهر الغيب ، وغير ذلك مما لا يحصر ، حتى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعمر لما خرج معتمرا « لا تنسني يا أخي من دعائك » فمن جاء الى رجل صالح واستمد منه أن يدعو له ، فهذا ليس من ذلك الذي يفعله المعتقدون في الأموات ، بل هو سنة حسنة وشريعة ثابتة . وهكذا طلب الشفاعة ممن جاءت الشريعة المطهرة بأنه من أهلها كالأنبياء ، ولهذا يقول الله لرسوله يوم القيامة « سل تعطه واشفع تشفع » وذلك هو المقام المحمود الذي وعده الله به كما في كتابه العزيز .

والحاصل أن طلب الحوائج من الأحياء جائز اذا كانوا يقدرون عليها ، ومن ذلك الدعاء فانه يجوز استمداده من كل مسلم بل يحسن ذلك ، وكذلك الشفاعة من أهلها الذين ورد الشرع بأنهم يشفعون . ولكن ينبغى أن يعلم أن دعاء من يدعو له لا ينفع الا باذنه وارادته ومشيئته ، وكذلك شفاعة من يشفع ، لا تكون الا باذن الله كما ورد بذلك القرآن العظيم . فهذا تقييد للمطلق لا ينبغي العدول عنه بحال » اهـ .

وأيضا قال فيه : « ومن جملة الشبه التي عرضت لبعض أهل العلم ما صرح به السيد العلامة محمد بن اسماعيل الأمير رحمه الله في شرحه لأبياته التي يقول في أولها :

❋ رجعت عن النظم الذي قلت في النجدي ❋

فانه قال : ان كفر هؤلاء المعتقدين للأموات هو من الكفر العملي ، لا الكفر الجحودي ، ونقل ما ورد في كفر تارك الصلاة كما ورد في الأحاديث الصحيحة ،

وكفر تارك الحج ، وكفر من لم يحكم بما أنزل الله كما في قوله تعالى (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون) ونحو ذلك من الأدلة الواردة فيمن زنى ومن سرق ومن أتى امرأة حائضا أو امرأة في دبرها أو أتى كاهنا أو عرافا أو قال لأخيه يا كافر • قال : فهذه الأنواع من الكفر وان أطلقها الشارع على فعل هذه الكبائر فانه لا يخرج به العبد عن الايمان ويفارق به الملة ويباح به دمه وماله وأهله كما ظنه من لم يفرق بين الكفرين ولم يميز بين الأمرين • وذكر ما عقده البخاري في صحيحه من كتاب الايمان في (كفر دون كفر) وما قاله العلامة ابن القيم أن الحكم بغير ما أنزل الله وترك الصلاة من الكفر العملي ، وتحقيقه أن الكفر كفر عمل وكفر جحود وعناد ، فكفر الجحود أن يكفر بما علم أن الرسول صلى الله عليه وسلم جاء به من عند الله جحودا وعنادا ،فهذا الكفر يضاد الايمان من كل وجه•

وأما كفر العمل فهو نوعان : نوع يضاد الايمان ونوع لا يضاده ، ثم نقل عن ابن القيم كلاما في هذا المعنى ، ثم قال السيد المذكور « قلت : ومن هذا — يعني الكفر العملي — من يدعو الأولياء ، ويهتف بهم عند الشدائد ، ويطوف بقبورهم ، ويقبل جدرانها وينذر لها بشيء من ماله ، فانه كفر عملي لا اعتقادي ، فانه مؤمن بالله وبرسوله صلى الله عليه وسلم وباليوم الآخر ، لكن زين له الشيطان أن هؤلاء عباد الله الصالحين ينفعون ويشفعون ويضرون فاعتقد ذلك كما اعتقد ذلك أهل الجاهلية في الأصنام ، لكن هؤلاء مثبتون التوحيد لله لا يجعلون الأولياء آلهة كما قاله الكفار انكارا على رسول الله صلى الله عليه وسلم لما دعاهم الى كلمة التوحيد (أجعل الآلهة الها واحدا) ، فهؤلاء جعلوا لله شركاء حقيقة فقالوا في التلبية « لبيك لا شريك لك ، الا شريكا هو لك ، تملكه وما ملك » فأثبتوا للأصنام شركة مع رب الأنام ، وان كانت عباراتهم الضالة قد أفادت أنه لا شريك له ، لأنه اذا كان يملكه وما ملك فليس بشريك له تعالى بل مملوك •

فعباد الأصنام الذين جعلوا لله أندادا واتخذوا من دونه شركاء يقولون انهم شفعاء يقربونهم الى الله زلفى ، بخلاف جهلة المسلمين الذين اعتقدوا في أوليائهم النفع والضر ، فانهم مقرون لله بالوحدانية وافراده بالالهية وصدقوا رسله ، فالذي أتوه من تعظيم الأولياء كفر عمل لا اعتقاد ، فالواجب وعظهم وتعريفهم جهلهم

وزجرهم ولو بالتعزير ، كما أمرنا بحد الزاني والشارب والسارق من أهل الكفر العملي . الى أن قال : فهذه كلها قبائح محرمة من أعمال الجاهلية هي من الكفر العملي ، وقد ثبت أن هذه الأمة تفعل أمورا من أمور الجاهلية هي من الكفر العملي كحديث « أربع في أمتي من أمر الجاهلية لا يتركونهن : الفخر في الأحساب ، والطعن في الأنساب ، والاستسقاء بالنجوم ، والنياحة » أخرجه مسلم في صحيحه من حديث أبى مالك الأشعري ، فهذه من الكفر العملي لا تخرج به الأمة عن الملة ، بل هم مع اتيانهم بهذه الخصلة الجاهلية أضافهم الى نفسه فقال « من أمتي » .

فان قلت : أهل الجاهلية تقول في أصنامها انهم يقربونهم الى الله زلفى كما يقوله القبوريون . ويقولون (هؤلاء شفعاؤنا عند الله) كما يقوله القبوريون . قلت : لا سواء ، فان القبوريين مثبتون التوحيد لله قائلون انه لا اله الا هو ، ولو ضربت عنقه على أن يقول ان الولي اله مع الله لما قالها ، بل عنده اعتقاد جهل أن الولي لما أطاع الله كان له لطاعته عنده تعالى جاه به تقبل شفاعته ويرجى نفعه ، لا أنه اله مع الله ، بخلاف الوثني فانه امتنع عن قوله لا اله الا الله حتى ضربت عنقه زاعما أن وثنه اله مع الله ويسميه ربا والها . قال يوسف عليه السلام (أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار) سماهم أربابا لأنهم كانوا يسمونهم بذلك كما قال الخليل (هذا ربي) في الثلاث الآيات مستفهما لهم مبكتا متكلما على خطئهم حيث يسمون الكواكب أربابا وقالوا (أجعل الآلهة الها واحدا ؟) وقال قوم ابراهيم (من فعل هذا بآلهتنا ؟ ــ أأنت فعلت هذا بآلهتنا يا ابراهيم ؟) وقال ابراهيم (أافكا آلهة دون الله تريدون) ؟ ومن هنا يعلم أن الكفار غير مقرين بتوحيد الالهية والربوبية كما توهمه من توهم من قوله (ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله ــ ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن خلقهن العزيز العليم * قل من يرزقكم من السماء والأرض ــ الى قوله ــ فسيقولون الله) فهذا اقرار بتوحيد الخالقية والرازقية ونحوهما ، لا أنه اقرار بتوحيد الالهية ، لأنهم يجعلون أوثانهم أربابا كما عرفت .

فهذا الكفر الجاهلي كفر اعتقاد ، ومن لازمه كفر العمل ، بخلاف من اعتقد في الأولياء النفع والضر مع توحيد الله والايمان به وبرسوله وباليوم الآخر فانه

كفر عمل • فهذا تحقيق بالغ وايضاح لما هو الحق من غير افراط ولا تفريط ا هـ كلام السيد المذكور رحمه الله تعالى •

وأقول : هذا الكلام في التحقيق ليس بتحقيق بالغ ، بل كلام متناقض متدافع، وبيانه أنه لا شك أن الكفر ينقسم الى كفر اعتقاد وكفر عمل ، ولكن دعوى أن ما يفعله المعتقدون في الأموات من كفر العمل في غاية الفساد ، فانه قد ذكر في هذا البحث أن كفر من اعتقد في الأولياء كفر عملي ، هذا عجيب ، كيف يقول كفر من يعتقد في الأولياء ، ويسمى ذلك اعتقادا ثم يقول انه من الكفر العملي ؟ وهل هذا الا التناقض البحت ، والتدافع الخالص ؟ •

انظر كيف ذكر في أول البحث أن كفر من يدعو الأولياء ويهتف بهم عند الشدائد ويطوف بقبورهم ويقبل جدرانها وينذر لها بشيء من ماله هو كفر عملي ، فليت شعري ما هو الحامل له على الدعاء والاستغاثة ، وتقبيل الجدران ، ونذر النذورات ؟ هل هو مجرد اللعب والعبث من دون اعتقاد ؟ فهذا لايفعله الا مجنون • أم الباعث عليه الاعتقاد في الميت ، فكيف لا يكون هذا من كفر الاعتقاد الذي لولاه لم يصدر فعل من تلك الأفعال ؟ •

ثم انظر كيف اعترف بعد أن حكم على هذا الكفر بأنه كفر عمل لا كفر اعتقاد بقوله : لكن زين له الشيطان أن هؤلاء عباد الله الصالحين ينفعون ويشفعون ، فاعتقد ذلك جهلا كما اعتقده أهل الجاهلية في الأصنام • فتأمل كيف حكم بأن هذا كفر اعتقاد ككفر أهل الجاهلية ، وأثبت الاعتقاد واعتذر عنهم بأنه اعتقاد جهل[1] • وليت شعري أى فائدة لكونه اعتقاد جهل ؟ فان طوائف الكفر بأسرها وأهل الشرك قاطبة انما حملهم على الكفر ودفع الحق والبقاء على الباطل الاعتقاد جهلا ، وهل يقول قائل ان اعتقادهم اعتقاد علم حتى يكون اعتقاد الجهل عذرا لاخوانهم المعتقدين في الأموات ؟ ثم تمم الاعتذار بقوله : لكن هؤلاء مثبتون للتوحيد الى آخر ما ذكره • ولا يخفاك أن هذا عذر باطل ، فان اثباتهم التوحيد ان كان بألسنتهم فقط فهم مشتركون في ذلك هم واليهود والنصارى والمشركون والمنافقون ، وان كان

(١) وهذا من فساد التصور ولا يعذر به الانسان ، لأنه ينشأ من الشبهات والهوى وينكون منه الجهل المركب •

بأفعالهم فقد اعتقدوا في الأموات ما اعتقده أهل الأصنام في أصنامهم ، ثم كرر هذا المعنى في كلامه وجعله السبب في رفع السيف عنهم وهو باطل ، فما ترتب عليه مثله باطل ، فلا نطول برده ، بل هؤلاء القبوريون قد وصلوا الى حد في اعتقادهم في الأموات لم يبلغه المشركون في اعتقادهم في أصنامهم ، وهو أن الجاهلية كانوا اذا مسهم الضر دعوا الله وحده ، وانما يدعون أصنامهم مع عدم نزول الشدائد من الأمور كما حكاه الله عنهم بقوله (واذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون الا اياه ، فلما نجاكم الى البر أعرضتم وكان الانسان كفورا) وبقوله تعالى (قل أرأيتكم ان أتاكم عذاب الله أو أتتكم الساعة أغير الله تدعون ان كنتم صادقين) وبقوله تعالى (واذا مس الانسان ضر دعا ربه منيبا اليه ثم اذا خوله نعمة منه نسي ما كان يدعو اليه من قبل) وبقوله تعالى (واذا غشيهم موج كالظلل دعوا الله مخلصين له الدين) بخلاف المعتقدين في الأموات فانهم اذا دهتهم الشدائد استغاثوا بالأموات ونذروا لهم النذور ، وقل من يستغيث بالله سبحانه في تلك الحال ، وهذا يعلمه كل من له بحث عن أحوالهم .

ولقد أخبرني بعض من ركب البحر أنه اضطرب اضطرابا شديدا ، فسمع من أهل السفينة من الملاحين وغالب الراكبين معهم ينادون الأموات ويستغيثون بهم ، ولم يسمعهم يذكرون الله قط ، قال : ولقد خشيت في تلك الحال الغرق لما شاهدته من الشرك بالله .

وقد سمعنا عن جماعة من أهل البادية المتصلة بصنعاء أن كثيرا منهم اذا حدث له ولد جعل قسطا من ماله لبعض الأموات المعتقدين ويقول انه قد اشترى ولده من ذلك الميت الفلاني بكذا ، فاذا عاش حتى بلغ سن الاستقلال دفع ذلك الجعل لمن يعتكف على قبر ذلك الميت من المحتالين لكسب الأموال .

وبالجملة فالسيد المذكور رحمه الله تعالى قد جرد النظر في بحثه السابق الى الاقرار بالتوحيد الظاهري ، واعتبر مجرد التكلم بكلمة التوحيد فقط من دون نظر الى ما ينافي ذلك من أفعال المتكلم بكلمة التوحيد ، ويخالفه من اعتقاده الذي صدرت عنه تلك الأفعال المتعلقة بالأموات ، وهذا الاعتبار لا ينبغي التعويل عليه

ولا الاشتغال به ، فالله سبحانه انما ينظر الى القلوب [1] وما صدر من الأفعال عن اعتقاد لا الى مجرد الألفاظ ، والا لما كان فرق بين المؤمن والمنافق . ا هـ .

وأيضا قال فيه [2] وأقول : قد قدمنا في أوائل هذا الجواب أنه لا بأس بالتوسل بنبى من الأنبياء أو ولى من الأولياء أو عالم من العلماء ، وأوضحنا ذلك بما لا مزيد عليه ، فهذا الذي جاء الى القبر زائرا ودعا الله وحده وتوسل بذلك الميت كأن يقول : اللهم اني أسألك أن تشفيني من كذا ، وأتوسل اليك بما لهذا العبد الصالح من العبادة لك والمجاهدة فيك أو التعلم والتعليم خالصا لك ، فهذا لا تردد في جوازه [3] لكن لأى معنى قام يمشي الى القبر ؟ فان كان لمحض الزيارة ولم يعزم على الدعاء والتوسل الا بعد تجريد القصد الى الزيارة فهذا ليس بممنوع، فانه انما جاء ليزور ، وقد أذن لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بزيارة القبور لحديث « كنت نهيتكم عن زيارة القبور ألا فزوروها » وهو في الصحيح ، وخرج لزيارة الموتى ودعا لهم وعلمنا كيف نقول اذا نحن زرناهم وكان يقول « السلام عليكم دار قوم مؤمنين ، وانا بكم ان شاء الله لاحقون ، وأتاكم ما توعدون ، نسأل الله لنا ولكم العافية » . وهو أيضا في الصحيح بألفاظ وطرق ، فلم يفعل هذا الزائر الا ما هو مأذون له به ومشروع ، لكن بشرط أن لا يشد راحلته ، ولا يعزم على سفر ولا يرحل كما ورد تقييد الاذن بالزيارة للقبور بحديث « لا تشدوا الرحال الا لثلاثة مساجد » وهو مقيد لمطلق الزيارة ، وقد خصص

---

(١) أمر القلوب خفي ولكن الله جعل عليه علامة واضحة صحيحة وهي ما يترجم عن قلب الانسان من أقواله وأفعاله فتلك منبئة عن ما فى قلبه من سيء الاعتقاد أو صحيحه كما أن المنافقين ترجمت لنا أقوالهم وأفعالهم عما يضمرون فى قلوبهم مما هو مناقض للاسلام . وكتبه عبد الرحمن الدوسري . ثم اعلم أن هذا الكلام المنسوب الى الأمير الصنعاني لا يصح عنه وانما هو لبعض ولده وقد رد عليه الشيخ سليمان بن سحمان وسمى رده (تبرئة الشيخين الأمامين من تزوير أهل الكذب والمين) وبين مخالفته لكلام الصنعاني بأوضح بيان .

(٢) أى الشوكاني .

(٣) فيه نظر وهو أن توسل الانسان بعبادة غيره غير مشروع ولا مأثور ولا معقول . فالتوسل تقرب شرعي ، وانما يتقرب العباد الى ربهم بما شرعه لهم من الايمان والعمل الصالح كما فعل أصحاب الغار الثلاثة ، وتقدمت الاشارة اليه . وكتبه محمد رشيد رضا .

بمخصصات : (منها) زيارة القبر الشريف النبوى المحمدى على صاحبه أفضل الصلاة والتسليم ، وفي ذلك خلاف بين العلماء ، وهى مسألة من المسائل التى طالت ذيولها ، واشتهرت أصولها ، وامتحن بسببها من امتحن ، وليس ذكر ذلك من مقصودنا .

وأما اذا لم يقصد مجرد الزيارة بل قصد المشى الى القبر ليفعل الدعاء عنده فقط وجعل الزيارة تابعة لذلك أو مشى لمجموع الزيارة والدعاء فقد كان يغنيه أن يتوسل الى الله بما لذلك الميت من الأعمال الصالحة من دون أن يمشى الى قبره ، فان قال انما مشيت الى قبره لأشير اليه عند التوسل به ، فيقال له ان الذي يعلم السر وأخفى ، ويحول بين المرء وقلبه ، ويطلع على خفيات الضمائر ، وتنكشف لديه مكنونات السرائر لا يحتاج منك الى هذه الاشارة التي زعمت أنها الحاملة لك على قصد القبر والمشى اليه ، وقد كان يغنيك أن تذكر ذلك الميت باسمه العلم أو بما يتميز به عن غيره ، فما أراك مشيت لهذه الاشارة ، فان الذي تدعوه في كل مكان مع كل انسان ، بل مشيت لتسمع الميت توسلك به وتعطف قلبه عليك ، وتتخذ عنده يدا بقصده وزيارته والدعاء عنده والتوسل به . وأنت ان رجعت الى نفسك ، وسألتها عن هذا المعنى فربما تقر لك به وتصدقك الخبر ، فان وجدت عندها هذا المعنى الدقيق ، الذي هو بالقبول منك حقيق فاعلم أنه قد علق بقلبك ما علق بقلوب عباد القبور ، ولكنك قهرت هذه النفس الخبيثة عن أن تترجم بلسانك عنها ، وتنشر ما انطوت عليه من محبة ذلك القبر والاعتقاد فيه والتعظيم له والاستغاثة به ، فأنت مالك لها من هذه الحيثية ، مملوك لها من الحيثية التى أقامتك من مقامك ، ومشت بك الى فوق القبر ، فان تداركت نفسك بعد هذه والا كانت المستولية عليك المتصرفة فيك ، والمتلاعبة بك في جميع ما تهواه مما قد وسوس به لها الخناس ، الذي يوسوس في صدور الناس . اهـ .

وأيضا قال فيه : قد ظهر بمجموع هذا التقسيم أن من يقصد القبر ليدعو عنده هو أحد ثلاثة : ان مشى لقصد الزيارة فقط وعرض له الدعاء ولم يحصل بدعائه تغرير على الغير فذلك جائز ، وان مشى لقصد الدعاء فقط أو له مع الزيارة وكان له من الاعتقاد ما قدمنا فهو على خطر الوقوع في الشرك فضلا عن كونه

عاصيا ، واذا لم يكن له اعتقاد في الميت على الصفة التي ذكرنا فهو عاص آثم ، وهذا أقل أحواله ، وأحقر ما يربحه في رأس ماله • ا هـ •

وأيضا قال فيه : واذا عرف هذا فالذي نعتقده وندين به الله أن من دعا نبيا أو وليا أو غيرهما وسأل منهم قضاء الحاجات وتفريج الكربات أن هذا من أعظم الشرك الذي كفر الله به المشركين حيث اتخذوا أولياء وشفعاء يستجلبون بهم المنافع ويستدفعون بهم المضار بزعمهم ، قال الله تعالى (ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله) فمن جعل الأنبياء أو غيرهم كابن عباس أو أبي طالب [1] وسائط يدعوهم ويتوكل عليهم ويسألهم جلب المنافع بمعنى أن الخلق يسألونهم وهم يسألون الله ، كما أن الوسائط عند الملوك يسألون الملوك حوائج الناس لقربهم منهم ، والناس يسألونهم أدبا منهم أن يباشروا سؤال الملوك ، أو لكونهم أقرب الى الملك ، فمن جعلهم وسائط على هذا الوجه فهو كافر مشرك حلال الدم والمال وقد نص العلماء رحمهم الله تعالى على ذلك وحكوا عليه الاجماع •

قال في (الاقناع) وشرحه : من جعل بينه وبين الله وسائط يتوكل عليهم ويدعوهم كفر اجماعا ، لأن ذلك كفعل عابدي الأصنام قائلين (ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى) انتهى •

وقال الامام أبو الوفاء علي بن عقيل الحنبلي رحمه الله : لما صعبت التكاليف على الجهال والطغام عدلوا عن أوضاع الشرع الى تعظيم أوضاع وضعوها لأنفسهم ، فسهلت عليهم ، اذ لم يدخلوا بها تحت أمر غيرهم • قال : وهم عندي كفار بهذه الأوضاع مثل تعظيم القبور واكرامها والزامها بما نهى عنه الشرع من ايقاد النيران وتقبيلها وتخليقها [2] وخطاب الموتى بالحوائج وكتب الرقاع فيها :

---

(1) مع أن أبا طالب اختار أن يموت على ملة عبد المطلب في الجاهلية ، وأبى أن ينطق بكلمة التوحيد التي دعاه صلى الله عليه وسلم الى النطق بها ساعة الاحتضار ، ونزلت فيه الآية (انك لا تهدي من أحببت ، ولكن الله يهدي من يشاء) • محب الدين•

(2) تخليقها تضميخها بالخلوق ، وهو بالفتح نوع من الطيب • ومثله كل تعطير وتطييب •

يا مولاى افعل بي كذا وكذا وأخذ تربتها تبركا بها ، وافاضة الطيب على القبور ، وشد الرحال اليها ، والقاء الخرق على الشجر اقتداء بمن عبد اللات والعزى [1] انتهى •

وقال الامام البكري الشافعي في تفسيره عند قوله تعالى (والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى) : وكانت الكفار اذا سئلوا من خلق السموات والأرض ؟ قالوا الله • فاذا سئلوا عن عبادة الأصنام قالوا (ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى) لأجل طلب شفاعتهم عند الله ، وهذا كفره انتهى كلامه • فتأمل ما ذكره صاحب الاقناع ، وكذلك ما ذكره ابن عقيل من تعظيم القبور وخطاب الموتى بالحوائج وهو كفر •

قال الحافظ العماد ابن كثير رحمه الله في تفسيره عند قوله (والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى) : أي انما يحملهم على عبادتهم أنهم عمدوا الى أصنام اتخذوها على صور الملائكة المقربين في زعمهم فعبدوا تلك الصور تنزيلا لذلك منزلة عبادتهم الملائكة ليشفعوا لهم عند الله في نصرهم ورزقهم وما ينوبهم من أمر الدنيا ، فأما المعاد فكانوا جاحدين له كافرين به •

قال قتادة والسدى ومالك عن زيد بن أسلم وابن زيد (الا ليقربونا الى الله زلفى) : أي ليشفعوا لنا ويقربونا عنده ، ولهذا كانوا يقولون في تلبيتهم اذا حجوا في جاهليتهم : لبيك لا شريك لك ، الا شريكا هو لك ، تملكه وما ملك • وهذه الشبهة هي التي اعتمدها المشركون في قديم الدهر وحديثه ، وجاءتهم الرسل صلوات الله وسلامه عليهم بردها والنهي عنها ، والدعوة الى افراد العبادة لله وحده لا شريك له ، وأن هذا شيء اخترعه المشركون من عند أنفسهم لم يأذن الله فيه ولا رضى به ، بل أبغضه ونهى عنه ، قال تعالى (ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت) وقال (وما أرسلنا من قبلك من رسول الا نوحي اليه أنه لا اله الا أنا فاعبدون) فأخبر أن الملائكة في السموات من المقربين وغيرهم كلهم عبيد خاضعون لله ، لا يشفعون عنده الا باذنه لمن ارتضى ، وليسوا عنده

(1) هو اقتداء بهم وان لم يقصد فاعله الاقتداء ولا علم بحالهم ، والحكم منوط بهذا العمل الوثني لا بقصد الاقتداء بالمشركين ، وكتبه وما قبله محمد رشيد •

كالأمراء عند ملوكهم ، يشفعون عندهم بغير اذنهم ، فيما أحبه الملوك أو أبغضوه (فلا تضربوا لله الأمثال) تعالى الله عن ذلك . انتهى كلامه . وقال الامام البكري رحمه الله عند قوله (قل من يرزقكم من السماء والأرض أم من يملك السمع والأبصار ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي) الآية : فان قلت اذا أقروا فكيف عبدوا الأصنام ؟ قلت : كلهم يعتقدون بعبادتهم الأصنام عبادة الله تعالى ، والتقرب اليه ، ولكن بطرق مختلفة ، ففرقة قالت : ليس لنا أهلية عبادة الله تعالى بلا واسطة لعظمته ، فعبدناها لتقربنا اليه زلفى . وفرقة قالت : الملائكة ذوو جاه ومنزلة عند الله تعالى ، فاتخذنا لنا أصناما على هيئة الملائكة لتقربنا الى الله زلفى ، وفرقة قالت : جعلنا الأصنام لنا قبلة في العبادة ، كما أن الكعبة قبلة في عبادته . وفرقة اعتقدت أن لكل صنم شيطانا موكلا بأمر الله ، فمن عبد الصنم حق عبادته قضى الشيطان حوائجه بأمر الله ، والا أصابه شيطانه بنكبة باذن الله . اهـ كلامه .

فانظر الى كلام هؤلاء الأئمة وتصريحهم بأن المشركين ما أرادوا مما عبدوا الا التقرب الى الله ، وطلب شفاعتهم عند الله ، وتأمل ما ذكره ابن كثير ، وما حكاه عن زيد بن أسلم وابن زيد ثم قال : وهذه الشبهة هى التي اعتقدها المشركون في قديم الدهر وحديثه ، وجاءتهم الرسل صلوات الله وسلامه عليهم بردها والنهي عنها ، وتأمل ما ذكره البكري رحمه الله عند آية الزمر : ان الكفار ما أرادوا الا الشفاعة ، ثم صرح بأن هذا كفر . فمن تأمل ما ذكره الله في كتابه تبين له أن الكفار ما أرادوا ممن عبدوا الا التقرب الى الله وطلب شفاعتهم عند الله ، فانهم لم يعتقدوا فيها أنها تخلق الخلائق وتنزل المطر وتنبت النبات ، بل كانوا مقرين أن الفاعل لذلك هو الله وحده ، قال الله تعالى (قل من يرزقكم من السماء والأرض أم من يملك السمع والأبصار ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ومن يدبر الأمر ؟ فسيقولون الله ، فقل أفلا تتقون) وقال تعالى (ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض وسخر الشمس والقمر ليقولن الله ، فأنى يؤفكون) وقال تعالى (قل لمن الأرض ومن فيها ان كنتم تعلمون ؟ سيقولون لله ، قل أفلا تذكرون * قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم ؟ سيقولون لله) الآيتين ، الى غير ذلك من الآيات التي أخبر الله فيها أن المشركين معترفون أن الله هو الخالق

الرازق ، وانما كانوا يعبدونهم ليقربوهم ويشفعوا لهم كما ذكره الله سبحانه في قوله (ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله) فبعث الله الرسل ، وأنزل الكتب ليعبد وحده ، لا يجعل معه اله آخر ، وأخبر أن الشفاعة كلها لله ، وأنه لا يشفع أحد عنده الا باذنه ، وأنه لا يأذن الا لمن رضى قوله وعمله ، وأنه لا يرضى الا التوحيد، والشفاعة مقيدة بهذه القيود ، قال الله تعالى (أم اتخذوا من دون الله شفعاء ، قل أو لو كانوا لا يملكون شيئا ولا يعقلون * قل لله الشفاعة جميعا) وقال تعالى (مالكم من دونه من ولي ولا شفيع) وقال تعالى (من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه) وقال تعالى (وكم من ملك في السموات لا تغني شفاعتهم شيئا الا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى) وقال تعالى (ولا يشفعون الا لمن ارتضى) وقال تعالى (ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن أذن له) ا هـ ٠

وأيضا قال فيه : والمقصود أن الكتاب والسنة دلا على أن من جعل الملائكة والأنبياء أو ابن عباس أو أبا طالب [1] أو المحجوب وسائط بينه وبين الله يشفعون له عند الله لأجل قربهم من الله كما يفعل عند الملوك أنه كافر مشرك حلال المال والدم وان قال : أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم وصلى وصام وزعم أنه مسلم ، بل هو من (الأخسرين أعمالا ، الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا) ٠ ا هـ ٠

وأيضا قال فيه : فاذا تبين لكم أن القرآن قد صرح بهذه المسائل الثلاث ــ أعني اعتراف المشركين بتوحيد الربوبية ، وأنهم يدعون الصالحين ، وأنهم ما أرادوا منهم الا الشفاعة ــ تبين لكم أن هذا الذي يفعل عند القبور اليوم من سؤال جلب الفوائد وكشف الشدائد أنه الشرك الأكبر الذي كفر الله به المشركين ، فان هؤلاء المشركين شبهوا الخالق بالمخلوق ٠

وفي القرآن العزيز ، وكلام أهل العلم من الرد على هؤلاء ما لا يتسع له هذا الموضع ، فان الوسائط التي تكون بين الملوك وبين الناس تكون على أحد وجوه ثلاثة :

اما لاخبارهم من أحوال الناس بما لا يعرفونه ، ومن قال ان الله لا يعرف

---

(١) أنظر التعليق فى ص ١٧٧

أحوال العباد حتى يخبره بذلك بعض الأنبيـــاء أو غيرهم من الأولياء والصالحين فهـــو كافر ، بل هو سبحانه يعلم السر وأخفى ، لا تخفى عليه خافيـــة في الأرض ولا في السماء •

الثاني أن يكون الملك عاجـــزا عن تدبير رعيته ، ودفـــع أعدائه الا بأعوان يعاونونه ، فلا بد له من أعوان وأنصار ، لذله وعجزه ! والله سبحانه ليس له ولي ولا ظهير من الذل ، وكل ما في الوجود من الأسباب فهو سبحانه ربه وخالقه ، فهو الغني عن كل ما سواه ، وكل ما ســـواه فقير اليه ، بخلاف الملوك المحتاجين الى ظهرائهم وهم في الحقيقة شركاؤهم ، والله سبحانه ليس له شريك في الملك ، بل لا اله الا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد • ولهـــذا لا يشفع عنده الا باذنه لا ملك مقرب ولا نبى مرسل فضلا عن غيرهما ، فان من شفع عنده بغير اذنه فهو شريك له في حصول المطلوب أثر فيه بشفاعته حتى يفعل ما يطلب منه ، والله لا شريك له بوجه من الوجوه •

الثالث أن يكون الملك ليس مريدا لنفع رعيته ، والاحسان اليهم الا بمحرك يحركه من خارج ، فاذا خاطب الملك من ينصحه ويعظه ، أو من يدل عليه بحيث يكون يرجوه أو يخافه تحركت ارادة الملك وهمته في قضاء حوائج رعيته • والله ســـبحانه رب كل شيء ومليكه ، وهو أرحم بعبـــاده من الوالدة بولدها ، وكل الأسباب انما تكون بمشيئته ، فما شاء كان ، وما لم يشأ لم يكن ، وهو سبحانه اذا أجرى نفع العباد بعضهم على يد بعض ، فجعل هذا يحسن الى هذا ويدعو له ويشفع له ، فهـــو الذي خلق ذلك كله ، وهو الذي خلق في قلب هـــذا المحسن والداعي ارادة الاحسان والدعاء ، ولا يجوز أن يكون في الوجود من يكرهه على خلاف مراده ، أو يعلمه مالم يكن يعلمه ، والشفعاء الذين يشفعون عنده لايشفعون عنده الا باذنه كما تقدم بيانه ، بخلاف الملوك فان الشافع عندهم يكون شريكا لهم في الملك ، وقد يكون مظاهرا لهم ومعاونا لهم على ملكهم ، وهم يشفعون عند الملوك بغير اذن الملوك ، والملك يقبل شفاعتهم : تارة لحاجته اليهم ، وتارة لجزاء احسانهم ومكافأتهم ، حتى أنه يقبل شفاعة ولده وزوجته لذلك ، فانه محتاج الى الزوجة والولد حتى لو أعرض عنه ولده وزوجته لتضرر بذلك ، ويقبـــل شفاعة مملوكه ،

فانه اذا لم يقبل شفاعته يخاف أن لا يطيعه ، ويقبل شفاعة أخيه مخافة أن يسعى في ضرره • وشفاعة العباد بعضهم عند بعض كلها من هذا الجنس ، فلا أحد يقبل شفاعة أحد الا لرغبة أو لرهبة ، والله سبحانه لا يرجو أحدا ولا يخافه ، ولا يحتاج الى أحد ، بل هو الغني سبحانه عما سواه ، وكل ما سواه فقير اليه اه •

وأيضا قال فيه : وقال شيخ الاسلام تقي الدين : في الاقناع ان من دعا ميتا وان كان من الخلفاء الراشدين فهو كافر ، وان من شك في كفره فهو كافر ، وقال في النهر الفائق : اعلم أن الشيخ قاسما قال في شرح درر البحار : ان النذر الذي يقع من أكثر العوام بأن يأتي الى قبر بعض الصلحاء قائلا : يا سيدي فلان ان رد غائبي أو عوفي مريضي فلك من الذهب أو الفضة أو الشمع أو الزيت كذا ، باطل اجماعا لوجوه ـ الى أن قال ـ ومنها ظن أن الميت يتصرف في الأمر ، واعتقاد هذا كفر • وقال ابن حجر في شرح الأربعين له : من دعا غير الله فهو كافر • ا هـ •

وقال شيخ الاسلام تقى الدين رحمه الله في (الرسالة السنية) : ان كل من غلا في نبي أو رجل صالح وجعل فيه نوعا من الالهية مثل أن يقول : يا سيدي فلان أغثني أو انصرني أو ارزقني أو اجبرني • أو أنا في حسبك ، ونحو هذه الأقوال ، فكل هذا شرك وضلال ، يستتاب صاحبه ، فان تاب نجا والا قتل • فان الله انما أرسل الرسل وأنزل الكتب ليعبد وحده ، لا يجعل معه اله آخر ، والذين يدعون مع الله آلهة أخرى مثل المسيح والملائكة والأصنام ، لم يكونوا يعتقدون أنها تخلق الخلائق ، أو تنزل المطر ، أو تنبت النبات ، وانما كانوا يعبدونهم ويعبدون قبورهم أو صورهم ويقولون : انما نعبدهم (ليقربونا الى الله زلفى) ، (ويقولون : هؤلاء شفعاؤنا عند الله) • فبعث رسله تنهى أن يدعى أحد من دونه ، لا دعاء عبادة ولا دعاء استغاثة ، وقال تعالى (قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا * أولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة أيهم أقرب) الآية • ا هـ •

قال العلامة ابن القيم : ومن العجب أنهم ينسبون أهل التوحيد الى التنقص بالمشايخ والأنبياء والصالحين ، وما ذنبهم الا أن قالوا : انهم عبيد لا يملكون لأنفسهم ولا لغيرهم ضرا ولا نفعا ولا موتا ولا حياة ولا نشورا ، وانهم لايشفعون

لعابديهم أبدا ، بل حرم الله تعالى شفاعتهم لهم ، ولا يشفعون لأهل التوحيد الا بعد اذن الله لهم في الشفاعة ، فليس لهم من الأمر شيء ، بل الأمر كله لله ، والشفاعة كلها لله سبحانه ، والولاية له ، فليس لخلقه من دونه ولي ولا شفيع .

فالمشرك اما أن يظن أن الله سبحانه يحتاج الى من يدبر أمر العالم معه من وزير أو ظهير أو عوين ، وهذا أعظم التنقص لمن هو غني عن كل ما سواه بذاته ، وكل ما سواه فقير اليه بذاته ، واما أن يظن أنه لا يعلم حتى يعلمه الواسطة ، ولا يرحم حتى يجعله الواسطة يرحم ، ولا يكفي وحده أو لا يفعل ما يريد العبد حتى يشفع عنده الواسطة كما يشفع المخلوق عند المخلوق ، فيحتاج أن يقبل شفاعته لحاجته الى الشافع وانتفاعه به وتكثره به من القلة وتعززه به من الذلة ، أو لا يجيب دعاء عباده حتى يسألوا الواسطة أن يرفع تلك الحاجة اليه ، كما هو حال ملوك الدنيا ، وهذا أصل شرك الخلق ، أو يظن أنه لا يسمع دعاءه لبعده عنهم حتى يرفع الوسائط اليه ذلك ، أو يظن أن للمخلوق عليه حقا فهو يقسم عليه بحق ذلك المخلوق عليه ، ويتوسل اليه بذلك المخلوق كما يتوسل الناس الى الأكابر والملوك بمن يعز عليهم ولا يمكنهم مخالفته ، وكل ذلك تنقص للربوبية وهضم لحقها ، ولو لم يكن فيه الا نقص محبة الله وخوفه ورجائه والتوكل عليه والانابة اليه من قلب المشرك بسبب قسمه ذلك بينه سبحانه وبين من أشرك به ، فيضعف أو يضمحل ذلك التعظيم والمحبة والخوف والرجاء بسبب صرف أكثره أو بعضه الى من عبده من دون الله ، فالشرك ملزم لتنقص الرب سبحانه ، والتنقص لازم له ضرورة ، شاء المشرك أم أبى . ولهذا اقتضى حمده سبحانه وكمال ربوبيته أن لا يغفره ، وأن يخلد صاحبه في العذاب الأليم ، ويجعله أشقى البرية ، فلا تجد مشركا قط الا وهو منتقص لله سبحانه وان زعم أنه معظم له بذلك اهـ . هكذا نقله بعض المحققين في كتاب رد فيه على داود بن جرجيس العراقي لم أقف على اسمه [1] .

وأيضا قال فيه : وأما قول هذا الجاهل العراقي : وكذلك المسلمون يذكرون أن طلبتهم من غير الله انما هي من باب التسبب . فالجواب أن نسبة الطلب من غير

(1) هو الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن فى كتاب (منهاج التأسيس فى الرد على داود بن جرجيس)البغدادي .

الله الى المسلمين من أمحل المحال وأبطل الباطل • فان المسلم لا يطلب من غير الله ، فانه من طلب وسأل حاجته من ميت أو غائب فقد فارق الاسلام ، لأن الشرك ينافي الاسلام ، لما تقدم من أن الاسلام هو اسلام الوجه والقلب واللسان والأركان لله وحده دون ما سواه ، فالمسلم المخلص يخلص دعاءه لله ، والمشرك يصرف جل الدعاء والعبادة أو بعضه لغير الله • وقد عرفت مما تقدم أن الدعاء هو العبادة ، وقدنهى سبحانه نبيه صلى الله عليه وسلم أن يدعو غيره فقال (ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك فان فعلت فانك اذا من الظالمين) وهذا خرج مخرج الخصوص وهو عام لجميع الأمة ، وكذلك (فلا تدع مع الله الها آخر فتكون من المعذبين) وقال تعالى (ولا تدع مع الله الها آخر لا اله الا هو) فظهر من هذه الآية أن الدعاء تأله المدعو ، فان المألوه هو المعبود ، والعابد آله له • اهـ •

وأيضا قال فيه : وأما ما ادعاه المنحرفون عن الايمان من أن الوسيلة هو التوسل الى الله تعالى بالأنبياء والصالحين فهذا باطل يناقض ماذكره الله تعالى في أول الآية من تهديد من دعاهم وانكاره عليهم دعوتهم ، وقد تقدم ما يدل على أن هذا المدعى هو بعينه دين المشركين المتخذين الشفعاء يسألونهم أن يشفعوا لهم عند الله ويقربوهم اليه زلفى • والقرآن كله من أوله الى آخره يبطل هذه الوسيلة ويبين أنها شرك وكفر كما قال تعالى (ومن يدع مع الله الها آخر لا برهان له به فانما حسابه عند ربه ، انه لا يفلح الكافرون) ، وقوله (ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له الى يوم القيامه) الآية ، وقوله (والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير — الى قوله — ويوم القيامة يكفرون بشرككم) •

فتظاهرت الآيات والأحاديث على أن هذه الوسيلة التي يدعيها أولئك الضلال من التعلق بالأموات والغائبين برغبة أو رهبة أن هذا هو الشرك الأكبر الذي لا يغفره الله كما تقدم ذلك صريحا في كلام العلماء والاستدلال على ذلك بهذه الآيات ونظائرها • اهـ •

وأيضا قال فيه : فالاجماع الصحيح هو ما ذكره شيخ الاسلام رحمه الله وتلقاه عنه الفقهاء في كتبهم فانه قال : ومن جعل بينه وبين الله وسائط يدعوهم ويسألهم ويتوكل عليهم كفر اجماعا • اهـ •

وأيضا قال فيه : قال شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله في مسألة الوسائط ــ وقد سئل عن رجل قال لا بد لنا من واسطة بيننا وبين الله ــ فأجاب : الحمد لله رب العالمين • ان أراد أنه لا بد لنا من واسطة تبلغنا أمر الله فهذا حق ، فان الخلق لا يعلمون ما يحبه الله ويرضاه وما أمر به ونهى عنه ولا يعرفون ما يستحقه من أسمائه الحسنى ، وصفاته العلى ، وأمثال ذلك الا بالرسل الذين أرسلهم الله الى عباده ــ الى أن قال ــ : وان أراد بالواسطة أنه لا بد من واسطة يتخذه العباد بينهم وبين الله في جلب المنافع ودفع المضار ، يسألونه ويرجونه ، فهذا من أعظم الشرك الذي كفر الله به المشركين ، حيث اتخذوا من دون الله أولياء وشفعاء يجتلبون بهم المنافع ويستدفعون بهم المضار ، لكن الشفاعة لمن يأذن الله له فيها • قال الله تعالى (الله الذي خلق السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش ، ما لكم من دونه من ولى ولا شفيع أفلا تتذكرون) وقال تعالى (وأنذر به الذين يخافون أن يحشروا الى ربهم ليس لهم من دونه ولى ولا شفيع) وذكر قوله تعالى (قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا * أولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة أيهم أقرب) وقد تقدم •

فبين الله لهم أن الملائكة والأنبياء لا يملكون كشف الضر عنهم ولا تحويله ، وأنهم يتقربون اليه بما يحبه ويرضاه ، ويرجون رحمته ويخافون عذابه ، وقال تعالى (ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عبادا لي من دون الله ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون * ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أربابا أيأمركم بالكفر بعد اذ أنتم مسلمون) فبين سبحانه أن اتخاذ الملائكة والنبيين أربابا كفر ، فمن جعل الملائكة والأنبياء وسائط يدعوهم ويسألهم جلب المنافع وسد الفاقات ، وتفريج الكربات ، فهو كافر باجماع المسلمين • ا هـ •

وأيضا فيه : وذكر شيخ الاسلام أيضا كلامه الذي سبق في مشايخ العلم الذين جعلهم وسائط بين الرسول وأمته يبلغون عنه ويقتدون به ، فمن جعلهم وسائط بين الرسول وبين أمته في البلاغ عنه فقد أصاب • وأما جعل الوسائط بين

الله وبين خلقه كالحجاب الذين بين الملك ورعيته ، بحيث يكونون هم يرفعون الى الله حوائج خلقه ، بمعنى أن الخلق يسألونهم وهم يسألون الله ، كما أن الوسائط عند الملوك يسألون حوائج الناس لقربهم منهم والناس يسألونهم أدبا منهم ليباشروا سؤال الملك أو ان طلبهم من الوسائط أنفع لهم من طلبهم من الملك لكونهم أقرب الى الملك من الطالب ، فمن أثبتهم وسائط على هذا الوجه فهو كفر مشرك يجب أن يستتاب، فان تاب والا قتل ، وهؤلاء شبهوا الخالق بالمخلوق ، وجعلوا لله أندادا ، وفي القرآن من الرد على هؤلاء ما لا تتسع له هذه الفتوى .

وأيضا فيه : والمقصود هنا أن من أثبت وسائط بين الله وبين خلقه كالوسائط التي تكون بين الملوك والرعية فهو مشرك ، بل هذا دين المشركين عباد الأوثان . اهـ .

وأيضا فيه : قال شيخ الاسلام تقي الدين أحمد بن تيمية : (الوجه الخامس) أن يقال : نحن لا ننازع في اثبات ما أثبته الله من الأسباب والحكم ، لكن من هو الذي جعل الاستغاثة بالمخلوق ودعاءه سببا في الأمور التي لا يقدر عليها الا الله ؟ ومن الذي قال : انك اذا استغثت بميت أو غائب من البشر كان أو غيره كان ذلك سببا في حصول الرزق والنصر والهدى وغير ذلك مما لا يقدر عليه الا الله ؟ ومن الذي شرع ذلك وأمر به ؟ ومن الذي فعل ذلك من الأنبياء والصحابة والتابعين لهم باحسان ؟ فان هذا المقام يحتاج الى مقدمتين : (احداهما) أن هذه أسباب لحصول المطالب التي لا يقدر عليها الا الله . (والثانية) ان هذه الأسباب مشروعة لا يحرم فعلها ، فانه ليس كل ما كان سببا كونيا يجوز تعاطيه ، فان المسافر قد يكون سفره سببا لأخذ ماله وكلاهما محرم ، والدخول في دين النصارى قد يكون سببا لمال يعطونهم وهو محرم ، وشهادة الزور قد تكون سببا لنيل مال يؤخذ من المشهود له وهو حرام ، وكثير من الفواحش والظلم قد يكون سببا لنيل مطالب وهو محرم، والسحر والكهانة سبب في بعض المطالب وهو محرم ، وكذلك الشرك كدعوة الكواكب والشياطين ، بل وعبادة البشر قد تكون سببا لبعض المطالب وهو محرم،فان الله تعالى حرم من الأسباب ما كانت مفسدته راجحة على مصلحته كالخمر ، وان كان يحصل به بعض الأغراض أحيانا . وهذا المقام مما يظهر به ضلال هؤلاء المشركين خلقا وامرا ، فانهم مطالبون بالأدلة الشرعية . اهـ .

وقال بعض أهل العلم في كتاب رد فيه على كتاب بعض معاصريه المسمى (جلاء الغمة عن تكفير هذه الأمة) لم أقف على اسمه [1] : والتوسل صار مشتركا في عرف كثير ، فبعض الناس يطلقه على قصد الصالحين ودعائهم وعبادتهم مع الله ، وهذا هو المراد بالتوسل في عرف عباد القبور وأنصارهم ، وهو عند الله ورسوله وعند أولى العلم من خلقه الشرك الأكبر ، والكفر البواح ، والأسماء لا تغير الحقائق • ويطلق أيضا في عرف السنة والقرآن وأهل العلم بالله ودينه على التوسل والتقرب الى الله تعالى بما شرعه من الايمان به وتوحيده وتصديق رسله ، وفعل ما شرعه من الأعمال الصالحة التي يحبها الرب ويرضاها ، كما توسل أهل الغار الثلاثة بالبر والعفة والأمانة ، فاذا أطلق التوسل في كتاب الله تعالى وسنة رسوله وكلام أهل العلم من خلقه ، فهذا هو المراد به ، لا ما اصطلح عليه المشركون الجاهلون بحدود ما أنزل الله على رسوله فلبس هذا المعترض بكلمة مشتركة ترويجا لباطله •

وأما ما ورد في السنن من السؤال بحق السائلين عليك وبحق ممشاى ، ونحو ذلك ، فالله سبحانه وتعالى جعل على نفسه حقا تفضلا منه واحسانا الى عباده • فهو توسل اليه بوعده واحسانه وما جعله لعباده المؤمنين على نفسه ، فليس من هذا الباب ، أعني باب مسألة الله بخلقه ، وقد منع ذلك فقهاء الحنفية كما حدثني به محمد بن محمود الجزائري الحنفي رحمه الله بداره باسكندرية ، وذكر أنهم قالوا : لا حق لمخلوق على الخالق • ويشهد بهذا ما يروى أن داود قال « اللهم اني أسألك بحق آبائي عليك » فأوحى اليه « أى حق لآبائك علي » ؟ أو نحو هذا •

والحق المشار اليه بالنفي هنا غير ما تقدم اثباته ، فان المثبت بمعنى الوعد الصادق ، وما جعله الله تعالى للماشي الى الصلاة وللسائلين من الاجابة والاثابة فضلا منه واحسانا ، والمنفي هنا هو الحق الثابت بالمعاوضة والمقابلة على الايمان والأعمال الصالحات ، فالأول يعود ويرجع الى التوسل بصفاته الفعلية الذاتية ، والثاني يرجع الى التوسل بذوات المخلوقين • فتأمله فانه نفيس جدا • ا هـ •

(1) هو الشيخ عبد اللطيف ابن الشيخ عبد الرحمن بن حسن ابن الشيخ محمد بن عبد الوهاب واسم كتابه (مصباح الظلام) رد فيه على كتاب (كشف الغمة عن تكفير هذه الأمة) لعثمان بن منصور من أهل سدير •

وقال أيضا فيه قبيله : فاعلم أن قول الملحد « فجعل بكلامه هـذا كما ترى التوسل بذوات الصالحين والرسل عليهم الصلاة والسلام ، وطلبه جل وعلا بأوليائه، من دين المشركين الشرك الأكبر المخرج عن الملة وكفر به » كما ترى صريحا من قوله تمويه وتلبيس أدخل فيـه قوله « وطلبه جل وعلا بأوليائه » ليـوهم الجهال ومن لا علم عندهم بحقيقة الحال ، وموضوع الكلام أن مراد الشيخ مسألة التوسل في دعاء الله بجاه الصالحين • وهذه مسألة ، ودعاء الصالح وقصده فيما لا يقدر عليه الا الله مسألة أخرى ، فخلطهما ليروج باطله فقبحا قبحا ، وسحقا سحقا لمن ورث اليهود ، وحرف الكلم عن مواضعه • وكلام الشيخ صريح فيمن دعا مع الله الها آخر في حاجاته وملماته ، وقصده بعباداته فيما لا يقدر عليه الا الله تعالى ، كحال من عبد عبد القادر أو أحمد البدوي أو العيدروس أو عليا أو الحسين ، ومع هذا الصنيع الفظيع ، والشرك الجلي ، يقـول : أنا لا أشرك بالله شـيئا ، وأشهد أنه لا يخلق ولا يرزق ولا ينفع ولا يضر الا الله ، ظنا منهم أن ذلك هو الاسلام فقط ، وأنه ينجو به من الشرك وما رتب عليه ، فكشف الشيخ شبهته ، وأدحض حجتـه بما تقدم من الآيات (وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا ، لا مبـدل لكلماته ، وهو السميع العليم) •

وأما مسألة الله تعالى بحق أنبيائه وأوليائه أو بجاههم ، بأن يقول السـائل « اللهم اني أسألك بحق أنبيائك أو بجاه أوليائك » أو نحوها فليس الكلام فيه ، ولم يقل الشيخ انه شرك ولا له ذكر في كلامه ، وحكمه عند أهل العلم معروف ، وقد نص على المنع منه جمهور أهل العلم ، بل ذكر الشيخ في رده على ابن البكري أنه لا يعلم قائلا بجوازه الا ابن عبد السلام في حق النبي صلى الله عليه وسلم ولم يجزم بذلك ، بل علق القول على ثبوت حديث الأعمى وصحته ، وفيه من لا يحتج به عند أهل الحديث ، وعلى تسليم صحته فليس الكلام فيه • اهـ •

وأيضا قال فيه : حديث الأعمى قد تكلم فيه أهل الحديث ولم يصححوه كما تقدم ، لأن فيه من لا يحتج به ، ولذلك توقف ابن عبد السلام في صحته وقال : ان صح الحديث فيجوز ذلك بالنبي خاصة • وغيره يقول : ان صح الحديث فليس فيه ما ذهب اليه من أجاز سؤال الله بجاه خلقه وبحقهم ، لأن نص الحديث يفيـد

أن النبي صلى الله عليه وسلم دعا له وسأل الله أن يرد بصره ، فهو توسل بدعائه كما في حديث عمر رضى الله عنه « اللهم انا كنا اذا أجدبنا تتوسل اليك بنبينا فتسقينا ، وانا نتوسل اليك بعم نبيك » ، فدعاء الأنبياء وأقاربهم المؤمنين وأهل الفضل والصلاح من أعظم الوسائل الى الله تعالى ، وما المانع أن يكون هذا هو المراد ؟ .

وعلى كل تقدير فالنزاع ليس في هذا ، وكلام شيخنا ليس فيه ، وانما أورده المعترض لبسا ومغالطة ، والمعترض ظن أن قول شيخنا فيما حكاه من شبه المشرك ، وأنه يقول : وأطلب من الله بهم بجاههم وحقهم . وليس كذلك ، لأن سياق الكلام وموضوعه فيمن يدعوهم مع الله ، ويجعلهم وسائط بينه وبين ربه ، في شأنه وأمره ، وحاجته وملماته ، فالمعنى حينئذ أطلب من الله بواسطتهم ، بمعنى أنه يدعوهم لتحصيل مراده ومطلوبه من الله تعالى ، فالغبي لم يفهم ، ولبس وموه كما تقدم .

وقال الشيخ حسين بن غنام الاحسائي في (روضة الأفكار والافهام ، لمرتاد حال الامام) : (العاشرة) قولهم في الاستسقاء : لا بأس بالتوسل بالصالحين ، وقول أحمد يتوسل بالنبي صلى الله عليه وسلم خاصة مع قولهم انه لا يستغاث بمخلوق . فالفرق ظاهر جدا ، وليس الكلام مما نحن فيه ، فكون بعضهم يرخص بالتوسل بالصالحين ، وبعضهم يخصه بالنبي صلى الله عليه وسلم ، وأكثر العلماء ينهى عن ذلك ويكرهه ، هذه المسألة من مسائل الفقه ولو كان الصواب عندنا قول الجمهور انه مكروه فلا ننكر على من فعله ، ولا انكار في مسائل الاجتهاد ، لكن انكارنا على من دعا المخلوق أعظم مما يدعو الله تعالى ، ويقصد القبر يتضرع عند الشيخ عبد القادر أو غيره يطلب منه تفريج الكربات ، واغاثة اللهفات ، واعطاء الرغبات ، فأين هذا ممن يدعو الله مخلصا له الدين ، لا يدعو مع الله أحدا ، ولكن يقول في دعائه : أسألك بنبيك أو بالمرسلين أو بعبادك الصالحين . أو يقصد قبر معروف أو غيره يدعو عنده . لكن لا يدعو الا الله يخلص له الدين ، فأين هذا مما نحن فيه ؟ اهـ .

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب في الرسالة التي كتبها لأهل مكة بعد مناظرتهم : اذا عرف هذا فالذي نعتقده وندين الله به أن من دعا نبيا أو وليا أو

غيرهما : وسأل منهم قضاء الحاجات وتفريج الكربات ، أن هذا من أعظم الشرك الذي كفر الله به المشركين ، حيث اتخذوا أولياء وشفعاء يستجلبون بهم المنافع ، ويستدفعون بهم المضار بزعمهم ، قال الله تعالى (ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله) ، فمن جعل الأنبياء أو غيرهم كابن عباس أو المحجوب أو أبي طالب وسائط يدعوهم ويتوكل عليهم ويسألهم جلب المنافع ، بمعنى أن الخلق يسألونهم وهم يسألون الله ، كما أن الوسائط عند الملوك يسألون الملوك حوائج الناس لقربهم منهم والناس يسألونهم أدبا منهم أن يباشروا سؤال الملك ، أو لكونهم أقرب الى الملك ، فمن جعلهم وسائط على هذا الوجه فهو كافر مشرك حلال الدم والمال . اهـ .

وقال الشيخ في الرسالة التي كتبها الى عبد الله بن سحيم : اذا تبين هذا فالمسائل التي شنع بها منها ما هو البهتان الظاهر وهي قوله اني مبطل كتب المذاهب، وقوله اني أقول ان الناس من ستمائة سنة ليسوا على شيء ، وقوله اني أدعي الاجتهاد ، وقوله اني خارج عن التقليد ، وقوله اني أقول ان اختلاف العلماء نقمة ، وقوله اني أكفر من توسل بالصالحين ـ الى أن قال ـ فهذه اثنا عشر مسألة جوابي فيها أن أقول (سبحانك هذا بهتان عظيم) ، ولكن كان قبله من بهت محمدا صلى الله عليه وسلم أنه يسب عيسى بن مريم ويسب الصالحين (تشابهت قلوبهم) ، وبهتوه بأنه يزعم أن الملائكة وعيسى وعزيرا في النار فأنزل الله في ذلك (ان الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون) الآية . اهـ .

قال الشيخ عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب في الرسالة التي اختصرها من رسائل محمد بن عبد الوهاب المؤلفة في التوحيد :

فأخبر تبارك وتعالى أن دعاء غير الله شرك ، فمن قال : يا رسول الله ، أو يا ابن عباس أو يا عبد القادر أو يا محجوب أو غيرهم ، زاعما أنه باب حاجته الى الله تعالى وشفيعه عنده ، ووسيلته اليه ، فهو المشرك الذي يهدر دمه ويباح ماله ، الا أن يتوب من ذلك . اهـ .

وقال في موضع آخر : ونثبت لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم الشفاعة يوم القيامة كما ورد أيضا ، ونسألها من الله المالك لها والآذن فيها لمن شاء من الموحدين

الذين هم أسعد الناس بها كما ورد ، بأن يقول أحدنا متضرعا الى الله تعالى : اللهم شفع نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم فينا يوم القيامة ، أو : اللهم شفع فينا عبادك الصالحين أو ملائكتك ، ونحو ذلك مما يطلب من الله لا منهم ، فلا يقال : يا رسول الله أو يا ولي الله أسألك الشفاعة وغيرها ، وأدركني أو أغثني أو انصرني على عدوي أو نحو ذلك مما لا يقدر عليه الا الله ، فاذا طلب ذلك مما ذكر في أيام البرزخ كان من أقسام الشرك ، اذ لم يرد بذلك نص من الكتاب ولا من السنة ، ولا حث من السلف الصالح على ذلك ، بل ورد الكتاب والسنة واجماع السلف أن ما ذكر شرك أكبر ، قاتل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم » اهـ .

وأيضا قال فيها : وأما التوسل ، وهو أن يقول اللهم اني أتوسل اليك بجاه نبيك محمد صلى الله عليه وسلم أو بجاه عبادك الصالحين أو نحو ذلك ، فهو من البدعة المذمومة ، اذ لم يرد بذلك نص » اهـ .

قال العلامة السيد نعمان خير الدين الشهير بابن الآلوسي البغدادي في (جلاء العينين في محاكمة الأحمدين) : الخاتمة في التوسط بين القولين ، وهو عند المنصف قرة عين الفريقين ، فقد قال الوالد عليه الرحمة في تفسير قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا اليه الوسيلة) ما نصه :

« واستدل بعض الناس بهذه الآية على مشروعية الاستغاثة بالصالحين وجعلهم وسيلة بين الله تعالى وبين العباد ، والقسم على الله تعالى بهم بأن يقال : اللهم انا نقسم عليك بفلان أن تعطينا كذا ، ومنهم من يقول للغائب أو الميت من عباد الله تعالى الصالحين : يا فلان ادع الله تعالى ليرزقني كذا ، ويزعمون ان ذلك من باب ابتغاء الوسيلة ويروون عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « اذا أعيتكم الأمور فعليكم بأهل القبور » أو « فاستغيثوا بأهل القبور » وكل ذلك بعيد عن الحق بمراحل .

« وتحقيق الكلام في هذا المقام أن الاستغاثة بمخلوق ، وجعله وسيلة بمعنى طلب الدعاء منه ، لا شك في جوازه ان كان المطلوب منه حيا ، ولا يتوقف على أفضليته من الطالب ، بل قد يطلب الفاضل من المفضول ، فقد صح أنه صلى الله عليه وسلم قال لعمر رضي الله عنه لما استأذنه في العمرة « لا تنسنا يا أخي من

دعائك » وأمره أيضا أن يطلب من أويس القرني رحمه الله أن يستغفر له ، وأمر أمته صلى الله عليه وسلم بطلب الوسيلة له وبأن يصلوا عليه • وأما اذا كان المطلوب منه ميتا أو غائبا فلا يستريب عالم أنه غير جائز ، وأنه من البدع التي لم يفعلها أحد من السلف • نعم ، السلام على أهل القبور مشروع ومخاطبتهم جائزة • اهـ •

وأيضا قال فيه : وأما القسم على الله تعالى بأحد من خلقه مثل أن يقال : اللهم اني أقسم عليك أو أسألك بفلان الا ما قضيت لي حاجتي ، فعن العز ابن عبد السلام جواز ذلك في النبي صلى الله عليه وسلم لأنه سيد ولد آدم ، ولا يجوز أن يقسم على الله تعالى بغيره من الأنبياء والملائكة والأولياء لأنهم ليسوا في درجته، وقد نقل ذلك عنه المناوي في شرحه الكبير للجامع الصغير ، ودليله في ذلك ما رواه الترمذي ــ وقال حديث حسن صحيح ــ عن عثمان بن حنيف رضي الله عنه أن رجلا ضرير البصر أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : « ادع الله تعالى أن يعافيني » فقال « ان شئت دعوت وان شئت صبرت فهو خير لك » قال فادعه ، فأمره عليه الصلاة والسلام أن يتوضأ فيحسن الوضوء ويدعو بهذا الدعاء « اللهم اني أسألك وأتوجه بنبيك نبي الرحمة ، يا رسول الله اني توجهت بك الى ربي في حاجتي لتقضى لي ، اللهم فشفعه في » ، ونقل عن أحمد مثل ذلك •

« ومن الناس من منع التوسل بالذات ، والقسم على الله تعالى بأحد من خلقه مطلقا ، وهو الذي يرشح به كلام التقي ابن تيمية ، ونقله عن الامام أبي حنيفة وأبي يوسف وغيرهما من العلماء الأعلام ، وأجاب عن الحديث بأنه على حذف مضاف أي بدعاء أو شفاعة نبيك صلى الله عليه وسلم ، ففيه جعل الدعاء وسيلة ، وهو جائز بل مندوب ، والدليل على هذا التقدير قوله في آخر الحديث « اللهم فشفعه في » بل في أوله أيضا ما يدل على ذلك • وقد شنع السبكي ــ كما هي عادته ــ على التقي فقال : ويحسن التوسل والاستغاثة بالنبي صلى الله عليه وسلم الى ربه ولم ينكر ذلك أحد من السلف والخلف حتى جاء ابن تيمية فأنكر ذلك وعدل عن الصراط المستقيم ، وابتدع ما لم يقله عالم ، وصار بين الأنام مثلة • اهـ •

«وأنت تعلم أن الأدعية المأثورة عن أهل البيت الطاهرين وغيرهم من الأئمة ليس فيها التوسل بالذات المكرمة صلى الله عليه وسلم ، ولو فرضنا وجود ما ظاهره

ذلك فمؤول بتقدير مضاف كما سمعت ، أو نحو ذلك كما ستسمع ان شاء الله تعالى ، ومن ادعى النص فعليه البيان • وما رواه أبو داود في سننه وغيره من أن رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم : انا نستشفع بك على الله تعالى ونستشفع بالله تعالى عليك ، فسبح رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى رؤى ذلك في وجوه أصحابه فقال صلى الله عليه وسلم « ويحك أتدري ما الله تعالى ؟ ان الله تعالى لا يستشفع به على أحد من خلقه ، شأن الله تعالى أعظم من ذلك » لا يصلح دليلا على ما نحن فيه حيث أنكر عليه قوله نستشفع بالله عليك ، ولم ينكر عليه الصلاة والسلام قوله نستشفع بك على الله لأن معنى الاستشفاع به صلى الله عليه وسلم طلب الدعاء منه ، وليس معناه الاقسام به على الله تعالى ، ولو كان معنى الاقسام الاستشفاع فلم أنكر النبي صلى الله عليه وسلم مضمون الجملة الثانية دون الأولى ؟ وعلى هذا لا يصلح الخبر ولا ما قبله دليلا لمن ادعى جواز الاقسام بذاته صلى الله عليه وسلم حيا وميتا ، وكذا بذات غيره من الأرواح المقدسة مطلقا قياسا عليه ــ عليه الصلاة والسلام ــ بجامع الكرامة وان تفاوتت قوة وضعفا ، وذلك لأن ما في الخبر الثاني استشفاع لا اقسام ، وما في الخبر الأول ليس نصا في محل النزاع ، وعلى تقدير التسليم ليس فيه الا الاقسام بالحي والتوسل به ، وتساوي حالتي حياته ووفاته صلى الله عليه وسلم في هذا الشأن يحتاج الى نص ، ولعل النص على خلافه ، ففي صحيح البخاري عن أنس أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه كان اذا قحطوا استسقى بالعباس رضى الله عنه • قال : اللهم انا كنا نتوسل اليك بنبيك صلى الله عليه وسلم فتسقينا ، وانا نتوسل اليك بعم نبينا فأسقنا فيسقون • فانه لو كان التوسل به عليه الصلاة والسلام بعد انتقاله من هذه الدار جائزا لما عدلوا الى غيره ، بل كانوا يقولون : اللهم اننا نتوسل اليك بنبينا فأسقنا • وحاشاهم أن يعدلوا عن التوسل بسيد الناس ، الى التوسل بعمه العباس، وهم يجدون أدنى مساغ ، لذلك فعدولهم هذا ــ مع أنهم السابقون الأولون وهم أعلم منا بالله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم وبحقوق الله تعالى ورسوله عليه الصلاة والسلام ، وما يشرع من الدعاء وما لا يشرع ، وهم في وقت ضرورة ومخمصة يطلبون تفريج الكربات وتيسير العسير ، وانزال الغيث بكل طريق ــ دليل واضح على أن المشروع ما سلكوه دون غيره ، وما ذكر من قياس غيره من

الأرواح المقدسة عليه صلى الله عليه وسلم مع التفاوت في الكرامة الذي لا ينكره الا منافق مما لا يكاد يسلم •

« على أنك قد علمت أن الاقسام به صلى الله عليه وسلم على ربه عز شأنه حيا وميتا مما لم يقم النص عليه • لا يقال ان في خبر البخاري دلالة على صحة الاقسام به عليه الصلاة والسلام حيا ، وكذا بغيره كذلك ، أما الأول فلقول عمر رضى الله عنه : كنا نتوسل بنبيك صلى الله عليه وسلم ، وأما الثاني فلقوله : انا نتوسل بعم نبيك ، لما قيل : ان هذا التوسل ليس من باب الاقسام ، بل هو من جنس الاستشفاع ، وهو أن يطلب من الشخص الدعاء والشفاعة ويطلب من الله تعالى أن يقبل دعاءه وشفاعته ، ويؤيد ذلك أن العباس كان يدعو وهم يؤمنون لدعائه حتى سقوا •

« وقد ذكر التقي أن لفظ التوسل بالشخص والتوجه اليه وبه فيه اجمال واشتراك بحسب الاصطلاح فمعناه في لغة الصحابة رضي الله عنهم أن يطلب منه الدعاء والشفاعة فيكون التوسل والتوجه في الحقيقة بدعائه وشفاعته وذلك لا محذور فيه ، وأما في لغة كثير من الناس فمعناه أن يسأل الله تعالى بذلك ويقسم به عليه ، وهذا هو محل النزاع ، وقد علمت الكلام فيه ، وجعل من الاقسام الغير المشروع قول القائل : اللهم أسألك بجاه فلان ، فانه لم يرو عن أحد من السلف أنه دعا كذلك ، وقال : انما يقسم به تعالى وبأسمائه وصفاته ، فيقال : أسألك بأن لك الحمد لا اله الا أنت يا الله المنان بديع السموات والأرض ياذ الجلال والاكرام يا حي يا قيوم ، وأسألك بأنك أنت الله الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد ، وأسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك ــ الحديث ــ ونحو ذلك من الأدعية المأثورة •

وما يذكره بعض العامة من قوله صلى الله عليه وسلم « اذا كانت لكم الى الله تعالى حاجة فاسألوا الله تعالى بجاهي فان جاهي عند الله عظيم » لم يروه أحد من أهل العلم ، ولا هو في شيء من كتب الحديث ، وما رواه القشيري عن معروف الكرخي قدس سره أنه قال لتلامذته : ان كانت لكم الى الله حاجة فأقسموا عليه بي فاني الواسطة بينكم وبينه جل جلاله الآن ، لا يوجد له سند يعول عليه عند

المحدثين ، وأما ما رواه ابن ماجه عن أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه عليه وسلم في دعاء الخارج الى الصلاة « اللهم اني أسألك بحق السائلين عليك وبحق ممشاى هذا فاني لم أخرج أشرا ولا بطرا ولا رياء ولا سمعة ، ولكن خرجت اتقاء سخطك وابتغاء مرضاتك أن تنقذني من النار وأن تدخلني الجنة » ففي سنده العوفي وفيه ضعف ، وعلى تقدير أن يكون من كلام النبي صلى الله عليه وسلم يقال فيه : ان حق السائلين عليه تعالى أن يجيبهم ، وحق الماشين في طاعته أن يثيبهم. والحق بمعنى الوعد الثابت المحقق الوقوع فضلا لا وجوبا كما في قوله تعالى (وكان حقا علينا نصر المؤمنين) . وفي الصحيح من حديث معاذ « حق الله تعالى على عباده أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا ، وحقهم عليه ان فعلوا ذلك أن لا يعذبهم » فالسؤال حينئذ بالاثابة والاجابة وهما من صفات الله تعالى الفعلية والسؤال بها مما لا نزاع فيه ، فيكون هذا السؤال كالاستعاذة في قوله صلى الله عليه وسلم « أعوذ برضاك من سخطك ، وبمعافاتك من عقوبتك وأعوذ بك منك » فمتى صحت الاستعاذة بمعافاته صح السؤال باثابته واجابته ، وعلى نحو ذلك يخرج سؤال الثلاثة لله عز وجل بأعمالهم ، على أن التوسل بالأعمال معناه التسبب بها لحصول المقصود ، ولا شك أن الأعمال الصالحة سبب لثواب الله تعالى لنا ولا كذلك ذوات الأشخاص نفسها . والناس قد أفرطوا اليوم في الاقسام على الله تعالى : فأقسموا عليه عز شأنه بمن ليس في العير ولا في النفير ، وليس عنده من الجاه قدر قطمير ، وأعظم من ذلك أنهم يطلبون من أصحاب القبور نحو شفاء المريض واغناء الفقير ورد الضالة وتيسير كل عسير ، وتوحي اليهم شياطينهم خبر : اذا أعيتكم الأمور الخ [1] وهو حديث مفترى على رسول الله صلى الله عليه وسلم باجماع العارفين بحديثه لم يروه أحد من العلماء ولا يوجد في شيء من كتب الحديث المعتمدة ، وقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن اتخاذ القبور مساجد ولعن على ذلك ، فكيف يتصور منه عليه الصلاة والسلام الأمر بالاستغاثة بها ، والطلب من أصحابها ؟ سبحانك هذا بهتان عظيم .

« وعن أبي يزيد البسطامي قدس الله سره أنه قال : استغاثة المخلوق بالمخلوق

(١) أى فعليكم بأصحاب القبور . وتقدم قريبا فى ص ١٩١

كاستغاثة المسجون بالمسجون • ومن كلام السجاد رضى الله عنه : ان طلب المحتاج من المحتاج سفه في رأيه وضلة في عقله ، ومن دعاء موسى عليه السلام « وبك المستغاث » وقال صلى الله عليه وسلم لابن عباس رضى الله عنه « اذا استعنت فاستعن بالله » الخبر ، وقال تعالى (اياك نعبد واياك نستعين) •

« وبعد هذا كله أنا لا أرى بأسا في التوسل الى الله تعالى بجاه النبي صلى الله عليه وسلم عند الله تعالى حيا وميتا [١] ، ويراد من الجاه معنى يرجع الى صفة من صفاته تعالى ، مثل أن يراد به المحبة التامة المستدعية عدم رده وقبول شفاعته ، فيكون معنى قول القائل : الهي أتوسل بجاه نبيك صلى الله عليه وسلم أن تقضي لي حاجتي : الهي اجعل محبتك له وسيلة في قضاء حاجتي • ولا فرق بين هذا وقولك : الهي أتوسل برحمتك أن تفعل كذا ، اذ معناه أيضا : الهي اجعل رحمتك وسيلة في فعل كذا • بل لا أرى بأسا أيضا بالاقسام على الله تعالى بجاهه صلى الله عليه وسلم بهذا المعنى • والكلام في الحرمة كالكلام في الجاه ، ولا يجري ذلك في التوسل والاقسام بالذات البحت •

« نعم لم يعهد التوسل بالجاه والحرمة عن أحد من الصحابة رضى الله عنهم، ولعل ذلك كان تحاشيا منهم عما يخشى أن يعلق به في أذهان الناس اذ ذاك — وهم قريبو عهد بالتوسل بالأصنام — شيء [٢] ، ثم اقتدى بهم من خلفهم من الأئمة الطاهرين ، وقد ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم هدم الكعبة وتأسيسها على قواعد ابراهيم لكون القوم حديثي عهد بكفر كما ثبت ذلك في الصحيح •

« وهذا الذي ذكرته انما هو لدفع الحرج عن الناس ، والفرار من دعوى تضليلهم كما يزعمه البعض في التوسل بجاه عريض الجاه صلى الله عليه وسلم ، لا للميل الى أن الدعاء كذلك أفضل من استعمال الأدعية المأثورة التي جاء بها الكتاب وصرحت بها ألسنة السنة ، فانه لا يستريب منصف في أن ما علمه الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم ودرج عليه الصحابة الكرام رضى الله عنهم وتلقاه من بعدهم بالقبول أفضل وأجمع وأنفع وأسلم ، فقد قيل ما قيل ان حقا وان كذبا •

« بقي ههنا أمران : (الأول) أن التوسل بجاه غير النبي صلى الله عليه وسلم

(١) سيأتي رده •　　(٢) شيء فاعل يعلق •

لا بأس به أيضا ، ان كان المتوسل بجاهه مما علم أن له جاها عند الله تعالى كالمقطوع بصلاحه وولايته ، وأما من لا قطع في حقه بذلك فلا يتوسل بجاهه لما فيه من الحكم الضمني على الله تعالى بما لم يعلم تحققه منه عز شأنه ، وفي ذلك جرأة عظيمة على الله تعالى . « الثاني » أن الناس قد أكثروا من دعاء غير الله تعالى من الأولياء الأحياء منهم والأموات وغيرهم ، مثل : يا سيدي فلان أغثني ، وذلك ليس من التوسل المباح في شيء ، واللائق بحال المؤمن عدم التفوه بذلك ، وأن لا يحوم حول حماه ، وقد عده أناس من العلماء شركا ، وان لا يكنه فهو قريب منه ، ولا أرى أحدا ممن يقول بذلك الا وهو يعتقد أن الحى الغائب أو الميت المغيب يعلم الغيب ، أو يسمع النداء ، ويقدر بالذات أو بالغير على جلب الخير ودفع الأذى والا لما دعاه ، ولا فتح فاه ، (وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم) ، فالحزم التجنب عن ذلك ، وعدم الطلب الا من الله تعالى القوى الغنى الفعال لما يريد .

« ومن وقف على سر ما رواه الطبراني في معجمه من أنه كان في زمن النبي صلى الله عليه وسلم منافق يؤذي المؤمنين فقال الصديق رضى الله عنه : قوموا بنا نستغيث برسول الله صلى الله عليه وسلم من هذا المنافق ، فجاءوا اليه فقال « انه لا يستغاث بي ، انما يستغاث بالله تعالى » لم يشك في أن الاستغاثة بأصحاب القبور ــ الذين هم بين سعيد شغله نعيمه وتقلبه في الجنان عن الالتفات الى ما في هذا العالم ، وبين شقى ألهاه عذابه وحبسه في النيران عن اجابة مناديه ، والاصاخة الى أهل ناديه ــ أمر يجب اجتنابه ، ولا يليق بأرباب العقول ارتكابه .

ولا يغرنك أن المستغيث بمخلوق قد تقضى حاجته ، وتنجح طلبته ، فان ذلك ابتلاء وفتنة منه عز وجل ، وقد يتمثل الشيطان للمستغيث في صورة الذي استغاث به فيظن أن ذلك كرامة لمن استغاث به ، هيهات هيهات ، انما هو شيطان أضله وأغواه ، وزين له هواه ، وذلك كما يتكلم الشيطان في الأصنام ليضل عبدتها الطغام . وبعض الجهلة يقول ان ذلك من تطور روح المستغاث به ، أو من ظهور ملك بصورته كرامة له ! ولقد ساء ما يحكمون ، لأن التطور والظهور وان كانا ممكنين لكن لا في مثل هذه الصورة ، وعند ارتكاب هذه الجريرة ، نسأل الله تعالى بأسمائه أن يعصمنا من ذلك ، ونتوسل بلطفه أن يسلك بنا وبكم أحسن

المسالك • اهـ [1] •

وهو توسط عند ذوي العقول مقبول ، موافق للمنقول والمعقول ، ولا أظنك تجده في كتاب ، فهو اللباب لذوي الألباب •

وقال الوالد عليه الرحمة أيضا في باب الاشارة من تفسيره ما نصه : قال تعالى (واذا تتلى عليهم آياتنا بينات تعرف في وجوه الذين كفروا المنكر) الآية • فيه اشارة الى ذم المتصوفة الذين اذا سمعوا الآيات الرادة عليهم ظهر عليهم التجهم والبسور ، وهم في زماننا كثيرون ، فانا لله وانا اليه راجعون •

وفي قوله تعالى (ان الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا) الآية ، اشارة الى ذم الغالين في أولياء الله تعالى حيث يستغيثون بهم في الشدة ، غافلين عن الله تعالى وينذرون لهم النذور ، والعقلاء منهم يقولون انهم وسائلنا الى الله تعالى، وانما ننذر لله تعالى عز وجل ونجعل ثوابه للولي • ولا يخفى أنهم في دعواهم الأولى أشبه الناس بعبدة الأصنام القائلين (ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى)، ودعواهم الثانية لا بأس بها لو لم يطلبوا منهم بذلك شفاء مريضهم أو رد غائبهم أو نحو ذلك ، والظاهر من حالهم الطلب ، ويرشدك الى ذلك أنه لو قيل انذروا لله تعالى واجعلوا ثوابه لوالديكم ، فانهم أحوج من أولئك الأولياء لم يفعلوا •

وقال أيضا عند تفسير قوله تعالى (دعوا الله مخلصين له الدين) الآية ما نصه : فالآية دالة على أن المشركين لا يدعون غيره تعالى في تلك ، وأنت خبير بأن الناس اليوم اذا اعتراهم أمر خطير وخطب جسيم في بر أو بحر دعوا من لا يضر ولا ينفع ، ولا يرى ولا يسمع ، فمنهم من يدعو الخضر والياس ، ومنهم من ينادي أبا الخميس والعباس ، ومنهم من يستغيث بأحد الأئمة ، ومنهم من يضرع الى شيخ من مشايخ الأمة ، ولا ترى فيهم أحدا يخص مولاه ، بتضرعه ودعاه • ولا يكاد يمر له ببال ، أنه لو دعا الله تعالى وحده ينجو من هاتيك الأهوال •

« فبالله تعالى عليك قل لي : أى الفريقين من هذه الحيثية أهدى سبيلا ، وأى الداعيين أقوم قيلا ؟ والى الله سبحانه المشتكى من زمان عصفت فيه ريح الجهالة ،

(1) أى ما نقله صاحب (جلاء العينين) من تفسير والده المسمى بروح المعاني •

وتلاطمت أمواج الضلالة ، وغرقت سفينة الشريعة ، واتخذت الاستغاثة بغير الله تعالى للنجاة ذريعة ، وتعذر على العارفين الأمر بالمعروف ، وحالت دون النهي عن المنكر صنوف الحتوف . اهـ .

« ومما يفتى به في هذا المقام ما أنشدنيه لنفسه مفتي مصرنا مدينة السلام وهو قوله :

لا تدع في حاجة بازا ولا أسدا (1) الله ربك لا تشرك به أحدا

وهو كلام يرشح منه التوحيد ، ويكفي من القلادة ما أحاط بالجيد ، اهـ مافي جلاء العينين .

هذا كله ما عن لي أن أذكره في هذا المقام ، من كلام الأئمة الأعلام ، والآن أكتب ما ألقى الله تعالى في روعي في هذا الباب ، وان كان مأخوذا من أقوال من سلف من أهل العلم واللباب ، وفي مطاوي هذا التقرير أبين ان شاء الله تعالى بعض ما أظهره الله لي من النقض والابرام ، والرد والقبول في هاتيك الأقوال ، وليس المقصود منه الا اظهار الحق والصواب ، من دون تعصب لقول دون قول ، فانه من سيء الخلال ، فأقول مستعينا بالرحمن الرحيم ، ومتوسلا بفضله العظيم :

---

(1) يشير بلقب الباز الى الشيخ عبد القادر الجيلاني القطب الشهير الذي يعبده الملايين في العراق والهند وغيرهما ، وهو مدفون في بغـداد . ومن صور استغاثته المشهورة أن من كان له حاجة وصلى ركعتين في الليل ثم استقبل بغداد وتوجه الى الشيخ عبد القادر واستغاثه بهذين البيتين :

أيدركني ضـيم وأنت ذخيرتي ؟ وأظلـم في الدنيـا وأنت نصـيري ؟

وعار على راعي الحمى وهو في الحمى اذا ضـاع في الهيجـا عقـال بعـير

وناداه باسمه وذكر حاجته فانها تقضى !

تحقيق المؤلف لمسألـة التوسل[1]

انه لابد هناك أولا من بيان معنى التوسل لغة وشرعا ثم بيان حكمه قسما قسما ٠

قال العلامة أحمد بن محمد بن على المقري الفيومي في المصباح المنير : وسلت الى الله بالعمل أسل ـ من باب وعد ـ رغبت وتقربت ، ومنه اشتقاق الوسيلة ، وهى ما يتقرب به الى الشيء ، والجمع الوسائل ، والوسيل قيل جمع وسيلة وقيل لغة فيها ، وتوسل الى ربه بوسيلة تقرب اليه بعمل ٠ ا هـ ٠

وقال في النهاية : وفي حديث الأذان « آت محمدا الوسيلة » : هى في الأصل ما يتوصل به الى الشيء ويتقرب به ، وجمعها وسائل ، يقال وسل اليــه وسيلة وتوسل ٠ والمراد به في الحــديث القرب من الله تعالى ، وقيــل هى الشفاعة يوم القيامة ، وقيل هى منزلة من منازل الجنة ، كذا جاء في الحديث ٠ ا هـ ٠

وقال في مجمع البحار : لأن الواصل اليها يكون قريبا من الله ، ومنه « سلوا الله لي الوسيلة » طلب من أمته الدعاء له افتقارا الى الله هضما لنفســه لتنتفع به أمته ويثاب عليه ، أو للارشاد ليسأل كل صاحبه الدعاء له ٠ ا هـ ٠

وقال الجوهري في الصحاح : الوســيلة ما يتقرب به الى الغــير ، والجمع الوسيل والوسائل ، والتوسيل والتوسل واحد ، يقال وسل فلان الى ربه وسيلة وتوسل اليه بوسيلة أى تقرب اليه بعمل ، والواسل الراغب الى الله ، قال لبيد :

بلى كل ذي دين الى الله واسل   انتهى ملخصا ٠

وقال في القاموس : الوسيلة والواسلة المنزلة عند الملك والدرجة والقربة ، ووسل الى الله تعالى توسلا عمل عملا تقرب به اليه كتوسل ، والواسل الواجب والراغب الى الله تعالى ٠ ا هـ ٠ وهذا الذي ذكرنا يعلم منه معنى التوسل اللغوي ٠

وأما معناه الشرعي فتحقيقه متوقف على استقراء مواقع هذا اللفظ في الكتاب والسنة ، فليعلم أن هذا اللفظ قد جاء في سورة المائدة قال الله تعالى (يا أيهـا

---

(١) العنوان للمصحح ٠

الذين آمنوا اتقو الله وابتغوا اليه الوسيلة وجاهدوا في سبيله لعلكم تفلحون) •

قال الحافظ ابن كثير في تفسيره : يقول تعالى آمرا عباده المؤمنين بتقواه ، وهي اذا قرنت بطاعته كان المراد بها الانكفاف عن المحارم وترك المنهيات ، وقد قال بعدها (وابتغوا اليه الوسيلة) قال سفيان الثوري عن طلحة عن عطاء عن ابن عباس: أى القربة ، وكذا قال مجاهد وأبو وائل والحسن وابن زيد وغير واحد ، وقال قتادة : أى تقربوا اليه بطاعته والعمل بما يرضيه ، وقرأ ابن زيد (أولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة) • وهذا الذي قاله هؤلاء الأئمة لا خلاف بين المفسرين فيه ، وأنشد عليه ابن جرير قول الشاعر :

اذا غفل الواشــون عدنا لوصلها ... وعاد التصافي بيننا والوســائل

والوسيلة هى التي يتوصل بها الى تحصيل المقصود • والوسيلة أيضا علم لأعلى منزلة في الجنة ، وهى منزلة رسول الله صلى الله عليه وسلم وداره في الجنة ، وهى أقرب أمكنة الجنة الى العرش اهـ • وهكذا في سائر التفاسير • وقال تعالى في سورة بني اسرائيل (قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا * أولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة أيهم أقــرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه ان عذاب ربك كان محذورا) قال الحافظ ابن كثير : الوسيلة هى القربة كما قال قتادة ، ولهذا قال (أيهم أقرب) •

« وعن جابر بن عبد الله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « من قال حين يسمع النداء : اللهم رب هــذه الدعوة التــامة والصلاة القائمة آت محمدا الوسيلة والفضيلة ، وابعثه مقــاما محمودا الذي وعدته ، حلت له شفاعتي يوم القيامة » رواه البخاري •

قال الحافظ في الفتح : قوله : « رب هذه الدعوة » بفتح الدال ، زاد البيهقي من طريق محمد بن عون عن على بن عياش « اللهم اني أسألك بحق هذه الدعوة التامة » • قوله « الوسيلة » هى ما يتقرب به الى الكبير . يقال توسلت أى تقربت ، وتطلق على المنزلة العلية ، وقع ذلك في حديث عبد الله بن عمرو عند مسلم بلفظ « فانها منزلة في الجنة لا تنبغي الا لعبد من عباد الله » الحديث ، ونحوه للبزار عن

أبي هريرة ، ويمكن ردها الى الأول بأن الواصل الى تلك المنزلة قريب من الله فتكون كالقربة التي يتوسل بها . اهـ .

قال المؤلف : محمد بن عون الخراساني عن عكرمة ، قال النسائي : متروك ، وقال البخاري : منكر الحديث ، وقال عباس عن ابن معين : ليس بشيء ، كذا في الميزان فلا تصلح روايته لأن يحتج بها على مسألة من مسائل الشرع ، فليعلم .

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص أنه سمع النبى صلى الله عليه وسلم يقول « اذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ، ثم صلوا على فانه من صلى على صلاة صلى الله عليه بها عشرا ، ثم سلوا الله لي الوسيلة فانها منزلة في الجنة لا تنبغي الا لعبد من عباد الله ، وأرجو أن أكون أنا هو ، فمن سأل الله لي الوسيلة حلت عليه الشفاعة » رواه مسلم . قال النووي : وأما لغاته ففيه الوسيلة ، وقد فسرها قوله صلى الله عليه وسلم « فانها منزلة في الجنة » قال أهل اللغة : الوسيلة المنزلة عند الملك . اهـ .

وعن أنس أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه كان اذا قحطوا استسقى بالعباس ابن عبد المطلب فقال : اللهم انا كنا نتوسل اليك بنبينا صلى الله عليه وسلم فتسقينا وانا نتوسل اليك بعم نبينا فاسقنا . قال فيسقون . رواه البخاري . وقد نقلنا فيما تقدم رواية الزبير بن بكار التي فيها صفة ما دعا به العباس في هذه الواقعة والوقت الذي وقع فيه ذلك من الفتح ، فتذكر فانها تفيد أن التوسل بالعباس رضى الله عنه انما كان بدعائه لا بذاته .

وأيضا قال في الفتح : وأخرج ــ يعني الزبير بن بكار ــ أيضا من طريق داود عن عطاء عن زيد بن أسلم عن ابن عمر قال : استسقى عمر بن الخطاب عام الرمادة بالعباس بن عبد المطلب فذكر الحديث وفيه فخطب الناس عمر رضى الله عنه فقال : ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يرى للعباس ما يرى الولد للوالد ، فاقتدوا أيها الناس برسول الله صلى الله عليه وسلم في عمه العباس واتخذوه وسيلة الى الله . وفيه فما برحوا حتى سقاهم الله . اهـ .

فتحصل من هذا كله أن التوسل في اللغة التقرب ، والوسيلة هى ما يتقرب

به الى الشيء ، ولم يجعل الشرع للتوسل حقيقة غير الحقيقة اللغوية . نعم جعل للوسيلة حقيقة حيث استعمل في الآيتين بمعنى القربة باتفاق المفسرين ، وفي الحديثين بمعنى أعلى منزلة في الجنة ، ولا مرية في كون المعنى الأخير حقيقة شرعية ، وأما كون المعنى الأول أى القربة حقيقة شرعية ففيه تأمل لا يخفى على من له أدنى تأمل ، وبعد اللتيا والتي فالتوسل الى الله تعالى على أنواع :

(أحدهما) التوسل باسمائه تعالى وصفاته ، وهو ثابت بالكتاب والسنة ، قال الله تعالى (ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها) ، وعن عبد الله بن بريدة عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سمع رجلا يقول : اللهم اني أسألك بأنك أنت الله لا اله الا أنت الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد، فقال « دعا الله باسمه الأعظم الذي اذا سئل به أعطى ، واذا دعي به أجاب » رواه الترمذي وأبو داود ، كذا في المشكاة .

وعن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : مر النبى صلى الله عليه وسلم بأبي عياش زيد بن الصامت الزرقي وهو يصلي وهو يقول : اللهم اني أسألك بأن لك الحمد لا اله الا أنت يا حنان يا منان يا بديع السموات والأرض يا ذا الجلال والاكرام . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لقد سألت الله باسمه الأعظم الذي اذا دعى به أجاب ، واذا سئل به أعطى » رواه أحمد واللفظ له وابن ماجه . ورواه أبو داود والنسائي وابن حبان في صحيحه والحاكم ، وزاد هؤلاء الأربعة : « يا حى يا قيوم » . وقال الحاكم : صحيح على شرط مسلم . كذا في الترغيب والترهيب للمنذري .

وعن عائشة رضى الله عنها قالت : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « اللهم اني أسألك باسمك الطاهر الطيب المبارك الأحب اليك الذي اذا دعيت به أجبت واذا سئلت به أعطيت واذا استرحمت به رحمت واذا استفرجت به فرجت » قالت فقال يوما : يا عائشة « هل علمت أن الله قد دلني على الاسم الذي اذا دعى به أجاب » قالت فقلت : بأبي أنت وأمي يا رسول الله فعلمنيه ، قال « انه لا ينبغي لك يا عائشة » قالت فتنحيت وجلست ساعة ثم قمت فقبلت رأسه ثم قلت : يا رسول الله علمنيه ، قال « انه لا ينبغي لك يا عائشة أن أعلمك ، انه

لا ينبغي أن تسألي به شـيئا للدنيا » قالت فقمت فتوضأت ثم صليت ركعتين ثم قلت : اللهم اني أدعوك الله وأدعوك الرحمن وأدعوك البر الرحيم وأدعوك بأسمائك الحسنى كلها ما علمت منها وما لم أعلم أن تغفر لي وترحمني • قالت : فاستضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال « انه لفي الأسماء التي دعوت بها » رواه ابن ماجـه •

و (الثاني) التوسل بالأعمال الصالحة ، وهذا أيضا ثابت بالكتاب والسنة الصحيحة ، أما الكتاب فما تقدم ذكره من الآيتين اللتين فيهما ذكر الوسيلة ، فان المراد بها باجماع المفسرين هى القربة ، وفي قوله تعالى (اياك نعبد واياك نستعين) اشارة الى ذلك ، فان العبادة قدمت على الاستعانة لكون الأولى وسيلة الى الثانية ، وتقديم الوسائل سبب لتحصيل المطالب ، وأدعى الى الاجابة ، كذا في البيضاوي وغيره ، يدل عليه قول الله تعالى (واستعينوا بالصبر والصلاة) والمعنى : استعينوا على حوائجكم وما تؤملون من خير الدنيا والآخرة الى الله تعالى بالصبر والصلاة ، حتى تجابوا الى تحصيل المـآرب ، وجبر المصائب ، كذا في البيضاوي وغيره • وأخرج أحمد وأبو داود وابن جرير عن حذيفة قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا حز به أمر فزع الى الصلاة •

وأما السنة فما روى عن ابن عمر عن النبى صلى الله عليه وسلم قال « بينما ثلاثة نفر يتماشون أخذهم المطر ، فمالوا الى غار في الجبل ، فانحطت على فم غارهم صخرة من الجبل فأطبقت عليهم ، فقال بعضهم لبعض : انظروا أعمالا عملتموها لله صالحة فادعوا الله بها لعله يفرجها » الحديث متفق عليه • والحديث دال على أنه يستحب للانسان أن يتوسـل بصالح أعماله الى الله تعـالى ، فان هؤلاء فعلـوه واستجيب لهم ، وذكره النبى صلى الله عليه وسلم في معرض الثناء عليهم ، وجميل فضائلهم • لكن الثابت منه انما هو توسل الشخص بأعمال نفسه لا بأعمال غيره من الأنبياء والصالحين كما زعم الامام الشوكاني رحمه الله •

و (الثالث) أن يتوسل بالنبى صلى الله عليه وسلم بتصديقه على الرسالة ، والايمان بما جاء به ، وطاعته في أمره ونهيه ، ونصرته حيا وميتا ، ومعاداة من عاداه، وموالاة من والاه ، واعظام حقه وتوقيره ، واحياء طريقته وسنته ، وبث دعوته ،

ونشر شريعته ، ونفى التهمة عنها ، واستثارة علومها ، والتفقه في معانيها ، والدعاء اليها ، والتلطف في تعلمها وتعليمها واعظامها واجلالها ، والتأدب عند قراءتها ، والامساك عن الكلام فيها بغير علم ، واجلال أهلها لانتسابهم اليها ، والتخلق بأخلاقه والتأدب بآدابه ، ومحبته ومحبة أهل بيته وأصحابه ، ومجانبة من ابتدع في سنته أو تعرض لأحد من عترته وصحبه ، ودعاء الوسيلة له ، والصبر على لأواء مهجره وشدته ، ونحو ذلك ، وكذلك التوسل بالصالحين بمحبتهم وتوقيرهم واجلالهم ، وما يحذو حذوه .

وهذا التوسل هو عين دين الاسلام ، لا يجحده أحد من المسلمين ، لكن هذا التوسل في الحقيقة هو التوسل بالأعمال الصالحة ، وان سماه أحد توسلا بالأنبياء والصالحين ، فلا يتغير حكمه بهذه التسمية ، فان العبرة للمسمى والمعنون ، لا للاسم والعنوان .

(الرابع) التوسل بدعاء النبى صلى الله عليه وسلم في حياته كفاحا ، وكذلك التوسل بدعاء الصالحين ، ومنه قول عمر رضى الله عنه : اللهم انا كنا نتوسل اليك بنبينا صلى الله عليه وسلم فتسقينا ، وانا نتوسل اليك بعم نبينا فأسقينا . ومنه قول أعرابي حين أصابت الناس سنة على عهد النبى صلى الله عليه وسلم : يا رسول الله هلك المال ، وجاع العيال ، فادع الله لنا . ومنها ما كانت الصحابة رضى الله عنهم تفعل من أن أحدهم متى صدر منه ما يقتضى التوبة جاء اليه فقال : يا رسول الله فعلت كذا وكذا فاستغفر لي . واليه الاشارة في قوله تعالى (ولو أنهم اذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما) وهذا أيضا مما لا نزاع فيه لأحد ، وعليه يحمل حديث الضرير « اللهم اني أسألك وأتوجه اليك بنبيك محمد نبى الرحمة » على تقدير ثبوته ، أى بدعاء نبيك . ويدل عليه لفظ : فقال « ادع الله » وقوله « اللهم شفعه في » .

(الخامس) أن يدعو الرب سبحانه باضافته الى عباده الصالحين ، كما في حديث عائشة رضى الله عنها « اللهم رب جبرائيل وميكائيل واسرافيل » المروى في صحيح مسلم . فلو قال أحد في دعائه : اللهم رب ابراهيم وموسى وعيسى وداود ومحمد — أو قال — اللهم رب أبي بكر وعمر وعثمان وعلى — أو قال — اللهم رب

فاطمة والحسن والحسين ـ أو قال ـ اللهم رب أبي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد ـ أو قال ـ اللهم رب البخاري ومسلم والترمذي وأبي داود وابن ماجه ـ أو قال ـ اللهم رب معروف الكرخي وأبي يزيد البسطامي والشيخ عبدالقادر الجيلاني وجنيد ، فلا أرى به بأسا •

(السادس) التوسل بالصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم ، كما روى عن عبد الله بن أبي أوفى رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من كانت له الى الله حاجة أو الى أحد من بني آدم فليتوضأ وليحسن الوضوء ، وليصل ركعتين ، ثم ليثن على الله وليصل على النبي ثم ليقل : لا اله الا الله الحليم الكريم » الحديث رواه الترمذي وابن ماجه ، وفي سنده فائد بن عبد الرحمن أبي الورقاء • وهو وان كان عند الجمهور ضعيفا لكن قال الحاكم انه مستقيم الحديث [1] ولهذا شاهد من حديث أنس فكان صالحا لأن يحتج به • وقد ورد في حديث أبي بن كعب في فضل الصلاة قال « اذا تكفى همك ، ويغفر لك ذنبك » رواه الترمذي •

وعن فضالة بن عبيد قال : بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم قاعد اذ دخل رجل فصلى فقال : اللهم اغفر لي وارحمني • فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « عجلت أيها المصلي ، اذا صليت فقعدت فاحمد الله بما هو أهله ، وصل علي ثم ادعه » قال ثم صلى رجل آخر بعد ذلك فحمد الله وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم فقال له النبي صلى الله عليه وسلم « أيها المصلي ادع تجب » رواه الترمذي• وروى أبو داود والنسائي نحوه •

وعن عبد الله بن مسعود قال : كنت أصلي والنبي صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر معه ، فلما جلست بدأت بالثناء على الله تعالى ثم الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ثم دعوت لنفسي فقال النبي صلى الله عليه وسلم « سل تعطه » رواه الترمذي • وعن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : ان الدعاء موقوف بين

---

(١) فائد بن أبي الورقاء هذا قال الحافظ في التقريب : متروك اتهموه • فالعجب من المصنف كيف يعتد بشهادة الحاكم له مع علمه بتضعيف الجمهور له ، وطالما قرر وكرر القول بعدم الاعتماد على توثيق الحاكم لمثله ولمن هو أمثل منه • وكتبه محمد رشيد •

السماء والأرض ، لا يصعد منه شيء حتى تصلي على نبيك • رواه الترمذي • وعن علي رضي الله عنه قال : كل دعاء محجوب حتى يصلي على محمد صلى الله عليه وسلم • رواه الطبراني في الأوسط موقوفا ورواته ثقات •

و (السابع) أن يقول : اللهم أسألك بحق فلان عبدك أو بجاهه أو حرمته أو نحو ذلك ، فعن العز بن عبد السلام ومن تابعه عدم الجواز الا بالنبى صلى الله عليه وسلم • وعند الحنابلة في أصح القولين أنه مكروه كراهة تحريم ، ونقل القدوري وغيره من الحنفية عن أبي يوسف أنه قال : قال أبوحنيفة رحمه الله : لا ينبغي لأحد أن يدعو الله الا به • وذكر العلائي في شرح التنوير عن التتارخانية عن أبي حنيفة أنه قال : لا ينبغي لأحد أن يدعو الله سبحانه الا به • وفي جميع متونهم أن قول الداعي المتوسل بحق الأنبياء والأولياء وبحق البيت والمشعر الحرام مكروه كراهة تحريم ، وهي كالحرام في العقوبة بالنار عند محمد ، وعللوا ذلك كلهم بقولهم : لأنه لا حق للمخلوق على الخالق •

قلت : قد ورد في حديث معاذ المتفق عليه قال : كنت ردف النبى صلى الله عليه وسلم على حمار ليس بيني وبينه الا مؤخرة الرحل فقال « يا معاذ هل تدري ما حق الله على عباده وما حق العباد على الله » ؟ قلت : الله ورسوله أعلم • قال « فان حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا ، وحق العباد على الله أن لا يعذب من لا يشرك به شيئا » • فقد ثبت بهذا الحديث أن للمخلوق أيضا حقا على الله ، فالتعليل المذكور فاسد ، فان أول الحديث فليؤول بمثله قول الداعي المتوسل بحق الأنبياء والأولياء ، ولكن مجرد ثبوت الحق للمخلوق على الخالق لا يقتضي جواز السؤال به ، فالقول الفصل في ذلك الفصل أن السؤال بحق فلان ان ثبت بحديث صحيح أو حسن فلا وجه للمنع ، وان لم يثبت فهى بدعة ، وقد عرفت فيما سلف أن كل حديث ورد في هذا الباب لا يخلو عن مقال ووهن ، فالأحوط ترك هذه الألفاظ ، وقد جعل الله في الأمر سعة ، وعلمنا النبى صلى الله عليه وسلم التوسل المشروع على هيئات متعددة كما تقدم ، فلا ملجىء الى الوقوع في مضيق الشبهات ، فقد ورد في حديث نعمان بن بشير قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الحلال بين والحرام بين ، وبينهما مشتبهات لا يعلمهن كثير من الناس ، فمن اتقى الشبهات استبرأ لدينه وعرضه ، ومن وقع في الشبهات وقع في

الحرام : كالراعي يرعى حول الحمى يوشك أن يرتع فيه » الحديث متفق عليه •

وأما ما قال الامام الشوكاني من أن التوسل الى الله بأهل الفضل والعلم هو في التحقيق توسل بأعمالهم الصالحة ومزاياهم الفاضلة ، اذ لا يكون الفاضل فاضلا الا بأعماله ، فاذا قال القائل : اللهم اني أتوسل اليك بالعالم الفلاني فهو باعتبار ما قام به من العلم ، وقد ثبت في الصحيحين وغيرهما أن النبى صلى الله عليه وسلم حكى عن الثلاثة الذين انطبقت عليهم الصخرة أن كل واحد منهم توسل الى الله بأعظم عمل عمله فارتفعت الصخرة • اهـ •

ففيه نظر من وجوه :

(الأول) أن قوله في دليل الدعوى : اذ لا يكون الفاضل فاضلا الا بأعماله ، مجرد دعوى لم يذكر عليه دليلا فلا تقبل [1] • ألا ترى أن أمته صلى الله عليه وسلم خير أمة بدليل قوله تعالى (كنتم خير أمة أخرجت للناس) مع أن من خلا من الأمم أكثر عملا منهم ، فيجوز أن يكون الفاضل فاضلا بفضل الله تعالى لا بمجرد العمل •

(الثاني) أنا لا نسلم أن الفاضل اذا كان فضله بالأعمال كان التـوسل به توسلا بالأعمال الصالحة ، لم لا يجوز أن يكون التوسل به توسلا بذاته ؟ بل هو الظاهر [2] فان حقيقة التوسل بالشىء التوسل بذاته ، والتوسل بالأعمال أمر خارج زائد على الحقيقة ، ولا يصرف عن الحقيقة الى المجاز الا لمـانع •

(الثالث) أن الثابت بحديث الصخرة انما هو توسل شخص بأعمال نفسه ، لا بأعمال غيره ، فلا يتم التقريب ، بل التوسل بأعمال الغير مما يستنكف عنه العقل السليم ، ولا يدل عليه دليل من الكتاب والسنة •

---

(1) في هذا النظر من المؤلف نظر ، فليته تركه ، فكون الفاضل لا يكون فاضلا الا بعمله بديهي لا يحتاج الى دليل ، وهل الفضل الا لزيادة على غيره بالعمل الذي يشمل عمل النفس والجوارح • وما كانت شهادة الله لهذه الأمة بالخيرية الا مقرونة بذكر العمل الذي به الخيرية ، وهو قوله تعالى بعدها (تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله) وكتبه محمد رشيد رضا •

(2) ان المعلوم من حال هؤلاء المتوسلين بالأشخاص أنهم يتوسلون بذواتهم الممتازة بصفاتهم وأعمالهم المعروفة عنهم ، لاعتقاد أن لهم تأثير في حصول المطلوب بالتوسل • اما بفعل الله تعالى لأجلهم واما بفعلهم أنفسهم ، مما يعدونه كرامة لهم ، وقد سمعنا الأمرين منهم وممن يدافع عنهم ، وكل من الأمرين باطل • وكتبه محمد رشيد رضا •

فان قلت : قد ورد في حديث جابر في باب دعاء الأذان من طريق محمد بن عون « اللهم اني أسألك بحق هذه الدعوة التامة » فهذا القول من غير المؤذن توسل بعمل الغير • قلت : جوابه من وجهين : (الأول) ما تقدم من الكلام في محمد بن عون ، فلا يصلح لأن يستدل به على شيء من مسائل الدين • (والثاني) أن المراد بهذه الدعوة التامة نوع الأذان ، لا أذان مؤذن مخصوص ، كما أن المراد مطلق الصلاة ، لا صلاة مصل معين ، فغاية ما يثبت منه التوسل بمطلق الأعمال الصالحة ، من غير اضافتها الى أشخاص معينين ، وهو بمعزل عن المطلوب •

(الرابع) أنه لو سلم أن مراد القائل : اللهم اني أتوسل اليك بأبي بكر رضى الله عنه مثلا هو التوسل بأعمال أبي بكر رضى الله عنه لا التوسل بذاته ، فاللفظ محتمل للتوسل بالذات أيضا ، وهذا مما لا شك فيه ، وقد نهانا الله تعالى عن استعمال لفظ موهم لأمر غير جائز فقال في سورة البقرة (يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا ، واسمعوا وللكافرين عذاب أليم) قال الامام العلامة أبو الطيب صديق بن حسن القنوجي دام فيضه في تفسيره (فتح البيان) : وفي ذلك دليل على أنه ينبغي تجنب الألفاظ المحتملة للسب والنقص ، وان لم يقصد المتكلم بها هذا المعنى المفيد للشتم ، سدا للذريعة ، وقطعا لمادة المفسدة والتطرق اليه • اهـ

وكذلك ما قال والد صاحب (جلاء العينين) مجوزا قول القائل : اللهم اني أسألك بحق النبى صلى الله عليه وسلم وجاهه ، من أن المراد من الحق والجاه معنى يرجع الى صفة من صفات الله تعالى ، مثل أن يراد المحبة التامة المستدعية عدم رده وقبول شفاعته ، محل نظر ، فان ارجاع لفظ الحق والجاه الى صفة من صفاته تعالى لا يخلو عن تعسف ، ولو سلم فاللفظ محتمل للتوسل بالذات أيضا ، واستعمال الألفاظ المحتملة للأمر غير الجائز منهي عنه ، بدليل الآية المتقدمة ، وكذلك ما قيل : انه اذا جاز التوسل بالأعمال الصالحة فالتوسل به صلى الله عليه وسلم أحق وأولى لما فيه من النبوة والفضائل فاسد ، فان بينهما من الفرق ما لا يخفى ، اذ التوسل بالأعمال الصالحة ثابت بالكتاب والسنة الصحيحة ، بخلاف التوسل بالذوات الفاضلة فان أمثل ما يستدل به على هذا المطلب هو حديث عثمان ابن حنيف ، وهو غير ثابت لأن في سنده أبا جعفر الرازي وهو سيىء الحفظ يهم

كثيرا فلا يحتج بما ينفرد به ، وعلى تقدير ثبوته فالمراد بقوله « بنبيك » بدعاء نبيك وشفاعته ، بل هذا متعين بدليل قول الضرير ادع الله أن يعافيني ، وقوله صلى الله عليه وسلم « ان شئت دعوت » وقوله في الدعاء « فشفعه في » وبدليل قول عمر رضى الله عنه : كنا نتوسل اليك بنبينا فتسقينا ، وانا نتوسل اليك بعم نبينا فأسقنا ، فان المراد بالتوسل بالنبى صلى الله عليه وسلم وبعم النبى صلى الله عليه وسلم في هذا القول هو التوسل بدعاء النبى صلى الله عليه وسلم وبدعاء عمه صلى الله عليه وسلم لا غير ، كما يدل عليه صفة ما استسقى به النبى صلى الله عليه وسلم وعمه العباس رضى الله عنه ، فقد علم بذلك أن المراد بالتوسل بالنبى صلى الله عليه وسلم في عرف الصحابة هو التوسل بدعاء النبى صلى الله عليه وسلم ، وهذا القسم من التوسل لم يقل أحد من العلماء انه شرك ، فان أشدهم في المنع شيخ الاسلام ابن تيمية وتلامذته وتبعهم في ذلك الشيخ محمد بن عبد الوهاب النجدي رحمهم الله تعالى وهؤلاء العلماء يصرحون بأنه ليس بشرك •

قال في (تبعيد الشيطان بتقريب اغاثة اللهفان) قال شيخنا قدس الله روحه : وهذه الأمور المبتدعة عند القبور مراتب ، أبعدها عن الشرع أن يسأل الميت حاجته ويستغيث به فيها كما يفعله كثير من الناس • قال : وهؤلاء من جنس عباد الأصنام، ولهذا قد يتمثل لهم الشيطان في صورة الميت ، أو الغائب كما يتمثل لعباد الأصنام ، وهذا يحصل للكفار من المشركين وأهل الكتاب ، يدعو أحدهم من يعظمه فيتمثل لهم الشيطان أحيانا ، وقد يخاطبهم ببعض الأمور الغائبة ، وكذلك السجود للقبر وتقبيله • (المرتبة الثانية) أن يسأل الله به ، وهذا يفعله كثير من المتأخرين ، وهو بدعة باتفاق المسلمين • (الثالثة) أن يسأله نفسه • (الرابعة) أن يظن أن الدعاء عند قبره مستجاب أو أنه أفضل من الدعاء في المسجد فيقصد زيارته والصلاة عنده لأجل طلب حوائجه ، وهذا أيضا من المنكرات المبتدعة باتفاق المسلمين وهى محرمة ، وما علمت في ذلك نزاعا بين أئمة الدين وان كان كثير من المتأخرين يفعل ذلك ويقول بعضهم : قبر فلان ترياق مجرب ! والحكاية المنقولة عن الشافعى أنه كان يقصد الدعاء عند قبر أبي حنيفة من الكذب الظاهر • ا هـ •

وأيضا قال فيه : والشيطان له تلطف في الدعوة ، فيدعوه أولا الى الدعاء

عنده ، فيدعو العبد عنده بحرقة وانكسار وذلة ، فيجيب الله دعوته لما قام بقلبه لا لأجل القبر ، فيظن الجاهل أن للقبر تأثيرا — الى أن قال — فاذا وقع ما يريده الشيطان من الانسان من استحسان الدعاء عند القبر وأنه أرجح من دعائه في بيته ومسجده نقله درجة أخرى من الدعاء عنده الى الدعاء به والاقسام على الله به ، وهذا أعظم من الذي قبله ، فان شأن الله تعالى أعظم من أن يقسم عليه أو يسأل بأحد من خلقه ، وقد أنكر أئمة الاسلام ذلك •

« قال أبو الحسن القدوري في شرح كتاب الكرخي : قال بشر بن الوليد سمعت أبا يوسف يقول قال أبو حنيفة : لا ينبغي لأحد أن يدعو الله الا به ، وأكره أن يقول أسألك بمعاقد العز من عرشك ، وأن يقول بحق فلان وبحق أنبيائك ورسلك وبحق البيت الحرام •

« وقال أبو الحسن : أما المسألة بغير الله فمنكرة لأنه لا حق لغير الله عليه ، وانما الحق له على خلقه • وأما قوله بمعقد العز من عرشك فكرهه أبو حنيفة ورخص فيه أبو يوسف ، وروى أنه صلى الله عليه وسلم دعا بذلك ، قال : ولان معقد العز يراد به القدرة التي خلق الله بها العرش مع عظمته ، فكأنه سأله بأوصافه• وقال ابن بلدجي في شرح المختار : ويكره أن يدعو الله الا به ، فلا يقول أسألك بملائكتك أو بأنبيائك أو نحو ذلك لأنه لا حق للمخلوق على خالقه ، أو يقول في دعائه : أسألك بمعقد العز من عرشك ، وعن أبي يوسف جوازه ، وما يقول فيه أبو حنيفة وأصحابه : أكره كذا ، هو عند محمد حرام ، وعند أبي حنيفة وأبي يوسف الى الحرام أقرب ، وجانب التحريم عليه أغلب ، وفي فتاوي ابن عبد السلام نحو ذلك ، وتوقف في نبينا صلى الله عليه وسلم لاعتقاده أن ذلك جاء في حديث وأنه لم يعرف صحة الحديث •

« فاذا قرر الشيطان عنده أن الاقسام على الله به والدعاء به أبلغ في تعظيمه واحترامه وأنجح في قضاء الحاجة نقله الى درجة أعلى من تلك وهي دعاؤه نفسه من دون الله ، ثم الى درجة فوق تلك هي اتخاذه وثنا يعكف عليه ويوقد عليه القناديل ويعلق عليه الستور ويبنى عليه المسجد ويعبده بالسجود له والطواف به وتقبيله واستلامه والحج اليه والذبح عنده ، ثم ينقله الى دعاء الناس الى عبادته

واتخاذه عيدا ومنسكا ، وأن ذلك أنفع لهم في دنياهم وآخرتهم • ا هـ •

وقد نقلنا عبارة محمد بن عبد الوهاب في ذلك فيما تقدم ، فتذكر •

(الثامن) أن يسأل الله ويدعوه عند قبور الصالحين معتقدا أن الدعاء عند القبر مستجاب •

و (التاسع) أن يقول عندقبر نبى أو صالح : ياسيدي فلان ادع الله تعالى لي أو نحو ذلك ، فهذان القسمان مما لا يستريب عالم أنهما غير جائزين وأنهما من البدع التي لم يفعلها السلف ، وان كان السلام على القبور جائزا •

(العاشر) أن يقول عند قبر نبى أو صالح : يا سيدي فلان اشف مريضي واكشف عني كربتي وغير ذلك ، وهذا شرك جلى ، اذ نداء غير الله طالبا بذلك دفع شر أو جلب منفعة فيما لا يقدر عليه الغير دعاء ، والدعاء عبادة ، وعبادة غير الله شرك ، وهذا أعم من أن يعتقد فيهم أنهم مؤثرون بالذات ، أو أعطاهم الله تعالى التصرفات في تلك الأمور ، أو أنهم أبواب الحاجة الى الله تعالى وشفعاؤه ووسائله • وفي هذا الحكم التوسل بسائر العبادات من الذبح لهم والنذر لهم ، والتوكل عليهم والالتجاء اليهم ، والخوف والرجاء منهم ، والسجود لهم والطواف بهم •

(الحادي عشر) أن يدعو غائبا أو ميتا عند غير القبور : يا سيدي فلان ادع الله تعالى في حاجتي فلانة ، زاعما أنه يعلم الغيب ويسمع كلامه في كل زمان ومكان، ويشفع له في كل حين وأوان ، فهذا شرك صريح ، فان علم الغيب من الصفات المختصة بالله نعالى •

(الثاني عشر) أن يدعو غائبا أو ميتا عند غير القبر : يا سيدي فلان اشف مريضي ، واقض عني الدين ، وهب لي ولدا وارزقني ، واغفر لي وأمثال ذلك ، وهذا أيضا شرك من وجهين : (الأول) أنه يعتقد علم الغيب لذلك المدعو وهو شرك، (والثاني) أنه ينادي ويدعو غير الله تعالى ، طالبا بذلك دفع شر أو جلب منفعة فيما لا يقدر ذلك الغير عليه ، وهذا الدعاء عبادة ، وعبادة غير الله شرك ، ومن قال من العلماء بكون التوسل شركا فانما أراد به أحد الأقسام الثلاثة الأخيرة •

قوله : وانما استسقى عمر رضى الله عنه بالعباس رضى الله عنه ولم يستسق بالنبى صلى الله عليه وسلم ليبين للناس جواز الاستسقاء بغير النبى صلى الله عليه وسلم وأن ذلك لا حرج فيه ، وأما الاستسقاء بالنبى صلى الله عليه وسلم فكان معلوما عندهم فلربما أن بعض الناس يتوهم أنه لا يجوز الاستسقاء بغير النبى صلى الله عليه وسلم فبين لهم عمر باستسقائه بالعباس الجواز ، ولو استسقى بالنبى صلى الله عليه وسلم لربما يفهم منه بعض الناس أنه لا يجوز الاستسقاء بغيره صلى الله عليه وسلم [1] .

أقول فيه كلام من وجهين :

(الأول) أن المراد بالاستسقاء بالعباس ، والتوسل به الوارد في حديث أنس رضى الله عنه ، هو الاستسقاء بدعاء العباس ، على طريقة معهودة في الشرع ، وهي أن يخرج من يستسقى به الى المصلى ، فيستسقى ويستقبل القبلة داعيا ويحول رداءه ويصلي ركعتين ، أو نحوه من هيئات الاستسقاء التي وردت في الصحاح . والدليل عليه قول عمر رضى الله عنه : اللهم انا كنا نتوسل اليك بنبينا صلى الله عليه وسلم فتسقينا ، وانا نتوسل اليك بعم نبينا فأسقنا . ففي هذا القول دلالة واضحة على أن التوسل بالعباس كان مثل توسلهم بالنبى صلى الله عليه وسلم ، والتوسل بالنبى صلى الله عليه وسلم لم يكن الا بأن يخرج صلى الله عليه وسلم ويستقبل القبلة ويحول رداءه ويصلى ركعتين ، أو نحوه من الهيئات الثابتة للاستسقاء . ولم يرد في حديث ضعيف فضلا عن الحسن أو الصحيح أن الناس طلبوا السقيا من الله في حياته متوسلين به صلى الله عليه وسلم ، من غير أن يفعل صلى الله عليه وسلم ما يفعل في الاستسقاء المشروع ، من طلب السقيا والدعاء والصلاة وغيرهما مما ثبت بالأحاديث الصحيحة ، ومن يدعي وروده فعليه الاثبات.

اذا تمهد هذا فاعلم أن الاستسقاء والتوسل على الهيئة التي وردت في الصحاح

---

(1) هذا تعليل فاسد ليس مرتكزا على قاعدة عقلية أو نقلية ، بل فيه افتراء قبيح على عمر ، ودعواه باطلة لأنها رجم بالغيب ، وحكم جائر على عقيدة عمر وعلى ضميره رضي الله عنه ، فكأن دحلان يعلم ما يكنه عمر في ضميره فنصب نفسه معبرا عنه ، فيا ويحه ما أجرأه على الكذب والتلبيس . وكتبه عبد الرحمن الدوسري .

للاستسقاء لا يمكن الا بالحى لا بالميت ، فالقول بامكان هــذا الاستسقاء بالنبى صلى الله عليه وسلم بعد وفاته من أبطل الأباطيل ، وكان القول بأنه لو استسقى بالنبى صلى الله عليه وسلم لربما يفهم منه بعض النــاس أنه لا يجوز الاستسقاء بغيره صلى الله عليه وسلم بديهي البطلان ، فان ما ثبت بفعله صلى الله عليه وسلم هو مشروع لنا لقوله تعالى (ما آتاكم الرسول فخذوه) وقوله تعالى (لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة) ما لم يدل دليل على كونه مخصوصا بالنبى صلى الله عليه وسلم فلا مجال لهذا التوهم حتى يحتاج الى دفعه •

و (الثاني) أن المقصود لو كان دفع التوهم المذكور لكان أولى أن يتوسل بحى غير النبى صلى الله عليه وسلم في حياته صلى الله عليه وسلم أو بميت غير النبى صلى الله عليه وسلم بعــد وفاته صلى الله عليه وسلم أو بميت غير النبى صلى الله عليه وسلم في حيــاته صلى الله عليه وسلم ، فان هــاتيك الصــور الثــلاث أبعد من أن يبــدأ فيها الاحتمال الآتي من أنه انما استسقى بالعبــاس لأنه حي والنبى صلى الله عليه وسلم قد مات ، وأن الاستسقاء بغير الحى لا يجوز ، فلما ترك عمر رضى الله عنه تلك الصور واختار الصورة التي يتأتى فيها الاحتمال المذكور دل هذا الصنيع على أن مقصوده رضى الله عنه ليس دفع التوهم المذكور •

و (الثالث) أن توهم عدم جواز الاستسقاء بغير النبى صلى الله عليه وسلم أخف من توهم عدم جواز الاستسقاء بالميت ، سيما اذا كان ذلك الميت غير النبى صلى الله عليه وسلم ، فكان هذا التوهم أولى بالدفع • فكان الأنسب حينئذ أن يستسقى بميت غير النبى صلى الله عليه وسلم •

و (الرابع) أن هــذا التعيل فاسد ، لأن المعلل لم يقم عليه برهانا ولا دليلا فلا يصغى اليه •

قوله : وليس لقائل أن يقول انما استسقى بالعباس لأنه حي والنبى صلى الله عليه وسلم قد مات وأن الاستسقاء بغير الحى لا يجوز ، لأنا نقول ان هذا الوهم باطل ومردود بأدلة كثيرة •

أقول : هذه الأدلة ليست صالحة لأن يستدل بها على المطلوب كما تقــدم ، فتذكر قوله : ومع أنه صلى الله عليه وسلم حي في قبره •

أقول : بعد التسليم هذه الحياة حياة برزخية ، وتساوي الحياة البرزخية والدنيوية في جميع الأحكام لا يقول به أحد من العقلاء ، اذ هو يستلزم مفاسد غير محصورة كما لا يخفى على من له أدنى فهم •

قوله : قال بعض العارفين : وفي توسل عمر بالعباس رضى الله عنه دون النبى صلى الله عليه وسلم نكتة أخرى زيادة على ما تقدم ، وهى شفقة عمر رضى الله عنه على ضعفاء المؤمنين ، فانه لو استسقى بالنبى صلى الله عليه وسلم لربما استأخرت الاجابة ، لأنها معلقة بارادة الله تعالى ومشيئته ، فلو تأخرت الاجابة ربما تقع وسوسة فاضطراب لمن كان ضعيف الايمان بسبب تأخر الاجابة •

أقول : هذه النكتة أحق أن يقال انها نكتة سوداء ، أو وسوسة دهماء ، أو فتنة صماء ، أو شبهة عمياء ، فانها تقتضي ترك الاستسقاء بالنبى صلى الله عليه وسلم في حياته صلى الله عليه وسلم أيضا ، فانه لو استسقى بالنبى صلى الله عليه وسلم لربما استأخرت الاجابة ، لأنها معلقة بارادة الله تعالى في حياته وبعد وفاته ، فلو تأخرت الاجابة ربما تقع وسوسة فاضطراب • ولا يقول به أحد من المسلمين •

وبالجملة فالذي ألجأ هؤلاء الى ابداء أمثال هذه النكتة السخيفة الساقطة الردية ، والتعليلات الباردة الفاسدة المرمية ، هو أن عمر رضى الله عنه وسائر الصحابة مع أنهم السابقون الأولون عدلوا بعد وفاة النبى صلى الله عليه وسلم عن التوسل بسيد الناس ، الى التوسل بعمه العباس ، وهذا العدول أوضح دليل وأبهر برهان على أن التوسل بالأموات غير جائز ، فهؤلاء المجوزون للتوسل بالأموات احتاجوا الى توجيه هذا العدول وتأويله ، فعموا وصموا وقالوا ما قالوا ، فخبطوا خبط عشواء ، وركبوا متن عمياء ، والى الله المشتكى من أمثال هذه التوجيهات ، فانها تحريفات واضحات •

قوله : والحاصل أن مذهب أهل السنة والجماعة صحة التوسل وجوازه بالنبى صلى الله عليه وسلم في حياته وبعد وفاته ، وكذا بغيره من الأنبياء والمرسلين، صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين ، وكذا بالأولياء والصالحين لما دلت عليه الأحاديث السابقة •

أقول : ان أراد أن مذهب أهل السنة والجماعة صحة جميع أقسام التوسل التي ذكرناها آنفا ففاسد ، فان كثيرا من أهل السنة صرحوا بكون بعض الأقسام غير جائز أو مكروها ، بل بكون بعضها كفرا وشركا • وان أراد أن مذهب أهل السنة والجماعة صحة بعض أقسام التوسل ، فنحن لا ننكره ، ولا أحد من العلماء الذين رموا بانكار التوسل •

قوله : لأنا معشر أهل السنة لا نعتقد تأثيرا ولا خلقا ولا ايجادا ولا اعداما ولا نفعا ولا ضرا الا لله وحده لا شريك له ؛ ولا نعتقد تأثيرا ولا نفعا ولا ضرا للنبى صلى الله عليه وسلم ولا لغيره من الأموات ، فلا فرق في التوسل بالنبى صلى الله عليه وسلم وغيره من الأنبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين • وكذا بالأولياء والصالحين لا فرق بين كونهم أحياء وأمواتا ، لأنهم لا يخلقون شيئا ، وليس لهم تأثير في شيء ، وانما يتبرك بهم لكونهم أحباء الله تعالى ، وأما الخلق والايجاد والاعدام والنفع والضر فانه لله وحده لا شريك له •

أقول : فيه كلام من وجوه :

(الأول) أنه يعتقد كثير من العوام وبعض الخواص في أهل القبور وفي المعروفين بالصلاح من الأحياء أنهم يقدرون على ما لا يقدر عليه الا الله جل جلاله ، ويفعلون ما لا يفعله الا الله عز وجل ، حتى نطقت ألسنتهم بما انطوت عليه قلوبهم ، فصاروا يدعونهم تارة مع الله وتارة استقلالا . ويصرخون بأسمائهم ، ويعظمونهم تعظيم من يملك الضر والنفع ، ويخضعون لهم خضوعا زائدا على خضوعهم عند وقوفهم بين يدى ربهم في الصلاة والدعاء ، كما تقدم ذلك في كلام الشوكاني •

و (الثاني) أن مجرد عدم اعتقاد التأثير والخلق ، والايجاد والاعدام ، والنفع والضر الا لله لا يبرىء من الشرك ، فان المشركين الذين بعث الله الرسل اليهم أيضا كانوا مقرين بأن الله هو الخالق الرازق ، بل لا بد فيه من اخلاص توحيده وافراده ، واخلاص التوحيد لا يتم الا بأن يكون الدعاء كله لله ، والنداء والاستغاثة والرجاء واستجلاب الخير واستدفاع الشر له ومنه لا بغيره ولا من غيره ، وكذلك النذر والذبح والسجدة كلها تكون لله ، وهذا قد ظهر من العبارات التي نقلناها سابقا ظهورا بينا لا خفاء فيه •

و (الثالث) أن مجرد كون الأحياء والأموات شركاء في أنهم لا يخلقون شيئا

وليس لهم تأثير في شيء لا يقتضي أن يكون الأحياء والأموات متساوين في جميع الأحكام حتى يلزم من جواز التوسل بالأحياء جواز التوسل بالأموات ، وكيف وليس معنى التوسل بالأحياء الا التوسل بدعائهم ، وهو ثابت بالأحاديث الصحيحة، وأما التوسل بدعاء الأموات فلم يثبت بحديث صحيح ولا حسن .

قوله : وأما الذين يفرقون بين الأحياء والأموات ، فانهم بذلك الفرق يتوهم منهم أنهم يعتقدون التأثير للأحياء دون الأموات ، ونحن نقول (الله خالق كل شيء) (والله خلقكم وما تعملون) . فهؤلاء المجوزون التوسل بالأحياء دون الأموات ، أو المعتقدون تأثير غير الله ، هم الذين دخل الشرك في توحيدهم لكونهم اعتقدوا تأثير الأحياء دون الأموات .

أقول : هذا كلام تقشعر منه الجلود ، أما يعلم هذا القائل الصنديد ، والمتفوه العنيد ، أن الفارقين بين الأحياء والأموات هم الذين يمنعون مما هو دون اعتقاد تأثير الله بمراحل ، ويصرحون بكونه شركا ؟ فكيف يتوهم منهم أنهم يعتقدون تأثير غير الله ؟ (سبحانك هذا بهتان عظيم) . على أن مناط الفرق بين الأحياء والأموات ليس اعتقاد التأثير للأحياء دون الأموات ، كما زعم هذا المتقول على الموحدين ، انما مناطه ثبوت التوسل بالأحياء بالأحاديث الصحيحة دون الأموات[1] .

قوله : فالتوسل والتشفع والاستغاثة كلها بمعنى واحد ، وليس لها في قلوب المؤمنين معنى الا التبرك بذكر أحباء الله تعالى ، لما ثبت أن الله يرحم العباد بسببهم ، سواء كانوا أحياء أو أمواتا .

أقول : هذا الحصر غير مسلم فان صاحب الرسالة [2] قد عد من أفراد التوسل

(١) وكون التوسل بالحي مباحا دون الميت هو أن التوسل المباح انما هو بدعائه كما فعل العباس وفعل قبله رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه كان يدعو لهم بحاجتهم وهم يؤمنون ، وكان يستغفر لهم اذا أتوه وهكذا فعل العباس فانه كان يدعو والصحابة يؤمنون على دعائه ، ولما كان الميت يتعذر منه ذلك امتنع طلب الوسيلة به شرعا وعقلا فهذا هو الفارق . وكتبه عبد الرحمن المحمد الدوسري .

(٢) أى صاحب هذه الرسالة المردود عليها . والرد هنا قاصر . ومما كان ينبغي أن يقوله المصنف فى رده : ان الألفاظ الثلاثة ليست بمعنى واحد . وان الذين ليس لها فى قلوبهم معنى الا التبرك لا يشدون الرحال الى القبور لأجل ذكر موتاها ــ وان ذكرها في الدعاء تبركا من التعبد الذي لا يعلم الا بالنص من الشارع وهو غير موجود ــ وان كونها سببا للرحمة مضاد لكونها لا تأثير لها . وهو قد جمع بين الضدين في الجملة الآتية ويسمي ذكرهم سببا عاديا للتأثير الالهي ، والمعروف عن جماعة القبوريين أنهم يعدونه من خوارق العادات لا من الأسباب العادية . وكتبه محمد رشيد رضا .

ما رواه الدارمي عن أبي الجوزاء قال : قحط أهل المدينة قحطا شديدا ، فشكوا الى عائشة رضى الله عنها ، فقالت ، انظروا الى قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجعلوا منه كوة الى السماء حتى لا يكون بينه وبين السماء سقف ، ففعلوا ، فمطروا حتى نبت العشب وسمنت الابل حتى تفتقت من الشحم ، فسمى عام الفتق. وليس فيه التبرك بذكر أحباء الله . على أن التوسل اذا كان خاليا عن اعتقاد التأثير، ودعاء غير الله والنذر له والذبح له ، وسائر العبادات ، وجميع ما نهى الله ورسوله عنه ، وكان محض التبرك بذكر أحباء الله ، لا يكون شركا ، لكن ينظر اليه ، فان كان ذلك التبرك ثابتا بكتاب أو سنة صحيحة فلا مرية في مشروعيته ، وان لم يكن ثابتا فهو بدعة ضلالة ، والكلام في حديث أبي الجوزاء سيأتي فارتقبه ، ودعوى أنه ثبت أن الله يرحم العباد بسببهم سواء كانوا أحياء أو أمواتا تحتاج الى اقامة البرهان عليها ، ودونه لا تسمع . ثم الى تبيين أن المراد بلفظة « بسببهم » بسبب ذكرهم ، وبدونه لا يتم التقريب .

قوله : فالمؤثر والموجد حقيقة هو الله تعالى ، وذكر هؤلاء الاخيار سبب عادي في ذلك التأثير ، وذلك مثل الكسب العادي فانه لا تأثير له .

أقول : كون ذكر هؤلاء الأخيار سببا عاديا في ذلك التأثير من أين علم ؟ وأى دليل عليه ؟ ولو سلم فالسببية لا تستلزم المشروعية ، ألا ترى أن كثيرا من العقود الفاسدة سبب لتحصيل المنافع وليست بمشروعة .

قوله : وحياة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام في قبورهم ثابتة عند أهل السنة بأدلة كثيرة .

أقول : هب أن حياة الأنبياء عليهم السلام ثابتة ، ولكنها حسب اعتراف صاحب الرسالة ليست مثل الحياة الدنيوية ، فلا يتفرع عليها جواز التوسل كما يتفرع على الحياة الدنيوية .

قوله : فان قال قائل : ان شبهة هؤلاء المانعين للتوسل أنهم رأوا بعض العامة يأتون بألفاظ توهم أنهم يعتقدون التأثير لغير الله تعالى ، ويطلبون من الصالحين أحياء وأمواتا أشياء جرت العادة بأنها لا تطلب الا من الله تعالى ، ويقولون للولي

افعل لي كذا وكذا ، وأنهم ربما يعتقدون الولاية في أشخاص لم يتصفوا بها ، بل اتصفوا بالتخليط وعـدم الاستقامة ، وينسبون لهم كرامات ، وخوارق عادات ، وأحوالا ومقامات ، وليسوا بأهل لها ، ولم يوجد فيهم شيء منها ، فأراد هؤلاء المانعون للتوسل أن يمنعوا العامة من تلك التوسعات ، دفعا للايهام وسدا للذريعة ، وان كانوا يعلمون أن العامة لا يعتقدون تأثيرا ولا نفعا ولا ضرا لغير الله تعالى ، ولا يقصدون بالتوسل الا التبرك ، ولو أسندوا للأولياء شـيئا لا يعتقدون فيهم تأثيرا • فنقول لهم اذا كان الأمر كذلك وقصدتم سد الذريعة فما الحامل لكم على تكفير الأمة ، عالمهم وجاهلهم وخاصهم وعامهم ، وما الحامل لكم على منع التوسل مطلقا ، بل كان ينبغي لكم أن تمنعوا العامة من الألفاظ الموهمة لتأثير غير الله تعالى، وتأمروهم بسلوك الأدب في التوسل •

أقول : أولا ــ ان في تقرير دليـل المانعين نوع تحريف مقصود ، وأصـل تقريرهم هكذا : انا نرى كثيرا من العامة وبعض الخواص يأتون بألفاظ دالة دلالة مطابقة على أنهم يعتقـدون التأثير لغير الله تعالى ، ويطلبون من الصالحين أحياء وأمواتا أشياء لا يقدر عليها الا الله ، وينذرون لهم النذور ، وينحرون لهم النحائر ، ويقربون اليهم نفائس الأموال ، ويجعلونهم وسائط يدعونهم ، ويسألونهم جلب المنافع ، بمعنى أن الخلق يسألونهم ، وهم يسألون الله ، كما أن الوسائط عنـد الملوك يسألون الملوك حوائج الناس لقربهم منهم ، والناس يسألونهم أدبا منهم أن يباشروا سؤال الملوك ، أو لكونهم أقرب الى الملك [1] • وبعـد ملاحظة أصل تقريرهم وجه التكفير ظاهر ، فان اعتقاد تأثير غير الله كفر صريح ، والدعاء والنذر والنحر عبادة ، وعبادة غير الله شرك وكفر •

وثانيا ــ أنا معاشر أهل التوحيد لا نكفر الأمة كلهم ، عالمهم وجاهلهم وعامهم وخاصهم ، هذا افتراء علينا ، بل نكفر من وجد فيه موجبـات الكفر من اعتقاد التأثير لغير الله ، واعتقاد أنه يضر وينفع ، ودعاء غير الله والنـذر له والنحر له وغـيرها •

---

(١) بل قال بعض المؤلفين في الفقه وغيره منهم : ان الولي يخرج من قبره فيقضي بنفسه حاجة من دعاه أو من توسل به • وكتبه محمد رشيد رضا •

ثالثا ـ أن مجرد عدم اعتقاد التأثير لغير الله لا يكفي للبراءة من الشرك كما تقدم ، بل لا بد فيها من اخلاص العبادة لله تعالى ، بأن يكون الدعاء والاستغاثة والنذر والنحر وسائر أقسام العبادة كلها لله تعالى .

ورابعا ـ أنا معاشر الموحدين لا نمنع التوسل مطلقا كما تقدم ، وانما نمنع منه ما كان متضمنا لعبادة غير الله ، أو لما نهى الله عنه ورسوله ، أو محدثا لم يدل عليه دليل من كتاب أو سنة ثابتة .

قوله : مع أن تلك الألفاظ الموهمة يمكن حملها على المجاز ، من غير احتياج الى التكفير للمسلمين ، وذلك المجاز مجاز عقلي شائع ومعروف . ا هـ .

أقول : فيه نظر من وجوه :

(الأول) أن لفظ « الموهمة » في هذا المقام وفيما تقدم لا يخلو عن تدليس وتلبيس ، فان تلك الألفاظ دالة دلالة مطابقة على تأثير غير الله تعالى ، فما معنى الايهام ؟ .

(والثاني) أنه لو سلم هذا الحمل لاستحال الارتداد ، ولغاب باب الردة الذي يعقده الفقهاء ، فان المسلم الموحد متى صدر منه قول أو فعل موجب للكفر يجب حمله على المجاز العقلي ، والاسلام والتوحيد قرينة على ذلك المجاز .

(والثالث) أنه يلزم على هذا أن لا يكون المشركون الذين نطق كتاب الله بشركهم مشركين « فانهم كانوا يعتقدون أن الله هو الخالق الرازق الضار النافع ، وأن الخير والشر بيده ، لكن كانوا يعبدون الأصنام لتقربهم الى الله زلفى ، فالاعتقاد المذكور قرينة على أن المراد بالعبادة ليس معناها الحقيقي ، بل المراد هو المعنى المجازي ، أى التكريم مثلا ، فما هو جوابكم هو جوابنا .

(الرابع) أنكم هؤلاء أولتم عنهم في تلك الألفاظ الدالة على تأثير غير الله تعالى ، فما تفعلون في أعمالهم الشركية من دعاء غير الله والاستغاثة والنذر والنحر؟ فان الشرك لا يتوقف على اعتقاد تأثير غير الله ، بل اذا صدر من أحد عبادة من العبادات لغير الله صار مشركا ، سواء اعتقد ذلك الغير مؤثرا أم لا .

قوله : وأما منع التوسل مطلقا فلا وجه له مع ثبوته في الأحاديث الصحيحة ، وصدوره من النبي صلى الله عليه وسلم وسلف الأمة وخلفها •

أقول : لا نمنع التوسل مطلقا كما بينا فيما تقدم ، انما نمنع منه ما هو متضمن لعبادة غير الله ، أو لما نهى عنه الله ورسوله ، أو كان محدثا لم يدل عليه دليل من الكتاب والسنة الثابتة • وأما الأحاديث التي ذكرها صاحب الرسالة ، ويزعم أنها صحيحة فقد تقدم الكلام عليها ، فتذكر •

قوله : فهؤلاء المنكرون للتوسل المانعون منه ، منهم من يجعله محرما ، ومنهم من يجعله كفرا وشركا ، وكل ذلك باطل ، لأنه يؤدي الى اجتماع معظم الأمة على ضلالة •

أقول : قد عرفت فيما تقدم أن التوسل له أقسام : بعضها مشروع ، وبعضها شرك ومحرم ، وبعضها مكروه وبدعة • فالذي نجعله محرما أو كفرا وشركا أو بدعة لا نسلم اجتماع معظم الأمة عليه ، والذي عليه اجتماع معظم الأمة لا نقول بكونه شركا أو محرما أو بدعة •

قوله : لقوله صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح « لا تجتمع أمتي على ضلالة » قال بعضهم : ان هذا حديث متواتر •

أقول : الحديث رواه الترمذي في أبواب الفتن من حديث ابن عمر ولفظه هكذا : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « ان الله لا يجمع أمتي ــ أو قال أمة محمد ــ على ضلالة • ويد الله على الجماعة ، ومن شذ شذ الى النار » هذا حديث غريب من هذا الوجه • وسليمان المديني هو عندي سليمان بن سفيان •اهـ•

قلت : هذا حديث ضعيف ، ففي سنده سليمان بن سفيان قال الذهبي في الميزان : سليمان بن سفيان أبو سفيان المدني عن عبد الله بن دينار وبلال بن يحيى، قال ابن معين ليس بشيء ، وقال مرة ليس بثقة ، وكذا قال النسائي ، وقال أبوحاتم والدارقطني : ضعيف • ا هـ • وقال الحافظ ابن حجر في التقريب : سليمان بن سفيان التيمي مولاهم أبو سفيان المدني ضعيف من الثامنة • وقال الذهبي في الكاشف : ضعفه أبو حاتم وغيره • ا هـ • وقال في الخلاصة : سليمان بن سفيان

مولى آل طلحة التيمي أبو سفيان المدني عن عبد الله بن دينار وبلال بن يحيى ، وعنه معتمر بن سليمان وأبو داود الطيالسي ، ضعفه أبو حاتم وغيره . اهـ .

قال الترمذي في جامعه : وفي الباب عن ابن عباس حدثنا يحيى بن موسى حدثنا عبد الرزاق أنبأنا ابراهيم بن ميمون عن ابن طاوس عن أبيه عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يد الله مع الجماعة » هذا حديث غريب لا نعرفه من حديث ابن عباس الا من هذا الوجه . اهـ . قلت : في سنده عبد الرزاق وهو وان كان ثقة حافظا ، لكن عمى في آخر عمره فتغير .

قال الحافظ في التقريب : عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري مولاهم أبو بكر الصنعاني ثقة حافظ مصنف شهير ، عمى في آخر عمره فتغير ، وكان يتشيع . اهـ . وقال الذهبي في الميزان : قال أبو زرعة الدمشقي : قال لي أحمد أتينا عبد الرزاق قبل المائتين وهو صحيح البصر ، ومن سمع منه بعد ما ذهب بصره فهو ضعيف السماع . وقال الأثرم سمعت أبا عبد الله يسأل عن حديث « النار جبار » فقال : هذا باطل ، من يحدث به عن عبد الرزاق ؟ قلت حدثني أحمد بن شبوية . قال : هؤلاء سمعوا منه بعد ما عمى ، كان يلقن فلقنه ، وليس هو في كتبه . وقد أسندوا عنه أحاديث ليست في كتبه ، كان يلقنها بعد ما عمى . وقال النسائي : فيه نظر لمن كتب عنه بآخرة ، روى عنه أحاديث مناكير ، وقال البخاري : ما حدث عنه عبد الرزاق من كتابه فهو أصح . اهـ . ملخصا .

قال المؤلف : يجب على من يستدل بهذا الحديث أن يثبت أن يحيى بن موسى سمع هذا الحديث من عبد الرزاق قبل ذهاب بصره ، على أن هذا الحديث ليس فيه لفظ يحتج به على حجية الاجماع . ورواه ابن ماجه في أبواب الفتن من حديث أنس بن مالك ولفظه هكذا : حدثنا العباس بن عثمان الدمشقي حدثنا الوليد بن مسلم حدثنا معان بن رفاعة السلامي ، حدثني أبو خلف الأعمى قال : سمعت أنس ابن مالك يقول : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « ان أمتي لا تجتمع على ضلالة ، فاذا رأيتم اختلافا فعليكم بالسواد الأعظم » . في سنده معان بن رفاعة السلامي قال الحافظ في التقريب : لين الحديث ، كثير الارسال . اهـ .

وقال الذهبي في الميزان : معان بن رفاعة الدمشقي وقيل الحمصي عن أبي

الزبير وعبد الوهاب بن بخت ، وعنه أبو المغيرة وعصام بن خالد وجماعة ، وثقه ابن المديني وقال الجوزجاني ليس بحجة ، ولينه يحيى بن معين . مات مع الأوزاعي تقريبا ، وهو صاحب حديث ليس بمتقن . اهـ . وقال في الكاشف : قال أبو حاتم وغيره لا يحتج به . اهـ .

وفي سنده أيضا أبو خلف الأعمى ، قال الحافظ في التقريب : أبو خلف الأعمى نزيل الموصل خادم أنس ، قيل اسمه حازم بن عطاء ، متروك ، ورماه ابن معين بالكذب ، من الخامسة ، ومن زعم أنه مروان الأصغر فقد وهم ، ومروان أيضا يكني أبا خلف فيما قال مسلم والله أعلم . اهـ .

قال الذهبي في الميزان : أبو خلف الأعمى عن أنس بن مالك قيل اسمه حازم ، كذبه يحيى بن معين ، وقال أبو حاتم : منكر الحديث . اهـ ، وقال الذهبي في الكاشف : لين .

وبالجملة هذا الحديث بهذا السند ضعيف جدا ، قال علي بن أحمد العزيزي في (السراج المنير) قال الشيخ أي محمد حجازي الشعراني انه حديث صحيح . اهـ . قلت : هذا خطأ من الشيخ بين لما عرفت من أن في سنده من رمى بالكذب ومن هو لين الحديث كثير الارسال فالحكم بصحته عجيب ، ورواه الدارمي في باب فضل النبي صلى الله عليه وسلم من حديث عمرو بن قيس ولفظه هكذا : أخبرنا عبد الله بن صالح حدثني معاوية عن عروة بن رويم عن عمرو بن قيس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « ان الله أدرك بي الأجل المرحوم ، واختصر لي اختصارا ، فنحن الآخرون ونحن السابقون يوم القيامة ، واني قائل قولا غير فخر : ابراهيم خليل الله ، وموسى صفي الله ، وأنا حبيب الله ، ومعي لواء الحمد يوم القيامة ، وان الله عز وجل وعدني في أمتي وأجارهم من ثلاث : لا يعمهم بسنة ، ولا يستأصلهم عدو ، ولا يجمعهم على ضلالة » . اهـ . في سنده عبد الله بن صالح وهو كثير الغلط ، وقد تقدم الكلام عليه فتذكره . وفيه معاوية ابن صالح الحضرمي وهو صاحب أوهام ، قال الحافظ في التقريب : معاوية بن صالح بن حدير بالمهملة مصغرا الحضرمي أبو عمرو — أو أبو عبد الرحمن — الحمصي قاضي الأندلس صدوق له أوهام . اهـ . قال الذهبي في الميزان : وكان

يحيى القطان يتعنت ولا يرضاه . وقال أبو حاتم : لا يحتج به ، وكذا لم يخرج له البخاري ، ولينه ابن معين . اهـ . ملخصا .

وفيه عروة بن رويم وهو كثير الارسال ، قال الحافظ في التقريب عروة بن رويم بالراء مصغرا اللخمي أبو القاسم صدوق يرسل كثيرا من الخامسة . اهـ .

ورواه أبو داود من حديث أبي مالك الأشعري في كتاب الفتن ولفظه هكذا : حدثنا محمد بن عوف الطائي أنبأنا محمد بن اسماعيل حدثني أبي ، قال ابن عوف وقرأت في أصل اسماعيل قال : حدثني ضمضم عن شريح عن أبي مالك — يعني الأشعري — قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ان الله أجاركم من ثلاث خلال : أن لا يدعو عليكم نبيكم فتهلكوا جميعا ، وأن لا يظهر أهل الباطل على أهل الحق ، وأن لا تجتمعوا على ضلالة » . اهـ .

قال المؤلف : في سنده محمد بن اسماعيل بن عياش الحمصي ، قال الذهبي في الميزان : محمد بن اسماعيل بن عياش الحمصي قال أبو داود : لم يكن بذاك ، وقال أبو حاتم الرازي : لم يسمع من أبيه شيئا . اهـ ، وقال الحافظ في التقريب : محمد بن اسماعيل بن عياش بالتحتانية والمعجمة الحمصي عابوا عليه أنه حدث عن أبيه بغير سماع . اهـ .

وقال في الخلاصة : محمد بن اسماعيل بن عياش بتحتانية العنسي بنون الحمصي قال أبو حاتم : لم يسمع من أبيه انما حملوه على ذلك فحدث عنه . وعنه أبو زرعة قال أبو داود : ليس بذاك . اهـ . وفي سنده ضمضم بن زرعة وهو صاحب أوهام قال الحافظ في التقريب : ضمضم بن زرعة بن ثوب بضم المثلثة وفتح الواو ثم موحدة الحضرمي الحمصي صدوق يهم . اهـ . وقال الذهبي في الميزان : ضمضم بن زرعة عن شريح بن عبيد وثقه يحيى بن معين وضعفه أبوحاتم ، روى عنه جماعة . اهـ .

وقال في الخلاصة : ضمضم بن زرعة الحضرمي عن شريح بن عبيد وعنه اسماعيل بن عياش ويحيى بن حمزة وثقه ابن معين وابن حبان ، وضعفه أبو حاتم اهـ . وفيه شريح بن عبيد وهو يرسل كثيرا ، قال الحافظ في التقريب : شريح بن عبيد بن شريح الحضرمي الحمصي ثقة من الثالثة ، وكان يرسل كثيرا ، مات بعد

المـائة ، وقال الذهبي في الكاشف : وثق وقد أرسل عن خلق • ا هـ •

ورواه الدارقطني من حديث كعب بن عاصم الأشعري ولفظه هكذا : أنبأنا محمد بن اسماعيل الفارسي أنبأنا الوليد بن مروان أنبأنا جنادة بن مروان أنبأنا أبي أنبأنا شعوذ بن عبد الرحمن عن خالد بن معدان قال : قال كعب بن عاصم الأشعري اني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « ان الله تعالى أجارني على أمتي من ثلاث : لايجوعوا ولايستجمعوا على ضلال ، ولاتستباح بيضة المسلمين » ا هـ • في سنده جنادة بن مروان وهو متهم بالكذب ، قال الذهبي في الميزان : جنادة بن مروان حمصي عن حريز بن عثمان وغيره اتهمه أبو حاتم • ا هـ •

وفيه خالد بن معدان الكلاعي الحمصي أبوعبد الله ، قال الحافظ في التقريب : خالد بن معدان الكلاعي الحمصي أبو عبد الله ثقة عابد يرسل كثيرا • ا هـ • وقال في الخلاصة : عن جماعة من الصحابة مرسلا ، وعن معاوية والمقدام بن معد يكرب وأبي أمامة • ا هـ • وبقية رجاله ما وجدتهم لا في الميزان ولا في الكاشف ولا في التقريب والخلاصة ، بيد أن الذهبي قال في الميزان : الوليد بن مروان عن غيلان بن جرير مجهول • ا هـ • فان كان الوليد الواقع في سنده هذا فهو مجهول ، وان كان آخر فما عرفتـه •

وبالجملة فهذا الحديث بهذا السند ضعيف جدا بل موضوع ، ورواه أحمد من حديث أبي ذر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « اثنان خير من واحد ، وثلاثة خير من اثنين ، وأربعة خير من ثلاثة فعليكم بالجماعة ، فان الله عز وجل لن يجمع أمتي الا على هدى » وفيه البختري بن عبيد وهو ضعيف كذا في مجمـع الزوائد ، قال الذهبي في الميزان : البختري بن عبيد عن أبيه عبيد بن سليمان وعنه هشام بن عمار وسليمان ابن بنت شرحبيل ضـعفه أبو حاتم ، وغيره تركه ، فأما أبو حاتم فأنصف فيه ، وأما أبو نعيم الحافظ فقال : روى عن أبيه موضوعات ، وقال ابن عدي : روى عن أبيه قدر عشرين حديثا عامتها مناكير ، ا هـ ملخصا ، وقال الحافظ في التقريب : ضعيف متروك ، وقال الذهبي في الكاشف ضعفوه •اهـ•

قوله : ومن الشبـه التي تمسك بها هؤلاء المنكرون للتـوسل قوله تعالى (لا تجعلوا دعاء الرسـول بينكم كدعاء بعضكم بعضا) فان الله نهى المؤمنين في

هذه الآية أن يخاطبوا النبي صلى الله عليه وسلم بمثـــل ما يخاطب بعضهم بعضا كأن ينادوا باسمه ، وقياسا على ذلك يقال : لا ينبغي أن يطلب من غير الله تعالى كالأنبياء والصالحين الأشياء التي جرت العادة بأنها لا تطلب الا من الله تعالى ، لئلا تحصل المساواة بين الله تعالى وخلقه بحسب الظاهر •

أقول : لم يتمسك أحد من منكري التوسل بالآية المذكورة فيما أعلم ، فان كان أحد تمسك بها فالحق أنه أخطأ ولا ملجيء لنـــا اليه ، فان هناك أدلة قوية صحيحة دالة على المطلوب ، مغنية عما سواها كما تقدم •

قوله : فانه يحمل على المجاز العقلي اذا صدر من موحد [1] •

أقول : قد عرفت فيما سلف ما فيه من لزوم كون المشركين الأولين غير مشركين وعدم امكان الارتداد ولغوية [2] أحكام الردة •

قوله : فالمستغاث به في الحقيقة هو الله تعـــالى ، وأما النبي صلى الله عليه وسلم فهو واسطة بينه وبين المستغيث ، فهو سبحانه وتعالى مستغاث به حقيقة ، والغوث منه بالخلق والايجاد ، والنبي صلى الله عليه وسلم مستغاث به مجازا ، والغوث منه بالكسب والتسبب العادى •

أقول : وهكذا كان المشركون السابقون الذين بعث الله الرسل اليهم ، فانهم كانوا يعلمون أن الله تعالى هو الخالق الموجد ، وأما الأصنام فيقولون انها أسباب ووسائل عادية ، فمن أجل ذلك كانوا يدعونهم ويستغيثون بهم ويعبدونهم ، وهذا هو دأب عبدة الصالحين والقبور في هذا الزمان يدعونهم ويستغيثون بهم وينحرون لهم وينذرون لهم ، والدعاء والاستغاثة والنحر والنذر كلها من أقسام العبادة على معناها المجازي ، فكذلك فليحمل لفظ العبادة الواقع في كلام المشركين الأولين الذي حكاه الله تعالى عنهم حيث قال سبحانه وتعالى (ما نعبدهم الا ليقربونا الى

(١) أي موحد يصدر منه ذلك ؟ لا يمكن صدوره من موحد قطعا ، فتعليقه بالموحد مجرد مغالطة وتلبيس • وكتبه عبد الرحمن الدوسري •

(٢) أي الغاء •

الله زلفى) فما وجه الفرق [1] ؟ •

قوله : وبالجملة فاطلاق لفظ الاستغاثة لمن يحصل منه غوث باعتبار الكسب أمر معلوم لا شك فيه لغة ولا شرعا ، فاذا قلت : أغثني يا الله ، تريد الاسناد الحقيقي باعتبار الخلق والايجاد ، واذا قلت : أغثني يا رسول الله ، تريد الاسناد المجازي [2] باعتبار التسبب والكسب والتوسط بالشفاعة •

أقول : هكذا كان مشركو الجاهلية حذو النعل بالنعل ، كانوا يدعون الصالحين والأنبياء والمرسلين طالبين منهم الشفاعة عند رب العالمين ، كما قال تعالى: (ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله) وقال تعالى (ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى) • على أن القول بأن اسناد الغوث الى الله تعالى اسناد حقيقي باعتبار الخلق والايجاد ، والى الأنبياء والصالحين اسناد مجازي باعتبار التسبب والكسب ، بديهي البطلان • بيانه من وجوه :

---

(١) الفرق بين عبدة القبور المتأخرين وأولئك المشركين الأولين أن الأولين هم أصحاب اللغة بالسليقة ، ومنها أن كل ما يتوجه به الى الخالق سبحانه ويطلب منه بالذات أو بالوساطة عنده فهو عبادة ، وكل ما يتوجه به مخلوق بطلب ما ليس من الأسباب العادية المشتركة بين الناس ، فهو يدخل في مسمى العبادة • وكذا كل خوف ورجاء في شيء من الأشياء لا يدخل في الأسباب المعروفة للناس ، فالذين عبدوا الثعبان ما كانت عبادتهم له الا اعتقادهم أنه يقدر على قتل الانسان أو الجمل بدون سبب من أسباب القتل المعروفة لهم • وجملة القول ان العبادة الفطرية عندهم وعند جميع الأمم تشمل كل اعتقاد وشعور وعمل ودعاء يتعلق بمن له سلطة غيبية غير عادية ، وقد يكون لعدة أشياء بعضها فوق بعض : منها ما له السلطة والتأثير بالذات ، ومنها ما يكون بالوساطة • وأما المتأخرون فلما لقنوا أن العبادة لا تكون الا لله سموا عبادة التوسط عند الله توسلا ، وسموا من توجه اليه وسيلة وشفيعا ووليا كما كان يسميه المشركون الأولون وانما خالفوهم في تسميته الها وتسمية وساطته عبادة وهي تسمية لغوية صحيحة في اللغة ، فالخلاف بينهما لغوي محض• وكتبه محمد رشيد رضا •

(٢) لا يعتبر هذا اسنادا مجازيا ولا تصح فيه نسبة المجاز كما سيأتي •

(الأول) (١) أنه لو كان مناط الاسناد الحقيقي اعتبار الخلق والايجاد كما توهم صاحب الرسالة لزم أن يكون اسناد أفعال العباد كلها الى الله تعالى حقيقيا ، فان اعتقاد أهل السنة والجماعة أن الخالق لأفعال العباد هو الله تعالى ، وهذا يقتضي أن يتصف الله تعالى بالايمان والصلاة والزكاة والصوم والحج والجهاد وصلة الرحم وغير ذلك من الأعمال الحسنة ، وكذلك يتصف حقيقة بالأعمال السيئة من الكفر والشرك والفسق والفجور والزنا والكذب والسرقة والعقوق وقتل النفس وأكل الربا وغيرها ، فانه تعالى هو الخالق لجميع الأفعال حسنها وسيئها . والتزام هذا فعل من لا عقل له ولا دين له ، فانه يستلزم اتصاف الله تعالى بالنقائص وصفات الحدوث واجتماع الأوصاف المتضادة بل المتناقضة .

---

(١) كان المؤلف رحمه الله لم يتصور كلام دحلان على حقيقته ، فانه لم يجعل اسناد أفعال العباد حقيقة بل اعتبره اسنادا مجازيا للتسبب والكسب ، والاسناد الحقيقي هو ما كان بدعاء الله لحصول الخلق والايجاد يعني للدعاء والطلب . وأما قول المؤلف : لزم اسناد أفعال العباد كلها الى الله تعالى حقيقة الخ فهذا من الزام ما ليس بلازم ولا يتحمله كلام الشيخ دحلان ، وعلى فرض حصول ذلك فانه لا يلزم من اثبات مذهب أهل السنة والجماعة لخلق أفعال العباد أن يتصف الله بالايمان والصلاة والزكاة ونحوها من الأعمال الصالحة أو بضدها من الأعمال السيئة كالشرك والكفر والفواحش ، لأن اعتقادنا اسناد أفعال العباد الى الله بنسبة أنه هو الذي خلق فيهم الارادة على قصد الفعل أى فعل كان ، وخلق القدرة بهم على فعله اذ لابد لأفعال العباد من قدرة وارادة يتوجهون بها الى ما يعملون ويقدرون على فعله ، والله سبحانه خلق فيهم القدرة على الفعل وارادة قصده فكان بهذا هو الخالق لأفعال العباد لأنه خالق الأسباب التي يتمكنون بها من الأفعال والا فهم الخالقون لفعلهم حقيقة وأفعالهم كسب لهم لصدورها منهم بقدرة واختيار ، يثابون على صالحها ويعاقبون على سيئها ، وذلك عدل من الله وفضل لأنه مكنهم من الفعل بعدما زودهم بهداية الوحي والأحاسيس والقوى ، ولهذا لا يصح الاعتذار من أحد بالمشيئة ، ولو جعل الاعتذار أصلا لانتقض عليه برفضه الاعتذار ممن أساء اليه ، وبالدعوة الصارفة منه لعقوبة الجناة عليه وعلى غيره . وقد قلت في قصيدتي في الرد على القدرية :

ولا بد من فعل العباد وقولهم	**ضرورة أمرين بلا مثنوية**
هما قدرة منهم على فعلهم وما	**يقولون مع هذا حصول ارادة**
متى اجتمعا فيهم فذلك صادر	**بمحض اختيار منهم للصنيعة**
ولكنما الرحمن خالق قدرة	**بهم وارادات لهم للصديرة**

و (الثاني) أنه لو كان مناط الاسناد المجازي اعتبار التسبب والكسب كما زعم هذا الزاعم لزم أن لا يكون انسان حقيقة مؤمنا ولا كافرا ولا برا ولا فاجرا ولا مصليا ولا مزكيا ولا صائما ولا حاجا ولا مجاهدا ولا زانيا ولا سارقا ولا قاتلا ولا كاذبا ، فيبطل الجزاء والحساب ، وتلغى الشرائع والجنة والنار ، وهذا لا يقول به أحد من المسلمين •

و (الثالث) أن دعوى كون الأنبياء والصالحين سببا للغوث وكاسبا له محتاج الى اقامة الدليل ودونه لا تسمع ، وبالجملة فهذه شبهة داحضة ووسوسة زاهقة ، تنادي بأعلى نداء على صاحبها بالجهل والسفه •

قوله : ومنه ما في صحيح البخاري في مبحث الحشر ووقوف الناس للحساب يوم القيامة « بينما هم كذلك استغاثوا بآدم ثم بموسى ثم بمحمد صلى الله عليه وسلم » • فتأمل تعبيره صلى الله عليه وسلم بقوله « استغاثوا بآدم » فان الاستغاثة به مجازية ، والمستغاث به حقيقة هو الله تعالى •

فكان هو الخلاق للسبب الذي	يكون به خلاق كل فعيلة
وهم فاعلوا أفعالهم باختيارهم	وصادرة منهم بكل حقيقة
وأفعالهم كسب لهم يجزهم بها	بنار تلظى أو نعيم وجنة
وذلك عدل منه مع خير فضله	لتمكينهم من فعل خير وشقوة
أبان الهدى بالوحي فيهم مزودا	لهم بأحاسيس وأعضاء قوة
ومكنهم من ترك كل محرم	وعوضهم عنه مباحا برحمة
لصدهموا عن باطل وارتفاعهم	يسائل فيه العلج (ما وجه حيلتي)
فلا عذر للمحتج بالقدر الذي	بأنفسهم فى فعل كل فضيلة
فهل يقبلن العذر من ضارب له	يقول (قضاء الله ذا ليس فعلتي)
وهل يرفعن اللوم عن كل سارق	وزان وسفاك ومجتاز حرمة ؟

وكتبه عبد الرحمن بن محمد الدوسري

أقول : هذا ليس مما نحن فيه ، فان الاستغاثة بالمخلوق على نوعين :

(أحدهما) أن يستغاث بالمخلوق الحى فيما يقدر على الغوث فيه ، مثل أن يستغيث المخلوق بالمخلوق ليعينه على حمل حجر أو يحول بينه وبين عدوه الكافر أو يدفع عنه سبعا صائلا أو لصا أو نحو ذلك ، ومن ذلك طلب الدعاء لله تعالى من بعض عباده لبعض ، وهذا لا خلاف في جوازه ، والاستغاثة الواردة في حديث المحشر من هذا القبيل ، فان الأنبياء الذين يستغيث العباد بهم يوم القيامة يكونون أحياء ، وهذه الاستغاثة انما تكون بأن يأتي أهل المحشر هؤلاء الأنبياء يطلبون منهم أن يشفعوا لهم الى الله سبحانه ويدعوا لهم بفصل الحساب والاراحة من ذلك الموقف ، ولا ريب أن الأنبياء قادرون على الدعاء ، فهذه الاستغاثة تكون بالمخلوق الحى فيما يقدر على الغوث فيه •

و (الثاني) أن يستغاث بمخلوق ميت أو حى فيما لا يقدر عليه الا الله تعالى ، وهذا هو الذي يقول فيه أهل التحقيق انه غير جائز ، فان قلت : هؤلاء المستغيثون بالأموات أو الغائبين أيضا يطلبون منهم أن يشفعوا لهم الى الله تعالى ويدعوا لهم بقضاء حاجاتهم وهم قادرون على ذلك فتكون استغاثتهم هذه من قبيل النوع الأول ، قلت في هذا التقرير خلل من وجوه :

(الأول) أن فيه ذهولا عن قيد الحى ، والمراد بالحياة الدنيوية لا البرزخية •

و (الثاني) أن ظاهر ألفاظهم مثل : يا رسول الله اشف مريضي واكشف عني وهب لي ولدا ورزقا واسعا ونحو ذلك ، دال على أنهم لا يطلبون منهم الشفاعة بل يطلبون شفاء المريض وكشف الكربة واعطاء الولد والرزق ، وظاهر أنهم غير قادرين على تلك الأمور •

و (الثالث) أن هؤلاء المستغيثين بالأموات والغائبين يدعونهم ويستغيثون من أماكن مختلفة ومواضع بعيدة معتقدين أن الأموات والغائبين يعلمون استغاثتهم ، ويسمعون دعاءهم من كل مكان وفي كل زمان ، ولا ريب أن هذا اثبات لعلم الغيب لهم الذي هو من الصفات المختصة بالله تعالى فيكون شركا •

قوله : وصح عنه صلى الله عليه وسلم ممن أراد عونا أن يقول « يا عباد الله أعينوني » وفي رواية « أغيثوني » •

أقول : فيه كلام من وجهين :

(الأول) أن الحديث ضعيف كما سيأتي بيانه ، فلا يصح الاحتجاج به .

و (الثاني) على تقدير ثبوته يقال : ان هذه الاستغاثة من جنس النوع الأول، فان هؤلاء العباد ليسوا أمواتا بل أحياء من جنس الملائكة قادرون على الاعانة[1] .

قوله : وجاء في قصة قارون لما خسف به أنه استغاث بموسى عليه السلام فلم يغثه ، بل صار يقول : يا أرض خذيه . فعاتب الله موسى حيث لم يغثه وقال له : استغاث بك فلم تغثه ولو استغاث بي لأغثته . فاسناد الاغاثة الى الله تعالى حقيقي ، واسنادها الى موسى مجازي [2] .

أقول : القصة أخرجها ابن أبي شيبة في المصنف وابن المنذر وابن أبي حاتم والحاكم وصححه وابن مردويه عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : كان قارون ابن عم موسى ، وكان يتتبع العلم حتى جمع علما ، فلم يزل في أمره ذلك حتى بغى على موسى وحسده ، فقال له موسى : ان الله أمرني أن آخذ الزكاة ، فأبى فقال : ان موسى يريد أن يأكل أموالكم ، جاءكم بالصلاة وجاءكم بأشياء فاحتملتموها ، فتحتملون أن تعطوه أموالكم ؟ فقالوا : لا نحتمل ، فما ترى ؟ فقال لهم : أرى أن أرسل الى بغى من بغايا بني اسرائيل فنرسلها اليه فترميه بأنه أرادها على نفسها .

(١) فان جنود الله كثيرة لا تحاط ولا ترى ، فمن قال : يا عباد الله أعينوني . أو شردت دابته فقال : (يا عباد الله احبسوا) فان لله من يعينه ويحبس دابته من الملائكة ومن صالحي الجن ومما لا يعلمهم الا الله ، وليس هذا كدعاء الغائب والمقبور والجماد بل الفرق عظيم جدا بين الاستغاثة المأمور بها والاستغاثة البدعية الشركية والعياذ بالله . وكتبه عبد الرحمن الدوسري .

(٢) ومن الذي جعل الاستغاثة بموسى وهو حي اجازة مجازية ، هذا تصور فاسد ليس له أصل في اللغة ولا من العقل ولا النقل اذ لا يجوز دعوى المجاز الا لعلاقة أو قرينة صارفة للفظ عن حقيقته ولو صح بدونهما لبطلت الحقائق وتغيرت الأحكام فلا يبقى فعل ولا قول حقيقي يعاقب عليه . فمن قال مثلا : رأيت حمارا لم يجز للسامع حمله على المجاز حتى يقترن بلفظه ما يصرفه عن حقيقة الحمار الى مجازه كأن يقول : رأيت حمارا يتحفظ الحديث ويفسر القرآن فان هذا الفعل قرينة واضحة فيكون معنى كلامه : رأيت بليدا . وكذا من قال رأيت أسدا فهو حقيقة في الحيوان المفترس حتى يوجد علاقة او قرينة كأن يقول : رأيت أسدا على الفرس او رأيت أسدا يشق صفوف الحرب . فيجب صرفه الى الرجل الشجاع وهكذا .

وكتبه عبد الرحمن المحمد الدوسري

فأرسلوا اليها فقالوا لها نعطيك جعلك على أن تشهدي على موسى أنه فجر بك • قالت : نعم • فجاء قارون الى موسى فقال : اجمع بني اسرائيل فأخبرهم بما أمرك ربك • قال نعم • فجمعهم فقالوا : ما أمرك ربك ؟ قال أمرني أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا ، وأن تصلوا الرحم ، وكذا وكذا • وأمرني اذا زنى الرجل وقد أحصن أن يرجم • قالوا : وان كنت أنت ؟ قال : نعم • قالوا فانك قد زنيت ! قال : أنا ؟ فأرسلوا للمرأة فجاءت فقالوا : ما تشهدين على موسى ؟ فقال لها موسى : أنشدك بالله الا ما صدقت • قالت : أما اذ أنشدتني بالله فانهم دعوني وجعلوا لي جعلا على أن أقذفك بنفسي ، وأنا أشهد أنك بريء وأنك رسول الله ، فخر موسى ساجدا يبكي ويقول : يا رب ان كنت رسولك فاغضب لي • فأوحى الله اليه : ما يبكيك ؟ قد سلطناك على الأرض ، فمرها فتطيعك • فرفع رأسه فقال : خذيهم • فأخذتهم الى أعقابهم ، فجعلوا يقولون : يا موسى يا موسى • فقال : خذيهم • فأخذتهم الى ركبهم • فجعلوا يقولون : يا موسى يا موسى • فقال : خذيهم • فأخذتهم الى أعناقهم ، فجعلوا يقولون : يا موسى يا موسى • فقال خذيهم • فأخذتهم فغشيتهم • فأوحى الله اليه : يا موسى ، سألك عبادي وتضرعوا اليك فلم تجبهم ، وعزتي لو أنهم دعوني لأجبتهم • كذا في تفسير فتح البيان •

فقد علمت من ههنا أن الوارد في حديث قصة قارون ليس لفظ الاغاثة ، بل انما هو لفظ الاجابة ، ولكن المآل واحد فلا ننازع فيه ، انما ننازع في أن الحديث المذكور هل يدل على المطلوب أم لا ؟ فنقول : ليس الحديث المذكور من المطلوب في شيء ، فان الثابت منه — بعد تسليم اتحاد معنى الاغاثة والاجابة — انما هو أن الاغاثة مسندة الى الله تعالى والى موسى • وأما أن اسنادها الى الله تعالى حقيقي والى موسى مجازي ، فكلا ، لم لا يجوز أن يكون اسناد الاغاثة الى موسى حقيقيا ؟ بل هو المتعين ، فان اغاثة موسى بني اسرائيل التى عاتب الله تعالى موسى على تركها لو وقعت لكانت فيما يقدر موسى عليه السلام عليه ، بدليل ما أوحى الله تعالى اليه من أنه ما يبكيك ؟ قد سلطناك على الأرض فتطيعك . ولأن موسى لو لم يكن قادرا على الاغاثة لما عاتبه الله على تركها ، قال الله تعالى (لا يكلف الله نفسا الا وسعها) واسناد الاغاثة الى المخلوق فيما يقدر عليه

حقيقي ، وتلك القدرة انما تكون باعتبار العمل والكسب لا باعتبار الخلق والايجاد [1] • ألا ترى أن اسناد الصلاة والصوم والزكاة والحج ونحوها من الأعمال الحسنة ، واسناد الزنا والسرقة والكذب والخيانة ونحوها من الأعمال السيئة ، واسناد الأكل والشرب واللبس وجماع المنكوحة ونحوها من الأعمال المباحة ـ الى العباد اسناد حقيقي ؟ وليست القدرة عليها باعتبار الفعل والكسب دون الخلق والايجاد ، فان الخالق لأفعال العباد كلها هو الله تعالى عند أهل السنة والجماعة •

وأما قوله : ان اسناد الاغاثة الى الله تعالى حقيقي ، فلا وجه لصحته حسب اعتقاد صاحب الرسالة ، فان المراد بالاغاثة أى اغاثة ، فان كان المراد بها الاغاثة التي هى كسب موسى عليه السلام فكون الله تعالى خالقا لها مسلم ، ولكن اسنادها الى الله تعالى حقيقة يقتضي أن تكون جميع أفعال العباد مسندة الى الله تعالى • وبطلانه أجلى من الشمس في نصف النهار كما تقدم ، وان كان المراد الاغاثة التي هى صفة من صفات الله تعالى فاسنادها الى الله تعالى حقيقة مسلم ، ولكن لا يتأتى على معتقد صاحب الرسالة ، اذ مناط الاسناد الحقيقي عنده اعتبار الخلق والايجاد ، والله تعالى ليس خالقا وموجدا لصفاته ، والا يلزم أن تكون صفاته تعالى مخلوقة محدثة ، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا • فانعكس الأمر •

قوله : وقد يكون معنى التوسل به صلى الله عليه وسلم طلب الدعاء منه اذ هو صلى الله عليه وسلم حى في قبره يعلم سؤال من يسأله •

أقول : سلمنا أنه صلى الله عليه وسلم حى في قبره ، ولكن تلك الحياة حياة برزخية ، وتساوي الحياة البرزخية للحياة الدنيوية في جميع الأحكام غير مسلم حتى يتفرع عليها علم سؤال من يسأله وجواز طلب الدعاء منه صلى الله عليه وسلم •

قوله : وقد تقدم حديث بلال بن الحارث رضى الله عنه •

---

(١) هذا القول منه شطط أو سبق قلم ، فان معنى اعتقاد خلق الله لأفعال العباد ليس بالخلق والايجاد لصور أعمالهم وأعراض أقوالهم ، وانما هو باعتبار انه سبحانه خلق فيهم الارادة لقصد الفعل والاقدام عليه وخلق فيهم المشيئة الاختيارية ، وزودهم بالأحاسيس والجوارح وأمدهم بالبصر الحسي والبصيرة المعنوية بالوحي الذي يعرفون به طريق الخير والشر ، فهو بهذا الاعتبار خالق لأفعالهم وهم فاعلوها حقيقة ولهذا كانت كسبا لهم يثابون عليها أو يعاقبون كما سبق • وكتبه عبد الرحمن الدوسري •

أقول : قد تقدم الكلام عليه ، فتذكر .

قوله : فعلم منه أنه صلى الله عليه وسلم يطلب منه الدعاء بحصول الحاجات كما كان يطلب منه في حياته .

أقول : هذا بناء الفاسد على الفاسد ، فلا يعبأ به .

قوله : وانه صلى الله عليه وسلم يتوسل به في كل خير قبل بروزه لهذا العالم وبعده في حياته وبعد وفاته وكذا في عرصات القيامة فيشفع الى ربه .

أقول : هذا التوسيع والتعميم مما لا يدل عليه دليل يعتمد عليه ، وكل ما ذكره صاحب الرسالة قد عرفت وهنه فيما تقدم .

قوله : وكل هذا مما تواترت به الأخبار ، وقام به الاجماع ، قبل ظهور المانعين منه .

أقول : دعوى التواتر والاجماع محتاجة الى اقامة البرهان عليها ، ودونها لا تسمع .

قوله : وأما تخيل المانعين المحرومين من بركاته أن منع التوسل والزيارة من المحافظة على التوحيد ، وأن التوسل والزيارة مما يؤدي الى الشرك ، فهو تخيل فاسد باطل .

أقول : قد عرفت فيما تقدم أن بعض أقسام التوسل شرك ، وكذا بعض أقسام الزيارة ، وهو الذي يتضمن دعاء غير الله والنحر له والنذر له والطواف بقبره ونحو ذلك من أقسام العبادة ، فلا شك أن منع ذلك التوسل والزيارة من المحافظة على التوحيد .

قوله : وكأن هؤلاء المانعين للتوسل والزيارة يعتقدون أنه لا يجوز تعظيم النبي صلى الله عليه وسلم ، فحيثما صدر من أحد تعظيم له صلى الله عليه وسلم حكموا على فاعله بالكفر والاشراك .

أقول : هذا الايجاب الكلي والسلب الكلي اللذان يشتمل عليهما هذا الكلام الساقط الفاسد بهتانان صريحان ، فان المانعين للتوسل لا يمنعون مطلق التعظيم

ولا يحكمون على فاعله بالكفر والاشراك ، انما يمنعون التعظيم الذي يتضمن عبادة غير الله أو نهى الله عنه ورسوله ، أو التعظيم المحدث الذي لا يدل عليه دليل من الكتاب والسنة ، وانما يحكمون بالكفر والشرك على من عظم تعظيما يتضمن شيئا من موجبات الكفر والشرك ، وأما التعظيم الذي هو ثابت بالكتاب والسنة فهو عين الايمان .

قوله : نعم يجب علينا أن لا نصفه بشيء من صفات الربوبية .

أقول : وكذلك يجب علينا أن لا نعبد غير الله بقسم من أقسام العبادة كالدعاء والنذر والنحر والطواف ، وأن لا نفعل ما نهى الله عنه ورسوله ، وأن لا نحدث في أمر الدين شيئا .

قوله : ورحم الله الأبوصيري حيث قال :

دع ما ادعته النصارى في نبيهم ... واحكم بما شئت مدحا فيه واحتكم

أقول : هذا القول من سيىء الأقوال وأقبحها ، فانه يقتضي جواز وصفه صلى الله عليه وسلم بغير الألوهية وان كان ذلك الغير من موجبات الكفر والشرك أو محرما أو كذبا أو بدعة ، وهذا الحكم ما أظن أحدا من أهل العلم يستقر له قدم عليه لمخالفته نصوص الكتاب والسنة .

قوله : فليس في تعظيمه بغير صفات الربوبية شيء من الكفر والاشراك ، بل ذلك من أعظم الطاعات والقربات .

أقول : هذا غلط فاحش وخطأ بين . فان دعاء غير الله والنحر له والنذر له والطواف له والسجدة له والركوع له وغيرها من أنواع العبادة كفر وشرك ، مع أنها تعظيم بغير صفات الربوبية . ودعوى كونه من أعظم الطاعات والقربات محتاجة الى اقامة الدليل عليها .

قوله : ومن تعظيمه صلى الله عليه وسلم الفرح بليلة ولادته وقراءة المولد والقيام عند ذكر ولادته صلى الله عليه وسلم واطعام الطعام وغير ذلك مما يعتاد الناس فعله من أنواع البر ، فان ذلك كله من تعظيمه صلى الله عليه وسلم .

أقول : هذا ادعاء بحت لا دليل عليه ، بل الأمور المذكورة ليست من التعظيم في شيء ، فان التعظيم في الاطاعة ، والأمور المذكورة معصية ، فانها محدثة ، وكل محدثة بدعة ، والبدعة مما نهى الله ورســوله عنه • فالأمور المذكورة ليست من تعظيمه صلى الله عليه وسلم ، بل من تحقيره وتوهينه صلى الله عليه وسلم أعاذنا الله منه ، فلولا احتمال التأويل والخطأ الاجتهادي لحكم على مرتكبها بالكفر ، فان تحقير النبى صلى الله عليه وسلم وتوهينه كفر بواح •

قوله : وقد أفردت مسألة المولد وما يتعلق بها بالتأليف ، واعتنى بذلك كثير من العلماء ، فألفوا في ذلك مصنفات مشحونة بالأدلة والبراهين ، فلا حاجة لنا الى الاطالة بذلك •

أقول : قد ألف غير واحد من المحققين في اثبات كون هذا العمل المحــدث المبتدع بدعة مؤلفات نفيسة طيبة مشتملة على رد تلك الشبهات الواهية الداحضة التي يحسبها صاحب الرسالة أدلة وبراهين ، من شاء التحقيق فليرجع اليها [1] •

قوله : ومما أمر الله بتعظيمه الكعبة المعظمة والحجر الأسود ومقام ابراهيم عليه السلام ، فانها أحجار وأمرنا الله بتعظيمها بالطواف بالبيت ، ومس الركن اليماني ، وتقبيل الحجر الأسود ، وبالصلاة خلف المقام •

أقول : هذه التعظيمات ثابتة بعضها بالكتاب وبعضها بالسنة ، بخلاف التعظيم الذي يتضمن الشرك أو الأمر المنهى عنــه أو يكون محدثا وهو الذي يمنعــه المــانعون ، فقياس أحد التعظيمين على الآخر قياس مع الفارق ، ولو لم يثبت تعظيم هذه الأحجار لم نفعله أبدا ، دل عليه ما روى عن عابس بن ربيعة قال : رأيت عمر يقبل الحجر ويقول : اني لأعلم أنك حجر ما تنفــع ولا تضر ، ولولا أني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبلك ما قبلتك ، متفق عليه • ومن ثم يكتفى باللمس في الركن اليماني ولا يقبل ، اذ الأول ثابت منه صلى الله عليه وسلم والآخر لم يثبت ، فافترقا •

(١) من الفقهاء المؤلفين الذين يعتمد على أقوالهم الشيخ دحلان في مسألة الزيارة وكثير من البدع الشيخ أحمد بن حجر الهيتمي ، وقد أفتى في فتاواه الحديثية بأن القيام عند ذكر ولادته صلى الله عليه وسلم بدعة تكره شرعا • وان لنا رسالة في (ذكرى المولد النبوي الشريف) كتبنا لها مقدمة تصدير بينا فيها ما قاله العلماء في بدعة الاحتفال بالمولد وتحقيق الحق فيها • وكتبه محمد رشيد •

وأما تعظيم النبي صلى الله عليه وسلم الذي هو ثابت فهو عين الايمان لا يمنعه أحد من المسلمين ، وهو المراد في قوله تعالى (انا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا * لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزروه وتوقروه) على قول من قال برجوع الضمير الى الرسول ، وقد جاء في الكتاب العزيز والسنة المطهرة من تفصيل ذلك التوقير الكثير الطيب :

فمن ذلك قوله تعالى (لاتجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا) . ومنه قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله واتقوا الله ان الله سميع عليم * يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون * ان الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى لهم مغفرة وأجر عظيم * ان الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون) ومنه قوله تعالى (ان الله وملائكته يصلون على النبي ، يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما) ، ومنه قوله تعالى (وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ، ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا) ومنه قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي الا أن يؤذن لكم الى طعام غير ناظرين اناه ولكن اذا دعيتم فادخلوا ، فاذا طعمتم فانتشروا ، ولا مستأنسين لحديث ، ان ذلكم كان يؤذي النبي فيستحيي منكم والله لا يستحيي من الحق ، واذا سألتموهن متاعا فاسئلوهن من وراء حجاب ذلكم أطهر لقلوبكم وقلوبهن وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبدا ، ان ذلكم كان عند الله عظيما) . ومنه قوله تعالى (فلا وربك لايؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما) . ومنه قوله تعالى (وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) . ومنه قوله تعالى (لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة) ومنه قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر . ذلك خير وأحسن تأويلا) . ومنه قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم) ومنه قوله تعالى (عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا) .

ومنه قوله تعالى (وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا) ومنه قوله تعالى (كنتم خير أمة أخرجت للناس) الآية • ومنه قوله تعالى (ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين) ومنه قوله تعالى (سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا) • ومنه قوله تعالى (وما أرسلناك الا كافة للناس) • ومنه قوله تعالى (ثم دنا فتدلى * فكان قاب قوسين أو أدنى * فأوحى الى عبده ما أوحى * ما كذب الفؤاد ما رأى * أفتمارونه على ما يرى * ولقد رآه نزلة أخرى عند سدرة المنتهى * عندها جنة المأوى * اذ يغشى السدرة ما يغشى * ما زاغ البصر وما طغى * لقد رأى ما آيات ربه الكبرى) • ومنه قوله تعالى (انا فتحنا لك فتحا مبينا * ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر) • ومنه قوله تعالى (ولسوف يعطيك ربك فترضى) • ومنه قوله تعالى (ورفعنا لك ذكرك) وغير ذلك من الآيات •

فمن تعظيمه صلى الله عليه وسلم عدم جعل دعاء الرسول كدعاء البعض بعضا ، وعدم التقديم بين يدي الله ورسوله ، وعدم رفع الصوت فوق صوت النبي صلى الله عليه وسلم ، وعدم الجهر له بالقول كجهر بعضكم لبعض ، وغض الأصوات عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعدم المناداة من وراء الحجرات، والتصلية والتسليم على النبي صلى الله عليه وسلم ، وعدم بقاء الخيرة لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرا ، وسؤال نساء النبي صلى الله عليه وسلم من وراء حجاب ، وعدم نكاح أزواجه من بعده أبدا ، وتحكيم النبي فيما شجر بينهم ، وعدم وجدان الحرج في أنفسهم مما قضى النبي صلى الله عليه وسلم ، وأخذ ما آتاه الرسول والانتهاء عما نهى عنه ، والاقتداء بسنته صلى الله عليه وسلم ، واطاعة الرسول ، والرد اليه اذا وقع التنازع في شيء واجابة دعوة الرسول وان كان المدعو في الصلاة كما دل عليه حديث أبي سعيد ابن المعلي المروى في صحيح البخاري ، واعتقاد أن الله تعالى يبعث رسولنا صلى الله عليه وسلم مقاما محمودا الذي هوأعلا درجةفي الجنة[1] لاينالها الا عبد منعبادالله وهو نبينا صلى

(١) الصحيح في « المقام المحمود » أنه الشفاعة العظمى يحمده عليها عموم الخلائق يوم القيامة •

اللهعليهوسلم ، واعتقاد أن أمة محمد صلىاللهعليهوسلم يكونون شهداء على الناس ويكون الرسول عليهم شهيدا ، واعتقاد أن أمة محمد صلى الله عليه وسلم خير الأمم ، واعتقاد أن محمدا صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين ، واعتقاد أن الله تعالى أسرى بمحمد صلى الله عليه وسلم ليلا ، واعتقاد أن النبى صلى الله عليه وسلم أرسل الى الناس كافة ، واعتقاد أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى الله تعالى ليلة الاسراء على قول ، أو جبرائيل عليه السلام على صورته الأصلية على قول ، واعتقاد أن الله تعالى قد غفر له صلى الله عليه وسلم ما تقدم من ذنبه وما تأخر

وأما الأحاديث فمنها ما روى عن أنس رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب اليه من والده وولده والناس أجمعين » متفق عليه . ومنها ما روى عن عبد الله بن هشام قال : كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم وهو آخذ بيد عمر بن الخطاب فقال له عمر : يا رسول الله لأنت أحب الى من كل شيء الا نفسي ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم « لا والذي نفسي بيده ، حتى أكون أحب اليك من نفسك » ، فقال له عمر : فانه الآن والله لأنت أحب الى من نفسي . فقال له النبي صلى الله عليه وسلم « الآن يا عمر » . رواه البخاري في (باب كيف يمين النبي صلى الله عليه وسلم) .

ومنها ما روى عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « كل أمتي يدخلون الجنة الا من أبى » قيل : ومن أبى ؟ قال « من أطاعني دخل الجنة . ومن عصاني فقد أبى » رواه البخاري . ومنها ما روى عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به » رواه في شرح السنة .

ومنها ما روى عن جابر رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم حين أتاه عمر فقال : انا نسمع أحاديث من يهود تعجبنا ، أفترى أن نكتب بعضها ؟ فقال « أمتهوكون أنتم كما تهوكت اليهود والنصارى ؟ لقد جئتكم بها بيضاء نقية ، ولو كان موسى حيا ما وسعه الا اتباعي » رواه أحمد والبيهقي .

ومنها ما روى عن عائشة رضى الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان في نفر من المهاجرين والأنصار ، فجاء بعير فسجد له ، فقال أصحابه : يا رسول

الله تسجد لك البهائم والشجر ، فنحن أحق أن نسجد لك ، فقال « اعبدوا ربكم وأكرموا أخاكم ، ولو كنت آمرا أحدا أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها » الحديث رواه أحمد • قال العلماء في تفسير قوله « أكرموا أخاكم » : أي عظموه تعظيما يليق له بالمحبة والاكرام المشتمل على الاطاعة الظاهرية والباطنية •

ومنها ما روى عن قيس بن سعد قال : أتيت الحيرة فرأيتهم يسجدون لمرزبان لهم ، فقلت : لرسول الله صلى الله عليه وسلم أحق أن يسجد له • فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت : اني أتيت الحيرة فرأيتهم يسجدون لمرزبان لهم ، فأنت أحق بأن يسجد لك ، فقال لي « لو مررت بقبري أكنت تسجد له » ؟ فقلت لا • فقال « لا تفعلوا ، لو كنت آمرا أحدا أن يسجد لأحد لأمرت النساء أن يسجدون لأزواجهن ، لما جعل الله لهم عليهن من حق » رواه أبو داود •

ومنها ما روى عن عبد الرحمن بن أبي قراد أن النبي صلى الله عليه وسلم توضأ يوما ، فجعل أصحابه يتمسحون بوضوئه ، فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم « ما يحملكم على هذا » ؟ قالوا : حب الله ورسوله • فقال النبي صلى الله عليه وسلم « من سره أن يحب الله ورسوله ، أو يحبه الله ورسوله ، فليصدق حديثه اذا حدث ، وليؤد أمانته اذا ائتمن ، وليحسن جوار من جاوره » رواه البيهقي •

ومنها ما روى عن أنس رضى الله عنه قال : لم يكن شخص أحب اليهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكانوا اذا رأوه لم يقوموا لما يعلمون من كراهيته لذلك • رواه الترمذي وقال : هذا حديث حسن صحيح •

ومنها ما روي عن معاوية رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من سره أن يتمثل له الرجال قياما فليتبوأ مقعده من النار » رواه الترمذي وأبو داود •

ومنها ما روى عن أبي أمامة قال : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم متكئا على عصا ، فقمنا له ، فقال « لا تقوموا كما تقوم الأعاجم يعظم بعضهم بعضا » • رواه أبو داود •

ومنها ما روى عن سعيد بن أبي الحسن قال : جاءنا أبو بكرة رضى الله عنه

في شهادة ، فقام له رجل من مجلسه ، فأبى أن يجلس فيه وقال : ان النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن ذا •

ومنها ما روى عن أبي الدرداء رضى الله عنه قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا جلس وجلسنا حوله فقام فأراد الرجوع نزع نعله أو بعض ما يكون عليه فيعرف ذلك أصحابه فيثبتون • رواه أبو داود •

ومنها ما روى عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « بعثت من خير قرون بني آدم قرنا فقرنا » رواه البخاري •

ومنها ما روى عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ، وأول من ينشق عنه القبر ، وأول شافع وأول مشفع » رواه مسلم •

ومنها ما روى عن أنس رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أنا أكثر الأنبياء تبعا يوم القيامة ، وأنا أول من يقرع باب الجنة » رواه مسلم •

ومنها ما روى عن أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « فضلت على الأنبياء بست : أعطيت جوامع الكلم ، ونصرت بالرعب ، وأحلت لي الغنائم ، وجعلت لي الأرض مسجدا وطهورا ، وأرسلت الى الخلق كافة ، وختم بي النبيون » رواه مسلم •

ومنها ما روى عن العباس رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « ان الله خلق الخلق فجعلني في خيرهم فرقة ، ثم جعلهم فرقتين فجعلني في خيرهم فرقة ، ثم جعلهم قبائل فجعلني في خيرهم قبيلة ، ثم جعلهم بيوتا فجعلني في خيرهم بيتا ، فأنا خيرهم نفسا وخيرهم بيتا » رواه الترمذي •

ومنها ما روى عن ابن عباس رضى الله عنهما في حديث طويل بعضه أنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ألا أنا حبيب الله ولا فخر ، وأنا حامل لواء الحمد يوم القيامة تحته آدم فمن دونه ولا فخر ، وأنا أول شافع وأول مشفع يوم القيامة ولا فخر ، وأنا أول من يحرك حلق الجنة فيفتح الله لي فيدخلنيها ومعي

فقراء المؤمنين ولا فخر ، وأنا أكرم الأولين والآخرين على الله ولا فخر » رواه الترمذي •

ومنها ما روى عن جابر رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « أنا قائد المرسلين ولا فخر » رواه الدارمي •

ومنها ما روى عن أنس رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الكرامة والمفاتيح يومئذ بيدي » رواه الترمذي والدارمي •

ومنها ما روى عن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال « فأكسى حلة من حلل الجنة ، ثم أقوم عن يمين العرش ليس أحد من الخلائق يقوم ذلك المقام غيري » رواه الترمذي •

ومنها ما روى عن أبي بن كعب رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « اذا كان يوم القيامة كنت امام النبيين وخطيبهم وصاحب شفاعتهم غير فخر » رواه الترمذي •

ومنها ما روى عن عمر رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم ، فانما أنا عبد : فقولوا عبد الله ورسوله » متفق عليه •

ومنها ما روى عن مطرف بن عبد الله بن الشخير رضى الله عنه قال : انطلقت في وفد بني عامر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلنا : أنت سيدنا ، فقال « السيد الله » فقلنا : وأفضلنا فضلا وأعظمنا طولا • فقال « قولوا قولكم ، أو بعض قولكم ، ولا يستجرينكم الشيطان » رواه أحمد وأبو داود • ومنها ما روى عن أنس رضى الله عنه قال جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا خير البرية • فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ذاك ابراهيم » رواه مسلم •

ومنها ما روى عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : استب رجل من المسلمين ورجل من اليهود ، فقال المسلم : والذي اصطفى محمدا على العالمين • فقال اليهودي : والذي اصطفى موسى على العالمين • فرفع المسلم يده عند ذلك فلطم وجه اليهودي ، فذهب اليهودي الى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره بما كان

من أمره وأمر المسلم ، فدعا النبى صلى الله عليه وسلم المسلم فسأله عن ذلك فأخبره ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم « لا تخيروني على موسى ، فان الناس يصعقون يوم القيامة فأصعق معهم فأكون أول من يفيق ، فاذا موسى باطش بجانب العرش فلا أدري كان فيمن صعق فأفاق قبلي أو كان فيمن استثنى الله تعالى » متفق عليه •

فعلم من تلك الأحاديث بعض من طرق تعظيم النبي صلى الله عليه وسلم وان رأس الأمر والعمدة في ذلك محبة النبي صلى الله عليه وسلم فوق محبة الوالد والولد والناس أجمعين ، وهي لا تتم الا بالاتباع والطاعة • قال الله تعالى (قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله) فمن كان أكثر اتباعا وطاعة كان أكثر محبة ، ومن كان أكثر محبة كان أشد تعظيما • وأيضا علم أن بعض أفراد التعظيم قد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه ، فمنه السجدة ، وفي هذا الحكم جميع التعظيمات التي هى من جنس العبادة ، كالدعاء والنذر والنحر والطواف والركوع وغير ذلك ، ومنه التمثل قياما والقيام تعظيما كما تقوم الأعاجم ، وأن المبالغة في الثناء والغلو والاطراء منهي عنه ، بل الواجب في ذلك القصر على ما ثبت بالكتاب العزيز والسنة المطهرة ، والدليل عليه أن في أول الأمر قد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن لفظ السيد وخير البرية والتخيير على موسى ، فلما أوحى اليه أنه سيد ولد آدم ، وأنه أكرم الأولين والآخرين ، وأنه قائد المرسلين ، وأمام النبيين ، وهو صاحب المقام المحمود ، وأنه حبيب الله ، وأنه حامل لواء الحمد ، وأنه أول شافع وأول مشفع ، وغير ذلك من الأوصاف ، أخبر بها أمته وقال « ولا فخر » • ويؤيده قوله « لا تطروني » ، وقوله « ولا يستجرينكم الشيطان » •

فالواجب على المؤمن أن لا يتجاسر على التكلم بكل كلمة في ثناء النبي صلى الله عليه وسلم فالمقام مقام الاحتياط ، اذ اعتقاد اتصاف النبي صلى الله عليه وسلم بصفاته الكمالية من جملة مسائل العقائد ، فما لم يثبت بالكتاب العزيز أو السنة الثابتة المطهرة لم يجز وصف النبي به ، فمن ههنا دريت خطأ الأبوصيري في قوله :
« واحكم بما شئت مدحا فيه واحتكم » وخطأ صاحب الرسالة حيث استحسنه •

وبالجملة فنحن معاشر أهل الحديث نعظم رسول الله صلى الله عليه وسلم بكل تعظيم جاء في الكتاب أو السنة الثابتة ، سواء كان ذلك التعظيم فعليا أو قوليا أو اعتقاديا ، والوارد في الكتاب العزيز والسنة المطهرة من ذلك الباب في غاية الكثرة ، وما ذكر هو بعض منه ولو رمت احصاء ذلك على التمام لجاء في مؤلف بسيط ، نعم نجتنب التعظيمات التي تشتمل على موجبات الكفر والشرك ، وما نهى الله عنه ورسوله ، والتعظيمات المحدثة المبتدعة .

وأما أهل البدع فمعظم تعظيمهم تعظيم محدث ، كشد الرحال الى قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والفرح بليلة ولادته ، وقراءة المولد ، والقيام عند ذكر ولادته صلى الله عليه وسلم ، وتقبيل الابهام عند قول المؤذن « أشهد أن محمدا رسول الله » ، والتمثل بين يدى قبره قياما ، وطلب الحاجات منه صلى الله عليه وسلم ، والنذر له وما ضاهاها . وأما التعظيمات الثابتة فهم عنها بمراحل [1] . فيا أهل البدع أنشدكم الله والاسلام والانصاف أن تقولوا أى الفريقين أزيد تعظيما للنبى صلى الله عليه وسلم وأكثر اتباعا له وأشد حبا له صلى الله عليه وسلم بأبي هو وأمي . وقد نقلنا عبارة الصارم المنكى في ذلك الباب ، فتذكر .

قوله : والحاصل كما تقدم أن هنا أمرين : (أحدهما) وجوب تعظيم النبى صلى الله عليه وسلم ورفع رتبته عن سائر المخلوقات ، (والثاني) افراد الربوبية واعتقاد أن الرب تبارك وتعالى منفرد بذاته وأفعاله عن جميع خلقه .

أقول : في هذا الحصر نظر ظاهر كما تقدم من أنه لا بد هناك من أمر ثالث ، وهو عدم احداث ما ليس من أمر الدين مما لم يأذن به الله ورسوله ، بل من أمر رابع وهو افراد الله تعالى وحده بجميع أنواع العبادة سواء كانت اعتقادية أو لفظية أو بدنية ، بل من أمر خامس وهو الاجتناب [1] عما نهى الله ورسوله ،

---

(١) من تتبع التاريخ يعلم أن أشد المؤمنين حبا واتباعا للنبي صلى الله عليه وسلم أقلهم غلوا فيه ، ولا سيما أصحابه رضى الله عنهم ومن يليهم في خير القرون ، وأن أضعفهم ايمانا وأقلهم اتباعا له هم أشدهم غلوا في القول وابتداعا في العمل ، وترى ذلك في شعر الفريقين . وكتبه محمد رشيد رضا .

(١) كان ينبغي أن يقول « الانتهاء » أو « اجتناب ما نهى الله عنه » قال تعالى (فاجتنبوه) .

ويمكن ادخال الرابع في الخامس ، فمن أحدث في التعظيم ما ليس من أمر الدين فقد صار مبتدعا ضالا ، ومن جعل فردا من العبادة لغير الله كالدعاء والاستغاثة والنذر والنحر فقد أشرك كالمشركين السالفين . فانهم لم يعتقدوا في مخلوق مشاركة الباريء سبحانه وتعالى في شيء من الذات والصفات والأفعال ، بل عبدوهم لأنهم يقربونهم الى الله زلفى وأنهم شفعاء عند الله ، ومن أتى ما نهى الله عنه ورسوله فقد صار فاسقا عاصيا .

قوله : وأما من بالغ في تعظيمه بأنواع التعظيم ولم يصفه بشيء من صفات الربوبية فقد أصاب الحق ، وحافظ على جانب الربوبية والرسالة جميعا .

أقول : فيه خلل واضح ، وفساد فاضح ، فان من أنواع التعظيم ما هو شرك كالسجود لقبره صلى الله عليه وسلم والطواف به والنحر له والنذر له ، ومنها ما هو بدعة ، ومنها ما هو منهي عنه ، وليس في شيء منها الوصف بشيء من صفات الربوبية ، فكيف يقال لمرتكبها انه أصاب الحق ؟ .

قوله : واذا وجد في كلام المؤمنين اسناد شيء لغير الله تعالى يجب حمله على المجاز العقلي ، ولا سبيل الى تكفير أحد من المؤمنين ، اذ المجاز العقلي مستعمل في الكتاب والسنة .

أقول : هذا الكلام بعمومه فاسد ، فان المؤمنين يقولون أكلنا وشربنا وباشرنا أزواجنا وصلينا وصمنا وحججنا ، ففي كل من هذه الأقوال اسناد شيء لغير الله تعالى ، ولا يصح حمله على المجاز العقلي فضلا عن الوجوب .

وتحقيق القول في ذلك الباب أنا لا ننكر المجاز العقلي ، ولكن لا بد هناك من التفصيل ، وهو أنه اذا وجد في كلام المؤمنين اسناد شيء مما يقدر عليه العبد لغير الله تعالى يجب حمله على الحقيقة ، ولا يصح حمله على المجاز العقلي ، كما في الأمثلة المذكورة ، واذا وجد في كلام المؤمنين اسناد شيء مما لا يقدر عليه الا الله مثل فلان شفاني ، وفلان رزقني ، وفلان وهب لي ولدا ، يجب حمله على المجاز العقلي ، ولكن لا مطلقا ، بل متى لم يصدر من ذلك المتكلم شيء من الألفاظ والأعمال الكفرية مما هو كفر بواح ، وشرك قراح . وأما اذا صدر منه شيء من تلك الألفاظ والأعمال فلا يحمل كلامه على المجاز العقلي ، اذ المؤمن بهذا اللفظ

والعمل قد انسلخ من الايمان فلم يبق مؤمنا ، فلا وجه لهذا الحمل ، ولا ريب في أن عبدة الأنبيـاء والصالحين يصدر منهم من الألفـاظ والأعمال ما هو كفر صريح كالسجدة والطواف والنذر والنحر ونحو ذلك •

على أنا نقول : اذا قال أحد من عبـدة الأنبياء والصالحين : يا فلان اشف مريضي ، فما مراده ؟ ان كان المراد الاسنـاد الحقيقي فلا ارتياب في كونه كفرا وشركا ، وان كان المراد الاسناد المجازي بمعنى يا فلان كن سببا لشفاء مريضي [١] أى ادع الله تعالى أن يشفي مريضي ، فان كان ذلك المدعو حيا حاضرا فليس هذا من الشرك في شيء ، لكنه لمـا كان موهما للاسناد الحقيقي الذي هو شرك صريح كان حقيقا بالترك ، فان الله تعالى قد نهانا عن استعمال اللفظ الموهم كما تقدم ، وان كان ذلك المدعو حيا غير حاضر ، أو ميتا وينادي من مكان بعيد من القبر ، فهذا أيضا شرك ، فان فيه اثبات علم الغيب لغير الله تعالى وهو من الصفات المختصة به تعالى ، وان كن ذلك المدعو ميتا وينادي عنـد قبره • فهذا ليس بشرك ولكنه بدعة [٢] ، فعلى كل حال ينبغي للمؤمن أن يجتنب دعاء غير الله ، وذلك هو القول الذي لا افراط فيه ولا تفريط •

قوله : وأما الفرق بين الحى والميت كما يفهم من كلام هؤلاء المانعين للتوسل فان كلامهم يفيد أنهم يعتقدون أن الحى يقدر على بعض الأشـياء دون الميت ، فكأنهم يعتقدون أن العبد يخلق أفعال نفسه ، فهو مذهب باطل • والدليل على أن

---

(١) ان مثل هذا الطلب لا يحتمل المجاز العقلي لا في اللغة ولا في عرف الناس ، وطالب الدعاء يصرح به • وكتبه محمد رشيد رضا •

(١) هذه غفلة من المؤلف أو سبق قلم ، فليس دعاء الميت عند قبره مجرد بدعة فقط بل هو شرك جلي ، وراجع ما سبق من كلام المؤلف على أنواع التوسل في هـذا الكتاب حيث قال هنـاك ص ٢١٢ ((ان قـول القـائل عنـد قبـر أي شخص : يا سيدي اشف مريضي واكشف كربتي ونحو ذلك من الألفاظ شرك جلي ، اذ نداء غير الله تعالى طالبا بذلك دفع شر أو جلب منفعة فيما لا يقدر عليه الغير دعاء والدعاء عبادة وعبادة غير الله شرك • قال : وهذا أعم من أن يعتقد أنهم مؤثرون بالذات او اعطاهم الله التصرفات في تلك الأمور أو أنهم أبواب الحـاجة الى الله وشـفعاؤه ووسائله وفي هذا الحكم سائر العبادات من الذبح لهم والخوف والرجاء منهم والسجود لهم والطواف بهم)) الخ هذا كلام المؤلف هناك وفي غير موضع وهو الحق فليتنبه • وكتبه اسماعيل الأنصاري •

هذا من اعتقادهم أنهم يقولون اذا نودى الحي وطلب منه ما يقدر عليه فلا ضرر في ذلك ، وأما الميت فانه لا يقدر على شيء أصلا . وأما أهل السنة فانهم يقولون الحي لا يقـدر على شيء كما أن الميت كذلك لا يقدر ، والقادر حقيقة هو الله تعالى ، والعبـد ليس له الا الكسب الظاهري باعتبار الحي ، والكسب الباطني باعتبار التبرك بذكر اسم النبي صلى الله عليه وسلم وغيره من الأخيار وتشفعهم في ذلك .

أقول : هذا كلام متضمن لمفاسد كثيرة :

(الأول) أن قدرة الحي على بعض الأشياء دون الميت ثابت بالكتاب والسنة أما الكتاب ، فمنه ما قال الله تعالى في سورة البقرة (لا تكلف نفس الا وسعها) ومنه ما قال فيها أيضا (لا يكلف الله نفسـا الا وسعها) ومنه ما قال فيها أيضا (ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به) ومنه ما قال في سورة المـائدة (الا الذين تابوا من قبل أن تقدروا عليهم) ومنه ماقال في سورة الأنعام والأعراف والمؤمنون (لا نكلف نفسا الا وسعها) ومنه ما قال في سورة الأنفال (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل) ومنه ما قال في سورة هود (ان أريد الا الاصلاح ما استطعت) ومنه ما قال في سورة النحل (ضرب الله مثلا عبدا مملوكا لا يقدر على شيء ومن رزقناه منا رزقا حسنا فهو ينفق منه سرا وجهـرا هل يستوون * الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون * وضرب الله مثلا رجلين أحدهما أبكم لا يقـدر على شيء وهو كل على مولاه أينما يوجهه لا يأت بخير * هل يستوي هو ومن يأمر بالعدل وهو على صراط مستقيم) ، ومنه ما قال في سورة حم السجدة (اعملوا ما شئتم انه بما تعملون بصير) ومنه ما قال في سورة المجادلة (فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين من قبل أن يتماسا ، فمن لم يستطع فاطعام ستين مسكينا) ومنه ما قال في سورة التغابن (فاتقوا الله ماالستطعتم واسمعوا وأطيعوا وأنفقوا خيرا لأنفسكم) ومنه ماقال في سورة القلم (يوم يكشف عن ساق ويدعون الى السجود فلايستطيعون * خاشعة ابصارهم ترهقهم ذلة وقد كانوا يدعون الى السجود وهم سالمون) ومنه ما قال في سورة المدثر (كلا انها تذكرة فمن شاء ذكره) ومنه ما قال في سـورة الدهر (فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا) ومنه ما قال في سورة النبأ (ذلك اليـوم

الحق فمن شاء اتخذ الى ربه مآبا) ومنه ما قال في التكوير (ان هو الا ذكر للعالمين لمن شاء منكم أن يستقيم) ومنه ما قال في سورة الفاطر (وما يستوي الأحياء ولا الأموات ان الله يسمع من يشاء وما أنت بمسمع من في القبور) •

على أن الآيات التي تتضمن أن نفع العمل وضرره عائد الى عامله لا الى غيره [١] كقوله تعالى في سورة البقرة (تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسئلون عما كانوا يعملون) ، وقوله تعالى فيها أيضا (لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت) ، وقوله تعالى في آل عمران (ووفيت كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون) وقوله تعالى أيضا فيها (يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء) ، وقوله تعالى في سورة النساء (ومن يكسب اثما فانما يكسبه على نفسه) ، وقوله تعالى في سورة الأنعام (فمن أبصر فلنفسه ومن عمى فعليها) ، وقوله تعالى أيضا فيها (ولا تكسب كل نفس الا عليها ، ولا تزر وازرة وزر أخرى) ، وقوله تعالى في الأعراف (هل يجزون الا ما كانوا يعملون) ، وقوله تعالى في يونس (فمن اهتدى فانما يهتدي لنفسه ومن ضل فانما يضل عليها) ، وقوله تعالى في حم السجدة (من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها وما ربك بظلام للعبيد) ، وقوله تعالى في الشورى (وأمرت لأعدل بينكم الله ربنا وربكم لنا أعمالنا ولكم أعمالكم) ، وقوله تعالى في النجم (ألا تزر وازرة وزر أخرى * وأن ليس للانسان الا ما سعى * وأن سعيه سوف يرى) وقوله تعالى في سورة الليل (ان سعيكم لشتى) كلها نصوص [١] على أن العبد الحى له قدرة على بعض الأشياء ، وكذلك آيات الأوامر والنواهي والآيات التي فيها ذكر الثواب والعقاب•

وأما الأحاديث ، فمنها ما روى عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اذا مات الانسان انقطع عنه عمله الا من ثلاثة • الا من صدقة جارية ، أو علم ينتفع به ، أو ولد صالح يدعو له » رواه مسلم •

---

(١) سيأتي خبر « أن الآيات » بعد سرد الشواهد ، وكان ينبغي أن يذكر الخبر هنا فيقول « كثيرة » مثلا •

(١) هذا خبر قوله « على أن الآيات التي تتضمن الخ » ، وهو من ضعف التأليف ، وكان حسنه يقتضي وضعه قبل الشواهد قريبا من اسمها • ثم يقول هنا : فهذه الآيات كلها نصوص الخ • وكتبه محمد رشيد •

ومنها ما روى عنه « فمن استطاع منكم أن يطيل غرته فليفعل » متفق عليه •

ومنها ما روى عن جابر بن سمرة أن رجلا سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم أتتوضأ من لحوم الغنم ؟ قال « ان شئت فتوضأ وان شئت فلا تتوضأ » رواه مسلم •

ومنها ما روى عن عائشة رضى الله عنها قالت : كان النبى صلى الله عليه وسلم يحب التيامن ما استطاع في شأنه كله ، في طهوره وترجله وتنعله • متفق عليه •

ومنها ما روى عن حمنة بنت جحش في حديث الاستحاضة أن النبى صلى الله عليه وسلم قال « وان قويت عليهما فأنت أعلم » وفيه « وان قويت على أن تؤخري الظهر وتعجلي العصر » وفيه « فافعلي وصومي ان قدرت على ذلك » رواه الترمذي •

ومنها ما روى عن أبي سعيد قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا يقطع الصلاة شيء ، وادرأوا ما استطعتم فانما هو شيطان » رواه أبو داود •

ومنها ما روى عنه أيضا قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اذا تثاءب أحدكم في الصلاة فليكظم ما استطاع » رواه مسلم •

ومنها ما روى عن عمرو بن عبسة في قيام الليل قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « فان استطعت أن تكون ممن يذكر الله في تلك الساعة فكن » رواه الترمذي •

ومنها ما روى عن عائشة رضى الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « خذوا من الأعمال ما تطيقون » متفق عليه •

ومنها ما روى عن عمران بن حصين قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « صل قائما ، فان لم تستطع فقاعدا ، فان لم تستطع فعلى جنب » رواه البخاري •

ومنها ما روى عن ابن عباس رضى الله عنهما في حديث صلاة التسبيح أن النبى صلى الله عليه وسلم قال « تفعل ذلك في أربع ركعات ، ان استطعت أن تصليها في كل يوم مرة فافعل » رواه أبو داود وابن ماجه •

ومنها ما روى عن أبي موسى الأشعري في الصدقة : فان لم يستطع أو لم يفعل ؟ قال « فيعين ذا الحاجة الملهوف » متفق عليه •

ومنها ما روى عن أبي هريرة رضى الله عنه في كفارة الصوم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « فهل تستطيع أن تصـوم شهرين متتابعين » ؟ قال لا • متفق عليه •

ومنها ما روى عن أبي قتادة أن رجلا أتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال : كيف تصوم ؟ وفيه قال « ويطيق ذلك أحد » ؟ رواه مسلم •

ومنها ما روى عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يا عبد الله ألم أخبر أنك تصوم النهار وتقوم الليل » ، وفيه : قلت اني أطيق أكثر من ذلك ، قال « صم أفضل الصوم ، صوم داود ، صيام يوم وافطار يوم » متفق عليه •

ومنها ما روي عن عائشة رضى الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا أوى الى فراشه كل ليلة جمع كفيه ، وفيه ثم يمسح بهما ما استطاع من جسده، متفق عليه •

ومنها ما روي عن جابر في الرقيـة قال : قال رسول الله صلى الله عليهوسلم « من استطاع منكم أن ينفع أخاه فلينفعه » رواه مسلم •

ومنها ما روى عن ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ألا يستطيع أحدكم أن يقرأ ألف آية في كل يوم » ؟ قالوا ومن يستطيع أن يقرأ ألف آية في كل يوم ؟ قال « أما يستطيع أحدكم أن يقرأ ألهاكم التكاثر » ؟ رواهالبيهقي•

ومنها ما روى عن أبي الدرداء قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أيعجز أحدكم أن يقرأ في ليلة ثلث القرآن » ؟ قالوا : وكيف يقرأ ثلث القرآن ؟ قال « قل هو الله أحد تعدل ثلث القرآن » رواه مسلم •

ومنها ما روى عن سعد بن أبي وقاص قال : كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال « أيعجز أحدكم أن يكسب كل يوم ألف حسنة » فسأله سـائل

من جلسائه : كيف يكسب أحدنا ألف حسنة ؟ قال « يسبح مائة تسبيحة فتكتب له ألف حسنة » رواه مسلم •

ومنها ما روى عن شداد بن أوس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « سيد الاستغفار أن تقول : اللهم أنت ربي لا اله الا أنت ، خلقتني وأنا عبدك ، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت » رواه البخاري •

ومنها ما روى عن أنس رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عاد رجلا من المسلمين وفيه : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « سبحان الله لا تطيقه ولا تستطيعه » •

ومنها ما روى عن أبي هريرة قال : خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال « يا أيها الناس ، قد فرض عليكم الحج فحجوا » فقال رجل : أكل عام يا رسول الله ؟ ــ فسكت حتى قالها ثلاثا ــ فقال « لو قلت نعم لوجبت ولما استطعتم » وفيه « فاذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم ، واذا نهيتكم عن شيء فدعوه » رواه مسلم •

ومنها ما روى عن عائشة رضى الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يا أيها الناس عليكم من الأعمال ما تطيقون » رواه مسلم •

ومنها ما روى عن عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فانه أغض للبصر وأحصن للفرج ، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فانه له وجاء » متفق عليه •

ومنها ما روى عن أبي سعيد الخدري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « من رأى منكم منكرا فليغيره بيده ، فان لم يستطع فبلسانه ، فان لم يستطع فبقلبه ، وذلك أضعف الايمان » رواه مسلم •

ومنها ما روي عن ابن عمر قال : كنا اذا بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة يقول لنا « فيما استطعتم » متفق عليه •

ومنها ما روى عن عبد الله بن عمرو قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من بايع اماما فأعطاه صفقة يده وثمرة قلبه فليطعه ان استطاع » رواه مسلم •

ومنها ما روى عن أميمة بنت رقيقة تقول : بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم في نسوة ، فقال لنا « فيما استطعتن وأطقتن » قلت : الله ورسوله ارحم بنا منا بأنفسنا . الحديث رواه الترمذي وقال . هذا حديث حسن صحيح .

ومنها ما روى عن عائشة رضى الله عنها أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يقسم بين نسائه فيعدل ويقول « اللهم هذا قسمي فيما أملك ، فلا تلمني فيما تملك ولا أملك » رواه الترمذي .

ولفظ الوسع والطاقة والقدرة والاستطاعة والقوة والملك بمعنى واحد . واثبات مشيئته ، وعدم استواء الأحياء والأموات ، وانقطاع العمل بعد الموت ، وسلب العجز ، مما يستلزم اثبات القدرة للحى وهو المطلوب .

و (الثاني) أن قدرة الحى على بعض الأشياء دون الميت لا تستلزم اعتقاد أن العبد يخلق أفعال نفسه . والدليل الذي ذكره صاحب الرسالة لا يثبت منه المطلوب ، فان مراد المانعين للتوسل بالقدرة الواقعة في قولهم الحى يقدر والميت لا يقدر قدرة الكسب لا قدرة الخلق .

و (الثالث) المعارضة ، وتقريرها أن التسوية بين الحي والميت كما يفهم من كلام هؤلاء المجوزين للتوسل (١) فان كلامهم يفيد أنهم يعتقدون أن الحي لا يقدر على شيء كما أن الميت كذلك لا يقدر ، فكأنهم يعتقدون أن العبد مجبور محض ليس له اختيار الكسب ، فهو مذهب باطل .

والدليل على أن هذا هو اعتقادهم أنهم يقولون اذا نودى الميت وطلب منه شيء فلا ضرر في ذلك ، كما أن الحى اذا نودي وطلب منه شيء فلا ضير فيه ، فان كليهما سواء ، سيان (٢) في عدم القدرة .

و (الرابع) أن اثبات الكسب ولو باطنيا للميت مخالف للنص الصريح وهو قوله صلى الله عليه وسلم « اذا مات الانسان انقطع عنه عمله » فلا يعبأ به ، على أن قدرة الحى على الكسب يعلم حدها بالمشاهدة ، مثلا نعلم أن الحى يقدر على

(١) ينظر أين جواب : ان التسوية الخ .
(٢) كذا في الأصل ، جمع بين الكلمتين .

حمل الحجر ، وعلى أن يحول بينه وبين عدوه الكافر ، أو يدفع عنه سبعا صائلا أو لصا ، أو يدعو له أو نحو ذلك ، وأما قدرة الميت على الكسب فعلى تقدير تسليمها لا نعلم حدها بالمشاهدة ، فما طريق العلم بها ؟ وهل هى مساوية لقدرة الحى أو زائدة عليها أو ناقصة عنها ؟ فلا بد من بيانه حتى يطلب منه على حسبه ، ودونه لا معنى لهذه الدعوة العمياء .

قوله : ذكر العلامة السيد السمهودي في خلاصة الوفاء : أن من الأدلة الدالة على صحة التوسل بالنبى صلى الله عليه وسلم بعد وفاته ما رواه الدارمي في صحيحه عن أبي الجوزاء قال : قحط أهل المدينة قحطا شديدا فشكوا الى عائشة رضى الله عنها فقالت : انظروا الى قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجعلوا منه كوة الى السماء حتى لا يكون بينه وبين السماء سقف ، ففعلوا فمطروا حتى نبت العشب وسمنت الابل حتى تفتقت من الشحم ، فسمى عام الفتق .

أقول : في هذا الكلام كلام من وجوه :

(الأول) أن اطلاق الصحيح على مسند الدارمي ــ الذي اشتهر بالمسند ، على خلاف اصطلاح المحدثين ، وحقه أن يسمى بالسنن دون المسند ــ ليس بصحيح . قال المغلطاى ان جماعة أطلقوا على مسند الدارمي بكونه صحيحا فتعقبه الحافظ ابن حجر بأني لم أر ذلك في كلام أحد ممن يعتمد عليه ، كيف ولو أطلق ذلك من يعتد به لكان الواقع بخلافه .

و (الثاني) أنه قال العراقي : المرسل والمعضل والمنقطع والمقطوع فيه كثير ، وهذا الحديث من هذا القبيل كما سيظهر ان شاء الله تعالى .

و (الثالث) أن في سنده محمد بن الفضل السدوسي أبا النعمان البصري ، قال الحافظ في التقريب : لقبه عارم ثقة ثبت تغير في آخر عمره ا هـ ، وقال في الخلاصة : اختلط عارم . قال أبو حاتم : ثقة من سمع منه قبل عشرين ومائتين فسماعه جيد ا هـ . وقال الذهبي في الكاشف : تغير قبل موته وترك الأخذ منه ، وقال الذهبي في الميزان : قال أبو حاتم اختلط عارم في آخر عمره وزال عقله ، فمن سمع منه قبل العشرين ومائتين فسماعه جيد ، وقال البخاري : تغير عارم في آخر عمره .

وقال أبو داود : بلغني أن عارما أنكر سنة ثلاث عشرة ومائتين ، ثم راجعه عقله ثم استحكم به الاختلاط سنة ست عشرة ومائتين ، ولم يسمع منه أبو داود لتغيره ا هـ ملخصا .

و (الرابع) أن في سنده سعيد بن زيد قال الذهبي في الكاشف : ليس بالقوي قاله جماعة ووثقه ابن معين ا هـ . وقال الحافظ في التقريب : صدوق له أوهام ا هـ ، وقال في الخلاصة : قال ابن معين ثقة ، وقال أحمد : ليس به بأس ، وقال النسائي : ليس بالقوي ا هـ ، وقال الذهبي في الميزان : سعيد بن زيد أبو الحسن أخو حماد بن زيد ، مات قبل حماد بن زيد ، قال علي عن يحيى بن سعيد : ضعيف ، وقال السعدي : ليس بحجة يضعفون حديثه ، وقال النسائي وغيره : ليس بالقوي ، وقال أحمد : ليس به بأس ، كان يحيى بن سعيد لا يستريبه . ا هـ .

و (الخامس) أن في سنده عمرو بن مالك النكري ، قال الحافظ في التقريب: صدوق له أوهام . ا هـ .

و (السادس) أن في سنده أبا الجوزاء أوس بن عبد الله ، قال في التقريب : أوس بن عبد الله الربعي يرسل كثيرا ، وقال الذهبي في الميزان : أوس بن عبد الله أبو الجوزاء الربعي البصري وثقوه ، وقال البخاري : قال يحيى بن سعيد قتل في الجماجم ، وفي اسناده نظر ويختلفون فيه ا هـ ، وقال أيضا في الكنى : أبو الجوزاء الربعي أوس تابعي مشهور ، قال البخاري : في اسناده نظر . ا هـ . فقد ثبت من هناك أن هذا الحديث ضعيف منقطع .

و (السابع) أن الحديث موقوف فلا يصلح حجة عند المحققين .

و (الثامن) بعد تسليم حجيته يعارضه أثر عمر بن الخطاب رضى الله عنه، ذكر محمد بن اسحاق في مغازيه عن خالد بن دينار عن أبي العالية قال : لما فتحنا تستر وجدنا في بيت مال الهرمزان سريرا عليه رجل ميت عند رأسه مصحف له ، فحملنا المصحف الى عمر رضى الله عنه فدعا كعبا فنسخه بالعربية ، فأنا أول رجل قرأته مثل ما أقرأ القرآن ، فقلت لأبي العالية : ما كان فيه ؟ قال : سيرتكم وأموركم ولحون كلامكم وما هو كائن بعد ، قلت فما صنعتم بالرجل ؟ قال : حفرنا بالنهار

ثلاثة عشر قبرا متفرقة ، فلما كان بالليل دفناه وسوينا القبور كلها لنعميه على الناس لا ينبشونه . قلت : وما يرجون منه ؟ قال : كانت السماء اذا حبست عنهم أبرزوا السرير فيمطرون . فقلت : من كنتم تظنون الرجل ؟ قال : دانيال ، قلت منذ كم وجدتموه مات ؟ قال منذ ثلاثمائة سنة [1] قلت : ما كان قد تغير منه شيء؟ قال : لا الا شعيرات من قفاه ، ان لحوم الأنبياء لا تبليها الأرض ولا تأكلها السباع .

فانظر ما في هذه القصة من صنع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وتعمية قبر هذا الرجل لئلا يفتتن به الناس ، كذا في (تبعيد الشيطان بتقريب اغاثة اللهفان) .

قوله : ومن أحسن مايقال ماجاء عن العتبي ، وهو مروى أيضا عن سفيان بن عيينة ، وكل منهما من مشايخ الامام الشافعي ، قال العتبي : كنت جالسا عند قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء أعرابي فقال : السلام عليك يا رسول الله ، سمعت الله يقول ـ وفي رواية : يا خير الرسل ان الله أنزل عليك كتابا صادقا قال فيه (ولو أنهم اذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما) ، وقد جئتك مستغفرا من ذنبي .

أقول : ليست هذه الحكاية مما تقوم به الحجة . قال في الصارم المنكى : وهذه الحكاية التي ذكرها بعضهم يرويها عن العتبي بلا اسناد ، وبعضهم يرويها عن محمد بن حرب عن أبي الحسن الزعفراني عن الأعرابي ، وقد ذكرها البيهقي في كتاب شعب الايمان باسناد مظلم عن محمد بن روح بن يزيد البصري حدثني أبو حرب الهلالي قال : حج أعرابي ، فلما جاء الى باب مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم أناخ راحلته فعقلها ، ثم دخل المسجد حتى أتى القبر ، ثم ذكر نحو ما تقدم . وقد وضع لها بعض الكذابين اسنادا الى على بن أبي طالب رضى الله عنه كما سيأتي ذكره .

وفي الجملة ليست هذه الحكاية المذكورة عن الأعرابي مما تقوم به حجة ،

(١) دانيال النبي عليه السلام كان في سبى نبوخذ نصر لبني اسرائيل قبل ميلاد المسيح بستمائة سنة وكتابه من أسفار اليهود المعروفة . وكتبه محمد رشيد رضا .

واسنادها مظلم مختلف ، ولفظها مختلف أيضا ، ولو كانت ثابتة لم يكن فيها حجة على مطلوب المعترض ، ولا يصلح الاحتجاج بمثل هذه الحكاية ولا الاعتماد على مثلها عند أهل العلم ، وبالله التوفيق •

قوله : وليس محل الاستدلال الرؤيا فانها لا تثبت بها الأحكام لاحتمال حصول الاشتباه على الرائي كما تقدم ذلك ، وانما محل الاستدلال كون العلماء استحسنوا الاتيان بما تقدم ذكره ، وذكروا في مناسكهم استحباب الاتيان به للزائر •

أقول : استحسان جميع علماء الأمة ممنوع ، وأما استحسان بعض العلماء فلا تثبت به الأحكام ، كما أنها لا تثبت بالرؤيا ، على أنه لو ثبت استحسان جميع علماء الأمة فكونه مجمعا عليه بالاجماع الاصطلاحي محل كلام ، وبعد تسليم امكان الاجماع الاصطلاحي فكونه حجة شرعية غير مسلم ، والأحاديث الدالة على حجيته قد تقدم الكلام عليها ، على أن كونها دالة على حجية الاجماع أيضا منظور فيه •

قوله : وقال العلامة ابن حجر في الجوهر المنظم : وروى بعض الحفاظ عن أبي سعيد السمعاني أنه روى عن على بن أبي طالب رضى الله عنه وكرم الله وجهه أنهم بعد دفنه صلى الله عليه وسلم بثلاثة أيام جاءهم أعرابي فرمى بنفسه على القبر الشريف على صاحبه أفضل الصلاة والسلام •

أقول : هذا الخبر ضعيف جدا حتى قيل انه موضوع • قال في الصارم المنكى : فان قيل قد روى أبو الحسن علي بن ابراهيم بن عبد الله بن عبد الرحمن الكرخي عن علي بن محمد بن علي حدثنا أحمد بن محمد بن الهيثم الطائي قال حدثني أبي عن أبيه عن سلمة بن كهيل عن أبي صادق عن علي بن أبي طالب رضى الله عنه قال : قدم علينا أعرابي بعد ما دفنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بثلاثة أيام ، فرمى بنفسه على قبر النبي صلى الله عليه وسلم وحثى على رأسه من ترابه وقال : يا رسول الله قلت فسمعنا قولك ، ووعيت من الله عز وجل فما وعينا عنك ، وكان فيما أنزل الله تبارك وتعالى عليك (ولو أنهم اذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما) وقد ظلمت نفسي وجئتك لتستغفر لي ، فنودى من القبر انه قد غفر لك •

والجواب أن هذا خبر منكر موضوع ، وأثر مختلق مصنوع ، لا يصلح الاعتماد عليه ، ولا يحسن المصير اليه ، واسناده ظلمات بعضها فوق بعض ، والهيثم جد أحمد بن محمد بن الهيثم أظنه ابن عدى الطائي [1] فان يكنه فهو متروك كذاب ، والا فهو مجهول ، وقد ولد الهيثم بن عدى بالكوفة ونشأ بها وأدرك زمان سلمة بن كهيل فيما قيل ، ثم انتقل الى بغداد فسكنها ، قال عباس الدوري : سمعت يحيى بن معين يقول : الهيثم بن عدى كوفي ليس بثقة ، كان يكذب ، وقال العجلي وأبو داود : كذاب ، وقال أبو حاتم الرازي والنسائي والدولابي والأزدي : متروك الحديث ، وقال السعدي : ساقط قد كشف قناعه . وقال أبو زرعة : ليس بشيء . وقال البخاري : سكتوا عنه ، أي تركوه . وقال ابن عدى : ما أقل ماله من المسند ، وانما هو صاحب أخبار وأسمار ونسب وأشعار .

وقال ابن حبان : كان من علماء الناس بالسير وأيام الناس وأخبار العرب ، الا أنه روى عن الثقات أشياء كأنها موضوعات ، يسبق الى القلب أنه كان يدلسها. وقال الحاكم أبو أحمد : ذاهب الحديث . وقال الحاكم أبو عبد الله : الهيثم بن عدي الطائي في علمه ومحله حدث عن جماعة من الثقات أحاديث منكرة . وقال العباس بن محمد : سمعت بعض أصحابنا يقول قالت جارية الهيثم : كان مولاى يقوم الليل يصلي فاذا أصبح جلس يكذب . اهـ .

قال الذهبي في ترجمة الهيثم بن عدي الطائي : أبو عبد الرحمن المنبجي ثم الكوفي قال البخاري : ليس بثقة ، كان يكذب ، قال يعقوب بن محمد حدثنا أبو عبد الرحمن من أهل منبج وأمه من سبى منبج ، سكتوا عنه . وروي عباس عن يحيى : ليس بثقة ، كان يكذب . وقال أبو داود : كذاب . وقال النسائي وغيره : متروك الحديث .

قلت : كان اخباريا علامة ، روي عن هشام بن عروة وعبد الله بن عياش

(١) ومن ادعى أن الهيثم المذكور فى سند الحكاية هو ابن مالك الطائي الشامي الأعمى أبو محمد الموثق فعليه الحجة ، وفي الحكاية أبو صادق لم يسمع من على رضى الله عنه ، وفيها أحمد بن محمد بن الهيثم عن أبيه لا ذكر لهما في التقريب ولا التهذيب ولا اللسان ، فمن احتج بهما فعليه أن ينقل توثيقهما عن امام من أئمة التوثيق . وكتبه محمد رشيد رضا .

المتنوف ومجالد • وقال ابن عدي : ما أقل ما له في المسند ، انما هو صاحب أخبار • وقال ابن المديني : هو أوثق من الواقدي ، ولا أرضاه في شيء • قال عباس الدوري : حدثنا بعض أصحابنا قال قالت جارية الهيثم بن عدي : كان مولاى يقوم عامة الليل يصلي ، فاذا أصبح جلس يكذب • انتهى ملخصا •

وفي الميزان : الهيثم الطائي الآخر هو أيضا كذاب ، ولفظه هكذا : الهيثم بن عبد الغفار الطائي بصري مقل تالف • قال أحمد : عرضت على ابن مهدي أحاديث الهيثم بن عبد الغفار عن همام بن يحيى وغيره فقال : هذا يضع الحديث • وسألت الأقرع ــ وكان صاحب حديث ــ عن الهيثم فذكر نحوه • قال أحمد : وسمعت هشيما يقول : ادعوا الله لأخينا عباد بن العوام سمعته يقول : كان يقدم علينا من البصرة رجل يقال له الهيثم بن عبد الغفار فحدثنا عن همام عن قتادة وأبيه وعن رجل يقال له ابن حبيب وعن جماعة ، وكنا معجبين به ، فحدثنا بشيء أنكرته أو ارتبت به ثم لقيته بعد فقال لي : ذلك الحديث دعه ، فقدمت على عبد الرحمن بن مهدي فعرضت عليه بعض حديثه فقال : هذا رجل كذاب ، أو قال : غير ثقة • وقال أحمد : ولقيت الأقرع بمكة فذكرت له بعض هذا فقال : هذا حديث البري عن قتادة ، يعني أحاديث همام • قال : فخرقت حديثه وتركناه بعد • ا هـ •

قوله : ويؤيد ذلك أيضا ما صح عنه صلى الله عليه وسلم من قوله « حياتي خير لكم ، تحدثون وأحدث لكم • ووفاتي خير لكم ، تعرض علي أعمالكم ، ما رأيت من خير حمدت الله تعالى ، وما رأيت من شر استغفرت لكم » •

أقول : قال في الصارم المنكي : قلت هذا خبر مرسل ، رواه القاضي اسماعيل ابن اسحاق في كتاب (فضل الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم) عن سليمان ابن حرب عن حماد بن زيد عن غالب القطان عن بكر بن عبد الله ، وهذا اسناد صحيح الى بكر المزني ، وبكر من ثقات التابعين وائمتهم • وقال القاضي اسماعيل : حدثنا حجاج بن منهال حدثنا حماد بن سلمة عن كثير بن الفضل عن بكر بن عبد الله أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « حياتي خير لكم ووفاتي خير لكم : تحدثون وأحدث لكم ، فاذا أنا مت عرضت على أعمالكم ، فان رأيت خيرا حمدت الله ،

وان رأيت شرا استغفر لكم » • اهـ • والمرسل من أقسام الحديث الضعيف ، فالحكم عليه بالصحة غير صحيح •

قوله : وفي (الجوهر المنظم) أيضا أن أعرابيا وقف على القبر الشريف وقال : اللهم ان هذا حبيبك ، وأنا عبدك ، والشيطان عدوك ، فان غفرت لي سر حبيبك وفاز عبدك وغضب عدوك ، وان لم تغفر لي غضب حبيبك ورضى عدوك وهلك عبدك • وأنت يا رب أكرم من أن تغضب حبيبك وترضي عدوك وتهلك عبدك • اللهم ان العرب اذا مات فيهم سيد أعتقوا على قبره ، وان هذا سيد العالمين فأعتقني على قبره يا أرحم الراحمين • فقال له بعض الحاضرين : يا أخا العرب ، ان الله قد غفر لك بحسن هذا السؤال •

أقول : هذا مما لا يصح الاحتجاج به على المطلوب من وجوه :

(الأول) أن هذه القصة مذكورة بلا سند لها ، فلا بد على من يحتج بها من بيان السند ، وتوثيق رجاله •

و (الثاني) أن فعل الأعرابي ليس من الحجة في شيء •

و (الثالث) أن هذه القصة ليس فيها دعاء غير الله ولا السؤال بحق المخلوق ، والتوسل الذي يمنعه المانعون هو الذي يتضمن دعاء غير الله أو السؤال بحق مخلوق أو ما ضاهاه من المنهيات والبدع والمنكرات •

و (الرابع) أن بعض الحاضرين القائل : يا أخا العرب ان الله قد غفر لك ، لا يدرى من هو حتى يعتمد على قوله • وبالجملة ذكر أمثال هذه الحكايات في محل الاستدلال أدل دليل على جهل صاحبه •

قوله : وذكر علماء المناسك أيضا أن استقبال قبره الشريف صلى الله عليه وسلم وقت الزيارة والدعاء أفضل من استقبال القبلة •

أقول : استقبال قبره الشريف في الزيارة وقت التسليم مما اختلف فيه الأئمة ، وأما استقبال القبر وقت الدعاء فمنهى عنه بالاتفاق •

قال شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله في منسك له صنفه في أواخر عمره :

ويسلم عليه مستقبل الحجرة مستدبر القبلة عند أكثر العلماء كمالك والشافعي وأحمد ، وأما أبو حنيفة فانه قال : يستقبل القبلة ، فمن أصحابه من قال : يستدبر الحجرة ، ومنهم من قال : يجعلها عن يساره ، واتفقوا على أنه لا يستلم الحجرة ولا يقبلها ولا يطوف بها ولا يصلي اليها ولا يدعو هناك مستقبلا للحجرة ، فان هذا كله منهى عنه باتفاق الأئمة ، ومالك أعظم كراهية لذلك ، والحكاية عنه أنه أمر المنصور أن يستقبل الحجرة وقت الدعاء كذب على مالك • بل ولا يقف عند القبر للدعاء لنفسه ، فان هذا بدعة • ولم يكن أحد من الصحابة يقف عنده يدعو لنفسه، ولكن كانوا يستقبلون القبلة ويدعون في مسجده • ا هـ •

وقال في الصارم المنكي : وكذلك الشرك بأهل القبور لم يطمع الشيطان أن يوقعهم — أي الصحابة — فيه ، فلم يكن على عهدهم في الاسلام قبر نبي يسافر اليه ، ولا يقصد الدعاء عنده أو تطلب بركته أو شفاعته أو غير ذلك ، بل أفضل الخلق محمد خاتم الرسل صلوات الله وسلامهعليه وقبره عندهم محجوب لايقصده أحد منهم بشيء من ذلك ، وكذلك كان التابعون لهم باحسان ومن بعدهم من أئمة المسلمين ، وانما تكلم العلماء والسلف في الدعاء للرسول صلى الله عليه وسلم عند قبره ، منهم من نهى عن الوقوف للدعاء له دون السلام عليه ، ومنهم من رخص في هذا وهذا ، ومنهم من نهى عن هذا وهذا • وأما دعاؤه هو وطلب استغفاره وشفاعته بعد موته فهذا لم ينقل عن أحد من أئمة المسلمين لا من الأئمة الأربعة ولا غيرهم ، بل الأدعية التي ذكروها خالية من ذلك ، أما مالك فقد قال القاضي عياض : وقال مالك في المبسوط : لا أرى أن يقف عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم يدعو ويسلم ، ولكن يسلم ويمضي •

وهذا الذي نقله القاضي عياض ذكره القاضي اسماعيل بن اسحاق في المبسوط قال : وقال مالك : لا أرى أن يقف الرجل عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم يدعو ، ولكن يسلم على النبي صلى الله عليه وسلم وعلى أبي بكر وعمر رضى الله عنهما ثم يمضي • وقال مالك ذلك لأن هذا هو المنقول عن ابن عمر أنه كان يقول : السلام عليك يا رسول الله ، السلام عليك يا أبا بكر ، السلام عليك يا أبت — أو يا أبتاه — ثم ينصرف ، ولا يقف يدعو ، فرأى ذلك من البدع •

قال القاضي عياض وقال مالك في رواية ابن وهب : اذا سلم على النبي صلى الله عليه وسلم ودعا يقف ووجهه الى القبر لا الى القبلة ويدنو ويسلم ولا يمس القبر بيده • فقوله في هذه الرواية اذا سلم ودعا قد يريد بالدعاء السلام فانه قال يدنو ويسلم ولا يمس القبر بيده ، ويؤيد ذلك أنه قال في رواية ابن وهب : السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته ، وقد يراد أنه يدعو له بلفظ الصلاة ، كما ذكر في الموطأ من رواية عبد الله بن دينار أنه كان يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم وعلى أبي بكر وعمر رضى الله عنهما ،وفي رواية يحيى بن يحيى وقد غلطه ابن عبد البر وغيره ، وقالوا انما لفظ الرواية على ما ذكره ابن القاسم والقعنبي وغيرهما : يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم ويسلم على أبي بكر وعمر رضى الله عنهما ، وقال أبو الوليد الباجي : وعندي أنه يدعو للنبي صلى الله عليه وسلم بلفظ الصلاة ولأبي بكر وعمر لما في حديث ابن عمر من الخلاف •

قال القاضي عياض وقال في المبسوط : لا بأس لمن قدم من سفر أو خرج الى سفر أن يقف على قبر النبي صلى الله عليه وسلم فيصلي عليه ويدعو له ولأبي بكر وعمر ، فان أراد بالدعاء الصلاة والسلام فهو موافق لتلك الرواية ، وان كان أراد دعاء زائدا فهي رواية أخرى ، وبكل حال فانما أراد الدعاء اليسير •

وأما ابن حبيب فقال : ثم يقف بالقبر متواضعا موقرا فيصلي عليه ويثني عليه ويثني بما حضر ويسلم على أبي بكر وعمر رضى الله عنهما ، فلم يذكر الا الثناء عليه مع الصلاة •

وأما الامام أحمد فذكر الثناء عليه بلفظ الشهادة له بذلك ، مع الدعاء له بغير الصلاة ، ومع دعاء الداعي لنفسه أيضا ، ولم يذكر أن يطلب منه شيئا ولا يقرأ عند القبر قوله (ولو أنهم اذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما) كما لم يذكر مالك ذلك ولا المتقدمون من أصحابنا ولا جمهورهم ، بل قال في منسك المروزي : ثم ائت الروضة وهي بين القبر والمنبر فصل فيها وادع بما شئت ، ثم ائت قبر النبي صلى الله عليه وسلم فقل : السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته ، السلام عليك يا محمد بن عبد الله ، أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أنك رسول الله صلى الله عليه وسلم وأشهد أنك

قد بلغت رسالة ربك ، ونصحت لأمتك ، وجاهدت في سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة ، وعبدت الله حتى أتاك اليقين ، فجزاك الله أفضل ما جازى نبيا عن أمته ، ورفع درجتك العليا ، وتقبل شفاعتك الكبرى ، وأعطاك سؤلك في الآخرة والأولى ، كما تقبل من ابراهيم . اللهم احشرنا في زمرته ، وتوفنا على سنته ، وأوردنا حوضه ، واسقنا بكأسه شربا رويا لا نظمأ بعده أبدا . ا هـ .

وقال شيخ الاسلام ابن تيمية في كتاب (اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم) : ولم يكن أحد من السلف يأتي الى قبر نبي أو غير نبي لأجل الدعاء عنده ، ولا كان الصحابة يقصدون الدعاء عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم ولا عند قبر غيره من الأنبياء ، وانما كانوا يصلون ويسلمون على النبي صلى الله عليه وسلم وعلى صاحبيه .

وأتفق الأئمة على أنه اذا دعا بمسجد النبي صلى الله عليه وسلم لا يستقبل قبره ، وتنازعوا عند السلام عليه فقال مالك وأحمد وغيرهما : يستقبل قبره ويسلم عليه ، وهو الذي ذكره أصحاب الشافعي ، وأظنه منصوصا عنه . وقال أبو حنيفة : بل يستقبل القبلة ، ويسلم عليه . هكذا في كتب أصحابه ، وقال مالك فيما ذكره اسماعيل بن اسحاق في (المبسوط) والقاضي عياض وغيرهما : لا أرى أن يقف عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم ويدعو ، ولكن يسلم ويمضي .

وقال أيضا [1] في (المبسوط) : لا بأس لمن قدم من سفر أو خرج أن يقف عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم ويدعو لأبي بكر وعمر ، فقيل له : فان ناسا من أهل المدينة لا يقدمون من سفر ولا يريدونه يفعلون ذلك في اليوم مرة أو أكثر ، وربما وقفوا في الجمعة أو في الأيام المرة والمرتين أو أكثر عند القبر فيسلمون ويدعون ساعة [2] فقال : لم يبلغني هذا عن أحد من أهل

(۱) يعني الامام مالك بن أنس .

(۲) أى قيل للامام مالك : ان بعض أهل المدينة المقيمين فيها يقفون عند قبره صلى الله عليه وسلم فيسلمون ويدعون من غير أن يكونوا يريدون السفر أو يكونوا قادمين منه . فقال مالك : انه لم يبلغه عن احد من العلماء من التابعين وغيرهم انه فعل ذلك أو رواه عن الصحابة . فعلم من هذه الرواية أن الوقوف عند قبره صلى الله عليه وسلم للسلام والدعاء قد حدث في عصر الامام مالك من بعض العوام المقيمين في المدينة ، وأنهم لقلتهم لم يرهم هو مع كثرة ملازمته لمسجده صلى الله عليه وسلم =

الفقه ببلدنا ، وتركه واسع ، ولا يصلح آخر هذه الأمة الا ما أصلح أولها ، ولم يبلغني عن أول هذه الأمة وصدرها أنهم كانوا يفعلون ذلك ، ويكره الا لمن جاء من سفر أو أراده ، وقد تقدم في ذلك من الآثار عن السلف والأئمة ما يوافق هذا ويؤيده ، من أنهم كانوا انما يستحبون عند قبره ما هو من جنس الدعاء له والتحية كالصلاة والسلام ، ويكرهون قصده للدعاء ، والوقوف عنده للدعاء ، ومن يرخص منهم في شيء من ذلك فانه انما يرخص فيما اذا سلم عليه ثم أراد الدعاء أن يدعو مستقبل القبلة اما مستدبر القبر واما منحرفا عنه ، وهو أن يستقبل القبلة ويدعو ، ولا يدعو مستقبل القبر .

وهكذا المنقول عن سائر الأئمة ، ليس في أئمة المسلمين من استحب للمرء أن يستقبل قبر النبي صلى الله عليه وسلم ويدعو عنده ، وهذا الذي ذكرناه عن مالك والسلف يبين حقيقة الحكاية المأثورة عنه ، وهى الحكاية التي ذكرها القاضي عياض عن محمد بن حميد قال : ناظر أبو جعفر أمير المؤمنين مالكا في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له مالك : يا أمير المؤمنين لا ترفع صوتك في هذا المسجد ، فان الله أدب قوما فقال (لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي) الآية ، وذكر باقي الحكاية ثم قال : فهذه الحكاية على هذا الوجه اما أن تكون ضعيفة أو مغيرة ، واما أن تفسر بما يوافق مذهبه ، اذ قد يفهم منها ما هو خلاف مذهبه المعروف بنقل الثقات من أصحابه ، فانه لا يختلف مذهبه أنه لا يستقبل القبر عند الدعاء ، وقد نص على أنه لا يقف عند الدعاء مطلقا ، وذكر طائفة من أصحابه أنه يدنو من القبر ويسلم على النبي صلى الله عليه وسلم ثم يدعو مستقبل القبلة ويوليه ظهره ، وقيل لا يوليه ظهره ، فاتفقوا في استقبال القبلة وتنازعوا في تولية القبر ظهره وقت الدعاء .

ويشبه والله أعلم أن يكون مالك رحمه الله سئل عن استقبال القبر عند

= ولعلهم لم يكونوا يفعلونه أمامه لعلمهم بأنه ينكره عليهم . بل هو قد انكر على عبد الرحمن بن مهدي وهو من أقرانه عندما وضع رداءه في المسجد وصلى عليه . واحتج عليه بقوله صلى الله عليه وسلم ((من أحدث فيه حدثا أو آوي محدثا فعليه لعنة الله)) الخ الحديث . وهكذا تحدث البدع بفعل الجاهلين وسكوت العالمين حتى تحل محل السنن بل تنسخها . وكتبه محمد رشيد رضا .

السلام عليه وهو يسمى ذلك دعاء ، فانه قد كان من فقهاء العراق من يرى أنه عند السلام عليه يستقبل القبلة أيضا ، ومالك يرى استقبال القبر في هذه الحال كما تقدم ، وكما قال في رواية ابن وهب عنه : اذا سلم على النبي صلى الله عليه وسلم يقف ووجهه الى القبر لا الى القبلة ، ويدنو ويسلم ويدعو ولا يمس القبر بيده • وقد تقدم قوله : انه يصلي عليه ويدعو له • ومعلوم أن الصلاة عليه والدعاء له يوجب شفاعته للعبد يوم القيامة كما قال في الحديث الصحيح « اذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ، ثم صلوا علي ، فانه من صلى علي مرة صلى الله عليه عشرا ، ثم سلوا الله لي الوسيلة فانها درجة في الجنة لا تنبغي الا لعبد من عباد الله ، وأرجو أن أكون ذلك العبد • فمن سأل لي الوسيلة حلت عليه شفاعتي يوم القيامة » فقول مالك في هذه الحكاية ـ ان كان ثابتا عنه ـ معناه أنك اذا استقبلته وصليت عليه وسلمت عليه وسألت الله له الوسيلة يشفع فيك يوم القيامة ، فان الأمم يوم القيامة يتوسلون الى الله بشفاعته ، واستشفاع العبد به في الدنيا هو بفعل ما يشفع به له يوم القيامة كسؤال الله تعالى له الوسيلة ونحو ذلك •

وكذلك ما نقل عنه من رواية ابن وهب اذا سلم على النبي صلى الله عليه وسلم ودعا يقف ووجهه الى القبر ، لا الى القبلة ويدعو ويسلم ـ يعني دعاءه للنبي صلى الله عليه وسلم وصاحبيه ـ فهذا هو الدعاء المشروع هناك ، كالدعاء عند زيارة قبور سائر المؤمنين وهو الدعاء لهم ، فانه أحق الناس أن يصلى عليه ويسلم عليه ويدعى له ، بأبي هو وأمي صلى الله عليه وسلم • وبهذا تتفق أقوال مالك ، ويفرق بين الدعاء الذي أحبه ، والدعاء الذي كرهه ، وذكر أنه بدعة • اهـ •

فان قلت : قد روي عن بريدة قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمهم اذا خرجوا الى المقابر « السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين ، وانا ان شاء الله بكم للاحقون ، نسأل الله لنا ولكم العافية » رواه مسلم والنسائي وابن ماجه ، وعن عائشة رضي الله عنها قالت : فقدته ـ تعني النبي صلى الله عليه وسلم ـ فاذا هو بالبقيع ، فقال « السلام عليكم دار قوم مؤمنين ، أنتم لنا فرط وانا بكم لاحقون • اللهم لا تحرمنا أجرهم ولا تفتنا بعدهم » •

وعن ابن عباس قال : مر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقبور المدينة ،

فأقبل عليهم بوجهه فقال « السلام عليكم يا أهل القبور ، ويغفر الله لنا ولكم ، أنتم سلفنا ونحن بالأثر » . ففي تلك الأحاديث الدعاء لنفسه بالعافية ، وعدم حرمان الأجر ، وعدم الفتن ، وبالمغفرة .

قلت : المقصود من الدعاء الذي ينهى عنه عند القبر هو الدعاء الذي يقصد زيارة القبر لأجله ويظن أن الدعاء عند القبر مستجاب وأنه أفضل من الدعاء في المسجد فيقصد زيارته لأجل طلب حوائجه ، وأما الدعاء لنفسه عند القبر بالعافية وعدم حرمان الأجر ، وعدم الفتنة ، تبعا للدعاء لأصحاب القبور ، والترحم عليهم والاستغفار لهم فلا ينهى عنه أحد من المسلمين . ألا ترى أن شيخ الاسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم من أشدهم منعا للدعاء عند القبور ، وهما يجوزان هذا الدعاء التبعي ، بل يجعلان الزيارة المشتملة عليه زيارة سنية ، وزيارة أهل الايمان .

قال شيخ الاسلام ابن تيمية في بعض مناسكه : (باب زيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم) اذا أشرف على مدينة النبي صلى الله عليه وسلم قبل الحج أو بعده فليقل ما تقدم ، فاذا دخل استحب له أن يغتسل ، نص عليه الامام أحمد ، فاذا دخل المسجد بدأ برجله اليمنى وقال : بسم الله ، والصلاة على رسول الله . اللهم اغفر لي ذنوبي ، وافتح لي أبواب رحمتك . ثم يأتي الروضة بين القبر والمنبر فيصلي بها ويدعو بما شاء ، ثم يأتي قبر النبي صلى الله عليه وسلم فيستقبل جدار القبر ، ولا يمسه ولا يقبله ، ويجعل القنديل الذي في القبلة عند القبر على رأسه ليكون قائما وجاه النبي صلى الله عليه وسلم ، ويقف متباعدا كما يقف لو ظهر في حياته بخشوع وسكون منكس الرأس غاض الطرف مستحضرا بقلبه جلالة موقفه ، ثم يقول : السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته ، السلام عليك يا نبي الله وخيرته من خلقه ، السلام عليك يا سيد المرسلين وخاتم النبيين وقائد الغر المحجلين ، أشهد أن لا اله الا الله ، وأشهد أنك رسول الله ، أشهد أنك قد بلغت رسالات ربك ، ونصحت لأمتك ، ودعوت الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة ، وعبدت الله حتى أتاك اليقين . فجزاك الله أفضل ما جزى نبيا ورسولا عن أمته . اللهم آته الوسيلة والفضيلة وابعثه مقاما محمودا الذي وعدته ، ليغبطه به الأولون والآخرون . اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم انك

حميد مجيد . اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل ابراهيم انك حميد مجيد . اللهم احشرنا في زمرته ، وتوفنا على سنته ، وأوردنا حوضه ، واسقنا بكأسه شرابا رويا لا نظمأ بعده ابدا . ا هـ [1] .

وقال في (الجواب الباهر ، لمن سأل من ولاة الأمر عما أفتى به في زيارة المقابر [2]) : بل قد ذكرت في غير موضع استحباب زيارة القبور كما كان النبي صلى الله عليه وسلم يزور أهل البقيع وشهداء أحد ، ويعلم أصحابه اذا زاروا القبور أن يقول قائلهم : السلام عليكم أهل الديار من المسلمين ، وانا ان شاء الله بكم لاحقون ، ويرحم الله المستقدمين منا ومنكم والمستأجرين،ونسأل الله لناولكم العافية . اللهم لا تحرمنا أجرهم ولا تفتنا بعدهم ، وأغفر لنا ولهم . واذا كانت زيارة قبور عموم المؤمنين مشروعة فزيارة قبور الأنبياء والصالحين أولى . ا هـ .

وقال في منسك صنفه في أواخر عمره : وزيارة القبور على وجهين : زيارة شرعية ، وزيارة بدعية ، فالشرعية المقصود بها السلام على الميت كما يقصد بالصلاة على جنازته ، فزيارته بعد موته من جنس الصلاة عليه ، فالسنة فيها أن يسلم على الميت ويدعى له سواء كان نبيا أو غير نبي ، كما كان النبي صلى الله عليه وسلم يأمر الصحابة اذا زاروا القبور أن يقول أحدهم « السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين ، وانا ان شاء الله بكم لاحقون ، ويرحم الله المستقدمين منكم والمستأخرين ، نسأل الله لنا ولكم العافية . اللهم لا تحرمنا أجرهم ، ولا تفتنا بعدهم ، وأغفر لنا ولهم » وهكذا يقول اذا زار أهل البقيع ومن به من الصحابة وغيرهم ، أو زار شهداء أحد وغيرهم . الى أن قال :

وأما الزيارة البدعية ، فهي أن يكون مقصود الزائر أن يطلب حوائجه من ذلك الميت ، أو يقصد الدعاء عند قبره ، أو يقصد الدعاء به ، فهذا ليس من سنة النبي صلى الله عليه وسلم ، ولا استحبه أحد من سلف الأمة ، بل هو من البدع المنهي عنها باتفاق سلف الأمة وأئمتها . ا هـ .

---

(١) هذا الفصل قد ذكره المصنف في أول الكتاب ، وهو كثير التكرار .

(٢) وقد طبع هذا الكتاب النفيس لأول مرة فى المطبعة السلفية هذا العام ١٣٧٨ هـ .

وقال ابن القيم في (زاد المعاد) كان اذا زار قبور أصحابه يزورها للدعاء لهم والترحم عليهم والاستغفار لهم ، وهذه هي الزيارة التي سنها لأمته وشرعها لهم ، وأمرهم أن يقولوا اذا زاروها « السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين ، وانا ان شاء الله بكم لاحقون ، نسأل الله لنا ولكم العافية » • اهـ •

وفي (تبعيد الشيطان بتقريب اغاثة اللهفان) : فاسمع الآن زيارة أهل الايمان التي شرعها الله ووازن بينها وبين زيارة أهل الشرك التي شرعها لهم الشيطان ، واختر لنفسك ، قالت عائشة : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا كان ليلتي منه يخرج من آخر الليل الى البقيع فيقول « السلام عليكم ديار قوم مؤمنين ، وأتاكم ما توعدون ، غدا مؤجلون ، وانا ان شاء الله بكم للاحقون ، اللهم اغفر لأهل بقيع الغرقد » • رواه مسلم •

وعنها أيضا أن جبريل أتاه فقال : ان ربك يأمرك أن تأتي أهل البقيع فتستغفر لهم • قالت : قالت كيف أقول يا رسول الله ؟ قال « قولي : السلام على أهل الديار من المؤمنين والمسلمين ، ويرحم الله المستقدمين منكم والمستأخرين ، وانا ان شاء الله بكم للاحقون » • وفي حديث ابن بريدة عن أبيه : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمهم اذا خرجوا الى المقابر أن يقولوا « السلام على أهل الديار » وفي لفظ « السلام عليكم أهل الديار » الحديث • اهـ• قلت : حديث بريدة قد تقدم بتمامه ، وفيه « نسأل الله لنا ولكم العافية » وكيف يمنع أحد من الدعاء لنفسه تبعا للدعاء لأصحاب القبور وهو ثابت في الأحاديث الصحيحة ، قال في الصارم : فان الدعاء عند القبر لا يكره مطلقا بل يؤمر به كما جاءت به السنة فيما تقدم ضمنا وتبعا ، وانما المكروه أن يتحرى المجيء الى القبر للدعاء عنده • اهـ •

وقد ثبت في الحديث الصحيح أن الداعي اذا قصد الدعاء لغيره يبدأ بنفسه • عن أبي بن كعب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا ذكر أحدا فدعا له بدأ بنفسه • رواه الترمذي وقال : هذا حديث حسن غريب صحيح • ومن ثم ورد في التشهد « السلام علينا » ، قال الحافظ في الفتح : استدل به على استحباب البداءة بالنفس في الدعاء • اهـ •

فالمقصود بالذات الدعاء للميت ، وأما الدعاء لنفسه فانما هو لأجل أن الداعي اذا قصد الدعاء يبدأ بنفسه ، فهو مقصود بالعرض •

قوله : وأما ما نقل عن الامام أبي حنيفة رحمه الله أن استقبال القبلة أفضل فهذا النقل غير صحيح ، فقد روى الامام أبو حنيفة نفسه في مسنده عن ابن عمر رضى الله عنهما أنه قال : من السنة استقبال القبر المكرم وجعل الظهر للقبلة •

أقول : في هذا الباب عن الامام أبي حنيفة رحمه الله روايتان • قال ابن حجر المكي في (الجوهر المنظم) : ما ذكرنا من أن الأفضل استدبار القبلة ، واستقبال الوجه الشريف ، هو مذهبنا ومذهب جمهور العلماء ، وقال آخرون الأفضل استقبال الكعبة ، ونقل عن أبي حنيفة ، لكن نقل عنه موافقة الأول • ا هـ •

وأما ادعاء عدم صحة الرواية الأولى مستدلا بما روى الأمام أبو حنيفة رحمه الله نفسه في مسنده ، ففيه أن رواية المسند مما لا يعبأ به ولا يعتمد عليه ، فان في رواتها من هو مجهول ومجروح ومن يتهم بالكذب ، ألا ترى أن من أشهر مسانيد أبي حنيفة مسند أبي محمد عبد الله بن محمد بن يعقوب الحارثي ، الذي رواه حسن بن زياد اللؤلؤي ، فعبد الله هذا جامعه متهم بوضع الحديث •

قال الذهبي في الميزان : عبد الله بن محمد بن يعقوب الحارثي البخاري الفقيه عرف بالأستاذ أكثر عنه أبو عبدالله بن منده وله تصانيف ، قال ابن الجوزي : قال أبو سعيد الروسي يتهم بوضع الحديث • وقال أحمد السليماني : كان يضع هذا الاسناد على هذا المتن وهذا المتن على هذا الاسناد ، وهذا ضرب من الوضع • وقال حمزة السهمي : سألت أبا زرعة أحمد بن الحسين الرازي عنه فقال : ضعيف ، وقال الحاكم : هو صاحب عجائب عن الثقات • وقال الخطيب : لا يحتج به • وقال الخليلي : يعرف بالأستاذ ، له معرفة بهذا الشأن ، وهو لين ضعفوه • حدثنا عنه الملاحمي وأحمد بن محمد البصير بعجائب • قلت يروى عن عبيد الله بن واصل ومحمد بن علي الصائغ وعبد الصمد بن الفضل البلخي ، وسماعاته في سنة ثمانين ومائتين قبلها وبعدها ، مات سنة أربعين وثلاثمائة عن احدى وثمانين سنة ، وقد جمع مسندا لأبي حنيفة • ا هـ •

والحسن بن زياد اللؤلؤي راويه كذاب . قال الذهبي في الميزان : الحسن بن زياد اللؤلؤي الكوفي عن ابن جريج وغيره وتفقه على أبي حنيفة . روى أحمد بن أبي مريم وعباس الدوري عن يحيى بن معين : كذاب . وقال محمد بن عبد الله بن نمير : يكذب على ابن جريج . وكذا كذبه أبو داود فقال : كذاب غير ثقة . وقال ابن المديني : لا يكتب حديثه . وقال أبو حاتم : ليس بثقة ولا مأمون . وقال الدارقطني : ضعيف متروك . وقال محمد بن حميد الرازي : ما رأيت أسوأ صلاة منه .

البويطي : سمعت الشافعي يقول : قال لي الفضل بن الربيع : أنا اشتهي مناظرتك واللؤلؤي ، فقلت : ليس هناك . فقال : أنا أشتهي ذلك . قال فأحضرنا وأتينا بطعام فأكلنا ، فقال رجل معي له : ما تقول في رجل قذف محصنة في الصلاة ؟ قال : بطلت صلاته قال : وطهارته ؟ قال : بحالها . فقال له : قذف المحصنات أشد من الضحك في الصلاة [1] ؟ قال : فأخذ اللؤلؤي نعليه وقام ، فقلت للفضل : قد قلت لك انه ليس هناك . وقال محمد بن رافع النيسابوري : كان الحسن بن زياد يرفع رأسه قبل الامام ويسجد قبله . مات سنة ٢٠٤ وكان رأسا في الفقة . ا هـ .

سيما رواية هذا الأثر [2] فقد أخرجه طلحة بن محمد في مسنده عن صالح بن أحمد كذا في (وفاء الوفاء) وطلحة مخرجه ضعيف ، قال الذهبي في الميزان : قال ابن أبي الفوارس وغيره : كان يدعو الى الاعتزال ، وضعفه الأزهري . ا هـ . وصالح بن أحمد كذاب دجال ، قال الذهبي : صالح بن أحمد بن أبي مقاتل عن يعقوب الدورقي ويوسف بن موسى القطان وغيرهما ويعرف بالقيراطي البزاز ، قال الدارقطني : متروك كذاب دجال ، أدركناه ولم نكتب عنه ، يحدث بما لم

(١) يعني الشافعي أن أبا حنيفة يقول بأن الضحك فى الصلاة يبطل الوضوء ، فكيف لا يبطله قذف المحصنات وهو أشد اثما ؟ وقوله للفضل أولا وآخرا : انه ليس هناك ، معناه أنه ليس أهلا للمناظرة . وكتبه محمد رشيد رضا .

(٢) قوله « سيما رواية هذا الأثر الخ » الظاهر أنه من كلام المصنف ، وأنه تتمة لقوله في عبدالله الحارثي « متهم بوضع الحديث » وما بينهما اعتراض ، أى ولا سيما هذا الأثر عن ابن عمر فهو أجدرها بالوضع . وهذا القدر من تقطيع الكلام والاعتراض بين المستثنى والمستثنى منه وما فى معناه من ضعف التأليف . وكتبه محمد رشيد رضا .

يسمع • وقال ابن عدي : كان يسرق الحديث ، واسم جده يونس • وقال البرقاني : ذاهب الحديث ، قال عبد الله الأستاذ فيما جمع من مسند أبي حنيفة : كتب الي صالح حدثنا الخضر بن ابان الهاشمي حدثنا مصعب بن المقدام حدثنا زفر حدثنا أبو حنيفة عن عطاء عن عائشة قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « بئس البيت الحمام بيت لا يستر ، وماء لا يطهر » فهذا من اختلاق صالح • اهـ •

على أنه لو سلم صحة اسناد هذا الأثر الى الامام فلا يلزم منه أن يكون ما يثبت منه هو مذهب الامام ، فغير واحد من الأئمة يروون الأحاديث ويكون مذهبهم بخلافها لوجوه ذكرت في علم الأصول • وهذا بين لا يتأتى جحوده من أحد من أهل العلم ، على أن الامام أبا حنيفة لا يحتج بالآثار في غير واحد من المسائل ، فلتكن هذه المسألة أيضا منها •

وبالجملة فرواية الامام هذا الأثر في مسنده لا يصلح على أن نقل استقبال القبلة عند الزيارة عن الامام رحمه الله غير صحيح ، كما زعم صاحب الرسالة • ولننقل هناك بعض عبارات الحنفية ليعلم أن استقبال القبلة عند السلام هو المشهور بينهم • قال الطحاوي في حاشية الدر المختار : ثم ينهض فيتوجه الى قبره عليه الصلاة والسلام فيقف عند رأسه مستقبل القبلة ، يدنو منه قدر ثلاثة أذرع أو أربعة ولا يدنو أكثر من ذلك • اهـ • وفي الهندية نقلا عن (الاختيار في شرح المختار) : ثم ينهض فيتوجه الى قبره صلى الله عليه وسلم عند رأسه مستقبل القبلة ، ثم يدنو منه ثلاثة أذرع أو أربعة ، ولا يدنو منه أكثر من ذلك • اهـ •

وقال السيد محمود أفندي شهاب الدين ، مفتي الحنفية ببغداد ، المفسر الشهير بالألوسي في تفسيره : واختلف الأئمة في استقباله عليه السلام ، ففي مذهب أبي حنيفة رحمه الله أنه لايستقبل بل يستدبر ، ويستقبل القبلة ، وقال بعضهم : يستقبل وقت السلام ، ويستقبل القبلة ويستدبره وقت الدعاء • والصحيح المعول عليه أنه يستقبل وقت السلام ، وعند الدعاء يستقبل القبلة أهـ • وعن أبي الليث رحمه الله يقف مستقبل القبلة • وكذلك نقل عن الكرماني وغيره • وما قال السيد محمود من أن الصحيح المعول عليه أنه يستقبل وقت السلام ، وعند الدعاء يستقبل القبلة مردود بما قال ابن جماعة في منسكه من أن الذي صححه الحنفية أنه يستقبل القبلة عند السلام عليه والدعاء له • أهـ •

قوله : وسبق ابن الهمام في النص على ذلك العلامة ابن جماعة ، فانه نقل استحباب استقبال القبر عن الامام أبي حنيفة رحمه الله ، ورد على الكرماني في أنه يستقبل القبلة فقال : انه ليس بشيء .

أقول : راجعت منسك ابن جماعة فلم أجد فيه أثرا من هذا النقل والرد ، وانما فيه في ذلك الباب ما نقلته آنفا ، فلعل هذا من أكاذيب صاحب الرسالة ، والنسخة التي راجعتها صحيحة قديمة كتب في آخرها ما نصه : وكمل نسخ هذه النسخة في العاشر من شهر رمضان المعظم قدره سنة ست وأربعين وسبعمائة أحسن الله نقصها في خير وعافية وكاتبها محمد بن عيسى البزاوي . أهـ .

قوله : ويستدل لاستقبال القبر أيضا بأنا متفقون على أنه صلى الله عليه وسلم حي في قبره يعلم بزائره ، وهو صلى الله عليه وسلم لما كان في الدنيا لم يسع زائره الا استقباله واستدبار القبلة ، فكذا يكون الأمر حين زيارته في قبره الشريف صلى الله عليه وسلم .

أقول للامام على الرواية الأولى أن يقول : ان حياته في القبر برزخية ،ومساواة الحياة البرزخية للحياة الدنيوية في جميع الأحكام غير مسلمة ، ومن يدعي فعليه الاثبات .

قوله : واذا اتفقنا في المدرس من العلماء بالمسجد الحرام المستقبل للقبلة أن الطلبة يستقبلونه ويستدبرون الكعبة فما بالك به صلى الله عليه وسلم فهذا أولى بذلك قطعا .

أقول : للامام أن يقول : هذا قياس مع الفارق ، فان حياته صلى الله عليه وسلم برزخية ، وحياة ذلك المدرس حياة دنيوية ، وأين هذه من تلك ؟ .

قوله : وقد تقدم قول الامام مالك للخليفة المنصور : ولم تصرف وجهك عنه ؟.
أقول : قد تقدم الكلام عليه وتأويله ، فتذكر .

قوله : قال العلامة الزرقاني في شرح المواهب : كتب المالكية طافحة باستحباب الدعاء عند القبر ، مستقبلا له مستدبرا للقبلة .

أقول : قد عرفت فيما تقدم أن الامام مالكا قال في رواية ابن وهب : اذا سلم على النبي صلى الله عليه وسلم ودعا يقف ووجهه الى القبر لا الى القبلة ، فقوله في هذه الرواية : اذا سلم ودعا قد يريد بالدعاء الدعاء للنبي صلى الله عليه وسلم ، كالدعاء عند زيارة قبور سائر المؤمنين ، وهو الدعاء لهم قصدا وبالذات ، ولنفسه تبعا وبالعرض ، وهذا لاينكره أحد من المسلمين كما تقدم ، فان كان مراد المالكية هذا الدعاء فهو حق لانزاع لأحد فيه ، وان كان مرادهم الدعاء الذي تقصد زيارة القبر لأجله ، ويظن أن الدعاء عند القبر مستجاب ، وأنه أفضل من الدعاء في المسجد، فيقصد زيارته لطلب حوائجه ، فهذا مخالف لما روي عن امامهم بسند صحيح أنه قال : لا أرى أن يقف عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم يدعو ، ولكن يسلم ويمضي • ذكره اسماعيل بن اسحاق في المبسوط ، والقاضي عياض وغيرهم ، وقول مالك للخليفة المنصور عند المناظرة لا يصلح معارضا لهذا المروي ، فان سنده واه جدا كما تقدم •

قوله : ثم نقل عن مذهب الامام أبي حنيفة والشافعي والجمهور مثل ذلك •

أقول : يعارض هذا النقل ما نقله شيخ الاسلام ابن تيمية عن الأئمة الأربعة من أنهم اتفقوا على أنه اذا دعا لايستقبل قبره صلى الله عليه وسلم كما تقدم ، وقال الشيخ ابن القيم في الاغاثة : ولقد جرد السلف الصالح التوحيد وحموا جانبه ، كان أحدهم اذا سلم على النبي صلى الله عليه وسلم ثم أراد الدعاء استقبل القبلة وجعل ظهره الى جدار القبر ثم دعا • قال سلمة بن وردان : رأيت أنس بن مالك يسلم على النبي صلى الله عليه وسلم ثم يسند ظهره الى جدار القبر ثم يدعو • ونص على ذلك الأئمة الأربعة أنه يستقبل القبلة وقت الدعاء حتى لايدعو عند القبر ، فان الدعاء عبادة أهـ • وهذان الشيخان امامان في النقل ، كما صرح به علماء النقل •

وقال ابن حجر المكي مستند صاحب الرسالة في (الجوهر المنظم) : ماذكرناه من الاستقبال هنا في حالة الدعاء هو مذهبنا ومذهب جمهور العلماء ، ومشى عليه بعض المالكية ، مع كون مالك رحمه الله خالف في ذلك ، فرأى أن الأولى أن يكون في حال الدعاء أيضا مستقبلا للوجه الشريف ، وقد سأله الخليفة المنصور الخ •

قلت قد عرفت فيما تقدم أن هذه الحكاية عن مالك ضعيفة جدا ، وقد عارضها

ماروى عن الامام مالك بسند صحيح أنه قال : لا أرى أن يقف عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم يدعو ، ولكن يسلم ويمضي . فقد ثبت أن الامام مالكا موافق للجمهور في القول باستقبال القبلة في حالة الدعاء .

قوله : وأما ماذكره الألوسي في تفسيره من أن بعضهم نقل عن الامام أبي حنيفة رحمه الله أنه منع التوسل فهو نقل غير صحيح ، اذ لم ينقله عن الامام أحد من أهل مذهبه .

أقول : قال أبو الحسن القدوري في شرح كتاب الكرخي: قال بشر بن الوليد: سمعت أبا يوسف يقول قال أبو حنيفة : لاينبغي لأحد أن يدعو الله الا به ، وأكره أن يقول (أسألك بمعاقد العز من عرشك) وأن يقول بحق فلان ، وبحق أنبيائك ورسلك ، وبحق البيت الحرام .

قال أبو الحسن : أما المسألة بغير الله فمنكرة ، لأنه لاحق لغير الله عليه ، وانما الحق له على خلقه ، وأما قوله (بمعقد العز من عرشك) فكرهه أبو حنيفة ، ورخص فيه أبو يوسف ، كذا في (تبعيد الشيطان) . وقال ابن بلدجي في شرح المختار : ويكره أن يدعو الله الا به ، ولا يقول : أسألك بملائكتك أو بأنبيائك أو نحو ذلك ، لأنه لا حق للمخلوق على خالقه كذا في (تبعيد الشيطان) .

وقال نعمان خير الدين الحنفي (في جلاء العينين) : ونقل القدوري وغيره من الحنفية عن أبي يوسف أنه قال : قال أبو حنيفة رحمه الله لا ينبغي لأحد أن يدعو الله تعالى الا به . وذكر العلائي في شرح التنوير عن التتارخانية عن أبي حنيفة رحمه الله أنه قال : لاينبغي لأحد أن يدعو الله سبحانه وتعالى الا به . وفي جميع متونهم أن قول الداعي المتوسل بحق الأنبياء والأولياء وبحق البيت والمشعر الحرام مكروه كراهة تحريم ، وهي كالحرام في العقوبة بالنار عند محمد . أهـ ملخصا .

وأيضا قال فيه : فقد قال الشيخ أبو الحسين القدوري في الكتاب المسمى (بشرح الكرخي) المعروف به والمشهور عنه في (باب الكراهية) :

(فصل) قال بشر بن الوليد سمعت أبا يوسف يقول قال أبو حنيفة رحمه الله : لاينبغي لأحد أن يدعو الله تعالى الا به . وأكره أن يقول (بمعاقد العز من

عرشك) أو بحق خلقك • وأبو يوسف لم يكره الأول وقال اكره بحق فلان أو بحق أنبيائك ورسلك وبحق البيت والمشعر الحرام ،قال القدوري :المسألة بخلقه لاتجوز، لأنه لاحق للمخلوق على الخالق • وقال البلدجي في (شرح المختار) : ويكره أن يدعو الله تعالى الا به ، فلا يقول : أسألك بفلان أو بملائكتك أو بأنبيائك ونحو ذلك ، لأنه لاحق للمخلوق على الخالق • أهـ •

وقال في (الدر المختار) وفي التتارخانية معزيا للمنتقى عن أبي يوسف عن أبي حنيفة لاينبغي لأحد أن يدعو الله الا به ، والدعاء المأذون فيه ، المأمور به ، مااستفيد من قوله تعالى : (ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها) قال : وكذا لايصلي أحد على أحد الا على النبي صلى الله عليهوسلم وكره قوله: بحق رسلك وأنبيائك وأوليائك، أو بحق البيت ، لأنه لاحق للخلق على الخالق تعالى • أهـ •

وقال العلامة ابن عابدين في (رد المحتار على الدر المختار) : قوله (وكرهقوله بحق رسلك الخ) هذا لم يخالف فيه أبو يوسف ، بخلاف مسألة المتن السابقة كما أفاده الاتقاني أه • وقال تحت قوله (لأنه لاحق للخلق على الخالق) : ومجرد ايهام اللفظ ما لايجوز كاف في المنع كما قدمناه ، فلا يعارض خبر الآحاد ، فلذا والله أعلم أطلق أئمتنا المنع • أه •

فهؤلاء كلهم أهل مذهب أبي حنيفة رحمه الله ينقلون عن الامام منع التوسل ، والمنكر لذلك النقل جاهل بمذهب أبي حنيفة رحمه الله •

قوله : وفي المواهب اللدنية للامام القسطلاني : وقف اعرابي على قبره الشريف صلى الله عليه وسلم وقال : اللهم انك أمرت بعتق العبيد • وهذا حبيبك وأنا عبدك فاعتقني من النار على قبر حبيبك • فهتف به هاتف : ياهذا تسأل العتق لك وحدك ، هلا سألت العتق لجميع المؤمنين ؟ اذهب فقد أعتقتك •

أقول : فيه كلام من وجوه :

(الأول) أن هذه الحكاية ذكرها القسطلاني بغير سند فلا يعتمد عليها •

و (الثاني) أن هتف الهاتف ليس من الحجة الشرعية في شيء ، لاحتمال أن يكون ذلك الصوت من الشيطان •

و (الثالث) أن فعل الأعرابي وقوله ليس دليلا شرعيا ، حتى يحتج بها على مسألة من مسائل الشرع ٠

قوله : ثم قال في المواهب : عن الحسن البصري قال : وقف حاتم الأصم على قبره صلى الله عليه وسلم فقال : يارب انا زرنا قبر نبيك فلا تردنا خائبين ، فنودي: ياهذا ما أذنا لك في زيارة قبر حبيبنا الا وقد قبلناك ، فارجع أنت ومن معك من الزوار مغفورا لكم ٠

أقول : فيه أيضا كلام من وجوه :

(الأول) أن هذه الحكاية لم يذكر لها سند فلا يعبأ بها ٠

و (الثاني) أن قول حاتم الأصم ليس بحجة شرعية ٠

و (الثالث) أنه ليس في قول حاتم الا ذكر الزيارة والدعاء بتوسل الزيارة التي هي من الأعمال الصالحة ، وهما مما لايجحده أحد من المسلمين ٠

و (الرابع) أن النداء المذكور في هذه الحكاية مما لا اعتماد عليه ، لجواز أن يكون هذا النداء من الشيطان ، فلا بد لنفي هذا الاحتمال من برهان ٠

قوله : وقال ابن أبي فديك : سمعت بعض من أدركت من العلماء والصلحاء يقول : بلغنا أن من وقف عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم فتلا هذه الآية (ان الله وملائكته يصلون على النبي ، يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما) وقال : صلى الله عليك يا محمد ، حتى يقولها سبعين مرة ، ناداه ملك : صلى الله عليك يافلان ، ولم تسقط له حاجة ٠

أقول : فيه خلل من وجوه :

(الأول) أن هذه الرواية ليس لها سند فلا يعتمد عليها ٠

و (الثاني) أن من روى عنه ابن أبي فديك مبهم مجهول ٠

و (الثالث) أن هذا من بلاغات ذلك الرجل المبهم المجهول ، وبلاغات الأئمة الثقات العدول ليس بحجة ، فما ظنك بهذا ٠

و (الرابع) أن قوله (بلغنا) لايدرى أنه ممن بلغه ، أمن تبع تابعي أو من تابعي أو صحابي أو رسول الله صلى الله عليه وسلم ٠

و (الخامس) أن محمد بن اسماعيل بن أبي فديك وان كان صدوقا مشهورا وهو من المروى عنه في الكتب الستة ، لكن قال ابن سعد وحده : ليس بحجة كذا في الميزان .

قوله : وفي شرح المواهب للزرقاني أن الداعي اذا قال : اللهم اني أستشفع اليك بنبيك ، يانبي الرحمة اشفع لي عند ربك ، استجيب له .

أقول : قال الزرقاني تحت حكاية مناظرة أبي جعفر مالكا عند قول مالك (وهو وسيلتك ووسيلة أبيك آدم عليه السلام الى الله يوم القيامة) : اشارة الى حديث الشفاعة العظمى ، والى ما ورد أن الداعي اذا قال : اللهم اني استشفع اليك بنبيك ، يانبي الرحمة اشفع لي عند ربك استجيب له ، فهذا المذكور لم يذكر الزرقاني له سندا ، فعلى من يحتج به ذكر سنده وتوثيق رجاله ، ولعله أراد به حديث عثمان بن حنيف ، أن رجلا ضريرا أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : ادع الله : الحديث ، فان كان هذا فالكلام فيه ماتقدم تحت حديث عثمان بن حنيف رضي الله عنه ، فتذكر .

قوله : فقد اتضح لك من هذه النصوص المروية عن النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه وسلف الأمة وخلفها أن التوسل به صلى الله عليه وسلم وزيارته وطلب الشفاعة منه ثابتة عنهم قطعا بلا شك ولا مرية ، وأنها من أعظم القربات ، وأن التوسل به واقع قبل خلقه ، وبعد خلقه ، في حياته وبعد وفاته ، وسيكون التوسل به أيضا بعد البعث في عرصات القيامة .

أقول : ماذكر صاحب الرسالة بعضه غير ثابت ، وبعضه غير دال على المطلوب ، وبعضه مما لايجحد مدلوله ومقتضاه خصمه ، وهذا كله ظاهر مما تقدم ، فتذكر .

قوله : قال في المواهب : ورحم الله ابن جابر حيث قال :

به قد أجاب الله آدم اذ دعا ... ونجى من بطن السفينة نوح
وما ضرت النار الخليل لنوره ... ومن أجله نال الفداء ذبيح

أقول : لايدرى ابن جابر من هو ، فعلى من يستدل به تعيينه وبيان سند هذين البيتين اليه حتى ينظر فيه .

قوله : وروى البيهقي عن أنس رضي الله عنه أن أعرابيا جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم يستسقي به وأنشد أبياتا أولها :

أتينــــاك والعذراء يدمى لبانهــا وقــد شــغلت أم الصبي عن الطفل

الى أن قال :

وليس لنــا الا اليــك فرارنــا وأنى فرار الخـلق الا الى الرســـل

فلم ينكر عليه صلى الله عليه وسلم هذا البيت ، بل قال أنس : لما أنشـــد الأعرابي الأبيات ، قام صلى الله عليه وسلم يجر رداءه حتى رقى المنبر ، فخطب ودعا لهم ، فلم يزل يدعو حتى أمطرت السماء •

أقول : فيه كلام من وجهين :

(الأول) أن في سنده مسلما الملائي وهو واه جدا • قال الذهبي في الميزان : مسلم بن كيسان أبو عبدالله الضبي الكوفي الملائي الأعور عن أنس وعن ابراهيم النخعي وعنه الثوري وأبو وكيع الجراح بن مليح قال الفلاس : متروك الحديث • وقال أحمد : لايكتب حديثه • وقال يحيى ليس بثقة ، وقال البخاري : يتكلمون فيه • وقال يحيى أيضا : زعموا أنه اختلط • وقال النسائي وغيره : متروك •

أبو هشام الرفاعي حدثنا ابن فضيل حدثنا مسلم الملائي عن أنس : أهدت أم أيمن الى النبي صلى الله عليه وسلم طيرا مشويا فقال « اللهم ائتني بأحب خلقك اليك » فذكره • اهـ • ملخصا •

وقال الحـافظ في التقريب : مسلم بن كيسان الضبي الملائي البراد الأعور أبو عبد الله الكوفي ضعيف من الخامسة • اهـ • وفي الخلاصة قال عمرو بن علي : منكر الحديث ، وفي التهذيب : ضعفه البخاري والنسائي وابن معين وأبوحاتم • اهـ •

قلت : قد ثبت من عبارة الذهبي أن مسلما الملائي هذا يروي حديث الطير ، وهو موضوع عند غير واحد من المحدثين • قال العلامة عبد العزيز الدهلوي في (التحفة) ما معربه : ان هذا الحديث قال غير واحد من المحدثين : انه موضوع ، وممن صرح بوضعه الحافظ شمس الدين الجزري •

وقال امام أهل الحديث شمس الدين أبو عبدالله محمد بن أحمد الدمشقي الذهبي في تلخيصه : لقد كنت زمنا طويلا أظن أن حديث الطير لم يحسن بالحاكم أن يودعه في مستدركه ، فلما علقت هذا الكتاب رأيت القول به من الموضوعات التي فيه . وهكذا في (الصواعق الموبقة) للعلامة نصر الله الكابلي .

وقال ابن الجوزي في (العلل المتناهية) : قال ابن طاهر : حديث الطائر موضوع انما يجيء عن سقاط أهل الكوفة عن المشاهير والمجاهيل عن أنس وغيره، قال : ولا يخلو أمر الحاكم من أمرين : اما الجهل بالصحيح فلا يعتمد على قوله ، واما العلم به ويقول بخلافه ، فيكون معاندا كذابا وله وساوس . وقال الشيخ عبد الوهاب الشعراني في (اليواقيت والجواهر) : وهذا الحديث ذكره ابن الجوزي في الموضوعات ، وأفرد له الحافظ الذهبي جزءا وقال : ان طرقه كلها باطلة . اهـ .

قال العلامة الشوكاني في (الفوائد المجموعة) قال في المختصر : له طرق كلها ضعيفة . وقد ذكره ابن الجوزي في الموضوعات . وأما الحاكم فأخرجه في المستدرك وصححه ، واعترض عليه كثير من أهل العلم ، ومن أراد استيفاء البحث فلينظر ترجمة الحاكم في النبلاء . اهـ .

و (الثاني) أن ما ثبت منها هو التوسل بدعاء الأحياء ، وهذا مما لا ينكره أحد .

قوله : وفي صحيح البخاري أنه لما جاء الأعرابي وشكا للنبي صلى الله عليه وسلم القحط فدعا الله فانجابت السماء بالمطر قال صلى الله عليه وسلم « لو كان أبو طالب حيا لقرت عيناه ، من ينشدنا قوله » ؟ فقال علي رضى الله عنه : يارسول الله كأنك أردت قوله :

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ... ثمال اليتامى عصمة للأرامل

فتهلل وجه النبي صلى الله عليه وسلم ولم ينكر انشاد البيت ولا قوله « يستسقى الغمام بوجهه » ولو كان ذلك حراما أو شركا لأنكره ولم يطلب انشاده .

أقول : ليس في صحيح البخاري هذه الرواية ، انما ورد فيه من حديث أنس أنه قال : جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : هلكت المواشي وتقطعت السبل فدعا ، فمطرنا من الجمعة الى الجمعة ، ثم جاء فقال : تهدمت البيوت وتقطعت السبل وهلكت المواشي فادع الله يمسكها ، فقال « اللهم على الآكام والظراب والأودية ومنابت الشجر » ، فانجابت عن المدينة انجياب الثوب . وقد روى البخاري حديث أنس هذا من طرق وليس في واحدة منها قال صلى الله عليه وسلم « لو كان أبو طالب حيا لقرت عيناه ، من ينشدنا قوله » ؟ فقال علي رضى الله عنه : يا رسول الله ، كأنك أردت قوله :

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمة للأرامل

فتهلل وجه النبي صلى الله عليه وسلم . اهـ .

وكذلك قد روى فيه من حديث عبد الرحمن بن عبد الله بن دينار عن أبيه قال : سمعت ابن عمر يتمثل بشعر أبي طالب :

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمة للأرامل

ومن حديث سالم عن أبيه ربما ذكرت قول الشاعر وأنا أنظر الى وجه النبي صلى الله عليه وسلم يستسقى ، فما ينزل حتى يجيش كل ميزاب :

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمة للأرامل

وهو قول أبي طالب . نعم قد ورد ما عزاه الى البخاري فيما أخرجه البيهقي في الدلائل من رواية مسلم الملائي عن أنس قال : جاء رجل أعرابي الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله أتيناك وما لنا بعير يئط ، ولا صبي يغط . ثم أنشده شعرا يقول فيه :

وليس لنا الا اليك فرارنا وأين فرار الناس الا الى الرسل ؟

فقام يجر رداءه حتى صعد المنبر فقال « اللهم اسقنا » الحديث . وفيه : ثم قال صلى الله عليه وسلم « لو كان أبو طالب حيا لقرت عيناه ، من ينشدنا قوله » فقام علي فقال : يا رسول الله كأنك أردت قوله :

* وأبيض يستسقى الغمام بوجهه * الأبيات

قاله الحافظ في الفتح ، وكذا قال القسطلاني في المواهب ، وقد عرفت فيما تقدم أن في سنده مسلما الملائي وهو متروك يروي الموضوع ، فالصواب حينئذ ذكر قوله قال صلى الله عليه وسلم « لو كان أبو طالب » الخ في رواية البيهقي ، لا في رواية البخاري ٠

فانظر الى تحريف صاحب الرسالة ما أشنعه وما أقبحه ، أعاذنا الله من أمثال هـذا الصنيع ٠

على أن في عبارة ما عزاه الى البخاري من الركاكة ما يدل دلالة واضحة على أنه ليس من كلام أفصح العرب :

(الأول) أن كلمة « لمـا » لا يدخل في جوابها في أمثال هذه المواضيع لفظة الفاء ٠

و (الثاني) أن لفظ شكا متعد بالى لا باللام ، قال تعالى (انما أشكو بثي وحزني الى الله) وفي رواية اسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة عن أنس بن مالك عند البخاري أن رجلا شكا الى النبي صلى الله عليه وسلم هلك المـال وجهد العيال ٠ وعن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اشتكت النار الى ربها » متفق عليه ، وعن خباب قال : أتينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فشكونا اليه حر الرمضاء فلم يشكنا ٠ رواه مسلم ، وعن عائشة رضى الله عنها عند البخاري في كتاب التيمم : فشكوا ذلك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله آية التيمم ٠ وقد جاء تعـدية شكا بالى في غير واحـد من الأحاديث الصحيحة ، وقال في القاموس : شكا أمره الى الله ٠

و (الثالث) أن قوله « فانجابت السماء بالمطر » لا معنى له ، فان « انجابت » بمعنى انكشفت ، في الصحاح : انجابت السحابة انكشفت ، وفي المصباح : انجاب السحاب انكشف ٠ وانكشاف السماء بالمطر لا محصل له ٠

و (الرابع) أن الانجياب يدل على انقطاع المطر كما في حديث « فانجابت عن المدينة انجياب الثوب » وانقطاع السحاب بعد دعاء السقي يدل على عدم اجابة

دعاء النبي صلى الله عليه وسلم ، وهذا باطل بالبداهة ، بدليل أن الروايات كلها دالة على أن دعاء الرسول صلى الله عليه وسلم في هذه الواقعة قد أجيب بلا مرية ٠

و (الخامس) أن انقطاع السحاب قبل ظهوره محال ٠

و (السادس) أن صلة الانجياب « بعن » كما في حديث أنس لا بالباء ٠

وبالجملة فصدر ما عزاه الى البخاري أعني قوله : لما جاء الأعرابي وشكا للنبي صلى الله عليه وسلم ٠ الى قوله : بالمطر ٠ ليس في البخاري ، ولا في البيهقي، ولا في غيره من الكتب الحديثية فيما أعلم ، فاذا انما هو من اختلاق مؤلف الرسالة ٠

قوله :و لم ينكر انشاد البيت ، ولا قوله يستسقى الغمام بوجهه ٠

أقول : فيه كلام من وجهين :

(الأول) أن اللفظ الذي يستدل به على جواز التوسل ليس في صحيح البخاري ، انما هو في رواية البيهقي ، وهي ضعيفة جدا كما تقدم ٠

و (الثاني) أن الثابت به انما هو التوسل بالأحياء ، ولا ينكره أحد ، وانما يمنع من يمنع التوسل بالأموات ، فان قلت : لفظ « يستسقى الغمام بوجهه » يدل على أن التوسل بالذوات الفاضلة جائز ، قلت : المكروه من التوسل هو أن يقال أسألك بحق فلان ، أو بحرمة فلان ، وأما احضار الصالحين في مقام الاستسقاء وطلب الدعاء منهم فهو ليس من المكروه في شيء بل هو ثابت بالسنة الصحيحة ، وليس في حديث البيهقي الا التوسل بدعائه صلى الله عليه وسلم ٠ وكذا التوسل الذي يشير اليه أبو طالب انما كان باحضار النبي صلى الله عليه وسلم في مقام الاستسقاء أو بدعائه ، ففيه احتمالان :

(الأول) أنه أشار الى ما وقع في زمن عبد المطلب ، روى الخطابي حديثا فيه أن قريشا تتابعت عليهم سنو جدب في حياة عبد المطلب ، فارتقى هو ومن حضره من قريش أبا قبيس ، فقام عبد المطلب واعتضد النبي صلى الله عليه وسلم فرفعه على عاتقه ــ وهو يومئذ غلام قد أيفع أو قرب ــ فدعا فسقوا في الحال ، فقد شاهد أبو طالب ما دله على ما قال ٠

و (الثاني) أنه أشار الى ما وقع في زمنه ، فقد أخرج ابن عساكر عن حليمة[1] قدمت مكة وقريش في قحط ، فقائل منهم يقول : اعمدوا اللات والعزى ، وقائل منهم : اعمدوا مناة الثالثة الأخرى . فقال شيخ وسيم حسن الوجه جيد الرأي : أنى تؤفكون وفيكم باقية ابراهيم ، وسلالة اسماعيل ، قالوا : كأنك عنيت أباطالب، قال : ايها . فقاموا بأجمعهم فقمت فدققنا عليه الباب فخرج الينا ، فثاروا اليه فقالوا: يا أبا طالب أقحط الوادي ، وأجدب العيال وأنت فيهم ، أما تستسقي ؟ فخرج أبو طالب ومعه غلام كأنه شمس دجى ، تجلت عنه سحابة قتماء ، وحوله أغيلمة ، فأخذه أبو طالب فألصق ظهره بالكعبة ، ولاذ الغلام باصبعه ، وما في السماء قزعة ، فأقبل السحاب من ههنا ومن ههنا ، وأغدق السحاب واغدودق ، وانفجر له الوادي ، وأخصب النادي والبادي ، وفي ذلك يقول أبو طالب :

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه

واذا كان حضور الصحابة والتابعين وتبع التابعين والضعفاء سببا للنصر والفتح ، فما ظنك بحضور سيد ولد آدم صلى الله عليه وسلم .

روي عن ابي سعيد الخدري قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يأتي على الناس زمان فيغزو فئام من الناس فيقولون : هل فيكم من صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فيقولون نعم ، فيفتح لهم . ثم يأتي على الناس زمان فيغزو فئام من الناس فيقال : هل فيكم من صاحب أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فيقولون نعم ، فيفتح لهم . ثم يأتي على الناس زمان فيغزو فئام من الناس فيقال : هل فيكم من صاحب أصحاب أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فيقولون نعم ، فيفتح لهم » متفق عليه .

وعن مصعب بن سعد قال : رأى سعد أن له فضلا على من دونه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « هل تنصرون وترزقون الا بضعفائكم » رواه البخاري. وعن أبي الدرداء عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « ابغوني في ضعفائكم ، فانما

(1) كذا في الأصل ، وفي الخصائص الكبرى « عن جلهمة بن عرفطة » . وفي الرواية أغلاط أخرى صححناها . وكتبه محمد رشيد رضا .

ترزقون أو تنصرون بضعفائكم » رواه أبو داود • وعن أمية بن خالد بن عبد الله ابن أسيد عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يستفتح بصعاليك المهاجرين ، رواه في شرح السنة • وعن أبي هريرة قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « خرج نبي من الأنبياء بالناس ، فاذا هو بنملة رافعة بعض قوائمها الى السماء ، فقال : ارجعوا فقد استجيب لكم من أجل هذه النملة » رواه الدارقطني •

فالمراد بوجهه في قول أبي طالب « يستسقى الغمام بوجهه » ببركة حضور ذاته أو بدعائه ، لا أن يقال أسألك بحق النبي صلى الله عليه وسلم أو بحرمته • وما أشبه هذا القول بقول أسقف النصارى ، المذكور في البيضاوي وغيره من التفاسير ، تحت آية المباهلة ، حيث ذكروا فقال أسقفهم : يا معشر النصارى اني لأرى وجوها لو تسأل الله أن يزيل جبلا من مكانه لأزاله ، فلا تباهلوا •

قوله : وكان سبب انشاد أبي طالب هذا البيت من جملة قصيدة مدح بها النبي صلى الله عليه وسلم أن قريشا في الجاهلية أصابهم قحط فاستسقى لهم أبو طالب وتوسل بالنبي صلى الله عليه وسلم •

أقول : هذا غلط واضح ، وخطأ فاضح ، فان سبب انشاده أن قريشا تمالأت على النبي صلى الله عليه وسلم ونفروا عنه من يريد الاسلام •

قال الحافظ في الفتح : وهذا البيت من أبيات في قصيدة لأبي طالب ذكرها ابن اسحاق في السيرة بطولها ، وهي أكثر من ثمانين بيتا ، قالها لما تمالأت قريش على النبي صلى الله عليه وسلم ونفروا عنه من يريد الاسلام ، أولها :

ولما رأيت القوم لا ود فيهم وقد قطعوا كل العرى والوسائل
وقد جاهرونا بالعداوة والأذى وقد طاوعوا أمر العدو المزايل

يقول فيها :

أعبد مناف أنتم خير قومكم فلا تشركوا في أمركم كل واغل
فقد خفت ان لم يصلح الله أمركم تكونوا كما كانت أحاديث وائل

وأيضا قال في الفتح : وذكر ابن التين أن في شعر أبي طالب هذا دلالة على أنه كان يعرف نبوة النبي صلى الله عليه وسلم قبل أن يبعث ، لما أخبره به بحيرا أو

غيره من شأنه . وفيه نظر ، لما تقدم عن ابن اسحاق أن انشاد أبي طالب لهذا الشعر كان بعد المبعث . ا هـ .

وقال الزرقاني في (شرح المواهب) تحت قوله « وفي ذلك يقول أبو طالب يذكر قريشا حين تمالؤا عليه صلى الله عليه وسلم » : بركته عليهم من صغره ، لا في هذا الوقت ، فلا يخالف قول ابن اسحاق انه قال القصيدة لما تمالأت قريش على النبي صلى الله عليه وسلم ، ونفروا عنه من يريد الاسلام . وتجويز أنه قال البيت عقيب الاستسقاء ، والقصيدة كلها حين تمالؤا فيه نظر ، اذ مجرد قوله « وفي ذلك يقول » لا يستلزم أنه قاله عقيب الاستسقاء . ا هـ .

قوله : وصح عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال : أوحى الله تعالى الى عيسى عليه السلام يا عيسى آمن بمحمد ، ومر من أدركه من أمتك أن يؤمنوا به ، ولولا محمد ما خلقت الجنة والنار ، ولقد خلقت العرش على الماء فاضطرب فكتب عليه : لا اله الا الله محمد رسول الله . فسكن .

أقول : فيه كلام من وجهين :

(الأول) أن هذا الأثر هكذا مذكور في (الجوهر المنظم) بلا سند ، فعلى من يحتج به ذكر سنده وتوثيق رجاله ، وقال الزرقاني في (شرح المواهب) : رواه البيهقي وغيره كشيخه الحاكم وصححه [1] عن ابن عباس : أوحى الله تعالى الى عيسى أن آمن بمحمد وأمر أمتك ، الحديث . قلت : عرفت فيما تقدم ما في تصحيح الحاكم من التساهل فلا اعتداد به ، قال الذهبي ما حاصله : انه لا يحل لأحد أن يغتر بتصحيح الحاكم حتى يرى تعقباتي . ومن ثم تقرر عند العلماء أنه لا يعتمد على مستدرك الحاكم الا بعد رؤية التلخيص للذهبي [2] .

---

(١) تعقبه الذهبي في تلخيص المستدرك فقال : أظنه موضوعا على سعيد عن قتادة . ا هـ . ثم هو موقوف فلا تقوم به حجة ولا ينتهض به دليل سيما فيما له مساس بأصل العقيدة . والذي يحشر مثل هذا فى الاستدلال يكون سقيم المعرفة خبيث الطوية . سلك الله بنا طريق النجاة .

(٢) أورده السيوطي في الخصائص الكبرى ، وتعقبه بقوله : قال الذهبي في سنده عمرو بن أوس لا يدرى من هو . ا هـ . وقال الحافظ في لسان الميزان : عمرو بن أوس يجهل حاله ، وأتى بخبر منكر اخرجه الحاكم في مستدركه ، واظنه موضوعا من طريق جندل بن والق . ا هـ . وذكر هذا الخبر . وكتبه محمد رشيد رضا .

و (الثاني)أنه ليس فيه دليل على التوسل الذي يمنعه المـانعون •

قوله : وذكر القسطلاني في شرحه على البخاري عن كعب الأحبار ، أن بني اسرائيل كانوا اذا قحطوا استسقوا بأهل بيت نبيهم •

أقول : هذه الحكاية ذكرها القسطلاني في شرحه بلا سند ، فلا يحتج بها • على أن المراد بالاستسقاء بأهل البيت هو الاستسقاء بدعائهم أو ببركة حضورهم في موضع الاستسقاء • وهذا لا يمنعه أحد ، انما المكروه أن يقال : اللهم انا نسألك بحق أهل البيت ، وهذا غير ثابت منها •

قوله : واذا جاز التوسل بالأعمال الصالحة كما في صحيح البخاري في حديث الثلاثة الذين أووا الى غار فأطبق عليهم ذلك الغار فتوسل كل واحد منهم الى اللـه تعالى بأرجى عمل له فانفجرت الصخرة التي سدت الغار عنهم ، فالتوسل به صلى الله عليه وسلم أحق وأولى ، لمـا فيه من النبوة والفضائل ، سـواء كان ذلك في حياته أو بعد وفاته ، فالمؤمن اذا توسل به انما يريد بنبوته التي جمعت الكمالات •

أقول : الثابت بحديث صحيح البخاري انما هو توسـل المرء بعمل نفسه ، لا التوسل بعمل غيره ، أو بكمال الآخر ، وأما ادعاء أن هذا ثابت بفحوى الخطاب ودلالة النص ، فهذا محتـاج الى تقريره واثباته حتى ينظر فيـه ويتكلم عليه ، ودونه لا يسمع •

قوله : وهؤلاء المـانعون للتوسل يقولون : يجوز التوسل بالأعمال الصالحة مع كونها أعراضا فالذوات الفاضلة أولى •

أقول : لا ملازمة بين جواز التوسل بالأعراض وبين جواز التوسل بالذوات الفاضلة ، ومن يدعي فعليه البيان [1] •

قوله : فان عمر رضى الله عنه توسل بالعباس رضى الله عنه •

---

(1) انما ينبغي أن يقال هنا : ان التوسل بالأعمال هو التقرب الى الله تعالى بما شرعه لعباده بالاجماع والنصوص القطعية ، وهو المعقول ، اذ هي التي تزكي نفس العامل وتجعله أهلا لرضوان الله واستجابته لدعائه . وأما ذات غيرك فلا تأثير لهـا في تزكيتك مهما تكن تلك الذات فاضلة بعملها المزكى لها (قد أفلح من زكاها) وكتبه محمد رشيد رضا .

أقول : التوسل بالعباس رضى الله عنه كان توسلا بدعائه أو ببركة حضوره ، وهذا جائز لا شك فيه [1] انما المكروه أن يقال :اللهم أسألك بحق العباس رضى الله عنه ، وهذا ليس بثابت •

قوله : وأيضا لو سلمنا ذلك نقول لهم : اذا جاز التوسل بالأعمال الصالحة فما المانع من جوازها بالنبي صلى الله عليه وسلم باعتبار ما قام به من النبوة والرسالة والكمالات التي فاقت كل كمال ، وعظمت على كل عمل صالح في الحال والمآل •

أقول : المانع من جواز التوسل بالنبي صلى الله عليه وسلم هو كونه بدعة. وقد قال صلى الله عليه وسلم « واياكم ومحدثات الأمور » ، وقد قال صلى الله عليه وسلم « من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد » ، ولا يخفى ما في ضمير « جوازها » والصواب « جوازه » بالتذكير ، فان المرجع هو التوسل ، وهو مذكر لا وجه لتأنيثه •

قوله : ومن أدلة جواز التوسل قصة سواد بن قارب رضى الله عنه التي رواها الطبراني في الكبير ، وفيها أن سواد بن قارب أنشد رسول الله صلى الله عليه وسلم قصيدته التي فيها التوسل ولم ينكر عليه ، ومنها قوله :

وأشهد أن الله لا رب غيره ... وأنك مأمون على كل غائب
وأنك أدنى المرسلين وسيلة ... الى الله يا ابن الأكرمين الأطايب
فمرنا بما يأتيك يا خير مرسل ... وان كان فيما فيه شيب الذوائب
وكن لي شفيعا يوم لا ذو شفاعة ... بمغن فتيلا عن سواد بن قارب

فلم ينكر عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله أدنى المرسلين وسيلة ، ولا قوله وكن لي شفيعا •

أقول : فيه كلام من وجوه :

(الأول) أن هذه القصة لا بد من بيان سندها حتى ينظر فيه ، ودونه لا يعول عليها • قال الهيثمي في مجمع الزوائد : وعن محمد بن كعب القرظي قال : بينما

(1) المؤلف يكرر هذا المعنى : بركة الحضور ، وكونه (لا شك فيه) فيه نظر •

عمر بن الخطاب رضي الله عنه قاعدا في المسجد اذ مر به رجل في مؤخر المسجد ، فقال رجل : يا أمير المؤمنين ، أتعرف هذا الجائي ؟ قال : لا ، فمن هو ؟ قال : هذا سـواد بن قارب ، وهو من أهل اليمن ، له فيهم شرف وموضع ، وقد أتاه رئيه بظهور رسول الله صلى الله عليه وسلم • فقال عمر : علي به • فدعى به ، فقال : أنت سواد بن قارب ؟ قال : نعم • قال : أنت الذي أتاك رئيك [1] بظهور رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : نعم • قال فأنت على ما كنت عليه من كهانتك • فغضب غضبا شديدا وقال : يا أمير المؤمنين ما استقبلني بهذا أحد منذ أسلمت ! فقال عمر : يا سبحان الله ، ما كنا عليه من الشرك أعظم مما كنت عليه من كهانتك • أخبرني باتيان رئيك بظهور رسول الله صلى الله عليه وسلم • قال : نعم يا أمير المؤمنين ، بينما أنا ذات ليلة بين النائم واليقظان ، اذ اتاني رئيي فضربني برجله وقال : قم يا سواد بن قارب ، فافهم واعقل ان كنت تعقل ، انه قد بعث رسول الله من لؤى بن غالب ، يدعو الى الله عز وجل والى عبادته • فذكر القصـة بطولها ، وفيها انشاد سواد بن قارب قصيدته تجاه النبي صلى الله عليه وسلم التي فيهـا الأبيات المذكورة وفيها قال : ففرح رسول الله صلى الله عليه وسلم باسلامي فرحا شديدا حتى رؤى ذلك في وجوههم • قال فوثب عمر بن الخطاب رضى الله عنه اليه والتزمه وقال : قد كنت أحب أن أسمع هذا منك ، رواه الطبراني • وفي رواية عنده عن سواد بن قارب الأزدي قال : كنت نائما على جبل من جبال السراة ، فأتاني آت فضربني برجله ، وقال فيه : أتيت مكة فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم قد ظهر ، فأخبرته الخبر • وكلا الاسنادين ضعيف • ا هـ • ما في المجمع •

قلت : قد ثبت منه أن كلا الاسنادين ضعيف ، وفي المتن اضطراب ، فتنبه •

و (الثاني) أن قوله « وأنك أدنى المرسلين وسيلة الى الله » ليس نصا على أن الرسول صلى الله عليه وسلم نفسه وسيلة ، بل يحتمل أن يكون المراد أن قربته صلى الله عليه وسم الى الله تعالى أكثر من قربة سائر المرسلين اليه ، كما أن المراد في قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا اليه الوسيلة) هي القربة بلا خلاف ، وكذلك المراد بها في قوله تعالى (أولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم

(١) رئيك أى شيطانك الذي تراه ، كما في النهاية .

الوسيلة أيهم أقرب) أو يكون المراد بها الدرجة والمنزلة ، فاذا حاصله أن درجته صلى الله عليه وسلم ومنزلته أقرب الى الله تعالى من درجة سائر المرسلين ، ولو سلم أن المراد أن نفسه صلى الله عليه وسلم وسيلة لنا فلا دليل فيه للتوسل المنهى عنه ، فان كونه صلى الله عليه وسلم وسيلة بمعنى أنه صلى الله عليه وسلم واسطة تبلغنا أمر الله حق لا ينكره أحد ، فان الخلق لا يعلمون ما يحبه الله ويرضاه وما أمر به ونهى عنه ، ولا يعرفون ما يستحقه من أسمائه الحسنى وصفاته العلى الا بالرسل الذين أرسلهم الله الى عباده ، وكذلك كونه صلى الله عليه وسلم وسيلة في حياته بأن الصحابة رضى الله عنهم متى صدر من أحدهم معصية وذنب جاء اليه صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله فعلت كذا وكذا ، فاستغفر لي . واليه الاشارة في قوله تعالى (ولو أنهم اذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما) وكذلك اذا وقع القحط في زمانه صلى الله عليه وسلم يأتي أحدهم فيقول : يا رسول الله هلكت المواشي ، وتقطعت السبل ، فادع ... وهكذا يطلبون الدعاء منه صلى الله عليه وسلم في سائر حاجاتهم كشفاء المريض ورد البصر . وكذلك كونه صلى الله عليه وسلم وسيلة يوم القيامة حيث يحبس المؤمنون يوم القيامة حتى يهموا بذلك فيقولون : لو استشفعنا الى ربنا فيريحنا من مكاننا . فيأتون آدم فنوحا فأبراهيم فموسى فعيسى فيقول : ائتوا محمدا عبدا غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر . فيأتون محمدا صلى الله عليه وسلم كما في حديث الشفاعة الطويل « فأستأذن على ربي في داره فيؤذن لي عليه [1] » الحديث ، ولكن الكلام في التوسل بأن يقال : اللهم اني أسألك بحق محمد صلى الله عليه وسلم ، وهو لا يثبت من قوله « وانك أدنى المرسلين وسيلة » .

---

(١) قوله « في داره فيؤذن لي عليه » ذكر الحافظ في شرح حديث أنس من كتاب الرقاق في البخاري : أن هذه العبارة من زيادة همام في روايته للحديث . أقول وفسروا داره هنا بحضرة قدسه ، وبعضهم بالجنة من قوله تعالى (والله يدعو الى دار السلام) بناء على القول بأن السلام هنا اسم الله عز وجل . وذكر الحافظ ما قيل في الحكمة في انتقال النبي صلى الله عليه وسلم من مكانه الى دار السلام ، وهى أن أرض الموقف مكان مخافة واشفاق ، ومقام الشافع يناسب أن يكون في مكان اكرام . وكتبه محمد رشيد رضا .

و (الثالث) أن طلب الشفاعة منه يوم القيامة لا يجحده مسلم • نعم لا يكون الا باذن الله تعالى كما جاء مصرحا في الكتاب العزيز والسنة المطهرة ، فليس في قول « وكن لي شفيعا يوم لا ذو شفاعة » دليل على مطلوب الخصم •

قوله : وكذا من أدلة التوسل مرثية صفية رضى الله عنها عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فانها رثته بعد وفاته صلى الله عليه وسلم بأبيات فيها قولها :

ألا يا رسول الله أنت رجاؤنا　　وكنت بنا برا ولم تك جافيا

ففيها النداء بعد وفاته مع قولها « وأنت رجاؤنا » وسمع تلك المرثية الصحابة رضي الله عنهم فلم ينكر عليها أحد قولها « يا رسول الله أنت رجاؤنا » •

أقول : قال في مجمع الزوائد : وعن عروة قال قالت صفية بنت عبد المطلب ترثي رسول الله صلى الله عليه وسلم :

لهف نفسي وبت كالمسلوب　　أرقب الليل لعلة المحروب

وذكر المرثية بطولها ثم قال : وقالت أيضا :

ألا يا رسول كنت رجاءنا　　وكنت بنا برا ولم تك جافيا

وذكر هذه المرثية أيضا بطولها ثم قال : رواه الطبراني واسناده حسن [1] هذا لفظ مجمع الزوائد • قلت : هذه المرثية وان كان اسنادها حسنا ولكن ليس فيها دليل على التوسل المنهي عنه ، فان لفظ الرجاء بمعنى التوقع والأمل • وقال في مجمع البحار : وتكرر فيه الرجاء بمعنى التوقع والأمل • وقال في النهاية : وقد تكرر فيه ذكر الرجاء بمعنى التوقع والأمل ، يقال رجوته أرجوه رجوا ورجاء ورجاوة • وقال في القاموس : الرجاء ضد اليأس كالرجوة والرجاءة والرجاوة والترجي والارتجاء والترجية • وقال في الصحاح : والرجاء من الأمل ممدود يقال رجوت فلانا رجوا ورجاء ورجاوة • ا هـ •

(1) أني له الحسن وعروة ولد بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم بتسع عشرة سنة ، فانه ولد سنة ٢٩ هـ كما في التهذيب ونحوه ، فاذا كانت روايته عن أبيه مرسلة فكيف روايته عن أم أبيه في قصة وفاة رسول الله التي ولد بعدها بتسع عشرة سنة ؟ فهي رواية منقطعة مرسلة • ا هـ • وكتبه مصححه •

وقال في المصباح المنير : رجوته أرجوه رجوا على فعول : أملته أو أردته ، قال تعالى (لا يرجون نكاحا) أي لا يريدونه ، والاسم الرجاء بالمد • اهـ •

ولا يخفاك [1] أن الرجاء بمعنى التوقع والأمل مصدر أو اسم مصدر لا يصح حمله على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمواطأة ، فاذا هو اما مبني للفاعل أو للمفعول • ولا سبيل الى الاحتمال الأول وهذا ظاهر ، فتعين الثاني ، كما في قوله تعالى في سورة هود (قالوا يا صالح قد كنت فينا مرجوا قبل هذا) قال البيضاوي تحت هذه الآية : لما نرى فيك من مخايل الرشد والسداد أن تكون لنا سيدا ومستشارا في الأمور ، وفي فتح البيان : أي كنا نرجو أن تكون فينا سيدا مطاعا ننتفع برأيك ، ونسعد بسعادتك ، لما نرى فيك من مخايل الرشد والسداد ، لأنه كان من قبيلتهم ، وكان يعين ضعيفهم ، ويغني فقيرهم • اهـ •

ولكن لا بد من أن يعلم هناك أن من الرجاء ما هو مختص بالله تعالى بمعنى أن المرجو فيه لا يصلح الا لله تعالى كرجاء كشف الضر والسوء وتحويله ، واجابة المضطر اذا دعاه ، وانزال الماء من السماء ، وشفاء المريض ، وبسط الرزق ، واعطاء الأولاد ، ومغفرة الذنوب ، وغيرها مما لا يقدر عليه الا الله تعالى ، وهذا الرجاء هو الذي أثنى الله تعالى على فاعليه في قوله تعالى (أولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه) وهو الذي أمرنا الله أن ندعوه متلبسا به [2] حيث قال (وادعوه خوفا وطمعا) فعبر عن الرجاء بالطمع •

وهو الذي نهى يعقوب عليه السلام بنيه عن ارتكاب ضده وقد حكاه الله تعالى في كتابه العزيز في قوله (ولا تيأسوا من روح الله انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون) وهو الذي أثنى الله تعالى على زكريا عليه السلام وزوجه فقال (انهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا وكانوا لنا خاشعين) وهو الذي ذكر ابراهيم عليه السلام في ثناء الله تعالى (والذي أطمع أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين) وهو الذي ذكره الله تعالى في وصف المؤمنين فقال (تتجافى

(١) **الصواب : ولا يخفى عليك •**
(٢) **الصواب : متلبسين به •**

جنوبهم عن المضاجع ، يدعون ربهم خوفا وطمعا ومما رزقناهم ينفقون) وهو الذي نهى الله تعالى عن ضده فقال تعالى (قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا انه هو الغفور الرحيم) والنهي عن ضد الشيء يقتضي الأمر بذلك الشيء كما تقرر في مقره • وهو الذي أمر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم به فقال (والى ربك فارغب) وهو الذي أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أمته بتعظيمه في الدعاء فقال « اذا دعا أحدكم فلا يقل : اللهم اغفر لي ان شئت ، ولكن ليعزم وليعظم الرغبة ، فان الله لا يتعاظمه شيء أعطاه » رواه مسلم من حديث أبي هريرة •

وعنه أيضا قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ادعوا الله وأنتم موقنون بالاجابة » رواه الترمذي • قال العلماء : أي كونوا موقنين بأنه تعالى يجيب الدعاء ، لأن فيه صدق الرجاء ، والكريم لا يخيب راجيه ، وهو المراد في الحديث القدسي « أنا عند ظن عبدي بي » متفق عليه من حديث أبي هريرة ، قال العلماء : الأصح أنه أراد الرجاء وتأميل العفو ، فان ظن العفو فله ذلك ، وان ظن العقوبة فكذلك ، وفي حديث قدسي آخر « يا ابن آدم انك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان منك ولا أبالي » رواه الترمذي من حديث أنس ، وهو المراد في الدعاء المأثور « اللهم رحمتك أرجو فلا تكلني الى نفسي طرفة عين » رواه أبو داود من حديث أبي بكرة • وفي الدعاء الذي يقرأ اذا أوى الى فراشه « اللهم أسلمت نفسي اليك ، ووجهت وجهي اليك ، وفوضت أمري اليك ، وألجأت ظهري اليك ، رغبة ورهبة اليك » الحديث ، متفق عليه من حديث البراء بن عازب •

وأخرج ابن أبي شيبة من طريق المسور بن مخرمة قال : كانت تلبية عمر ، فذكر مثل المرفوع وزاد : لبيك مرغوبا ومرهوبا ذا النعماء والفضل الحسن ، كذا في الفتح •

وهو الذي ينبغي للمكلف أن يكون بينه وبين الخوف ، حتى لا يكون مفرطا في الرجاء ، بحيث يصير من المرجئة القائلين لايضر مع الايمان شيء ، ولا في الخوف ، بحيث لا يكون من الخوارج والمعتزلة القائلين بتخليد صاحب الكبيرة — اذا مات من غير توبة — في النار ، بل يكون وسطا بينهما •

أخرج الترمذي عن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل على شاب وهو في الموت فقال له « كيف تجدك ؟ » فقال : أرجو الله ، وأخاف ذنوبي . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا يجتمعان في قلب عبد في هذا الموطن الا أعطاه ما يرجو وأمنه مما يخاف » ورجاله كلهم ثقات غير جعفر بن سليمان الضبعي وسيار بن حاتم ، والأول قال فيه ابن معين : ثقة ، وقال أحمد : لا بأس به ، وقال ابن سعد : ثقة فيه ضعف ، وقال الذهبي في الميزان : وهو صدوق في نفسه ، وقال في الكاشف : ثقة ، وقال الحافظ في التقريب : صدوق زاهد . وأما الثاني فقال الذهبي في الميزان : صالح الحديث وثقه ابن حبان . قيل للقواريري أتتهمه ؟ قال : لا . وقال الحاكم : كان سيار عابد عصره ، وقد أكثر عنه أحمد بن حنبل . وقال في الكاشف : صدوق ، وقال الحافظ في التقريب : صدوق ، له أوهام . أ هـ . فالحديث صالح لأن يحتج به .

واحتج البخاري على الرجاء مع الخوف بحديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « ان الله خلق الرحمة يوم خلقها مائة رحمة ، فأمسك عنده تسعا وتسعين رحمة ، وأرسل في خلقه كلهم رحمة واحدة ، فلو يعلم الكافر بكل الذي عند الله من الرحمة لم ييأس من الجنة ، ولو يعلم المؤمن بكل الذي عند الله من العذاب لم يأمن من النار » وهو المراد في قوله صلى الله عليه وسلم الذي قاله قبل موته بثلاثة أيام « لا يموتن أحدكم الا وهو يحسن الظن بالله » رواه مسلم من حديث جابر . وهو المراد في حديث أنس المروي بسند ضعيف قال : لم يرد النبي صلى الله عليه وسلم سفرا قط الا قال حين ينهض من جلوسه « اللهم بك انتشرت[1] ، واليك توجهت ، وبك اعتصمت . اللهم أنت ثقتي وأنت رجائي . اللهم اكفني ما أهمني وما لا أهتم به وما أنت أعلم به مني ، وزودني التقوى ، واغفر لي ذنبي ، ووجهني للخير حيث ما توجهت » رواه أبو يعلى ، وفيه عمرو بن مساور وهو ضعيف ، كذا في مجمع الزوائد ، قال البخاري : منكر الحديث ، وقال أبو حاتم : ضعيف ، كذا في الميزان .

---

(١) في الأصل المطبوع في الهند « أننشر » وهو غلط ، والانتشار الانبساط والتمدد والتفرق ، وهو معنى قوله تعالى (فانتشروا) في سورتي الأحزاب والجمعة. وفسر ابن الأثير « انتشرت » هنا بابتدأت سفري الخ . وكتبه محمد رشيد رضا .

هذا كله هو الرجاء المختص بالله تعالى ، ومنه ما هو جائز في حق رسولنا صلى الله عليه وسلم في حياته بمعنى أن المرجو منه فيه يصلح للنبي صلى الله عليه وسلم ، وهو ما يقدر عليه الأنبياء عليهم السلام سيما نبينا صلى الله عليه وسلم من صلة الرحم ، وحمل الكل ، وكسب المعدوم ، وقرى الضيف ، والاعانة على نوائب الحق ، والرحمة بالمؤمنين ، والجود والشجاعة والبركة ، وقضاء حوائج الأرملة والمساكين واليتامى ، وعدم انتقامه لنفسه في شيء قط ، وعدم اللوم على شيء قط أتى فيه على يدى أحد ، وعيادة المريض ، واتباع الجنازة ، واجابة دعوة المملوك ، والخلق العظيم ، وتعليم الأمة الكتاب والحكمة وتزكيتهم ، ودعوتهم الى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة ، وتبليغ رسالات الرب تعالى ، ونصح الأمة ، والاستغفار لهم عند صدور الذنوب عنهم ، والدعاء لهم في حاجاتهم ، وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر ، واعلاء كلمة الله ، والجهاد مع أعداء الله ، وتعظيم شعائر الله ، واعزاز المؤمنين ، واذلال الكافرين ، وغير ذلك .

وأما كونه صلى الله عليه وسلم رجاء بمعنى المرجو بعد الموت فما ثبت منه بالكتاب والسنة المطهرة فهو على الرأس والعين كالشفاعة يوم القيامة ، وأما ما لم يثبت بواحد منهما فهو مردود .

اذا تقرر هذا فاعلم أن معنى ما في المرثية : انا كنا نرجو برك ورحمتك وشفقتك ، يدل عليه قولها « وكنت بنا برا ولم تك جافيا » وقولها « وكان بنا برا رحيما نبينا » .

والبر والرحمة والشفقة مما يقدر عليه النبي صلى الله عليه وسلم في حياته فيجوز رجاء البر والرحمة والشفقة منه صلى الله عليه وسلم ، فيكون صلى الله عليه وسلم على هذا مرجوا منه ، والبر والرحمة والشفقة مرجوا فيكون الرجاء في الشعر بمعنى المرجو الذي أريد منه المرجو منه وارادة المرجو منه من المرجو ثابتة كما في قوله تعالى (قالوا يا صالح قد كنت فينا مرجوا) ويمكن أن يقال : ان المراد بالرجاء في البيت المرجو ، ويقدر التمييز ، أي كنت مرجونا برا ورحمة وأمنا من الهرج الآتي بعدك وبقاء فينا كما في طاب زيد علما ودارا وغلاما وفرسا ، فالمرجو منه في الأولين هو النبي صلى الله عليه وسلم وفي الأخيرين هو الله تعالى ، ويدل

على الأخيرين قولها :

لعمرك ما أبكي النبي لموته ولكن لهرج كان بعدك آتيا

وقولها :

فلو أن رب العرش أبقاك بيننا سعدنا ولكن أمره كان ماضيا

ويؤيد الأخير قول عمر رضي الله عنه حين توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم : والله ما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم . قالت عائشة : وقال عمر والله ما كان يقع في نفسي الا ذاك ، وليبعثنه الله فليقطعن أيدي رجال وأرجلهم . رواه البخاري من حديث عائشة رضي الله عنها . وفي رواية : ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يموت حتى يفنى الله المنافقين ، رواه أحمد من طريق يزيد بن بابنوس عن عائشة رضي الله عنها .

وفي حديث ابن عمر عند ابن أبي شيبة أن أبا بكر مر بعمر وهو يقول : ما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يموت حتى يقتل الله المنافقين ، وكانوا أظهروا الاستبشار ورفعوا رءوسهم . كذا في فتح الباري . وفي رواية : والله اني لأرجو أن يقطع أيدي رجال وأرجلهم . ذكره الطبري في الرياض . وفي رواية : ولكني كنت أرجو أن يعيش رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يدبرنا . ذكره الوائلي أبو نصر عبد الله في كتاب (الابانة) ، كذا في المواهب .

قلت : والرواية الأخيرة موجودة في صحيح البخاري من حديث أنس رضي الله عنه نصه في كتاب الأحكام (باب الاستخلاف) هكذا قال : كنت أرجو أن يعيش رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يدبرنا ، يريد بذلك أن يكون آخرهم .

فقد علم مما ذكرنا أن عمر أيضا كان يرجو بقاء النبي صلى الله عليه وسلم في أمته مثل صفية بنت عبد المطلب رضي الله عنها ، بل وأكثر الصحابة كأنهم كانوا يرجون ما يرجو عمر رضي الله عنه .

قال الحافظ في الفتح : وفي الحديث قوة جأش أبي بكر وكثرة علمه ، وقد وافقه على ذلك العباس كما ذكرنا ، والمغيرة كما رواه ابن سعد ، وابن أم مكتوم

كما في المغازي لأبي الأسود عن عروة قال : انه كان يتلو قوله تعالى (انك ميت وانهم ميتون) والناس لا يلتفتون اليه ، وكان أكثر الصحابة على خلاف ذلك . اهـ. وفي حديث ابن عباس عند البخاري : والله لكأن الناس لم يعلموا أن الله أنزل هذه الآية حتى تلاها أبو بكر ، فتلقاها الناس منه كلهم ، فما أسمع بشرا من النـــاس الا يتلوها . اهـ .

وجملة القول أن المراد في مرثية صفية رضي الله عنها ليس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رجاء في كل أمر في الحياة ، بل في الأمر الذي يقــدر عليه ، وبعد الوفاة في الأمر الذي ثبت بالكتاب العزيز والسنة المطهرة كونه رجاء فيه ، ففي هذه المرثية لا دلالة على التوسل الذي يمنعه المانعون أصلا ، ومن ادعى اثبات التوسل المذكور منها فعليه البيان .

❋ ● ❋

وليعلم أن الوارد في المرثية « كنت رجاءنا » كذا في مجمع الزوائد ، ولقــد حرفه صاحب الرسالة حيث كتب « أنت » بدل « كنت » ليدل هذا اللفظ على أن كونه صلى الله عليه وسلم رجاء غير مقيد بالحياة بل هو رجاء مطلقا في الحياة وبعد الممات فصار مصداقا لقول الله تعالى (فبدل الذين ظلموا قولا غير الذي قيل لهم) (وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون) .

❋ ● ❋

وأما استدلال صاحب الرسالة بتلك المرثية على جواز النداء بعد وفاته فجوابه من وجـــوه :

(الأول) أن « يا » هنا للندبة لا للنداء كما في قول فاطمة رضي الله عنها : يا أبتاه ، أجاب ربا دعاه . يا أبتاه ، من جنة الفردوس مأواه . يا أبتاه الى جبرائيل ننعاه ، رواه البخاري من حديث ثابت بن أنس ، وكما في قول الصديق رضي الله

عنه : بأبي أنت وأمي يا نبي الله ، لا يجمع الله عليك موتتين . رواه البخاري من حديث عائشة رضي الله عنها .

وفي رواية يزيد بن بابنوس عن عائشة عند أحمد أنه أتاه من قبل رأسه فحدر فاه فقبل جبهته ثم قال : وانبياه ، ثم رفع رأسه فحدر فاه وقبل جبهته ثم قال : واصفياه ، ثم رفع رأسه فحدر فاه وقبل جبهته وقال : واخليلاه . كذا في المواهب .

ومنه قول علي رضي الله عنه حين توفى عمر رضي الله عنه وقد وضع على سريره : يرحمك الله ، ان كنت لأرجو أن يجعلك الله مع صاحبيك ، لأني كثيرا ما كنت أسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : كنت وأبو بكر وعمر ، وفعلت وأبو بكر وعمر ، وانطلقت وأبو بكر وعمر ، فاني كنت لأرجو أن يجعلك الله معهما . رواه البخاري من حديث ابن عباس . وبعين ما ذكرنا كونها واقعة في الرثاء .

و (الثاني) أنه لو سلم أنه نداء ، فالنداء قد يراد به غير المنادى . قال الحافظ في الفتح تحت حديث « ان العين تدمع ، والقلب يحزن ، ولا نقول الا ما يرضي ربنا ، وانا بفراقك يا ابراهيم لمحزونون » : وفيه وقوع الخطاب للغير وارادة غيره بذلك ، وكل منهما مأخوذ من مخاطبة النبي صلى الله عليه وسلم ولده ، مع أنه في تلك الحالة لم يكن ممن يفهم الخطاب بوجهين : أحدهما صغره ، والثاني نزعه . وانما أراد بالخطاب غيره من الحاضرين اشارة الى أن ذلك لم يدخل في نهيه السابق . اهـ .

ومن هذا القبيل ما روى عن ابن عمر قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا سافر فأقبل الليل قال « يا أرض ، ربي وربك الله . أعوذ بالله من شرك وشر ما فيك وشر ما خلق فيك وشر ما يدب عليك » رواه أبو داود .

ومنه ما روى عن قتاده بلغه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا رأى الهلال قال « هلال خير ورشد ، هلال خير ورشد ، هلال خير ورشد . آمنت بالذي خلقك » ثلاث مرات . رواه أبو داود .

ومنه ما روى عن عمر بن الخطاب وأبي هريرة قالا : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما من رجل رأى مبتلى فقال : الحمد لله الذي عافاني مما ابتلاك به »

رواه الترمذي والبزار والطبراني في الصغير والأوسط بنحوه واسناده حسن • كذا في مجمع الزوائد •

ومنه ما روى عن طلحة بن عبيد الله أن النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا رأى الهلال قال « اللهم أهله علينا بالأمن والايمان،والسلامة والاسلام ، ربي وربك الله » رواه الترمذي وقال : هذا حديث حسن غريب •

وعن ابن عمر قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا رأى الهلال قال « اللهم أهله علينا بالأمن والايمان ، والسلامة والاسلام ، والتوفيق لما تحب وترضى • ربنا وربك الله » رواه الطبراني ، وفيه عثمان بن ابراهيم الحاطبي وفيه ضعف ، وبقية رجاله ثقات •

وعن أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم : انه كان اذا رأى الهلال قال « هلال خير ورشد ، آمنت بالذي خلقك فعدلك » رواه الطبراني في الأوسط، وفيه أحمد بن عيسى اللخمي ولم أعرفه ، وبقية رجاله ثقات• كذا في مجمع الزوائد•

ومنه ما روى عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لمكة « ما أطيبك من بلد وأحبك الى ، ولولا أن قومي أخرجوني منك ما سكنت غيرك » رواه الترمذي •

ومنه قول عمر رضي الله عنه : اني لأعلم أنك حجر ما تنفع ولا تضر ، ولولا أني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبلك ما قبلتك ، متفق عليه من حديث عابس بن ربيعة •

و (الثالث) أنه لو سلم أن المراد به المنادى ، فالنداء مجازي كنداء السماء والجبال والأرض والأطلال والمنازل والمطايا والقبور ، والمانعون انما يمنعون النداء الحقيقي •

و (الرابع) أنه لو سلم ثبوت النداء منها فلا يثبت منه مطلوب الخصم ، فان النزاع انما هو في نداء يتضمن الدعاء والطلب بأن يقول : يا رسول الله اكشف عني السوء واشف مريضي • أو يقول : يا رسول الله ادع الله أن يشفي مريضي ويكشف عني السوء فالمانعون يقولون : الأول شرك ، والثاني بدعة • والمجوزون

يجوزونهما • وليس في المرثية دعاء شيء ولا طلبه [1] •

قوله : قال العلامة ابن حجر في كتابه المسمى (بالخيرات الحسان في مناقب الامام أبي حنيفة النعمان) في الفصل الخامس والعشرين : ان الامام الشافعي أيام هو ببغداد كان يتوسل بالامام أبي حنيفة ــ الى قوله ــ فليتوسل الى الله تعالى بالامام الغزالي •

أقول : فيه كلام من وجهين :

(الأول) أنه لا بد من رفع هذه الأمور الى أصحابها بسند يعتمد عليه ، ودونه لا يسمع • قال في (تبعيد الشيطان) : والحكاية المنقولة عن الشافعي أنه كان يقصد الدعاء عند قبر أبي حنيفة من الكذب الظاهر • اهـ •

و (الثاني) أن أقوال هؤلاء المذكورين وأفعالهم وتقريراتهم ليست من الحجة في شيء •

قوله : وذكر العلامة ابن حجر في كتابه المسمى (بالصواعق المحرقة لاخوان الضلال والزندقة) : ان الامام الشافعي رحمه الله توسل بأهل البيت النبوي حيث قال :

آل النبي ذريعتي وهم اليه وسيلتي
أرجو بهم أعطى غدا بيدي اليمين صحيفتي

أقول : فيه كلام من وجوه :

(الأولان منها) هما اللذان ذكرا في القول الذي قبله •

و (الثالث) أن المضاف هنا مقدر ، تقدير الكلام ان حب آل النبي وتعظيمهم

---

(١) أقول (والخامس) أنه لا يصح الاستدلال في امور العقيدة والأصول بمثل كلمة في جملة ينطق بها صحابي أو صحابية ، لا سيما في الشعر الذي اعتاد أهله المغالاة والمبالغة في المدح أو التلهف ، فالله لم يتعبد الأمة بغير قوله وقول رسوله صلى الله عليه وسلم ، ولا عذر عند الله لمن وافاه محتجا بغيرهما سيما اذا خالف الظاهر • وكتبه عبد الرحمن الدوسري •

واتباعهم وشفاعتهم والصلاة عليهم ذريعتي ووسيلتي ، وكذلك في قوله أرجو بهم أى أرجو بحبهم وتعظيمهم واتباعهم وشفاعتهم ، كما في قول عمر رضي الله عنه : اللهم انا كنا تتوسل اليك بنبينا فتسقينا ، وانا نتوسل اليك بعم نبينا فاسقنا فيسقون ، فان المراد انا كنا نتوسل اليك بدعاء نبينا .

قوله : وذكر العلامة السيد طاهر بن محمد بن هاشم باعلوي في كتابه المسمى (مجمع الأحباب في ترجمة الامام ابى عيسى الترمذي صاحب السنن) أنه رأى في المنام ــ الى قوله ــ فكان الامام الترمذي يقول ذلك دائما بعد صلاة سنة الصبح ، ويأمر أصحابه به ويحثهم على فعله وعلى المواظبة عليه .

أقول : فيه كلام من وجوه :

(الأولان) هما اللذان ذكرا فيما تقدم .

و (الثالث) أن الرؤيا ليست من الأدلة الشرعية في شيء .

قوله : بل هذا الأمر ــ أعني التوسل ــ لم ينكره أحد من السلف والخلف ، حتى جاء هؤلاء المنكرون .

أقول : هذا كذب جلي ، فهذا الامام الأعظم يقول : لا ينبغي لأحد أن يدعو الله الا به وقال : أكره أن يقول بحق فلان وبحق انبيائك ورسلك ، وبحق البيت الحرام وهو قول صاحبيه . وعن الحنابلة في أصح القولين أنه مكروه .

قوله : وفي (الأذكار) للامام النووي أن النبي صلى الله عليه وسلم أمر أن يقول العبد بعد ركعتي الفجر ثلاثا « اللهم رب جبريل وميكائيل واسرافيل ومحمد صلى الله عليه وسلم أجرني من النار » .

أقول : فيه خلل من وجوه : (الأول) أن هذا القسم من التوسل لا ننكره ، فانه داخل في القسم الخامس من التوسل المشروع كما تقدم ذكره . وهذا ثابت من حديث عائشة قالت : كان اذا قام من الليل افتتح صلاته « اللهم رب جبرائيل وميكائيل واسرافيل » الحديث ، رواه مسلم في صلاة الليل ، والنسائي في كتاب قيام الليل ، والترمذي في أبواب الدعوات ، وأبو داود في باب ما يستفتح به الصلاة

من الدعاء ، وابن ماجه في باب ما جاء في الدعاء اذا قام الرجل من الليل • وهذا حديث صحيح فلا وجه لمعدول عنه الى الذي ذكر فان فيه كلاما سيذكر •

و (الثاني) أن في ذكر هذه الرواية تحريفا بينا يظهر بنقل لفظ الأذكار فأقول: نص الأذكار هكذا : روينا في كتاب ابن السني عن أبي المليح واسمه عامر بن أسامة عن أبيه رضي الله عنه أنه صلى ركعتي الفجر ، وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى قريبا منه ركعتين خفيفتين ، ثم سمعته يقول وهو جالس « اللهم رب جبرائيل واسرافيل وميكائيل ومحمد النبي صلى الله عليه وسلم أعوذ بك من النار » ثلاث مرات • اهـ بلفظه • فليس فيه أن النبي صلى الله عليه وسلم آمر أن يقول العبد بعد ركعتي الفجر ثلاثا ، انما فيه رواية فعله صلى الله عليه وسلم وليس فيه : أجرني من النار ، انما هو أعوذ بك من النار • وفيه تقديم اسرافيل على ميكائيل •

و (الثالث) أن صاحب الحصن الحصين وصاحب مجمع الزوائد وغيرهم ذكروا هذا الحديث ولم يذكر واحد منهم أمر النبي صلى الله عليه وسلم ولا لفظ : أجرني من النار ، فها أنا أنقل عباراتهم ليظهر أن هذا من اختلاق مؤلف الرسالة :

* ● *

قال محمد بن محمد الجزري الشافعي في الحصن الحصين : ويقول وهو جالس « اللهم رب جبرائيل وميكائيل واسرافيل ومحمد النبي صلى الله عليه وسلم أعوذ بك من النار » ثلاث مرات • مس ى •

وقال الهيثمي في مجمع الزوائد : وعن أسامة بن عمير أنه صلى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ركعتي الفجر فصلى ركعتين خفيفتين ، فسمعته يقول « رب جبرائيل وميكائيل واسرافيل ومحمد أعوذ بك من النار ــ ثلاث مرات ــ رواه الطبراني في الكبير ، وفيه عباد بن سعيد قال الذهبي : عباد بن سعيد عن مبشر لا شيء ، قلت : قد ذكره ابن حبان في الثقات • اهـ •

وقال في (نزل الأبرار) عن أسامة بن عمير أنه صلى مع النبي صلى الله عليه

وسلم ركعتي الفجر وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى قريبا منه ركعتين خفيفتين ثم سمعته يقـول وهو جالس « اللهم رب جبرائيل وميكائيل واسرافيل ومحمد ، أعوذ بك من النار » أخرجه ابن السني والحاكم في المستدرك بدون قوله : وهو جالس • وصححه • وأخرجه الطبراني في الكبير أيضا • ا هـ •

و (الرابع) أن هذا الحديث وان صححه الحاكم يعلم من كلام الحافظ ابن حجر أنه حسن • قال الحافظ بعـد تخريجه : حديث حسن أخرجه الدارقطني في الافراد وقال : تفرد به مبشر وهو بضم الميم وفتح الموحدة وكسر المعجمة ، ذكره ابن حبان في الثقات • واسم أبي المليح عامر وهو من رجال الصحيح • وأما عباد بن سعيد ــ أى الراوي عن مبشر ــ فلم أر فيه جرحا ولا تعديلا ، الاأن ابن حبان ذكر في الثقات عباد بن سعيد ولم يذكر ما يتميز به ، أخرج هـذا الحديث الحاكم في (المستدرك) من طريق آخر •

قال الحافظ : ووجدت للحديث شاهدا من حديث عائشة بسند ضعيف في سنده من هو متروك،ومن فيه مقال ، قال : وأبو المليح انكان هو ابن أسامةالمذكور أولا فقد اختلف عليه في اسناده ، وان كان غيره فهو مجهول • ا هـ • كذا نقله ابن علان في شرح الأذكار ، لكنه لا يخلو عن كلام ، وله وجوه :

(الأول) أن أبا المليح ان كان هو ابن أسامة فقد اختلف عليه في اسناده كما قال الحافظ ، فيكون الحديث مضطربا ، وان كن غيره فهو مجهول ، وعلى كلا التقديرين يكون الحديث ضعيفا •

و (الثاني) أن في سنده مبشرا فان كان هو ابن عبيد الحمصي فهو واه جدا ، قال الذهبي في الميزان قال أحمد : كان يضع الحديث ، وقال البخاري : روى عنه بقية ، منكر الحديث • ا هـ • وقال الحافظ في التقريب : مبشر بن عبيد الحمصي أبو حفص كوفي الأصل متروك ، رماه أحمد بالوضع • ا هـ • وفي التهذيب قال أحمد : يضع الحديث • وقال الدارقطني متروك • ا هـ • كذا نقله بعض الثقات • وقال في الكاشف : مبشر بن عبيد الحمصي عن قتادة وزيد بن أسلم والزهري وعنه أبو المغيرة وأبو اليمان تركوه • ا هـ • وان كان غيره فلا بد من تعيينه وتوثيقه •

و (الثالث) أن فيه عباد بن سعيد ، قال الذهبي في الميزان : عباد بن سعيد بصري مقل روى عن مبشر ، لا شيء • اهـ • قلت : ذكره ابن حبان في الثقات قاله الحافظ ابن حجر والهيثمي ، ولكن هذا التوثيق لا يعارض قول الذهبي : لا شيء ، فان ابن حبان معروف بالاحتجاج بمن لا يعرف كما تقدم •

قال ابن عبد الهادي في (الصارم المنكي) : وقد علم أن ابن حبان ذكر في هذا الكتاب الذي جمعه في الثقات عددا وخلقا عظيما من المجهولين الذين لا يعرف هو ولا غيره أحوالهم ، وقد صرح ابن حبان بذلك في غير موضع من هذا الكتاب فقال في الطبقة الثالثة : سهل يروى عن شداد بن الهادي ، روى عنه أبو يعقوب ، ولست أعرفه ولا أدري من أبوه ، هكذا ذكر هذا الرجل في كتاب الثقات ، ونص على أنه لا يعرفه • وقال أيضا : حنظلة شيخ يروي المراسيل لا أدري من هو ؟ روى ابن المبارك عن ابراهيم بن حنظلة عن أبيه ، هكذا ذكره لم يزد • وقال أيضا • الحسن أبو عبد الله شيخ يروي المراسيل ، روى عنه أيوب النجار لا أدري من هو ولا ابن من هو ؟ وقال أيضا : جميل شيخ يروى عن أبي المليح بن أسامة روى عنه عبد الله ابن عون لا أدري من هو ولا ابن من هو ؟ •

وقد ذكر ابن حبان في هذا الكتاب خلقا كثيرا من هذا النمط ، وطريقه فيه أن يذكر من لم يعرفه بجرح وان كان مجهولا لم يعرف حاله • وينبغي أن يتنبه لهذا ويعرف أن توثيق ابن حبان للرجل بمجرد ذكره في هذا الكتاب من أدنى درجات التوثيق • اهـ •

• • •

وليعلم أن الحديث روي من طريق أخرى عن عائشة أشار اليها الحافظ ، قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي الركعتين قبل الفجر ثم يقول « اللهم رب جبرائيل وميكائيل ورب اسرافيل ورب محمد ، أعوذ بك من النار » ثم يخرج الى الصلاة ، رواه أبو يعلي ، وفيه عبيد الله بن أبي حميد وهو متروك كذا في مجمع الزوائد ، قال الذهبي في الميزان : عبيد الله بن أبي حميد أبو الخطاب عن أبي المليح الهذلي ضعفه محمد بن المثنى ، وقال البخاري : منكر الحديث ،

وقال النسائي : متروك ، وقال أحمد : ترك الناس حديثه ، وقال دحيم : ضعيف ، وقال البخاري : يروى عن أبي المليح عجائب • انتهى •

وأيضا عن عائشة رضي الله عنها قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي الركعتين قبل صلاة الفجر ثم يقول « اللهم رب جبرائيل وميكائيل ورب اسرافيل ورب محمد أعوذ بك من النار » ثم يخرج الى الصلاة • قلت : رواه النسائي بنحوه من غير تقييد بركعتي الفجر ، ورواه أبو يعلى عن شيخه سفيان بن وكيع وهو ضعيف ، كذا في مجمع الزوائد •

قال الذهبي في الميزان : سفيان بن وكيع بن الجراح أبو محمد الرؤاسي قال البخاري : يتكلمون فيه لأشياء لقنوه اياها ، وقال أبو زرعة : يتهم بالكذب ، وقال ابن أبي حاتم : أشار أبي عليه أن يغير وراقه فانه أفسد حديثه ، وقال له : لا تحدث الا من أصولك ، فقال سأفعل ، ثم تمادى وحدث بأحاديث أدخلت عليه • وقد ساق له أبو أحمد خمسة أحاديث منكرة السند لا المتن ثم قال : وله حديث كثير ، وانما بلاؤه أنه كان يتلقن ما لقن ، يقال : كان له وراق يلقنه من حديث موقوف فيرفعه ، أو مرسل فيوصله ، أو يبدل رجلا برجل •

وقال ابن حبان : كان شيخا فاضلا صدوقا ، الا أنه ابتلى بوراق سوء كان يدخل عليه ، فكلم في ذلك فلم يرجع ، وكان ابن خزيمة يروي عنه ، سمعته يقول حدثنا بعض من أمسكنا عن ذكره • وهو من الضرب الذي ذكرته مرارا أن لو خر من السماء فتخطفه الطير أحب اليه من أن يكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولكن أفسدوه ، وما كان ابن خزيمة يحدث عنه الا بالحرف بعد الحرف • قلت : روى عن أبيه وجرير وعبد السلام بن حرب ، وعنه أبو عروبة وابن صاعد وخلق ، وقد حسن له الترمذي • ا هـ ملخصا •

قلت : رواه النسائي بنحوه من غير تقييد بركعتي الفجر كما قال الهيثمي ، ولفظ النسائي في كتاب الاستعاذة هكذا : أخبرنا أحمد بن حفص قال : حدثني أبي قال : حدثني ابراهيم عن سفيان بن سعيد عن أبي حسان عن جسرة عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اللهم رب جبرائيل وميكائيل ورب اسرافيل ، أعوذ بك من حر النار وعذاب القبر » • ا هـ ، فليس

فيه التقييد بركعتي الفجر ولا لفظ محمد ، وفيـــه زيادة لفظ حر وعذاب القبر • وهذه الرواية رجال سندها كلهم ثقات غير جسرة بنت دجاجة ، قال البيهقي : فيها نظر ، وقال ابن حبان فيما نقله أبو العباس البناني : عندها عجائب ، وقال البخاري في تاريخه : عندها عجائب ، وأما أحمد فقال في صاحبها فليت العامري : لا أرى به بأسا ، وقال أحمد العجلي : جسرة تابعية ثقـــة ــ فقوله عندها عجائب ، ليس بصريح في الجرح ، كذا في الميزان ، وقال الحافظ في التقريب : مقبولة من الثالثة ، وقال في الخلاصة : وثقها العجلي ، وقال الذهبي في الكاشف : ثقة ، فالراجح أنها ثقة ، لكن فيها سفيان الثوري وهو مدلس وقد عنعن هذا الحديث فلا يقبل •

• • ○

وجملة الكلام أن هذا الحديث لا يخلو طريق من طرقه من مقال ، فالأولى الاستدلال في ذلك الباب بحديث عائشة رضي الله عنها قالت : كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا قام من الليل افتتح صلاته فقال « اللهم رب جبرائيل » الحديث فانه في صحيح مسلم وصحيح ابن حبان وسنن النسائي الصغرى التي يقال لها (المجتبى) وهي التي قال النسائي في حقها : صحيح كلها ، وأطلق اسم الصحة عليها أبو علي النيسابوري وأبو أحمد بن عدي وأبو الحسن الدارقطني وأبو عبد الله الحاكم وابن منده وعبد الغني بن سعيد وأبو يعلى الخليلي وأبو علي بن السكن وأبو بكر الخطيب وغيرهم •

وقال سعد بن علي الريحاني : ان لأبي عبد الرحمن شرطا في الرجال أشد من شرط البخاري ومسلم •

وقال الترمذي : هذا حديث حسن غريب ، وسكت عليه أبو داود ، ورجال سنده كلهم ثقات من رجال الصحيحين ، غير عكرمة بن عمار فانه من رجال مسلم فقط ، وهو ممن اختلف فيه ، قال الحافظ في التقريب : عكرمة بن عمار العجلي اليمامي أصـــله من البصرة ، صـــدوق يغلط ، وفي روايته عن يحيى بن أبي كثير اضطراب ، ولم يكن له كتاب • انتهى •

وقال الذهبي في الميزان : عكرمة بن عمار الحنفي اليمامي عن هرماس وطاوس

وطائفة ، وعنه شعبة ويحيى القطان وعبد الرزاق وخلق ، وهو ثقة الا في يحيى بن أبي كثير فمضطرب ، وكان مجاب الدعوة . اهـ .

وقال في الخلاصة : عكرمة بن عمار الحنفي العجلي أبو عمار اليمامي أحد الأئمة ، عن الهرماس بن زياد ثم عن عطاء وطاوس وعنه شعبة والسفيانان ويحيى القطان وابن المبارك وابن مهدي وخلق ، وثقه ابن معين والعجلي ، وتكلم البخاري وأحمد والنسائي في روايته عن يحيى بن أبي كثير ، وأحمد في اياس بن سلمة .اهـ.

وقال الذهبي في الميزان : عكرمة بن عمار أبو عمار العجلي اليمامي عن الهرماس بن زياد ، وله رواية عن طاوس وسالم وعطاء ويحيى بن أبي كثير ، وعنه يحيى القطان وابن مهدي وأبو الوليد وخلق ، روى أبو حاتم عن ابن معين : كان أميا حافظا ، وقال أبو حاتم : صدوق ربما يهم ، وقال يعقوب بن شيبة : حدثنا غير واحد سمعوا يحيى بن معين يقول : ثقة ، وقال عاصم بن علي : كان مستجاب الدعوة ، وقال يحيى القطان : أحاديثه عن يحيى بن أبي كثير ضعيفة ، وقال أحمد ابن حنبل : ضعيف الحديث ، وكان حديثه عن اياس بن سلمة صالحا . قال الحاكم: أكثر مسلم الاستشهاد به ، وقال البخاري : لم يكن له كتاب فاضطرب حديثه عن يحيى ، وقال أحمد : أحاديثه عن يحيى ضعاف ليست بصحاح ، وقال محمد بن عثمان سمعت عليا يقول : عكرمة بن عمار كان عند أصحابنا ثقة ثبتا اهـ ، وقال الترمذي في جامعه : وعكرمة ربما يهم في حديث يحيى . اهـ .

فقد علم من العبارات المذكورة أن الناس في عكرمة بن عمار مفترقون على فرقتين : منهم من يوثقه على الاطلاق كمسلم وابن حبان والترمذي وأبي داود وابن معين والعجلي وأبي حاتم وعلي بن عبد الله بن المديني ، ومنهم من يوثقه في غير روايته عن يحيى بن أبي كثير كالحافظ ابن حجر والذهبي والبخاري ويحيى القطان وأحمد ، وايراد النسائي في المجتبى حديثه يدل على أنه عنده ثقة على الاطلاق ، وعبارة الخلاصة تدل على خلافه ، فليفهم .

وفي الباب عن أم سلمة رضي الله عنها قالت : قلت يا رسول الله ألا تعلمني دعوة أدعو بها لنفسي ؟ قال « بلى ، قولي : اللهم رب النبي محمد اغفر لي ذنبي ، وأذهب غيظ قلبي ، وأجرني من مضلات الفتن ما أحييتنا » قلت : عند الترمذي

بعضه ، رواه أحمد واسناده حسن • كذا في مجمع الزوائد •

قوله : قال العلامة ابن علان في شرح الاذكار : خص هؤلاء بالذكر للتوسل بهم في قبول الدعاء ، والا فهو سبحانه وتعالى رب جميع المخلوقات •

أقول : هذه العبارة ليس لها أثر في شرح الأذكار ، فهي من اختلاق صاحب الرسالة ، فلننقل هنا لفظ ابن علان في شرح الأذكار بعينه :

قال ابن علان في شرح الأذكار : انما خصهم بالذكر ــ وان كان تعالى رب كل شيء ــ بما تكرر في القرآن والسنة من نظائره من الاضافة الى كل عظيم المرتبة وكبير الشأن دون ما يستحقر ويستصغر ، فيقال له سبحانه : رب السموات ورب الأرض ورب العرش الكريم ورب الملائكةورب المشرقين ورب المغربين ونحوه مما هو وصف له بدلائل العظمة ، وعظمة القدرة والملك ، ولم يستعمل فيما يستحقر ويستصغر ، فلا يقال : رب الحشرات وخالق القردة والخنازير وشبهها على سبيل الافراد ، وانما يقال خالق المخلوقات ، وحينئذ تدخل هذه في العموم •

« وقال القرطبي : خص هؤلاء الملائكة بالذكر تشريفا لهم اذ بهم ينتظم هذا الوجود اذ أقامهم الله تعالى في ذلك ، قال في الحرز : والظاهر أن مراتب فضلهم على ترتيب ذكرهم ، ا هـ • وقال ابن الجزري في مفتاح الحصن : خصهم بالذكر وكذا رب العرش العظيم ونحوه من دلائل العظمة لعظمة شأنه فانه رب كل شيء • ا هـ •

« وقد يقال ان حياة القلب بالهداية ، وهؤلاء الثلاثة موكلون بالحياة : فجبريل بالوحي وهو سبب حياة القلب ، وميكائيل بالقطر الذي هو سبب حياة الأبدان ، واسرافيل بالنفخ في الصور الذي هو سبب حياة العالم وعود الروح الى الأجساد • فالتوسل الى الله سبحانه بربوبية هذه الأرواح العظيمة الموكلة بالحياة له تأثير عظيم في حصول الحاجات ووصول المهمات » •

هذا آخر ما في شرح الأذكار ، فليس فيها ذكر التوسل بهم ، انما في الجملة الأخيرة ذكر التوسل بربوبية هذه الأرواح العظيمة ، والربوبية صفة من صفات الله تعالى ، والتوسل بصفة من صفات الله تعالى جائز بلا خوف •

على أن التخصيص بالذكر لا يدل على التوسل ، ألا ترى الى الآيات الكريمة التي فيها التخصيص بالذكر وأين هي من التوسل ، منها ما قال الله تعالى في سورة التوبة (عليه توكلت وهو رب العرش العظيم) ، ومنها ما قال تعالى في سورة المؤمنون (لا اله الا هو رب العرش الكريم) ، ومنها ما قال في سورة النمل (لا اله الا هو رب العرش العظيم) ، ومنها ما قال تعالى في سورة الزخرف (سبحان رب السموات والأرض رب العرش عما يصفون) ، ومنها ما قال تعالى في سورة بني اسرائيل (قال لقد علمت ما أنزل هؤلاء الا رب السموات والأرض بصائر) ، ومنها ما قال تعالى في سورة الكهف (وربطنا على قلوبهم اذ قاموا فقالوا ربنا رب السموات والأرض) ، ومنها ما قال في سورة مريم (رب السموات والأرض وما بينهما فاعبده واصطبر لعبادته) ، ومنها ما قال تعالى في سورة طه (قالوا آمنا برب هرون وموسى) ، ومنها ماقال تعالى في سورة ص (رب السموات والأرض وما بينهما العزيز الغفار) ، ومنها ما قال تعالى في سورة الزمر (قل اللهم فاطر السموات والأرض) ، ومنها ما قال تعالى في سورة النجم (وأنه هو رب الشعرى) ، ومنها ما قال تعالى في سورة الرحمن (رب المشرقين ورب المغربين) ، ومنها ما قال تعالى في سورة المعارج (فلا أقسم برب المشارق والمغارب) ، ومنها ما قال تعالى في سورة المزمل (رب المشرق والمغرب لا اله الا هو فاتخذه وكيلا) ، ومنها ما قال تعالى في سورة الذاريات (فورب السماء والأرض انه لحق مثل ما أنكم تنطقون) ، ومنها ما قال تعالى في سورة النبأ (رب السموات والأرض وما بينهما الرحمن لا يملكون منه خطابا) ، ومنها ما قال تعالى في سورة قريش (فليعبدوا رب هذا البيت) ، ومنها ما قال تعالى في سورة الفلق (قل أعوذ برب الفلق) ، ومنها ما قال تعالى في سورة الناس (قل أعوذ برب الناس) .

وكذلك قد تكرر هذا التخصيص في السنة المطهرة : منها ما روى عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول عند الكرب « لا اله الا الله العظيم الحليم ، لا اله الا الله رب العرش العظيم ، لا اله الا الله رب السموات ورب الأرض ورب العرش الكريم » رواه البخاري ومسلم . ومنها ما روى عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول اذا قام الى الصلاة من جوف الليل « اللهم لك الحمد أنت نور السموات والأرض ، ولك الحمد أنت قيام

السموات والأرض ، ولك الحمد أنت رب السموات والأرض ومن فيهن » الحديث رواه مسلم •

ومنها ما روى عن أبي هريرة قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمرنا اذا أخذنا مضجعنا أن نقول « اللهم رب السموات ورب الأرض ورب العرش العظيم ، ربنا ورب كل شيء ، فالق الحب والنوى ومنزل التوراة والانجيل والفرقان » الحديث رواه مسلم والترمذي وقال حديث صحيح ، ومنها ما روى عن أبي هريرة قال : قال أبو بكر قلت : يا رسول الله مرني بشيء أقوله اذا أصبحت واذا أمسيت ، قال « قل اللهم عالم الغيب والشهادة فاطر السموات والأرض ، رب كل شيء ومليكه » الحديث رواه الترمذي وأبو داود والدارمي وقال الترمذي هذا حديث حسن صحيح ، ومنها ما روى عن بريدة قال : شكا خالد بن الوليد الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله ما أنام الليل من الأرق ، فقال نبي الله صلى الله عليه وسلم « اذا أويت الى فراشك فقل : اللهم رب السموات السبع وما أظلت ، ورب الأرضين وما أقلت ، ورب الشياطين وما أضلت » الحديث رواه الترمذي وقال هذا حديث ليس اسناده بالقوي ، ومنها ما روى عن أبي لبابة ابن عبد المنذر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا أراد دخول قرية لم يدخلها حتى يقول « اللهم رب السموات السبع وما أظلت ، ورب الأرضين السبع وما أقلت ، ورب الرياح وما أذرت ، ورب الشياطين وما أضلت ، اني أسألك خيرها وخير ما فيها ، وأعوذ بك من شرها وشر من فيها » رواه الطبراني في الأوسط واسناده حسن •

وعن أبي مغيث بن عمرو أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أشرف على خيبر قال لأصحابه وأنا فيهم « قفوا » ثم قال « اللهم رب السموات وما أظللن ، ورب الأرضين وما أقللن ، ورب الشياطين وما أضللن ، ورب الرياح وما ذرين ، أسألك خير هذه القرية وخير أهلها ، وأعوذ بك من شرها وشر أهلها وشر ما فيها ، اقدموا بسم الله » وكان يقولها لكل قرية يريد يدخلها ، رواه الطبراني وفيه راو لم يسم وبقية رجاله ثقات ، كذا في مجمع الزوائد •

وعن قتادة قال : كان ابن مسعود اذا أراد أن يدخل قرية قال : اللهم رب

السموات وما أظلت ، ورب الشياطين وما أضلت ، ورب الرياح وما أذرت ، أسألك خيرها وخير ما فيها ، وأعوذ بك من شرها وشر ما فيها ، رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح ، الا أن قتادة لم يدرك ابن مسعود ، كذا في مجمع الزوائد .

فبعض ما ذكرنا من الآيات والأحاديث ليس فيه الدعاء حتى يتوسل في اجابته ، والبعض الآخر وان كان فيه دعاء لكن ما أضيف اليه الرب لا يصلح لأن يتوسل به عند أحد من عقلاء المسلمين — كالفلق والشياطين والرياح — فالتخصيص بالذكر فيما هنالك ليس للتوسل ، بل بوصفه تعالى بدلائل العظمة ، وعظيم القدرة والملك .

قال النووي : قال العلماء خصهم بالذكر وان كان تعالى رب كل المخلوقات كما تكرر في القرآن والسنة من نظائره من الاضافة الى كل عظيم المرتبة وكبير الشأن ، دون ما يستحقر ويستصغر ، فيقال له سبحانه وتعالى : رب السموات ورب الأرض ورب العرش الكريم ، ورب الملائكة والروح ، ورب المشرقين ورب المغربين ، رب الناس ملك الناس اله الناس ، رب العالمين رب كل شيء رب النبيين ، خالق السموات والأرض ، (فاطر السموات والأرض ، جاعل الملائكة رسلا) — فكل ذلك وشبهه وصف له سبحانه بدلائل العظمة وعظيم القدرة والملك ، ولم يستعمل ذلك فيما يحتقر ويستصغر فلا يقال رب الحشرات وخالق القردة والخنازير وشبه ذلك على الافراد وانما يقال خالق المخلوقات وخالق كل شيء ، وحينئذ تدخل هذه في العموم . اهـ .

وقد ذكر هذا الوجه ابن علان أيضا في شرح الأذكار ، فما بال صاحب الرسالة يعزو الى ابن علان ما لم يذكره ولا ينقل ما ذكره في توجيه التخصيص ؟ وهل هذا الا خيانة في الدين ؟ وليعلم أن قول النووي : لم يستعمل ذلك فيما يحتقر ويستصغر ، ليس على عمومه ، فانه قد ورد في الحديث « رب الشياطين وما أضلت » فافهم [1] .

(1) ان خبث الشياطين واحتقار اضلالها لا يقتضي استصغار خلقها واحتقار أفعالها بمعنى أنه لا يؤبه لشرها ، بل هي اكبر شرور العالم بحيث لا يقدر الانسان على اتقائها الا بالاستعاذة منها بخالقها . فاضافة اسم الرب اليها من دلائل عظمته وقدرته عز وجل . وكتبه محمد رشيد رضا .

قوله : وفي شرح حزب البحر للامام زروق قال بعد ذكر كثير من الأخيار : اللهم انا نتوسل اليك بهم فانهم أحبوك •

أقول : قول أحد من الناس غير النبي صلى الله عليه وسلم ليس بحجة •

قوله : ولبعض العارفين دعاء مشتمل على قوله : اللهم رب الكعبة وما بناها ، وفاطمة وأبيها ، وبعلها وبنيها ، نور بصري •

أقول : فيه ما ذكر من أن قول غير النبي صلى الله عليه وسلم ليس دليلا شرعيا ، مع أن أمثال هذا الدعاء لا يمنعها أحد ، وان كان كون هذا التركيب دالا على التوسل محل بحث كما قد بيناه آنفا من أن الاضافة الى كل عظيم المرتبة وكبير الشأن انما هي لاظهار عظمة شأنه تعالى لا للتوسل بما أضيف اليه الرب •

قوله : فكما أن الله تعالى جعل الطعام والشراب سببين للشبع والري لا تأثير لهما ، والمؤثر هو الله تعالى وحده ، وجعل الطاعة سببا للسعادة ونيل الدرجات ، جعل أيضا التوسل بالأخيار الذين عظمهم الله تعالى وأمر بتعظيمهم سببا لقضاء الحاجات •

أقول : فيه كلام من وجهين :

(الأول) أن هذا قياس مع الفارق ، فان كون الطعام والشراب سببين للشبع والري معلوم بالعقل والنقل ، وكذلك كون الطاعة سببا للسعادة ونيل الدرجات ، وأما كون التوسل بالأخيار سببا لقضاء الحاجات فلا يدل عليه دليل عقلي أو نقلي •

و (الثاني) أن الكلام في مشروعية التوسل لا في كونه سببا لقضاء الحاجات، ولا ملازمة بين الأمرين ، فرب سبب في الدنيا وبال ونكال في الآخرة •

قوله : فعليك باتباع الجمهور والسواد الأعظم •

أقول : فيه نظر من وجوه [1] :

(الأول) أن الأكثر قد يخطىء ، قال الحافظ في الفتح تحت حديث ابن عباس ان أبا بكر خرج وعمر بن الخطاب يكلم الناس فقال اجلس يا عمر ، فأبى عمر أن يجلس . فأقبل النـــاس اليه وتركوا عمر ، فقال أبو بكر : أما بعد من كان منكم يعبد محمدا صلى الله عليه وسلم فان محمدا قد مات ، ومن كان منكم يعبد الله فان الله حي لا يموت ، قال الله تعالى : (وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل) الى قوله (الشاكرين) وقال : والله لكأن الناس لم يعلموا أن الله أنزل هذه الآية حتى تلاها أبو بكر ، فتلقاها الناس منه كلهم ، فما أسمع بشرا من الناس الا يتلوها ، الحديث : وكان أكثر الصحابة على خلاف ذلك ، فيؤخذ منه أن الأقل عددا في الاجتهاد قد يصيب ويخطىء الأكثر فلا يتعين الترجيح بالكثرة ، ولا سيما ان ظهر أن بعضهم قلد بعضا . اهـ . فلا وجه للقــول بوجوب اتبــاع الجمهور عموما .

---

(1) ان في كل وجه من الوجوه الثلاثة التي رد بها المصنف على هذه الجملة نظرا ظاهرا ، والجملة في نفسها بمعنى الأحاديث الصحيحـة الواردة في الأمر باتبـاع الجماعة وهي معروفة مشهورة ، ولكن المراد بالجماعة فيها جماعة الصحابة والسواد الأعظم منهم فيما كانوا عليه من أمر الدين الذي تلقوه عن النبي صلى الله عليه وسلم دون من شذ من أفرادهم باجتهاده الخاص . وأما الجمهور والسواد الأعظم الآن وهم الذين يعنيهم دحلان ، فقـد فشت فيهم البـدع والمنـكرات ، فلا عبـرة بكثرتهم ولا بجمهورهم ، بل بمتبعي جماعة السلف منهم .

أما الوجه الأول مما أورد المصنف فلايرد على الأحاديث الصحيحة فياتباعالجماعة ، ولا ينافي ما تدل عليه من كون جمهور الصحابة كانوا على الحق في أمر الدين ، فان ما عرض لهم من الذهول والاضطراب عند موت الرسول صلى الله عليه وسلم من العوارض البشرية لا من العقائد ولا السنن العملية المتبعة ، وقد انتهى هـذا العارض البشري باتباع الصـديق فيما ذكرهم به من قول الله عز وجل ، وانما العبرة في الأعمال ، والأحوال بخواتيمها لا بمباديها ، وبهذا ثبت أنهم رضى الله عنهم كانوا على هدى فيما جروا عليه من العمل في هذه المصيبة الكبرى .

وأما الوجه الثاني فقد اخطأ المصنف في استدلاله بالآيات التي ذكرها على قلة رشد المؤمنين ، فالآيات ليست فيهم . وأما الوجه الثالث فموضوعه مخالفة بعض المجتهدين للجمهور في بعض المسائل الاجتهادية ، فمن كان من أهل النظر والاجتهاد في أمثال هذه المسائل فعليه أن يعمل بما أداه اليه اجتهاده فيها ، ومن لم يكن عنده من العلم الا أن جمهور علماء المسلمين رأوا في هذه المسالة كذا وأن فردا منهم خالفهم فرأى فيها غير رأيهم ، ولم يكن عنده قدرة على الترجيح ، فالأولى له أن يتبـع الجمهور فيها . وكتبه محمد رشيد رضا (ثم رأيت له فيما سيأتي ما يقرب منه) .

و (الثاني) أن الخير والرشد في الناس قليل ، والشر والضلالة كثير ، يدل عليه الآيات التي نتلوها عليك :

منها قوله تعالى في سورة الأعراف (قال فبما أغويتني لأقعدن لهم صراطك المستقيم ❊ ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم ولاتجد أكثرهم شاكرين) ، وقوله تعالى في سورة بني اسرائيل (قال أرأيتك هذا الذي كرمت على لئن أخرتن الى يوم القيامة لأحتنكن ذريته الا قليلا) •

ففي هاتين الآيتين قد نقل الله تعالى قول الشيطان ، وهذا قاله ابليس على الظن فأصاب كما قال تعالى في سورة سبأ (ولقد صدق عليهم ابليس ظنه فاتبعوه الا فريقا من المؤمنين) ومنها قوله في سورة الأنعام (وان تطع أكثر من في الأرض يضلوك عن سبيل الله) وقوله تعالى في سورة (ص) (وان كثيرا من الخلطاء ليبغي بعضهم على بعض الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم) وقوله تعالى في سورة سبأ (وقليل من عبادي الشكور) وقوله تعالى في سورة المائدة (قل لا يستوي الخبيث والطيب ولو أعجبك كثرة الخبيث) ففيه اشارة الى قلة الخير وكثرة الشر ، وقوله تعالى في سورة يونس (وان كثيرا من الناس عن آياتنا لغافلون) وقوله في سورة يوسف (ولكن أكثر الناس لا يشكرون) وقوله تعالى أيضا فيها (وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين) وقوله تعالى أيضا فيها (وما يؤمن أكثرهم بالله الا وهم مشركون) وقوله تعالى في سورة المائدة (وان كثيرا من الناس لفاسقون) وقوله تعالى في سورة الأعراف (قليلا ما تذكرون) وقوله تعالى أيضا فيها (قليلا ما تشكرون) وقوله تعالى في سورة الرعد (ولكن أكثر الناس لا يؤمنون) وقوله تعالى في سورة الفرقان (ولقد صرفناه بينهم ليذكروا فأبى أكثر الناس الا كفورا) ، وقوله تعالى في سورة الشعراء بعد ذكر نبأ ابراهيم عليه السلام (وما كان أكثرهم مؤمنين) وقد تكرر هذا القول في هذه السورة في قصة نوح عليه السلام وقصة هود وقصة صالح وقصة لوط وقصة شعيب عليهم الصلاة والسلام ، فقد دل قوله تعالى هذا على أن الراشد في الأمم الماضية أيضا كان قليلا والضلالة كثيرا ، وقوله تعالى في سورة الزخرف (ولكن أكثرهم للحق كارهون) ، وقوله تعالى في سورة الحديد (ولقد أرسلنا نوحا وابراهيم وجعلنا في ذريتهما النبوة والكتاب فمنهم مهتد وكثير منهم فاسقون) •

اذا وعيت تيك الآيات فقد علمت أن الرشد في بني آدم عموما وفي المؤمنين خصوصا قليل ، أما قلة رشد بني آدم عموما فظاهر من الآيات المذكورة ، وأما قلة رشد المؤمنين خصوصا فيدل عليه قوله تعالى (ولقد صدق عليهم ابليس ظنه فاتبعوه الا فريقا من المؤمنين) ، وقوله تعالى (وما يؤمن أكثرهم بالله الا وهم مشركون) ، فكيف يصح القول باتباع الجمهور عموما ؟ .

و (الثالث) أن كثيرا من الأئمة قد خالفوا الجمهور في مسائل كثيرة : كابن أبي ليلى والأصم ، فانهما جوزا الطهارة بسائر أنواع المياه حتى المعتصرة من الأشجار ونحوها ، وخالفا الجمهور في أنه لا تصح الطهارة الا بالماء المطلق ، وكأبي حنيفة فانه خالف الجمهور في أن النجاسة لا تزال الا بالماء وقال : تزال بكل مائع غير الأدهان ، وكالشافعي فانه خالف الجمهور وقال بكراهة استعمال الماء المشمس في الطهارة ، وكأحمد فانه قال بكراهة الماء المسخن بالنجاسة ، وخالف الجمهور ، وكمالك فانه قال : الماء المستعمل مطهر وخالف في ذلك الجمهور ، وغير ذلك من الأمثلة التي لا تكاد تحصر ، فيلزم أن تكون تلك الأئمة تاركين لهذا الواجب .

قوله : وقد قال الله تعالى : (ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا) .

أقول : قد استدل القائلون بحجية الاجماع بهذه الآية ، فإن تم فان الثابت منه وجوب اتباع ما أجمع عليه الأمة لا وجوب اتباع الجمهور ، فلا يتم التقريب ، مع أن في تمامه كلاما صعبا .

قوله : وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « عليكم بالسواد الأعظم فانما يأكل الذئب من الغنم القاصية » .

أقول : هذا الحديث بهذا اللفظ لم أقف عليه ، نعم في سنن ابن ماجه من حديث أنس بن مالك سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « ان أمتي لا تجتمع على ضلالة ، فاذا رأيتم اختلاف فعليكم بالسواد الأعظم » وفي سنده معان بن رفاعة وهو لين الحديث كثير الارسال ، وأيضا في سنده أبو خالف الأعمى وهو متروك كذبه يحيى بن معين كما تقدم .

فهذا الحديث ضعيف جدا ليس مما يحتج به على شيء من الأحكام الشرعية، وعلى تقدير ثبوت الحديث فالسواد الأعظم فيه قولان :

(أحدهما) جملة الناس ومعظمهم الذين يجتمعون على طاعة السلطان وسلوك النهج المستقيم ، كذا في النهاية ومجمع البحار . وعبر عنه بالجماعة في حديث ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « من رأى من أميره شيئا يكرهه فليصبر عليه ، فانه من فارق الجماعة شبرا فمات مات ميتة جاهلية » رواه البخاري ومسلم. وفي حديث حذيفة بن اليمان وهو حديث طويل أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « تلزم جماعة المسلمين وامامهم » قلت : فان لم يكن لهم جماعة ولا امام ؟ قال : فاعتزل تلك الفرق كلها » رواه البخاري ومسلم ، وفي الباب أحاديث كثيرة ثابتة في الصحاح وغيرها ، فاتباع السواد الأعظم هو اتباع الامام والجماعة الذين يجتمعون على طاعة السلطان .

ويؤيده ما روى عن النعمان بن بشير قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم على هذه الأعواد وعلى هذا المنبر « من لم يشكر القليل لم يشكر الكثير ، ومن لم يشكر الناس لم يشكر الله عز وجل ، والتحدث بنعمة الله شكر وتركها كفر ، والجماعة رحمة والفرقة عذاب » فقال أبو أمامة الباهلي : عليكم بالسواد الأعظم ، فقال رجل : ما السواد الأعظم ؟ فقرأ أبو أمامة هذه الآية التي في سورة النور (فان تولوا فانما عليه ما حمل وعليكم ما حملتم) رواه عبد الله بن أحمد والبزار والطبراني ورجاله ثقات ، كذا في مجمع الزوائد . وعن سعيد بن جمهان قال : لقيت عبد الله بن أبي أوفى وهو محجوب البصر فسلمت عليه فقال : من أنت ؟ قلت : أنا سعيد بن جمهان . قال : ما فعل والدك ؟ قلت : قتلته الأزارقة . قال : لعن الله الأزارقة ، لعن الله الأزارقة ، ثم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « كلاب النار » قلت : الأزارقة وحدهم أم الخوارج كلها ؟ قال بل الخوارج كلها ، قال قلت : فان السلطان يظلم الناس ويفعل بهم ويفعل بكم ذاك ، فتناول يدي فغمزها غمزة شديدة بيده ثم قال : يا ابن جمهان عليك بالسواد الأعظم (مرتين) ان كان السلطان يسمع منك فأته في بيته فأخبره بما تعلم ، فان قبل منك والا فدعه فانك لست أعلم منه .

قلت : روى ابن ماجه منه طرفا ، رواه أحمد والطبراني ورجال أحمد ثقات ، كذا في مجمع الزوائد ، وهو واجب على المسلم فيما احب وكره • ما لم يؤمر بمعصية ، وليس السواد الأعظم بهذا المعنى مما تثبت به مسألة شرعية •

و (ثانيهما) السواد الأعظم هم جماعة الصحابة ، يدل عليه حديث عبد الله ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ليأتين على أمتي ما أتى على بني اسرائيل حذو النعل بالنعل » وفيه قالوا : من هي يا رسول الله ؟ قال « ما أنا عليه وأصحابي » رواه الترمذي وقال : هذا حديث حسن غريب مفسر ، وفي رواية عوف بن مالك قيل : يا رسول الله من هم ؟ قال « الجماعة » ، وفي رواية أنس بن مالك « كلها في النار ، الا واحدة وهي الجماعة » رواهما ابن ماجه ، والأحاديث بعضها يفسر بعضا •

فعلم أن السواد الأعظم هو الجماعة ، وهي جماعة الصحابة ، ولعله بهذا المعنى قال اسحاق بن راهويه حين سئل عن معنى حديث « عليكم بالسواد الأعظم » : هو محمد بن أسلم وأتباعه ، فأطلق على محمد بن أسلم وأتباعه لفظ السواد الأعظم تشبيها لهم بالصحابة في شدة ملازمة السنة والتمسك بها • ومن ثم قال الامام الشافعي : اذا رأيت رجلا من أصحاب الحديث فكأني رأيت رجلا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ، كذا في (تلبيس ابليس) ، ولذا كان سفيان الثوري يقول : المراد بالسواد الأعظم هم من كان من أهل السنة والجماعة ولو واحدا • كذا في الميزان للشعراني •

قال ملا سعد الرومي في (مجالس الأبرار) : فلا بد لك أن تكون شديد التوقي من محدثات الأمور ، وان اتفق عليه الجمهور فلا يغرنك اتفاقهم على ما أحدث بعد الصحابة ، بل ينبغي لك أن تكون حريصا على التفتيش عن أحوالهم وأعمالهم ، فان أعلم الناس وأقربهم الى الله تعالى أشبههم بهم ، وأعرفهم بطريقهم ، اذ منهم أخذ الدين ، وهم أصول في نقل الشريعة عن صاحب الشرع ، وقد جاء في الحديث « اذا اختلف الناس فعليكم بالسواد الأعظم » والمراد به لزوم الحق واتباعه وان كان المتمسك به قليلا ، والمخالف كثيرا ، لأن الحق ما كان عليه الجماعة الأولى وهم الصحابة ، ولا عبرة بكثرة الباطل بعدهم •

وقد قال فضيل بن عياض ما معناه : الزم طرق الهدى ولايضرك قلة السالكين، واياك وطرق الضلالة ولا تغتر بكثرة الهالكين • وقال بعض السلف : اذا وافقت الشريعة ولاحظت الحقيقة ، فلا تبال وان خالف رأيك جميع الخليقة • وقال ابن مسعود : أنتم في زمان خيركم المسارع في الأمور ، وسيأتي زمان بعدكم خيرهم فيه المتثبت المتوقف لكثرة الشبهات •

قال الامام الغزالي : ولقد صدق ، لأن من لم يتثبت في هذا الزمان ووافق الجماهير فيما هم فيه وخاض فيما خاضوا فيه ، يهلك كما هلكوا ، فان أصل الدين وعمدته وقوامه ليس بكثرة العبادة والتلاوة والمجاهدة بالجوع وغيره ، وانما هو باحرازه من الآفات ، والعاهات التي تأتي عليه من البدع والمحدثات ، فانها لكثرتها وشيوعها صارت كأنها من شعار الدين أو من المفروضة علينا • اهـ •

وقال الحافظ ابن القيم : فالبصير الصادق لا يستوحش من قلة الرفيق ولا من فقده اذا استشعر قلبه مرافقة الرعيل الأول (الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا) ، فتفرد العبد في طريق طلبه دليل على صدق طلبه ، ولقد سئل اسحاق بن راهويه عن مسألة فأجاب عنها ، فقيل له : ان أخاك أحمد بن حنبل يقول فيها بمثل قولك ، فقال : ما ظننت أن أحدا يوافقني عليها ، ولم يستوحش بعد ظهور الصواب له من عدم الموافق ، فان الحق اذا لاح وتبين لم يحتج الى شاهد يشهد به ، والقلب يبصر الحق كما تبصر العين الشمس ، فكيف يحتاج الى شاهد يشهد بطلوعها ويوافقه عليه ؟ •

وما أحسن ما قال أبو شامة عبد الرحمن بن اسماعيل في كتاب (الحوادث والبدع) : حيث جاء الأمر بلزوم الجماعة فالمراد به لزوم الحق واتباعه ، وان كان المتمسك به قليلا والمخالف له كثيرا ، لان الحق هو الذي كانت عليه الجماعة الأولى من عهد النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، ولا نظر الى كثرة أهل الباطل بعدهم •

قال عمرو بن ميمون الأودي : صحبت معاذا باليمن ، فما فارقته حتى واريته في التراب بالشام ، ثم صحبت بعده أفقه الناس عبد الله بن مسعود ، فسمعته يقول : عليكم بالجماعة فان يد الله على الجماعة ، ثم سمعته يقول : سيلي عليكم

ولاة يؤخرون الصلاة عن مواقيتها ، فصلوا الصلاة لميقاتها فهى الفريضة ، وصلوا معهم فانها لكم نافلة . قال قلت : يا أصحاب محمد ما أدري ما تحدثونا ! قال : وما ذاك ؟ قلت : تأمرني بالجماعة وتحضني عليها ، ثم تقول : صل الصلاة وحدك وهي الفريضة ، وصل مع الجماعة وهي النافلة . قال : يا عمرو بن ميمون ، قد كنت أظنك من أفقه أهل هذه القرية ، تدري ما الجماعة ؟ قلت : لا : قال : ان جمهور الناس الذين فارقوا الجماعة ، الجماعة ما وافق الحق وان كنت وحدك . قال نعيم ابن حماد : يعني اذا فسدت الجماعة فعليك بما كانت عليه الجماعة قبل أن تفسد وان كنت وحدك ، فانك أنت الجماعة حينئذ . وعن الحسن قال : السنة — والذي لا اله الا هو — بين الغالي والجافي ، فاصبروا عليها رحمكم الله ، فان أهل السنة كانوا أقل الناس فيما مضى ، وهم أقل الناس فيما بقى ، الذين لم يذهبوا مع أهل الاتراف في أترافهم ، ولا مع أهل البـــدع في بدعهم ، وصبروا على سنتهم حتى لقوا ربهم ، فكذلك ان شاء الله تعالى فكونوا .

وكان محمد بن أسلم الطوسي — الامام المتفق على امامته — من اتبع الناس للسنة في زمانه ، حتى قال : ما بلغتني سنة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الا عملت بها ، ولقد حرصت على أن أطوف بالبيت راكبا فما مكنت من ذلك .

وسئل بعض أهل العلم في زمانه عن السواد الأعظم الذين جاء فيهم الحديث « اذا اختلف الناس فعليكم بالسواد الأعظم » : من السواد الأعظم ؟ قال : محمد ابن أسلم الطوسي هو السواد الأعظم . اهـ .

وقال ابن حجر المكي مستند الخصم في الفتاوي : فان قلت هذا القول الثالث ينسب الى الأكثر ، وقد قالوا ان الخطأ الى القليل أقرب منه الى الكثير ، قلت : وانه يتعين الافتاء بما عليه الأكثر ، محل ذلك ما لم يتضح أن الأكثر استروحوا كما هنا ، فانهم تمسكوا بالظواهر مع عدم الالتفات للدلائل الواضحة التي تدل على القول الأول والثـاني ، فوجب المصير الى ما عليه الأقل ، لأنهم أئمة محققـون اتضحت أدلتهم وظهرت محجتهم ، على أنه ورد عن ابن مسعود رضى الله عنه رفعه « ليس الجماعة بكثرة الناس ، من كان معه الحق فهو الجماعة وان واحدا » . اهـ .

ويؤيد هذا المعنى ما روى عن أبي الدرداء وواثلة بن الأسقع وأنس بن مالك

قالوا : خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما ونحن نتمارى في شيء من أمر الدين ، فغضب غضبا شديدا لم يغضب مثله ، ثم انتهرنا فقال « مهلا يا أمة محمد ، انما هلك من كان قبلكم بهذا المراء ، لقلة خيره . ذروا المراء ، فان المؤمن لا يمارى . ذروا المراء ، فان المماري قد تمت خسارته . ذروا المراء فكفى اثما ألا تزال مماريا . ذروا المراء ، فان المماري لا أشفع له يوم القيامة . ذروا المراء ، فأنا زعيم بثلاثة أبيات في الجنة في ريضها ووسطها وأعلاها لمن ترك المراء وهو صادق . ذروا المراء ، فان أول ما نهاني عنه ربي بعد عبادة الأوثان المراء ، فان بني اسرائيل افترقوا على احدى وسبعين فرقة والنصارى على ثنتين وسبعين فرقة ، كلهم على الضلالة الا السواد الأعظم » قالوا يا رسول الله ما السواد الأعظم ؟ قال « من كان على ما أنا عليه وأصحابي ، من لم يمار في دين الله ، ولم يكفر أحدا من أهل التوحيد بذنب غفر له » . ثم قال « ان الاسلام بدأ غريبا وسيعود غريبا » قالوا : يا رسول الله ومن الغرباء ؟ قال « الذين يصلحون اذا فسد الناس ، ولا يمارون في دين الله ولا يكفرون أحدا من أهل التوحيد بذنب » رواه الطبراني في الكبير ، وفيه كثير بن مروان وهو ضعيف جدا ، كذا في مجمع الزوائد في باب المراء . وفيه في (باب لا يكفر أحد من أهل القبلة) أخرجه الطبراني في الكبير ، وفيه كثير بن مروان ، كذبه يحيى والدارقطني . اهـ ، وفي الميزان : ضعفوه يروى عن ابراهيم ابن أبي عبلة وغيره ، قال يحيى والدارقطني : ضعيف ، وقال يحيى مرة : كذاب ، وقال الفسوي : ليس حديثه بشيء . اهـ .

فان قيل : هـذا الحديث ضعيف جدا فلا يصح أن يحتج به . قلت : ليس بأضعف من حديث « عليكم بالسواد الأعظم » فاذا جوز صاحب الرسالة الاحتجاج بهذا على لزوم اتباع الجمهـور فليجوز الاحتجـاج بذاك أيضا على تعيين المراد بالسواد الأعظم ، وليعلم هناك أن محل وجوب اتباع السواد الأعظم الذي أريد منه جماعة الصحابة هو ما اختلف فيه الصحابة فذهب عامتهم وأكثرهم الى أمر والبعض الآخر الى خلافه بدليـل لفظ الاختلاف والسـواد الأعظم الواردين في الحديث ، فان السواد من الناس عامتهم كما في القاموس وغيره ، وأما ما أجمـع عليه الصحابة فوجوب اتباعه يعلم بفحوى الخطاب ، وأما ما اختلفوا فيه ولا يعلم كثرتهم في جانب فالحديث لا يدل على وجوب اتباعهم فيه ، وهذا كله فيما اذا لم

تعارضه آية أو حديث مرفوع صحيح أو حسن ولم يثبت نسخهما ، وأما اذا عارضته آية أو حديث فلا يلتفت الى ما أجمع عليه الصحابة أو ذهب اليه أكثرهم ان قدر وقوع ذلك .

وجملة الكلام أن المقصود اتباع الحق ولزومه كما قال ملا سعد الرومي في (المجالس) لا اتباع الكثير أو القليل ، وانما أمرنا باتباع الكثير من الصحابة فيما اختلفوا فيه لأن ذهاب أكثرهم الى أمر جعل أمارة وعلامة على كونه حقا ، اذ هم خير الأمة وأمنة لها . قال صلى الله عليه وسلم « فاذا ذهب أصحابي أتى أمتي ما يوعدون » أى من البدع والحوادث وذهاب الخير ومجيء الشر ، وهم كانوا لا يبتدعون من عند أنفسهم شيئا ، ويأخذون في كل أمر بسنته صلى الله عليه وسلم ، ويقتدون بأمره ، والعمل بمقتضى الأمارة انما هو اذا لم يوجد نص صريح ، وأما وقت وجدان النص الصريح الصحيح المعارض لمقتضى الأمارة فلا يعمل بمقتضى الأمارة ، بل العمل بالنص حينئذ متعين متحتم ، فانه حق صريح ، واذا جاء نهر الله بطل نهر معقل ، وماذا بعد الحق الا الضلال .

ولعلك تفطنت من هنا أن الاحداث في أمر الدين ، كما أنه لا يجوز لنا كذلك هو غير جائز للصحابة رضى الله عنهم أيضا ، لعموم قوله صلى الله عليه وسلم « من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد » . ولا تحسبن أن محدثات الصحابة ان قدر وقوعها داخلة في السنة خارجة عن حد البدعة ، كيف وقد ورد في الصحيح من حديث عبد الله بن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « أنا فرطكم على الحوض ، وليرفعن رجال منكم ، ثم ليختلجن دوني فأقول : يا رب أصحابي ، فيقال : انك لا تدري ما أحدثوا بعدك » وفي رواية أبي سعيد الخدري عند البخاري « فأقول : سحقا سحقا لمن غير بعدي » .

فلا غرو ان صدر أحيانا من بعض أفراد الصحابة شيء من الحدث أو غيره من المعاصي ، فانا معاشر أهل السنة والجماعة لا نقول بعصمة أحد غير الأنبياء عليهم السلام كائنا من كان ، ولكنا نعلم قطعا أن معظم الصحابة وعامتهم وأكثرهم كانوا يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، ويأخذون بسنته صلى الله عليه وسلم ويقتدون بأمره ، وينكرون شديد الانكار على من أحدث في الدين ، أو فعل فعلا لم يفعله سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم .

قال الحافظ في الفتح : وحاصل ما حمل عليه حال المذكورين أنهم كانوا ممن ارتد عن الاسلام فلا اشكال في تبري النبي صلى الله عليه وسلم منهم وابعادهم . وان كانوا ممن لم يرتد لكن أحدث معصية كبيرة من أعمال البدن أو بدعة من اعتقاد القلب ، فقد أجاب بعضهم بأنه يحتمل أن يكون أعرض عنهم ولم يشفع لهم اتباعا لأمر الله فيهم حتى يعاقبهم على جنايتهم ، ولا مانع من دخولهم في عموم شفاعته لأهل الكبائر من أمته فيخرجون عند اخراج الموحدين من النار . والله أعلم . اهـ .

قوله : وقال صلى الله عليه وسلم « من خالف الاسلام قيد شبر فقد خلع ربقة الاسلام من عنقه » .

أقول : هذا الحديث بهذا اللفظ [1] رواه الترمذي في أبواب الأمثال من حديث الحارث الأشعري في أثناء حديث طويل وقال : هذا حديث صحيح غريب ، قال محمد بن اسماعيل : والحارث الأشعري له صحبة ، وله غير هذا الحديث .

قال الحافظ في الفتح : « من فارق الجماعة شبرا فكأنما خلع ربقة الاسلام من عنقه » أخرجه الترمذي وابن خزيمة وابن حبان وصححاه من حديث الحارث بن الحارث الأشعري في أثناء حديث طويل ، وأخرجه البزار والطبراني في الأوسط من حديث ابن عباس ، وفي سنده خليد بن دعلج وفيه مقال ، وقال « من رأسه » بدل « عنقه » . انتهى .

وفي مجمع الزوائد : وعن أبي سلام ممطور عن رجل من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم ـ قال أراه أبا مالك الأشعري ـ قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « وأنا آمركم بخمس : بالسمع والطاعة والجماعة والهجرة والجهاد في سبيل الله ، فمن خرج عن الجماعة قيد شبر فقد خلع ربقة الاسلام من رأسه » الحديث ، وقال أحمد : ورجاله ثقات رجال الصحيح ، خلا على بن اسحاق السلمى وهو ثقة ، ورواه الطبراني باختصار الا أنه قال : فمن فارق الجماعة قيد قوس لم يقبل منه صلاة ولا صيام ، وأولئك هم وقود النار . اهـ .

(١) ليس هذا لفظه عند الترمذي ، وانما هو عنده بلفظا « وأنا آمركم بخمس الله أمرني بهن السمع والطاعة والجهاد والهجرة والجماعة ، فانه من فارق الجماعة قيد شبر فقد خلع ربقة الاسلام من عنقه الا ان يراجع » . وكتبه اسماعيل الأنصاري .

قلت : في تصحيح الترمذي وابن خزيمة وابن حبان حديث الحارث نظر ، فان في سنده يحيى بن أبي كثير وهو مدلس وقد عنعنه ، ورواه عن زيد بن سلام ، وروايته عنه منقطعة لأنها عن كتاب له ، وقال يحيى القطان : مرسلات يحيى بن أبي كثير شبه الريح ، كذا في الميزان • ورواه أيضا أبو داود في باب قتل الخوارج من حديث أبي ذر ، وفي سنده خالد بن وهبان ، قال الذهبي في الميزان : خالد بن وهبان عن أبي ذر مجهول • اهـ •

وفي الباب أحاديث أخر جلها ضعيفة ، منها ما روي عن أبي ذر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خطبنا فقال « انه كائن بعدي سلطان فلا تذلوه ، فمن أراد أن يذله فقد خلع ربقة الاسلام » رواه أحمد ، وفيه راو لم يسم ، وبقية رجاله ثقات •

ومنها ما روي عن معاذ بن جبل قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ومن خرج عن الجماعة قيد شبر متعمدا فقد خلع ربقة الاسلام من عنقه » رواه الطبراني ، وفيه عمرو بن واقد وهو متروك •

ومنها ما روي عن أبي الدرداء قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ومن خرج من الطاعة شبرا فقد خلع ربقة الاسلام من عنقه » رواه الطبراني ، وفيه عمرو بن رويبة وهو متروك •

ومنها ما روي عن ابن عمر قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يشبر شبرا « من فارق جماعة المسلمين شبرا خرج من عنقه ربقة الاسلام » رواه الطبراني ، وفيه حسين بن قيس وهو ضعيف •

ومنها ما روي عن سعد بن جنادة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من فارق الجماعة فهو في النار على وجهه » رواه الطبراني ، وفيه جماعة لم أعرفهم •

ومنها ما روي عن حذيفة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من فارق الجماعة واستذل الامارة لقى الله لا وجه له عنده » رواه أحمد ورجاله ثقات •

ومنها ما روي عن صلة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من فارق

الجماعة شبرا فقد فارق الاسلام » رواه البزار ، وفيه محمد بن عبيد الله العزرمي وهو ضعيف •

ومنها ما روي عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من فارق الجماعة قياس — أو قيد — شبر خلع ربقة الاسلام من عنقه » رواه الطبراني في الأوسط ، وفيه خليد بن دعلج وهو ضعيف •

ذكر تلك الأحاديث كلها الهيثمي في مجمع الزوائد • نعم في الوعيد على من فارق الجماعة أحاديث صحيحة لعل صاحب الرسالة لم يظفر بها ، والا فلا وجه لترك ما هو في أعلى درجة الصحة وذكر ما دونه ، وهذا أدل دليل على قصور نظره في صنعة الحديث :

منها حديث ابن عباس رضى الله عنهما « من خرج من السلطان شبرا مات ميتة جاهلية » • وفي رواية « من فارق الجماعة شبرا فمات الا مات ميتة جاهلية » وفي رواية « ليس أحد يفارق الجماعة شبرا فيموت الا مات ميتة جاهلية » رواه البخاري ومسلم والدارمي •

ومنها حديث أبي هريرة « من خرج من الطاعة وفارق الجماعة فمات مات ميتة جاهلية » وفي لفظ « من خرج من الطاعة ثم مات مات ميتة جاهلية » رواه مسلم والنسائي •

ومنها حديث ابن عمر « من خلع يدا من طاعة لقي الله يوم القيامة لا حجة له ، ومن مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية » ولكن ليس فيها ولا في غيرها مما فيه وعيد على مفارقة الجماعة دلالة على مطلوب الخصم من لزوم اتباع الجمهور • كيف والمراد بالجماعة في تلك الأحاديث هو معظم الناس الذين يجتمعون على طاعة السلطان ؟ •

يدلك على هذا ما ورد في بعض الروايات من لفظ السلطان ومثله ، وليعلم أنه لا يبعد أن يكون الحامل على ترك ما هو في أعلى درجة الصحة وذكر ما هو دونه هو زعم أن ارادة الجمهور من لفظ الجماعة في القسم الأول غير متعسرة ، بخلاف القسم الثاني ، فان كان هذا فهو أبعد من الديانة على ما لا يخفى •

قوله : وقد ذكر العلامة ابن الجوزي في كتابه المسمى (تلبيس ابليس) أحاديث كثيرة في التحذير من مفارقة السواد الأعظم ٠

أقول : يعلم من هذا ديانة المؤلف من وجوه :

(الأول) أن صاحب هذه الرسالة نقل ما ذكر ابن الجوزي في التحذير من مفارقة الجماعة زعما منه أنه يفيده في ذلك المقام مع أنه بعد تعيين المراد منه ليس فيها أثر من ذلك ، ولم ينقل ما ذكر [1] في قلة أهل السنة والجماعةالدال على نفيض مدعاه حيث قال في الباب الأول من ذلك الكتاب : عن يوسف بن أسباط قال : قال سفيان أخبرنا يوسف : اذا بلغك عن رجل بالمشرق أنه صاحب سنة فابعث اليه بالسلام ، واذا بلغك عن رجل آخر بالمغرب أنه صاحب سنة فابعث اليه بالسلام ، فقد قل أهل السنة والجماعة ٠

وأيضا قال : وعن سفيان الثوري قال : استوصوا بأهل السنة خيرا فانهم غرباء ، وعن أبي بكر بن عياش : السنة في الاسلام أعز من الاسلام في سائر الأديان ، وقال في الباب الثاني : وعن عبد الله بن محيريز : يذهب الدين سنة سنة ، كما يذهب الحبل قوة قوة [2] ، واذ قد ثبت قلة أهل السنة والجماعة فكيف يصح القول بلزوم اتباع جمهور كل زمان وقرن ؟ ٠

و (الثاني) أن صاحب الرسالة لم ينقل من كتاب ابن الجوزي ما يدل على تعيين الجماعة والسواد الأعظم ، فان فيه حديث ابن عمرو قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ليأتين على أمتي ما أتى على بني اسرائيل حذو النعل بالنعل ، حتى ان كان منهم من أتى أمه علانية لكان في أمتي من يصنع ذلك ، وان بني اسرائيل تفرقت على اثنتين وسبعين ملة وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين ملة كلهم في النار الا واحدة ٠ قالوا : من هي يا رسول الله ؟ قال : ما أنا عليه وأصحابي » قال الترمذي : هذا حديث غريب مفسر اهـ ٠ فهذا الحديث فيه دلالة على أن المراد بالجماعة جماعة الصحابة ، كما قال الترمذي ونقله ابن الجوزي ٠

(١) أى ولم ينقل عنه ما ذكره الخ ٠
(٢) القوة من الحبل الطاقة من طاقات فتله ٠

وأيضا فيه عن أبي العالية قال : عليكم بالأمر الذي كانوا عليه قبل أن يفترقوا . قال عاصم : فحدثت به الحسن فقال : قد نصحك والله وصدقك . وعن الأوزاعي قال : اصبر نفسك على السنة ، وقف حيث وقف القوم ، وقل بما قالوا ، وكف عما كفوا عنه ، واسلك سبيل سلفك الصالح فانه يسعك ما وسعهم ا هـ . واذ قد تعين المراد ، فالقول باتباع جمهور كل عصر بين الفساد .

و (الثالث) أنه ترك من كلام ابن الجوزي في الباب الثاني ما فيه التصريح بالمراد حيث قال : فان قال قائل : قد مدحت السنة وذممت البدعة ، فما السنة وما البدعة ؟ وكل مبتدع في زمننا يزعم أنه من أهل السنة ؟ فالجواب أن السنة في اللغة الطريق ، ولا ريب في أن أهل النقل والأثر المتتبعين آثار رسول الله صلى الله عليه وسلم وآثار أصحابه هم أهل السنة لأنهم على تلك الطريق التي لم يحدث فيها حادث ، وانما وقعت الحوادث والبدع بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه . ا هـ .

وأيضا فيه : فقد بان بما ذكرنا أن أهل السنة هم المتبعون ، وأن أهل البدعة هم المظهرون شيئا لم يكن قبل ولا مستند له .

وأيضا فيه : وعن المغيرة بن شعبة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الناس حتى يأتيهم أمر الله وهم ظافرون » أخرجاه في الصحيحين [1] .

وعن ثوبان قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله » . قال المصنف : انفرد باخراجه مسلم ، وقد روى هذا المعنى عن النبي صلى الله عليه وسلم معاوية وجابر بن عبد الله وقرة . وعن الترمذي : قال محمد بن اسماعيل قال على بن المديني : هم أصحاب الحديث . ا هـ .

و (الرابع) أن ابن الجوزي ذكر في الكتاب المذكور أحاديث كثيرة في ذم البدع والمبتدعين : (منها) حديث عائشة رضى الله عنها قالت : قال رسول الله

(١) كان هذا الحديث وما بعده محرفين ، وسقط من الأول لفظ « أمر » فكان : حتى يأتي الله فصححناهما .

صلى الله عليه وسلم « من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد » ، (ومنها) حديث عبد الله بن عمرو عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « من رغب عن سنتي فليس مني » ، (ومنها) حديث العرباض بن سارية قال : صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الصبح ذات يوم ثم أقبل علينا يعظنا موعظة بليغة ذرفت منها العيون ، ووجلت منها القلوب ، فقال قائل : يا رسول الله كأن هذه موعظة مودع ، فماذا تعهد الينا ؟ فقال « أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وان كان عبدا حبشيا ، فانه من يعش بعدي فسيرى اختلافا كثيرا ، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين ، تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ ، واياكم ومحدثات الأمور ، فان كل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة » ، (ومنها) حديث ابن مسعود قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أنا فرطكم على الحوض ، وليرفعن رجال منكم ثم ليختلجن دوني فأقول : يا رب أصحابي ، فيقال : انك لا تدري ما أحدثوا بعدك » وصاحب الرسالة قد ترك تيك الأحاديث كلها لأنها تبطل دعواه الباطلة من التوسل المكروه المحدث بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه من قول القائل : اللهم اني أسألك بحق محمد صلى الله عليه وسلم ، فانه محدث . والأحاديث المذكورة ترد على كل ما أحدث في الدين .

● ● ●

وليعلم هناك أن قرن الصحابة كأن البدعة لم تكن فيه ، والسنة كانت خالصة فيه ، يدل عليه حديث أبي موسى رضى الله عنه مرفوعا « وأصحابي أمنة لأمتي ، فاذا ذهب أصحابي أتى أمتي ما يوعدون » رواه مسلم ، وحديث ابن مسعود قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما من نبي بعثه الله في أمته قبلي الا كان له في أمته حواريون وأصحاب يأخذون بسنته ويقتدون بأمره ، ثم انها تخلف من بعدهم خلوف يقولون ما لا يفعلون ، ويفعلون ما لا يؤمرون ، فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن ، ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن ، ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن، وليس وراء ذلك من الايمان حبة خردل » . رواه مسلم . وحديث العرباض بن سارية مرفوعا « فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين ، تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ » رواه أحمد وأبو داود والترمذي وابن ماجه ، وحديث

عبـد الله بن عمرو قال : قال رسـول الله صلى الله عليه وسـلم « ما أنا عليـه وأصحابي » . وحديث أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من أكل طيبا وعمل في سنة وأمن الناس بوائقه دخل الجنة » فقال رجل : يا رسول الله ان هذا اليوم لكثير في النـاس ، قال « وسيكون في قرون بعدي » رواه الترمذي .

ولذا أثبت رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم الخيرية المطلقة في قوله « خير أمتي قرني » ، ومن ثم قال ابن مسعود رضى الله عنه : من كان مستنا فليستن بمن قد مات ، فان الحى لا تؤمن عليه الفتنة ، أولئك أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم كانوا أفضل هذه الأمة : أبرها قلوبا ، وأعمقها علما ، وأقلها تكلفا ، اختارهم الله لصحبة نبيه ولاقامة دينـه ، فاعرفوا لهم فضلهم ، واتبعـوهم على أثرهم ، وتمسكوا بما استطعتم من أخلاقهم وسيرهم ، فانهم كانوا على الهدى المستقيم . رواه رزين ، كذا في المشكاة .

وقال الهيثمي في مجمع الزوائد : وعن عبد الله بن مسعود قال : لا يقلدن أحدكم دينه رجلا ، فان آمن آمن وان كفر كفر ، وان كنتم لا بد مقتدين فاقتدوا بالميت ، فان الحى لا تؤمن عليه الفتنة . رواه الطبراني في الكبير ورجاله رجـال الصحيح . اهـ .

وأيضا قال ابن مسعود : ان الله تعالى نظر في قلوب العباد فاختار محمدا فبعثه برسالته ، ثم نظر في قلوب العباد فاختار له أصحابا فجعلهم أنصار دينه ووزراء نبيه ، فما رآه المسلمون حسنا فهو عند الله حسن ، وما رآه المسلمون قبيحا فهو عند الله قبيح . قال شمس الدين السخاوي في المقاصد الحسنة : أخرجه أحمد من حديث ابن مسعود من قوله ، وكذا أخرجه البزار والطيالسي والطبراني وأبو نعيم في حلية الأولياء في ترجمة ابن مسعود ، بل عند البيهقي في الاعتقاد من وجه آخر عن ابن مسعود ، اهـ كلامه . قال ابن نجيم في (الأشباه والنظائر) قال العلائي : لم أجده مرفوعا في شيء من كتب الحديث أصلا ولا بسند ضعيف ، بعـد طول البحث وكثرة الكشف والسؤال ، وانما هو من قول عبد الله بن مسعود رضى الله عنه موقـوفا عليه ، أخرجه أحمد في مسنـده . وقال الحمـوي في حواشيه قال

السخاوي في (المقاصد الحسنة) : حديث « ما رآه المسلمون حسنا فهو عند الله حسن » رواه أحمد في كتاب السنة ، ووهم من عزاه للمسند من حديث أبي وائل عن ابن مسعود وهو موقوف حسن ، اهـ ملخصا فكأن العلائي تبع من وهم في نسبته الى المسند . اهـ .

وقال الهيثمي في مجمع الزوائد : رواه أحمد والبزار والطبراني في الكبير ، ورجاله موثقون ، وروى الدارمي عن عمر بن يحيى قال سمعت أبي يحدث عن أبيه قال : كنا نجلس على باب عبد الله بن مسعود قبل صلاة الغداة ، فاذا خرج مشينا معه الى المسجد ، فجاءنا أبو موسى الأشعري فقال : أخرج اليكم أبو عبد الرحمن بعد ؟ قلنا لا ، فجلس معنا حتى خرج ، فلما خرج قمنا اليه جميعا ، فقال له أبو موسى : يا أبا عبد الرحمن اني رأيت في المسجد آنفا أمرا أنكرته ، ولم أر والحمد لله الا خيرا ، قال : فما هو ؟ فقال : ان عشت فستراه ، قال رأيت في المسجد قوما حلقا جلوسا ينتظرون الصلاة في كل حلقة رجل وفي أيديهم حصى فيقول كبروا مائة فيكبرون مائة ، فيقول هللوا مائة فيهللون مائة ، ويقول سبحوا مائة فيسبحون مائة . قال : فماذا قلت لهم ؟ قال : ما قلت لهم شيئا انتظار رأيك أو انتظار أمرك ، قال : أفلا أمرتهم أن يعدوا سيئاتهم وضمنت لهم أن لا يضيع من حسناتهم شيء ؟ ثم مضى ومضينا معه حتى أتى حلقة من تلك الحلق ، فوقف عليهم فقال : ما هذا الذي أراكم تصنعون ؟ قالوا : يا أبا عبد الرحمن ، حصى نعد به التكبير والتهليل والتسبيح . قال : فعدوا سيئاتكم ، فأنا ضامن أن لا يضيع من حسناتكم شيء . ويحكم يا أمة محمد ، ما أسرع هلكتكم ، هؤلاء صحابة نبيكم صلى الله عليه وسلم متوافرون ، وهذه ثيابه لم تبل ، وآنيته لم تكسر . والذي نفسي بيده انكم لعلى ملة هي أهدى من ملة محمد ، أو مفتتحوا باب ضلالة . قالوا : والله يا أبا عبد الرحمن ما أردنا الا الخير ، قال : وكم من مريد للخير لن يصيبه ، ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حدثنا أن قوما يقرءون القرآن لايجاوز تراقيهم ، وايم الله ما أدري لعل أكثرهم منكم ، ثم تولى عنهم ، فقال عمرو بن سلمة : رأينا عامة أولئك الحلق [1] يطاعنونا يوم النهروان مع الخوارج . اهـ .

---

(١) الحلق في الأصل بالمهملة وصحح في جدول بيان الخطأ وصوابه في الطبعة الهندية فجعل بالمعجمة وهو تصحيف لا يقبل الا اذا كان هو الرواية، والا فالحلق =

وقال الهيثمي في مجمع الزوائد : وعن عمرو بن سلمة قال : كنا قعودا على باب ابن مسعود بين المغرب والعشاء فأتى أبو موسى فقال : اخرج الينا أبا عبد الرحمن ، فخرج ابن مسعود فقال : أبا موسى ما جاء بك هذه الساعة ؟ قال : لا والله الا أني رأيت أمرا ذعرني وانه لخير ، ولقد ذعرني وانه لخير ، قوم جلوس في المسجد ورجل يقول سبحوا كذا وكذا ، احمدوا كذا وكذا . قال فانطلق عبدالله وانطلقنا معه حتى أتاهم فقال : ما أسرع ما ضللتم وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أحياء ، وأزواجه شواب ، وثيابه وأبنيته لم تغير . احصوا سيئاتكم ، فأنا أضمن على الله أن يحصى حسناتكم . رواه الطبراني في الكبير ، وفيه مجالد ابن سعيد وثقه النسائي ، وضعفه البخاري وأحمد بن حنبل ويحيى .

وعن أبي البختري قال : بلغ عبد الله بن مسعود أن قوما يقعدون بين المغرب والعشاء يقولون قولوا كذا قولوا كذا ، قال عبد الله : ان فعلوا فآذنوني ، فلما جلسوا أتوه فانطلق معهم ، فجلس وعليه برنس فأخذوا في تسبيحهم ، فحسر عبدالله عن رأسه البرنس وقال : أنا عبدالله بن مسعود ــ فسكت القوم ــ فقال : لقد جئتم ببدعة ظلما ، والا فضللنا أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم . فقال عمرو بن عتبة بن فرقد : أستغفر الله يا ابن مسعود وأتوب اليه ، فأمرهم أن يتفرقوا ، قال : ورأى ابن مسعود حلقتين في مسجد الكوفة فقام بينهما فقال : أيتكما كانت قبل صاحبتها؟ قالت احداهما : نحن : فقال للأخرى : قوموا اليها ، فجعلهم واحدة ، رواه الطبراني في الكبير وفيه عطاء بن السائب وهو ثقة ولكنه اختلط ، وفي بعض طرق الطبراني الصحيحة المختصرة : فجاء عبد الله بن مسعود متقنعا فقال : من عرفني فقد عرفني، ومن لم يعرفني فأنا عبد الله بن مسعود ، انكم لأهدى من محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه ! أو أنكم لتعلقون بذنب ضلالة . وفي رواية لعطاء بن السائب فقال ابن مسعود : لئن اتبعتم القوم لقد سبقوكم سبقا بعيدا بينا ، ولئن أخذتم يمينا وشمالا لقد ضللتم ضلالا بعيدا . اهـ .

ـ بالمهملة هو الذي ذكر في أول الأثر ، فالمعرفة هنا عين المنكرة هناك ، فهو الذي تقتضيه الرواية ، وواضع جدول التصويب يذكر مثل هذا التصحيف وما يقرب منه من التحريف ويدع الأغلاط الكثيرة لأنه لا يعرفها . وقد صححنا أكثرها كما نظن . وكتبه محمد رشيد رضا .

وعن حذيفة رضى الله عنه قال : يا معشر القراء استقيموا ، فقد سبقتم سبقا بعيدا ، وان أخذتم يمينا وشمالا لقد ضللتم ضلالا بعيدا . رواه البخاري .

وأيضا عن حذيفة قال : كل عبادة لا يتعبدها أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا تعبدوها ، فان الأول لم يدع للآخر مقالا ، فاتقوا الله يا معشر القراء وخذوا طريق من قبلكم . رواه أبو داود .

اذا دريت ما ذكرنا من الأحاديث والآثار فقد علمت أن قرن الصحابة كانت السنة خالصة فيه ، وكأن البدعة لم تكن فيه ، وانما لم أقل ان البدعة لم تكن فيه لما ورد في الصحيح « أنا فرطكم على الحوض ، فليرفعن الي رجال منكم ، حتى اذا أهويت لأناولهم اختلجوا دوني ، فأقول : أى رب أصحابي ، فيقول : لا تدري ما أحدثوا بعدك » فهذا الحديث يدل أوضح دلالة على أن من الصحابة من يحدث بعد النبي (١) صلى الله عليه وسلم .

ثم بعد انقراض قرن الصحابة أتى أمته ما يوعدون من الحوادث والبدع ، وكلما أحدثت بدعة رفع مثلها من السنة ، ولكن في قرن التابعين وأتباع التابعين لم تظهر البدع ظهورا فاشيا ، وأما بعد قرن أتباع التابعين فقد تغيرت الأحوال تغيرا فاحشا ، وغلبت البدع ، وصارت السنة غريبة ، واتخذ الناس البدعة سنة والسنة بدعة ، ولا تزال السنة في المستقبل غريبة الا ما استثنى من زمان المهدي رضى الله عنه وعيسى عليه السلام ، الى أن تقوم الساعة على شرار الناس .

يدل على ذلك الأحاديث والآثار التي نذكرها الآن بحوله وقوته ، منها : حديث عمران بن حصين رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « خير أمتي قرني ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم » قال عمران : فلا أدري أذكر بعد قرنه قرنين أو ثلاثة « ثم ان بعدكم قوما يشهدون ولا يستشهدون ، ويخونون ولا يؤتمنون ، وينذرون ولا يوفون ويظهر فيهم السمن » رواه البخاري ومسلم .

---

(١) تقدم ص٣٢٠ في كلام الحافظ ابن حجر أن المقصود بهؤلاء من ارتد بعد النبي صلى الله عليه وسلم ومات على الردة . فلا دلالة فيه على أن الصحابي يقع من الابتداع حاشا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذلك . وللخوف من هذا المحمل ونحوه ندم الامام مالك رحمه الله تعالى على اخراج هذا الحديث في الموطأ نقل ذلك عنه الشافعي كما في شرح الموطأ للزرقاني نقلا عن مناقب الشافعي لابن شاكر . وكتبه اسماعيل الأنصاري .

ومنها حديث الأسلمي قال : قال النبي صلى اللهعليهوسلم « يذهب الصالحون الأول فالأول ، ويبقى حفـالة كحفالة الشعير أو التمر لا يباليهم الله بالة » رواه البخـاري •

قال الحافظ في الفتح : ووجدت لهذا الحديث شاهدا من رواية الفزارية امرأة عمر بلفظ « تذهبون الخير فالخير ، حتى لا يبقى منكم الا حثالة كحثالة التمر ، ينزو بعضهم على بعض نزو المعز » أخرجه أبو سعيد بن يونس في تاريخ مصر وقال بعيده : ووقع في آخر حديث الفزارية المذكور آنفا « على أولئك تقوم الساعة » وقال في الفتح أيضا قال ابن بطال : وفيه أنه يجوز انقراض أهـل الخير في آخر الزمان حتى لا يبقى الا أهل الشر ، واستدل به على جواز خلو الأرض من عالم حتى لا يبقى الا أهل الجهل صرفا • ا هـ •

ومنها حديث أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ان من أشراط الساعة أن يرفع العلم ويثبت الجهل وتشرب الخمر ويظهر الزنا » رواه البخاري •

ومنها حديث عبد الله بن عمرو بن العاص قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « ان الله لا يقبض العلم انتزاعا ينتزعه من العباد ، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء ، حتى اذا لم يبق عالم اتخذ الناس رؤساء جهالا فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا » رواه البخاري ، قال الحافظ في الفتـح : واستدل به الجمهور على القول بخلو الزمان عن مجتهد ، ولله الأمر يفعل ما يشاء • ا هـ •

ومنها حديث أبي هـريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « يتقـارب الزمان وينقص العلم ويلقى الشح وتظهر الفتن ويكثر الهرج » قالوا : يا رسـول الله أيما هو ؟ قال « القتل القتل » رواه البخاري •

ومنها حديث أنس بن مالك قال : سمعت من نبيكم صلى الله عليهوسلم « لا يأتي عليكم زمان الا والذي بعده أشر منه حتى تلقوا ربكم » رواه البخاري • قال الحافظ في الفتح : وبهذا اللفظ أخرج الطبراني بسند جيد عن ابن مسعود نحو هذا الحديث موقوفا عليه قال « ليس عام الا والذي بعده شر منه » وله عنه بسند

صحيح قال « أمس خير من اليوم ، واليوم خير من الغد ، وكذلك حتى تقوم الساعة » . اهـ .

قال الحافظ في الفتح : وقد استشكل هذا الاطلاق ، مع أن بعض الأزمنة تكون في الشر دون التي قبلها ، ولو لم يكن في ذلك الا زمن عمر بن عبد العزيز وهو بعد زمان الحجاج بيسير ، وقد اشتهر الخير الذي كان في زمن عمر بن عبد العزيز ، بل لو قيل ان الشر اضمحل في زمانه لما كان بعيدا ، فضلا عن أن يكون شرا من الزمن الذي قبله ، وقد حمله الحسن البصري على الأكثر الأغلب ، فسئل عن وجود عمر بن عبد العزيز بعد الحجاج فقال : لا بد للناس من تنفيس . وأجاب بعضهم أن المراد بالتفضيل تفضيل مجموع العصر على مجموع العصر ، فان عصر الحجاج كان فيه كثير من الصحابة في الأحياء ، وفي عصر عمر بن عبد العزيز انقرضوا ، والزمان الذي فيه الصحابة خير من الذي بعده لقوله صلى الله عليه وسلم « خير القرون قرني » وهو في الصحيحين ، وقوله « أصحابي أمنة لأمتي فاذا ذهب أصحابي أتى أمتي ما يوعدون » أخرجه مسلم . ثم وجدت عن عبد الله بن مسعود التصريح بالمراد وهو أولى بالاتباع ، فأخرج يعقوب بن شيبة من طريق الحارث بن حصيرة عن زيد بن وهب قال : سمعت عبد الله بن مسعود يقول : لا يأتي عليكم يوم الا وهو شر من الذي كان قبله حتى تقوم الساعة ، لست أعني رخاءا من العيش يصيبه ، ولا مالا يفيده ، ولكن لا يأتي عليكم يوم الا وهو أقل علما من اليوم الذي مضى قبله ، فاذا ذهب العلماء استوى الناس فلا يأمرون بالمعروف ولا ينهون عن المنكر ، فعند ذلك يهلكون . اهـ .

وقال في الفتح أيضا : واستشكلوا أيضا زمان عيسى بن مريم بعد زمان الدجال ، وأجاب الكرماني بأن المراد الزمان الذي يكون بعد عيسى ، أو المراد جنس الزمان الذي فيه الأمراء ، والا فمعلوم من الدين بالضرورة أن زمان النبي المعصوم لا شر فيه . قلت : ويحتمل أن يكون المراد بالأزمنة ما قبل وجود العلامات العظام كالدجال وما بعده ، ويكون المراد بالأزمنة المتفاضلة في الشر من زمن الحجاج فما بعده الى زمن الدجال ، وأما زمن عيسى عليه السلام فله حكم مستأنف . والله أعلم . اهـ .

وقال في الفتح أيضا : واستدل ابن حبان في صحيحه بأن حديث أنس ليس على عمومه بالأحاديث الواردة في المهدي وأنه يملأ الأرض عدلا بعد أن ملئت جورا ، ثم وجدت عن ابن مسعود ما يصلح أن يفسر به الحديث ، وهو ما أخرجه الدارمي بسند حسن عن عبد الله قال : لا يأتي عليكم عام الا وهو شر من الذي قبله ، أما أني لست أعني عاما • اهـ •

قلت وتمام الحديث : أخصب من عام ، ولا أميرا خيرا من أمير ، ولكن علماؤكم وخياركم وفقهاؤكم يذهبون ، ثم لا تجدون منهم خلفا ، ويجيء قوم يقيسون الأمر برأيهم •

ومنها حديث حذيفة قال : حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثين : رأيت أحدهما ، وأنا أنتظر الآخر • حدثنا أن الأمانة نزلت في جذر قلوب الرجال ، ثم علموا من القرآن ، ثم علموا من السنة • وحدثنا عن رفعها قال « ينام الرجل النومة فتقبض الأمانة من قلبه ، فيظل أثرها مثل أثر الوكت • ثم ينام النومة فتقبض ، فيبقى أثرها مثل المجل ، كجمر دحرجته على رجالك فتنفط فتراه منتبرا وليس فيه شيء • ويصبح الناس يتبايعون ولا يكاد أحد يؤدي الأمانة ، فيقال ان في بني فلان رجلا أمينا ، ويقال للرجل ما أعقله وما أظرفه وما أجلده ، وما في قلبه حبة من خردل من ايمان » متفق عليه •

ومنها حديث حذيفة قال : كان الناس يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الخير ، وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني قال : قلت يا رسول الله انا كنا في جاهلية وشر فجاءنا الله بهذا الخير ، فهل بعد هذا الخير من شر ؟ قال « نعم » • قلت : وهل بعد ذلك الشر من خير ؟ قال « نعم ، وفيه دخن » • قلت : وما دخنه ؟ قال « قوم يستنون بغير سنتي ويهدون بغير هديي تعرف منهم وتنكر » قلت : فهل بعد ذلك الخير من شر ؟ قال « نعم ، دعاة على أبواب جهنم من أجابهم اليها قذفوه فيها » قلت : يا رسول الله صفهم لنا • قال « هم من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا » قلت : فما تأمرني ان أدركني ذلك ؟ قال « تلزم جماعة المسلمين وامامهم » قلت : فان لم يكن لهم جماعة ولا امام ؟ قال « فاعتزل تلك الفرق كلها ، ولو أن تعض بأصل شجرة حتى يدركك الموت وأنت على ذلك » متفق عليه •

ومنها حديث أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « بادروا بالأعمال فتنا كقطع الليل المظلم ، يصبح الرجل مؤمنا ويمسى كافرا ، ويمسى مؤمنا ويصبح كافرا ، يبيع دينه بعرض من الدنيا » رواه مسلم •

ومنها حديث أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لتتبعن سنن الذين من قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع ، حتى لو دخلوا في جحر ضب لاتبعتموهم » قلنا : يا رسول الله ، اليهود والنصارى ؟ قال « فمن » ؟ متفق عليه •

ومنها حديث أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « بدأ الاسلام غريبا وسيعود كما بدأ غريبا ، فطوبي للغرباء » رواه مسلم •

وقد ورد تفسير الغرباء في حديث كثير بن عبد الله بن عمرو بن عوف بن زيد ابن ملحة عن أبيه عن جده أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « ان الدين ليأرز الى الحجاز كما تأرز الحية الى جحرها ، وليعقلن الدين في الحجاز معقل الأروية من رأس الجبل • ان الدين بدأ غريبا ويرجع غريبا ، فطوبي للغرباء الذين يصلحون ما أفسد الناس من بعدي من سنتي » رواه الترمذي وقال : هذا حديث حسن •

قلت : وفي تحسينه نظر ، فانه من رواية كثير بن عبد الله بن عمرو بن عوف المزني عن أبيه عن جده ، وكثير هذا اتهمه الشافعي وأبو داود بالكذب ، وقال ابن حبان : له عن أبيه عن جده نسخة موضوعة • وأما الترمذي فروى من حديثه « الصلح جائز بين المسلمين » وصححه ، فلذا لم يعتمد العلماء على تصحيح الترمذي ، كذا في الميزان •

وقد وقع تفسير الغرباء في حديث روى عن أبي الدرداء وأبي أمامة وواثلة بن الأسقع وأنس بن مالك ، وهو حديث طويل رواه الطبراني في الكبير ، وقد تقدم في بيان السواد الأعظم ، وفيه كثير بن مروان وهو أيضا متهم بالكذب •

وورد في تفسير الغرباء أيضا في حديث عبد الله رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ان الاسلام بدأ غريبا وسيعود غريبا ، فطوبى

الغرباء » قال : قيل ومن الغرباء ؟ قال « النـزاع من القبائل » رواه ابن ماجه والدارمي ، وجميع رواته ثقات سوى سفيان بن وكيع وهو وان تكلموا فيه لكنه صدوق ، قال ابن خزيمة : لو خر من السماء فتخطفه الطير أحب اليه من أن يكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد حسن له الترمذي كذا في الميزان ، فهذا الحديث أحسن شيء في الباب ، قال في النهاية : وفيه « طوبى للغرباء » قيل : من هم يا رسول الله ؟ قال « النزاع من القبائل » هى جمع نازع ونزيع ، وهو الغريب الذي نزع من أهله وعشيرته أى بعد وغاب . انتهى .

ومنها حديث أبي هريرة قال : قال رسـول الله صلى الله عليه وسلم « من تمسك بسنتي عند فساد أمتي فله أجر مائة شهيد » كذا في المشكاة من غير ذكر المخرج . وفي مجمع الزوائد : وعن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « المتمسك بسنتي عند فساد أمتي له أجر شهيد » رواه الطبراني في الأوسط، وفيه محمد بن صالح العدوي ولم أر من ترجمه ، وبقية رجاله ثقات .

ومنها حديث أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « انكم في زمان من ترك منكم عشر ما أمر به هلك ، ثم يأتي زمان من عمل منهم بعشر ما أمر به نجا » رواه الترمذي .

ومنها حديث أبي ثعلبة في قوله تعالى (عليكم أنفسكم لا يضركم من ضـل اذا اهتديتم) وفيه « فان وراءكم أيام الصبر ، فمن صبر فيهن قبض على الجمر ، للعامل فيهن أجر خمسين رجلا يعملون مثل عمله [1] » قالوا : يا رسول الله ، أجر خمسين منهم ؟ قال « أجر خمسين منكم » رواه الترمذي وابن ماجه .

ومنها حديث أنس قال : قال رسـول الله صلى الله عليه وسلم « يأتي على الناس زمان الصابر فيهم على دينه كالقابض على الجمر » رواه الترمذي وقال : هذا حديث غريب اسنادا .

ومنها حديث عبد الرحمن بن العلاء الحضرمي قال : حدثني من سمع النبي

(١) هكذا أورد الحديث ، ونصه المروى « فان من ورائكم أياما الصبر فيهن مثل القبض على الجمر ، للعامل فيهن أجر خمسين رجلا يعملون مثل عملكم » .

صلى الله عليه وسلم يقول « انه سيكون في آخر هذه الأمة قوم لهم مثل أجر أولهم ، يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقاتلون أهل الفتن » رواه البيهقي في دلائل النبوة .

ومنها ما روي عن عبد الله بن الديلمي قال : بلغني أن أول ذهاب الدين ترك السنة ، يذهب الدين سنة فسنة كما يذهب الحبل قوة قوة » رواه الدارمي .

ومنها ما روى عن شقيق قال : قال عبد الله : كيف أنتم اذا لبستكم فتنة يهرم فيها الكبير ويربو فيها الصغير ، ويتخذها الناس سنة ، فاذا غيرت قالوا غيرت السنة . قالوا : ومتى ذلك يا أبا عبد الرحمن ؟ قال : اذا كثرت قراؤكم ، وقلت فقهاؤكم ، وكثرت أمراؤكم وقلت أمناؤكم ، والتمست الدنيا بعمل الآخرة . رواه الدارمي .

ومنها ما روى عن عبد الله قال : لا يأتي عليكم عام الا وهو شر من الذي كان قبله ، أما انى لست أعني أن عاما أخصب من عام ، ولا أميرا خيرا من أمير ، ولكن علماؤكم وخياركم وفقهاؤكم يذهبون ، ثم لا تجدون منهم خلفا ، ويجيء قوم يقيسون الأمر برأيهم . رواه الدارمي . وقد نقل هذا فيما قبل من الفتح .

ومنها ما روى عن الحسن قال : سنتكم والله الذي لا اله الا هو بينهما : بين الغالي والجافي ، فاصبروا عليها رحمكم الله ، فان أهل السنة كانوا أقل الناس فيما مضى ، وهم أقل الناس فيما بقى ، الذين لم يذهبوا مع أهل الأتراف في أترافهم ، ولا مع أهل البدع في بدعهم ، وصبروا على سنتهم حتى لقوا ربهم ، فكذلك ان شاء الله فكونوا . رواه الدارمي .

ومنها ما روى عن ابن مسعود : قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم « تعلموا العلم وعلموه الناس ، تعلموا الفرائض وعلموه الناس ، تعلموا القرآن وعلموه الناس ، فاني امرؤ مقبوض والعلم سيقبض ، وتظهر الفتن حتى يختلف اثنان في فريضة لا يجدان أحدا يفصل بينهما » رواه الدارمي .

ومنها ما روى عن زياد بن لبيد قال : ذكر النبي صلى الله عليه وسلم شيئا فقال « ذاك عند أوان ذهاب العلم » قلت : يا رسول الله وكيف يذهب العلم ونحن

نقرأ القرآن ونقرئه أبناءنا ويقرئه أبناؤنا أبناءهم الى يوم القيامة ؟ فقال « ثكلتك أمك يا زياد ، ان كنت لأراك من أفقه رجل بالمدينة ، أو ليس هذه اليهود والنصارى يقرءون التوراة والانجيل لا يعملون بشيء مما فيهما » ؟ رواه أحمد وابن ماجه •

وروى الترمذي عنه نحوه وكذا الدارمي عن أبي امامه • كذا في المشكاة •

قلت : وقد روى الدارمي هذا الحديث أيضا عن أبي الدرداء قال : كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فشخص ببصره الى السماء ثم قال « هذا أوان يختلس العلم من الناس حتى لا يقدروا منه على شيء » ، فقال زياد بن لبيد الأنصاري : يا رسول الله كيف يختلس منا وقد قرأنا القرآن ؟ فوالله لنقرأنه ولنقرئنه نساءنا وأبناءنا ، فقال « ثكلتك أمك يا زياد » الحديث •

ورواه أحمد والطبراني في الكبير عن أبي أمامة واسناد الطبراني أصح • وفي الباب عن ابن عمر رواه البزار وفيه سعيد بن سنان • وعن عوف بن مالك رواه البزار وفيه عبد الله بن صالح • وعن وحشى بن حرب رواه الطبراني في الكبير واسناده حسن • وعن صفوان بن عسال رواه الطبراني في الكبير ، وفيه مسلمة بن علي الخشني وهو ضعيف ، كذا في مجمع الزوائد •

ومنها حديث حزام بن حكيم بن حزام عن أبيه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « انكم قد أصبحتم في زمان كثير فقهاؤه ، قليل خطباؤه ، كثير معطوه قليل سؤاله ، العمل فيه خير من العلم • وسيأتي زمان قليل فقهاؤه وكثير خطباؤه ، وكثير سؤاله قليل معطوه ، العلم فيه خير من العمل » رواه الطبراني في الكبير ، وفيه عثمان بن عبد الرحمن الطرائفي وهو ثقة الا أنه قيل فيه يروى عن الضعفاء ، وهذا من روايته عن صدقة بن خالد وهو من رجال الصحيح •

وعن أبي ذر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « انكم في زمان علماؤه كثير وخطباؤه قليل ، من ترك فيه عشر ما يعلم هوى ، وسيأتي على الناس زمان يقل علماؤه ويكثر خطباؤه ، من تمسك فيه بعشر ما يعلم نجا » رواه أحمد ، وفيه رجل لم يسم •

وعن حزام بن حكيم عن عمه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال

« أصبحتم في زمان كثير فقهاؤه قليل خطباؤه ، كثير معطوه قليل سؤاله ، العمل فيه خير من العلم ، وسيأتي زمان قليل فقهاؤه كثير خطباؤه كثير سؤاله قليل معطوه العلم فيه خير من العمل » رواه الطبراني في الكبير ، وفيه صدقة بن عبد الله السمين وهو ضعيف منكر الحديث ، كذا في مجمع الزوائد •

ومنها حديث حذيفة بن اليمان عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « سيأتي عليكم زمان لا يكون فيه شيء أعز من ثلاث : درهم حلال ، أو أخ يستأنس به ، أو سنة يعمل بها » رواه الطبراني في الأوسط ، وفيه روح بن صلاح ضعفه ابن عدى ، وقال الحاكم : ثقة مأمون • وذكره ابن حبان في الثقات ، وبقية رجاله موثقون ، كذا في مجمع الزوائد •

ومنها حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال : ما أتى على الناس عام الا أحدثوا فيه بدعة وأماتوا فيه سنة ، حتى تحيا البدع وتموت السنن • رواه الطبراني في الكبير ، ورجاله موثقون ، كذا في مجمع الزوائد •

ومنها حديث على قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يوشك أن يأتي على الناس زمان لا يبقى من الاسلام الا اسمه ، ولا يبقى من القرآن الا رسمه ، مساجدهم عامرة وهى خراب من الهدى ، علماؤهم شر من تحت أديم السماء ، من عندهم تخرج الفتنة وفيهم تعود » رواه البيهقي في شعب الايمان ، كذا في المشكاة •

ومنها حديث حذيفة بن اليمان قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يدرس الاسلام كما يدرس وشى الثوب ، حتى لا يدرى ما صيام ولا صلاة ولا صدقة ، وليسرى على كتاب الله عز وجل في ليلة فلا يبقى في الأرض منه آية ، ويبقى طوائف من الناس ، الشيخ الكبير والعجوز يقولون : أدركنا آباءنا على هذه الكلمة ــ لا اله الا الله ــ فنحن نقولها » فقال له صلة : ما تغني عنهم لا اله الا الله ، وهم لا يدرون ما صلاة ولا صيام ولا نسك ولا صدقة ؟ فأعرض عنه حذيفة، ثم ردها عليه ــ ثلاثا ــ كل ذلك يعرض عنه حذيفة ، ثم أقبل عليه في الثالثة فقال : يا صلة ، تنجيهم من النار (ثلاثا) • رواه ابن ماجه ، ورواته كلهم ثقات •

ومنها حديث ثوبان قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يوشك الأمم

أن تداعى عليكم كما تداعى الأكلة الى قصعتها [1] فقال قائل : ومن قلة نحن يومئذ؟ قال بل أنتم يومئذ كثير ، ولكنكم غثاء كغثاء السيل ، ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم ، وليقذفن في قلوبكم الوهن ، قال قائل : يا رسول الله وما الوهن ؟ قال « حب الدنيا وكراهية الموت » رواه أبو داود والبيهقي في دلائل النبوة ، كذا في المشكاة .

ومنها حديث ابن مسعود : سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول « من شرار الناس من تدركهم الساعة وهم أحياء » رواه البخاري .

ومنها حديث أنس رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « لا تقوم الساعة حتى لا يقال في الأرض الله الله » رواه مسلم . ومنها حديث عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا تقوم الساعة الا على شرار الخلق » رواه مسلم .

ومنها حديث أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا تقوم الساعة حتى تضطرب أليات نساء دوس حول ذي الخلصة » وذو الخلصة طاغية دوس الذي كانوا يعبدون في الجاهلية . متفق عليه .

ومنها حديث عائشة رضى الله عنها قالت : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « لا يذهب الليل والنهار حتى يعبد اللات والعزى » فقلت : يا رسول الله ان كنت لأظن حين أنزل الله تعالى : (هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون) أن ذلك تام ، قال « انه سيكون من ذلك ما شاء الله ، ثم يبعث الله ريحا طيبة فتوفى كل من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من ايمان ، فيبقى من لا خير فيه ، فيرجعون الى دين آبائهم » رواه مسلم .

ومنها حديث النواس بن سمعان في قصة الدجال وعيسى ، ويأجوج ومأجوج ، وفيه « اذ بعث الله ريحا طيبة فتقبض روح كل مؤمن ومسلم ، ويبقى شرار الناس يتهارجون تهارج الحمر ، فعليهم تقوم الساعة » .

فان قلت : ما وجه الجمع بين تيك الأحاديث وبين حديث « لا تزال طائفة من

---

(1) « تداعى عليكم الأمم » بفتح التاء أصله « تتداعى » أي يدعو بعضهم بعضاً الى سلب ملككم واستذلالكم كما يتداعون الى قصعة الطعام لأنكم تكونون مأكلة لها .

أمتي على الحق حتى تقوم الساعة » ، قلت : وجه الجمع حمل الغاية في حديث « لا تزال طائفة » على وقت هبوب الريح الطيبة التي تقبض روح كل مؤمن ومسلم، فلا يبقى الا الشرار ، فتهجم الساعة عليهم بغتة . كذا في فتح الباري .

وجملة القول في الباب أن السنة كانت غالبة في قرن الصحابة خاصة ، ولذا وصفه النبي صلى الله عليه وسلم بالخيرية المطلقة ، وأما بعده فقد زالت غلبة السنة، ولكن قرن التابعين وقرن تبع التابعين لم تغلب فيهما البدعة أيضا ، ولذا وصفا في الحديث بالخيرية الاضافية ، وأما بعد انقراض القرن الثالث فقد صارت السنة غريبة وأهلها غرباء ، ولا تزال غربتها في زيادة الى أن تقوم الساعة ، اللهم الا في زمان المهدي رضى الله عنه وعيسى عليه السلام ، فلا يجوز التمسك بجمهور الا بجمهور الصحابة .

وقد علم بما نقل من الأحاديث والآثار أن غربة الاسلام ليس معناها أنه يقل أهل الاسلام ، دل عليه ما في حديث ثوبان المتقدم من قوله صلى الله عليه وسلم « بل أنتم يومئذ كثير » بل معناها أن الصالحين من أهل الاسلام يذهبون الأول فالأول ، وتبقى حفالة كحفالة الشعير ، وغثاء كغثاء السيل ، وأن سنن الاسلام وشعبها وشرائعها من الصلاة والصيام والنسك والصدقة وغيرها تذهب وقتا فوقتا حتى لا يبقى الا قول لا اله الا الله ، فاذا بعث الله ريحا طيبة توفى كل من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من ايمان ، فيبقى من لا خير فيه ، فعليهم تقوم الساعة .

ولفظ السنة فيما هنالك يشمل الفرض والسنة والمندوب ، كما ورد في حديث أبي هريرة رضى الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « السنة سنتان : سنة في فريضة ، وسنة في غير فريضة ، فالسنة التي في الفريضة أصلها في كتاب الله ، أخذها هدى ، وتركها ضلالة ، والسنة التي ليس أصلها في كتاب الله الأخذ بها فضيلة ، وتركها ليس بخطيئة » رواه الطبراني في الأوسط وقال : لم يروه عن أبي سلمة الا عيسى بن واقد ، تفرد به عبد الله بن الرومي ولم أر من ترجمه ، كذا في مجمع الزوائد .

واطلاق السنة على ما يشمل الفرض وغيره شائع كما في قوله صلى الله عليه وسلم « فمن رغب عن سنتي فليس مني » أى أعرض عن طريقتي فرضا أو سنة ،

عملا أو عقيدة ، فليس قريبا مني ، أو أعرض عنها غير معتقد لها • كذا في مجمع البحار •

وقال الحافظ في الفتح : المراد بالسنة الطريقة ، لا التي تقابل الفرض ، وفي حديث حذيفة الطويل : ثم علموا من القرآن ، ثم علموا من السنة ، قال الحافظ في الفتح : والمراد بالسنن ما يتلقونه عن النبي صلى الله عليه وسلم واجبا كان أو مندوبا •

● ● ●

قوله : منها حديث عبد الله بن عمر رضى الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه خطب في الجابية فقال « من أراد بحبوحة الجنة فليلزم الجماعة ، فان الشيطان مع الواحد ، وهو من الاثنين أبعد » •

أقول : فيه بحث من وجوه :

(الأول) أن لفظ حديث ابن عمر في (تلبيس ابليس) هكذا : وعن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « من سره أن يسكن بحبوحة الجنة فليلزم الجماعة ، فان الشيطان مع الواحد وهو من الاثنين أبعد » • اهـ • فليس فيه أنه خطب في الجابية ، وليس فيه من أراد بحبوحة الجنة ، بل لفظه « من سره أن يسكن بحبوحة الجنة » •

و (الثاني) أن رواية ابن عمر قد ذكرها الهيثمي في مجمع الزوائد ونصه هكذا : وعن ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « احفظوني في أصحابي ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم ، ثم يظهر الكذب ، حتى يشهد الرجل قبل أن يستشهد ، وحتى يحلف الرجل قبل أن يستحلف ، ويبذل نفسه بحلف الزور ، فمن سره بحبوحة الجنة فليلزم الجماعة ، فان يد الله على الجماعة ، وان الشيطان مع الواحد ، وهو من الاثنين أبعد ، ولا يخلون رجل بامرأة ، فان ثالثهما الشيطان • ومن ساءته سيئته ، وسرته حسنته فهو مؤمن » رواه الطبراني في الأوسط ، وفيه ابراهيم بن عبد الله بن خالد المصيصي وهو متروك • اهـ •

قال الذهبي في الميزان : ابراهيم بن عبد الله بن خالد عن عبد الله بن قيس

وابراهيم المصيصي عن وكيع أحد المتروكين ، قال ابن حبان : ابراهيم بن عبد الله ابن خالد يسرق الحديث ويروى عن الثقات ما ليس من حديثهم ، قلت : هذا رجل كذاب ، قال الحاكم . أحاديثه موضوعة . اهـ ملخصا .

و (الثالث) أن الحديث من مسانيد عمر لا ابن عمر ، دل على ذلك رواية الترمذي لفظه هكذا : حدثنا أحمد بن منيع حدثنا النضر بن اسماعيل أبو المغيرة عن محمد بن سوقة عن عبد الله بن دينـار عن ابن عمر قال : خطبنا عمر بالجابية فقال : يا أيها الناس اني قمت فيكم كمقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فينـا فقال « أوصيكم بأصحابي ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ، ثم يفشو الكذب حتى يحلف الرجل ولا يستحلف ، ويشهد الشاهد ولا يستشهد ، ألا لا يخلون رجـل بامرأة الا كان ثالثهما الشيطان . عليكم بالجماعة واياكم والفرقة ، فان الشيطان مع الواحد وهو من الاثنين أبعد . من أراد بحبوحة الجنـة فليلزم الجماعة . من سرته حسنته وساءته سيئته فذلكم المؤمن » هذا حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه . وقد رواه ابن المبارك عن محمد بن سوقة ، وقد روى هذا الحديث من غير وجه عن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم . اهـ .

وهذه الرواية قد ذكرها ابن الجوزي أيضا في (تلبيس ابليس) ، بل هو أول حديث ذكره في الباب الأول ، وما أغفل صاحب الرسالة . حيث لم ينقل ما صححه الترمذي ونقـل ما فيه متروك كذاب ، وهـذا أبهر برهان على أنه لا يميز بين الصحيح والسقيم .

و (الرابع) أن رواية الترمذي في سندها النضر بن اسماعيل أبو المغيرة وهو ضعيف ، قال الذهبي في الميزان قال يحيى : ليس بشيء ، وقال النسائي وأبو زرعة : ليس بالقوي ، وقال ابن حبان : فحش خطؤه حتى استحق الترك . وقال ابن عدى : أرجو أنه لا بأس به . وقال العجلي : ثقـة . اهـ . وقال الحافظ ابن حجر في التقريب : ليس بالقوي . اهـ . الا أن يقال ان المبارك قد تابعه كما ذكره الترمذي فارتقى الحديث الى درجة الصحة والحسن .

وروي هذا الحديث عن عامر بن ربيعة بلفظ قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من مات وليس له طاعة مات ميتة جاهلية ، وان خلعها من بعد عقدها

في عنقه لقى الله تبارك وتعالى ليست له حجة • ألا لا يخلون رجل وامرأة ، فان ثالثهما الشيطان الا محرم ، فان الشيطان مع الواحد وهو مع الاثنين أبعد • من ساءته سيئاته وسرته حسناته فهو مؤمن » رواه أحمد وأبو يعلى والبزار والطبراني، وفي رواية عنده « بعد عقده اياها في عنقه » وفيه عاصم بن عبيد الله وهو ضعيف ، كذا في مجمع الزوائد •

و (الخامس) أن حديث ابن عمر المذكور ليس دالا على دعواه وهي لزوم اتباع الجمهور ، اذ لفظ « الجماعة » يحتمل معاني : أحدها الجماعة في الصلاة كما في حديث أبي الدرداء سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « ما من ثلاثة في قرية ولا بلد ولا تقام فيهم الصلاة الا قد استحوذ عليهم الشيطان ، فعليكم بالجماعة فانما يأكل الذئب القاصية » قال السائب : يعني بالجماعة الجماعة في الصلاة ، رواه النسائي وأبو داود • والبواقي تظهر بملاحظة العبارات التي تنقلها •

قال الحافظ في الفتح في (كتاب الفتن) : قال الطبراني : اختلف في هذا الأمر وفي الجماعة ، فقال قوم : هو للوجوب والجماعة السواد الأعظم ، ثم ساق عن محمد بن سيرين عن أبي مسعود أنه وصى من سأله — لما قتل عثمان — : عليك بالجماعة ، فان الله لم يكن ليجمع أمة محمد صلى الله عليه وسلم على ضلالة • وقال قوم : المراد بالجماعة الصحابة دون من بعدهم • وقال قوم : المراد بهم أهل العلم ، لأن الله جعلهم حجة على الخلق ، والناس تبع لهم في أمر الدين •

قال الطبري : والصواب أن المراد من الخبر لزوم الجماعة الذين في طاعة من اجتمعوا على تأميره ، فمن نكث بيعته خرج عن الجماعة • ا هـ •

وقال في (كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة) : والمراد بالجماعة أهل الحل والعقد من كل عصر • وقال الكرماني : مقتضى الأمر بلزوم الجماعة أنه يلزم المكلف متابعة ما أجمع عليه المجتهدون ، وهم المراد بقوله : وهم أهل العلم ، والآية التي ترجم بها احتج بها أهل الأصول لكون الاجماع حجة • ا هـ •

وقال القسطلاني في (كتاب الفتن) : والجماعة التي أمر الشارع بلزومها جماعة أئمة العلماء ، لأن الله تعالى جعلهم حجة على خلقه ، واليهم تفزع العامة في أمر دينها ، وهم المعنيون بقوله « ان الله تعالى لن يجمع أمتي على ضلالة » : وقال

آخرون : هم جماعة الصحابة الذين قاموا بالدين وقوموا عماده ، وثبتوا أوتاده ٠ وقال آخرون : هم جماعة أهل الاسلام ما كانوا مجتمعين على أمر واجب على أهل الملة اتباعه ، فاذا كان فيهم مخالف منهم فليسوا مجتمعين ٠ اهـ ٠

وعلى كل تقدير لا يثبت منه دعوى الخصم وهو لزوم اتباع الجمهور ، انما الثابت منه على المعنى الأول لزوم اتباع الجماعة في الصلاة ، وعلى الثاني لزوم اتباع ما أجمع عليه أهل الاسلام ، وعلى الثالث لزوم اتباع جماعة الصحابة ، وعلى الرابع لزوم اتباع أهل العلم أى المجتهدين ، وعلى الخامس لزوم الجماعة الذين في طاعة من اجتمعوا على تأميره ، وهم أهل الحل والعقد من كل عصر ٠ ويؤيد المعنى الخامس حديث عامر بن ربيعة المتقدم ، وكفى به مؤيدا ، وان كان الحديث المذكور ضعيفا ، فان التأييد يحصل بالضعيف أيضا ٠

قوله : وحديث عرفجة رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « يد الله على الجماعة ، والشيطان مع من يخالف الجماعة » ٠

أقول : أخرج هذا الحديث النسائي ولفظه هكذا : عن عرفجة بن شريح الأشجعي قال : رأيت النبي صلى الله عليه وسلم على المنبر يخطب الناس فقال « انه سيكون بعدي هنات وهنات ، فمن رأيتموه فارق الجماعة ، أو يريد تفريق أمة محمد كائنا من كان فاقتلوه ، فان يد الله على الجماعة ، فان الشيطان مع من فارق الجماعة يركض » ٠ قلت : ورواته كلهم ثقات ٠ وفي مجمع الزوائد : وعن عرفجة رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « يد الله على الجماعة ، والشيطان مع من يخالف يركض » رواه الطبراني ورجاله ثقات ٠اهـ٠ ولكن المراد بالجماعة ــ في هذا الحديث ــ هم الذين في طاعة من اجتمعوا على تأميره لا غير ، دل عليه ما رواه مسلم عن عرفجة قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « من أتاكم وأمركم جميع على رجل واحد يريد أن يشق عصاكم ويفرق جماعتكم فاقتلوه » ٠

قوله : وحديث أسامة بن شريك رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « يد الله على الجماعة ، فاذا شذ الشاذ منهم اختطفته الشياطين كما يختطف الذئب الشاة من الغنم ٠

أقول : راجعت كتاب (تلبيس ابليس) فوجدت فيه (الشاذ) بدل (الشاة). وفي مجمع الزوائد : وعن أسامة بن شريك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يد الله عز وجل على الجماعة ، واذا شذ الشاذ منكم اختطفه الشيطان ، كما يختطف الذئب الشاة من الغنم » رواه الطبراني ، وفيه عبد الأعلى بن أبي المساور وهو ضعيف . اهـ .

قال الذهبي في الميزان : عبد الأعلى بن أبي المساور الكوفي الجرار الفاخوري عن الشعبي ، لحقه جبارة بن المغلس . ضعفوه ، قال يحيى وأبو داود : ليس بشيء، وقال ابن نمير والنسائي : متروك ، وقال الدارقطني : ضعيف . اهـ .

فهذا الحديث غير صالح لأن يحتج به ، على أن دلالته على المطلوب غير مسلمة، فان لفظ الجماعة يحتمل الجماعة في الصلاة كما في حديث أبي الدرداء ، وجماعة الصحابة وجماعة أهل الحل والعقد الذين هم في طاعة من اجتمعوا على تأميره .

وروى النسائي عن أسامة بن شريك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أيما رجل خرج يفرق بين أمتي فاضربوا عنقه » فهذا الحديث يعين أن المراد بالجماعة في الحديث المذكور هم الذين اجتمعوا على تأمير الأمير ، فأين الاستدلال على لزوم اتباع الجمهور ؟ .

قوله : وحديث معاذ بن جبل رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « ان الشيطان ذئب الانسان ، كذئب الغنم يأخذ الشاة الشاذة القاصية والنائية، فاياكم والشعاب ، وعليكم بالجماعة العامة والمسجد » .

أقول : لم يذكر المصنف هناك حديث عبد الله قال : خط رسول الله صلى الله عليه وسلم خطا بيده ثم قال « هذا سبيل الله مستقيما » ، ثم خط عن يمينه وشماله ثم قال « هذه السبل ليس منها سبيل الا عليه شيطان يدعو اليه » ثم قرأ (وأن هذا صراطي مستقيما ، فاتبعوه ولا تتبعوا السبل) . وهو موجود في (تلبيس ابليس) مع أنه هو حديث جيد رواه أحمد والنسائي والدارمي والحاكم وصححه ، وابن حميد والبزار وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبو الشيخ وابن مردويه وأبو جعفر الرازي وورقاء وعمرو بن أبي قبيس ويزيد بن هارون ومسدد وابن جرير ، كذا في تفسير ابن كثير وفتح البيان وغيرهما .

قلت : ورجال بعضهم رجال الصحيحين كالدارمي وأحمد والنسائي ، فلعل الباعث على حذفه أن هذا الحديث كان يقطع دابر المبتدعين ، ويقوي أمر المتبعين •

وحديث معاذبن جبل ـ الذي ذكره صاحب الرسالة ـ رواه أحمد والطبراني•

قال الهيثمي في مجمع الزوائد : وعن معاذ بن جبل أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « ان الشيطان ذئب الانسان ،كذئب الغنم ، يأخذ الشاة القاصية والنائية• واياكم والشعاب ، وعليكم بالجماعة والعامة والمسجد » رواه أحمد والطبراني ورجال أحمد ثقات ، الا أن العلاء بن زياد قيل انه لم يسمع من معاذ بن جبل • اهـ•

قلت : قال في الخلاصة : العلاء بن زياد بن مطر البصري أرسل عن معاذ ا هـ• قال الذهبي في الكاشف : العلاء بن زياد أبو نصر العدوي ، له مراسيل ا هـ • فيكون الحديث ضعيفا فلا يصلح لأن يحتج به • على أن لفظ « الجماعة » يحتمل جماعة الصلاة ، وجماعة أهل الحل والعقد ، وجماعة الصحابة ، فلا دلالة لهذا الحديث على لزوم اتباع كل جمهور ، فلا يتم التقريب •

قوله : وحديث أبي ذر رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « اثنان خير من واحد ، وثلاثة خير من اثنين ، وأربعة خير من ثلاثة ، فعليكم بالجماعة فان الله تعالى لن يجمع أمتي الا على هدى » •

أقول : رواه أحمد ، وفي سنده البختري بن عبيد وهو ضعيف متروك ، وقد تقدم الكلام عليه ، فتذكر •

أحاديث أخرى في لزوم الجماعة للمصنف

قلت : قد بقى في الباب أحاديث أخر ، فلا بأس هنا أن نذكرها ونتكلم عليها بالانصاف •

منها : حديث أبي بصرة الغفاري صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « سألت ربي عز وجل أربعا فأعطاني ثلاثا ومنعني واحدة ، سألت الله أن لا يجمع أمتي على ضلالة • فأعطانيها ، وسألت الله أن لا يظهر عليهم عدوا من غيرهم • فأعطانيها ، وسألت الله أن لا يهلكهم بالسنين

كما أهلك الأمم قبلهم • فأعطانيها ، وسألت الله عز وجل أن لا يلبسهم شيعا ، ويذيق بعضهم بأس بعض فمنعنيها » رواه أحمد ، كذا في تفسير ابن كثير ، وفي سنده رجل لم يسم ، كذا في مجمع الزوائد •

ومنها : حديث أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « سألت ربي لأمتي أربع خصال ، فأعطاني ثلاثا ومنعني واحدة : سألته أن لا تكفر أمتي صفقة واحدة فأعطانيها ، وسألته أن لا يعذبهم بما عذب به الأمم قبلهم فأعطانيها ، وسألته أن لا يظهر عليهم عدوا من غيرهم فأعطانيها ، وسألته أن لا يجعل بأسهم بينهم فمنعنيها » رواه ابن مردويه ، وروى ابن أبي حاتم نحوه ، كذا في تفسير ابن كثير • وهذا حديث مفسر لما جاء في الأحاديث الأخر من لفظ الضلالة ، فغاية ما يثبت من أحاديث الاجماع أن ما أجمع عليه الأمة لا يكون كفرا •

ومنها : حديث زيد بن ثابت قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « نضر الله امرءا سمع مقالتي فبلغها ، فرب حامل فقه غير فقيه ، ورب حامل فقه الى من هو أفقه منه » زاد فيه علي بن محمد « ثلاث لا يغل عليهن قلب امرىء مسلم : اخلاص العمل لله ، والنصح لأئمة المسلمين ، ولزوم جماعتهم » رواه ابن ماجه ، وفي سنده ليث بن أبي سليم وهو ضعيف ، ورواه الدارمي ولفظه : أخبرنا عصمة بن الفضل حدثنا حرمى بن عمارة عن شعبة عن عمرو بن سليمان عن عبد الرحمن بن أبان بن عثمان عن أبيه قال : خرج زيد بن ثابت من عند مروان بن الحكم بنصف النهار ، قال فقلت : ما خرج هذه الساعة من عند مروان الا وقد سأله عن شيء ، فأتيته فسألته ، قال : نعم ، سألني عن حديث سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « نضر الله امرءا سمع منا حديثا فحفظه فأداه الى من هو أفقه منه ، فرب حامل فقه ليس بفقيه ، ورب حامل فقه الى من هو أفقه منه ، ولا يعتقد قلب مسلم على ثلاث خصال الا دخل الجنة » قال قلت ما هى ؟ قال « اخلاص العمل ، والنصيحة لولاة الأمر ، ولزوم الجماعة فان دعوتهم تحيط من ورائهم ، ومن كانت الآخرة نيته جعل الله غناه في قلبه وجمع له شمله وأتته الدنيا وهى راغمه ، ومن كانت الدنيا نيته فرق الله عليه شمله وجعل فقره بين عينيه ولم يأته من الدنيا الا ما قدر له » قال : وسألته عن صلاة الوسطى : قال : هى الظهر • قلت : ورواته كلهم ثقات •

ومنها : حديث جبير بن مطعم رواه الدارمي بسندين ولفظه هكذا : أخبرنا سليمان بن داود الزهراني أخبرنا اسماعيل هو ابن جعفر حدثنا عمرو بن أبي عمرو عن عبد الرحمن بن الحويرث عن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه أنه شهد خطبة رسول الله صلى الله عليه وسلم في يوم عرفة في حجة الوداع « أيها الناس اني والله لا أدري لعلي لا ألقاكم بعد يومي هذا بمكاني هذا ، فرحم الله من سمع مقالتي اليوم فوعاها ، فرب حامل فقه ولا فقه له ، ورب حامل فقه الى من هو أفقه منه • واعلموا أن أموالكم ودماءكم حرام عليكم كحرمة هذا اليوم في هذا الشهر في هذا البلد ، واعلموا أن القلوب لا تغل على ثلاث : اخلاص العمل لله ، ومناصحة أولي الأمر ، وعلى لزوم الجماعة فان دعوتهم تحيط من ورائهم » •

أخبرنا أحمد بن خالد حدثنا محمد هو ابن اسحاق عن الزهري عن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه قال : قام رسول الله صلى الله عليه وسلم بالخيف من منى فقال « نضر الله عبدا سمع مقالتي فوعاها ثم أداها الى من لم يسمعها ، فرب حامل فقه لا فقه له ، ورب حامل فقه الى من هو أفقه منه ، ثلاث لايغل عليهن قلب المؤمن: اخلاص العمل لله ، وطاعة ذوي الأمر ، ولزوم الجماعة ، فان دعوتهم تكون من ورائهم » • اهـ • ورجال السند الأول كلهم رجال الصحيحين ، غير عبد الرحمن ابن الحويرث فاني لم أجده في التقريب والخلاصة والميزان والكاشف ، ورجال السند الثاني أيضا كلهم ثقات ، الا أن محمد بن اسحاق مدلس وقد عنعنه : قال الهيثمي في مجمع الزوائد : وله طريق عن صالح بن كيسان عن الزهري ورجالها موثقون •

ومنها : حديث أبي الدرداء رواه الدارمي ولفظه هكذا : أخبرنا يحيى بن موسى حدثنا عمروبن محمد القرشي أخبرنا اسرائيل عن عبد الرحمن بن زبيد اليامي عن أبي العجلان عن أبي الدرداء قال : خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال « نضر الله امرءا سمع منا حديثا فبلغه كما سمعه ، فرب مبلغ أوعى من سامع ، ثلاث لا يغل عليهن قلب امرىء مسلم : اخلاص العمل لله ، والنصيحة لكل مسلم ، ولزوم جماعة المسلمين فان دعاءهم محيط من ورائهم » انتهى •

قلت : رجال سنده كلهم ثقات غير عبد الرحمن بن زبيد بن الحارث اليامي

الكوفي قال البخاري : منكر الحديث • وقيل : النكارة هي من يحيى بن عقبة الراوي عنه نقل عن البخاري أيضا كذا في الميزان • قلت : الراوي عنه فيما نحن فيه هو اسرائيل فلا بأس بحديثه والله أعلم • وقال في مجمع الزوائد : رواه الطبراني في الكبير ومداره على عبد الرحمن بن زبيد وهو منكر الحديث قاله البخاري اهـ • قلت : وقد عرفت جواب هذا الجرح ، فافهم •

ومنها : حديث أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال في حجة الوداع « نضر الله امرءا سمع مقالتي فوعاها ، فرب حامل فقه ليس بفقيه • ثلاث لا يغل عليهن قلب امرىء مؤمن : اخلاص العمل لله ، والمناصحة لأئمة المسلمين ، ولزوم جماعتهم فان دعاءهم يحيط من ورائهم » رواه البزار ورجاله موثقون ، الا أن يكون شيخ سليمان بن سيف سعيد بن بزيع فاني لم أر أحدا ذكره ، وان كان سعيد بن الربيع فهو من رجال الصحيح فانه روى عنهما والله أعلم ، كذا في مجمع الزوائد •

ومنها : حديث معاذ بن جبل قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « نضر الله عبدا سمع كلامي ثم لم يزد فيه ، فرب حامل فقه الى أوعى منه • ثلاث لا يغل عليهن قلب مؤمن : اخلاص العمل لله ، والمناصحة لأولي الأمر ، والاعتصام بجماعة المسلمين فان دعوتهم تحيط من ورائهم » رواه الطبراني في الكبير والأوسط ، الا أنه قال في الأوسط « رب حامل كلمة » بدل « فقه » وفيه عمرو بن واقد رمى بالكذب وهو منكر الحديث ، كذا في مجمع الزوائد •

قال الذهبي في الميزان : عمرو بن واقد الدمشقي عن يونس بن ميسرة وغيره ، وعنه يحيى الوحاظي وهشام بن عمار ، قال أبو مسهر : ليس بشيء ، وقال البخاري منكر الحديث ، وقال ابن عدى : يكتب حديثه مع ضعفه ، وقال الدارقطني : متروك . وروى الفسوي عن دحيم قال : لم يكن شيوخنا يحدثون عنه ، وقال : وكأنه لم يشك أنه كان يكذب ، وكذبه مروان بن محمد قال : وهو هالك • اهـ ملخصا •

ومنها : حديث النعمان بن بشير أنه قال في خطبة خطبها رسول الله صلى الله عليه وسلم في مسجد الخيف فقال « نضر الله وجه عبد سمع مقالتي فحملها ، فرب

حامل فقه غير فقيه ، ورب حامل فقه الى من هو أفقه منه • ثلاث لا يغل عليهن قلب مؤمن : اخلاص العمل لله ، ومناصحة ولاة الأمر ، ولزوم جماعة المسلمين فان دعوتهم تحيط من ورائهم » رواه الطبراني في الكبير ، وفيه عيسى الخياط وهو متروك ، كذا في مجمع الزوائد •

قال الذهبي في الميزان : عيسى بن أبي عيسى ميسرة المدني الحناط وهو الخياط والخباط عمل المعايش الثلاث ، وروى عن أنس والشعبي ، وعنه وكيع وعبيد الله بن موسى وابن أبي فديك وجماعة ، ضعفه أحمد وغيره ، وقال الفلاس والنسائي : متروك ، وقال ابن سعد كان يقول : أنا حناط وخياط وخباط كلا قد عالجت ، وقال أحمد : لا يساوي شيئا • اهـ ملخصا •

ومنها حديث النعمان بن بشير عن أبيه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « رحم الله عبدا سمع مقالتي فحفظها ، فرب حامل فقه غير فقيه ، ورب حامل فقه الى من هو أفقه منه ، ثلاث لا يغل عليهن قلب مؤمن : اخلاص العمل لله ، ومناصحة ولاة المسلمين ، ولزوم جماعة المسلمين » رواه الطبراني في الكبير ، وفيه محمد بن كثير الكوفي ضعفه البخاري وغيره ، ومشاه ابن معين ، كذا في مجمع الزوائد •

قال الذهبي في الميزان : قال أحمد : خرقنا حديثه ، وقال البخاري : كوفي منكر الحديث ، وقال ابن المديني : كتبنا عنه عجائب وخططت على حديثه ، ومشاه ابن معين ، روى عباس عن يحيى قال : شيعي ولم يكن به بأس ، قال ابن عدى : الضعف على حديثه بين • اهـ • ملخصا •

ومنها : حديث أبي قرصافة جندرة بن خيشنة [1] قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « نضر الله امرءا سمع مقالتي فوعاها وحفظها ، فرب حامل علم الى من هو أعلم منه • ثلاث لا يغل عليهن القلب : اخلاص العمل ، ومناصحة الولاة ، ولزوم الجماعة » قال : وبلغني أن ابنا لأبي قرصافة أسرته الروم فكان أبو قرصافة

(1) في الأصل حيدرة — بمهملة وياء — ابن خثيمة ، والصواب جندرة بجيم مفتوحة ابن خيشنة بمعجمة فياء مثناة تحتية فشين معجمة فنون • وقرصافة بكسر القاف • وكتبه محمد رشيد رضا •

يناديه من سور عسقلان في وقت كل صلاة : يافلان الصلاة ، فيسمعه فيجيبه وبينهما عرض البحر ، رواه الطبراني في الأوسط والصغير ، واسناده لم أر من ذكر أحدا منهم •

ومنها : حديث جابر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « نضر الله امرءا سمع مقالتي فوعاها ثم بلغها ، فرب مبلغ أوعى من سامع • ثلاث لا يغل عليهن قلب امرىء مسلم : اخلاص العمل لله ، ومناصحة ولاة المسلمين ، ولزوم جماعتهم فان دعوتهم تحيط من ورائهم » رواه الطبراني في الأوسط ، وفيه محمد بن موسى البريري [١] قال الدارقطني : ليس بالقوي ، كذا في مجمع الزوائد •

ومنها : حديث أنس بن مالك قال : خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بمسجد الخيف من منى فقال « نضر الله امرءا سمع مقالتي فحفظها ثم ذهب بها الى من لم يسمعها ، فرب حامل فقه ليس بفقيه ، ورب حامل فقه الى من هو أفقه منه • ثلاث لا يغل عليهن قلب امرىء مؤمن : اخلاص العمل لله ، والنصح لمن ولاه الله عليكم الأمر ، ولزوم جماعة المسلمين ، فان دعوتهم تحيط من ورائهم » رواه الطبراني في الأوسط ، وفيه عبد الرحمن بن زيد بن أسلم وهو ضعيف ، كذا في مجمع الزوائد •

الأخبار والآثار في الحكم والقضاء بالشورى [٢]

ومنها حديث ابن عباس قال : قلت يا رسول الله ، أرأيت ان عرض لنا أمر لم ينزل فيه قرآن ولم تمض فيه سنة منك ؟ قال ، تجعلونه شورى بين العابدين من المؤمنين ، ولا تقضونه برأي خاصة » فذكر الحديث بتمامه ، رواه الطبراني في الكبير ، وفيه عبد الله بن كيسان قال البخاري : منكر الحديث ، كذا في مجمع الزوائد ، قال الذهبي في الميزان : قال البخاري : منكر الحديث ، وقال أبو حاتم : ضعيف ، وقال النسائي : ليس بالقوي • ا هـ •

ومنها حديث على قال : قلت يا رسول الله ، ان نزل بنا أمر ليس فيه أمر

(١) في حاشية نسخة الهند : وفي نسخة البربري • وكذا في الميزان •
(٢) العنوان للمصحح •

ولا نهى فما تأمرني ؟ قال تشاوروا الفقهاء والعابدين ، ولا تمضوا فيه رأى خاصة » رواه الطبراني في الأوسط ، ورجاله موثقون من أهل الصحيح ، كذا في مجمع الزوائد .

ومنها حديث أبي سلمة الحمصي أن النبي صلى الله عليه وسلم سئل عن الأمر يحدث ليس في كتاب ولا سنة فقال « ينظر فيه العابدون من المؤمنين » رواه الدارمي ، وهذا حديث رجال سنده كلهم رجال الصحيحين ، الا أن فيه انقطاعا .

وفي الباب آثار : منها أثر عبد الله بن مسعود : ما رآه المسلمون حسنا فهو عند الله حسن ، وما رآه المسلمون سيئا فهو عند الله سيىء . رواه أحمد والبزار والطبراني في الكبير ورجاله موثقون ، كذا في مجمع الزوائد ، وقد تقدم ذكره .

ومنها ما روى عن المسيب بن رافع قال : كانوا اذا نزلت بهم قضية ليس فيها من رسول الله صلى الله عليه وسلم أثر اجتمعوا لها وأجمعوا ، فالحق فيما رأوا . رواه الدارمي ورجال سنده كلهم رجال الصحيحين ، الا أن هشيما كثير التدليس ، وقد تابعه يزيد ، قال الدارمي أخبرنا عبد الله أخبرنا يزيد عن العوام بهذا .

ومنها ما روى عن ميمون بن مهران قال : كان أبو بكر اذا ورد عليه الخصم نظر في كتاب الله ، فان وجد فيه ما يقضي بينهم قضى به ، وان لم يكن في الكتاب وعلم من رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك الأمر سنة قضى به ، فان أعياه خرج فسأل المسلمين وقال : أتاني كذا وكذا فهل علمتم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قضى في ذلك بقضاء ؟ فربما اجتمع اليه النفر كلهم يذكر من رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه قضاء فيقول أبو بكر : الحمد لله الذي جعل فينا من يحفظ على نبينا ، فان أعياه أن يجد فيه سنة من رسول الله صلى الله عليه وسلم جمع رءوس الناس وخيارهم فاستشارهم ، فاذا اجتمع رأيهم على أمر قضى به ، رواه الدارمي ورجال سنده كلهم موثقون .

ومنها أثر عبد الله بن مسعود قال : أتى علينا زمان لسنا نقضي ولسنا هنالك ، وان الله قد قدر من الأمر أن قد بلغنا ما ترون ، فمن عرض له قضاء بعد اليوم فليقض فيه بما في كتاب الله عز وجل ، فان جاءه ما ليس في كتاب الله فليقض بما قضى به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فان جاءه ما ليس في كتاب الله ولم

يقض به رسول الله صلى الله عليه وسلم فليقض بما قضى به الصالحون ، ولا يقل اني أخاف واني أرى ، فان الحرام بين والحلال بين ، وبين ذلك أمور مشتبهة ، فدع ما يريبك الى ما لا يريبك ، رواه الدارمي ، وفي سنده حريث بن ظهير قال الذهبي في الميزان : لا يعرف ، وفيه سفيان وهو مدلس وقد عنعنه ، وقد تابع حريثا عبد الرحمن بن يزيد ، وتابع سفيان شعبة وأبو عوانة وجرير .

قال الدارمي في مسنده : أخبرنا يحيى بن حماد حدثنا شعبة عن سليمان عن عمارة بن عمير عن حريث بن ظهير قال : أحسبه أن عبد الله قال : قد أتى علينا زمان وما نسأل وما نحن هناك ، وان الله قدر أن بلغت ما ترون ، فاذا سئلتم عن شيء فانظروا في كتاب الله ، فان لم تجدوه في كتاب الله ففي سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فان لم تجدوه في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فما أجمع عليه المسمون ، فان لم يكن فيما اجتمع عليه المسلمون فاجتهد رأيك ولا تقل اني أخاف وأخشى ، فان الحلال بين والحرام بين ، وبين ذلك أمور مشتبهة ، فدع ما يريبك الى ما لا يريبك . حدثنا يحيى بن حماد عن أبي عوانة عن سليمان عن عمارة بن عمير عن عبد الرحمن بن يزيد عن عبد الله نحوه . أخبرنا عبد الله بن محمد حدثنا جرير عن الأعمش عن القاسم بن عبد الرحمن عن أبيه عن عبد الله بنحوه . اهـ .

وقال النسائي في المجتبى : أخبرنا محمد بن العلاء قال حدثنا أبو معاوية عن الأعمش عن عمارة هو ابن عمير عن عبد الرحمن بن يزيد قال : أكثروا على عبد الله ذات يوم فقال عبد الله : انه قد أتى علينا زمان ولسنا نقضي ولسنا هنالك ، ثم ان الله عز وجل قدر علينا أن بلغنا ما ترون ، فمن عرض له منكم قضاء بعد اليوم فليقض بما في كتاب الله ، فان جاءه أمر ليس في كتاب الله فليقض بما قضى به نبيه صلى الله عليه وسلم ، فان جاءه أمر ليس في كتاب الله ولا قضى به نبيه صلى الله عليه وسلم فليقض بما قضى به الصالحون ، فان جاءه أمر ليس في كتاب الله ولا قضى به نبيه صلى الله عليه وسلم ولا قضى به الصالحون فليجتهد رأيه ، ولا يقول انى أخاف واني أخاف ، فان الحلال بين والحرام بين ، وبين ذلك أمور مشتبهات ، فدع ما يريبك الى ما لا يريبك . قال أبو عبد الرحمن[1] : هذا الحديث

(1) كتب في حاشية طبعة الهند هنا : أى الدارمي ، وهو غلط ، بل هو الحافظ أحمد بن شعيب النسائي صاحب السنن .

حديث جيد . اهـ . ورواه النسائي من حديث حريث بن ظهير أيضا .

ومنها ما روى عن شريح أن عمر بن الخطاب كتب اليه : ان جاءك شيء في كتاب الله فاقض به ولا يلتفتك عنه [1] الرجال . فان جاءك ما ليس في كتاب الله فانظر سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فاقض بها ، فان جاءك ما ليس في كتاب الله ولم يكن فيه سنة من رسول الله صلى الله عليه وسلم فانظر ما اجتمع عليه الناس فخذ به ، فان جاءك ما ليس في كتاب الله ولم يكن في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يتكلم فيه أحد قبلك فاختر أى الأمرين شئت ، ان شئت أن تجتهد برأيك ثم تقدم فتقدم ، وان شئت أن تتأخر فتأخر ، ولا أرى التأخر الا خيرا لك . رواه الدارمي ورواته كلهم موثقون . ورواه النسائي ولفظه هكذا : أخبرنا محمد بن بشار قال حدثنا أبو عامر قال حدثنا سفيان عن الشيباني عن الشعبي عن شريح أنه كتب الى عمر يسأله ، فكتب اليه : أن اقض بما في كتاب الله ، فان لم يكن في كتاب الله فبسنة رسول الله ، فان لم يكن في كتاب الله ولا في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فاقض بما قضى به الصالحون ، فان لم يكن في كتاب الله ولا في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يقض به الصالحون فانشئت فتقدم وان شئت فتأخر ، ولا أرى التأخر الا خيرا لك » والسلام عليكم . اهـ .

ولكن ليس في شيء من تيك الأحاديث الدلالة على مقصود الخصم من لزوم اتباع كل جمهور ، لاحتمال أن يكون المراد ما أجمع عليه الأمة لا يكون كفرا ، كما في حديث أبي هريرة الذي رواه ابن مردويه . أو يكون المراد لزوم جماعة أهل الحل والعقد ، أو يكون المراد ما أجمع عليه الفقهاء الصالحون وهم فقهاء أهل السنة والجماعة .

قوله ، ومما يعتقده هؤلاء المنكرون للزيارة والتوسل منع طلب الشفاعة من النبي صلى الله عليه وسلم .

أقول : لابد هناك أولا من تحقيق لفظ الشفاعة ، فاعلم أنه قال ابن الأثير في النهاية : قد تكرر ذكر الشفاعة في الحديث فيما يتعلق بأمور الدنيا والآخرة ، وهي

(1) كذا في النسخة وكذا في سنن الدارمي أيضا ، ولعل صوابه يلفتك من الثلاثي فهو من المتعدى بنفسه ، قال تعالى : (لتلفتنا عما وجدنا عليه آباءنا) .

السؤال في التجاوز عن الذنوب والجرائم ، يقال : شفع يشفع شفاعة فهو شافع وشفيع ، والمشفع الذي يقبل الشفاعة [1] والمشفع الذي تقبل شفاعته • اهـ •

وفي مجمع البحار : والشفاعة تكررت في الحديث ، وتتعلق بأمور الدنيا والآخرة ، وهي السؤال في التجاوز عن الذنوب والجرائم ، شفع فهو شافع وشفيع والمشفع من يقبلها والمشفع من تقبل شفاعته • اهـ •

وقال البيضاوي : والشفاعة من الشفع كأن المشفوع له كان فردا فجعله الشفيع شفعا بضم نفسه اليه • اهـ •

وقال في فتح البيان : والشفاعة مأخوذة من الشفع وهو الاثنان ، تقول استشفعته أى سألته أن يشفع لي ، أى يضم جاهه الى جاهك عند المشفوع اليه ليصل النفع الى المشفوع • اهـ •

وقال الحافظ في فتح الباري : الاستشفاع طلب الشفاعة ، وهى انضمام الأدنى الى الأعلى ليستعين به على ما يرومه • اهـ •

اذا دريت هذا فاعلم أن شفاعة النبي صلى الله عليه وسلم للمؤمنين ثابتة في الدنيا والآخرة ، أما الشفاعة في الدنيا فقد قال الله تعالى في سورة النساء (ولو أنهم اذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما) •

قال الحافظ ابن كثير في تفسيره تحت هذه الآية : يرشد تعالى العصاةوالمذنبين ـ اذا وقع منهم الخطأ والعصيان ـ أن يأتوا الى الرسول صلى الله عليه وسلم فيستغفروا الله عنده ، ويسألوه أن يستغفر لهم ، فانهم اذا فعلوا ذلك تاب الله عليهم ورحمهم وغفر لهم • انتهى •

قال ابن عبد الهادي في الصارم المنكى : وهذه كانت عادة الصحابة معه صلى الله عليه وسلم أن أحدهم متى صدر منه ما يقتضي التوبة جاء اليه فقال : يا رسول الله فعلت كذا وكذا فاستغفر لي • اهـ •

ويدل عليه ما روي عن كعب بن مالك في حديث طويل فيه : فطفقوا يعتذرون

(١) المشفع هنا بكسر الفاء المشددة ، والذي بعده بفتحها •

اليه ويحلفون له ، وكانوا بضعة وثمانين رجلا ، فقبل منهم رسول الله صلى الله عليه وسلم علانيتهم وبايعهم واستغفر لهم ، ووكل سرائرهم الى الله تعالى . اهـ .

وقال تعالى في سورة آل عمران (فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر). وقال تعالى في سورة محمد (فاعلم أنه لا اله الا الله واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات) . وقال تعالى في سورة الممتحنة (يا أيها النبي اذا جاءك المؤمنات يبايعنك على أن لا يشركن بالله – الى قوله تعالى – فبايعهن واستغفر لهن الله ، ان الله غفور رحيم) . وقال تعالى في سورة التوبة (خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم ان صلاتك سكن لهم والله سميع عليم) .

قال الحافظ ابن كثير : (وصل عليهم) أى ادع لهم واستغفر لهم كما رواه مسلم في صحيحه عن عبد الله بن أبي أوفى قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا أتى بصدقة قوم صلى عليهم ، فأتاه أبي بصدقته فقال « اللهم صل على آل أبي أوفى » . اهـ .

وفي فتح البيان قال ابن عباس رضى الله عنهما : استغفر لهم من ذنوبهم التي كانوا أصابوها ، ان صلاتك رحمة لهم . اهـ . وكذا نقل السيوطي في الاكليل .

وقال تعالى فيها أيضا (ولا تصل على أحد منهم مات أبدا ولا تقم على قبره انهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون) .

قال السيوطي في الاكليل : فيه تحريم الصلاة على الكافر والوقوف على قبره، وأن دفنه جائز ، ومفهومه وجوب الصلاة على المسلم ودفنه ومشروعية الوقوف على قبره والدعاء له والاستغفار .

وقال تعالى فيها (ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولى قربى من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم) فان مفهومه مشروعية الاستغفار للمؤمنين .

ومن هذا القبيل دعاء النبي صلى الله عليه وسلم لأبي سلمة حين مات بقوله « اللهم اغفر لأبي سلمة وارفع درجته في المهديين ، واخلفه في عقبه في الغابرين ، واغفر لنا وله يا رب العالمين ، وأفسح له في قبره ، ونور له فيه » رواه مسلم .

ومنه صلاته صلى الله عليه وسلم على الجنازة كما دعا على جنازة بقوله « اللهم اغفر له وارحمه وعافه واعف عنه ، وأكرم نزله ووسع مدخله ، واغسله بالماء والثلج والبرد ، ونقه من الخطايا كما نقيت الثوب الأبيض من الدنس ، وأبدله دارا خيرا من داره ، وأهلا خيرا من أهله ، وزوجا خيرا من زوجه ، وأدخله في الجنة ، وأعذه من عذاب القبر ومن عذاب النار » رواه مسلم . ولذا قال صلى الله عليه وسلم « ان هذه القبور مملوءة ظلمة على أهلها ، وان الله ينورها لهم بصلاتي عليهم » متفق عليه . وقال صلى الله عليه وسلم « ما من رجل مسلم يموت فيقوم على جنازته أربعون رجلا لا يشركون بالله شيئا الا شفعهم الله فيه » رواه مسلم . وأيضا قال صلى الله عليه وسلم « ما من ميت تصلى عليه أمة من المسلمين يبلغون مائة كلهم يشفعون له الا شفعوا فيه » رواه مسلم .

ومن هذا القبيل قوله صلى الله عليه وسلم اذا صلى على الجنازة « اللهم اغفر لحينا وميتنا ، وشاهدنا وغائبنا ، وصغيرنا وكبيرنا ، وذكرنا وأنثانا ، اللهم من أحييته منا فأحيه على الاسلام ، ومن توفيته منا فتوفه على الايمان . اللهم لاتحرمنا أجره ، ولا تفتنا بعده » رواه أحمد وأبو داود والترمذي وابن ماجه .

ومنه قوله صلى الله عليه وسلم في صلاة الجنازة « اللهم ان فلان ابن فلان في ذمتك ، وحبل جوارك ، فقه من فتنة القبر وعذاب النار ، وأنت أهل الوفاء والحق . اللهم اغفر له وارحمه انك أنت الغفور الرحيم » رواه أبو داود وابن ماجه .

ومنه ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم في الصلاة على الجنازة « اللهم أنت ربها ، وأنت خلقتها ، وأنت هديتها الى الاسلام ، وأنت قبضت روحها ، وأنت أعلم بسرها وعلانيتها ، جئنا شفعاء فاغفر له » رواه أبو داود .

ومنه ما روي أن النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا فرغ من دفن الميت وقف عليه فقال : « استغفروا لأخيكم ثم سلوا له التثبيت فانه الآن يسئل» رواه أبوداود .

ومنه الأدعية المروية عنه صلى الله عليه وسلم في زيارة القبور فانها كلها من باب الشفاعة .

ومنه دعاؤه صلى الله عليه وسلم لبعض أصحابه كما دعا لأنس رضى الله عنه

فقال « اللهم أكثر ماله وولده وأطل حياته واغفر له » أخرجه البخاري في الأدب المفرد قاله الحافظ في الفتح •

ومنه دعاؤه صلى الله عليه وسلم لعبيد أبي عامر بقوله « اللهم اغفر لعبيد أبي عامر » ورأيت بياض ابطيه فقال « اللهم اجعله يوم القيامة فوق كثير من خلقك من الناس » رواه البخاري •

ومنه دعاؤه صلى الله عليه وسلم للعباس وولده بقوله « اللهم اغفر للعباس وولده مغفرة ظاهرة وباطنة لا تغادر ذنبا » رواه الترمذي •

ومنه ما روي عن جابر قال : استغفر لي رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسا وعشرين مرة ، رواه الترمذي • ومنه قال لغفار « غفر الله لها » رواه البخاري •

ومنه قوله صلى الله عليه وسلم « اللهم لا عيش الا عيش الآخرة ، فاغفر للمهاجرين والأنصار » رواه البخاري •

ويدل على هذا القسم من الشفاعة قوله صلى الله عليه وسلم لأبي جرى جابر ابن سليم « أنا رسول الله الذي ان أصابك ضر فدعوته كشفه عنك ، وان أصابك عام سنة فدعوته أنبتها لك ، واذا كنت بأرض قفر أو فلاة فضلت راحلتك فدعوته ردها عليك » وهذا القول في حديث طويل رواه أبو داود •

ومنه دعاؤه صلى الله عليه وسلم لبسر حين أخذ بلجام دابته وقال : ادع الله لنا ، فقال « اللهم بارك لهم فيما رزقتهم ، واغفر لهم وارحمهم » رواه مسلم •

ومنه استسقاؤه صلى الله عليه وسلم لهم كما روى عن أنس بن مالك أنه قال: جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله هلكت المواشي، وانقطعت السبل ، فادع الله • فدعا الله فمطرنا من الجمعة الى الجمعة ، فجاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله تهدمت البيوت وانقطعت السبل وهلكت المواشي ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اللهم على ظهور الجبال والآكام وبطون الأودية ومنابت الشجر » فانجابت عن المدينة انجياب الثوب• رواه البخاري •

وعن ابن مسعود قال : ان قريشا أبطأوا عن الاسلام ، فدعا عليهم النبي صلى

الله عليه وسلم فأخذتهم سنة حتى هلكوا فيها ، وأكلوا الميتــة والعظام ، فجاءه أبو سفيان فقال : يا محمد جئت تأمر بصلة الرحم ، وان قومك هلكوا فادع الله تعالى ، فقرأ (فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين) الآية رواه البخاري في أبواب الاستسقاء •

قال الحافظ في الفتـــح : ولم يقع في هـــذا السياق التصريح بأنه دعا لهم ، وسيأتي هذا الحديث في تفسير سورة (ص) بلفظ « فكشف عنهم ثم عادوا » ، وفي سورة الدخان من وجه آخر بلفظ « فاستسقى لهم فسقوا » ، ونحوه في رواية أسباط المعلقة • اهـ •

وهذا الضرب من الشفاعة حاصل للأنبياء الآخرين أيضا ، يدل عليه الآيات التي تتلوها عليك •

قال الله تعالى في سورة يوسف (قالوا يا أبانا استغفر لنا ذنوبنا انا كنـــا خاطئين * قال سوف استغفر لكم ربي انه هو الغفور الرحيم) وقال تعـــالى في سورة ابراهيم (ربنا اغفر لي ولوالدي وللمؤمنين يوم يقوم الحساب) ، وللملائكة(١) أيضا قال الله تعالى في سورة المؤمن (الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمنوا ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم * ربنا وأدخلهم جنات عدن التي وعدتهم ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم انك أنت العزيز الحكيم * وقهم السيئات ومن تق السيئات يومئذ فقد رحمته وذلك هو الفوز العظيم) ، وقال تعالى في سورة الشورى (تكاد السموات يتفطرن من فوقهن والملائكة يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون لمن في الأرض ألا ان الله هو الغفور الرحيم) بل عامـــة المؤمنين مأذونون في هذه الشفاعة قال تعالى : (والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا انك رءوف رحيم) •

وعن عبادة بن الصامت قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « من استغفر للمؤمنين والمؤمنات كتب الله له بكل مؤمن ومؤمنة حسنة » رواه الطبراني

---

(١) معطوف على قوله : حاصل للأنبياء •

واسناده جيد • كذا في مجمع الزوائد • وفي الباب عن أبي هريرة وأم سلمة وأبي الدرداء ، ولكن في رواياتهم ضعف ، وهي تكفي للتأييد •

وهذا النوع من الشفاعة يجوز طلبه منه صلى الله عليه وسلم بلا مرية ، بأن يأتي أحد منهم النبي صلى الله عليه وسلم في حياته ويستشفع به ، لا أن يدعوه غائبا عنه ، دل عليه قوله تعالى (ولو أنهم اذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول) الآية ، وقوله تعالى : (قالوا يا أبانا استغفر لنا ذنوبنا) ، وقوله تعالى : (واذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله لووا رءوسهم) ، وقول الصحابة رضى الله عنهم وغيرهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم أدع الله لنا • وقوله صلى الله عليه وسلم لعمر « ان خير التابعين رجل يقال له أويس ، وله والدة وكان به بياض ، فمره فليستغفر لكم » رواه مسلم •

فاذا جاز طلب هذا الضرب من الشفاعة من غير النبي صلى الله عليه وسلم من أهل الخير والصلاح فالنبي صلى الله عليه وسلم أولى به •

القسم الثاني شفاعته صلى الله عليه وسلم في عالم البرزخ

وفي الباب حديث عبد الله بن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « ان لله ملائكة سياحين يبلغوني عن أمتي السلام » قال : وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « حياتي خير لكم ، تحدثون ويحدث لكم ، ووفاتي خير لكم ، تعرض على أعمالكم ، فما رأيت من خير حمدت الله عليه ، وما رأيت من شر استغفرت الله لكم » رواه البزار ورجاله رجال الصحيح ، كذا في مجمع الزوائد •

وقال القسطلاني في شرحه على صحيح البخاري : وفي حديث ابن مسعود عند البزار باسناد جيد رفعه « حياتي خير لكم ، ووفاتي خير لكم ، تعرض على أعمالكم ، فما رأيت من خير حمدت الله عليه ، وما رأيت من شر استغفرت الله لكم » • اهـ • ولا يخفى عليك أن كون رجال الحديث رجال الصحيح أو كون سنده جيدا لا يقتضي صحة الحديث وجودته لجواز أن يكون فيه انقطاع أو شذوذ أو علة أخرى •

قال التقي السبكي في (شفاء الأسقام) : وقال بكر بن عبد الله المزني قال

رسول الله صلى الله عليه وسلم « حياتي خير لكم تحدثون ويحدث لكم ، فاذا أنا مت كانت وفاتي خيرا لكم تعرض علي أعمالكم ، فان رأيت خيرا حمدت الله ، وان رأيت غير ذلك استغفرت الله لكم » قال ابن عبد الهادي في (الصارم) : هذا خبر مرسل رواه القاضي اسماعيل بن اسحاق في كتاب (فضل الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم) وقد نقلنا عبارته فيما تقدم ، ولو سلم ثبوت ذلك الحديث فليس فيه دلالة على جواز طلب الشفاعة منه صلى الله عليه وسلم •

وبالجملة فطلب هذه الشفاعة عند القبر أو بعيدا منه بدعة ، لا يدل عليها دليل شرعي من الكتاب العزيز ، والسنة المطهرة •

وأما ما روى أن الناس أصابهم قحط في خلافة عمر رضى الله عنه فجاء بلال ابن الحارث رضى الله عنه الحديث ، وكذا ما روى أن رجلا كان يختلف الى عثمان ابن عفان رضى الله عنه في زمن خلافته في حاجة ، فكان لا يلتفت اليه ، ولا ينظر اليه في حاجته ، فشكا ذلك لعثمان بن حنيف راوي الحديث ، وكذا ما روي عن العتبي أنه قال : كنت جالسا عند قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء أعرابي فقال : السلام عليكم يا رسول الله ، سمعت الله يقول • الحديث ، فقد عرفت جوابه فيما تقدم فتذكر •

القسم الثالث شفاعته صلى الله عليه وسلم يوم القيامة

وهي ثابتة بالكتاب والسنة ، وطلبها من النبي صلى الله عليه وسلم في حياته صلى الله عليه وسلم ثابت بما روي عن أنس قال سألت النبي صلى الله عليه وسلم أن يشفع لي يوم القيامة فقال « أنا فاعل » قلت : يا رسول الله فأين أطلبك ؟ قال « اطلبني أول ما تطلبني على الصراط » قلت : فان لم ألقك على الصراط ؟ قال « فاطلبني عند الميزان » قلت : فان لم ألقك عند الميزان ؟ قال « فاطلبني على الحوض فاني لا أخطىء هذه الثلاث المواطن » رواه الترمذي وقال : هذا حديث حسن غريب ، لا نعرفه الا من هذا الوجه •

قلت : ورجاله رجال الصحيح ، وكلهم ثقات ، غير حرب بن ميمون أبي

الخطاب فقد اختلف فيه ، قال الذهبي في الميزان : بصري صدوق يخطىء [1] ، قال أبو زرعة : لين ، وقال يحيى بن معين : صالح ، وقد وثقه علي بن المديني وغيره ، وأما البخاري فذكره في الضعفاء ، وما ذكر الذي بعده صاحب الأغمية [2] ، وقد خلط البخاري وابن عدى صاحب الأغمية بأبي الخطاب وجعلهما واحدا ، والصواب أنهما اثنان ، قال عبد الغني بن سعيد : هـذا مما وهم فيه البخاري ، نبهني عليه الدارقطني . ا هـ ملخصا ، قال المؤلف وهو من رواة مسلم .

وعن معاذ بن جبل وأبي موسى قالا : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا نزل منزلا كان الذي يليه المهاجرون ، قال فنزلنا فنام رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن ، قال فتعاررت بالليل أنا ومعاذ فنظرنا فلم نره ، قال فخرجنا نطلبه فسمعنا هريرا كهرير الأرحاء اذ أقبل ، فلما أقبل نظر فقال « ما شأنكم ؟ » فقالوا : تنبهنا فلم نرك حيث كنت ، خشينا أن يكون أصابك شيء فجئنا نطلبك ، قال « أتاني آت في منامي فخيرني بين أن يدخل نصف أمتي الجنة أو شفاعة . فاخترت لهم الشفاعة » فقلنا : انا نسألك بحق الاسلام وبحق الصحبة لما أدخلتنا في شفاعتك ، فدعا لهم ، قال فاجتمع عليه الناس وقالوا مثل مقالتنا وكثر الناس فقال « اني جاعل شفاعتي لمن مات لا يشرك بالله شيئا » رواه أحمد والطبراني بنحوه ، وفي رواية عند أحمد : فقالا ادع الله يا رسول الله أن يجعلنا في شفاعتك ، فقال « أنتم ومن مات لا يشرك بالله شيئا في شفاعتي » ورجالهما رجال الصحيح ، غير عاصم بن أبي النجود وقد وثق وفيه ضعف ، ورواه البزار باختصار ، ولكن أبا المليح وأبا بردة لم يدركا معاذ بن جبل ، كذا في مجمع الزوائد .

وفي الباب عن أبي موسى رواه أحمد والطبراني وأحد أسانيد الطبراني رجاله ثقات .

وعن مصعب الأسلمي قال : انطلق غلام منا فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : اني سائلك سؤالا ، قال « وما هو » ؟ قال أسألك أن تجعلني ممن تشفع له

---

(1) وقال الحافظ في التقريب : صدوق رمى بالقدر ا هـ . فهو في المرتبة الخامسة بين الثقات والضعفاء .

(2) صاحب الأغمية هو حرب الأصفر ، وكنيته أبو عبد الرحمن ، وهو متروك على عبادته ، والأغمية بالفتح السقوف كما في التقريب . وكتبه محمد رشيد رضا .

يوم القيامة ، قال « من أمرك بهذا ، ومن علمك هذا ، ومن دلك على هذا » ؟ قال ما أمرني به أحد الا نفسي قال « فانك ممن أشفع له يوم القيامة » رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح ، وعن عوف بن مالك الأشجعي رواه الطبراني بأسانيد ورجال بعضها ثقات • وعن أبي بن كعب صاحب الحرير رواه الطبراني في الأوسط، وفيه علي بن قرة بن حبيب ولم أعرفه ، وبقية رجاله ثقات » وهذا كله في مجمع الزوائد •

وكذا طلب هذه الشفاعة من النبي صلى الله عليه وسلم يوم القيامة أيضا ثابت بأحاديث صحيحة مروية في الصحاح وغيرها :

منها حديث أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « يحبس المؤمنون يوم القيامة حتى يهموا بذلك فيقولون : لو استشفعنا ربنا فيريحنا من مكاننا • فيأتون آدم فيقولون : أنت آدم أبو الناس ، خلقك الله بيده ، وأسكنك جنته ، وأسجد لك ملائكته ، وعلمك أسماء كل شيء ، اشفع لنا عند ربك حتى يريحنا من مكاننا هذا » وهذا حديث طويل فيه : فيأتوني فأستأذن على ربي في داره فيؤذن لي عليه ، فاذا رأيته وقعت ساجدا ، فيدعني ما شاء الله أن يدعني ، فيقول : ارفع محمد ، وقل نسمع ، واشفع تشفع ، وسل تعطه » الحديث متفق عليه •

وأما طلبها من النبي صلى الله عليه وسلم بعد الوفاة قبل يوم القيامة عند القبر أو بعيدا من القبر فبدعة ، وأي ملجيء لنا الى احداث هذه البدعة ؟ •

وقد ورد في الأحاديث الصحيحة من الأذكار والأعمال ما يكون سببا لاستحقاق الشفاعة ووجوبها ونزولها ، كما في حديث جابر بن عبد الله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « من قال حين يسمع النداء : اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمدا الوسيلة والفضيلة ، وابعثه مقاما محمودا الذي وعدته ، حلت له شفاعتي يوم القيامة » أخرجه البخاري وأهل السنن •

وقد ورد في حديث أبي الدرداء في الباب طلب الشفاعة من الله تعالى لا من الرسول صلى الله عليه وسلم ولفظه هكذا قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا سمع النداء قال « اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة ، صل على عبدك ورسولك ، واجعلنا في شفاعته يوم القيامة » قال رسول الله صلى الله

عليه وسلم « من قال هذا عند النداء جعله الله في شفاعتي يوم القيامة » رواه الطبراني في الأوسط ، وفيه صدقة بن عبد الله السمين ضعفه أحمد والبخاري ومسلم وغيرهم ، ووثقه دحيم وأبو حاتم وأحمد بن صالح المصري ، كذا في مجمع الزوائد .

وكذا ورد في حديث ابن عباس أيضا طلب الشفاعة من الله تعالى ولفظه هكذا : وعن ابن عباس أن نبى الله صلى الله عليه وسلم قال « من سمع النداء فقال : أشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله ، اللهم صل على محمد وبلغه درجة الوسيلة عندك ، واجعلنا في شفاعته يوم القيامة ، وجبت له الشفاعة » رواه الطبراني في الكبير ، وفيه اسحاق بن عبدالله ابن كيسان لينه الحاكم وضعفه ابن حبان ، وبقية رجاله ثقات ، كذا في مجمع الزوائد ، وهاتان السنتان وان كانتا ضعيفتين فالتمسك بهما خير من احداث بدعة .

وجملة القول أن طلب الشفاعة منه صلى الله عليه وسلم في حياته صلى الله عليه وسلم ثابت بلا شك ، وكذلك طلب الشفاعة منه صلى الله عليه وسلم يوم القيامة ، وهذا لا ينكره أحد ، وأما ما يمنعه المانعون فهو طلب الشفاعة منه صلى الله عليه وسلم بعد الوفاة قبل القيامة ، وهو غير ثابت ، فعزو منع مطلق طلب الشفاعة الى المانعين كما فعله صاحب الرسالة لا يخلو عن تلبيس وتدليس .

قال شيخ الاسلام ابن تيمية في (اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم) : فحينئذ فيقال أما التوسل والتوجه الى الله وسؤاله بالأعمال الصالحة التي أمر بها كدعاء الثلاثة الذين أووا الى الغار بأعمالهم الصالحة وبدعاء الأنبياء والصالحين وشفاعتهم ، فهذا مما لا نزاع فيه ، بل هو من الوسيلة التي أمر الله بها في قوله تعالى (يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا اليه الوسيلة) وقوله (أولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه) فان ابتغاء الوسيلة اليه هو طلب ما يتوسل به ، أي يتوصل ويتقرب به اليه سبحانه وتعالى ، سواء كان على وجه العبادة والطاعة وامتثال الأمر ، أو كان على وجه السؤال له والاستعاذة به رغبة اليه في جلب المنافع ودفع المضار . اهـ .

وقال فيه : والمقصود هنا أن دعاء الله تعالى قد يكون دعاء عبادة لله يثاب العبد عليه في الآخرة مع ما يحصل له في الدنيا ، وقد يكون دعاء مسألة يقضي به حاجته ، ثم قد يثاب عليه اذا كان مما يحبه الله ، وقد لا يحصل له الا تلك الحاجة ، وقد يكون سببا لضرر دينه فيعاقب على ما ضيعه من حقوق الله وتعداه من حدوده ، فالوسيلة التي أمر الله بابتغائها تعم الوسيلة في عبادته وفي مسألته ، فالتوسل اليه بالأعمال الصالحة التي أمر بها ، وبدعاء أحياء الأنبياء والصالحين وشفاعتهم ، ليس هو من باب الاقسام عليه بمخلوقاته •

ومن هذا الباب استشفاع الناس بالنبي صلى الله عليه وسلم يوم القيامة فانهم يطلبون منه أن يشفع لهم الى الله ، كما كانوا في الدنيا يطلبون منه أن يدعو لهم في الاستسقاء وغيره ، وقول عمر رضى الله عنه : انا كنا اذا أجدبنا توسلنا اليك بنبينا فتسقينا ، وانا نتوسل اليك بعم نبينا • معناه : نتوسل اليك بدعائه وشفاعته وسؤاله ، ونحن نتوسل اليك بدعاء عمه وسؤاله وشفاعته ، ليس المراد به أنا نقسم عليك به أو ما يجرى هذا المجرى مما يفعل بعد موته وفي مغيبه كما يقول بعض الناس : اسألك بجاه فلان عندك ، ويقولون : انا نتوسل الى الله بأنبيائه وأوليائه ، ويروون حديثا موضوعا : اذا سألتم الله فاسألوه بجاهي فان جاهي عند الله عريض• فانه لو كان هذا هو التوسل الذي كان الصحابة يفعلونه كما ذكر عمر رضى الله عنه لفعلوا ذلك بعد موته ولم يعدلوا عنه الى العباس مع علمهم بأن السؤال به والاقسام به أعظم من العباس ، فعلم أن ذلك التوسل الذي ذكروه هو مما يفعل بالأحياء دون الأموات وهو التوسل بدعائهم وشفاعتهم ، فان الحي يطلب منه ذلك والميت لا يطلب منه شيء لادعاؤه ولا غيره ، وكذلك حديث الأعمى فانه طلب من النبي صلى الله عليه وسلم أن يدعو له ليرد الله عليه بصره فعلمه النبي صلى الله عليه وسلم دعاء أمره فيه أن يسأل الله قبول شفاعة نبيه فيه • فهذا يدل على أن النبي صلى الله عليه وسلم شفع فيه وأمره أن يسأل الله قبول شفاعته ، وأن قوله : اسألك وأتوجه اليك بنبيك محمد نبي الرحمة • أى بدعائه وشفاعته كما قال عمر : كنا نتوسل اليك بنبينا ، فلفظ التوجه والتوسل في الحديثين بمعنى واحد • ثم قال : يا محمد يا رسول الله ، اني أتوجه بك الى ربي في حاجتي ليقضيها ، اللهم فشفعه في • فطلب من الله أن يشفع فيه نبيه • ا هـ •

وقال فيه : وأما قول الناس : أسألك بالله وبالرحم وقراءة من قرأ : (تساءلون به والأرحام) فهو من باب التسبب بها ، فان الرحم توجب الصلة وتقتضي أن يصل الانسان قرابته ، فسؤال السائل بالرحم لغيره توسل اليه بما يوجب صلته من القرابة التي بينهما ، ليس هو من باب الاقسام ، ولا من باب التوسل بما لا يقتضي المطلوب ، بل هو توسل بما يقتضي المطلوب . كالمتوسل بدعاء الأنبياء وبطاعتهم والصلاة عليهم . اهـ .

وقال فيه : فالتوسل بالأنبياء والصالحين يكون بأمرين : اما بطاعتهم واتباعهم، واما بدعائهم وشفاعتهم ، فمجرد دعائهم من غير طاعة منه لهم ولا شفاعة منهم له لا ينفعه وان عظم جاه أحدهم عند الله تعالى . وقد بسطت هذه المسائل في غير هذا الموضع . والمقصود هنا اذا كان السلف والائمة قالوا في سؤاله بالمخلوق ما قد ذكر فكيف بسؤال المخلوق الميت ، سواء سئل أن يسأل الله أو سئل قضاء الحاجة ونحو ذلك مما يفعله بعض الناس اما عند قبر الميت واما مع غيبته . اهـ .

وقال فيه : وهذا الموضع افترق الناس فيه ثلاث فرق طرفان ووسط : فالمشركون ومن وافقهم من مبتدعة أهل الكتاب كالنصارى ومبتدعة هذه الأمة أثبتوا الشفاعة التي نفاها القرآن ، والخوارج والمعتزلة أنكروا شفاعة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم في أهل الكبائر من أمته ، بل أنكر طائفة من أهل البدع انتفاع الانسان بشفاعة غيره ودعائه ، كما أنكروا انتفاعه بصدقة غيره وصيامه عنه ، وأنكروا الشفاعة بقوله (من قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة) وقوله (ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع) وغير ذلك ، وأما سلف الأمة وأئمتها ومن اتبعهم من أهل السنة والجماعة فأثبتوا ما جاءت به السنة عن النبي صلى الله عليه وسلم من شفاعته لأهل الكبائر من أمته وغير ذلك من أنواع شفاعته وشفاعة غيره من الأنبياء والملائكة ، وقالوا انه لا يخلد في النار من أهل التوحيد أحد ، وأقروا بما جاءت به السنة من انتفاع الانسان بدعاء غيره وشفاعته والصدقة عنه بل والصوم عنه في أصح قولي العلماء كما ثبتت به السنة الصحيحة الصريحة (١) وما كان في معنى الصوم .

(١) هذا ليس بعام ، فان الثابت في السنة من صوم الولد أو حجه عن أمه أو أبيه لا يتعارض مع قوله تعالى (وأن ليس للانسان الا ما سعى) فان ولد الانسان من كسبه وملحق به بقوله تعالى : (والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بايمان ألحقنا بهم ذريتهم) =

وقالوا ان الشفيع يطلب من الله ويسأله ، ولا تنفع الشفاعة عنده الا باذنه ، قال تعالى (من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه ــ ولا يشفعون الا لمن ارتضى ــ وكم من ملك في السموات لا تغنى شفاعتهم شيئا الا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى) •

وقد ثبت في الصحيح أن سيد الشفعاء صلى الله عليه وسلم اذا طلبت منه الشفاعة بعد أن تطلب الشفاعة من آدم وأولى العزم ــ نوح وابراهيم وموسى وعيسى ــ فيردونها الى محمد صلى الله عليه وسلم العبد الذي غفر الله ما تقدم من ذنبه وما تأخر قال « فأذهب الى ربي ، فاذا رأيته خررت ساجدا فأحمد ربي بمحامد يفتحها على لا أحسنها الآن ، فيقول : أى محمد ، ارفع رأسك ، وقل يسمع ، وسل تعطه ، واشفع تشفع ، فأقول : رب أمتي أمتي ، فيحد لي حدا فأدخلهم الجنة » وقال تعالى (قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا أولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه ان عذاب ربك كان محذورا) قال طائفة من السلف : كان أقوام يدعون العزير ، والمسيح ، والملائكة ، فأنزل الله هذه الآية ، وقد أخبر فيها أن هؤلاء المسئولين يتقربون الى الله ، ويرجون رحمته ويخافون عذابه •

وقد ثبت في الصحيح أن أبا هريرة قال : يا رسول الله أى الناس أسعد بشفاعتك يوم القيامة ؟ قال « يا أبا هريرة ، لقد ظننت أن لا يسألني عن هذا الحديث أحد أول منك ، لما رأيت من حرصك على الحديث : أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال لا اله الا الله يبتغي بها وجه الله » فكلما كان الرجل أتم اخلاصا لله ، كان أحق بالشفاعة ، وأما من علق قلبه بأحد من المخلوقين يرجوه ويخافه فهذا من أبعد الناس عن الشفاعة ، فشفاعة المخلوق عند المخلوق باعانة الشافع للمشفوع له بغير اذن المشفوع عنده ، بل يشفع اما لحاجة المشفوع عنده اليه واما لخوفه منه فيحتاج أن يقبل شفاعته ، والله تعالى غنى عن العالمين ، وهو وحده يدبر العالمين كلهم فما من شفيع الا من بعد اذنه ، فهو الذي يأذن للشفيع

= الآية ، وحديث ((اذا مات الانسان انقطع عمله الا من ثلاث)) وذكرمنها الولدالصالح يدعو له ، وهو فى صحيح مسلم • وقد حققنا المسألة بالتفصيل في أواخر تفسير سورة الأنعام • وكتبه محمد رشيد رضا •

في الشفاعة ، وهو يقبل شفاعته ، كما يلهم الداعي الدعاء ثم يجيب دعاءه ، فالأمر كله له ، فاذا كان العبد يرجو شفعاء من المخلوقين فقد لا يختار ذلك الشفيع أن يشفع له ، وان اختار فقد لا يأذن الله له في الشفاعة ولا يقبل شفاعته • اهـ •

قال ابن عبد الهادي في (الصارم) : وكذلك الشرك بأهل القبور لم يطمع الشيطان أن يوقعهم فيه ، فلم يكن على عهدهم في الاسلام قبر نبي يسافر اليه ولا يقصد الدعاء عنده أو تطلب بركته أو شفاعته أو غير ذلك ، بل أفضل الخلق محمد خاتم الرسل صلوات الله وسلامه عليه وقبره عندهم محجوب لا يقصده أحد منهم بشيء من ذلك ، وكذلك كان التابعون باحسان ومن بعدهم من أئمة المسلمين، وانما تكلم العلماء والسلف في الدعاء للرسول صلى الله عليه وسلم عند قبره : منهم من نهى عن الوقوف للدعاء له دون السلام عليه ، ومنهم من رخص في هذا وهذا ، ومنهم من نهى عن هذا وهذا ، وأما دعاؤه وهو طلب استغفاره وشفاعته بعد موته فهذا لم ينقل عن أحد من أئمة المسلمين لا من الأئمة الأربعة ولا غيرهم • اهـ •

وقال فيه أيضا : ولم يذكر أحد منهم ـ أى المالكية ـ أنه استحب أن يسأل بعد الموت لا استغفارا ولا غيره ، وكلامه المنصوص عنه وعن أمثاله ينافي هذا • اهـ •

وقال فيه أيضا : وقد أجدب الناس على عهد عمر بن الخطاب رضى الله عنه فاستسقى بالعباس ، ففي صحيح البخاري عن أنس رضى الله عنه أن عمر استسقى بالعباس رضى الله عنه وقال : اللهم انا كنا اذا أجدبنا نتوسل اليك بنبينا فتسقينا ، وانا نتوسل اليك بعم نبينا فأسقنا فيسقون،فاستسقوا بهكما كانوا يستسقون بالنبي صلى الله عليه وسلم في حياته ، وهم انما كانوا يتوسلون بدعائه وشفاعته لهم فيدعو لهم ويدعون معه كالامام والمأمومين من غير أن يكونوا يقسمون على الله بمخلوق ، كما ليس لهم أن يقسم بعضهم على بعض بمخلوق ، ولما مات صلى الله عليه وسلم توسلوا بدعاء العباس واستسقوا به ، ولهذا قال الفقهاء : يستحب الاستسقاء بأهل الخير والدين ، والأفضل أن يكونوا من أهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم •

وقد استسقى معاوية بيزيد بن الأسود الجرشي وقال : اللهم نستسقى بيزيد

ابن الأسود ، يا يزيد ارفع يديك ، فرفع يديه ودعا الناس حتى أمطروا . اهـ .
ولم يذهب أحد من الصحابة الى قبر نبي ولا غيره يستسقى عنده ولا به . اهـ .

وقال فيه أيضا : واعلم أن قول الشارمساحي : ان قصد الانتفاع بالميت بدعة ، صحيح ، وهو سر الفرق بين الزيارة المشروعة وغيرها ، فان الزيارة التي شرعها الله ورسوله ، مقصودها نفع الميت والاحسان اليه ، وأن يفعل عند قبره من جنس ما يفعل على نعشه ، من الدعاء والاستغفار والترحم عليه ، فان عمله قد انقطع وصار محتاجا الى ما يصل اليه من نفع الأحياء له . ولهذا يقال عند زيارته ما علمه النبي صلى الله عليه وسلم لأمته أن يقولوا اذا زاروا القبور ولو كان أهلها سادات أولياء الله وخيار عباده « السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين ، وانا ان شاء الله بكم لاحقون ، يرحم الله المستقدمين منا ومنكم والمستأخرين ، نسأل الله لنا ولكم العافية ، اللهم لا تحرمنا أجرهم ، ولا تفتنا بعدهم ، واغفر لنا ولهم » فهذا من جنس الدعاء له عند الصلاة عليه ، وهذا غير الدعاء به والدعاء عنده ، فالمراتب ثلاثة . فالذي شرعه عز وجل ورسوله للأمة الدعاء للميت عند الصلاة عليه ، وعند زيارة قبره ، دون الدعاء به والدعاء عنده ، وهذه سنته بحمد الله ، اليها التحاكم والتخاصم ، ولا التفات الى تحكيم غيرها البتة كائنا ما كان .

وأما انتفاع الزائر فليس بالميت بل بعمله ، وهو زيارته ودعاؤه له والترحم عليه والاحسان اليه كما ينتفع المحسن باحسانه . يوضحه أن الميت قد انقطع عمله الذي ينفع به نفسه ، ولم يبق عليه منه الا ما تسبب في حياته في شيء يبقى نفعه كالصدقة وتعليم العلم ودعاء الولد الصالح ، فكيف يبقى عمله للحي وهو عمل لم يعمله له ؟ وهل هذا الا باطل شرعا ؟ .

ومن جعل زيارة الميت من جنس زيارة الفقير الغني لينال من بره واحسانه ، فقد أتى بما هو من أعظم الباطل المتضمن لقلب الحقيقة والشريعة ، ولو كان ذلك مقصود الزيارة لشرع من دعاء الميت والتضرع اليه وسؤاله ما يناسب هذا المطلوب، ولكن هذا يناقض ما دعا اليه الرسول صلى الله عليه وسلم من التوحيد وتجريده ، مناقضة ظاهرة ، ولا ينبغي الاقتصار على ذلك بأنه بدعة ، بل فتح لباب الشرك ، وتوسل اليه بأقرب وسيلة ، وهل أصل عبادة الأصنام الا ذلك ، كما قال ابن عباس

رضى الله عنهما في قوله تعالى : (وقالوا لا تذرن آلهتكم ولا تذرن ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا) قال : هؤلاء كانوا قوما صالحين في قومهم ، فلما ماتوا عكفوا على قبورهم ، ثم صوروا تماثيلهم ، فلما طال عليهم الأمد عبدوهم . فهؤلاء لما قصدوا الانتفاع بالموتى قادهم ذلك الى عبادة الأصنام . اهـ .

وقال أيضا فيه : وكذلك لم يكن أحد من الصحابة يأتيه فيسأله عند القبر عن بعض ما تنازعوا فيه وأشكل عليهم من العلم ، لا خلفاؤه الأربعة ولا غيرهم ، مع أنهم أخص الناس به ، حتى ابنته فاطمة رضى الله عنها ، لم يطمع الشيطان فيهم فيقول لهم اطلبوا منه أن يدعو لكم بالمطر لما أجدبوا ، ولا قال اطلبوا منه أن يستنصر لكم ولا أن يستغفر كما كانوا في حياته يطلبون منه أن يستسقى لهم وان يستغفر لهم ، فلم يطمع الشيطان منهم بعد موته أن يطلبوا منه ، ولا طمع بذلك في القرون الثلاثة ، وانما ظهرت هذه الضلالات ممن قل علمه بالتوحيد والسنة ، فأضله الشيطان كما أضل النصارى في أمور ، لقلة علمهم بما جاء به المسيح ومن قبله من الأنبياء صلوات الله عليهم وسلامه . اهـ .

وقال فيه أيضا : وهو لم يأمرهم صلى الله عليه وسلم اذا كان لأحد حاجة أن يذهب الى قبر نبي أو صالح فيصلي عنده ويدعوه أو يدعو بلا صلاة أو يسأله حوائجه أو يسأله أن يسأل ربه ، فقد علم الصحابة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يأمرهم بشيء من ذلك ، ولا أمرهم أن يخصوا قبره أو حجرته لا بصلاة ولا دعاء لا له ولا لأنفسهم ، بل قد نهاهم أن يتخذوا بيته عيدا . فلم يقل كما يقول بعض الشيوخ الجهال لأصحابه : اذا كان لكم حاجة فتعالوا الى قبري ، بل نهاهم عما هو أبلغ من ذلك أن يتخذوا قبره أو قبر غيره مسجدا يصلون فيه لله ، ليسد ذريعة الشرك . اهـ .

وأيضا قال فيه : وهـذه كانت عادة الصحابة معه صلى الله عليه وسلم أن أحدهم متى صدر منه ما يقتضي التوبة جاء اليه فقال : يا رسول الله فعلت كذا وكذا فاستغفر لي ، وكان هذا فرقا بينهم وبين المنافقين ، فلما استأثر الله عز وجل بنبيه صلى الله عليه وسلم ونقله من بين أظهرهم الى دار كرامته لم يكن أحد منهم

قط يأتي الى قبره ويقول يا رسول الله فعلت كذا وكذا فاستغفر لي ، ومن ينقل هذا عن أحد منهم فقد جاهر بالكذب والبهتان • ا هـ •

وأيضا قال فيه : ولم ينقل عن أحد منهم قط ــ وهم القدوة ــ بنوع من أنواع الأسانيد أنه جاء الى قبره ليستغفر له ولا شكا اليه ولا سأله • ا هـ •

وقال الحافظ ابن القيم في (الاغاثة) : ومنها أن الذي شرعه رسول الله صلى الله عليه وسلم عند زيارة القبور انما هو تذكر الآخرة والاحسان الى المزور بالدعاء له والترحم عليه والاستغفار له وسؤال العافية له ، فيكون الزائر محسنا الى نفسه والى الميت ، فقاب هؤلاء المشركون الأمر وجعلوا المقصود بالزيارة الشرك بالميت وسؤال حوائجهم منه ، فأساءوا الى نفوسهم والى الميت • ا هـ •

وأيضا قال فيه : فبدل أهل البدع والشرك قولا غير الذي قيل لهم ، فبدلوا[1] الدعاء له بدعائه نفسه ، والشفاعة له بالاستشفاع به ، وجعلوا الزيارة التي لتذكر الآخرة والاحسان الى الميت لسؤال الميت والاقسام به على الله • ومحال أن يكون دعاء الموتى والدعاء عند قبورهم والاستشفاع بهم مشروعا وعملا صالحا وتصرف عنه القرون الثلاثة المفضلة بنص الرسول صلى الله عليه وسلم ثم يفوز به الخلوف الذين يقولون ما لا يفعلون ، ويفعلون ما لا يؤمرون • ا هـ •

وأيضا قال فيه : ولو كان للدعاء عند القبور والتبرك بها فضيلة لنصب المهاجرون والأنصار هذا القبر علما ــ أى قبر دانيال ــ ودعوا عنده ، فقد كانوا السابقين الى كل خير ، وكذلك التابعون كان عندهم من قبور أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بالأمصار عدد كثير ، فما استغاثوا بقبر أحد منهم ولا دعوه ، ولا دعوا به ولا دعوا عنده ، ولا استشفعوا به ، ولو كان ذلك منهم لنقل ، أفيكون ذلك فضلا حرمه خير القرون وجهلوه ، وظفر به الخلوف وعلموه ؟ أم كانوا عالمين به ولكنهم زهدوا فيه وقد كانوا أحرص الناس على الخير ، لو لم يكن منافيا للشرع مع احتياج كل أحد الى الدعاء سيما عند نزول الحوادث العظيمة به • ا هـ •

وقال الشيخ محمد بن عبد الوهاب في الرد على أهل مكة : فاذا كنا على جنازة ندعو له لا ندعوه ، ونشفع له لا نستشفع به ، فبعد الدفن أونى وأحرى ،

---

(١) قوله فبدلوا الخ بدل أو عطف بيان لما قبله •

فبدل أهل الشرك قولا غير الذي قيل لهم : بدلوا الدعاء له بدعائه ، والشفاعة له بالتشفع به . انتهى .

وقال أيضا فيه ، وقد كان عندهم من قبور أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بالأمصار عدد كثير وهم متوافرون ، فما منهم من استغاث عند القبر ولا دعاه ولا استسقى به ولا استنصر به ، ولا أحد من الصحابة استغاث بالنبي صلى الله عليه وسلم بعد موته ولا بغيره من الأنبياء ، ولا كانوا يقصدون الدعاء عند قبور الأنبياء ولا الصلاة عندها . اهـ .

وفي المختصر من الرسائل المؤلفة للشيخ محمد بن عبد الوهاب : ولا ننكر كرامات الأولياء ، ونعترف لهم أنهم على هدى من ربهم مهما ساروا على الطريقة الشرعية والقوانين المرعية ، الا أنهم لا يستحقون شيئا من أنواع العبادة لا حال الحياة ولا حال الممات ، ونطلب من أحدهم الدعاء في حال حياته بل ومن كل مسلم ، فقد جاء في الحديث « دعاء المسلم مستجاب لأخيه » الحديث [1] وأمر النبي صلى الله عليه وسلم عمر وعليا بسؤال الاستغفار لهما من أويس ففعلا ، وتثبت الشفاعة لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم يوم القيامة كما ورد أيضا ، ونسألها من الله المالك لها والآذن فيها لمن شاء من الموحدين الذين هم أسعد الناس بها ، كما ورد بأن يقول أحدنا متضرعا الى الله تعالى : اللهم شفع نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم فينا يوم القيامة ، واللهم شفع فينا عبادك الصالحين أو ملائكتك ونحو ذلك مما يطلب من الله لامنهم ، فلا يقال يا رسول الله أو يا ولى الله أسألك الشفاعة وغيرها ، وأدركني وأغثني وانصرني على عدوي أو نحو ذلك مما لا يقدر عليه الا الله ، فاذا طلب ذلك ممن ذكر في أيام البرزخ كان من أقسام الشرك ، اذ لم يرد بذلك نص من الكتاب ولا من السنة ولا حث من السلف الصالح على ذلك ، بل ورد الكتاب والسنة واجماع السلف أن ما ذكر شرك أكبر قاتل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم . اهـ .

قوله : ويقولون ان الله تعالى قد قال في كتابه العزيز (من ذا الذي يشفع

(1) وتتمته « بظهر الغيب ، عند رأسه ملك موكل به كلما دعا لأخيه بخير قال الملك : آمين ولك بمثل ذلك » رواه أحمد ومسلم وابن ماجه . وكتبه محمد رشيد رضا .

عنده الا باذنه) وقال تعالى : (ولا يشفعون الا لمن ارتضى) فالطالب للشفاعة لا يعلم حصول الاذن للنبي صلى الله عليه وسلم في أنه يشفع له فكيف يطلب منه الشفاعة ، ولا يعلم أنه ممن ارتضى ، فكيف يطلب الشفاعة ؟ •

أقول : دليل ما نعى طلب الشفاعة من النبي صلى الله عليه وسلم بعد الوفاة هو ما ذكر ، ولم أر أحدا من المانعين أنهم ذكروا ما نقله صاحب الرسالة في هذا القول ، وانما هو من اختلاقات المؤلف •

قوله : واحتجاجهم هذا مردود وباطل بالأحاديث الصحيحة الصريحة في حصول الاذن للنبي صلى الله عليه وسلم بالشفاعة للمؤمنين •

أقول : ان أراد أن الأحاديث الصحيحة صريحة في أن يحصل الاذن للنبي صلى الله عليه وسلم يوم القيامة بالشفاعة للمؤمنين ، فهذا لا ينكره أحد من أهل السنة والجماعة ، وان أراد أن الأحاديث الصحيحة صريحة في أن الاذن بالشفاعة يوم القيامة للمؤمنين حصل الآن ، فهذا غير مسلم ، كيف وليس هناك حديث واحد يدل على هذه الدعوى فضلا عن الأحاديث الصحيحة •

قوله : وقد صحت الأحاديث بأنه صلى الله عليه وسلم يشفع لمن قال بعد الأذان ، الى قوله : وجاءت أحاديث صريحة في شفاعته لعصاة أمته •

أقول : الثابت مما ذكر انما هو نفس الشفاعة ، وليس فيه تعرض لحصول الاذن الآن أو لعدمه •

قوله : فثبت بهذا كله أن الشفاعة ثابتة ومأذون للنبي صلى الله عليه وسلم فيها لكل من مات مؤمنا •

أقول : ثبوت الشفاعة وحصول الاذن يوم القيامة مسلم ولكن لا ينكره أحد من أهل السنة والجماعة ، وأما حصول الاذن الآن بالشفاعة التي تكون يوم القيامة فثبوته غير مسلم •

قوله : فالطالب للشفاعة كأنه يتوسل الى الله تعالى بالنبي صلى الله عليه وسلم أن يحفظ عليه الايمان الى أن يتوفاه الله عليه فيدخل في شفاعة النبي صلى الله عليه وسلم ويكون من أهلها •

أقول : صورة طلب الشفاعة من النبي صلى الله عليه وسلم بعد موته التي وقع النزاع في جوازها هى أن يقول أحدهم عند القبر أو بعيدا منه : يا رسول الله اشفع لي ، أو يقول يا رسول الله أسألك الشفاعة • ولا يخفاك أن هـذه العبارة لا تدل بواحدة من الدلالات الثـلاث المطابقة والتضمن والالتـزام على التوسل المذكور ، ولو كان مقصود هذا القائل التـوسل المحض الى الله تعالى كما زعم صاحب الرسالة لكان حقا عليه أن يقول : اللهم صل على محمد واجعلنا في شفاعته يوم القيامة ، أو نحوه • وبالجملة فالتأويل الذي ذكره صاحب الرسالة باطل لا يغني عنه شيئا •

قوله : ومما يعتقـده هؤلاء المنكرون للزيارة والتوسل منع النـداء للميت والجماد ، ويقولون ان ذلك كفر واشراك وعبادة لغير الله تعالى •

أقول : المـانعون لنداء الميت والجماد وكذا الغائب انما يمنعونه بشرطين :

(الأول) أن يكون النداء حقيقيا لا مجازيا •

و (الثاني) أن يقصد ويطلب به من المنادى ما لا يقدر عليه الا الله من جلب النفع وكشف الضر • مثلا يقال : يا سيـدي فلان اشف مريضي وارزقني ولدا ، ولا مرية أن هذا النداء هو الدعاء ، والدعاء هو العبادة ، فكيف يشك مسلم في كونه كفرا واشراكا وعبادة لغير الله ؟ وأما اذا قصد بهذا النـداء أن يدعو الميت والجماد والغائب في حضرة الرب تعالى للمنادين (بالكسر) فنداء الميت بعيدا من القبر وكذا نداء الغائب يقتضي اعتقاد علم الغيب لذلك الميت والغائب ، واعتقاد علم الغيب لغير الله تعالى شرك وكفر ، مع أنه من محـدثات الأمور ، وأما نداء الجماد والأموات بهذا القصد فان لم يكن كفرا وشركا فلا أقل من أن يكون بدعة وحمقا • وأما اذا لم يقصد بالنـداء لا جلب النفع وكشف الضر ولا الدعاء من المنادين (بالفتح) للمنادين (بالكسر) في حضرة الرب سبحانه وتعالى فيكون النداء الحقيقي جنونا وسفها ، وأما النداء المجازي فلا يمنعه أحد •

قوله : وحاصل الرد عليهم أن النـداء قد يسمى دعاء كما في قوله تعالى : (لا تجعلوا دعاء الرسـول بينكم كدعاء بعضكم بعضا) لكنه لا يسمى عبادة ،

فليس كل دعاء عبادة ، ولو كان كل نداء وكل دعاء عبادة لشمل ذلك نداء الأحياء والأموات فيكون كل نداء ممنوعا مطلقا ، سواء كان للأحياء والأموات ، أم للحيوانات والجمادات ، وليس الأمر كذلك .

أقول : قد عرفت أن مراد المانعين للنداء ليس مطلق النداء بل النداء الحقيقي الذي يقصد به من المنادى ما لا يقدر عليه الا الله من جلب النفع وكشف الضر ، ولا مرية في أنه عبادة ، وكونه عبادة وممنوعا لا يقتضي كون كل نداء ممنوعا ، حتى يلزم منه عدم جواز نداء الأحياء فيما يقدرون عليه [1] .

قوله : وانما النداء الذي يكون عبادة هو نداء من يعتقد ألوهيته واستحقاقه للعبادة ، فيرغبون اليه ويخضعون بين يديه .

أقول : لا ريب في أن من ينادي أحدا نداء حقيقيا ويقصد به من المنادى ما لا يقدر عليه الا الله من جلب النفع وكشف الضر فهو يعتقد استحقاقه العبادة [2] والا لم يصدر منه هذا النداء الذي هو الدعاء ، وهو من أفراد العبادة ، على أن مطلق ارتكاب فعل أو قول أو عمل مما يعد من العبادة هو العبادة ، ولا يتوقف كونه عبادة على اعتقاد ألوهيته ، ومن يدعي ذلك فعليه البيان .

(١) فان نداء الأحياء فيما يقدرون عليه ليس شركا ، وانما هو استعانة على الحوائج العادية من بعض لبعض ، أما نداء الأموات ودعاؤهم ففيه اعتقاد القداسة ، والتأثير في استجلاب ما يريد الداعي ، وهذا معلوم قبحه ببداهة العقول السليمة ولا يقبل نفي الخصم لذلك لأنه معروف من ضراعة قلوب الزائرين وتعظيمهم للمزور بما هو من أعظم خصائص الله . وكتبه عبد الرحمن المحمد الدوسري .

(٢) تحرير الموضوع أن الدعاء قسمان : دعاء العبادة ، ودعاء العادة . فالثاني ما يطلبه الناس بعضهم من بعض مما يقدرون عليه بالأسباب التي سخرها الله لهم . ودعاء العبادة هو طلب ما وراء الأسباب مما لا يقدر عليه ألا رب العباد . والاله في اللغة هو المعبود بالدعاء الذي هو مخ العبادة والفرد الكامل منها ، أو بغيره مما يتقرب به الى المعبود من نذر وتعظيم قولي أو عملي ، باعثه اعتقاد القدرة الغيبية على النفع ومنعه ، والضر وكشفه ، من غير طريق الأسباب بالذات أو بالتأثير عند الله ، وكانت عبادة قريش لآلهتهم من النوع الثاني وهى دعاؤهم ليشفعوا لهم عند الله ويقربوهم اليه زلفى ، كما هو صريح نصوص القرآن . ودحلان وأمثاله من متأولة الشرك يجهلون معنى العبادة والألوهية ، ولا يفرقون بين اتخاذ المخلوق الها بدعائه والنذر له ونحو ذلك وبين تسميته الها ، فيظنون أن الشرك هو تسمية المخلوق الها ، فاذا عبده بالدعاء وغيره ولم يسمه الها لا يكون مشركا ، واذا سمى العبادة توسلا لاتكون عبادة ، والعرب كانوا يسمون هذه المعاني بأسمائها لأن اللغة سليقة لهم ، وقد فصلنا هذا مرارا في المنار وتفسيره . وكتبه محمد رشيد رضا .

قوله : فالذي يوقع في الاشراك هو اعتقاد ألوهية غير الله أو اعتقاد التـأثير لغير الله تعالى •

أقول فيه كلام من وجهين :

(الأول) أن اعتقاد ألوهية غير الله واستحقاقه للعبادة متحقق فيما نحن فيه •

و (الثاني) أن هذا الحصر غير مسلم ، كيف ومجرد ارتكاب فعل أو قول أو اعتقاد لغير الله مما يعد من العبادة من الدعاء والذبح والنـذر والخوف والرجاء والخشية والانابة والتوكل أيضا موقع في الاشراك ، سواء وجد معـه اعتقاد [1] ألوهية غير الله أم لا [2] •

قوله : وقد ورد في أحاديث كثيرة نداء الأموات والجمادات •

أقول : كون هذا النداء نداء حقيقيا يطلب به من المنادى (بالفتح) ما لا يقدر عليه الا الله غير مسلم ، ومن يدعى فعليه البرهان •

قوله : فقولهم كل نداء دعاء وكل دعاء عبادة غير صحيح على اطلاقه وعمومه•

أقول : نسبة هذه الكلية والاطلاق والعموم الى المـانعين افك قديم وبهتان عظيم •

قوله : ولو كان الأمر كذلك لامتنع نداء الحى والميت ، فانهما مستويان في أن كلا منهما لا تأثير له في شيء •

أقول : فيه خلل من وجهين :

(الأول) أن لزوم امتناع نداء الحى والميت كان على تقدير الكلية والاطلاق والعموم ، وقد عرفت أنه افتراء بحت •

---

(١) اعلم أن المشركين من العرب الذين بعث فيهم النبي صلى الله عليه وسلم لم يكونوا يعتقدون فيما يتألهونه من أصنام أنها تؤثر او تدبر أمر الكون بل حكى الله عنهم أنهم قالوا (ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى) فحصر الله ضراعتهم اليهـا باعتقادهم أنها وسائطوشفعاء وتقربهم ، لا أن لها التأثير من دون الله ، فحصر صاحب الرسالة للشرك في ذلك مغالطة ظاهرة منه وتلبيس لا يخفى الا على عميان البصائر • وكتبه عبد الرحمن المحمد الدوسري •

(٢) التحقيق أن هذه الأنواع من العبـادة لغير الله تتضمن اتخاذه الها بالاعتقاد والفعل وان لم يسمه الها •

و (الثاني) أن تجشم المؤلف لاثبات الملازمة بين المقدم والتالي بقوله « فانهما مستويان » مستغنى عنه ولا مدخل لهذا القول في اثبات الملازمة ، وان الملازمة على تقدير تسليم الكلية مما لا خفاء له •

قوله : فان قالوا ان نداء الحى والطلب منه لشيء من الأشياء انما هو لكونه قادرا على فعل ذلك الشيء الذي طلب منه ، وأما الميت والجماد فانه عاجز ولا قدرة له على فعل شيء من الأشياء ، فنقول لهم : اعتقادكم أن الحى قادر على بعض الأشياء يستلزم اعتقادكم أن العبد يخلق أفعال نفسه الاختيارية ؛ وهو اعتقاد فاسد ــ الى قوله ــ فيستوى الحى والميت والجماد في أن كلا منهم لا خلق له ولا تأثير [1] والمؤثر هو الله تعالى وحده •

أقول : (أولا) معارضة أن اعتقادكم أن الحى لا يقدر على شيء يستلزم اعتقادكم أن العبد مجبور محض لا اختيار له ، وهو اعتقاد فاسد ومذهب باطل • (وثانيا) أنا لا نسلم أن اعتقاد أن الحى قادر على بعض الأشياء يستلزم اعتقاد أن العبد يخلق أفعال نفسه ، كيف والفرق بين القدرة والخلق جلى واضح لا يخفى على من له أدنى بصيرة ؟ وقد مر تحقيق هذه المقالة فيما سلف بما لا مزيد عليه ، فتذكر •

قوله : والأحاديث التي ورد فيها النداء للأموات والجمادات من غير اعتقاد الألوهية والتأثير كثيرة : منها حديث الأعمى الذي تقدمت روايته عن عثمان بن حنيف رضى الله عنه فان فيه : يا محمد اني أتوجه بك الى ربك • وتقدم أن الصحابة رضى الله عنهم استعملوا ذلك الدعاء بعد وفاته صلى الله عليه وسلم •

أقول : الجواب عن حديث الأعمى على وجوه :

(الأول) أن الحديث ضعيف ، لأن في سنده عيسى بن أبي عيسى ماهان

---

(١) ان الميت لا تأثير له ، وأما الحى فله تأثير قطعا وهو ما يسميه الاشاعرة كسبا ، وبه أسند الشرع اليه الأعمال ورتب عليها الجزاء في الدنيا والآخرة ، وعلى كل حال يقال : اذا لم يكن للميت المعتقد تأثير بنفسه ولا فى ارادة الله تعالى كما هو الحق ولا هو من الأسباب العادية فلماذا يدعونه ويطلبون منه ما لا يطلب في هداية الشرع الا من الله تعالى بدون أمر من الله ، ولأسوة حسنة برسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا اتباع لأحد من أصحابه ولا أئمة شرعه ؟ وكتبه محمد رشيد رضا •

أبا جعفر الرازي التميمي ، وقد ضعفه أحمد والنسائي وأبو حاتم والفلاس وابن حبان وأبو زرعة كما ظهر فيما تقدم من عبارة الذهبي •

و (الثاني) أن هذا نداء مجازى يطلب به استحضار المنادى في القلب فيخاطب المشهود بالقلب كما يقول المصلى « السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته » قاله الشيخ ابن تيمية رحمه الله في (اقتضاء انصراط المستقيم) •

و (الثالث) أن الأعمى انما طاب من النبي صلى الله عليه وسلم أن يدعو له في حياته وحضرته ، والدعاء في الحياة مما يقدر عليه النبي صلى المه عليه وسلم ، ولما كان طلب الدعاء من كل مسلم في الحياة مشروعا فما ظنك بسيد المرسلين والشافعين ؟ •

وأما ما روى الطبراني من أن رجلا كان يختلف الى عثمان بن عفان في زمن خلافته في حاجته فكان لا يلتفت اليه ولا ينظر اليه في حاجته ، فشكا ذلك لعثمان بن حنيف ، الحديث ، فهذا وان كان دالا على أن هذا الدعاء استعمل بعد وفاته صلى الله عليه وسلم ولكن في سنده روح بن صلاح وقد ضعفه ابن عدى كما تقدم •

قوله : وحديث بلال بن الحارث المتقدم أيضا ، فان فيه أنه جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم وقال : يا رسول الله استسق لأمتك ، ففيه النداء بعد وفاته صلى الله عليه وسلم ، والخطاب بالطلب أن يستسقى لأمته •

أقول : قد تقدم أن الحديث رواه سيف بن عمر الضبي في الفتوح ، وهو ضعيف جدا حتى أن ابن حبان قال : اتهم بالزندقة •

قوله : ومن ذلك الأحاديث الواردة في زيارة القبور ، فان في كثير منها النداء والخطاب كقوله : السلام عليكم يا أهل القبور ، السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين ، وانا ان شاء الله بكم لاحقون • ففيها نداء وخطاب ، وهى أحاديث كثيرة لا حاجة الى الاطالة بذكرها •

أقول : أحاديث زيارة القبور ، وان كان فيها النداء ، ولكن ليس فيه طلب شيء من الأموات ، والكلام في النداء الذي يطلب فيه ما لا يقدر عليه الا الله •

قوله : وتقدم أن السلف والخلف من أهل المذاهب الأربعة استحبوا للزائر أن

يقول تجاه القبر الشريف : يا رسول الله اني جئتك مستغفرا من ذنبي ، مستشفعا بك الى ربي •

أقول : العمدة في الباب ما جاء عن العتبي وهو مما لا تقوم به الحجة كما تقدم ، واستحباب أهل المذاهب الأربعة سلفهم وخلفهم ذلك بعد التسليم [1] ليس من الحجة في شيء [2] •

قوله : وقد جاءت صورة النداء أيضا في التشهد الذي يقرؤه الانسان في كل صلاة حيث يقول : السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته •

أقول : كون النداء حقيقيا هناك ممنوع ، وليس فيه طلب شيء فلم يكن مما نحن فيه •

قال شيخ الاسلام ابن تيمية في (اقتضاء الصراط المستقيم) : وقوله يا محمد يا نبي الله ، هذا وأمثاله نداء يطلب به استحضار المنادى في القلب فيخاطب لشهوده بالقلب ، كما يقول المصلى : السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته ، والانسان يفعل مثل هذا كثيرا ، يخاطب من يتصوره في نفسه ، وان لم يكن في الخارج من يسمع الخطاب • اهـ

قال الحافظ في الفتح : فان قيل ما الحكمة في العدول عن الغيبة الى

(١) أقول : ان نسبة ذلك الى السلف والخلف غير صحيحة قطعا بل هذا من التقول عليهم ، اللهم الا أن بعض المتأخرين استحسن نقل حكاية العتبي ، ومثل هذا لا يعول عليه سيما في باب العقائد ، اذ هي حكاية منامية الله أعلم بصحتها ، وعلى تقدير الصحة لا ينبني عليها حكم شرعي لأن الله لم يقبض نبيه الا بعد أن أكمل لأمته ما شرعه لها على لسانه وأتم عليهم النعمة بذلك فلم يبق للأمة حاجة اليه في أمر دينها، وأيضا فان الرؤيا ليست من مدارك الأحكام لعدم ضبط النائم • ثم ليعلم أن الشيخ دحلان قد افترى على أكثر فقهاء المذاهب ، لأنهم نقلوا دعاء الزائر لله في البداية والنهاية • ففي البداية قالوا اللهم انك قلت وقولك الحق الخ ، وفي النهاية : اللهم اجعله أول الشافعين • فأصبح دعاؤهم موجها لله سبحانه ، فتعتبر نسبة الشيخ دحلان ما نسبه الى السلف والخلف من علماء المذاهب كما زعم هي من الخيانة العلمية التي يفتر بها من اعتمد عليه في ذلك التلبيس • وكتبه عبد الرحمن الدوسري •

(٢) يعني ان صح النقل عنهم فليس بحجة ، لأنهم مقلدون ، ومذاهبهم متفقة على أن الحجة اجماع المجتهدين ، وأن المقلدين لا حجة ولا عبرة بأقوالهم ولا بأفعالهم • على أن مثل هذا القول لا يصح ثبوته الا بنص من الكتاب أو السنة ، لأنه ليس من المسائل الاجتهادية • وكتبه محمد رشيد رضا •

الخطاب في قوله « عليك أيها النبي » مع أن لفظ الغيبة هو الذي يقتضيه السياق كأن يقول « السلام على النبي » فينتقل من تحية الله الى تحية النبي ثم الى تحية النفس ثم الى الصالحين ؟ أجاب الطيبي بما محصله : نحن تتبع لفظ الرسول بعينه الذي كان علمه الصحابة ، ويحتمل أن يقال على طريق أهل العرفان : ان المصلين لما استفتحوا باب الملكوت بالتحيات ، أذن لهم بالدخول في حريم الحي الذي لا يموت ، فقرت أعينهم بالمناجاة ، فنبهوا على أن ذلك بواسطة نبي الرحمة ، وبركة متابعته ، فالتفتوا فاذا الحبيب في حرم الحبيب حاضر ، فأقبلوا عليه قائلين « السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته » . اهـ [1] .

● ● ●

وقد ورد في بعض طرق حديث ابن مسعود هذا ما يقتضي المغايرة بين زمانه صلى الله عليه وسلم فيقال بلفظ الخطاب ، وما بعده فيقال بلفظ الغيبة ، وهو مما يخدش في وجه الاحتمال المذكور ، ففي الاستئذان من صحيح البخاري من طريق أبي معمر عن ابن مسعود بعد أن ساق حديث التشهد قال : وهو بين ظهرانينا فلما قبض قلنا السلام يعني على النبي . كذا وقع في البخاري ، وأخرجه أبو عوانة في صحيحه والسراج والجوزقي وأبو نعيم الأصبهاني والبيهقي من طرق متعددة الى أبي نعيم شيخ البخارى فيه بلفظ : فلما قبض قلنا السلام على النبي ، بحذف لفظ « يعنى » وكذلك رواه أبو بكر بن أبى شيبة عن أبى نعيم .

قال السبكي في شرح المنهاج بعد أن ذكر هذه الرواية من عند أبي عوانة وحده : ان صح هذا عن الصحابة دل على أن الخطاب في السلام بعد النبي صلى الله عليه وسلم غير واجب ، فيقال « السلام على النبي » .

قلت : قد صح بلا ريب ، وقد وجدت له متابعا قويا ، قال عبدالرزاق : أخبرنا ابن جريج أخبرني عطاء أن الصحابة كانوا يقولون والنبي صلى الله

(١) هذا على طريقة أهل الاشارات من الصوفية الذين يسلكون في الغالب مسلك التخييل وكتبه عبد الرحمن الدوسري .

عليه وسلم حي : السلام عليك أيها النبي ، فلما مات قالوا : السلام على النبي • وهذا اسناد صحيح • اهـ

وقال محمد الزرقاني في شرح الموطأ : لكن المقرر في الفروع انما يقال « السلام عليك أيها النبي » ولو بعد وفاته اتباعا لأمره وتعليمه فتمت النكتة • اهـ

قلت : ليس المراد بضمير « قلنا » جميع الصحابة • فهذا عمر رضي الله عنه كان يعلم الناس على المنبر التشهد وفيه « السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته » رواه مالك في الموطأ ، والطحاوي في شرح معاني الآثار ، ومحمد ابن الحسن في موطئه • وهذه عائشة رضي الله عنها كانت تقول في التشهد : السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته ، رواه مالك في الموطأ بسندين ، ومحمد بن الحسن في موطئه ، والطحاوي في معاني الآثار ، وهذا عبدالله بن الزبير يعلم الناس التشهد على المنبر ، وفيه السلام عليك أيها النبي ، رواه الطحاوي في شرح معاني الآثار • وهذا أبو بكر رضي الله عنه يعلم التشهد على المنبر كما تعلمون الصبيان الكتاب ، وفيه السلام عليك أيها النبي ، رواه الطحاوي في شرح معاني الآثار •

وقد اختلفت الرواية عن ابن عمر رضي الله عنهما ، ففي موطأ مالك « السلام على النبي » وفي موطأ محمد بن الحسن « السلام عليك أيها النبي » بكاف الخطاب ولفظ « أيها » وهكذا في شرح معاني الآثار للطحاوي •

وكذلك اختلفت الروايه عن عبدالله بن مسعود ، ففي الاستئذان من صحيح البخاري قال : فلما قبض قلنا : السلام يعني على النبي ، وقال محمد بن الحسن في موطئه بعد ما روى تشهد ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم : وفيه السلام عليك أيها النبي • وكان عبد الله بن مسعود رضي الله عنه يكره أن يزاد فيه حرف أو ينقص فيه حرف • انتهى •

وروى الطحاوي عن عبدالرحمن بن يزيد قال : كان عبدالله يأخذ علينا الواو في التشهد ، وروى عن المسيب بن رافع قال : سمع عبدالله رجلا يقول في التشهد : بسم الله ، التحيات لله • فقال له عبدالله : أتأكل ؟ وروى عن

ابراهيم أن الربيع بن خثيم لقي علقمة فقال : انه بدا لي أن أزيد في التشهد : ومغفرته ، فقال له علقمة : تنتهي الى ما علمناه • وروي عن اسحاق قال : أتيت الأسود بن يزيد فقلت : ان أبا الأحوص قد زاد في خطبة الصلاة : والمباركات ، قال : فأته فقل له : ان الأسود ينهاك ويقول لك : ان علقمة بن قيس تعلمهن من عبدالله كما يتعلم السورة من القرآن ، عدهن عبدالله في يده ، ثم ذكر تشهد عبدالله ، اهـ ما في الطحاوي بحذف الأسانيد •

وروى سعيد بن منصور من طريق أبي عبيدة بن عبدالله بن مسعود عن أبيه أن النبي صلى الله عليه وسلم علمهم التشهد فذكره ، فقال ابن عباس : انما كنا نقول السلام عليك أيها النبي اذ كان حيا ، فقال ابن مسعود هكذا علمنا وكذا نعلم • كذا في الفتح ، ثم قال الحافظ : لكن رواية أبي معمر أصح ، لأن أبا عبيدة لم يسمع من أبيه ، والاسناد اليه مع ذلك ضعيف • اهـ •

قلت : وان كانت رواية أبي عبيدة ضعيفة لكن تكفى للتأييد • وقال في مجمع الزوائد : وعن ابن مسعود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يتشهد ، قال فكنا نحفظ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم كما نحفظ حروف القرآن : الواوات والألفات ، اذا جلس على وركه اليسرى ، رواه الطبراني في الكبير هكذا ، وله عند البزار عن الأسود قال : كان عبدالله يعلمنا التشهد في الصلاة فيأخذ علينا الألف والواو ، وفي اسناد الطبراني زهير بن مروان الرقاشي ولم أجد من ذكره ، واسناد البزار رجاله رجال الصحيح • اهـ •

وكذلك اختلفت الرواية عن ابن عباس ، فقد روى الطحاوي أن عطاء قال : سمعت عبدالله بن عباس يقول مثل ما سمعت ابن الزبير يقول ، وقد تقدم رواية ما قال ابن الزبير على المنبر وقت تعليم التشهد وفيها : السلام عليك أيها النبي ، وروى سعيد بن منصور ما تقدم آنفا نقله من الفتح من أن ابن عباس قال : انما كنا نقول : السلام عليك أيها النبي • اذ كان حيا •

فقد علم مما ذكرنا أن الصحابة رضي الله عنهم لم يكونوا متفقين بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم على ترك الخطاب ، والأحاديث المرفوعة كلها فيها لفظ الخطاب ، وقد ورد به الأمر ، وما يدل على تأكد أمره ، ففي صحيح

البخاري عن عبدالله بن مسعود قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « فاذا صلى أحدكم فليقل التحيات » ، ورواه أيضا مسلم وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه والدارمي والطحاوي ومحمد بن الحسن في موطئه ، وفي رواية البخاري وغيره « لا تقولوا السلام على الله ، فان الله هو السلام ، ولكن قولوا التحيات لله » وفي رواية : علمني رسول الله صلى الله عليه وسلم وكفى بين كفيه التشهد ، كما يعلمني السورة من القرآن ، وفي صحيح مسلم عن ابن عباس أنه قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمنا التشهد ، كما يعلمنا السورة من القرآن ، ورواه أيضا أبو داود والنسائي والترمذي وابن ماجه • وفي صحيح مسلم عن أبي موسى الأشعري قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « واذا كان عند القعدة فليكن من أول قول أحدكم التحيات » ورواه أيضا أبو داود وابن ماجه ، وفي صحيح البخاري عن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال : لقيني كعب بن عجرة فقال : ألا أهدى لك هدية ؟ ان النبي صلى الله عليه وسلم خرج علينا فقلنا : يا رسول الله قد علمنا كيف نسلم عليك ، فكيف نصلى عليك ؟ الحديث ، ورواه ايضا مسلم وأبو داود •

وعن أبي مسعود الأنصارى قال : أتانا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن في مجلس سعد بن عبادة فقال له بشير بن سعد : أمرنا الله أن نصلي عليك يا رسول الله فكيف نصلى عليك ؟ الحديث ، وفي آخره « والسلام كما علمتم » رواه مسلم والدارمى • وروى الطحاوى عن عبدالله أنه قال : أخذت التشهد من في رسول الله صلى الله عليه وسلم ولقننيها كلمة كلمة • اهـ •

وروى النسائي عن عبدالله قال : كنا لا ندرى ما نقوله في كل ركعتين ، غير أن نسبح ونكبر ونحمد ربنا ، وان محمدا صلى الله عليه وسلم علم فواتح الخير وخواتمه فقال « اذا قعدتم في كل ركعتين فقولوا : التحيات » الحديث • وفي رواية له قال : كنا لا ندرى ما نقول اذا صلينا فعلمنا نبي الله صلى الله عليه وسلم جوامع الكلم ، فقال لنا « قولوا التحيات لله » الحديث ، وفي آخره : قال عبيدالله قال زيد عن حماد عن ابراهيم عن علقمة قال : لقد رأيت ابن

مسعود يعلمنا هؤلاء الكلمات كما يعلمنا القرآن اهـ • ورواه الطحاوى وأبو داود ولفظه : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد علم ــ وفي رواية له وكان يعلمنا ــ كلمات ولم يكن يعلمناهن كما يعلمنا التشهد ، وفي صحيح مسلم عن حطان بن عبد الله الرقاشي قال : صليت مع أبي موسى الأشعري صلاة ، فلما كان عند القعدة قال رجل من القوم : أقرت (أى قرنت) الصلاة بالبر والزكاة ، قال : فلما قضى أبو موسى الصلاة وسلم انصرف فقال : أيكم القائل كلمة كذا وكذا ؟ فأرم القوم ، ثم قال : أيكم القائل كلمة كذا وكذا ؟ فأرم القوم ، فقال : لعلك يا حطان قلتها، قلت ما قلتها ، ولقد رهبت أن تبكعني بها [1]، فقال رجل من القوم : أنا قلتها ولم أرد بها الا الخير ، فقال أبو موسى : أما تعلمون كيف تقولون في صلاتكم ؟ ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خطبنا فبين لنا سنتنا وعلمنا صلاتنا الحديث ، وفي آخره « واذا كان عند القعدة فليكن من أول قول أحدكم التحيات » وقد تقدم نقله •

فهذه الأحاديث كلها دالة على أن كلمات التشهد توقيفية لا يتصرف فيها بالزيادة والنقصان ، وترك بعض الصحابة الخطاب بعد وفاته صلى الله عليه وسلم لا يصلح معارضا لتلك الأحاديث المرفوعة الصحيحة ، فالقول ما قال الزرقاني • فعلى هذا لا بد ههنا من بيان توجيه الخطاب ، فنقول : فيه احتمالات :

(الأول) ما قال في المرقاة قال ابن الملك : روى أنه صلى الله عليه وسلم لما عرج به أثنى على الله تعالى بهذه الكلمات فقال الله تعالى « السلام عليك أيها النبى ورحمة الله وبركاته » فقال صلى الله عليه وسلم « السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين » فقال جبرائيل : أشهد أن لا اله الا الله الخ اهـ • وبه يظهر وجه الخطاب وأنه على حكاية معراجه صلى الله عليه وسلم في آخر الصلاة التي هي معراج المؤمنين • اهـ •

ويشير الى هذا المروى القسطلاني حيث قال في شرح التشهد : السلام

(١) بكعه بكته واستقبله بما يكره ، وضربه على مواضع متفرقة من جسده • والمناسب من معانيه هنا الأول والثاني ، وفعله من باب جمع ويشدد للتكثير •

أى السلامة من المكاره ، أو السلام الذي وجه الى الرسل والأنبياء ، أو الذي سلمه الله عليك ليلة المعراج • اه •

وقال في (مسك الختام ، شرح بلوغ المرام) بالفارسية ما معربه : ووجه الخطاب ابقاء هذا الكلام على ما كان في الأصل ، فان ليلة المعراج قد خاطب الله تعالى رسوله بالسلام فأبقاه النبي صلى الله عليه وسلم وقت تعليم الأمة على ذلك الأصل ليكون ذلك مذكرا لتلك الحال اه • وتمام بيان القصة مع شرح ألفاظ التشهد في (الامداد) كذا في رد المحتار • وهذا المروى لم أقف على سنده فان كان ثابتا فنعم التوجيه هذا ، ونظيره ما ورد في حديث أم سلمة في (الامداد) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « انما هي أربعة أشهر وعشرا » رواه البخاري ، قال الحافظ في الفتح : كذا في الأصل بالنصب على حكاية لفظ القرآن • اه •

قلت : كذلك الخطاب في التشهد على حكاية سلام الله ليلة المعراج ، ومن هذا القبيل ما وقع في حديث سبيعة في عدة الحامل المتوفي عنها زوجها من قولها : فولدت قبل أن يمضي بها أربعة أشهر وعشرا من وفاة زوجها ، بنصب عشرا [1] • ومن قول أبى السنابل • لعلك تريدين النكاح قبل أن يمر عليك أربعة أشهر وعشرا • بالنصب رواه النسائي ، وهذه الحكاية لا يقتضى أن لا يكون معناها مرادا لقائله على أنه هو قائله ، وأن يكون مقصوده مجرد حكاية كلام الآخر ، فلا يرد عليه ما في المجتبى وغيره من الكتب الفقهية ، ويقصد بألفاظ التشهد معانيها مرادة له على وجه الانشاء ، كأنه يحيى الله تعالى ويسلم على نبيه وعلى نفسه وأوليائه ، لا الاخبار عن ذلك ، ذكره في المجتبى اه • ولعلك قد تفطنت من ههنا أن المراد بالانشاء والاخبار في هذا القول ليس ما هو مصطلح علماء البيان ، بل المراد بالانشاء قول القائل ، على أنه هو قائله ، أعم من أن يكون ذلك القول انشاء أو اخبارا في الاصطلاح ، والمراد بالاخبار مجرد نقل قول الغير وحكايته • على ان كلام الفقهاء هذا مما لا دليل عليه ، فلو قصد

(١) الوجه أن يقال بالنصب كما قال الحافظ في الفتح ، فان عشرا ما نصبت الا بعطفها على أربعة أشهر • وكتبه محمد رشيد رضا •

الاخبار عن السلام وحكايته ولم يقصد الانشاء فأي محذور فيه ؟ فان الاخبار عن السلام سلام كما أن الاخبار عن الحمد حمد ، بل هذا أتم وأكمل ، فان فيه اشارة الى أن المصلى كأنه يعترف بأنه لا يقدر على سلام النبي صلى الله عليه وسلم كما ينبغي ويليق بشأن الرسول صلى الله عليه وسلم وحقه ، فيقتصر على حكاية سلام الله تعالى على حبيبه [1] ، وقد علم أن الاعتراف بالعجز عن آلاء الله تعالى من أكمل أفراد الشكر ، فكذلك الاعتراف بالعجز عن سلام النبي صلى الله عليه وسلم من أكمل أفراد السلام ، فيحصل الامتثال بقوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما) على تقدير الحكاية والاخبار أيضا ، وكيف لا يحصل الامتثال بالأمر بهذه الحكاية وقد علمها الله نبيه صلى الله عليه وسلم وعلم نبيه أمته ؟.

و (الثاني) أن هذا الخطاب علمه النبي صلى الله عليه وسلم الحاضرين من الصحابة أولا ثم أبقي على حاله ، وأمثال هذا كثير في الشرع ، منها الرمل فانه كان أولا للصحابة الذين قال المشركون فيهم « انه يقدم عليكم وفد وهنتهم حمى يثرب » ومن ثم قال عمر رضى الله عنه مالنا وللرمل ، انما كنا أرينا المشركين ، وقد أهلكهم الله ، ثم أبقى على غيرهم ، ولذا قال عمر رضي الله عنه بعده : شيء صنعه النبى صلى الله عليه وسلم فلا نحب أن نتركه . ومنها رمى الجمار اذ أصله رمى الخليل عليه السلام الشيطان عندالجمار ، لما عرض له عندها بالاغواء للمخالفة في ذبح الولد .

قال الامام أحمد : حدثنا شريح ويونس قالا حدثنا حماد بن سلمة عن أبى عاصم الغنوى عن أبي الطفيل عن ابن عباس رضى الله عنهما ، أنه قال : لما أمر

---

(١) الحق أن هذا وما بعده تنطع ، والقول ما قاله الفقهاء ، فاننا أمرنا أن نسلم وأن نصلى بهذه الألفاظ ، أي ننشىء السلام والصلاة بها ، فقولهم لا يحتاج الى دليل لأنه هو مفهوم الأمر ، والاخبار بالسلام بقصد الحكاية دون الانشاء ليس سلاما ، كما أن حكاية لفظ الحمد أو الايمان أو الكفر ليس حمدا ولا ايمانا ولا كفرا بالبداهة ، وقوله بل هذا أتم وأكمل ، وما علله به ، كلاهما تنطع ولا يصح ، فهو لا يتضمن الاعتراف بعدم القدرة لغة ، وهو يشبه تنطع بعض الصوفية اذ قال : اللهم احمد نفسك عمن أمرته أن يتخذك وكيلا . ولو قال : ان قصد الجمع بين الانشاء والحكاية أكمل . لصح قوله وتم مراده ، وكتبه محمد رشيد رضا .

ابراهيم عليه الصلاة والسلام بالمناسك عرض له الشيطان عند السعى فسابقه فسبقه ابراهيم عليه السلام ثم ذهب به جبرائيل الى جمرة العقبة فعرض له الشيطان فرماه بسبع حصيات حتى ذهب ، ثم عرض له عند الجمرة الوسطى فرماه بسبع حصيات ، ثم تله للجبين وعلى اسماعيل عليه السلام قميص أبيض ، فقال له : يا أبت انه ليس لي ثوب تكفننى فيه غيره فاخلعه حتى تكفننى فيه ، فعالجه ليخلصه ، فنودى من خلفه (أن يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا) فالتفت ابراهيم فاذا بكبش أبيض أقرن أعين . كذا في تفسير ابن كثير وفي معالم التنزيل .

وروى أبو الطفيل عن ابن عباس رضى الله عنهما أن ابراهيم لما أمر بذبح ابنه عرض له الشيطان بهذا المشعر فسابقه فسبقه ابراهيم ثم ذهب الى جمرة العقبة فعرض له الشيطان فرماه بسبع حصيات حتى ذهب ، ثم عرض له عند الجمرة الوسطى فرماه بسبع حصيات حتى ذهب ، ثم أدركه عند الجمرة الكبرى فرماه بسبع حصيات حتى ذهب ، ثم مضى ابراهيم لأمر الله عز وجل (فلما أسلما وتله للجبين) اهـ .

ومنها قصر الصلاة في السفر فانه شرع للخوف ، قال الله تعالى (واذا ضربتم في الأرض فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة ان خفتم أن يفتنكم الذين كفروا) .

وروى مسلم في صحيحه عن يعلى قال : قلت لعمر بن الخطاب (ليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة ان خفتم أن يفتنكم الذين كفروا) فقد أمن الناس ، فقال : عجبت مما عجبت منه ، فسألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقال « صدقة تصدق الله بها عليكم فاقبلوا صدقته » اهـ .

وقال الحافظ في الفتح : قيل هو من الأشياء التي شرع الحكم فيها بسبب ثم زال السبب وبقى الحكم كالرمل . وفي جواب عمر اشارة اليه ، وروى السراج من طريق اسماعيل بن أبي خالد عن أبي حنظلة وهو الحذاء لا يعرف اسمه قال : سألت ابن عمر عن الصلاة في السفر فقال : ركعتان . فقلت : ان الله عز وجل قال (ان

خفتم) ونحن آمنون ؟ فقال : سنة النبى صلى الله عليه وسلم ، وهذا يرجح ما قيل اهـ ملخصا • ولعل هذا الاحتمال أراد الطيبي حيث قال : نحن نتبع لفظ الرسول بعينه ، الذي كان علمه الصحابة الحاضرين •

و (الثالث) ما ذكره الطيبي من أنه يحتمل أن يقال على طريق أهل العرفان : أن المصلين الخ ، وقد سبق نقل عبارته فيما تقدم من الفتح ، وحاصله أن الخطاب والنداء مجازى ، ولعل شيخ الاسلام ابن تيمية أراد هذا المعنى أو نحوه حيث قال : هذا وأمثاله نداء يطلب به استحضار المنادي في القلب ، فيخاطب المشهود بالقلب ا هـ • وقد نقلنا عبارته فيما تقدم •

و (الرابع) أنه صلى الله عليه وسلم نصب العين المؤمنين ، وقرة العين للعابدين ، دائما في جميع الأحوال والأوقات سيما حالة العبادة ، فان النورانية والانكشاف في هذه الحال أكثر وأقوى • كذا في مسك الختام •

ويؤيد هذا المعنى ما ورد في الحديث الصحيح في عذاب القبر من أن العبد اذا وضع في قبره ، وتولى عنه أصحابه ــ وانه ليسمع قرع نعالهم ــ أتاه ملكان فيقعدانه فيقولان : ما كنت تقول في هذا الرجل ؟ لمحمد صلى الله عليه وسلم ، رواه البخاري من حديث أنس بن مالك •

قال القسطلاني : وعبر بذلك امتحانا لئلا يتلقن تعظيمه من عبارة القائل ، والاشارة في قوله « هذا » لحاضر فقيل : يكشف للميت حتى يرى النبي صلى الله عليه وسلم ، وهى بشرى عظيمة للمؤمن ان صح ذلك ، ولا نعلم حديثا صحيحا مرويا في ذلك ، والقائل به انما استند لمجرد أن الاشارة لا تكون الا لحاضر ، لكن يحتمل أن تكون الاشارة لما في الذهن فيكون مجازا • ا هـ • وهذا الاحتمال أيضا يؤول الى أن هذا الخطاب والنداء مجازى •

و (الخامس) ما قاله بعض العرفاء ان هذا الخطاب وجهه سريان الحقيقة المحمدية عليها الصلاة والسلام في ذرائر الموجودات ، وافراد الممكنات ، فهو صلى الله عليه وسلم موجود في ذوات المصلين ، فلا بد للمصلى أن يتنبه الى هذا المعنى ، ولا يغفل عن هذا الشهود ، ليتنور بأنوار القرب وأسرار المعرفة • ذكره صاحب مسك الختام •

قلت : هذا مما لا دليل عليه من الكتاب والسنة ، بل عسى أن يكون باطلا فلا يصغى اليه [1] .

وتحقيق المقام يقتضي تمهيدا ، وهو أن تشهده صلى الله عليه وسلم كان مثل ما علم الأمة فيقول صلى الله عليه وسلم في التشهد « السلام عليك أيها النبي » كما أمر الأمة . قال الطحاوي في (شرح معاني الآثار) : حدثنا محمد بن حميد أبو قرة حدثنا سعيد بن أبي مريم قال أخبرنا ابن لهيعة قال حدثني الحارث بن يزيد أن أبا أسلم المؤذن حدثه أنه سمع عبد الله بن الزبير يقول : ان تشهد رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي كان يتشهد به « بسم الله وبالله خير الأسماء ، التحيات الطيبات الصلوات لله ، أشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ، أرسله بالحق بشيرا ونذيرا ، وأن الساعة آتية لا ريب فيها ، السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته ، السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين ، اللهم اغفر لي واهدني » . اهـ .

وفي مجمع الزوائد عن ابن مسعود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يتشهد في الصلاة ، قال فكنا نحفظ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم كما نحفظ حروف القرآن ، الواوات والألفات ، اذا جلس على وركه اليسرى . رواه الطبراني في الكبير هكذا .

وأيضا في مجمع الزوائد عن أبي الورد أنه سمع عبد الله بن الزبير يقول : ان تشهد رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يتشهد « ببسم الله وبالله خير الأسماء ، التحيات الطيبات الصلوات لله ، أشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله ، أرسله بالحق بشيرا ونذيرا ، وأن الساعة آتية لا ريب فيها ، السلام عليك أيها النبي الكريم ورحمة الله وبركاته ، السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين ، اللهم اغفر لي واهدني » رواه البزار والطبراني في الكبير والأوسط وزاد فيه : وحده لا شريك له ، وقال في آخره : هذا في الركعتين الأولين . ومداره على ابن لهيعة وفيه كلام . اهـ .

(1) أحسن المصنف وأصاب في رد هذا الباطل المشتق من كلام أصحاب الوحدة وأهل الغلو ، ولو لم يكن فيه سوى أنه قول على الله وعلى رسوله بغير علم لكفى في رده والاعراض عنه . اهـ من حاشية خطية على نسخة الأصل .

وأيضا في مجمع الزوائد : وعن عبد الله بن مسعود قال : علمني رسول الله صلى الله عليه وسلم التشهد في وسط الصلاة وفي آخرها قال فكان يقول اذا جلس في وسط الصلاة وفي آخرها على وركه اليسرى « التحيات لله والصلوات والطيبات، السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته ، السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين، أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله » قال ثم ان كان في وسط الصلاة نهض حين يفرغ من تشهده ، وان كان في آخرها دعا بعد تشهده ما شاء الله أن يدعو ثم يسلم •

قلت : هو في الصحيح باختصار عن هـذا ، رواه أحمد ورجاله موثقون ، ورواه بسند آخر وقال بعد قوله « وأشهد أن محمدا عبده ورسوله » قال « فاذا قضيت هذا ــ أو فعلت هذا ــ فقد قضيت صلاتك ، فان شئت أن تقوم فقم ، وان شئت ان تقعد فاقعد » رواه الطبراني في الأوسط ، وبين أن ذلك من قول ابن مسعود من قوله : فاذا فرغت عن هـذا فقد قضيت صلاتك ، كذلك لفظه عند الطبراني ، ورجال أحمد موثقون • اهـ • وبعض هذه الروايات وان كانت ضعيفة لكن تكفي للتأييد •

وفي (المواهب) وشرحها للسيد محمد الزرقاني نقلا عن النووي بعد ذكر ألفاظ التشهد ما نصه : وفي هذا فائدة حسنة وهى أن تشهده عليه السلام بلفظ تشهدنا • اهـ •

ويقوى هذا أن النبي صلى الله عليه وسلم مأمور بجميع ما أمر به أمته ، الا ما ورد فيه دليل دال على أنه صلى الله عليه وسلم خارج عنه ، والأمة مأمورة بالسلام لقوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما) والسلام كان مجملا فوقع قوله صلى الله عليه وسلم « فاذا صلى احدكم فليقل التحيات لله » • اهـ • وقوله « ولكن قولوا التحيات لله » • اهـ • رواهما البخاري في صحيحه من حديث عبد الله بن مسعود بيانا له ، وليس هناك دليل يدل على أنه صلى الله عليه وسلم خارج عن هذا الحكم ، فعلم منه أن تشهد النبي صلى الله عليه وسلم كان مثل تشهدنا ، وأيضا هذا التشهد عام للحاضرين من الصحابة والغائبين والموجودين في زمن النبي صلى الله عليه وسلم ولمن جاءوا بعده ، اذ الخطاب في

قوله « اذا صلى أحدكم » وقوله « ولكن قولوا » يشمل الحاضرين والغائبين والموجودين والمعدومين الى يوم القيامة ، مثل سائر الخطابات الواردة في الوضوء والصلاة والصيام والزكاة والحج وغيرها ، وليس هناك حديث يدل على أن للغائبين والمعدومين تشهدا آخر غير هذا التشهد •

اذا عرفت هذا فقد علمت بطلان الاحتمالات الأربعة الأخيرة ، والملازمةظاهرة فلا نطول الكلام ببيانها ، فوجه الخطاب حينئذ اما الاحتمال الأول ان ثبت ما روى فيه والا فهو مما لم نؤت علمه ، فينبغي لنا أن لا نبحث فيه ونكل أمره الى الله تعالى ، قال الله تعالى (ولا تقف ما ليس لك به علم ان السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا) واذا يكون هذا الخطاب معدولا عن العقل والقياس ، فيكون مقصورا على مورده ، فلا يقتضي هذا الخطاب جواز خطابه صلى الله عليه وسلم وندائه في غير تشهد الصلاة •

قوله : وصح عن بلال بن الحارث رضى الله عنه أنه ذبح شاة عام القحط المسمى الرمادة فوجدها هزيلة ، فصار يقول : وامحمداه ، وامحمداه •

أقول : فيه كلام من وجهين :

(الأول) أن دعوى صحة هذا الأثر مفتقرة الى اقامة الحجة عليها ، ودونها لا يلتفت اليها [1] •

و (الثاني) ان هذا ليس نداء بل ندبة ، كما تقرر في مقره من أن « وا » انما تدخل على المندوب لا على المنادى ، فان قلت : المندوب عند البعض داخل في المنادى ، فالجواب ان من يدخله في المنادى فانما يدخله في المنادى الحكمي لا الحقيقي ، فلم يكن مما نحن فيه في شيء •

قوله : وصح أيضا أن أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم لما قاتلوا مسيلمة الكذاب كان شعارهم : وامحمداه وامحمداه •

---

(١) فزعمه الصحة خيانة للأمانة العلمية ، وغش للسامعين والقارئين ، ما دام الأمر بخلاف ذلك ثم هو من سوء الأدب في المناظرة ، اذ يجب عليه أن يبين لخصمه وجه صحة الأثر المحتج به ، لا سيما وهو أثر حكاية فعل من غير معصوم ، بل من شخص لم يتعبدنا الله باتباعه • وكتبه عبد الرحمن الدوسري •

أقول : الكلام عليه بوجهين :

(الأول) أن القول بصحة هذا الأثر كلام بلا دليل فلا يقبل ٠

و (الثاني) أن هذا مندوب أو منادى حكمي فلم يكن مما نحن فيه في شيء ٠

قوله : وفي (الشفاء) للقاضي عياض أن عبد الله بن عمر رضى الله عنه خدلت رجله مرة فقيل له اذكر أحب الناس اليك ، فقال : وامحمداه فانطلقت رجله ٠

أقول فيه كلام من وجوه :

(الأول) أن نص الشفاء هكذا : وروى أن عبد الله بن عمر خدرت رجله فقيل له : اذكر أحب الناس اليك يزل عنك ، فصاح : يامحمداه ، فانتشرت ٠ ا هـ ٠
فالمؤلف قد أخطأ في نقل هذه العبارة القصيرة في مواضع ، فكتب خدلت وانما هى خدرت ، وزاد لفظ مرة قبل فقيل ، وحذف لفظ يزل عنك ، وبدل لفظ فقال مكان فصاح ، ولفظ وا موضع يا ، ولفظ فانطلقت رجله محل فانتشرت ، ولعل الخطأ الأول من الناسخ ، ولفظ الحديث في الأذكار هكذا : عن الهيثم بن حبش قال : كنا عند عبد الله بن عمر فخدرت رجله ، فقال له رجل : اذكر أحب الناس اليك ، فقال : يا محمد صلى الله عليه وسلم فكأنما نشط من عقال ا هـ ، قال في النهاية : ومنه حديث ابن عمر أنها خدرت رجله فقيل له ما لرجلك ؟ فقال اجتمع عصبها ، قيل اذكر أحب الناس اليك فقال يا محمد فبسطها ا هـ ٠ أخرجه ابن السني في (عمل اليوم والليلة) وكذا في (الحصن الحصين) و (مناهل الصفا في تخريج أحاديث الشفا) ٠

و (الثاني) المطالبة باثبات صحة هذا الأثر أو حسنه ودونه لا يصغى اليه ٠

و (الثالث) أن هذا ليس نداء حقيقيا ، انما هو ندبة أو نداء مجازي [1] ٠

---

(١) والرابع أن الله لم يتعبدنا الا باتباع نبيه عليه السلام ولم يتعبدنا بما انفرد به صحابي بلغ به الافراط في الحب الى النطق بكلمة لا شعورية (والخامس) أن ابن عمر خاصة انفرد بأشياء لا يتابع عليها لشدة افراطه وقد ذكر بعضها الامام ابن القيم في أوائل مباحث الصيام من زاد المعاد ٠ وكتبه عبد الرحمن الدوسري ٠

قوله : وجاء الخطاب والنداء للجمادات في أحاديث كثيرة ، منها أنه صلى الله عليه وسلم كان اذا نزل أرضا قال « يا أرض ، ربي وربك الله » فهذا نداء وخطاب لجماد ، ولا كفر ولا اشراك فيه ، اذ ليس فيه اعتقاد ألوهية واستحقاق عبادة ولا اعتقاد تأثير لغير الله تعالى •

أقول : هذا الخطاب والنداء مجازى ، وقد تقدم شيء من بيانه ، وسيأتي مزيد تحقيق لذلك الحديث •

قوله : وقد ذكر الفقهاء في آداب السفر أن المسافر اذا انفلتت دابته بأرض ليس بها أنيس فليقل : يا عباد الله احبسوا ، واذا أضل شيئا أو أراد عونا فليقل : يا عباد الله أعينوني أو أغيثوني فان لله عبادا لا نراهم • واستدل الفقهاء على ذلك بما رواه ابن السني عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اذا انفلتت دابة أحدكم بأرض فلاة فليناد : يا عباد الله احبسوا ، فان لله عبادا يجيبونه » ففيه نداء وطلب نفع •

أقول : هذا الحديث ضعيف ، قال في مجمع الزوائد : وعن عبد الله بن مسعود أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اذا انفلتت دابة أحدكم بأرض فلاة فليناد : يا عباد الله احبسوا ، يا عباد الله احبسوا ، فان لله حاضرا في الأرض ليحبسه » رواه أبو يعلي والطبراني ، وفيه معروف بن حسان وهو ضعيف اهـ ، قال الذهبي في الميزان : معروف بن حسان أبو معاذ السمرقندي عن عمر بن ذر ، قال ابن عدي : منكر الحديث ، قد روى عن عمر بن ذر نسخة طويلة كلها غير محفوظة ، وقال قاسم بن حنبل السرخسي حدثنا اسحاق بن اسماعيل السمرقندي حدثنا معروف بن حسان عن ابن أبي ذئب عن نافع عن ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من ربى شجرة كان له كأجر قائم الليل صائم النهار ، وكأجر غاز في سبيل الله دهره » • اهـ •

وعلى تقدير ثبوته ففيه نداء للأحياء وطلب منهم ما يقدرون عليه ، وهذا مما لا نزاع في جوازه ، والعجب من المؤلف أنه ذكر هذا الحديث في باب الخطاب والنداء للجمادات ، وعباد الله الذين وقع ذكرهم في الحديث ليسوا بجمادات •

قوله : وفي حديث آخر رواه الطبراني أنه صلى الله عليه وسلم قال « اذا ضل أحدكم شيئا أو أراد عونا وهو بأرض ليس فيها أنيس فليقل : يا عباد الله أعينوني » وفي رواية « أغيثوني ، فان لله عبادا لا ترونهم » قال العلامة ابن حجر في حاشيته على (ايضاح المناسك) : وهو مجرب كما قاله الراوي للحديث المذكور .

أقول : قال في (مجمع الزوائد) وعن عتبة بن غزوان عن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال « اذا ضل أحدكم شيئا ــ أو أراد أحدكم عونا ــ وهو بأرض ليس بها أنيس فليقل : يا عباد الله أعينوني ، يا عباد الله أعينوني ، يا عباد الله أعينوني ، فان لله عبادا لا نراهم » وقد جرب ذلك . رواه الطبراني ورجاله وثقوا على ضعف في بعضهم ، الا أن زيد بن علي لم يدرك عتبة . اهـ .

فالحديث ضعيف بسبب الانقطاع ، فادعاء المؤلف فيما تقدم صحته ليس بشيء ، وعلى تقدير ثبوته فليس فيه الا نداء الأحياء ، والطلب منهم مما يقدر هؤلاء الأحياء عليه ، وذلك مما لا يجحده أحد ، وذكر هذا الحديث أيضا في نداء الجمادات دال على أن ذاكره ليس له حظ من العقل .

قلت : وفي الباب عن ابن عباس رضى الله عنهما قال في مجمع الزوائد : وعن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « ان لله ملائكة في الأرض ــ سوى الحفظة ــ يكتبون ما سقط من ورق الشجر ، فاذا أصاب أحدكم شيء بأرض فلاة فليناد : أعينوني عباد الله » رواه البزار ورجاله ثقات . اهـ .

قلت : كون الرجال ثقات لا يقتضى صحة الحديث أو حسنه ، لاحتمال أن يكون فيه انقطاع أو شذوذ ، وعلى تقدير ثبوت الحديث فالثابت منه جواز نداء الأحياء أو طلب ما يقدرون عليه منهم ، وذلك لا ينكره أحد .

قوله : وروى أبو داود وغيره عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا سافر فأقبل الليل قال « يا أرض ، ربي وربك الله ، أعوذ بالله من شرك وشر ما فيك وشر ما خلق فيك وشر ما يدب عليك ، أعوذ بالله من أسد وأسود ، ومن الحية والعقرب ، ومن شر ساكن البلد ، ووالد وما ولد » .

أقول : هكذا قال النووي في الأذكار ، رواه أبو داود وغيره ، وعزاه صاحب المشكاة الى أبي داود فقط ورمز له في الحصن الحصين (د ، س ، مس) وهو دال على أنه أخرجه أبو داود في سننه والنسائي والحاكم في المستدرك • وقال في نزل الأبرار : قلت : أخرجه أيضا أبو داود والترمذي والحاكم في المستدرك من حديث ابن مسعود وقال صحيح الاسناد • اهـ •

قلت : واني راجعت سنن أبي داود والمجتبى والترمذي فما وجدته الا في سنن أبي داود ونصه هكذا : حدثنا عمرو بن عثمان أخبرنا بقية حدثني صفوان حدثني شريح بن عبيد عن الزبير بن الوليد عن عبد الله بن عمر قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا سافر فأقبل الليل قال : « يا أرض ربي وربك الله ، أعوذ بالله من شرك وشر ما فيك وشر ما خلق فيك وشر ما يدب عليك ، وأعوذ بالله من أسد وأسود ومن الحية والعقرب ومن ساكني البلد ومن والد وما ولد » •اهـ•

وفي هذا السند الزبير بن الوليد وهو مجهول ، لأنه تفرد عنه شريح بن عبيد ، كذا في الميزان ، قال في الخلاصة : وثقه ابن حبان ، وقال الحافظ في التقريب : مقبول • قلت : قد عرفت فيما تقدم أن توثيق ابن حبان لا اعتداد به ، وأن التعديل بلفظ مقبول من أدنى مراتب التعديل ، وحكمه أنه يكتب حديثه للاعتبار لا للاحتجاج به [1] •

قوله : وروى الترمذي عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما والدارمي عن طلحة بن عبيد الله رضى الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم كان اذا رأى الهلال قال « ربي وربك الله » ففيه خطاب للجماد •

أقول : رمز لهذا الحديث في الحصن الحصين (ت • حب • مى) وهو يدل على أنه أخرجه الترمذي وابن حبان في صحيحه والدارمي ، وعزاه صاحب المشكاة الى الترمذي من حديث طلحة ، وقد راجعت الترمذي والدارمي ، فنص الترمذي

---

(١) ثم ان هذا الحديث ليس فيه أي دلالة على جواز التوسل الممنوع ، أو دعاء غير الله أو النداء بما لا يجوز النداء به لغير الله ، وانما فيه حصر الربوبية لله ، والاستعاذة به من شر ما خلق في الأرض وما أسكنه فيها أو جعله يدب عليها فهو في مكان بعيد عن مقاصد المستدل به • وكتبه عبد الرحمن الدوسري •

هكذا : حدثنا محمد بن بشار أخبرنا أبو عامر العقدي أخبرنا سليمان بن سفيان المديني قال حدثني بلال بن يحيى بن طلحة بن عبيد الله عن أبيه عن جده طلحة بن عبيد الله أن النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا رأى الهلال قال « اللهم أهلله علينا باليمن والايمان والسلامة والاسلام ، ربي وربك الله » هذا حديث حسن غريب ، هذا آخر كلام الترمذي .

ولفظ الدارمي هكذا : أخبرنا سعيد بن سليمان عن عبد الرحمن بن عثمان بن ابراهيم حدثني أبي عن أبيه وعمه عن ابن عمر قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا رأى الهلال قال « الله أكبر . اللهم أهله علينا بالأمن والايمان والسلامة والاسلام والتوفيق لما يحب ربنا ويرضى ، ربنا وربك الله » أخبرنا محمد بن يزيد الرفاعي واسحاق بن ابراهيم حدثنا العقدي حدثنا سليمان بن سفيان المديني عن بلال بن يحيى بن طلحة عن أبيه عن طلحة قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا رأى الهلال قال « اللهم أهله علينا بالأمن والايمان والسلامة والاسلام ، ربي وربك الله » هذا آخر كلام الدارمي .

فعلم من هنا أن الترمذي انما أخرجه من حديث طلحة بن عبيد الله لا من حديث ابن عمر ، والدارمي أخرجه من حديث ابن عمر أولا ، ثم من حديث طلحة ، فعزو رواية حديث ابن عمر الى الترمذي ، وعدم عزو رواية حديث طلحة اليه ، والقصر على عزو رواية حديث طلحة الى الدارمي كما فعله المؤلف ، خطأ بين ، دال على غاية قصور باعه في علم الحديث ، وحديث طلحة حسنه الترمذي وفي تحسينه نظر،فان في سنده سليمان بن سفيان المديني قال الذهبي:سليمان بن سفيان أبوسفيان المدني عن عبد الله بن دينار ، وبلال بن يحيى ، قال ابن معين : ليس بشيء وقال مرة : ليس بثقة ، وكذا قال النسائي ، وقال أبو حاتم والدارقطني : ضعيف ، العقدي حدثنا سليمان بن سفيان حدثنا بلال بن يحيى بن طلحة بن عبيد الله عن أبيه عن جده أن النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا رأى الهلال قال « اللهم أهله علينا بالأمن والايمان والاسلام ربي وربك الله » . اهـ .

وأيضا في سنده بلال بن يحيى ، قال الحافظ في التقريب : بلال بن يحيى بن طلحة بن عبيد الله التيمي المدني لين .

وحديث ابن عمر أيضا ضعيف ، لأن في سنده عثمان بن ابراهيم الحاطبي ، قال الذهبي في الميزان : عثمان بن ابراهيم الحاطبي مدني ، رأى ابن عمر ، له ما ينكر .

وقال أبو حاتم : روى عن أبيه أحاديث منكرة ا هـ . وأيضا في سنده عبد الرحمن بن عثمان الحاطبي ، قال الذهبي في الميزان : ضعفه أبو حاتم الرازي .

قلت : وحديث ابن عمر رواه الطبراني أيضا ، قال في مجمع الزوائد : وعن ابن عمر قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا رأى الهلال قال « اللهم أهله علينا بالأمن والأمان والسلامة والاسلام والتوفيق لما تحب وترضى ، ربنا وربك الله » رواه الطبراني ، وفيه عثمان بن ابراهيم الحاطبي وفيه ضعف وبقية رجاله ثقات . ا هـ .

وفي الباب حديث أنس بن مالك فيه أيضا خطاب وهو ضعيف أيضا ، قال في مجمع الزوائد : وعن أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان اذا رأى الهلال قال : « هلال خير ورشد ، آمنت بالذي خلقك فعدلك » رواه الطبراني في الأوسط وفيه أحمد بن عيسى اللخمي وبقية رجاله ثقات . ا هـ .

وفي سنن أبي داود حدثنا موسى بن اسماعيل أخبرنا أبان أخبرنا قتادة أنه بلغه أن نبي الله صلى الله عليه وسلم كان اذا رأى الهلال قال : « هلال خير ورشد، هلال خير ورشد ، آمنت بالذي خلقك » ثلاث مرات ثم يقول « الحمد لله الذي ذهب بشهر كذا وجاء بشهر كذا » . ا هـ .

قلت : وهذا أيضا ضعيف لأنه مرسل ، وفي بعض نسخ أبي داود قال أبو داود : ليس عن النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الباب حديث مسند صحيح ا هـ . وعلى تقدير ثبوت الحديث الذي ذكره المؤلف فالخطاب فيه مجازى، والمقصود بالخطاب فيه غير المخاطب كما تقدم [1] .

(1) هذا الحديث والذي قبله ــ حتى على فرض صحتهما ــ لا دلالة فيهما على جواز التوسل الممنوع أو النداء من دون الله ، فيما لا يقدر عليه الا الله ، وانما فيه محض التوحيد لله ، والضراعة بالدعاء اليه ، فالذي يقول اذا رأى الهلال : ربي وربك الله . ويسأل الله أن يجعله هلال خير ورشد ، وأن يهله بالأمن والايمان الخ ليس مناديا للهلال ولا داعيا له ، وانما هو ضارع الى الله بمحض التوحيد ، فاستدلال المخرف به أو هى من خيط العنكبوت . وكتبه عبد الرحمن الدوسري .

قوله : وصح أنه لما توفى صلى الله عليه وسلم أقبل أبو بكر رضى الله عنه حين بلغه الخبر فدخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فكشف عن وجهه ثم أكب عليه فقبله ثم بكى وقال : بأبي وأمي ، طبت حيا وميتا ، اذكرنا يا محمد عند ربك ، ولنكن من بالك . وفي رواية للامام أحمد فقبل جبهته ثم قال : وانبياه . ثم قبلها ثانيا وقال واصفياه . ثم قبلها ثالثا وقال : واخليلاه . ففي ذلك نداء وخطاب له صلى الله عليه وسلم بعد وفاته .

اقول : لا يخفى عليك أن لفظ « بأبى أنت وأمى طبت حيا وميتا ، والله الذي نفسى بيده لا يذيقك الله الموتتين أبداً » رواه البخاري من حديث عائشة رضى الله عنها ، في حديث طويل في مناقب الصديق رضى الله عنه ، وفيه خطاب ، لكن هذا الخطاب مجازى ، من جنس ما يخاطبون المندوب ، ويعدون محاسنه الواقعية ، كما روى عن ابن عباس ، يقول : وضع عمر على سريره ، فتكنفه الناس يدعون ويصلون قبل أن يرفع وأنا فيهم ، فلم يرعنى الا رجل أخذ منكبى فاذا علي بن أبى طالب ، فترحم على عمر ، وقال : ما خلفت أحدا أحب الى أن ألقى الله بمثل عمله منك ، وايم الله ان كنت لأظن أن يجعلك الله مع صاحبيك ، وحسبت أنى كنت كثيرا أسمع النبى صلى الله عليه وسلم يقول « ذهبت أنا وأبو بكر وعمر ، ودخلت أنا وأبو بكر وعمر ، وخرجت أنا وأبو بكر وعمر » .

وكما روى عن أنس رضى الله عنه أنه لما مات صلى الله عليه وسلم قالت فاطمة : يا أبتاه، أجاب ربا دعاه ، يا أبتاه . من جنة الفردوس مأواه ، يا أبتاه ، الى جبريل ننعاه . رواه البخاري ، قال الحافظ في الفتح : فيؤخذ منه أن تلك الألفاظ اذا كان الميت متصفا بها لا يمنع ذكره لها بعد موته ، بخلاف ما اذا كانت فيه ظاهرا ، وهو في الباطن بخلافه ، أو لا يتحقق اتصافه بها ، فيدخل في المنع . اهـ .

ويؤيد هذا المعنى قوله رضى الله عنه : بأبي أنت وأمي ، فان حقيقة التفدية لا تتصور بعد الموت ، فكما أن المراد بالتفدية معناها المجازى كذلك الخطاب ، وأيضا يؤيده قوله رضى الله عنه : وانبياه ، واصفياه ، واخليلاه ، فان لفظة « وا »

لا تستعمل في النداء ، انما تستعمل في الندبة ، ويحتمل أن يكون ذلك الخطاب والنداء مثل الخطاب والنداء الواقعين في الأحاديث الواردة في زيارة القبور ، والتوجيه فيه مثل ما ذكر في الأحاديث المذكورة .

بقي قوله رضي الله عنه اذكرنا يا محمد عند ربك ، ولنكن من بالك . وظاهره مشكل ، فان فيه نداء مع الطلب من الميت ، وهو غير جائز عندنا . والجواب هو الكلام في ثبوت هذا اللفظ ، فاني لا أعلم أحدا رواه بسند صحيح أو حسن خال عن العلة . انما ذكره صاحب المواهب بغير سند ، وعبارته هكذا : وقال ابن المنير : لما مات النبي صلى الله عليه وسلم طاشت العقول ، فمنهم من خبل ، ومنهم من أقعد فلم يطق القيام ، ومنهم من أخرس فلم يطق الكلام ، ومنهم من أضنى . وكان عمر ممن خبل ، وكان عثمان ممن أخرس يذهب ويجيء ولا يستطيع كلاما ، وكان علي ممن أقعد فلم يستطع حراكا ، وأضنى عبد الله بن أنيس فمات كمدا ، وكان أثبتهم أبو بكر ، جاء وعيناه تهملان ، وزفراته تتردد ، وغصصه تتصاعد وترتفع ، فدخل على النبي صلى الله عليه وسلم فأكب عليه ، وكشف الثوب عن وجهه وقال : طبت حيا وميتا ، وانقطع لموتك ما لم ينقطع لموت أحد من الأنبياء قبلك ، فعظمت عن الصفة ، وجللت عن البكاء ، ولو أن موتك كان اختياريا لجدنا لموتك بالنفوس، اذكرنا يا محمد عند ربك ، ولنكن من بالك ، هكذا ذكره صاحب المواهب بلاسند. ولم يتعرض شارحه العلامة محمد بن عبد الباقي الزرقاني أيضا لسنده ، بل هناك قرينة تدل على أنه ليس من كلام الصديق رضي الله عنه ، وهي أن الله تعالى حرم على الأمة نداءه باسمه . قال تعالى : (لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا) أي لا تجعلوا دعاءه وتسميته كنداء بعضكم بعضا باسمه ، ورفع الصوت به ، والنداء وراء الحجرات ، ولكن قولوا : يا رسول الله ، يا نبي الله ، مع التوقير والتواضع وخفض الصوت ، فكيف يقول أفضل الأمة بعد الرسول صلى الله عليه وسلم « يا محمد » ؟ ومن ثم وقع لفظ « يا نبي الله » في قول الصديق رضي الله عنه ، في حديث عائشة الذي رواه البخاري في الجنائز ولفظه هكذا : ثم بكى فقال : بأبي أنت وأمي يا نبي الله ، لا يجمع الله عليك موتتين أما الموتة التي كتبت عليك فقد متها .

قال بعض المحققين [1] في الرد على كتاب (جلاء الغمة) : وفي نفس هذا الأثر الذي أورده ما يرد عليه من وجوه : (منها) قوله اللهم أبلغه عنا ، فاذا سأل الله أن يبلغ نبيه عنهم فكيف يقول بعدها اذكرنا يا محمد عند ربك ؟ وهل هذا الا عكس ما قبله ؟ ومن دون أبي بكر يتحاشى العاقل من نسبته اليه ، فكيف بصديق الأمة ؟

وقد ثبت في الصحيح وغيره أن الشهداء قالوا : ألا بلغوا عنا قومنا أنا قد لقينا ربنا فرضي عنا وأرضانا . ولم يأت أحد من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى شهيد من الشهداء وطلب منه أن يبلغ عنه ربه ، وهم أجل وأفقه من ذلك، فكيف بالصديق رضي الله عنه فاذا جاءت السنة بأن الله هو الذي يبلغ عمن عنده من الشهداء فكيف يعكس القضية ويجعل النبي صلى الله عليه وسلم هو الذي يبلغ ربه ؟ هذا لو صح سنده ، فكيف وهو عمن لا يحتج به ؟ قال ابن السكن : سيف بن عمر ضعيف . وقال أبو حاتم : قعقاع بن عمرو قال : شهدت وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم . هذا فيما رواه سيف بن عمر بن عمرو بن تمام عن أبيه عنه ، وسيف متروك فبطل الحديث . اهـ .

وعلى تقدير ثبوت اللفظ المذكور فلا يبعد كل البعد أن يكون هذا النداء والطلب كلاهما مجازيين ، كما يتصور الحبيب كثيرا حبيبه في نفسه ، فيخاطبه بأمور ويطلب منه أشياء ، ولا يقصد هناك الا مجرد التذاذ نفسه بتلك التصورات والألفاظ ، لا معانيها الحقيقية ، أو يكون المقصود بالخطاب غير المخاطب كما تقدم ، فكأنه خاطب الله وطلب منه أن يجعل نبيه ذاكرنا عنده تعالى وشفيعنا لديه . وهذان الاحتمالان وان كانا لا يخلوان عن بعد ، لكنهما ليسا بأبعد من الاحتمالات التي وضعها المؤلف لتصحيح كلام المشركين .

قوله : ولما تحقق عمر رضي الله عنه وفاته صلى الله عليه وسلم بقول أبي بكر رضي الله عنه قال وهو يبكي : بأبي أنت وأمي يا رسول الله ، لقد كان لك جذع تخطب الناس عليه ، فلما كثروا واتخذت منبرا لتسمعهم حن الجذع

(1) هو الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن ، وكتابه (مصباح الظلام) اهـ من حاشية خطية على الأصل .

لفـراقك ، حتى جعلت يدك عليه فسكن ، فأمتك أولى بالحنين عليك حين فارقتهم ــ الى قوله ــ : فانظر الى هذه الألفاظ التي نطق بها عمر رضى الله عنه ، فقـد تعدد فيها النداء له صلى الله عليه وسلم بعـد وفاته ، وقد رواهـا كثير من أئمة الحديث ، وذكرها القاضي عياض في الشفاء ، والقسطلاني في المواهب ، والغزالي في الاحياء ، وابن الحاج في المدخل •

أقول : في المواهب بعد ذكر هذا الخبر ما نصه : الخبر ذكره أبو العبـاس القصار في شرحه لبردة الأبوصيري ، ونقله عن الرشاطي في كتابه « اقتباس الأنوار والتماس الأزهار » وذكره ابن الحاج في المدخل وساقه بتمامه ، والقاضي عياض في الشفاء لكنه ذكر بعضه اهـ • فعلى من يحتج به ذكر سنده وتوثيق رجاله ، وبيان أنه خال من جميع العلل القادحة في التصحيح والتحسين ، ودونه خرط القتاد• على أن هذا من الرثاء المشروع والتحزن والتوجع المبـاح ، كما في قول فاطمـة والصديق رضى الله عنهما ، فليس هذا من النداء في شيء ، بل هو ندبة •

قوله : فيبطل بها وبغيرها من الأدلة قول المـانعين للنداء مطلقا •

أقول : المـانعون للنداء لا يمنعون النداء مطلقا ، بل يمنعون النداء الحقيقي الذي فيه يطلب من المنادى ما لا يقدر عليه الا الله •

قوله : وروى البخاري عن أنس رضى الله عنه أن فاطمة رضى الله عنهـا بنت رسـول الله صلى الله عليه وسلم قالت لمـا تـوفي رسـول الله صلى الله عليه وسلم : يا أبتاه ــ الى قوله ــ ففي هذا الحديث أيضا نداؤه صلى الله عليه وسلم بعد وفاته •

أقول : هذا ليس من النداء في شيء ، بل هو ندبة ، يرشدك الى هذا كون هذا الكلام صادرا وقت الوفاة ، ووقوع لفظ النعي فيه ، وزيادة الألف في آخره لمد الصوت المطلوب في الندبة ، فالقول بكونه نداء أدل دليل على جهل قائله •

قوله : ورثته عمته صفية بمراث كثيرة ــ الى قوله ــ : ففي هذا البيت أيضا نداؤه صلى الله عليه وسلم بعد وفاته •

أقول : القول بكونه نداء أوضح برهان على سوء فهم قائله ، فان وقوعه في الرثاء دليل واضح على كونه ندبة .

قوله : ومما جاء من النداء للميت التلقين له بعد الدفن ، وقد ذكره كثير من الفقهاء ، واستندوا في ذلك الى حديث الطبراني عن أبي أمامة رضى الله عنه واعتضد بشواهد كثيرة ـ الى قوله ـ ففي التلقين الخطاب والنداء للميت ، فكيف يمنعون النداء مطلقا ؟ .

أقول : في مجمع الزوائد عن سعيد بن عبد الله الأودي قال : شهدت أبا أمامة وهو في النزع فقال : اذا أنا مت فاصنعوا بي كما أمر رسول اللهصلى الله عليهوسلم فقال « اذا مات أحد من اخوانكم فسويتم التراب على قبره فليقم أحدكم على رأس قبره ثم ليقل : يا فلان ابن فلانة ، فانه يسمعه ولا يجيب ، ثم يقول : يا فلان ابن فلانة ، فانه يستوى قاعدا ، ثم يقول : يا فلان ابن فلانة ، فانه يقول : أرشدنا رحمك الله ، ولكن لا تشعرون ، فليقل : اذكر ما خرجت عليه من الدنيا ، شهادة أن لا اله الا الله وأن محمدا عبده ورسوله ، وأنك رضيت بالله ربا ، وبالاسلام دينا ، وبمحمد نبيا ، وبالقرآن اماما ، فان منكرا ونكيرا يأخذ كل واحد منهما بيد صاحبه ويقول : انطلق بنا ، ما نقعد عند من لقن حجته ؟ فيكون الله حجيجه دونهما » قال رجل : يا رسول الله فان لم يعرف أمه ؟ قال « فينسبه الى حواء يا فلان ابن حواء » رواه الطبراني في الكبير ، وفي اسناده جماعة لم أعرفهم .

وقال الحافظ ابن القيم في (زاد المعاد) : ولم يكن يجلس يقرأ عند القبر ، ولا يلقن الميت كما يفعله الناس اليوم ، وأما الحديث الذي رواه الطبراني في معجمه من حديث أبي أمامة عن النبي صلى الله عليه وسلم « اذا مات أحد من اخوانكم فسويتم التراب على قبره فليقم أحدكم على رأس قبره ثم ليقل : يا فلان فانه يسمعه ولا يجيب ، ثم يقول : يا فلان ابن فلانة فانه يستوي قاعدا ، ثم يقول يا فلان ابن فلانة . فانه يقول : أرشدنا يرحمك الله ، ولكن لا تشعرون ، ثم يقول: اذكر ما خرجت عليه من الدنيا ، شهادة أن لا اله الا الله وأن محمدا عبده ورسوله وأنك رضيت بالله ربا ، وبالاسلام دينا ، وبمحمد نبيا ، وبالقرآن اماما ، فان منكرا ونكيرا يأخذ كل واحد منهما بيد صاحبه ويقول : انطلق بنا ، ما نقعد عند من لقن

حجته • فيكون الله حجيجه دونهما » فقال رجل : يا رسول الله فان لم يعرف أمه ؟ قال « فينسبه الى حواء ، يا فلان ابن حواء » فهذا حديث لا يصح رفعه ، ولكن قال الأثرم قلت لأبي عبد الله : فهذا الذي يصنعونه اذا دفن الميت يقف الرجل ويقول يا فلان ابن فلان اذكر ما فارقت عليه الدنيا : شهادة أن لا اله الا الله، فقال : ما رأيت أحدا فعل هذا الا أهل الشام حين مات أبو المغيرة جاء انسان فقال ذلك ، وكان أبو المغيرة يروى فيه عن أبي بكر بن أبي مريم عن أشياخهم أنهم كانوا يفعلونه ، وكان ابن عياش يروى فيه ، قلت : يريد حديث اسماعيل بن عياش هذا الذي رواه الطبراني عن أبي أمامة •

وقد ذكر سعيد بن منصور في سننه عن راشد بن سعد وضمرة بن حبيب وحكيم بن عمير قال : اذا سوى على الميت قبره وانصرف الناس عنه فكانوا يستحبون أن يقال للميت عند قبره : يا فلان ، قل لا اله الا الله ، أشهد أن لا اله الا الله — ثلاث مرات — قل ربي الله ، وديني الاسلام ، ونبيى محمد • ثم ينصرف • انتهى •

قال الحافظ في التلخيص واسناده صالح وقد قواه الضياء في أحكامه ، وفي اسناده سعيد الأزدي بيض له أبو حاتم ، وقال الهيثمي بعد أن ساقه : في اسناده جماعة لم أعرفهم • ا هـ ، وفي اسناده أيضا عاصم بن عبيد الله وهو ضعيف •

قال الأثرم : قلت لأحمد هذا الذي يصنعونه اذا دفن الميت يقف الرجل ويقول يا فلان ابن فلانة ؟ قال : ما رأيت أحدا يفعله الا أهل الشام حين مات أبو المغيرة ، يروى فيه عن أبي بكر بن أبي مريم عن أشياخهم أنهم كانوا يفعلونه ، وكا اسماعيل ابن عياش يرويه ، يشير الى حديث أبي أمامة ا هـ • هكذا نقله في النيل وفي فتح العلام شرح بلوغ المرام ، وقال في المنار : ان حديث التلقين هذا حديث لا يشك أهل المعرفة بالحديث في وضعه •

وقال ابن القيم في كتاب الروح : انه حديث ضعيف ، ويتحصل من كلام أئمة التحقيق أنه حديث ضعيف والعمل به بدعة ، ولا يغتر بكثرة من يفعله ، انتهى ملتقطا •

وفي نزل الأبرار : وقد أنكر هذا التلقين جماعة من أهل العلم وبدعوه ، انظر ذلك في الهدى النبوى وغيره كثمار التنكيت لهذا العبد الضعيف . ا هـ .

قلت : لا شك في ضعف هذا الحديث لأن في سنده مجاهيل كما قال الهيثمي في مجمع الزوائد ، ولأن في سنده عاصم بن عبيد الله كما قال الحافظ في التلخيص على ما نقله الشوكاني رحمه الله وهو ضعيف .

قال الذهبي في الميزان : عاصم بن عبيد الله بن عاصم بن عمر بن الخطاب العدوي عن أبيه وعبد الله بن عامر بن ربيعة وجماعة ، وعنه شعيب ومالك ، ثم ضعفه مالك ، وقال يحيى : ضعيف لا يحتج به ، وقال ابن حبان : كثير الوهم فاحش الخطأ فترك . وقال أحمد قال ابن عيينة : كان الأشياخ يتقون حديث عاصم ابن عبيد الله ، وقال النسائي : ضعيف . ا هـ .

وقد صرح بضعفه النووي في الأذكار وغيره في غيره ، وانما قواه من قوى لاتصال عمل أهل الشام به ، فلننظر فيه فنقول : منه ما روى أبو المغيرة الحمصي عن أبي بكر بن أبي مريم أنهم كانوا يفعلونه ، وهذا لا يثبت ، فان في سنده أبا بكر ابن عبد الله بن أبي مريم الغساني الحمصي ، قال الذهبي : ضعيف عندهم . قلت : وكان من العباد ، عن راشد بن سعد وخالد بن معدان . وعنه بقية وأبو اليمان وطائفة ، ضعفه أحمد وغيره لكثرة ما يغلط ، وكان أحد أوعية العلم ، وقال ابن حبان : رديء الحفظ لا يحتج به اذا انفرد .

وقال أبو داود : سرق لأبي بكر بن أبي مريم حلى فأنكر عقله ، وسمعت أحمد يقول : ليس بشيء ا هـ ملخصا . وفي الخلاصة وهامشها : قال الحافظ أبو عبد الله : ضعيف ، وكذا قال ابن معين وأبو حاتم وأبو زرعة الخ . تهذيب.اهـ.

قال الحافظ ابن حجر في التقريب : ضعيف ، وكان قد سرق بيته فاختلط .اهـ.

ومنه ما أخرجه سعيد بن منصور في سننه عن راشد بن سعد وحمزة بن حبيب وحكيم بن عمير قال : اذا استوى على الميت قبره وانصرف الناس عنه فكانوا يستحبون الخ . وراشد هذا وان كان ثقة لكنه كثير الارسال ، وحكيم بن عمير

الحمصي صدوق يهم قاله الحافظ في التقريب • على أنه لا يعلم سنده الى هؤلاء التابعين فعلى من يحتج به بيان السند حتى ينظر فيه •

وبالجملة فثبوت عمل أهل الشام أولا ممنوع ، وعلى تقدير ثبوته لا نسلم كونه مقتضيا لكون الحديث الضعيف قابلا لأن يحتج به ، ومن يدعي فعليه الاثبات • وأما مجرد عمل بعض أهل الشام فليس من الدليل الشرعي في شيء ، وعلى تقدير ثبوت حديث التلقين فليس فيه طلب شيء من الميت مما لا يقدر عليه الا الله ، انما فيه نداء وارشاد للميت ، وهو قد ثبت مخالفا للقياس ، فيكون مقصورا على المورد فلا يقاس عليه غيره •

قوله : ومن النداء للميت ما جاء في الحديث المشهور حيث نادى النبي صلى الله عليه وسلم كفار قريش المقتولين يوم بدر بعد القائهم في القليب ، رواه البخاري وأصحاب السنن •

أقول : الجواب عليه من وجوه :

(الأول) أن الله تعالى أحياهم حتى أسمعهم قول النبي صلى الله عليه وسلم على طريق خرق العادة ، والدليل عليه ما روى البخاري في المغازي عن ابن عمر قال : وقف النبي صلى الله عليه وسلم على قليب بدر فقال « هل وجدتم ما وعد ربكم حقا » ثم قال « انهم الآن يسمعون ما أقول » الحديث ، فان لفظة « الآن » دليل واضح عليه • والتخصيص بما أقول يمكن الاستئناس به على أن ذلك كان من قبيل خرق العادة ، وقال قتادة : أحياهم الله حتى أسمعهم قوله ، توبيخا وتصغيرا ونقمة وحسرة وندما • رواه البخاري في صحيحه ، ورواه أحمد بلفظ : قال قتادة : أحياهم الله له حتى سمعوا قوله توبيخا وتصغيرا ، ورجاله رجال الصحيح ، كذا في مجمع الزوائد •

قال السهيلي ما محصله : ان في نفس الخبر ما يدل على خرق العادة بذلك للنبي صلى الله عليه وسلم لقول الصحابة له : أتخاطب أقواما جيفوا ؟ فأجابهم • كذا في الفتح • واذا كان الذي وقع حينئذ من خوارق العادة للنبي صلى الله عليه وسلم حينئذ لم يصح التمسك به على جواز نداء الميت •

و (الثاني) أن هذا النداء لم يكن لطلب ما لا يقدر عليه الا الله ، بل انما كان توبيخا وتصغيرا ، فعلى تقدير عدم كونه من خوارق العادة انما يثبت به جواز نداء من علم موته على الكفر قطعا على قبره ، وقول ما قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم لقتلى بدر من المشركين توبيخا وتصغيرا ، وهذا لا نزاع فيه ، انما النزاع في ندائهم الأموات من الأنبياء والصالحين تعظيما واكراما لهم ، متضرعين خاشعين طالبين لما لا يقدر عليه الا الله ، وهذا لا يدل عليه الحديث أصلا .

و (الثالث) أن هذا النداء معدول عن القياس مخالف له ، فيكون مقصورا على المورد فلا يقاس عليه غيره ، وقد صدر مثل هذا التقريع والتوبيخ من الأنبياء السابقين أيضا كصالح عليه السلام . قال الله تعالى في سورة الأعراف (فتولى عنهم وقال يا قوم لقد أبلغتكم رسالة ربي ونصحت لكم ولكن لا تحبون الناصحين) .

قال الحافظ ابن كثير في تفسيره : هذا تقريع من صالح عليه السلام لقومه لما أهلكهم الله بمخالفتهم اياه وتمردهم على الله وابائهم عن قبول الحق واعراضهم عن الهدى الى العمى ، قال لهم صالح ذلك بعد هلاكهم تقريعا وتوبيخا وهم يسمعون ذلك اهـ . وكشعيب عليه السلام ، قال تعالى في سورة الأعراف (فتولى عنهم وقال يا قوم لقد أبلغتكم رسالات ربي ونصحت لكم فكيف آسى على قوم كافرين) .

قال الحافظ ابن كثير : أي فتولى عنهم شعيب عليه السلام بعدما أصابهم ما أصابهم من العذاب والنقمة والنكال ، وقال مقرعا لهم وموبخا (يا قوم لقد أبلغتكم رسالات ربي ونصحت لكم) . اهـ .

ولا يخفاك أن المؤلف عزا روايته الى البخاري وأصحاب السنن ، وهذا دال على أن مسلما لم يخرجه ، وهو غفلة فاحشة ، فان مسلما أخرجه في (باب عرض مقعد الميت من الجنة والنار عليه واثبات عذاب القبر والتعوذ منه) ولفظه هكذا :

عن أنس بن مالك قال : كنا مع عمر بين مكة والمدينة فتراءينا الهلال ، وكنت رجلا حديد البصر فرأيته ، وليس أحد يزعم أنه رآه غيري ، قال فجعلت أقول لعمر : أما تراه ؟ فجعل لا يراه ، قال يقول عمر : سأراه وأنا مستلق على فراشي ، ثم انشأ يحدثنا عن أهل بدر فقال : ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يرينا

مصارع أهل بدر بالأمس يقول « هذا مصرع فلان غدا ان شاء الله ، قال فقال عمر : فوالذي بعثه بالحق ما أخطؤا الحدود التي حد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : فجعلوا في بئر بعضهم على بعض ، فانطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى انتهى اليهم فقال « يا فلان ابن فلان ويا فلان ابن فلان ، هل وجدتم ما وعدكم الله ورسوله حقا ؟ فاني قد وجدت ما وعدني الله حقا ؟ قال عمر : يا رسول الله كيف تكلم أجسادا لا أرواح فيها ، قال « ما أنتم بأسمع لما أقول منهم . غير أنهم لا يستطيعون أن يردوا على شيئا » وفي رواية أخرى له عن أنس ابن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ترك قتلى بدر ثلاثا ثم أتاهم فقام عليهم فناداهم فقال « يا أبا جهل بن هشام ، يا أمية بن خلف ، يا عتبة بن ربيعة ، يا شيبة بن ربيعة ، أليس قد وجدتم ما وعدكم ربكم حقا ؟ فاني قد وجدت ما وعدني ربي حقا » فسمع عمر قول النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله كيف يسمعون ، أو أنى يجيبون وقد جيفوا ؟ قال « والذي نفسي بيده ما أنتم بأسمع لما أقول منهم ، ولكنهم لا يقدرون أن يجيبوا » ثم أمر بهم فسحبوا فألقوا في قليب بدر . اهـ .

وفي جنائز مسلم عن هشام عن أبيه قال : ذكر عند عائشة رضى الله عنها أن ابن عمر يرفع الى النبي صلى الله عليه وسلم « ان الميت يعذب في قبره ببكاء أهله » فقالت : وهل ، انما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه ليعذب بخطيئته أو بذنبه ، وان أهله ليبكون عليه الآن ، وذلك مثل قوله : ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قام على القليب يوم بدر ، وفيه قتلى بدر من المشركين ، فقال لهم ما قال : انهم ليسمعون ما أقول . وقد وهل ، انما قال « انهم ليعلمون أن ما كنت أقول لهم حق » ثم قرأت (فانك لا تسمع الموتى) (وما أنت بمسمع من في القبور) يقول حين تبوؤا مقاعدهم من النار . اهـ .

وأيضا القول المذكور يدل على أن أصحاب السنن كلهم أخرجوا هذا الحديث، مع أني راجعت السنن الأربعة ، وتتبعت مظانه ولم آل جهدا فيه فلم أجده الا في سنن النسائي ، قال القسطلاني تحت حديث ابن عمر : وأخرجه أيضا في المغازي مطولا ، ومسلم في الجنائز ، وكذا النسائي ، ولم يذكر أحد فيما أعلم أن الحديث

أخرجه أبو داود والترمذي وابن ماجه ، فهذا أوضح دليل على قصور نظر المؤلف ، وقلة علمه ، وكثرة غلطه وخطئه •

قوله : وأما ما جاء من الآثار ، عن الأئمة الأحبار ، والعلماء الأخيار ، والأولياء الكبار ، مما يدل على جواز ذلك النداء والخطاب ، فشيء كثير تنقضي دون نقله الأعمار ، ومضى على ذلك القرون والأعصار ، ولا وقع منهم انكار •

أقول : دلالة ما جاء من الآثار على جواز نداء الأموات والجمادات نداء حقيقيا ، بحيث يطلب فيه منهم ما لا يقدر عليه الا الله ممنوعة ، ومن يدعى فعليه البيان ، وأما مطلق النداء فلا يمنعه أحد •

قوله : فكيف يجوز الاقدام على تكفير المسلمين ، بشيء قام ثبوته بالبراهين؟•

أقول : انما نكفر بالنداء الحقيقي الذي يطلب فيه من الأموات والجمادات ما لا يقدر عليه الا الله ، وهذا شيء لم يثبت بعد بالبراهين بل قام الدليل على كونه كفرا •

قوله : وفي الحديث الصحيح « من قال لأخيه المسلم يا كافر فقد باء بها أحدهما ، ان كان كما قال والا رجعت عليه » •

أقول : من نادى الأموات والجمادات نداء حقيقيا ، وطلب منهم ما لا يقدر عليه الا الله ، فقد انسلخ من الاسلام ، فلا يكون مكفره مصداقا لهذا الحديث •

قوله : فلا يحكم على أحد من أهل القبلة بالكفر الا بأمر واضح ، قاطع للاسلام •

أقول : لا شك أن عبادة غير الله أمر واضح ، قاطع للاسلام ، والنداء المذكور عبادة غير الله بلا مرية ، فكيف لا يحكم على من يرتكبه بالكفر ؟ •

قوله : ورأيت رسالة للشيخ محمد بن سليمان الكردي المدني صاحب الحواشي على مختصر « بافضل » في الفقه على مذهب الامام الشافعي رحمه الله ، قال في تلك الرسالة يخاطب محمد بن عبد الوهاب حين قام بالدعوة ، وكان محمد ابن عبد الوهاب من تلامذة الشيخ محمد بن سليمان المذكور ، وقرأ عليه بالمدينة المنورة ، قال في تلك الرسالة : يا ابن عبد الوهاب ، سلام على من اتبع الهدى ،

فاني أنصحك لله تعالى أن تكف لسانك عن المؤمنين ، فان سمعت من شخص أنه يعتقد تأثير ذلك المستغاث به من دون الله ، فعرفه الصواب ، واذكر له الأدلة على أنه لا تأثير لغير الله تعالى ، فان أبى فكفره حينئذ بخصوصه ، ولا سبيل لك الى تكفير السواد الأعظم من المسلمين ، وأنت شاذ عن السواد الأعظم ، فنسبة الكفر الى من شذ عن السواد الأعظم أقرب ، لأنه اتبع غير سبيل المؤمنين . قال تعالى (ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ، ونصله جهنم وساءت مصيرا) وانما يأكل الذئب من الغنم القاصية .

أقول : لم يكفر الشيخ محمد بن عبد الوهاب أحدا من المؤمنين ابتداء ، انما دعا عباد القبور الى اخلاص العبادة لله ، ونهاهم عن دعاء الأنبياء والأولياء والصالحين ، بحيث يطلب فيه منهم ما لا يقدر عليه الا الله من قضاء الحاجات ، وتفريج الكربات ، وبين أنه من أعظم الشرك الذي كفر الله به المشركين ، واذا دعا أحدهم لديه الأنبياء والصالحين ، الذين كانوا يعبدونهم مع رب العالمين ، نهاه عن ذلك وزجره وعرفه الصواب وحذره ، فقالوا ان كان الذي نحن عليه من الدعوات والاعتقادات بأهل القبور كفرا وشركا فنحن كفار ومشركون ، فهم هم الذين شهدوا على أنفسهم بالكفر .

فها أنا أذكر من ترجمته (رحمه الله) ما يتضح به عندك صحة ما ادعيناه ، فأقول :

خلاصة ترجمة الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله

ودعوته الى التوحيد [1]

قال الشيخ حسين بن غنام الأحسائي في (روضة الأفكار والأفهام ، لمرتاد حال الامام ، وتعداد غزوات ذوي الاسلام) :

أما نسبه رحمه الله تعالى ، وأفاض عليه سحائب غفرانه ووالى ، فهو : محمد بن عبد الوهاب بن سليمان بن علي بن محمد بن أحمد بن راشد بن بريد

(١) العنوان للمصحح .

ابن محمد بن بريد بن مشرف . ولد رحمه الله تعالى سنة خمس عشرة بعد المائة والألف من الهجرة النبوية في بلد العيينة من البلدان النجدية ، فأنبته الله نباتا حسنا ، وجلا به عن طرف الدهر وسنا ، وبقى بعد سن الطفولة زمنا يتعلم في تلاوة القرآن ، معتزلا في غالب الأوقات لعب الصبيان ، ولهو الجهال والغلمان ، حتى حفظ القرآن عن ظهر قلبه قبل بلوغ العشر ، وكان حاد الفهم سريا وقاد الذهن ذكيا ، سريع الحفظ ، فصيح اللفظ ، ألمعي الفطنة .

اشتغل في العلم على أبيه وجد في الطلب ، وأدرك بعض الأرب ، وهو في بلد العيينة في تلك الحال ، قبل رحلته لطلب العلم والارتحال ، وتطوافه له في كثير من البلاد ، حتى نال منه المراد ، وفاز بالسعد والاسعاد ، وحاز الرشد والارشاد .

وكان والده قد توسم ذلك فيه ، ويحدث بذلك ويبديه : ويؤمل ذلك منه ويرجوه ، كما حدث به سليمان أخوه . قال : كان عبدالوهاب أبوه يتعجب من فهمه وادراكه ، قبل بلوغه وادراكه ، ومناهزته الاحتلام وافراكه . ويقول أيضا : لقد استفدت من ولدى محمد فوائد من الأحكام ، أو قريبا من هذا الكلام .

وقد كتب والده الى بعض اخوانه رسالة نوه فيها بشأنه يثنى فيها عليه وأن له فهما جيدا ولديه ، ولو يلازم الدرس سنة على الولاية ، لظهر في الحفظ والاتقان آية ، وقد تحققت أنه بلغ الاحتلام ، قبل اكمال اثنتي عشرة سنة على الاتمام ، ورأيته أهلا للصلاة بالجماعة والائتمام ، فقدمته لمعرفته بالأحكام ، وزوجته بعد البلوغ في ذلك العام ، ثم طلب مني الحج الى بيت الله الحرام ، فأجبته بالاسعاف لذلك المرام ، فحج وقضى ركن الاسلام ، وأدى المناسك على التمام ، ثم قصد مدينته عليه الصلاة والسلام ، وأقام فيها شهرين ثم رجع بعد ذلك ، فائزا بأجر الزيارة والمناسك ، وأخذ في القراءة على والده في الفقه على مذهب الامام أحمد ، فسلك فيه الطريق الأحمد ، ورزق مع الحفظ سرعة الكتابة ، فكان يحير أصحابه ، بحيث انه يخط بالخط الفصيح في المجلس الواحد كراس [1] ، من غير سآمة ولا نصب ولا التباس .

---

(١) لم ينصب كلمة كراس لأجل النطق بها ساكنة لمناسبة السجع ، وهى لغة ربيعة ، وسيأتي مثل هذا فى أسجاعه . وكتبه محمد رشيد رضا .

ثم بعد ذلك رحل في العلم وسار ، وجد في الطلب الى ما يليه من الأمصار ، وما يحاذيه من الأقطار ، فزاحم فيه العلماء الكبار ، وأشرق طالعه واستنار ، وصار لهلاله اقمار ، فوطىء الحجاز والبصرة لذلك مرار ، وأتى الأحساء لتلك الأوطار ، وأخذ العلم عن جماعة منهم الشيخ عبدالله بن ابراهيم النجدى ثم المدنى وأجازه من طريقين ، وأول حديث سمعه منه الحديث المشهور المسلسل بالأولية ، نقلت من خطه ما نصه . اهـ . الخ .

وأيضا قال فيه : وقد سمع رحمه الله الحديث والفقه من جماعة بالبصرة كثيرة ، وقرأ بها النحو وأتقن تحريره ، وكتب الكثير من اللغة والحديث في تلك الاقامة ، وبحث على طريق الهدى والاستقامة ، وكان أكثر لبثه لأخذ العلم بالبصرة ومقامه ، وقد نشر للتوحيد فيها لدى بعض الناس أعلامه ، وحقق لهم في ذلك الشأن اتقانه واعلامه ، وأوضح لهم سبيله وأحكامه ، فقال ان الدعوة كلها لله ، يكفر من صرف شيئا منها الى سواه ، واذا ذكر أحد بمجلسه بشارات الطواغيت أو الصالحين ، الذين كانوا يعبدونهم مع رب العالمين ، نهاه عن ذلك وزجره ، وبين له الصواب وحذره ، وقال له : محبة الأولياء والصالحين انما هي اتباع هديهم وآثارهم ، والاستنارة بضياء أنوارهم ، لا صرف الحقوق الربانية ، الى الأجسام الوثنية ، وقد وقع ذلك بمجلسه مرة فأبدى للقائل نهيه وزجره ، وأظهر عليه اغلاظه ونكره ، فتغير وجه القائل وجال ، واستغرب ذلك المقال وقال : ان كان ما يقوله حقا هذا الانسان ، فالناس ليسوا على شيء من زمان .

قال رحمه الله : وكان ناس من مشركي البصرة يأتون الي ، بشبهات يلقونها علي ، فأقول وهم قعود لدي : لا تصلح العبادة كلها الا لله ، فيبهت كل منهم فلا ينطق فاه .

ثم رجع بعد ذلك السفر ، فاذا والده عبدالوهاب قد رفض سكنى العيينة وهجر ، واختار سكنى حريملا فأقام بها واستقر . فأقام فيها مع أبيه ، يعلن بالتوحيد ويبديه ، وينادي بابطال دعوة غير الله ويفشيه ، وينصح من عدل عن الحق والرشاد ، ويسلك في ذلك سبيل السداد ، ويزجر الناس عن الشرك والباطل والفساد ، حتى رفع الله شأنه فساد ، وجد رحمه الله في تعليم الواجب وبذل

المناصحة للخاص والعام ، ونشر شرائع الاسلام ، ومهد سنة محمد عليه أفضل الصلاة والسلام ، وأزال ما غطى القلوب ، من رين الشرك الذي هو أعظم الذنوب ، وكشف الذنوب المظلمة للناس ، وأماط أذى اللبس والالتباس ، ويحذرهم ان داموا على ما هم فيه من وقوع النقمة والباس ، ورفض منهج الغلول والخيانة ، وأدى من العلم الأمانة ، وترك ما كان علماء السوء قبله له سالكون ، وفي قعره العميق راكسون ، وفي أرجائه المغبرة ماكثون ، وخشي الوقوع في تغليظ الوعيد ، كما نطق به القرآن المجيد (ان الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب ، أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون) فأي وعيد فوق هذا الوعيد ، وأي تهديد وراء هذا التهديد ؟ كلا ما على لعنة الله من مزيد . فلله دره من جهبذ عالم ، وداع الى التوحيد قائم ، وناصح لله ملازم ، ومجدد لتلك المشاهد السنية والمعالم . ومحي لآثار سلفية لم يبق منها سوى الأطلال والمراسم ، ومميت لبدع رفضية ، شابهت المجوسية ، وأمور شركية ، اعتقدها أكثر البرية ، أمورا حسنة دينية ، فأقاموا لها أعيادا ومواسم ، وعكفوا عليها والأغلب لها سائم ، ولتشييدها والذب عنها رائم ، فانتدب هذا الامام الذي أضحى الحق بهديه مشرقا باسم ، والباطل بحججه مظلما سادم ، مناديا على رءوس العوالم ، باخلاص العبادة لله وتنكير الاشراك والمظالم ، وابطال دعوة غيره من نبي وولي وظالم وحاكم ، فلم يخف في الله لومة لائم ، حتى نال من مولاه المنح العظائم ، والعطايا الكرام الجسائم اهـ .

وأيضا قال فيه :

مهمـــات

(الأولى) أنه ــ رحمه الله ــ لما تظاهر بذلك الأمر والشأن ، في تلك الأوقات والأزمان ، والناس قد أشربت منهم القلوب ، بمحبة المعاصي والذنوب ، وتولعوا بما كانوا عليه من العصيان ، وقبائح الأهواء الغالبة على كل انسان ، لم يسرع له لسان . ولم يصمم منه لب وجنان ، على تكفير أولئك العربان ، بل توقف

تورعا عن الاقدام في ذلك الميـــدان ، حتى نهض عليه جميع العـــدوان ، وماجوا وصاحوا بتكفيره وجماعته في جميع البلدان ، ولم يتثبتوا فيما جاءوا به من الافك والبهتان ، ولم يكترثوا بما حكوا عليه من الزور ، وما اقترفوه من الفجور ، بل كان لهم على شنيــع ذلك المقـــال ، اقدام واسراع واقبـــل ، ولم يأمر بسفك دم ولا قتال ، على أكثر أهل الأهواء والضلال ، حتى بدءوه بالحكم عليه وأصحابه بالقتل والتكفير ، وكان ذلك سبب حسن العاقبة للامام من العليم الخبير ، ومساعدة القضاء له والتدبير ، وشؤم ذلك على الأعداء الذين تمالؤا على ذلك الأمر المبير ، الذي كانت عقباه عليهم الهلاك والتدمير (جزاء بما كانوا يكسبون) (ثم كان عاقبة الذين أساءوا السوءى أن كذبوا بآيات الله وكانوا بها يستهزئون) •

نعم ثبت لدينا ، ونقل نقلا صحيحا الينا ، أنهم هم الذين شهدوا على أنفسهم بذلك وألقوها في مظالم قفر المهالك ، ونظموا أرواحهم مع الكفار في تلك المسالك ، وألحقوها من عند أنفسهم بأولئك ، فقالوا ان كان كفرا الذي نفعل من الدعوات والاعتقادات بأهل القبور ، في تلك الأزمنة الماضية والدهور ، فنحن كفار ضلال ، من غير ريب ولا اشكال • ولقد نهج بتلك الأحوال ذووا الأحلام منا والجهال ، فهم الذين ألزموا أنفسهم بتلك المقالة ، ووسموا أنفسهم بميسم الكفر والضلالة • اهـ

اتهام خصوم الشيخ اياه اثنتى عشرة تهمة وجوابه عنها

قال الشيخ في الرسالة التي كتبها الى عبد الله بن سحيم ما نصه :

اذا تبين هذا فالمسائل التي شنع بها منها ما هو من البهتان الظاهر وهى (قوله) أني مبطل كتب المذاهب ، (وقوله) أني أقول ان الناس من ستمائة سنة ليسوا على شيء ، (وقوله) أني أدعي الاجتهاد ، (وقوله) أني خارج عن التقليد ، (وقوله) أني أقول : ان اختلاف العلماء نقمة ، (وقوله) أني أكفر من توسل بالصالحين ، (وقوله) أني أكفر البوصيري لقوله : يا أكرم الخلق ، (وقوله) أني أقول : لو أقدر على هدم حجرة الرسول صلى الله عليه وسلم لهدمتها ، ولو أقدر على الكعبة لأخذت ميزابها وجعلت لها ميزابا من خشب ، (وقوله) أني أنكر زيارة قبر النبي

صلى الله عليه وسلم ، وأنكر زيارة قبر الوالدين وغيرهم ، وأني أكفر من يحلف بغير الله ، فهذه اثنتا عشرة مسئلة جوابي فيها أن أقول :

(سبحانك هذا بهتان عظيم) ولكن قبله من بهت محمدا صلى الله عليه وسلم أنه يسب عيسى بن مريم ، ويسب الصالحين (تشابهت قلوبهم) ، وبهتوه بأنه يزعم أن الملائكة وعيسى وعزيرا في النار ، فأنزل الله تعالى في ذلك (ان الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون) الآية • اهـ •

تكذيب الشيخ اتهامه بتكفير كل من يخالفه :

وأيضا قال في تلك الرسالة : وأضيف اليها مسألة سادسة وهى افتائي بكفر شمسان وأولاده ومن شابهه ، وتسميتهم طواغيت ، وذلك أنهم يدعون الناس الى عبادتهم من دون الله ، عبادة أعظم من عبـادة اللات والعزى بأضعاف ، وليس في كلامي مجازفة ، بل هو الحق لأن عباد اللات والعزى يعبدونهما في الرخاء ويخلصون لله في الشدة ، وعبادة هؤلاء أعظم من عبادتهم اياهم في شدائد البر والبحر • اهـ •

قال الشيخ حسين بن غنام في روضة الأفكار : وأما قوله : ومن أعظمها أن من لم يوافقه في كل ما قال ويشهد أن ذلك حق يقطع بكفره ، ومن وافقه وصدقه في كل ما قال قال أنت موحد ولو كان فاسقا محضا أو مكاسا ، وبهذا يظهر أنه يدعو الى توحيد نفسه لا الى توحيد الله ، فمراده بذلك أن من وافق الشيخ على توحيد الله وتبرأ من عبـادة الأوثان تاج وشمسان وادريس وقريوه والمغربي وتبرأ من الشرك وأهله سماه موحدا ، ومن لم يوافقه على توحيد الله واخلاص العبادة له بجميع أنواعها واستمر على عبادة المخلوقين مع الله وسب دين الله الذي يدعو اليه هذا الشيخ يقطع بكفره ، وهـذا الخبيث وأشباهه لا يعرفون الشرك في العبـادة ويظنون أن الشرك اذا جعل الانسان مخلوقا مع الله في التدبير والملك والاحيـاء والاماتة والنفع والضر •

وأما كونه يجعـل المخلوقين وسائط بينه وبين الله يدعوهم ويتوكل عليهم ويسألهم قضاء الحاجات وتفريج الكربات ، وقصده بذلك التقرب بهم الى الله وطلب

شفاعتهم ، فهذا عنـد هؤلاء المشركين من أعظم القربات ، وأفضل الطاعات ، ومن أنكر هذا كفروه وبدعوه وخرجوه ونسبوه الى السفه والضلال • ا هـ •

وأيضا قال فيها : وأما قوله ومن وافقه في كل ما قال ، قال أنت موحد ولوكان فاسقا أو مكاسا • فمراده بذلك أن من وافقه على اخلاص العبادة والدعوة لله وتاب وأناب الى الله مما كان يفعله من الشرك بالله ودعوة الصالحين وغيرهم من الأحياء والأموات وعرف معنى قول لا اله الا الله وأنها نفى واثبات ، فشطرها الأول نفى الالهية مطلقا ، والثاني اثباتها لله دون ما سواه من أهل السموات والأرض ومن الأحياء والأموات سماه موحدا ، ولو كان فاسقا أو مكاسا وهو صادق في ذلك • وذلك أن الانسان اذا عرف التوحيد وشهد أن لا اله الا الله ، وأن محمدا رسول الله صدقا من قلبه والتزم مضمون هاتين الشهادتين ، فهو عند الشيخ رحمه الله مؤمن موحد ولو كان فاسقا أو مكاسا ، وكذلك عند سائر العلماء من أهل السنة والجماعة • وذلك أن الانسان اذا دخل في الاسلام وحكم باسلامه لا يخرجه من الاسلام ما يفعله من الكبائر كالسرقة والزنا وشرب المسكر ، وأخذ الأموال ظلما وعدوانا ، وانما يخرجه من الاسـلام الى الكفر الشرك بالله وانكار ما جـاء به الرسول من الدين بعد معرفته بذلك واقامة الحجة عليه • ا هـ •

اتخاذ الوسائط بين الله وعباده كفر بشرطه :

وقال الشيخ في الرسالة التي كتبها الى سليمان بن سحيم : وأما الثانية وهى أن الذي يجعل الوسائط هو الكافر ، وأما المجعول فلا يكفر ، فهذا كلام تلبيس وجهالة ، ومن قال ان عيسى وعزيرا وعلى بن أبي طالب وزيد بن الخطاب وغيرهم من الصالحين يلحقهم نقص بجعل المشركين اياهم وسائط ؟ حاشا وكلا : (ولا تزر وازرة وزر أخرى) •

وانا كفرنا هؤلاء الطواغيت أهل الخرج وغيرهم بالأمور التي يفعلونها هم : (منها) أنهم يجعلون آباءهم وأجدادهم وسائط ، (ومنها) أنهم يدعون الناس الى الكفر ، (ومنها) أنهم يبغضون عند الناس دين محمد صلى‌الله‌عليه وسلم ويزعمون أهل العارض كفروا لمـا قالوا لا يعبد الا الله ، وغير ذلك من أنواع الكفر ، وهذا

أمر أوضح من الشمس لا يحتاج الى تقرير ، ولكن أنت رجل جاهل مشرك مبغض لدين الله وتلبس على الجهال الذين يكرهون دين الاسلام ويحبون الشرك ودين آبائهم ، والا فهؤلاء الجهال لو أن مرادهم اتباع الحق عرفوا أن كلامك من أفسد ما يكون •

مسألة عدم تكفير المسلم بالذنب :

وأما المسألة الثالثة وهي من أكبر تلبيسك الذي تلبس به على العوام أن أهل العلم قالوا لا يجوز تكفير المسلم بالذنب ، وهذا حق ، ولكن ليس هذا مما نحن فيه • وذلك أن الخوارج يكفرون من زنى أو سرق أو سفك الدم ، بل كل كبيرة اذا فعلها المسلم كفر •

وأما أهــل السنة فمذهبهم أن المسلم لا يكفر الا بالشرك ، ونحن ما كفرنا الطواغيت وأتباعهم الا بالشرك ، لكنك رجل من أجهل الناس تظن أن من صلى وادعى أنه مسلم لا يكفر ، فاذا كنت تعتقد ذلك فما تقول في المنافقين الذين يصلون ويصومون ويجاهدون ؟ قال الله تعــالى فيهم (ان المنافقين في الدرك الأسفل من النــار) •

وما تقول في الخــوارج الذين قال فيهم رســول الله صلى الله عليه وسلم « لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد ، أينما لقيتموهم فاقتلوهم » أتظنهم ليسوا من أهل القبلة ؟ •

ما تقول في الذين اعتقدوا في علي بن أبي طالب رضى الله عنه مثــل اعتقاد كثير من الناس في عبد القادر وغيره ، فأضرم لهم علي بن أبي طالب رضى الله عنه نارا فأحرقهم بها ، وأجمعت الصحابة على قتلهم ، لكن ابن عباس رضى الله عنهما أنكر تحريقهم بالنار وقال : يقتلون بالسيف ، أتظن أن هؤلاء ليسوا من أهــل القبلة ؟ أم أنت تفهم الشرع ، وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يفهمونه؟ ارأيت أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لمــا قاتلوا من منع الزكاة ، فلما أرادوا التوبة قال أبو بكر : لا نقبــل توبتكم حتى تشهدوا أن قتلانا في الجنــة وقتلاكم في النــار •

وقال الشيخ في الرسالة التي كتبها الى عبد الرحمن بن عبد الله : منها ماذكرتم أني أكفر جميع الناس الا من اتبعني وأزعم أن أنكحتهم غير صحيحة ، ويا عجبا كيف يدخل هـذا في عقـل عاقل ؟ هل يقـول هـذا مسلم أو كافر أو عارف أو مجنون ؟ اهـ .

وأيضا قال الشيخ في جواب مسألة : وأما الكذب والبهتان فمثل قولهم انا نكفر بالعموم ، ونوجب الهجرة الينا على من قدر على اظهار دينه ، وانا نكفر من لم يكفر ولم يقاتل ، ومثل هذا واضعاف اضعافه ، فكل هذا من الكذب والبهتـان الذي يصدون به عن دين الله ورسوله .

واذا كنا لا نكفر من عبد الصنم الذي على قبر عبد القادر والصنم الذي على قبر أحمد البدوي وامثالهما لأجل جهلهم وعدم من ينبههم فكيف نكفر من لم يشرك بالله اذا لم يهاجر الينا أو لم يكفر ويقاتل ؟ سبحانك هذا بهتان عظيم . اهـ .

وقال الشيخ في الرسالة التي كتبها لأهل مكة بعد مناظرتهم : اذا عرف هـذا فالذي نعتقده وندين الله به أن من دعا نبيا أو وليـا أو غيرهما وسأل منهم قضاء الحاجات وتفريج الكربات ان هذا من اعظم الشرك الذي كفر الله به المشركين حيث اتخذوا اولياء وشفعاء ، ويستجلبون بهم المنافع ويستدفعون بهم المضار بزعمهم ، قال الله تعالى (ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله) .

فمن جعـل الأنبياء أو غيرهم كابن عباس أو المحجوب أو أبي طالب وسائط يدعوهم ويتوكل عليهم ويسألهم جلب المنـافع بمعنى أن المخلوق يسـألهم وهم يسألون الله ، كما أن الوسائط عند الملوك يسألون الملوك حوائج الناس لقربهم منهم ، والناس يسألونهم ادبا منهم أن يباشروا سؤال الملك ، أو لكونهم اقرب الى الملك ، فمن جعلهم وسائط على هذا الوجه فهو كافر مشرك حلال الدم والمال .اهـ.

قال الشيخ عبد الله ابن الشيخ محمد بن عبد الوهـاب في ديباجة رسـالة اختصرت من الرسائل المؤلفة للشيخ [1] :

---

(1) قول المنقول من تلك الرسالة هنا الى قوله اعلم على (الهدية السنية)

أما بعد فانا معاشر غزو الموحدين لما من الله علينا وله الحمد بدخول مكة المشرفة نصف النهار يوم السبت ثامن شهر المحرم الحرام سنة ١٢١٨ بعد أن طلب اشراف مكة وعلماؤها وكافة العامة من أمير الغزو سعود حماه الله الأمان ، وقد كانوا تواطؤا مع أمراء الحجيج وأمير مكة على قتاله أو الاقامة في الحرم الشريف ليصدوه عن البيت ، فلما زحفت أجناد الموحدين ألقى الله الرعب في قلوبهم فتفرقوا شذر مذر ، كل واحد يعد الاياب غنيمة ، وبذل الأمير حينئذ الأمان لمن بالحرم الشريف ، ودخلنا شعارنا التلبية آمنين محلقين رءوسنا ومقصرين ، غير خائفين من أحد من المخلوقين ، بل من مالك يوم الدين ، ومن حين دخل الجند الحرم وهم على كثرتهم مضبوطون متأدبون ، لم يعضدوا به شجرة ، ولم ينفروا به صيدا ، ولم يريقوا دما الا دم الهدى أو ما أحل الله من بهيمة الأنعام على الوجه المشروع .

ولما تمت عمرتنا جمعنا الناس ضحوة الأحد وعرض الأمير عافاه الله تعالى على العلماء ما نطلب من الناس ونقاتلهم عليه ، وهو اخلاص التوحيد لله تعالى وحده ، وعرفهم أنه لم يكن بيننا وبينهم خلاف له وقع الا في أمرين :

(أحدهما) اخلاص التوحيد لله تعالى ومعرفة أنواع العبادة وأن الدعاء من جملتها ، وتحقيق معنى الشرك الذي قاتل الناس عليه نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، واستمر دعاؤه برهة من الزمان بعد النبوة الى ذلك التوحيد ، وترك الاشراك ، قبل أن تفرض عليه أركان الاسلام الأربعة .

و (الثاني) الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي لم يبق عندهم الا اسمه ، وانمحى أثره ورسمه ، فوافقونا على استحسان ما نحن عليه جملة وتفصيلا ، وبايعوا ذلك الأمير على الكتاب والسنة ، وقبل منهم وعفا عنهم كافة ، فلم يحصل على أحد منهم أدنى مشقة ، ولم يزل يرفق بهم غاية الرفق لا سيما العلماء ، ويقرر لهم حال اجتماعهم وحال انفرادهم لدينا أدلة ما نحن عليه ، ويطلب منهم المناصحة والمذاكرة، وبينا لهم الحق ، وعرفناهم بأن صرح لهم الأمير حال اجتماعهم بأنا قابلون ماوضحوا برهانه من كتاب أو سنة أو أثر عن السلف الصالح ، كالخلفاء الراشدين المأمورين باتباعهم بقوله صلى الله عليه وسلم « فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي » ، وعن الأئمة الأربعة المجتهدين ، ومن تلقى العلم عنهم الى آخر القرن

الثالث ، لقوله صلى الله عليه وسلم « خيركم قرني ، ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم » ، وعرفناهم أنا دائرون مع الحق أينما دار ، وتابعون للدليل الجلي الواضح ، ولا نبالي حينئذ بمخالفة ما سلف عليه من قبلنا ، فلم ينقموا علينا أمرا فألححنا عليهم في مسألة طلب الحاجات من الأموات ان بقي لديهم شبهة ، فذكر بعضهم شبهة أو شبهتين ، فرددناها بالدلائل القاطعة من الكتاب والسنة ، حتى أذعنوا ، ولم يبق عند أحد منهم شك ولا ارتياب فيما قاتلنا الناس عليه أنه الحق الجلي الذي لا غبار عليه ، وحلفوا لنا الأيمان المعقدة من دون استحلاف لهم على انشراح صدورهم وجزم ضمائرهم ، أنه لم يبق لديهم شك فيمن قال : يا رسول أو يابن عباس ، أو يا عبد القادر أو غيرهم من المخلوقين طالبا بذلك دفع شر أو جلب خير ، من كل ما لا يقدر عليه الا الله تعالى ، من شفاء المريض والنصر على العدو ، والحفظ من المكروه ونحو ذلك أنه مشرك الشرك الأكبر يهدر دمه ويبيح ماله ، وان كان يعتقد أن الفاعل المؤثر في تصريف الكون هو الله تعالى ، لكنه يقصد المخلوقين بالدعاء متشفعا بهم ومتقربا لهم ، لقضاء حاجته من الله بسرهم وبشفاعتهم له فيها أيام البرزخ ، وأن ما وضع من البناء على قبور الصالحين صارت في هذه الأزمان أصناما ، تقصد لطلب الحاجات ، ويتضرع عندها ويهتف بأهلها في الشدائد كما كانت تفعله الجاهلية الأولى .

وكان من جملتهم مفتي الحنفية الشيخ عبد الملك القليعي وحسين المغربي مفتي المالكية ، وعقيل بن يحيى العلوي ، فبعد ذلك أزلنا جميع البناء على القبور وغيرها حتى لم يبق في البقعة الطاهرة طاغوت يعبد ، فالحمدلله على ذلك ، ثم رفعت المكوس والرسوم ، وكسرت آلات التنباك ونودي بتحريمه ، وأحرقت أماكن الحشاشين والمشهورين بالفجور ، ونودي بالمواظبة على الصلاة في الجماعات ، وعدم التفرق في ذلك ، بأن يجتمعوا في كل صلاة على امام واحد يكون ذلك الامام من أحد المقلدين للأربعة رضوان الله عليهم . واجتمعت الكلمة حينئذ ، وعبد الله وحده وحصلت الألفة ، وسقطت الكلفة ، وأمر عليهم ، واستتب الأمن من دون سفك دم ولا هتك عرض ، ولا مشقة على أحد . والحمد لله رب العالمين .

ثم دفعت لهم الرسائل المؤلفة للشيخ محمد رحمه الله في التوحيد المتضمنة

للبراهين وتقرير الأدلة على ذلك بالآيات المحكمة ، والأحاديث المتواترة مما يثلج الصدر •

واختصر من ذلك رسالة مختصرة للعوام ، تنشر في مجالسهم وتدرس في محافلهم ، ويبين لهم العلماء معانيها ليعرفوا التوحيد فيتمسكوا بعروته الوثيقة ، ويتضح لهم الشرك ، فينفروا عنه وهم على بصيرة آمنين • اهـ •

ثم نقل تلك الرسالة وفيها : فاذا عرفت هذه فاعرف أن المشركين الذين كانوا في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخف شركا من عباد [1] مشركي زمننا ، لأن أولئك كانوا يخلصون [2] لله في الشدائد وهؤلاء يدعون مشايخهم في الشدة والرخاء ، والله المستعان •

وكان فيمن حضر مع علماء مكة وشاهد غالب ما صار حسين بن محمد بن الحسين الابريقي الحضرمي ثم الحياني ، ولم يزل يتردد علينا ويجتمع بسعود وخاصته من أهل المعرفة ويسأل عن مسألة الشفاعة التي جرد السيف بسببها دون حياء ولا خجل لعدم سابقة جرم له ، فأخبرناه بأن مذهبنا في أصول الدين مذهب أهل السنة والجماعة ، وطريقتنا طريقة السلف التي هى الطريق الأسلم والأعلم والأحكم خلافا لمن قال طريقة الخلف أعلم • اهـ •

وأيضا فيها : وأما ما يكذب علينا سترا للحق ، وتلبيسا على الخلق ، بأنا نفسر القرآن برأينا ، ونأخذ من الحديث ما وافق فهمنا ، من دون مراجعة شرح ، ولا نعول على شيخ ، وأنا نضع من رتبة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم بقولنا : النبي رمة في قبره ، وعصا أحدنا أنفع له منه • وليس له شفاعة ، وأن زيارته غير مندوبة ، وأنه كان لا يعرف معنى لا اله الا الله حتى أنزل عليه (فاعلم انه لا اله الا الله) مع كون الآية مدنية ، وأنا لا نعتمد أقوال العلماء ، ونتلف مؤلفات أهل المذاهب لأن فيها الحق والباطل ، وأنا مجسمة ، وأنا نكفر الناس على الاطلاق ومن بعد الستمائة ، الا من هو على ما نحن عليه ، ومن فروع ذلك أنا لا نقبل بيعة أحد حتى نقرر عليه بأنه كان مشركا ، وأن أبويه ماتا على الاشراك بالله ، وأنا ننهى عن

(١) في الاصل عقلاء
(٢) في نسخة يخضعون

الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ، ونحرم زيارة القبور المشروعة مطلقا ، وأن من دان بما نحن عليه سقط عنه جميع التبعات حتى الديون ، وأنا لا نرى حقا لأهل البيت رضوان الله عليهم ، وأنا نجبر على تزويج غير الكفء لهم . وأنا نجبر بعض الشيوخ على فراق زوجته الشابة لتنكح شابا اذا تدافعوا لدينا فلا وجه لذلك ، فجميع هذه الخرافات وأشباهها لما استفهمنا عنها من ذكر أولا كان جوابنا عليه في كل مسألة من ذلك (سبحانك هذا بهتان عظيم) فمن روى عنا شيئا من ذلك أو نسبه الينا فقد كذب علينا وافترى : ومن شاهد حالنا ورأى مجلسنا ، وتحقق ما عندنا علم قطعا أن جميع ذلك وضعه علينا جماهير أعداء الدين ، واخوان الشياطين ، تنفيرا للناس عن الاذعان لاخلاص التوحيد لله بالعبادة ، فانا نعتقد أن من فعل أنواعا من الكبائر كالقتل للمسلم بغير حق والزنا والربا وشرب الخمر وتكرر ذلك منه لا يخرج بفعل ذلك عن دائرة الاسلام ، ولا يخلد به في دار الانتقام ، اذا كان موحدا لله في جميع أنواع العبادة . اهـ .

وأيضا فيها : ان قال قائل منفر عن قبول الحق والاذعان له : يلزم من تقريركم وقطعكم في أن من قال : يا رسول الله أسألك الشفاعة أنه مشرك مهدر الدم أن يقال يكفر غالب الأمة ولا سيما المتأخرين لتصريح علمائهم المعتبرين بأن ذلك مندوب ، وشنوا الغارة على من خالف ذلك . قلت : لا يلزم ذلك لأن لازم المذهب ليس بمذهب كما هو مقرر ، ومثل ذلك لا يلزم أن نكون مجسمة وان قلنا بجهة العلو كما ورد الحديث بذلك ، ونحن نقول فيمن مات (تلك أمة قد خلت) ولا نكفر الا من بلغته دعوتنا ووضحت له المحجة ، وقامت عليه الحجة وأصر مستكبرا معاندا ، كغالب من نقاتلهم اليوم يصرون على ذلك الاشراك ويمتنعون من فعل الواجبات . ويتظاهرون بأفعال الكبائر المحرمات ، وغير الغالب انما نقاتله لمناصرته لمن هذا حاله ورضاه به ، وبتكثير سواد من ذكر والتغليب معه فله حينئذ حكمه في حل قتاله ، ونعتذر عمن مضى بأنهم مخطئون معذورون ، لعدم عصمتهم من الخطأ ، والاجماع في ذلك قطعا ، ومن شن الغارة فقد غلط ، ولا بدع أن يغلط فقد غلط من هو خير منه مثل عمر بن الخطاب . فلما نبهته امرأة رجع في مسألة المهر وفي غير ذلك ، يعرف ذلك في سيرته ، بل غلط الصحابة وهم جمع ونبينا محمد

صلى الله عليه وسلم بين أظهرهم سار فيهم نوره فقالوا : اجعل لنا ذات أنواط ، فردهم .

فان قلت : هـذا فيمن ذهل ولما نبه انتبه ، فما القول فيمن حرر الأدلة ، واطلع على كلام الأئمة القدوة ، فاستمر مصرا على ذلك الى أن مات ؟ .

قلت : ولا مانع أن يعتذر لمن ذكر ولا نقول انه كافر ، أولا ، لما تقدم أنه مخطىء ، وان استمر على خطئه ، لعدم من يناضل عن هذه المسألة في وقته بلسانه وسيفه وسنانه ، فلم تقم عليه حجة ، ولا وضحت له المحجة ، بل الغالب على زمن المؤلفين المذكورين التواطؤ على هجر كلام أئمة السنة في ذلك رأسا ، ومن اطلع عليه أعرض عنه قبل أن يتمكن في قلبه ، ولم تزل أكابرهم تنهى أصاغرهم عن مطلق النظر في ذلك ، وصولة الملوك قاهرة لمن وقر في قلبه شيء من ذلك الا من شاء الله منهم .

هذا وقد روي عن معاوية وأصحابه منابذة أمير المؤمنين على بن أبي طالب بل وقتاله ومناجزته الحرب وهم في ذلك مخطئون اجماعا ، واستمروا على ذلك الخطأ حتى ماتوا ولم يشتهر عن أحد من السلف تكفير أحد منهم اجماعا ولا تفسيقه ، بل أثبتوا لهم أجر الاجتهاد وان كانوا مخطئين كما ذلك مشهور عند أهل السنة . ونحن كذلك لا نقول بكفر من صحت دياتته وشهر صلاحه وعلم ورعه وزهده ، وحسنت سيرته ، وبالغ في نصح الأمة ، ببذل نفسه في تدريس العلوم النافعة والتأليف فيها ، وان كان مخطئا في هذه المسألة أو غيرها ، كابن حجر الهيتمي ، فانا نعلم كلامه في (الدر المنظم) ولا ننكر سعة علمه ، ولهذا نعتنى بكتبه كشرح الأربعين والزواجر وغيرهما ، ونعتمد على نقله اذا نقل لأنه من جملة علماء المسلمين .

هذا ما نحن عليه مخاطبين به من له عقل أو علم ، وهو متصف بالانصاف ، خال عن الميل الى التعصب والاعتساف ، ينظر الى ما يقال لا الى من قال ، وأما من شأنه لزوم مألوفه وعادته ، سواء كان حقا أو غير حق ، مقلدا لمن قال تعالى فيهم (انا وجدنا آباءنا على أمة وانا على آثارهم مقتدون) وعادته وجبلته أن يعرف الحق بالرجال لا الرجال بالحق ، فلا نخاطبه وأمثاله الا بالسيف حتى يستقيم أوده ويصلح معوجه ، فجنود التوحيد منصورة ، وراياتهم بالسعد منشورة (وسيعلم

الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون) وان حزب الله هم الغالبون (وكان حقا علينا نصر المؤمنين) (والعاقبة للمتقين) • ا هـ •

قل بعض أهل التحقيق [1] في الرد على بعض معاصريه : وقد رأيت لبعض المعاصرين كتابا يعارض به ما قرره شيخنا من أصول الدين ، ويجادل بمنع تضليل عباد الأولياء والصالحين ، ويناضل عن غلاة الرافضة والمشركين ، الذين أنزلوا العباد بمنزلة الله رب العالمين ، وأكثر التشبيه بأنهم من الأمة ، وأنهم يقولون لا اله الا الله، وأنهم يصلون ويصومون ، ونسى في ذلك عهود الحمى ، وما قرره كافة الراسخين من العلما ، وأجمع عليه الموافق والمخالف من الجمهور والدهما ، ونص عليه الأكابر والخواص ، من اشتراط العلم والعمل في الاتيان بكلمة الاخلاص ، والحكم ، بموجب الردة على فاعل ذلك من سائر العبيد والأشخاص ، وسمى كتابه (جلاء الغمة عن تكفير هذه الأمة) ومراده بالأمة هنا من عبد آل البيت وغلافيهم وعبد الصالحين ودعاهم واستغاث بهم ، وجعلهم وسائط بينه وبين الله يدعوهم ويتوكل عليهم • هذا مراده ، ولكنه أوقع عليهم لفظ الأمة ترويجا على الأغمار والجهال ، ولبسا للحق بالباطل ، وهو يعلم ذلك ، وسيجزيه الله ما وعد به أمثاله من المفترين ، قال الله تعالى (ان الذين اتخذوا العجل سينالهم غضب من ربهم وذلة في الحياة الدنيا وكذلك نجزي المفترين) فلكل مفتر نصيب حسب جرمه ، وعلى قدر ذنبه ، وقد رأيت على هـذا الرجل من الذلة والمهانة مدة حياته ما هو ظاهر بين يعرفه من عرفه •

فصل

قال المعترض : قد ابتلى الله أهل نجد بل جزيرة العرب بمن خرج عليهم ولم يتخرج على العلماء الأمناء ، كما صح عندنا وثبت عن مشايخنا الأمجاد النقاد ، وسعى بالتكفير للأمة خاصها وعامها ، وقاتلها على ذلك جملة الا من وافقه على قوله ، لما وجد من يعينه على ذلك بجهله •

(١) هو الشيخ عبد اللطيف بن الشيخ عبد الرحمن بن حسن في كتابه (مصباح الظلام) في الرد على صاحب (كشف الغمة) عثمان بن منصور . ا هـ من حاشية خطية على الأصل •

و (الجواب) أن يقال : انه من المعلوم عند كل عاقل خبر النـاس وعرف أحوالهم وسمع شيئا من أخبارهم وتواريخهم أن أهل نجد وغيرهم ممن تبع دعوة الشيـخ واستجاب لدعوته من سكان جزيرة العـرب كانوا على غاية من الجهالة والضلالة ، والفقر والعالة ، لا يستريب في ذلك عاقل ، ولا يجادل فيه عارف ، كانوا من أمر دينهم في جاهلية ، ويدعون الصالحين ، ويعتقدون في الأشجار والأحجار والغيران [1] يطوفون بقبور الأولياء ويرجون الخير والنصر من جهتها ، وفيهم من كفر الاتحادية والحلولية ، وجهالة الصوفية ما يرون أنه من شعب الايمان والطريقة المحمدية ، وفيهم من اضاعة الصلوات ، ومنـع الزكاة ، وشرب المسكرات ما هو معروف مشهور . فمحا الله بدعوته شعار الشرك ومشاهده ، وهدم به بيوت الكفر والشرك ومعابده ، وكبت الطواغيت والملحدين . وألزم من ظهر عليه من البوادي وسكان القرى بما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم من التوحيد والهدى ، وكفر من أنكر البعث واستراب فيه من أهل الجهالة والجفا ، وأمر باقام الصلاة وايتاء الزكاة ، وترك المنكرات والمسكرات ، ونهى عن الابتداع في الدين ، وأمر بمتابعة السلف المـاضين ، في الأصول والفروع من مسائل الدين . حتى ظهر دين الله واستعلن ، واستبان بدعوته منهاج الشريعة والسنن ، وقام قائم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . وحدت الحدود الشرعية ، وعزرت التعـازير الدينية ، وانتصب علم الجهاد ، وقاتل لاعلاء كلمة الله أهل الشرك والفساد ، حتى سارت دعوته ، وثبت نصحه لله ولكتابه ولرسوله ولعامة المسلمين ولأئمتهم ، وجمع الله به القلوب بعد شتاتها ، وتألفت بعد عداوتها ، وصاروا بنعمة الله اخوانا ، فأعطاهم الله بذلك من النصر والعز والظهور ، ما لا يعرف مثله لسكان تلك الفيافي والصخور ، وفتح عليهم الأحساء والقطيف ، وقهروا سائر العرب من عمان الى عقبة مصر ، ومن اليمن الى العراق والشام ، دانت لهم عربها ، وأعطوا الزكاة ، فأصبحت نجد تضرب اليها أكباد الابل في طلب الدين والدنيا ، وتفتخر بما نالها من العـز والنصر والاقبـال والسنا ، كما قال عالم صنعاء وشيخها :

قفي واسـألي عن عالم حل سوحها	به يهتدى من ضل عن منهج الرشد
محمـد الهـادي لسنـة أحمـد	فيا حبذا الهادي ويا حبذا المهدي

---

(1) الغيران جمع غار . ا هـ من الأصل .

لقد سرني ما جاءني من طريقه وكنت أرى هذي الطريقة لي وحدي

وقال عالم الأحساء وشيخها :

لقد رفع المولى به رتبة الهدى بوقت به يعلو الضلال ويرفع
وجرت به نجد ذيول افتخارها وحق لها بالألمعي ترفع

وهذا في أبيات لهما لا نطيل بذكرها ، وقد شهد غيرهما بمثل ذلك ، واعترفوا بعلمه وفضله وهدايته ، وقد قال الله تعالى (قل أرأيتم ان كان من عند الله وكفرتم به وشهد شاهد من بني اسرائيل على مثله فآمن واستكبرتم ان الله لا يهدي القوم الظالمين) •

وما أحسن ما قاله قتادة عن حال أول هذه الأمة : ان المسلمين لما قالوا لا اله الا الله أنكر ذلك المشركون وكبر عليهم ، فأبى الله الا أن يمضيها وينصرها ، ويظهرها على من ناوأها ، انها كلمة من خاصم بها فلج ومن قاتل بها نصر ، انما يعرفها أهل هذه الجزيرة من المسلمين ، التي يقطعها الراكب في ليال قلائل ، ويسير الراكب الدهر في فئام من الناس لا يعرفونها ولا يقرون بها •

وهذا المعترض [1] عاش في ظل ذلك ، وتولى القضاء ، وصارت له الرياسة عند أهل محلته بانتسابه الى هذا الدين ، ودعواه محبة الشيخ ، وأنه شرح بعض كتبه ، ومع ذلك تجرد لمسبته ومعاداته ، وجحد ما جاء به وقرره من الهدى ودين الحق ، قال الله تعالى (وهم ينهون عنه وينأون عنه وان يهلكون الا أنفسهم وما يشعرون) •

وقال بعضهم :

وما ضر نور الشمس ان كان ناظرا اليها عيون لم تزل دهرها عميا

ولا ينكر ما قررناه الا مكابر في الحسيات ، ومباهت في الضروريات ، يرى أن عبادة الصالحين ودعاءهم ، والتوكل عليهم ، وجعلهم وسائط بينهم وبين الله ، مما جاءت به الرسل ، ونزلت به الكتب ، وأنه هو الاسلام ، وأهله هم الأمة

(١) هو عثمان بن منصور الذي تقدم ذكره في صفحة ٤٢٢ ، وكتبه محمد رشيد رضا •

المحمدية ، ومن أنكر عليهم وضللهم فهو خارج مارج ، كما قال هذا الرجل وصاحبه ابن سند في منظومته التي أنشدها لمـا استولت العساكر المصرية على بلاد الدرعية :

لقـد فتحت للدين أعينه الرمـد

ثم أخذ في سب المسلمين وتضليلهم والشماتة بهم ، ومدح من عبد الصالحين ودعاهم مع الله وجعلهم أندادا تعبد •

وقد أجابه الزكي الأديب ، الشيخ أحمد بن مشرف ، بمنظومة ذكر فيها حال العسـاكر المصرية ، وما اشتهـر عنهـم من اللواطة والشركيات ، والـزنا وشرب المسكرات ، واضاعة الصلاة ، ثم أنشد في أثناء رده :

فان كان هذا عندك الرشد والهدى   لقـد فتحت للدين أعينه الرمـد

وبالجملة فلا يقول مثل هذا في الشيخ رحمه الله الا رجل مكابر ، لا يتحاشى من البهت والافتراء ، والى الله ترجع الأمور وعنده تنكشف السرائر •

زعمه أن الشيخ لم يتخرج على العلماء الأمناء

وأما قوله « ولم يتخرج على العلماء الأمناء » فهذه الدعوى الضالة نشأت من سوء المعتقد وخبث الطوية ، وهذا الرجل لا زمام ولا خطام لأكاذيبه وأباطيله ، يرسلها حيث يشاء ، ويكابر أهل العلم ولا يتحاشى ، وقد عرف طلب الشيخ للعلم ورحلته في تحصيله كما ذكره صاحب التاريخ الشيخ حسين بن غنام الأحسائي • وقد اجتمع بأشياخ الحرمين في وقته ومحدثيهما وأجازه بعضهم ، ورحل الى البصرة وسمع وناظر والى الأحساء ، وهي اذ ذاك آهلة بالعلماء ، فسمع من أشياخها وباحث في أصول الدين ، ومقالات الناس في الايمان وغيره ، وسمع من والده ومن فقهاء نجد في وقته ، واشتهر عندهم بالعلم والذكاء ، وعرف به على صغر سنه ، وأيضـا فقد كان أهـل العلم ـ سلفا وخلفا ـ يسمعون الأحاديث ويروونها ، ويحفظون السنن ويستنبطون منها الأحكام ، وهذا عندهم هو الغاية التي يرحل اليها المحدثون، وينتهي اليها الطالبون ، وليس من عادتهم القراءة في كتب الرأي والفروع ، كما هو المعروف عند الناس • رحل الشافعي الى المدينة ، وسمع الموطأ وتصدى للفتيا ، وأنكر على من لم يطمئن في صلاته لمـا دخل مسجد محمد بن الحسن بالكوفة ،

ولم يسمع من مالك ولا غيره كتابا في الرأي والمذهب ، وهكذا غيره من أهل العلم والفتوى •

وأما قوله « كما صح وثبت عن مشايخنا الأمجاد النقاد » فجوابه أن هذه الدعوى في مشايخه كل يدعيها ، فالقدرية والرافضة والجهمية والمعتزلة ، وغلاة عباد القبور ، يرون أن مشايخهم أمجاد نقاد ، يؤخذ عنهم ويحفظ عنهم • ويسمون أهل السنة والجماعة ، وأهل الحديث حشوية مجسمة ، وناصبة ومجبرة ، وعباد القبور يسمون الموحدين متنقصة للأنبياء والصالحين ، ويقرر ذلك أشياخ كل طائفة وأتباعهم ، يرون أنهم بذلك أمجاد نقاد ، ولو يعطى الناس بدعواهم لادعى رجال دماء قوم وأموالهم ، قال تعالى (وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا أو نصارى ، تلك أمانيهم ، قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين) •

اذا عرفت هذا فمشايخ هذا الرجل — الذين أثنى عليهم — من أكابر المعاندين ، ورءوس المخلفين ، وقد عرف ذلك عن ابن سند وابن سلوم وأمثالهما من أشياخه الذين كثر في هذا الباب سبابهم ، وغلظ عن معرفة الله ومعرفة حقه حجابهم •

افتراؤه على الشيخ تكفير الأمة الا من وافقه

وأما قوله « فسعى بالتكفير للأمة خاصها وعامها ، وقاتلها على ذلك جملة الا من وافقه على قوله » فهذه العبارة تدل على تهور في الكذب ، ووقاحة تامة ، وفي الحديث « ان مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى : اذا لم تستح فاصنع ما شئت » •

وصريح هذه العبارة أن الشيخ كفر جميع الأمة [1] من المبعث النبوي الى قيام الساعة ، الا من وافقه على قوله الذي اختص به ، وهل يتصور هذا عاقل عرف

(١) وزعم غير هذا المعترض أنه كفر الأمة منذ مئات من السنين ، لا من أولها كما اقتضاه اطلاقه ، بل منذ فشا فيها تشييد القبور ، وبناء المساجد عليها ، والطواف بها ، ودعاء الموتى ، فان هذا لم يكن في القرون الأولى ، ولكن الحق الواقع أن الشيخ لم يكفر الأمة كلها في زمنه ، فضلا عما قبله ، وانما كفر من أشرك بالله بغير عذر الجهل • وكتبه محمد رشيد رضا •

حال الشيخ ، وما جاء به ودعا اليه ، بل أهل البدع كالقدرية والجهمية والرافضة والخوارج لا يكفرون جميع من خالفهم ، بل لهم أقوال وتفاصيل يعرفها أهل العلم . والشيخ رحمه الله لا يعرف له قول انفرد به عن سائر الأمة ، ولا عن أهل السنة والجماعة منهم ، وجميع أقواله في هذا الباب ـ أعني ما دعا اليه من توحيد الأسماء والصفات وتوحيد العمل والعبادات ـ مجمع عليه عند المسلمين ، لا يخالف فيه الا من خرج عن سبيلهم ، وعدل عن مناهجهم ، كالجهمية والمعتزلة ، وغلاة عباد القبور ، بل قوله مما اجتمعت عليه الرسل ، واتفقت عليه الكتب ، كما يعلم ذلك بالضرورة من عرف ما جاءوا به وتصوره ، ولا يكفر الا على هذا الأصل ، بعد قيام الحجة المعتبرة ، فهو في ذلك على صراط مستقيم متبع لا مبتدع ، وهذا كتاب الله ، وسنة رسوله ، وكلام أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن بعدهم من أهل العلم والفتوى معروف مشهور ، مقرر في محاله ، في حكم من عدل بالله وأشرك به ، وتقسيمهم الشرك الى أكبر وأصغر ، والحكم على المشرك الشرك الأكبر بالكفر مشهور عند الأمة ، لا يكابر فيه الا جاهل لا يدري ما الناس فيه من أمر دينهم وما جاءت به الرسل .

وقد أفرد هذه المسألة بالتصنيف غير واحد من أهل العلم ، وحكى الاجماع عليها ، وأنها من ضروريات الاسلام ، كما ذكره تقي الدين ابن تيمية وابن قيم الجوزية وابن عقيل ، وصاحب الفتاوي البزازية ، وصنع الله الحلبي والمقريزي الشافعي ومحمد بن حسين النعمي الزبيدي ، ومحمد بن اسماعيل الصنعاني ، ومحمد بن على الشوكاني وغيرهم من أهل العلم [١] .

افتراؤه عليه جعل بلاد المسلمين دار كفر

وأما قوله « وجعل بلاد المسلمين كفارا أصليين » فهذا كذب وبهت ما صدر ولا قيل ، ولا أعرفه عن أحد من المسلمين ، فضلا عن أهل العلم والدين ، بل كلهم مجمعون على أن بلاد المسلمين لها حكم الاسلام ، في كل مكان وزمان ، وانما تكلم الناس في بلاد المشركين الذين يعبدون الأنبياء والملائكة والصالحين ، ويجعلونهم

(١) يعنى أن هؤلاء وأمثالهم صرحوا بأن ما عليه كثير من المسلمين الجاهلين من عبادة القبور ودعاء الموتى شرك جلى ، وأما أصل المسألة فقد أجمع عليها الفقهاء قبلهم .

أندادا لله رب العالمين ، ويسندون اليهم التصرف والتدبير كغلاة القبوريين ، فهؤلاء تكلم الناس في كفرهم وشركهم وضلالهم ، والمعروف المتفق عليه عند أهل العلم أن من فعل ذلك ممن يأتي بالشهادتين يحكم عليه بعد بلوغ الحجة بالكفر والردة ، ولم يجعلوه كافرا أصليا ، وما رأيت ذلك لأحد سوى محمد بن اسماعيل في رسالته تجريد التوحيد ، المسمى (بتطهير الاعتقاد) وعلل هـذا القول بأنهم لم يعرفوا ما دلت عليه كلمة الاخلاص ، فلم يدخلوا بها في الاسلام ، مع عدم العلم بمدلولها ، وشيخنا لا يوافقه على ذلك ، ولكن هذا المعترض لا يتحاشى من الكذب ، ولو كان من الميتـة والموقوذة والمتردية ، وما رأيت شيخ الاسـلام أطلق على بلد من بلاد المنتسبين الى الاسـلام أنها بلد كفـر ، ولكنه قـرر أن دعاء الصالحين وعبادتهم بالاستعانة والاستغاثة والذبح والنذر والتوكل ، على أنهم وسائط بين العباد وبين الله في الحاجات والمهمات هو دين المشركين ، وفعل الجاهلية الضالين ، من الأميين والكتابيين ، فظن هذا أن لازم قوله أنه يحكم على هذه البلاد أنها بلاد كفر ، وهذا ليس بلازم ، ولو لزم فلازم المذهب ليس بمذهب . ونحن نطالب الناقل بتصحيح نقله . انتهى .

وأيضا قال : وأما قول المعترض « لمـا رأى في هذه الأمة من الأحداث التي لا تزال موجودة فيها تقـل وتكثر ، ولا تزال علماؤها تجدد لها دينها من البـاب الواسع ، وهو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وتتحاشى عن الدخول عليها من الباب الضيق ، وهو تكفيرها الذي حذر عنه نبيها » الى آخر عبارته .

فالجواب أن يقـال : قضية هـذا الكلام أن الشيخ انما كفر وقاتل وأخذ الأموال بأحداث لا تزال موجودة في الأمة تقل وتكثر ، وأنها لا يكفر بها أحد ، وأن تكفير الصحابة [1] لمن كفروه من أهـل الردة على اختـلافهم ، وتكفير على للغلاة ، وتكفيرهم للسحرة وقتلهم ، وتكفير من بعدهم للقدرية ونحوهم ، وتكفير

---

(١) قوله وان تكفير الصحابة وما عطف عليه لم يأت فيما بعـده خبر له تتم به الفائدة ، فلعله سقط من الكلام أو وقع فيه تحريف ، والمعنى أن مقتضى تخطئة هذا المعترض الشيخ في تكفير الناس بما ذكر وزعمه أن المسلم لا يكفر بشيء صـدر عنه مهما يكن يقتضي أن الصحابة كانوا مخطئين في تكفير أهل الردة ، وكذا علي في تكفير من عبدوه من الغـلاة ، وكذا سـائر الأئمـة والخلفاء فيمن كفروهم . وكتبه محمد رشـيد رضا .

من بعد أولئك للجهمية وقتلهم لجعد بن درهم وجهم بن صفوان ومن على رأيهم وقتلهم للزنادقة ــ وهكذا في كل قرن وعصر من أهل العلم والفقه والحديث طائفة قائمة تكفر من كفره الله ورسوله وقام الدليل على كفره ، لا يتحاشون عن ذلك بل يرونه من واجبات الدين وقواعد الاسلام . وفي الحديث « من بدل دينه فاقتلوه »(1) وبعض العلماء يرى أن هذا والجهاد عليه ركن لا يتم الاسلام بدونه ، وقد سلك سبيلهم الأئمة الأربعة المقلدون وأتباعهم في كل عصر ومصر ، وكفروا طوائف من أهل الأحداث كالقرامطة والباطنية ، وكفروا العبيديين ملوك مصر وقاتلوهم وهم يبنون المساجد ويصلون ويؤذنون ويدعون نصرة أهل البيت ، وصنف ابن الجوزي كتابا سماه « النصر على مصر » ذكر فيه وجوب قتالهم وردتهم ، وقد عقد الفقهاء في كل كتاب من كتب الفقه المصنفة على مذاهبهم بابا مستقلا في حكم أهل الأحداث التي توجب الردة وسماه باب الردة أكثرهم ، وعرفوا المرتد بأنه الذي يكفر بعد اسلامه ، وذكروا أشياء دون ما نحن فيه من المكفرات حكموا بكفر فاعلها وان صلى وصام وزعم أنه مسلم . انتهى .

وأيضا قال فيه وأما قوله « ان تكفيرها حذر منه نبيها محمد صلى الله عليه وسلم غاية التحذير » فيقال : ان زعمت أن النبي صلى الله عليه وسلم حذر عن تكفير من أتى ما يوجب الكفر ويقتضيه ممن بدل دينه ، فهذا مكابرة وجحد للضروريات والحسيات . وقائله الى أن يعالج عقله أحوج منه الى تلاوة الآيات والأحاديث وحكاية الاجماع وفعل الأمة طبقة طبقة وقرنا قرنا ، وان أراد النهى عن تكفير عموم الأمة وجميعها ، فهذا لم يقله أحد ولم نسمع به عن مارق ولا مبتدع ، وهل يقول هذا من له عقل يدرك به ويعرف ما في الأمة من العلم والايمان والدين ؟ وأما بعض الأمة فلا مانع من تكفير من قام الدليل على كفره كبني حنيفة وسائر أهل الردة في زمن أبي بكر وغلاة القدرية والمارقين الذين مرقوا في زمن على رضى الله عنه وغلوا فيه . وهكذا الحال في كل وقت وزمان ، ولولا ذلك لبطل الجهاد وترك الكلام في أهل الردة وأحكامهم . اهـ .

وأيضا قال فيه : قال الشيخ رحمه الله في رسالة الى السويدي البغدادي :

---

(1) رواه أحمد والبخاري وأصحاب السنن الأربعة عن ابن عباس رضى الله عنهما.

وما ذكرت أني أكفر جميع الناس الا من اتبعني وأزعم أن أنكحتهم غير صحيحة ، فياعجبا كيف يدخل هذا في عقل عاقل ؟ هل يقول هذا مسلم أو كافر أو عارف أو مجنون ؟ الى أن قال : وأما التكفير ، فأنا أكفر من عرف دين الرسل ، ثم بعدما عرفه سبه ونهى الناس عنه وعادى من فعله ، فهذا هو الذي أكفره ، وأكثر الأمة ولله الحمد ليس كذلك .

وقال رحمه الله في رسالته للشريف : وأما الكذب والبهتان مثل قولهم انا نكفر بالعموم ونوجب الهجرة الينا على من قدر على اظهار دينه ، وانا نكفر من لم يكفر ومن لم يقاتل ، ومثل هذا وأضعف أضعافه ، فكل هذا من الكذب والبهتان الذي يصدون به الناس عن دين الله ورسوله ، واذا كنا لا نكفر من عبد الصنم الذي على قبر عبد القادر والصنم الذي على قبر أحمد البدوي وأمثالهما لأجل جهلهم وعدم من ينبههم ، فكيف نكفر من لم يشرك بالله اذا لم يهاجر الينا ولم يكفر ويقاتل ؟ (سبحانك هذا بهتان عظيم) .

فاذا كان هذا كلام الشيخ رحمه الله فيمن عبد الصنم الذي على القبور اذا لم يتيسر له من يعلمه ويبلغه الحجة ، فكيف يطلق على الحرمين أنها بلاد كفر ؟ .اهـ

واذا ما عرفت ما ذكرنا لك من العبارات ، فاعلم أن الكلام على ما نقل المؤلف عن الشيخ محمد بن سليمان الكردي المدني بوجوه :

(الأول) أنه يطالب بتصحيح النقل فالاعتماد مرتفع عن نقله .

و (الثاني) أن دعوى كون محمد بن عبد الوهاب من تلامذة الشيخ المذكور مفتقرة الى التبيين .

و (الثالث) أنه لا يعلم من حال الشيخ المذكور ما يدل على أنه من أهل العلم والديانة ، حتى يعول على قوله .

و (الرابع) أنه بعد ثبوت صحة ما نقل وكون الشيخ محمد بن عبد الوهاب من تلامذة المذكور ، وكون الشيخ المذكور من العلماء الراسخين المتدينين ، يحتمل أن يكون نصحه المذكور مبنيا على ما اشتهر على ألسنة أعداء الشيخ محمد بن عبد الوهاب من تكفيره السواد الأعظم من المسلمين لا على التحقيق .

و (الخامس) لو سلمنا هذا النقل فأي حجة فيه على أن الحق مع أستاذه في ذلك ؟ ومتابعة الأساتذة لا تحمد مطلقا •

و (السادس) أنك قد عرفت فيما تقدم أن الشيخ محمد بن عبد الوهاب لم يكفر السواد الأعظم من المسلمين ، ومن كفره فلم يكفره بارتكاب ذنب من الكبائر كما هو مذهب الخوارج ، انما كفره بدعوة غير الله بحيث يطلب فيها منه ما لا يقدر عليه الا الله • وهذا لا يستريب أحد من أهل العلم والديانة أنه عبادة لغير الله ، وعبادة غير الله لا شك في كونها كفرا ، مع أنه لم يكفره أيضا حتى عرفه الصواب ونبهه •

وأيضا قد عرفت فيما مر أن الشيخ ليس بمنفرد في هذا التكفير ، بل جميع أهل العلم من أهل السنة والجماعة يشاركونه فيه لا أعلم أحدا مخالفا له ، منهم تقي الدين ابن تيمية ، وابن قيم الجوزية ، وابن عقيل ، وصاحب الفتاوي البزازية ، وصنع الله الحلبي ، والمقريزي الشافعي ، ومحمد بن حسين النعمي الزبيدي ، ومحمد بن اسمعيل الصنعاني ، ومحمد بن علي الشوكاني ، وصاحب الاقناع ، وابن حجر المكي ، وصاحب النهر الفائق ، والامام البكري الشافعي ، والحافظ عماد الدين ابن كثير ، وصاحب الصارم المنكي ، والشيخ حمد بن ناصر ، والعلامة الامام الحسن بن خالد ، والشيخ العلامة محمد بن أحمد الحفظي وغيرهم •

(السابع) قول الشيخ محمد بن سليمان المذكور ، فمن سمعت من شخص أنه يعتقد تأثير ذلك المستغاث به من دون الله تعالى فعرفه الصواب اهـ • فيه أن الكفر لا يتوقف على اعتقاد تأثير المستغاث به من دون الله تعالى ، بل مجرد دعاء غير الله بحيث يشتمل على طلب ما لا يقدر عليه الا الله كفر ، كما تقدم غير مرة •

(الثامن) قول ذلك الشيخ : ولا سبيل لك الى تكفير السواد الأعظم من المسلمين ، وأنت شاذ عن السواد الأعظم ، فنسبة الكفر الى من شذ عن السواد الأعظم أقرب اهـ ، فيه أنه لم يعرف معنى السواد الأعظم ، فانه ليس معناه جمهور من يدعي الاسلام ، بل هو أهل الحق وان قلوا ، كما مر تحقيقه بما لا مزيد عليه فتذكر •

● ● ●

وقال العلامة الامام الحسن بن خالد في كتاب (منفعــة قوت القلوب ، في اخلاص توحيد علام الغيوب) : وليس السواد الأعظم الا أهل الحق وان قلوا ٠اهـ

وقال الامام ابن القيم رحمه الله في الكلام على قوله تعالى (فلولا كان من القرون من قبلكم أولو بقية ينهون عن الفساد في الأرض الا قليــلا ممن أنجينا) الآية : الغرباء في هذا العالم هم أهل الصفة المذكورة في هذه الآية ، وهم الذين أشار اليهم النبي صلى الله عليه وسلم في قوله « بدأ الاسلام غريبا وسيعود غريبا كما بدأ فطوبى للغرباء » قيل : ومن الغرباء يا رسول الله ؟ قال « الذين يصلحون اذا فسد الناس » وفي حديث عبد الله بن عمرو قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم ونحن عنده « طوبى للغرباء » قيل : ومن الغرباء يا رسول الله ؟ قال « ناس صالحون قليل في ناس سوء كثير ، من يعصيهم أكثر ممن يطيعهم » فأهل الاسلام بين أكثر الناس غرباء ، وأهل الايمان بين أهل الاسلام غرباء ، وأهل العلم في المؤمنين غرباء ، وأهل السنة الذين تميزوا بها عن الأهواء والبدع فيهم غرباء ، والداعون اليها الصابرون على أذى المخالفين لهم فيها أشد غرابة ، ولكن هؤلاء هم أهل الله حقــا ، فلا غربة عليهم وانما غربتهم بين الأكثرين ، قال الله تعالى فيهم (وان تطع أكثر من في الأرض يضلوك عن سبيل الله) فأولئك هم الغرباء الى الله ورسوله ، وغربتهم هى الغربة الموحشة ، وان كانوا هم المعروفين المشــار اليهم ، فالغربة على ثلاثة أنواع : غربة أهل الله وأهل سنة رسوله بين هذا الخلق وبين الغربة التي مدح رسوله صلى الله عليه وسلم وأخبر عن الدين الذي جاء به أنه بدأ غريبا وأنه سيعــود غريبا وأن أهله يصيرون غرباء ٠ وقال الحسن : المؤمن في الدنيــا كالغريب لا يجزع من ذلها ولا ينافس في عزها ، للناس حال وله حال ٠ ومن صفات هؤلاء الغرباء الذين غبطهم النبي صلى الله عليه وسلم التمسك بالسنة اذا رغب عنها الناس ، وترك ما أحدثوه وان كان هو المعروف عندهم ، وتجريد التوحيــد وان أنكر ذلك أكثر الناس ، وترك الانتساب الى أحد غير الله ورسوله ، لا طريق ولا مذهب ولا طائفة ، بل هــؤلاء الغرباء ينتسبون الى الله تعالى بالعبودية له وحده ، والى رسوله بالاتباع لمــا جاء به وحده ، وهؤلاء هم القابضون على الجمر حقا ، فلغربتهم بين هذا الخلق يعدونهم أهل شذوذ وبدعة ومفارقة للسواد الأعظم ،

وقال النبي صلى الله عليه وسلم « انهم النزاع من القبائل » اهـ • هكذا نقله بعض المحققين في الرد على جلاء الغمة •

● ● ●

قوله : والحاصل أن المانعين للزيارة والتوسل قد تجاوزوا الحد ، فكفروا أكثر الأمة ، واستحلوا دماءهم وأموالهم ، وجعلوهم مثل المشركين الذين كانوا في زمن النبي صلى الله عليه وسلم ، وقالوا : ان الناس مشركون في توسلهم بالنبي صلى الله عليه وسلم وبغيره من الأنبياء والأولياء والصالحين ، وفي زيارتهم قبره صلى الله عليه وسلم ، وندائهم له بقولهم : يا رسول الله نسألك الشفاعة •

أقول : المانعون للزيارة والتوسل لم يتجاوزوا الحد قط ، وانما كفروا من كفروا لأجل عبادتهم لغير الله كدعائهم الأموات بحيث يطلب فيه منهم ما لا يقدر عليه الا الله ، وكالذبح لهم والنذر لهم والتوكل عليهم ، بعد تعريف الصواب والتنبيه عليه ، ولم يقولوا ان الناس هم مشركون في مجرد توسلهم بالنبي صلى الله عليه وسلم وبغيره من الأنبياء والأولياء والصالحين ، وفي مجرد زيارتهم قبره صلى الله عليه وسلم ، هذا افتراء بحت وبهت محض ، انما أشركوا بالتوسل والزيارة اللذين يشتملان على عبادة غير الله من الدعاء والذبح والنذر •

وأما التوسل كأن يتوسل بالنبي صلى الله عليه وسلم بتصديقه على الرسالة والايمان بما جاء به وطاعته في أمره ونهيه ، وكأن يتوسل بدعائه صلى الله عليه وسلم في حياته ، وكأن يدعو الرب سبحانه باضافته الى عباده الصالحين ، وكأن يتوسل بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ، كذلك الزيارة الشرعية فلا يمنعها أحد • نعم التوسل بأن يقول : اللهم اني أسألك بحق فلان عبدك ، وشد الرحال لمجرد الزيارة ، فيه اختلاف لأهل العلم ، والمحققون يمنعونهما ويقولون انهما ليسا بثابتين ، وانهما من البدع ، ولكن لا يكفرون من ارتكبه • وأما النداء وطلب الشفاعة فلا يكفرون بهما مطلقا ، بل اذا كانا متضمنين لعبادة غير الله ، وقد مر تفصيله فتذكر •

قوله : وحملوا الآيات القرآنية التي نزلت في المشركين على خواص المؤمنين

وعوامهم ، كقوله تعالى (فلا تدعو مع الله أحدا) وقوله تعالى (ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له الى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون * واذا حشر الناس كانوا لهم أعداء ، وكانوا بعبادتهم كافرين) الى قوله : كلها ، حملوا الدعاء فيها على النداء ثم حملوها على المؤمنين الموحدين •

أقول : الكلام عليه بوجوه :

(الأول) أن نزول جميع الآيات المتلوة هنا في المشركين غير مسلم ، ألا ترى أن الآية الأولى (وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا) المخاطب فيها النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنون • قال الحافظ ابن كثير : يقول الله تعالى آمرا عباده أن يوحدوه في محال عبادته ، ولا يدعى معه أحد ولا يشرك به ، كما قال قتادة في قوله تعالى (وأن المساجد لله ، فلا تدعوا مع الله أحدا) قال : كانت اليهود والنصارى اذا دخلوا كنائسهم وبيعهم أشركوا بالله ، فأمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم أن يوحدوه وحده • اهـ •

وفي فتح البيان : قال مجاهد كانت اليهود والنصارى اذا دخلوا كنائسهم وبيعهم أشركوا بالله ، فأمر الله نبيه والمؤمنين أن يخلصوا لله الدعوة اذا دخلوا المساجد كلها • يقول : فلا تشركوا فيها صنما أو غيره مما يعبد • اهـ •

وأما كون اليهود والنصارى اذا دخلوا كنائسهم وبيعهم أشركوا بالله فنزول الآية فيه لا يقتضى أن لا يكون الدعاء المذكور منهيا عنه في حق المؤمنين •

وكذلك المأمور والمخاطب في قوله تعالى (فلا تدع مع الله الها آخر فتكون من المعذبين) هو النبي صلى الله عليه وسلم • قال في فتح البيان : ثم لما قرر الله سبحانه حقية القرآن وأنه منزل من عنده ، أمر نبيه صلى الله عليه وسلم بدعاء الله وحده فقال (فلا تدع مع الله الها آخر فتكون من المعذبين) ان فعلت ذلك الذي دعوك اليه ، وخطاب النبي صلى الله عليه وسلم بهذا — مع كونه منزها عنه ، معصوما منه — لحث العباد على التوحيد ، ونهيهم عن شوائب الشرك ، وكأنه قال : أنت أكرم الخلق وأعزهم عندي ، ولو اتخذت معي الها لعذبتك ، فكيف بغيرك من العباد ؟ •

وقد أخطأ المؤلف في نقل هذه الآية فكتب الواو بدل الفاء ، وكذلك ورد الخطاب مع النبي صلى الله عليه وسلم في غير هذه الآية مما لم يذكره المؤلف ، منه قوله تعالى في سورة يونس : (ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك فان فعلت فانك اذا من الظالمين) ومنه قوله تعالى في سورة القصص (وادع الى ربك ولا تكونن من المشركين * ولا تدع مع الله الها آخر لا اله الا هو) ومنه قوله تعالى في سورة الأنعام : (قل أندعو من دون الله ما لا ينفعنا ولا يضرنا ، ونرد على أعقابنا بعد اذ هدانا الله ، كالذي استهوته الشياطين في الأرض حيران ، له أصحاب يدعونه الى الهدى ائتنا) .

وبالجملة كفى بتلك الآيات حجة على منع دعاء غير الله ، سواء قيل انها نزلت في المشركين أو غيرهم ، اذ المأمور فيها هو النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنون.

و (الثاني) أنا ما حملنا الآيات على خواص المؤمنين وعوامهم ، انما حملناها على من يدعو غير الله رغبة ورهبة ، ويطلب منه ما لا يقدر عليه الا الله ، وينحر له ، وينذر له ، وهم مشركون قطعا كما مر تقريره .

و (الثالث) أنه لو سلم أن بعض الآيات نزلت في المشركين ، فألفاظها عامة كلفظ (من يدعو من دون الله) ، (والذين يدعون من دونه) ، وقد تقرر في محله أن العبرة لعموم اللفظ لا لخصوص السبب ، ولو خصصت الآيات بما نزلت فيه لبطل معظم أحكام الاسلام .

قوله : وكلامهم كله باطل لأن الدعاء الذي في الآيات بمعنى العبادة ، وهم لبسوا على الخلق ، وجعلوه بمعنى النداء ، وقد علمت بطلانه من النصوص السابقة .

أقول : الدعاء كونه في الأصل بمعنى النداء والطلب مما لا مرية فيه ، وأما كونه بمعنى العبادة فلم يثبت بعد حقيقة لا لغة ولا شرعا ، فان ثبت اطلاقه عليها فانما يكون مجازا [1] ويرشدك الى هذا أنه ليس في كتاب من كتب اللغة فيما أظن

(1) ذكر الامام ابن القيم في أول الجزء الثالث من كتابه (بدائع الفوائد) أن الدعاء في القرآن يراد به دعاء العبادة ودعاء المسألة واستدل لكل واحد من الاستعمالين بما لا يدع مجالا للشك في ذلك ، وقرر ابن القيم أن المعنيين متلازمان اذ كل دعاء =

أن الدعاء معناه العبادة ولا في كلام أحد من فصحاء الجاهلية لا في نظم ولا نثر ما يقتضى ذلك فضلا عن كونه نصا عليه ، ولنذكر هنا عبارات كتب اللغة لتتضح لديك معانيه الحقيقية فنقول :

قال الجوهري في الصحاح : ودعوت فلانا أى صحت به واستدعيته ، ودعوت الله له وعليه دعاء ، والدعوة المرة الواحدة ، والدعاء واحد الأدعية ا هـ • وقال في القاموس : الدعاء الرغبة الى الله تعالى ، دعاه دعاء ودعوى ، والدعاءة السبابة ، وهو منى دعوة الرجل ، أى قدر ما بيني وبينه ذاك ، ولهم الدعوة على غيرهم ، أى يبدأ بهم في الدعاء ، وتداعوا عليهم تجمعوا ، ودعاه ساقه ، والنبي صلى الله عليه وسلم داعى الله ، ويطلق على المؤذن ، والداعية صريخ الخيل في الحروب ، وداعية اللبن بقيته التي تدعو سائره ، ودعاها في الضرع أبقاها فيه ، ودعاه الله بمكروه أنزله به ، ودعوته زيدا وبزيد سميته به • ا هـ •

وقال الفيومي في المصباح المنير : دعوت الله أدعوه دعاء ابتهلت اليه بالسؤال، ورغبت فيما عنده من الخير ، ودعوت زيدا ناديته ، وطلبت اقباله ، ودعا المؤذن النـاس الى الصلاة ، فهو داعى الله ، والجمع دعاة وداعون مثـل قاضي وقضاة وقاضون ، والنبي داعى الخلق الى التـوحيد ، ودعوت الولد زيدا ، وبزيد اذا سميته بهذا الاسم • ا هـ •

وبالجملة ليس في شيء من كتب اللغـة الدعاء بمعنى العبادة [1] ، نعم قال

= عبادة مستلزم لدعاء المسألة،وكل دعاء مسألة متضمن لدعاء العبادة ، وذكر أن هذا الاستعمـال ليس من استعمال المشترك في معنييه كليهما أو استعمال اللفـظ في حقيقته ومجازه ، بل هذا استعمال له في حقيقته الواحدة المتضمنة للأمرين جميعا ثم قال : فتأمله فانه موضع عظيم النفع قل من يفطن له ، وأكثر ألفاظ القرآن الدالة على معنيين فصاعدا من هذا القبيل • ا هـ • وكتبه اسماعيل الأنصاري •

(١) المؤلف رحمه الله اضطرب في هذا المقام اضطرابا لا يخفى ، وينبغي أن يكون الرد على دحلان من وجوه (أحدها) أن رميه للشيخ وأتباعه بالتلبيس كذب ظاهر لأن التلبيس هو الخلط الذي يحصل به عدم التمييز كما قال تعالى (ولا تلبسوا الحق بالباطل) والشيخ محمد بن عبد الوهاب وأتباعه لم يلبسوا وجه النصوص بما يخالف معانيها ويخبطوا أفهام الناس ، بل كلامهم في غاية الوضوح والصراحة ، ولم يخونوا الأمانة العلمية في النقل عن أي مفسر للقرآن والسنة ، فكلام (دحلان) فيـه تحامل ورمي بالباطل (ثانيها) أن الحروف لها معان لغـوية وعرفية وشرعية كما ذكر في =

الحافظ ابن حجر : ويطلق الدعاء أيضا على العبادة ، ونصه في دعوات الفتح هكذا: بفتح المهملتين جمع دعوة بفتح أوله وهى المسألة الواحدة ، والدعاء الطلب ، والدعاء الى الشيء الحث على فعله ، ودعوت فلانا سألته ، ودعوته استغثته ، ويطلق أيضا على رفعة القدر كقوله تعالى : (ليس له دعوة في الدنيا ولا في الآخرة) كذا قال الراغب ، ويمكن رده الى الذي قبله ، ويطلق الدعاء أيضا على العبادة ، والدعوى بالقصر الدعاء كقوله تعالى : (وآخر دعواهم) والادعاء كقوله تعالى : (فما كان دعواهم اذ جاءهم بأسنا) وقال الراغب : الدعاء والنداء واحد ، لكن قد يتجرد النداء عن الاسم والدعاء لا يكاد يتجرد . وقال الشيخ أبو القاسم القشيري في شرح الأسماء الحسنى ما ملخصه : جاء الدعاء في القرآن على وجوه : (منها) العبادة (ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك) ، ومنها الاستغاثة (وادعوا شهداءكم) ، ومنها السؤال (ادعوني أستجب لكم) ومنها القول (دعواهم فيها سبحانك اللهم) ، والنداء (يوم يدعوكم) ، والثناء (قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن) . اهـ [1] .

وقال [2] تحت قوله : وقول الله تعالى (ادعوني أستجب لكم) الآية : وهذه

= الأصول ، فالدعاء المتضمن للطلب والاستعانة أداته حرف (يا) وهى للنداء لغة وعرفا ، وما يعبر عنه بالواو والألف فهو استغاثة نحو (وامعتصماه) في عرف أهل اللسان ، وقد نقل الشارع حكم ذلك الى العبادات ، كما نقل معنى الصلاة من الدعاء الى عبادة مخصوصة مفروضة ، ولم يتفق أهل اللغة على تعريف الدعاء بغير العبادة ، بل المشهور أنه يعطي معنى العبادة كما قال صاحب القاموس : ان الدعاء هو الرغبة الى الله ، فالرغبة من صميم العبادة . وكما قال القشيري في شرح الأسماء الحسنى: ان الدعاء في القرآن جاء على أنواع منها العبادة . والحقيقة أنه لا يصرف عنها الا لقرينه (ثالثها) أن الدعاء هو العبادة في صريح المعنى الشرعي الذي هو أسلوب القرآن بحيث لا ينصرف عن معنى العبادة الا بقرينة كقوله تعالى (وادعوا شهداءكم) فان هذا استغاثة واضحة لا تعطي معنى العبادة ، وكقوله (يوم يدعوكم) فهذا نداء وقد تظافرت أقوال المحققين على أن الدعاء عبادة ، وورد عن النبي صلى الله عليه وسلم أن الدعاء مخ العبادة ، ولا يسوغ تأويل المؤلف للدعاء بما يخالف العادة ، خصوصا بعد علمه بما قعده الرازي من القاعدة الدينية والعقلية ، وهو أن الدعاء يفيد معرفة ذل العبودية وعز الربوبية ، وهذا هو المقصود الأشرف من جميع العبادات وقد أوضحه الرازي بأوضح عبارة فلا يجوز لناقله تأويله . وكتبه عبد الرحمن المحمد الدوسري .

(١) أى كلام العسقلاني في الفتح .
(٢) قال أى العسقلاني أيضا فيه .

الآية ظاهرة في ترجيح الدعاء على التفويض ، وقالت طائفة : الأفضل ترك الدعاء ، والاستسلام للقضاء ، وأجابوا عن الآية بأن آخرها دل على أن المراد بالدعاء العبادة لقوله (ان الذين يستكبرون عن عبادتي) واستدلوا بحديث النعمان بن بشير عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « الدعاء هو العبادة » ثم قرأ (وقال ربكم ادعوني أستجب لكم ، ان الذين يستكبرون عن عبادتي) الآية ، أخرجه الأربعة وصححه الترمذي والحاكم ، وشذتطائفة فقالوا المراد بالدعاء في الآية ترك الذنوب ، وأجاب الجمهور أن الدعاء من أعظم العبادة فهو كالحديث الآخر « الحج عرفة » أى معظم الحج وركنه الأكبر ، ويؤيده ما أخرجه الترمذي من حديث أنس رفعه « الدعاء مخ العبادة » • اهـ •

وقال القسطلاني في (ارشاد الساري) : كتاب الدعوات بفتح الدال والعين المهملتين جمع دعوة بفتح أوله مصدر يراد به الدعاء ، يقال : دعوت الله أى سألته • اهـ •

وقال تحت قوله تعالى (ادعوني أستجب لكم) : لما كان من أشرف أنواع الطاعات الدعاء والتضرع أمر الله تعالى به فضلا وكرما ، وتكفل لهم بالاجابة ، وقيل : المراد بقوله (ادعوني أستجب لكم) الأمر بالعبادة بدليل قوله بعد (ان الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين) صاغرين ذليلين • والدعاء بمعنى العبادة كثير في القرآن كقوله (ان يدعون من دونه الا اناثا) وأجاب الأولون بأن هذا ترك للظاهر ، فلا يصار اليه الا بدليل •

وقال العلامة تقى الدين السبكي : الأولى حمل الدعاء في الآية على ظاهره ، وأما قوله بعد ذلك (عن عبادتي) فوجه الربط أن الدعاء أخص من العبادة ، فمن استكبر عن العبادة استكبر عن الدعاء ، وعلى هذا فالوعيد انما هو في حق من ترك الدعاء استكبارا ومن فعل ذلك كفر • اهـ •

وقال في مجمع البحار : والدعاء الغوث ، ومنه (ادعوني أستجب لكم) أى استغيثوا اذا نزل بكم ضر ، (دعوا للرحمن ولدا) أى جعلوا ، (لن ندعو من دونه) لن نعبد ، يقال دعوته اذا ناديته واذا سميته ، وفيه : ان نساء يدعون أى يطلبن بالمصابيح من جوف الليل ، وفيه « أن تدعو لله ندا » الدعاء النداء ويستعمل

استعمال التسمية والسؤال والاستغاثة ، وهو هنا متضمن معنى الجعل ، وفيه الدعاء وهو العبادة ، أي يستأهل أن يسمى عبادة لدلالته على الاقبال عليه والاعراض عما سواه . ويمكن ارادة لغته أي الدعاء ليس الا اظهار التذلل (ادعوني أستجب لكم) اعبدوني أثبكم لقوله (ان الذين يستكبرون عن عبادتي) اهـ . ملتقطا .

اذا دريت تلك العبارات فقد عرفت أن الدعاء قد يطلق أيضا على العبادة ، ولكن هناك مباحث : (الأول) أن هذا ادعاء بلا دليل ، وأما مايذكر له من الشواهد والأمثلة من القرآن المجيد كقوله تعالى (ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك) وقوله تعالى (ادعوني أستجب لكم) وقوله تعالى (ان يدعون من دونه الا اناثا) وقوله تعالى (لن ندعو من دونه الها) وغيرها من الآيات فلا يصلح شاهدا له ، اذ يحتمل أن يراد بالدعاء في هذه الآيات كلها السؤال بجلب النفع ودفع الضر الذي هو معناه الحقيقي ، بل هو المتعين ، لأنه ليس هناك صارف يصرف عن ارادة المعنى الحقيقي ، وقد صرح غير واحد من أهل العلم بأن المراد بالدعاء في قوله تعالى : (ادعوني أستجب لكم) هو السؤال بجلب النفع ودفع الضرر ، لا العبادة وان اختلف الناس فيه .

وذكر الامام الرازي تحت قوله تعالى (ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك فان فعلت فانك اذا من الظالمين) ما يقتضي أن المراد بالدعاء في هذه الآية طلب المنفعة والمضرة ، ونصه هكذا : يعني لو اشتغلت بطلب المنفعة والمضرة من غير الله فأنت من الظالمين ، لأن الظلم عبارة عن وضع الشيء في غير موضعه ، فاذا كان ما سوى الحق معزولا عن التصرف كانت اضافة التصرف الى ما سوى الحق وضعا للشيء في غير موضعه ، فيكون ظلما . اهـ .

فان قلت : الصارف هناك ما قد ذكر صاحب الرسالة فيما تقدم من أنه لو كان كل نداء دعاء وكل دعاء عبادة شمل ذلك نداء الأحياء والأموات [1] ، فيكون كل

(1) هذا تفريع باطل يقصد قائله الايهام والتضليل فهو في الحقيقة صاحب التلبيس لأنه يعرف أن الشيخ وأتباعه لم يمنعوا دعاء الأحياء القادرين ولا الاستغاثة بهم سواء سمي دعاء أو نداء ، فكلامه هذا محض هراء وتلبيس . وكتبه عبد الرحمن المحمد الدوسري .

نداء ممنوعا مطلقا سواء كان للأحياء والأموات أم للحيوانات والجمادات ، وليس الأمر كذلك •

قلنا : هذا لا يصلح صارفا ، فان المراد بالدعاء عندنا ليس مطلق النداء بل النداء الذي فيه طلب ما لا يقدر عليه الا الله كما تقدم ، لا يقال فعلى هذا ليس هذا المعنى حقيقيا ، فانه فرد من أفراد مطلق النـداء ، واذا أطلق المطلق وأريد به الخاص فهو مجاز ، لأنا نقول : كما أن لفظ الدعاء وضـع في الأصل لمطلق النداء كذلك وضع للنداء الذي ذكرناه ، يرشـدك الى هذا عبارات الجوهري وصاحب القاموس والفيومي التي ذكرت فيما تقدم فتذكر ، فيكون النداء المذكور حقيقة شرعية •

وعلى تقدير تسليم أن لفظ الدعاء ليس بحسب اللغة موضوعا للنداء المذكور يقال : لا شك في أن لفظ الدعاء بحسب الشرع موضوع للنداء المذكور ، فان الله تعالى ورسوله جعل الدعاء من أفراد العبادة ، قال الله تعالى (ادعوني أستجب لكم ان الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين) وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الدعاء هو العبادة » وأيضا قال « الدعاء مخ العبادة » •

وقد أمر الله تعالى ورسوله بالدعاء في غير ما موضع ، وهـذا دال على أن الدعاء الشرعي عبادة ، ولا مرية في أن مطلق النداء ليس بعبادة ، فاذا المراد به هو النداء المذكور ، فيكون النداء المذكور حقيقة شرعية للفظ الدعاء ، ويمكن أن يراد بالدعاء في الآيات المذكورة مطلق النداء ويخصص بمخصصات أخر ، فيكون من قبيل العام الذي خص منه البعض فيكون فيما بقى من الأفراد حجة ظنية ، وليس هناك مخصص يخرج دعاء الأموات من الأنبيـاء والصالحين الذي يتضمن طلب ما لا يقدر عليه الا الله من هذا العموم •

و (الثاني) أنه لو سلم اطلاق الدعاء على العبادة ، فهذا مجاز [1] ، ومن ثم

---

(١) ـ دعوى المجاز هنا لا تصح قطعا فان الداعي لا يدعو الا بدافـع الحاجة التي تجعله يتذلل ويتضرع ويتملق ويخشـع ويتطلف بأحسن المنطق الذي يستعطف به المدعو (هـذا من جهة) و (من جهة أخرى) كونه يرى نفسـه عاجزا عن تحصيله فيضطر الى الضراعة (ومن جهة ثالثة) كونه يعلم أن ربه والهه عالم بحاله وسـامع لدعائه ورحيم به وقادرعلىاجابته وسد حاجته باعطائه ماطلبه فيدعائه عاجلا وآجلا ـ

قال القسطلاني وأجاب الأولون بأن هذا ترك الظاهر ، فلا يصار اليه الا بدليل ، وهكذا قال الامام الرازي ٠

وقال في فتح البيان (وقال ربكم ادعوني أستجب لكم) قال أكثر المفسرين : المعنى وحدوني واعبدوني أتقبل عبادتكم وأغفر لكم وأجبكم وأثبكم ، وقيل : هذا الوعد بالاجابة مقيد بالمشيئة ، أي أستجب لكم ان شئت كقوله (فيكشف ما تدعون اليه ان شاء) ، وقيل : المراد بالدعاء السؤال بجلب النفع ودفع الضرر ، قيل : الأول أولى ، لأن الدعاء في أكثر استعمالات الكتاب العزيز هو العبادة ٠ قلت : بل الثاني أولى ، لأن معنى الدعاء حقيقة وشرعا هو الطلب ، فان استعمل في غير ذلك فهو مجاز ، على أن الدعاء في نفسه باعتبار معناه الحقيقي هو عبادة ، بل مخ العبادة كما ورد بذلك الحديث الصحيح ، فالله سبحانه قد أمر عباده بدعائه ، ووعدهم بالاجابة ، ووعده الحق ، وما يبدل القول لديه ، ولا يخلف الميعاد ٠ ا هـ ٠

وقال في (نزل الأبرار) : وقد حقق العلامة الشوكاني في مؤلفاته أنها بمعنى الدعاء في القرآن وفي الحديث ، وعليه الفحول من العلماء في القديم والحديث ، وحيث تقرر أن الدعاء عبادة أفتى الراسخون في العلم بأن دعاء من سوى الله كائنا من كان شرك وعبادة لذلك الغير ، والبحث في هذا يطول جدا ، انظره في كتاب (الدين الخالص) فان مؤلفه قضى الوطر بذلك ٠ ا هـ ٠

وقال الامام الرازي : وحقيقة الدعاء استدعاء العبد ربه جل جلاله العناية واستمداده اياه المعونة ، وقال أيضا : الدعاء مغاير للعبادة في المعنى ٠ ا هـ ٠

واذا ثبت أن العبادة معنى مجازى للدعاء فلا يصار اليه الا عند تعذر الحقيقة، وفيما نحن فيه تعذر الحقيقة ممنوع ٠

و (الثالث) أن الدعاء اذا كانت العبادة معنى مجازيا له فما العلاقة بينهما ؟

= فبهذه الأحوال يحصل ذل العبودية من الداعي وعز الربوبية من المدعو فيكون الدعاء مستجمعا لهذين المقامين في هذه الحالات المذكورة ، وهذا من أعظم أنواع العبادات ، ولا مقصود من جميع التكاليف الا معرفة ذل العبودية وعز الربوبية كما قاله الرازي ونقل المؤلف كلامه الذي يغنينا عن الاطالة ويبطل جميع دعاويه للمجاز في هذا الشأن فان الأمر الذي بهذه الحال لا يجوز تسميته مجازا ، واذا كان الدعاء الحقيقي مجازا فلا يوجد على وجه الأرض حقيقة . وكتبه عبد الرحمن الدوسري .

فنقول : العلاقة بينهما اما العموم والخصوص فان العبادة عام والدعاء خاص ، قال العلامة تقي الدين السبكي : الأولى حمل الدعاء في الآية على ظاهره ، وأما قوله بعد ذلك (عن عبادتي) فوجه الربط أن الدعاء أخص من العبادة ، فمن استكبر عن العبادة استكبر عن الدعاء ، كذا ذكره القسطلاني في (ارشاد الساري) •

وأيضا قال القسطلاني : لما كان من أشرف أنواع الطاعات الدعاء والتضرع أمر الله تعالى به فضلا وكرما وتكفل لهم بالاجابة •

وقال الامام الرازي : وقال الجمهور الأعظم من العقلاء ان الدعاء أهم مقامات العبودية ، ويدل عليه وجوه من النقل والعقل •

وأيضا قال : ولما كان أشرف أنواع الطاعات الدعاء والتضرع ، لا جرم أمر الله تعالى به في هذه الآية فقال (وقال ربكم ادعوني أستجب لكم) • ا هـ •

وأيضا قال : واعلم أن الدعاء نوع من أنواع العبادة • وقال : بل نقول الدعاء يفيد معرفة ذل العبودية ، ويفيد عز الربوبية ، وهذا هو المقصود الأشرف الأعلى من جميع العبادات • وبيانه أن الداعي لا يقدم على الدعاء الا اذا عرف من نفسه كونه محتاجا الى ذلك المطلوب ، وكونه عاجزا عن تحصيله ، وعرف من ربه والهه أنه يسمع دعاءه ويعلم حاجته ، وهو قادر على دفع تلك الحاجة • وهو رحيم تقتضي رحمته ازالة تلك الحاجة • واذا كان كذلك فهو لا يقدم على الدعاء الا اذا عرف كونه موصوفا بالحاجة وبالعجز ، وعرف كون الاله سبحانه موصوفا بكمال العلم والقدرة والرحمة ، فلا مقصود من جميع التكاليف الا معرفة ذل العبودية ، وعز الربوبية • فاذا كان الدعاء مستجمعا لهذين المقامين ، لا جرم كان الدعاء أعظم أنواع العبادات ا هـ • أو العلاقة بينهما السببية والمسببية ، فان العبادة سبب للدعاء ، قال الامام الرازي تحت قوله تعالى (ان يدعون من دونه الا اناثا) : ويدعون بمعنى يعبدون ، لأن من عبد شيئا فانه يدعوه عند احتياجه اليه •

وقال أيضا : ان الغالب من حال من يعبد غيره أن يلتجيء اليه في المسألة ليعرف مراده اذا سمع دعاءه ثم يستجيب له في بذل منفعة أو دفع مضرة • ا هـ •

و (الرابع) أن الله تعالى قال بعد الأمر بالدعاء (ان الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين) فلولا أن الدعاء بمعنى العبادة لما بقي لقوله (ان الذين يستكبرون عن عبادتي) معنى •

فنقول : الربط لا يتوقف على ذلك ، بل هناك ثلاثة احتمالات :

(الأول) ما ذكر ، أي يراد بالدعاء العبادة .

و (الثاني) أن يراد بالعبادة الدعاء ، فكما أن العبادة معنى مجازى للدعاء ، كذلك الدعاء معنى مجازى للعبادة .

و (الثالث) أن يراد بكليهما معناهما الحقيقي ، وانما يشكل الربط على هذا التقدير فقط ، فوجه الربط على هـذا ما ذكره السبكي ، وقد ذكرت عبارته فيما تقدم ، وقريب منه أن يقال : ان العبادة أعم من الدعاء ، فمن استكبر عن الدعاء استكبر عن العبادة فتفطن .

وجملة القول في الباب أن الدعاء معناه الحقيقي طلب جلب النفع ودفع الضر ، وأما كونه بمعنى العبادة فممنوع ، ولو سلم فهو معنى مجازى ولا يصار الى المجاز مع امكان الحقيقة [1] .

قوله : وأما جعلهم التوحيد نوعين : توحيـد الربوبية ، وتوحيد الألوهية ، فباطل أيضا . فان توحيـد الربوبية هو توحيـد الألوهية ، ألا ترى قوله تعالى

---

(١) أكثر ما أورده من النقول مباحث اصطلاحية لا حاجة اليها ، والتحقيق أن الدعاء في أصل اللغة النداء والطلب ، وهو قسمان : عادي ، وعبادي . فما وجهه الداعي الى مثله من طلب يقدر المدعو على اجابته بمقتضى الأسباب العادية فهو دعاء عادي ، وما وجهه الى من يعتقد أن له قدرة أو سلطانا غيبيا فوق الأسباب العادية فهو العبادة ، سواء أكان المدعو يستجيب له بقدرته الذاتية أم بتأثيره وشفاعته ووساطته عند ذي القدرة الذاتية . والأول دعاء الموحدين لا يتوجهون فيه الا الى ربهم وحده ، والثاني دعاء المشركين الذين يتوجهون الى اثنين فاكثر ، واحد قادر بذاته ، وغيره قادر بشفاعته ووساطته عند القادر بذاته ، وبهذا كان يصرح مشركو العرب ، كما حكى الله عنهم ، ومن العجيب أن يخفى هـذا الشرك في أعلى أنواع العبادة ، والفرد الكامل منها على ادعياء العلم ، وهو الدعاء الديني منذ قرون ، مع دلالة الآيات الكثيرة عليه دلالة قطعية ، ومثل الدعاء غيره من الأقوال والأفعال التي يختلف حكمها وتسميتها باختلاف من توجه اليه كالاستعانة والاستغاثة والسجود والطواف ، فان توجهت الى صاحب القدرة والسلطان الغيبي بالذات أو الوساطة كانت عبادة ، والا كانت عادة وكتبه محمد رشيد رضا .

أقول والعجب كيف قام صاحب الرسالة بقلب الحقيقة التي يدعيها من هو على شاكلته من أن دعاءهم للأموات نداء وليس من الدعاء الداخل في معنى العبادة ، ثم ينسب هذا لخصومه فحبك الشيء يعمي ويصم فهو عالم او سلم من التقليد للمفتونين . وكتبه عبدالرحمن الدوسري .

(ألست بربكم قالوا بلى) ولم يقل ألست بالهكم ، فاكتفى منهم بتوحيد الربوبية ، ومن المعلوم أن من أقر بالربوبية فقد أقر له بالألوهية ، اذ ليس الرب غير الاله بل هو الاله بعينه •

أقول : لا مرية في أننا مأمورون باعتقاد أن الله وحده هو ربنا ، ليس لنا رب غيره ، وباعتقاد أن الله وحده هو معبودنا ليس لنا معبود غيره ، وأن لا نعبد الا اياه • والأمر الأول هو الذي يقال له توحيد الربوبية ، والأمر الثاني هو الذي يقال له توحيد الألوهية ، والاشراك في الأول يسمى الاشراك في الربوبية ، والاشراك في الثاني يسمى الاشراك في الألوهية ، والآيات الدالة على الأمر الأول كثيرة :

منها قوله تعالى في سورة البقرة (ألم تر الى الذي حاج ابراهيم في ربه أن آتاه الله الملك اذ قال ابراهيم ربي الذي يحيي ويميت ، قال أنا أحيي وأميت • قال ابراهيم فان الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت الذي كفر) • ومنها قوله تعالى في آل عمران (ورسولا الى بني اسرائيل أني قد جئتكم بآية من ربكم) الى قوله تعالى (ان الله ربي وربكم فاعبدوه) ومنها قوله تعالى فيها (قل يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله) ومنها قوله تعالى فيها (ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أربابا أيأمركم بالكفر بعد اذ أنتم مسلمون) ومنها قوله تعالى في سورة النساء (واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين احسانا) الآية ، ومنها قوله تعالى في المائدة (وقال المسيح يا بني اسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم) ، ومنها قوله تعالى في الأنعام (ثم الذين كفروا بربهم يعدلون) ، ومنها قوله تعالى فيها (فلما جن عليه الليل رأى كوكبا قال هذا ربي فلما أفل قال لا أحب الآفلين ــ الى قوله تعالى ــ اني وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفا وما أنا من المشركين) ، ومنها قوله تعالى فيها (بديع السموات والأرض ، أنى يكون له ولد ، ولم تكن له صاحبة ، وخلق كل شيء وهو بكل شيء عليم ❋ ذلكم الله ربكم لا اله الا هو خالق كل شيء فاعبدوه) ، ومنها قوله تعالى فيها (قل أغير الله أبغي ربا وهو رب كل شيء) ، ومنها قوله تعالى في الأعراف (ان ربكم الله الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش ــ الى قوله تعالى ــ

تبارك الله رب العالمين) ومنها قوله تعالى فيها (ألست بربكم) ؟ ومنها قوله تعالى في التوبة (اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله ، والمسيح بن مريم) ، ومنها قوله تعالى في سورة يونس (ان ربكم الله الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام ـ الى قوله ـ ذلكم الله ربكم فاعبدوه) ، ومنها قوله تعالى فيها (قل من يرزقكم من السماء والأرض ، أم من يملك السمع والأبصار ، ومن يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى ومن يدبر الأمر ؟ فسيقولون الله ، فقل أفلا تتقون ، فذلكم الله ربكم الحق ، فماذا بعد الحق الا الضلال فأنى تصرفون) ؟ ومنها قوله تعالى في سورة يوسف (أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار) ، ومنها قوله تعالى في سورة الرعد (قل من رب السموات والأرض ؟ قل الله) ، ومنها قوله تعالى فيها (قل هو ربى لا اله الا هو) ومنها قوله تعالى في الكهف (لكنا هو الله ربى ولا أشرك بربى أحدا) ومنها قوله تعالى فيها (ويقول ياليتني لم أشرك بربى أحدا) ومنها قوله تعالى في مريم (وما كان ربك نسيا ، رب السموات والأرض وما بينهما فاعبده واصطبر لعبادته) ومنها قوله تعالى في سورة طه (قال ربنا الذي أعطى كل شىء خلقه ثم هدى) ، ومنها قوله في سورة الأنبياء (قال بل ربكم رب السموات والأرض الذي فطرهن وأنا على ذلكم من الشاهدين) ، ومنها قوله تعالى في الحج (الذين اخرجوا من ديارهم بغير حق الا أن يقولوا ربنا الله)،ومنها قوله تعالى في الصافات (ان الهكم لواحد ، رب السموات والأرض وما بينهما ورب المشارق) ، ومنها قوله تعالى في ص (وما من اله الا الله الواحد القهار ، رب السموات والارض وما بينهما العزيز الغفار) ، ومنها قوله تعالى في الزمر غب بيان شىء من صفات الله تعالى (ذلكم الله ربكم له الملك لا اله الا هو فأنى تصرفون) ؟ ومنها قوله تعالى في المؤمن (وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم ايمانه أتقتلون رجلا أن يقول ربى الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم) ، ومنها قوله تعالى في المؤمن بعد ذكر بعض صفات الله تعالى (ذلكم الله ربكم خالق كل شىء لا اله الا هو فأنى تؤفكون) ؟ ومنها قوله تعالى فيها (ذلكم الله ربكم فتبارك الله رب العالمين ، هو الحى لا اله الا هو فادعوه مخلصين له الدين ، الحمد لله رب العالمين) ، ومنها قوله تعالى في حم السجدة (قل أئنكم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين وتجعلون له أندادا ذلك رب العالمين) ، ومنها قوله تعالى في الشورى (ذلكم الله ربى عليه توكلت واليه أنيب) •

وأما الآيات الدالة على الأمر الثاني فأكثر من أن تحصى ، منها بعض ما ذكر لاثبات الأمر الأول من الآيات ، ومنها ما أتلوا عليك الآن ، فنقول :

منها قوله تعالى في الفاتحة (اياك نعبد واياك نستعين) ، وقوله تعالى في البقرة (يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون * الذي جعل لكم الأرض فراشا والسماء بناء وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون) وقوله تعالى فيها (واذ أخذنا ميثاق بنى اسرائيل لا تعبدون الا الله) وقوله تعالى فيها (أم كنتم شهداء اذ حضر يعقوب الموت اذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدى ؟ قالوا نعبد الهك واله آبائك ابراهيم واسماعيل واسحاق الها واحدا ونحن له مسلمون) وقوله تعالى فيها (والهكم اله واحد لا اله الا هو الرحمن الرحيم) وقوله تعالى فيها (يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم واشكروا لله ان كنتم اياه تعبدون) وقوله تعالى فيها (الله لا اله الا هو الحى القيوم) وقوله تعالى في آل عمران (وما من اله الا الله) وقوله تعالى في النساء (انما الله اله واحد) وقوله تعالى في المائدة (وقال المسيح يا بنى اسرائيل اعبدوا الله ربى وربكم انه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار) وقوله تعالى فيها (وما من اله الا اله واحد) وقوله تعالى فيها (أتعبدون من دون الله ما لا يملك لكم ضرا ولا نفعا) وقوله تعالى في الأنعام (قل انى نهيت أن أعبد الذين تدعون من دون الله) وقوله تعالى في الأعراف (ولقد أرسلنا نوحا ـ الى قومه ـ فقال يا قوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره) وقوله تعالى فيها (والى عاد أخاهم هودا قال يا قوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره) وقوله تعالى فيها (قالوا أجئتنا لنعبد الله وحده ونذر ما كان يعبد آباؤنا) ؟ وقوله تعالى فيها (والى ثمود أخاهم صالحا ، قال يا قوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره) وقوله تعالى فيها (والى مدين أخاهم شعيبا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره) وقوله تعالى في التوبة (وما أمروا الا ليعبدوا الها واحدا لا اله الا هو سبحانه عما يشركون) .

ولا أظنك شاكا في أن مفهوم الرب ومفهوم الاله متغايران ، وان كان مصداقهما في نفس الأمر وفي اعتقاد المسلمين المخلصين واحدا ، وذلك يقتضى

تغاير مفهومي التوحيدين ، فيمكن أن يعتقد أحد من الضالين توحيد الـــرب ولا يعتقد توحيد الاله ، وأن يشرك واحد من المبطلين في الألوهية ، ولا يشــــرك في الربوبية ، وان كان هذا باطلا في نفس الأمر ، ألا ترى أن مصداق الرازق ، ومالك السمــع والأبصار ، والمحيي والمميت ، ومدبر الأمر ، ورب السموات السبع ورب العرش العظيم ، ومن بيده ملكوت كل شيء ، والخالق ومسخر الشمس والقمر ، ومنزل المــاء من السماء ـــ ومصداق الاله واحد ؟ ومع ذلك كان مشركو العرب يقرون بتوحيد الرازق ومالك السمع والأبصار وغيرهما ، ويشركون في الألوهية والعبادة ، والدليل عليه ما قال تعالى في سورة يونس (قل من يرزقكم من السماء والأرض أمن يملك السمع والأبصار ومن يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحي ومن يدبر الأمر ؟ فسيقولون الله ، فقل أفلا تتقــون * فذلكم الله ربكم الحق ، فماذا بعد الحق الا الضلال فأنى تصرفون ؟) وقوله تعالى في سورة المؤمنين (قل لمن الأرض ومن فيها ان كنتم تعلمون * سيقولون لله قل أفلا تذكرون * قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم * سيقولون لله قل أفلا تتقون * قل من بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه ان كنتم تعلمون ؟ سيقولون لله قل فأنى تسحرون) وقوله تعالى في سورة العنكبوت (ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض وسخر الشمس والقمر ليقــولن الله فأنى يؤفكون) ؟ وقوله تعالى فيها أيضا (ولئن سألتهم من نزل من السماء ماء فأحيا به الأرض من بعـــد موتها ؟ ليقولن الله ، قل الحمد لله بل أكثرهم لا يعقلون) وقوله تعالى في ســورة لقمــان (ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله قل الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون) وقوله تعالى في سورة الزمر (ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله) وقوله تعالى في سورة الزخرف (ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن خلقهن العزيز العليم) وقوله تعالى فيها أيضا (ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله فأنى يؤفكون) ؟

فكذلك عباد القبور الذين لم يبق فيهم من الاسلام الا اسمه ، يقرون بتوحيد

---

(١) الأمر الواقع أنهم يقرون بهذه الألفاظ كلفظ الاله ، ولكنهم يعتقــدون أن للأولياء تأثيرا غيبيا في معانيها ، اما بالذات واما بالشفاعة أو الكرامة عند الله ، ولذلك يدعونهم وحــدهم أو مع الله في طلب الرزق وتدبير الأمــور ، فدعاؤهم شرك في الألوهية ، وعقيدتهم شرك بالربوبية . بل منهم من يسند اليهم التصرف في الكون كله=

الرازق والمحيي والمميت والخالق والمؤثر والمدبر والرب [1] ومع ذلك يدعون غير الله من الأموات خوفا وطمعا ، ويذبحون لهم ، ويطوفون بهم ، ويحلقون لهم ، ويخرجون من أموالهم جزءا لهم ، وكون مصداق الرب عين مصداق الاله في نفس الأمر ، وعند المسلمين المخلصين لا يقتضي اتحاد مفهوم توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية ، ولا اتحـاد مصداق الرب والاله عنـد المشركين من الأمم المـاضية وهذه الأمة .

أما نعقل أن لفظ توحيد الربوبية ، ولفظ توحيد الألوهيـة كلاهما مركبان اضافيان والمضاف في كليهما كلي ؟ وهذا غني عن البيان ، وكذلك المضاف اليه في كليهما ، فان الربوبية والألوهية معنيان مصدريان منتزعان من الرب والاله وهما كليان . أما الرب فلأن معناه المـالك والسيد والمتصرف للاصلاح والمصلح والمدبر والمربي والجابر والقائم والمعبود ، وكل واحد مما ذكر معنى كلي .

وأما الاله فلأن معناه المعبود بحق أو باطل ، وهو معنى كلي ، فالمنتزع منهما أيضا يكون معنى كليا ، فتوحيد الربوبية اعتقاد أن الرب واحد ، سواء كان ذلك الرب عين الاله أو غيره ، وتوحيد الألوهية اعتقاد أن الاله واحد سواء كان ذلك الاله عين الرب أو غيره .

واذا تقرر هذا فنقول : يمكن أن يوجد في مادة توحيد الربوبية ولا يوجـد توحيد الألوهية ، كمن يعتقد أن الرب واحد ولا يعتقد أن الاله واحد بل يعبد آلهة كثيرة ، ويمكن أن يوجد في مادة توحيد الألوهية ولا يوجد توحيد الربوبية ، كمن يعتقد أن المستحق للعبادة واحد ، ولا يعتقد وحدانية الرب ، بل يقول ان الأرباب كثيرة متفرقة ، ويمكن أن يجتمعا في مادة واحدة كمن يعتقد أن الرب والاله واحد ، فثبت أن مفهوم توحيد الربوبية مغاير لمفهوم توحيد الألوهية .

نعم توحيد الربوبية من حيث أن الرب مصـداقه انما هو الله تعالى لا غير يستلزم توحيد الألوهية ، من حيث أن الاله مصداقه انما هو الله تعالى لا غير ،

= ففي بعض كتب الرفاعية : ان أحمد الرفاعي كان يفقر ويغني ، ويسعد ويشقي ، ويميت ويحيي . وفيها : ان السموات السبع في رجله كالخلخال . وكتبه محمـد رشيد رضا .

لكن هاتين الحيثيتين زائدتان على نفس مفهومي التوحيدين ، ثابتتان بالبرهان العقلي والنقلي .

على أنا لو قطعنا النظر عن بحث تغاير مفهومي التوحيدين فمطلوبنا حاصل أيضا ، فان توحيد الألوهية لا يتأتى انكاره من أحد من المسلمين ، وهو كاف لاثبات اشراك عباد القبور ، فانهم اذا دعوا غير الله رغبة ورهبة وخوفا وطمعا ، وطلبوا منهم ما لا يقدر عليه الا الله ، ونحروا لهم ونذروا لهم وطافوا لهم وحلقوا لهم ، وأخرجوا من أموالهم جزءا لهم ، وصنعوا غير ذلك من العبادات ، فقد عبدوا غير الله واتخذوهم آلهة من دون الله .

فان قلت : ان عباد القبور لا يعتقدون أن الأموات من الأنبياء والصالحين أرباب وآلهة أصلا ، ولا يطلقون لفظ الأرباب والآلهة أبدا ، فكيف يكونون مشركين ؟ قلت : في هذا ذهول عن معنى الاشراك في الألوهية والعبادة ، فان الاشراك في العبادة عبادة غير الله ، من الدعاء والذبح والنذر والطواف وغيرها ، سواء يعتقده ربا أو الها أم لا ؟ وسواء يطلق لفظ الرب والاله عليه أم لا ؟ تدل عليه الآيات الكثيرة ، منها قوله تعالى (يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم — الى قوله — فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون) وقوله تعالى (قل يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا) وقوله تعالى (وما أمروا الا ليعبدوا الها واحدا لا اله الا هو سبحانه عما يشركون) وقوله تعالى (ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله ، قل أتنبئون الله بما لا يعلم في السموات ولا في الأرض سبحانه وتعالى عما يشركون) وقوله تعالى (فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا) وقوله تعالى (وقال المسيح يا بني اسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم انه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار) وقوله تعالى (وأن أقم وجهك للدين حنيفا ولا تكونن من المشركين) وقوله تعالى (أإله مع الله ؟ تعالى الله عما يشركون) وقوله تعالى (فاذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين ، فلما نجاهم الى البر اذا هم يشركون) وقوله تعالى (ولقد أوحي اليك والى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين * بل الله فاعبد وكن من الشاكرين) وقوله تعالى (قل انما أدعو ربي ولا أشرك به أحدا) .

وأما استدلال المؤلف [1] على اتحاد توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية بقوله تعالى (ألست بربكم قالوا بلى) ولم يقل ألست بالهكم بأنه تعالى اكتفى منهم بتوحيد الربوبية فليس بشيء ، فان غاية ما يثبت من الآية أن الله تعالى لم يذكر في هذه الآية توحيد الألوهية ، وهذا لا دلالة له بشيء من الدلالات على اتحادهما، فرب حكم يذكر في آية دون أخرى ، وتوحيد الألوهية وان لم يذكر في هذه الآية فهو مذكور في الآيات التي تلونا آنفا ، وتوجيه الاكتفاء بتوحيد الربوبية ليس منحصرا في أنهما لما كانا متحدين اكتفى بذكر أحدهما ، بل هناك احتمالات أخر .

(الأول) أن الاقرار بتوحيد الربوبية مع لحاظ قضية بديهية وهى أن غير الرب لا يستحق العبادة يقتضي الاقرار بتوحيد الألوهية عند من له عقل سليم وفهم مستقيم . فيكون الاقرار المذكور حجة عليهم ، كما احتج الله تعالى على المشركين بتوحيد الرازق ، ومالك السمع والأبصار ، والمحيي والمميت ، ومدبر الأمر ، ومن له الأرض ومن فيها ، ورب السموات السبع ، ورب العرش العظيم ، ومن بيده ملكوت كل شيء ومن خلق السموات والأرض وسخر الشمس والقمر ، ومن نزل من السماء ماء ، ومن خلقهم — في الآيات التي تليت فيما تقدم — على وحدانية الألوهية .

قال الحافظ ابن كثير تحت قوله تعالى (قل من يرزقكم من السماء والأرض أم من يملك السمع والأبصار) الآية : يحتج تعالى على المشركين باعترافهم بوحدانية ربوبيته على وحدانية ألوهيته [2] ، وقال (فقل أفلا تتقون) أى أفلا تخافون منه أن تعبدوا معه غيره بآرائكم وجهلكم ؟ وقوله (فذلكم الله ربكم الحق) الآية ، أى فهذا الذي اعترفتم بأنه فاعل ذلك كله هو ربكم والهكم الحق الذي يستحق أن يفرد بالعبادة ، (فماذا بعد الحق الا الضلال) ، أى فكل معبود سواه باطل لا اله الا هو واحد لا شريك له (فأنى تصرفون) ؟ أى فكيف تصرفون عن عبادته الى عبادة ما سواه وأنتم تعلمون أنه الرب الذي خلق كل شيء والمتصرف في كل شيء ؟ اهـ .

(١) أى دحلان .
(٢) حذف من هنا تفسير الآية فاختل الكلام وهو موجود في تفسير ابن كثير .

وقال تحت قوله تعالى (قل لمن الأرض ومن فيها ان كنتم تعلمون ؟ سيقولون لله) الآية ، يقرر تعالى وحدانيته واستقلاله بالخلق والتصرف والملك ليرشد الى أنه الله الذي لا اله الا هو ولا تنبغي العبادة الا له وحـده لا شريك له ، ولهذا قال لرسوله محمد صلى الله عليه وسلم أن يقول للمشركين العابدين معه غيره المعترفين له بالربوبية وأنه لا شريك له فيها ، ومع هذا فقد أشركوا معه في الالهية فعبدوا غيره معه ، مع اعترافهم أن الذين عبدوهم لا يخلقون شـيئا ولا يملكون شـيئا ولا يستبدون بشيء ، بل اعتقدوا أنهم يقربونهم اليه زلفى (ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى) فقال (قل لمن الأرض ومن فيها) أى من مالكها الذي خلقها ومن فيها من الحيوانات والنباتات والثمرات وسائر صنوف المخلوقات (ان كنتم تعلمون؟ سيقولون لله) أى فيعترفون لك بأن ذلك الله وحده لا شريك له ، فاذا كان ذلك (قل أفلا تذكرون) أنه لا تنبغى العبادة الا للخالق الرازق لا لغيره (قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم) ؟ أى من هو خالق العالم العلوي بما فيه من الكواكب النيرات ،والملائكة الخاضعين له في سائر الأقطار والجهات ، ومن هو رب العرش العظيم ؟ يعني الذي هو سقف المخلوقات . قال وقوله (سيقولون لله قل أفلا تتقون) أى اذا كنتم تعترفون بأنه رب السموات ورب العرش العظيم أفلا تخافون عقابه وتحذرون عذابه في عبادتكم معه غيره واشراككم به ؟ .

قال : وقوله (سيقولون لله) أى سيعترفون أن السيد العظيم الذي يجير ولا يجار عليه هو الله تعالى وحده لا شريك له (قل فأنى تسحرون) ؟ أى فكيف تذهب عقولكم في عبادتكم معه غيره مع اعترافكم وعلمكم بذلك . ا هـ .

وقال تحت قوله تعالى (آلله خير أما يشركون ؟ أمن خلق السموات والأرض وأنزل من السماء ماء فأنبتنا به حدائق ذات بهجة ما كان لكم أن تنبتوا شجرها ، أاله مع الله ؟ بل هم قوم يعدلون) استفهام انكار على المشركين في عبادتهم مع الله آلهة أخرى ، ثم شرع يبين أنه المتفرد بالخلق والرزق والتدبير دون غيره ، أى لم تكونوا تقدرون على انبات أشجارها ، وانما يقدر على ذلك الخالق الرازق المستقل بذلك ، المنفرد به دون ما سواه من الأصنام والأنداد كما يعترف به هؤلاء المشركون، كما قال الله تعالى في الآية الأخري (ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله) (ولئن

سألتهم من نزل من السماء ماء فأحيا به الأرض من بعد موتها ليقولن الله) أى هم معترفون بأنه الفاعل لجميع ذلك وحده لا شريك له ، ثم هم يعبدون معه غيره مما يعترفون أنه لا يخلق ولا يرزق ، وانما يستحق أن يفرد بالعبادة من هو المنفرد بالخلق والرزق ، ولهذا قال تعالى (أأله مع الله) يعبد ؟ وقد تبين لكم ولكل ذي لب مما يعترفون به أيضا أنه الخالق الرازق • ا هـ •

وقال تحت قوله تعالى (ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض وسخر الشمس والقمر ليقولن الله فأنى يؤفكون) ؟ الآية : يقول تعالى مقررا أنه لا اله الا هو ، لأن المشركين الذين يعبدون معه غيره معترفون بأنه المستقل بخلق السموات والأرض والشمس والقمر وتسخير الليل والنهار ، وأنه الخالق الرازق لعباده ، ومقدر آجالهم واختلاف ارزاقهم ، ففاوت بينهم ، فمنهم الغني والفقير ، وهو العليم بما يصلح كلا منهم ، ومن يستحق الغنى ممن يستحق الفقر ، فذكر أنه المستقل بخلق الأشياء ، المتفرد بتدبيرها ، فاذا كان الأمر كذلك فلم يعبد غيره ؟ ولم يتوكل على غيره ؟ فكما أنه الواحد في ملكه فليكن الواحد في عبادته • وكثيرا ما يقرر تعالى مقام الالهية بالاعتراف بتوحيد الربوبية • وقد كان المشركون يعترفون بذلك كما كانوا يقولون في تلبيتهم : لبيك لا شريك لك ، الا شريكا هو لك ، تملكه وما ملك • ا هـ •

وقال تحت قوله تعالى (ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله، قل الحمد لله) الآية : يقول تعالى مخبرا عن هؤلاء المشركين به انهم يعرفون أن الله خالق السموات والأرض وحده لا شريك له ، ومع هذا يعبدون معه شركاء يعترفون أنها خلق له وملك له ، ولهذا قال تعالى (ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله ، قل الحمد لله) أى اذ قامت عليكم الحجة باعترافكم (بل أكثرهم لا يعلمون) • ا هـ •

وقال تحت قوله تعالى (يا أيها الناس اذكروا نعمة الله عليكم هل من خالق غير الله يرزقكم من السماء والأرض ؟ لا اله الا هو فأنى تؤفكون) : ينبه تعالى عباده ويرشدهم الى الاستدلال على توحيده في افراد العبادة له ، كما أنه المستقل بالخلق والرزق فكذلك فليفرد بالعبادة ، ولا يشرك به غيره من الأصنام والأنداد

والأوثان . ولهذا قال تعالى (لا اله الا هو فأنى تؤفكون) ؟ أي فكيف تؤفكون بعد هذا البيان ، ووضوح هذا البرهان ؟ وأنتم بعد هذا تعبدون الأنداد والأوثان . اهـ .

وقال تحت قوله تعالى (ذلكم الله ربكم له الملك لا اله الا هو فأنى تصرفون) : أي هذا الذي خلق السموات والأرض وما بينهما ، وخلقكم وخلق آباءكم ، وهو الرب له الملك والتصرف في جميع ذلك (لا اله الا هو) أي الذي لا تنبغي العبادة الا له وحده لا شريك له (فأنى تصرفون) ؟ أي فكيف تعبدون معه غيره ؟ أين يذهب بعقولكم ؟ اهـ .

وقال تحت قوله تعالى في الزمر (ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله) : يعني المشركين ، كانوا يعترفون بأن الله عز وجل هو الخالق للأشياء كلها ومع هذا يعبدون معه غيره ممن لا يملك لهم ضرا ولا نفعا . اهـ .

وقال تحت قوله تعالى في الزخرف (ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن خلقهن العزيز العليم) يقول تعالى : ولئن سألت يامحمد هؤلاء المشركين بالله العابدين معه غيره : من خلق السموات والأرض ؟ (ليقولن خلقهن العزيز العليم) أي ليعترفن بأن الخالق لذلك هو الله وحده لا شريك له ، وهم مع هذا يعبدون معه غيره من الأصنام والأنداد . اهـ .

وقال تحت قوله تعالى فيها أيضا (ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله ، فأنى يؤفكون ؟) : أي ولئن سألت هؤلاء المشركين بالله العابدين معه غيره : من خلقهم ؟ (ليقولن الله) ، أي هم يعترفون أنه الخالق للأشياء جميعها وحده لا شريك له في ذلك ، ومع هذا يعبدون معه غيره ممن لا يملك شيئا ولا يقدر على شيء ، فهم في ذلك في غاية الجهل والسفاهة وسخافة العقل،ولهذا قال تعالى (فأنى يؤفكون) ؟اهـ.

و (الاحتمال الثاني) أن في الآية اختصارا ، والمقصود : ألست بربكم والهكم؟ يدل عليه أثر ابن عباس : ان الله مسح صلب آدم فاستخرج منه كل نسمة هو خالقها الى يوم القيامة ، فأخذ منهم الميثاق أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا ، وتكفل لهم بالأرزاق الحديث ، وأثر أبي بن كعب في قوله تعالى (واذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم) الآية ، قال : فجمعهم له يومئذ جميعا ما هو كائن منه الى

يوم القيامة فجعلهم في صورهم ثم استنطقهم فتكلموا ، وأخذ عليهم العهد والميثاق، (وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم ؟ قالوا بلى) الآية ، قال : فاني أشهد عليكم السموات السبع والأرضين السبع ، وأشهد عليكم أباكم آدم أن تقولوا يوم القيامة لم نعلم بهذا ، اعلموا أنه لا اله غيري ولا رب غيري ، ولا تشركوا بي شيئا ، واني سأرسل اليكم رسلي لينذروكم عهدي وميثاقي ، وأنزل عليكم كتبي ، قالوا : نشهد أنك ربنا والهنا ، لا رب لنا غيرك ، ولا اله لنا غيرك ، فأقروا له يومئذ بالطاعة • ذكر هذين الأثرين الحافظ ابن كثير في تفسيره •

وقال أيضا فيه : يخبر تعالى أنه استخرج ذرية بني آدم من أصلابهم شاهدين على أنفسهم أن الله ربهم ومليكهم وأنه لا اله الا هو كما أنه تعالى فطرهم على ذلك وجبلهم عليه • ا هـ •

و (الاحتمال الثالث) أن المراد بالرب المعبود ، قال القرطبي : والرب المعبود، وعن عكرمة في تفسير قوله تعالى (ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله) قال : يسجد بعضنا لبعض ، كذا قال الحافظ ابن كثير في تفسيره وغيره ، وقال الله تعالى في سورة التوبة (اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح بن مريم ، وما أمروا الا ليعبدوا الها واحدا لا اله الا هو سبحانه عما يشركون) فالمراد بالأرباب في تلك الآية هم المعبودون ، بدليل قوله تعالى (وما أمروا الا ليعبدوا الها واحدا لا اله الا هو سبحانه عما يشركون) وكذلك فهم عدي بن حاتم رضى الله عنه ، وقرره النبي صلى الله عليه وسلم عليه ، روى الامام أحمد والترمذي وابن جرير من طرق عن عدى بن حاتم رضى الله عنه أنه لما بلغته دعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم فر الى الشام وكان قد تنصر في الجاهلية ، فأسرت أخته وجماعة من قومه ، ثم من رسول الله صلى الله عليه وسلم على أخته وأعطاها ، فرجعت انى أخيها فرغبته في الاسلام وفي القدوم على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقدم عدي المدينة وكان رئيسا في قومه طيىء : وأبوه حاتم الطائي المشهور بالكرم ، فتحدث الناس بقدومه ، فدخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي عنق عدي صليب من فضة وهو يقرأ هذه الآية (اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله) قال فقلت : انهم لم يعبدوهم ، فقال « بلى انهم حرموا عليهم الحلال وأحلوا لهم الحرام فاتبعوهم ، فذلك عبادتهم اياهم » الحديث •

وقوله [١] : ومن المعلوم أن من أقر لله بالربوبية فقد أقر له بالألوهية اذ ليس الرب غير الاله ، بل هو الاله بعينه .

فيه أنه ان أراد أن مفهوم الرب عين مفهوم الاله فقد تبين بطلانه آنفا فيما سلف ، وان أراد أن مصداقه عين مصداق الاله فهذا حق بحسب نفس الأمر واعتقاد المسلمين المخلصين ، ولكن المشركين من الأمم الماضية وهذه الأمة لا يسلمون عينية مصداقهما ، واذا كان الأمر كذلك أمكن منهم أن يقروا لله بتوحيد الربوبية ولا يقروا له بتوحيد الألوهية [٢] وقد وقع كذلك ، دل عليه قوله تعالى في المؤمنون (قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم ؟ سيقولون لله قل أفلا تتقون) ففي هذه الآية أن المشركين كانوا معترفين بأن الله هو رب السموات السبع ورب العرش العظيم ومع ذلك كانوا يعبدون الأصنام والأوثان . وههنا بحثان :

(الأول) أن الآية لا يثبت منها الا ثبوت الربوبية لله تعالى ، لا أن غيره تعالى ليس ربا ، اذ ليس هناك أداة حصر .

و (الثاني) أن الثابت منها انما هو ربوبيته تعالى للسموات السبع والعرش العظيم فحسب ، لا ربوبيته لجميع المخلوقات ، فيحتمل أن يكون رب غير السموات السبع والعرش العظيم عندهم غير الله تعالى .

والجواب عن الأول أن عدم ذكر المشركين غير الله تعالى في جواب السؤال برهان واضح على انحصار الربوبية ، فان السكوت في معرض البيان بيان ، سيما فيما يقيم به عليهم الحجة ، فلو كان غير الله عندهم ربا لذكروه في الجواب البتة[٣] .

والجواب عن الثاني أن المقصود أن رب جميع المخلوقات هو الله تعالى ، وانما خصوا السموات السبع والعرش العظيم بالذكر لأنها من أكبر الأجرام

---

(١) أي دحلان .

(٢) الصواب الواقع أنهم يقرون له تعالى وحده باسم الرب واسم الاله ، ويشركون أولياءه معه في معناهما جهلا منهم بمدلول اللغة لأنها ليست لغتهم بالسليقة ، بخلاف عرب الجاهلية ، فالرب هو المدبر لكل أمر والمتصرف فيه بكل شيء غير مقيد بالأسباب، وهؤلاء يشركون معه غيره في هذا التصرف الخاص بالربوبية ولكنهم يسمون أولياءهم متصرفين ومدبرين ولا يسمونهم أربابا كما تقدم قريبا . وكتبه محمد رشيد رضا .

(٣) أي حتما ، والبتة أظنها تستعمل في النفي فقط .

وأعظمها ، وأشدها خلقا ، يدل عليه أن معنى الرب هو المـالك المتصرف ، وكون الله تعالى وحده مالكا متصرفا لجميع المخلوقات ثابت باقرار المشركين ، قال الله تعالى (قل من يرزقكم من السماء والأرض ، أم من يملك السمع والأبصار ، ومن يخرج الحي من الميت ، ويخرج الميت من الحي ، ومن يدبر الأمر ؟ فسيقولون الله فقل أفلا تتقون * فذلكم الله ربكم الحق) وقال الله تعالى (قل لمن الأرض ومن فيها ان كنتم تعلمون ؟ سيقولون لله ، قل أفلا تذكرون) وقال تعالى (قل من بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه ان كنتم تعلمون ؟ سيقولون لله ، قل فأنى تسحرون) وقال تعالى (ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ، وسخر الشمس والقمر ؟ ليقولن الله ، فأنى يؤفكون) وقال تعالى (ولئن سألتهم من نزل من السماء ماء فأحيا به الأرض من بعد موتهـا ؟ ليقولن الله ، قل الحمد لله بل أكثرهم لا يعقلون) •

فان قلت : هنـاك آيات دالة على أن المشركين لم يكونوا مقرين بتوحيـد الربوبية ، منها قوله تعالى (ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله) فهذا دال على أن المشركين من أهل الكتاب كانوا هم يتخذ بعضهم بعضا أربابا من دون الله ، ومنها قوله تعالى (فلما جن عليه الليل رأى كوكبا قال هـذا ربي ، فلما أفل قال لا أحب الآفلين) الى قوله (يا قوم اني بريء مما تشركون) فان الخليل عليه السلام (قال هذا ربي) في الثلاث الآيات مستفهما لهم ، مبكتا متكلما على خطئهم ، حيث يسمون الكواكب أربابا ، ومنها قوله تعالى (أغير الله أبغي ربا وهو رب كل شيء)؟ وهذا نص على أن المشركين كانوا يبغون غير الله من الأصنام والأوثان ربا ، ومنها قوله تعالى (اتخذوا أحبـارهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح بن مريم) ومنها قوله تعالى (يا صاحبي السجن أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار)؟ فان يوسف عليه السلام سماهم أربابا لأنهم كانوا يسمونهم كذلك ، ومنهـا قوله تعالى (فقال أنا ربكم الأعلى) فهذا يدل على أن فرعون كان يثبت الربوبية لنفسه ولغيره من الأوثان •

قلت جوابه بوجوه :

(الأول) أنه ليس في شيء من الآيات المذكورة أن مشركا قال في حق غير الله

تعالى انه رب [١] غير أن فرعون قال : أنا ربكم الأعلى ، وهو لم يكن مشركا بالله ، بل دهريا منكرا لله تعالى حيث قال : (وما رب العالمين) ؟ وانما في بعضها اتخاذ الأرباب ، وهذا ليس نصا على أنهم مقرون بربوبيتهم ، بل يحتمل أن يكون اتخاذهم الأرباب بمعنى صرف شيء من العبادة اليهم ، أو بمعنى اتباع ما شرعوا لهم من تحريم الحلال وتحليل الحرام ، لا أنهم كانوا يطلقون لفظ الرب عليهم •

قال العلامة الامام حسن بن خالد (رحمه الله) في (منفعة قوت القلوب ، في اخلاص توحيد علام الغيوب) : ومن هنا تعلم أن من صرف شيئا من العبادة الى غير الله فقد اتخذه الها ربا ، أما كونه اتخذه الها فقد صار له مألوها ، والمألوه المعبود ، واذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأصحابه ــ وقد سأله بعض حديثي الاسلام منهم أن يجعل لهم ذات أنواط فقال ــ « الله أكبر ، هــذا كما قال بنو اسرائيل اجعل لنا الها كما لهم آلهة لتركبن سنن من كان قبلكم » أخرجه ابن أبي شيبة وأحمد والترمذي وصححه والنسائي عن أبي واقد الليثي ، مع أنهم لا يعبدون الشجرة ولا يسألونها ، بل ينوطون بها أسلحتهم ومتاعهم ، فجعل اتخاذهم لها لذلك اتخاذ آلهة ، فما الظن بقصد مخلوق معظم لدعائه والهتف به عند الشدائد ، فأي نسبة للفتنة بشجرة الى الفتنة بمن توحى اليهم الشياطين ؟ وأما كونه قد اتخــذه ربا فلتشبيهه لله في الربوبية ، وقد قال الله تعالى (ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أربابا) •

وسبب نزول هذه الآية ما ذكروا أن اليهود والنصارى قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم : أتريد أن نعبدك كما تعبد النصارى عيسى بن مريم ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « معاذ الله أن يعبد غير الله ، أو نأمر بعبادة غير الله ، ما بذلك

---

(١) هذا النفي العــام غير مسلم ، فان بعض البشر اتخذوا أربابا من دون الله ، ومن اتخذ ربا سماه ربا ان كانت هــذه التسمية لغة قومه ، وقريش ما كانت تتخذ آلهتها أربابا • والنصارى يسمون المسيــح ربهم ، ولا يطلقــون اسم الرب على من عبدوهم من دونه ، وان اتخذوهم أربابا وآلهة ، وكذلك من اتبع سننهم من مبتدعة المسلمين كما تقدم ، وراجع تفسير (اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا) الآية في الجزء العاشر من تفسير المنار ، وقوم ابراهيم اتخذوا الكواكب أربابا والأصنام آلهة ، فراجع قصته في سورة الأنعام وتفسيرها في الجزء السابع من تفسير المنار ، والمصنف ومن نقل عنهم ما كانوا يعرفون تأريخ الكلدانيين وأمثالهم من القدماء • وكتبه محمد رشيد رضــا •

بعثني ولا بذلك أمرني » فأنزل الله تعالى في ذلك (ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عبادا لي من دون الله ، ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون * ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أربابا أيأمركم بالكفر بعد أذ أنتم مسلمون) فالرسول نفى أن يعبد غير الله أو يأمر بعبادة غير الله في جوابه عليهم ، والقرآن نزل بنفي أمره باتخاذ الملائكة والنبيين أربابا ، لأن الربوبية من لوازم الالهية ، فيفى أحدهما نفى للآخر واثبات أحدهما اثبات للآخر ، لأن المعبود لا بد أن يكون مالكا للنفع والضر ، ومن يملك النفع والضر فهو المعبود ، فمن أثبت العبادة لأحد فقد أثبت له الربوبية ، ومن أثبت الربوبية لأحد فقد أوجب له العبادة . اهـ .

وقال أيضا فيه : اذا علمت أن معنى الرب المتصرف المالك ، وأن معنى الاله المعبود ، وأن معنى الالاهة والألوهية العبادة والعبودية ، وأن العبادة هى أقصى مراتب الخضوع حبا وذلا ، علمت أن من قصد غير الله بشيء من العبادة ، أو أثبت له بعض خواص الرب سبحانه وتعالى فقد اتخذه ربا والها ، سواء أطلق عليه اسم الاله أم لم يطلقه ، فان الاله المعبود ، وغلب على المعبود بحق وهو الله تعالى .اهـ.

وفي بعضها قول الخليل عليه السلام (هذا ربي) ، وهذا ليس نصا على أن قومه عليه السلام يسمون الكواكب أربابا ، اذ في الآية أقوال :

منها أنه كان هذا منه عليه السلام عند قصور النظر ، لأنه في زمن الطفولية ، وقيل كان بعد بلوغ ابراهيم عليه السلام . ثم اختلف في تأويل هذه الآية : فقيل أراد قيام الحجة على قومه كالحاكي لما هو عندهم وما يعتقدونه لأجل الزامهم ، وقيل معناه : أهذا ربي ؟ أنكر أن يكون مثل هذا ربا ، وقيل المعنى : وأنتم تقولون هذا ربي . فأضمر القول ، وقيل المعنى على حذف مضاف أى : هذا دليل ربي .

قال الحافظ ابن كثير في تفسيره : وقد اختلف المفسرون في هذا المقام هل هو مقام نظر أو مناظرة ؟ فروى ابن جرير من طريق على بن أبي طلحة عن ابن عباس ما يقتضي أنه مقام نظر ، واختاره ابن جرير مستدلا عليه بقوله (لئن لم يهدني ربي) الآيه ، وقال محمد بن اسحاق : قال ذلك حين خرج من السرب الذي ولدته فيه أمه حين تخوفت عليه من نسرود بن كنعان ، لما كان قد أخبر بوجود مولود

يكون ذهاب ملكه على يديه ، فأمر بقتل الغلمان عامئذ ، فلما حملت أم ابراهيم به وحان وضعها ذهبت به الى سرب ظاهر البلد فولدت فيه ابراهيم وتركته هنـاك ، وذكر أشياء من خوارق العادات كما ذكرها غيره من المفسرين من السلف والخلف. والحق أن ابراهيم عليه الصلاة والسلام كان في هذا المقام مناظرا لقومه ، مبينا لهم بطلان ما كانوا عليه من عبـادة الهياكل والأصنام ، فبين في المقـام الأول مع أبيه خطأهم في عبادة الأصنام الأرضية ، التي هى على صور الملائكة السماوية ، ليشفعوا لهم الى الخالق العظيم الذي هم عند أنفسهم أحقر من أن يعبدوه ، وانما يتوسلون اليه بعبادة ملائكته ، ليشفعوا لهم عنده في الرزق وغير ذلك مما يحتاجون اليـه ، وبين في هذا المقـام خطأهم وضلالهم في عبادة الهياكل وهي الكواكب السـيارة السبعة المتحيرة . اهـ .

قلت : لا يخفى عليك أن عبـارة الحافظ دالة على أن مقصود ابراهيم عليه السلام بهذا القول بيان بطلان ما كانوا عليه من عبادة الهياكل ، وهذا لا يتوقف على كون قومه قائلين بربوبية الهياكل ، بل يستقيم هذا البيان على تقدير كون قومه جاحدين لربوبيتها أيضا بأن يقال : ان هـذه الهياكل اذ لا تصلح للربوبية فكيف تصلح للالهية ؟ وفي بعضها أن الله تعالى أمر نبيه صلى الله عليه وسلم أن يقـول (أغير الله أبغي ربا وهو رب كل شيء) ؟ ففيه بغي غير الله ربا وهو مثل اتخـاذ الـرب .

وقد عرفت فيما تقدم أن اتخاذ شيء ربا ليس نصا على اقرار ربوبيته لاحتمال أن يكون اتخاذ الرب بمعنى صرف شيء من العبادة اليه ، أو بمعنى اتباع ما شرعوا لهم . يدل عليه ما في التفاسير من أنه جواب على المشركين لمـا دعوه الى عبادة غيره سبحانه ، قال الحافظ ابن كثير في تفسيره : يقول تعالى (قل) يا محمد لهؤلاء المشركين بالله في اخلاص العبادة له والتوكل عليه (أغير الله أبغي ربا) ؟ أى أطلب ربا سـواه (وهو رب كل شيء) يربيني ويحفظني ويكلؤني ويدبر أمري ، أى لا أتوكل الا عليه ، ولا أنيب الا اليـه ، لأنه رب كل شيء ومليكه ، وله الخلق والأمر ، ففي هذه الآية الأمر باخلاص التـوكل ، كما تضمنت الآية التي قبلهـا اخلاص العبادة له وحده لا شريك له . اهـ .

وفي بعضها أن يوسف عليه السلام قال لصاحبي السجن (أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار) ؟ وهذا ليس فيه تصريح أنهما كانا يطلقان لفظ الأرباب على الأصنام ، حتى يلزم انكار توحيد الربوبية ، بل يحتمل أن يكون المقصود بيان بطلان ما كانوا عليه من عبادة الأصنام ، بأن القول بالأرباب المتفرقة باطل قطعا ، لا يتأتى انكاره من أحد من أهل العقل ، وما لا يصلح للربوبية لا يصلح للعبادة ، دل عليه قوله تعالى (ما تعبدون من دونه الا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان ، ان الحكم الا لله ، أمر أن لا تعبدوا الا اياه ، ذلك الدين القيم ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون) •

قال الحافظ ابن كثير في تفسيره : ثم ان يوسف عليه السلام أقبل على الفتيين بالمخاطبة والدعاء لهما الى عبادة الله وحده لا شريك له ، وخلع ما سواه من الأوثان التي يعبدها قومهما فقال (أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار) ؟ الذي ذل كل شيء لعز جلاله وعظمة سلطانه • اهـ •

وجملة القول أنه ليس في آية من الآيات أن واحدا من المشركين قال ان غير الله رب ، حتى يلزم انكار توحيد الربوبية •

و (الوجه الثاني) أنه يحتمل أن يكون المراد بالرب في الآيات المذكورة المعبود ، وقد عرفت فيما تقدم أن الرب ربما يجيء بمعنى المعبود •

و (الثالث) أن الكلام في مشركي العرب ، والآيات المذكورة أكثرها في حق غيرهم من مشركي أهل الكتاب ، وقوم ابراهيم ، وقوم يوسف عليهما السلام[1] فلا يصح بتلك الآيات الاستدلال على أن مشركي العرب لم يكونوا مقرين بتوحيد الربوبية ، ولعلك قد تفطنت من ههنا فساد قول العلامة محمد بن اسماعيل الأمير حيث قال « فان قلت : أهل الجاهلية تقول في أصنامها انهم يقربونهم الى الله زلفى كما يقوله القبوريون (ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله) كما يقوله القبوريون قلت : لا سواء ، فان القبوريين مثبتون التوحيد لله ، قائلون انه لا اله الا هو ، ولو ضربت عنقه على أن يقول ان الولي اله مع الله لما قالها ، بل عنده اعتقاد جهل أن الولي لما أطاع الله كان له بطاعته عنده تعالى جاه به تقبل شفاعته ويرجى

(١) هذا أوجه الوجوه الثلاثة وأصحها في المسألة • وكتبه محمد رشيد رضا •

نفعه ، لا أنه اله مع الله ، بخلاف الوثني فانه امتنع عن قول لا اله الا الله حتى ضربت عنقه زاعما أن وثنه اله مع الله ويسميه ربا والها . قال يوسف عليه السلام (أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار) ؟ سماهم أربابا لأنهم كانوا يسمونهم بذلك كما قال الخليل (هذا ربي) في الثلاث الآيات ، مستفهما لهم مبكتا متكلما على خطئهم حيث يسمون الكواكب أربابا وقالوا (أجعل الآلهة الها واحدا) وقال قوم ابراهيم (من فعل هذا بآلهتنا) ، (أأنت فعلت هذا بآلهتنا يا ابراهيم) ؟ وقال ابراهيم (أافكا آلهة دون الله تريدون) ؟ ومن هنا يعلم أن الكفار غير مقرين بتوحيد الألوهية والربوبية كما توهمه من توهم من قوله (ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله) ، (ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن خلقهن العزيز العليم) ، (قل من يرزقكم من السماء والأرض – الى قوله – فسيقولون الله) فهذا اقرار بتوحيد الخالقية والرازقية ونحوهما ، لا أنه اقرار بتوحيد الربوبية ، لأنهم يجعلون أوثانهم أربابا كما عرفت . اهـ .

وجه الفساد أن الاقرار بتوحيد الخالقية والرازقية ونحوهما اقرار بتوحيد الربوبية ، لما عرفت فيما تقدم من أن معنى الرب هو المالك المتصرف وكون الله تعالى وحده خالقا ورازقا ونحوهما يستلزم كونه تعالى وحده مالكا متصرفا في جميع المخلوقات ، على أن قوله تعالى في المؤمنون (قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم ؟ سيقولون لله) نص على الاقرار بتوحيد الربوبية واضح ، وقد علمت الجواب عما فيه من البحثين فتذكر ، وأما قوله «يجعلون أوثانهم أربابا» فقد عرفت الجواب عنه فيما سلف بما لا مزيد عليه [1] .

قوله : ومما يعتقده هؤلاء الملحدة المكفرة للمسلمين أن قصد الصالحين والاعتقاد فيهم والتبرك بهم شرك أكبر .

أقول : جوابه قراءة قوله تعالى (سبحانك هذا بهتان عظيم) ، لم يقل

(١) وقد علمت مما سلف أيضا أن الفرق بين المسلم والجاهلي في اطلاق اسم العبادة والاله أن التسمية عند الأول اصطلاحية وعند الثاني لغوية ، فكل تعظيم ودعاء فيما هو فوق الأسباب يسمى عنده عبادة ، ويسمى المعظم المطلوب منه ذلك معبودا والها ، لأن هذا مقتضى لغته . والمسلم ليس كذلك ، فهو لا يعرف لهذه الأسماء الا المعنى الشرعي وان جهل أصله اللغوي . وكتبه محمد رشيد رضا .

أحد من الموحـدين المتبعين للكتاب والسنة قط ان قصـد الصالحين والاعتقـاد فيهم والتبرك بهم شرك ، سينال ان شاء الله تعالى هذا المفترى غضب من ربـه وذلة في الحياة الدنيا . قال الله تعالى (ان الذين اتخذوا العجل سينالهم غضب من ربهم وذلة في الحياة الدنيا ، وكذلك نجزى المفترين) انما منعـوا الناس أن يشدوا الرحال لزيارة قبور الصالحين ، وأين هذا من ذاك ؟ ولم يقولوا فيـه أيضا انه شرك أكبر ، انما قالوا انه بدعة محرمة .

قوله : فان رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر صاحبيه عمر بن الخطاب وعلى بن أبي طالب رضى الله عنهما أن يقصدوا أويس القرنى ويسألاه الدعـاء والاستغفار كما في صحيح مسلم .

أقول : ليس في مسلم في فضـل أويس رضى الله عنه الا حديث عمر رضى الله عنه وألفاظه مختلفة ، وفي رواية أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قال « ان رجلا يأتيكم من اليمن يقال له أويس ، لا يدع باليمن غير أم له ، قد كـان به بياض ، فدعا الله فأذهبه عنه الا موضع الدينار أو الدرهم ، فمن لقيـه منكم فليستغفر لكم » ، وفي لفظ : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « ان خير التابعين رجل يقال له أويس ، وله والدة ، وكان به بياض فمروه فليستغفـر لكم » ، وفي لفظ : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « يأتي عليكـم أويس بن عامر مع أمداد أهل اليمن من مراد ثم من قرن ، كان به برص فبرأ منه الا موضع درهم ، له والدة هو بها بر ، لو أقسم على الله لأبره ، فان استطعـت أن يستغفر لك فافعل » فاستغفر لى ، فاستغفر له . اهـ

وليس فيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر صاحبيه عمر بن الخطاب وعلى بن أبي طالب أن يقصدا أويسا ، ولو كان هذا اللفظ واقعا في حديـث لما كان فيه حجة للخصم أيضا ، فان هذا اللفظ لا يقتضى جواز شد الرحال لزيارة الأحياء فضلا عن جوازه لزيارة الأموات الذي كلامنا فيـه ، وما ورد في صحيح مسلم ليس فيه الا أنه ان جاءنا أحد من أهل الخير والصلاح فمن لقيه منا فطلب الدعاء له منه جائز ، وهذا لا ينكره أحد .

قوله : وأما التبرك بآثار الصالحين ـــ الى قوله ـــ ليس فيـه شيء من

الاشراك ولا الحرمة ، وانما هؤلاء القوم يلبسون على المسلمين توصلا الى أغراضهم ، فلا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم •

أقول : هذه اطالة لا طائل تحتها ، فانه ليس أحد منا معاشر أهل التوحيد والسنة منكرا للتبرك بآثار الصالحين [1] ، انما نمنع شد الرحال لزيارة قبور الصالحين ودعاء الأموات وطلب الدعاء منهم ، والروايات المذكورة ليس فيها أثر من جواز هذه الأمور •

---

(١) للشاطبي فى ((الاعتصام)) بحث نفيس تعرض فيه لقياس غير النبي صلى الله عليه وسلم عليه في التبرك وذكر أنه عارضه أصل مقطوع به هو أن الصحابة رضي الله عنهم بعد موت النبي صلىاللهعليهوسلم لم يقع منهم بالنسبة الى من خلفه شيء من ذلك اذ لم يترك النبي صلىاللهعليهوسلم بعده في الأمة أفضل من أبي بكر الصديق فهو كان خليفته ، ولم يفعل به شيء من ذلك ولا عمر رضي الله عنه وهو أفضل الأمة بعد أبي بكر ، ثم كذلك عثمان ثم علي ثم سائر الصحابة الذين لا أحد أفضل منهم فى الأمة ثم لم يثبت لواحد منهم من طريق صحيح معروف أن متبركا تبرك به على أحد تلك الوجوه أو نحوها بل اقتصروا فيهم على الاقتداء بالأفعال والأقوال والسير التي اتبعوا فيها النبي صلى الله عليه وسلم قال فهو اذا اجماع منهم على ترك تلك الأشياء • قال ((ولو كان اعتقادهم التشريع لعمل بعضهم بعده أو عملوا به ولو فى بعض الأحوال اما وقوفا مع أصل المشروعية واما بناء على اعتقاد انتفاء العلة الموجبة للامتناع • كما ذكر الشاطبي في ذلك البحث النفيس أن العامة لا تقتصر في التبرك على حد بل تتجاوز فيه الحدود وتبالغ بجهلها في التماس البركة حتى يداخلها للمتبرك به تعظيم يخرج به عن الحد فربما اعتقد في المتبرك به ما ليس فيه وهذا التبرك هو أصل العبادة ولأجله قطع عمر رضى الله عنه الشجرة التي بويع تحتها رسول الله صلى الله عليه وسلم بل هو كان أصل عبادة الأوثان في الأمم الخالية حسبما ذكره أهل السير فخاف عمر رضى الله عنه أن يتمادى الحال في الصلاة الى تلك الشجرة حتى تعبد من دون الله فكذلك يتفق عند التوغل في التعظيم ولقد حكى الفرغاني مذيل تاريخ الطبري عن الحلاج أن اصحابه بالغوا في التبرك به حتى كانوا يتمسحون ببوله ويتبخرون بعذرته حتى ادعوا فيه الالهية تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا • وذكر الشاطبي في التبرك بمن تعتقد العامة فيه الولاية أمرا آخر هو أن الولاية في الحقيقة راجعة الى أمر باطن لا يعلمه الا الله فربما ادعيت الولاية لمن ليس بولي أو ادعاها هو لنفسه أو اظهر خارقا ليس من باب الكرامة بل من باب الشعوذة أو السحر أو غير ذلك والعامة لا تعرف الفرق بين الكرامة وبين غيرها فيعظمون من ليس بعظيم ويقتدون بمن لا قدوة فيه وذلك هو الضلال البعيد • انتهى المراد من كلام الشاطبي فدعوى السهسواني رحمه الله اجماع أهل التوحيد على فتح باب التبرك بغير النبي صلى الله عليه وسلم غير وجيهة ما دام الأمر على ما أوضحه الشاطبي في الاعتصام • وكتبه اسماعيل الأنصاري •

قوله : كان محمد بن عبدالوهاب الذي ابتدع هذه البدعة يخطب للجمعة في مسجد الدرعية ويقول في كل خطبة : ومن توسل بالنبى فقد كفر .

أقول : هذه المسألة من المسائل التي أجاب الشيخ نفسه عنها في الرسالة التي كتبها الى عبدالله بن سحيم بما نصه :

فهذه اثنا عشر (١) مسألة جوابى فيها أن أقول : سبحانك هذا بهتان عظيم ، ولكن قبله من بهت محمدا صلى الله عليه وسلم أنه يسب عيسى بن مريم ويسب الصالحين (تشابهت قلوبهم) وبهتوه بأنه يزعم أن الملائكة وعيسى وعزيرا في النار فأنزل الله في ذلك (ان الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون) الآية

قال الشيخ حسين بن غنام الاحسائي في روضة الأفكار والأفهام : (العاشرة) قولهم في الاستسقاء لا بأس بالتوسل بالصالحين ، وقول أحمد يتوسل بالنبي صلى الله عليه وسلم خاصة مع قولهم انه لا يستغاث بمخلوق ، فالفرق ظاهر جدا ، وليس الكلام مما نحن فيه ، فكون بعض يرخص بالتوسل بالصالحين ، وبعضهم يخصه بالنبي صلى الله عليه وسلم ، وأكثر العلماء ينهى عن ذلك ويكرهه ، هذه المسألة من مسائل الفقه ، ولو كان الصواب عندنا قول الجمهور انه مكروه فلا ننكر على من فعله ، ولا انكار في مسائل الاجتهاد ، لكن انكارنا على من دعا المخلوق أعظم مما يدعو الله تعالى ويقصد القبر يتضرع عند الشيخ عبدالقادر أو غيره يطلب منه تفريج الكربات ، واغاثة اللهفات ، واعطاء الرغبات ، فأين هذا ممن يدعو الله مخلصا له الدين ؟ لا يدعو مع الله أحدا ، ولكن يقول في دعائه : أسألك بنبيك أو بالمرسلين أو بعبادك الصالحين أو يقصد قبر معروف أو غيره يدعو عنده لكن لا يدعو الا الله يخلص له الدين ، فأين هذا مما نحن فيه ؟ اهـ

وقال بعض المحققين في الرد على كتاب (جلاء الغمة) : اذا ظهر هذا وعرفت أن كلام الشيخ متجه لا غبار عليه فاعلم أن قول هذا الملحد « فجعل بكلامه هذا كما ترى التوسل بذوات الصالحين والرسل عليهم الصلاة والسلام وطلبه

(١) الصواب اثنتا عشرة .

جل وعلا بأوليائه من دين المشركين الشرك الأكبر المخرج عن الملة وكفر به كما ترى صريحا من قوله » تمويه وتلبيس أدخل فيه قوله وطلبه جل وعلا بأوليائه ليوهم الجهال ومن لا علم عندهم بحقيقة الحال .

وموضوع الكلام أن مراد الشيخ مسألة التوسل في دعاء الله بجاه الصالحين، وهذه مسألة ، ودعاء الصالح وقصده فيما لا يقدر عليه الا الله مسألة أخرى ، فخلطهما ليروج باطله فقبحا قبحا ، وسحقا سحقا ، لمن ورث اليهود وحرف الكلم عن مواضعه ، وكلام الشيخ صريح فيمن دعا مع الله الها آخر في حاجاته وملماته ، وقصده بعبادته فيما لا يقدر عليه الا الله تعالى ، كحال من عبد عبدالقادر ، أو أحمد البدوى ، أو العيدروس ، أو عليا ، أو الحسين ، ومع هذا الصنيع الفظيع والشرك الجلى يقول أنا لا أشرك بالله شيئا ، وأشهد أنه لا يخلق ولا يرزق ولا ينفع ولا يضر الا الله ، ظنا منه أن ذلك هو الاسلام فقط ، وأنه ينجو به من الشرك وما رتب عليه ، فكشف الشيخ شبهته ، وأدحض حجته ، بما تقدم من الآيات (وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا لا مبدل لكلماته وهو السميع العليم) .

وأما مسألة الله بحق أنبيائه وأوليائه أو بجاههم بأن يقول السائل : اللهم انى أسألك بحق أنبيائك وأوليائك أو نحو هذا فليس الكلام فيه ، ولم يقل الشيخ انه شرك ولا له ذكر في كلامه ، وحكمه عند أهل العلم معروف ، وقد نص على المنع منه جمهور أهل العلم بل ذكر الشيخ [1] في رده على ابن البكرى أنه لا يعلم قائلا بجوازه الا ابن عبدالسلام في حق النبى صلى الله عايه وسلم ولم يجزم بذلك بل علق القول به على ثبوت حديث الأعمى وصحته ، وفيه من لا يحتج به عند أهل الحديث ، وعلى تسليم صحته فليس الكلام فيه ، وفي المثل : أريها السهى وترينى القمر [2] . اه .

وأيضا قال فيها : والتوسل صار مشتركا في عرف كثير ، فبعض الناس يطلقه على قصد الصالحين ودعائهم وعبادتهم مع الله ، وهذا هو المراد بالتوسل

(١) يعني شيخ الاسلام تقى الدين ابن تيمية .

(٢) السهى نجم صغير بقرب صورة الدب الأكبر يمتحن به حدة البصر لشدة صغره .

في عرف عباد القبور وأنصارهم وهو ـ عند الله ورسوله وعند أولى العلم من خلقه ـ الشرك الأكبر والكفر البواح ، والأسماء لا تغير الحقائق ، ويطلق أيضا ـ في عرف السنة والقرآن وأهل العلم بالله ودينه ـ على التوسل والتقرب الى الله تعالى بما شرعه من الايمان به وتوحيده وتصديق رسله وفعل ما شرعه من الأعمال الصالحة التي يحبها الرب ويرضاها كما توسل أهل (الغار) الثلاثة بالبر والعفة والأمانة ، فاذا أطلق التوسل في كتاب الله تعالى وسنة رسوله وكلام أهل العلم من خلقه فهذا هو المراد ، لا ما اصطلح عليه المشركون الجاهلون بحدود ما أنزل الله على رسوله ، فلبس هذا المعترض بكلمة مشتركة ترويجا لباطله . اهـ .

قلت : وقد علمت تحقيق التوسل وحكمه ، وما يجوز من أفراده وما لا يجوز ، وما كان منها شركا وما ليس بشرك فيما تقدم بما لا مزيد عليه فتذكر .

قوله : وكان أخوه الشيخ سليمان بن عبد الوهاب من أهل العلم ، فكان ينكر عليه انكارا شديدا في كل ما يفعله أو يأمر به ، ولم يتبعه في شيء مما ابتدعه ، وقال له أخوه سليمان يوما : كم أركان الاسلام يا محمد بن عبد الوهاب ؟ فقال : خمسة . فقال : أنت جعلتها ستة ، السادس من لم يتبعك فليس بمسلم ، هذا عندك ركن سادس للاسلام .

أقول : لعل هذا وأمثاله مأخوذ من كتاب (جلاء الغمة عن تكفير هذه الامة) ، فلأنقل أولا لفظ هذا الكتاب ، ثم نذكر ما قال بعض المحققين في الرد عليه ، قال المعترض في كتاب جلاء الغمة : ولكن هذا الرجل جعل طاعته ركنا سادسا للأركان الخمسة كما قال ذلك أخوه لأمه وأبيه الشيخ سليمان بن عبد الوهاب حين خطأه فلم يقبل ، ونهاه عن سفك الدماء ونهب الأموال فلم يفعل .

وقال بعض المحققين في الرد عليه ما نصه : والجواب أن يقال : قد علم أهل العلم والايمان براءة الشيخ من هذا ، وأن دعوته الى طاعة الله ورسوله ، يأمر بتوحيده وينهى عن الشرك به وعن معصيته ومعصية رسوله ، ويصرح بأن من عرف الاسلام ودان به فهو المسلم في أي زمان وأي مكان ، ويشهد الله كثيرا في رسائله ويشهد أولى العلم من خلقه أن أعداءه ان جاءوه عن الله أو عن

رسوله بدليل يرد شيئا من قوله ويحكم بخطئه ليقبلنه على الرأس والعين ، ويترك ما خالفه أو عارضه ، وهذا معروف بحمدالله ، وانما يرميه بمثل هذا البهت وينسبه اليه من جعل زوره وقدحه في أهل العلم والايمان جسرا يتوصل منه ويعبر الى ما انطوى عليه وزينه له الشيطان من عبادة الصالحين والتوسل بهم ، وعدم الدخول تحت أمر أولى العلم وترك القبول منهم ، والاستغناء بما نشأ عليه أهل الضلال واعتادوه من العقائد الضالة والمذاهب الجائرة ، قال تعالى حاكيا عن فرعون وقومه فيما رموا به كليمه موسى ونبيه هارون عليهما السلام من قصد العلو والدعوة الى أنفسهما (قالوا أجئتنا لتلفتنا عما وجدنا عليه آباءنا وتكون لكما الكبرياء في الأرض وما نحن لكما بمؤمنين) وقال : (ولقد أرسلنا موسى بآياتنا وسلطان مبين الى فرعون وملئه فاستكبروا وكانوا قوما عالمين * فقالوا أنؤمن لبشرين مثلنا وقومهما لنا عابدون * فكذبوهما فكانوا من المهلكين) .

فانظر الى ما أفادته اللام ، ان كنت من ذوى الألباب والأفهام . وقال تعالى عن قوم نوح انهم قالوا لنبيهم (ما هذا الا بشر مثلكم يريد أن يتفضل عليكم ، ولو شاء الله لأنزل ملائكة ، ما سمعنا بهذا في آبائنا الأولين) .

فانظر يا من نور الله عليه قلبه ما زعم هذا المعترض ونزله على هذه الآيات الكريمات تعرف أن آل فرعون وقوم نوح لهم ورثة وأتباع ، وعصابة وأشياع ، يصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجا ، ويستكبرون على ورثة الرسل وأعلام الهدى تعاظما وحرجا ، ولا بد من الحساب (يوم يقوم الناس لرب العالمين) .

وقد رأيت رسالة لشيخنا رحمه الله تعالى تشهد لما قررناه ونصها :

من محمد بن عبدالوهاب الى الأخ حمد التويجري ، ألهمه الله رشده . وبعد وصل الخط [1] أوصلك الله الى ما يرضيه ، وأشرفنا على الرسالة المذكورة، وصاحبها ينتسب الى مذهب الامام أحمد رحمه الله وما تضمنته الرسالة من الكلام في الصفات مخالف لعقيدة الامام أحمد رحمه الله ، وما تضمنته من

(1) أى الكتاب والخطاب والرسالة .

الشبه الباطلة في تهوين أمر الشرك بل في اباحته فمن أبين الأمور بطلانا لمن سلم من الهوى والتعصب ، وكذلك تمويهه على الطغام بأن ابن عبد الوهاب يقول : الذي ما يدخل تحت طاعتي كافر ، ونقول : (سبحانك هذا بهتان عظيم) ، بل نشهد الله على ما يعلمه من قلوبنا بأن من عمل بالتوحيد وتبرأ من الشرك وأهله، فهو المسلم في أي زمان وأي مكان ، وانما نكفر من أشرك بالله في الالهية ، بعد ما تبين له الحجة على بطلان الشرك ، وكذلك نكفر من حسنه للناس أو أقام الشبه الباطلة على اباحته ، وكذلك من قام بسيفه دون هذه المشاهد التي يشرك بالله عندها ، وقاتل من أنكرها وسعى في ازالتها ، والله المستعان اهـ المقصود منه •

وأما نسبة ذلك الى أخيه سليمان فلا مانع من ذلك لولا وجوب رد خبر هذا الفاسق وعدم قبوله الا بعد التبين ، ثم لو فرضت صحته فمن سليمان ، وما سليمان ؟•

هذه دلائل السنة والقرآن تدفع في صدره ، وتدرأ في نحره ، وقد اشتهر ضلاله ومخالفته لأخيه مع جهله وعدم ادراكه لشيء من فنون العلم •

وقد رأيت له رسالة يعترض فيها على الشيخ وتأملتها فاذا هي رسالة جاهل بالعلم والصناعة ، مزجى التحصيل والبضاعة ، لا يدرى ما طحاها ، ولا يحسن الاستدلال بذلك على من فطرها وسواها •

هذا وقد من الله — وقت تسويد هذا — بالوقوف على رسالة لسليمان فيها البشارة برجوعه عن مذهبه الأول ، وأنه قد استبان له التوحيد والايمان ، وندم على ما فرط من الضلال والطغيان ، وهذا نصها :

بسم الله الرحمن الرحيم

من سليمان بن عبدالوهاب ، الى الاخوان أحمد بن محمد التويجري وأحمد ومحمد ابنى عثمان بن شبانة

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، وبعد :

فأحمد اليكم الله تعالى الذي لا اله الا هو ، وأذكركم ما من الله به علينا

وعليكم من معرفة دينه ، ومعرفة ما جاء به رسوله صلى الله عليه وسلم من عنده ، وبصرنا من العمى ، وأنقذنا من الضلالة . وأذكركم بعد أن جئتمونا في الدرعية من معرفتكم الحق على وجهه ، وابتهاجكم به . وثنائكم على الله الذي أنقذكم ، وهذا دأبكم في سائر مجالسكم عندنا ، وكل من جاءنا من حمد الله [1] يثني عليكم والحمد لله على ذلك ، وكتبت لكم بعد ذلك كتابين غير هذا أذكركم وأحضكم . ولكن يا اخواني معلومكم ما جرى منا من مخالفة الحق ، واتباعنا سبل الشيطان ومجاهدتنا في الصد عن اتباع سبل الهدى ، والآن معلومكم لم يبق من أعمارنا الا اليسير ، والأيام معدودة ، والأنفاس محسوبة ، والمأمول منا أن نقوم لله ، ونفعل مع الهدى أكثر مما فعلنا مع الضلال ، وأن يكون ذلك لله وحده لا شريك له لا لما سواه ، لعل الله سبحانه يمحو عنا سيئات ما مضى وسيئات ما بقي ، ومعلومكم عظم الجهاد في سبيل الله وما يكفر من الذنوب ، وأن الجهاد باليد والقلب واللسان والمال ، وتفهمون أجر من هدى الله به رجلا واحدا ، والمطلوب منكم أكثر مما تفعلون الآن ، وأن تقوموا لله قيام صدق ، وأن تبينوا للناس الحق على وجهه ، وأن تصرحوا لهم تصريحا بينا بما أنتم عليه أولا من الغي والضلال . فيا اخواني الله الله ، فالأمر أعظم من ذلك ، فلو خرجنا نجأر الى الله في الفلوات وعدنا الناس من السفهاء والمجانين في ذلك ، لما كان ذلك بكثير منا ، وأنتم رؤساء الدين والدنيا في مكانكم أعز من الشيوخ ، والعوام كلهم تبع لكم ، فاحمدوا الله على ذلك ، ولا تعلثوا [2] بشيء من الموانع ، وتفهمون أن الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر لا بد أن يرى ما يكره ، ولكن أرشدكم في ذلك الى الصبر كما حكى عن العبد الصالح في وصيته لابنه ، فلا أحق من أن تحبوا لله ، وتبغضوا لله ، وتوالوا لله ، وتعادوا لله ، وترى يعرض في هذا أمور شيطانية وهي أن من الناس من ينتسب لهذا الدين ، وربما يلقى الشيطان لكم أن هذا ما هو بصادق وأن له ملحظا دنيويا ، وهذا أمر ما يطلع عليه الا الله ، فاذا أظهر أحد الخير فاقبلوا منه ووالوه ، فاذا ظهر من احد

(١) في نسخة تصحيح خطي : جاءنا من المجمعة .

(٢) هكذا في الأصل بالثاء المثلثة يقال علث البر بالشعير اذا خلطه به وهي هنا كلمة عامية معناها : لا تعتذروا ...

شر وادبار عن الدين فعادوه واكرهوه ، ولو أحب حبيب ، وجامع الأمر في هذا أن الله خلقنا لعبادته وحده لا شريك له ، ومن رحمته بعث لنا رسولا يأمرنا بما خلقنا له ويبين لنا طريقه ، وأعظم ما نهانا عنه الشرك بالله وعداوة أهله [١] وبغضهم ـ وتبيين الحق وتبيين الباطل ، فمن التزم ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم فهو أخوك ولو أبغض بغيض ، ومن نكب عن الصراط المستقيم فهو عدوك ، ولو ولدك أو أخوك ، وهذا شيء أذكركموه ، مع أني بحمد الله أعلم أنكم تعلمون ما ذكرت لكم ، ومع هذا فلا عذر لكم عن التبيين الكامل الذي لم يبق معه لبس ، وأن تذاكروا دائما في مجالسكم ما جرى منا ومنكم أولا ، وأن تقوموا مع الحق أكثر من قيامكم مع الباطل ، فلا أحق من ذلك ولا لكم عذر ، لأن اليوم الدين والدنيا ولله الحمد مجتمعة في ذلك . فتذكروا ما أنتم فيه أولا في أمور الدنيا من الخوف والأذى والاعتداء ، واعتلاء الظلمة والفسقة عليكم ، ثم رفع الله ذلك كله بالدين ، وجعلكم السادة والقادة ، ثم أيضا ما من الله به عليكم من الدين .

انظروا الى مسألة واحدة ، فمما نحن فيه من الجهالة كون البدو نجرى عليهم أحكام الاسلام مع معرفتنا أن الصحابة قاتلوا أهل الردة وأكثرهم متكلمون بالاسلام ، ومنهم من أتى بأركانه ، ومع معرفتنا أن من كذب بحرف من القرآن كفر ولو كان عابدا ، وأن من استهزأ بالدين أو بشيء منه فهو كافر ، وأن من جحد حكما مجمعا عليه فهو كافر ـ الى غير ذلك من الأحكام المكفرات ـ وهذا كله مجتمع في البدوى وأزيد ، وتجرى عليهم أحكام الاسلام اتباعا لتقليد من قبلنا بلا برهان .

فيا اخواني تأملوا وتذاكروا في هذا الأصل يدلكم على ما هو أكثر من ذلك ، وأنا أكثرت عليكم الكلام لوثوقي بكم أنكم ما تشكون في شيء فيما تحاذرون ، ونصيحتي لكم ولنفسي ، والعمدة في هذا أن يصير دأبكم في الليل والنهار أن تجأروا الى الله أن يعيذكم من شرور أنفسكم وسيئات أعمالكم ، وأن

(١) هكذا في الأم ولا يستقيم معناه ، فلعله سقط منه شيء ا هـ . من حاشية الطبع ، وزاد فيه بعضهم بالخط : وأمرنا بعداوة أهله .

يهديكم الى الصراط المستقيم الذي عليه رسله وأنبياؤه وعباده الصالحون ، وأن يعيذكم من مضلات الفتن ، فالحق وضح وابلولج (وماذا بعد الحق الا الضلال) ؟.

فالله الله ترى الناس اللى [1] في جهاتكم تبع لكم في الخير والشر ، فان فعلتوا ما ذكرت لكم ما قدر أحد من الناس يرميكم بشر ، وصرتوا كالأعلام هداة للجيران ، فان الله سبحانه وتعالى هو المسئول أن يهدينا واياكم سبل السلام ، والشيخ وعياله وعيالنا طيبين ولله الحمد ويسلمون عليكم ، وسلموا لنا على من يعز عليكم ، والسلام . وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم ، اللهم اغفر لكاتبه ولوالديه ولذريته ، ولمن نظر فيه فدعا له بالمغفرة والمسلمين والمسلمات أجمعين .

فأجابوه برسالة ينبغي أن تذكر ونصها :

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على سيدنا سيد المرسلين ، من كاتبه الفقير أحمد التويجري وأحمد بن عثمان وأخيه محمد . الى من من الله علينا وعليه باتباع دينه ، واقتفاء هدى محمد صلى الله عليه وسلم نبيه وأمينه ، الأخ سليمان بن عبدالوهاب زادنا الله واياه من التقوى والايمان ، وأعاذنا واياه من نزغات الشيطان ، سلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، بعد ابلاغ الشيخ وعياله وعبد الله واخوانه السلام .

وبعد فوصل الينا نصيحتكم جعلكم الله من الائمة الذين يهدون بأمره ، الداعين اليه والى دين نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ، فنحمد الله الذي فتح علينا وهدانا لدينه ، وعدلنا عن الشرك والضلال ، وأنقذنا من الباطل والبدع المضلة ، وبصرنا بالاسلام الصرف الخالى عن شوائب الشرك ، فلقد من الله علينا وعليكم ، فله الفضل والمنة بما نور لنا من اتباع كتابه وسنة رسوله صلى الله

(١) اللى كلمة عامية بمعنى : الذي .

عليه وسلم ، وعدلنا عن سبيل من ضل وأضل بلا برهان • ونسأله أن يتوب علينا وعليكم ويزيدنا من الايمان ، فلقد خصنا فيما مضى بالعدول عن الحق ودحضناه، وارتكبنا الباطل ونصرناه جهلا منا وتقليدا لمن قبلنا ، فحق علينا أن نقوم مع الحق قيام صدق أكثر مما قمنا مع الباطل على جهلنا وضلالنا •

فالمأمول والمبغى منا ومنكم وجميع اخواننا التبيين الكامل الواضح ، لئلا يغتر بأفعالنا الماضية من يقتدى بجهلنا ، وأن تتمسك بما اتضح وابلولج من نور الاسلام وما بين الشيخ محمد رحمه الله تعالى من شريعة النبي صلى الله عليه وسلم • فلقد حاربنا الله ورسوله واتبعنا سبيل الغى والضلال ، ودعونا الى سبيل الشيطان ، ونكبنا كتاب الله وراء ظهورنا جهلا منا وعداوة ، وجاهدنا في الصد عن دين الله ورسوله ، واتبعنا كل شيطان تقليدا وجهلا بالله ، فلا حول ولا قوة الا بالله (ربنا ظلمنا أنفسنا ، وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين) (لا اله الا أنت سبحانك انى كنت من الظالمين) •

فالواجب منا لما رزقنا الله معرفة الحق أن نقوم معه أكثر وأكثر من قيامنا مع الباطل ، ونصرح بالتبيين للناس بأنا على باطل فيما فات ، ونقوم له مثنى وفرادى ، ونتوكل على الله عسى أن يتوب علينا ، ويعيذنا من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، وأن يهدينا سبل السلام ، ويجعلنا من الداعين الى الهدى ، لا من الدعاة الى النار ، فنحمد الله الذي لا اله الا هو حيث من علينا بهذا الشيخ في آخر هذا الزمان ، وجعله باذنه وفضله هاديا للتائه الحيران ، نسأل الله العظيم أن يمتع المسلمين به ويعيذه من شر كل حاسد وباغ ، ويبارك في أيامه ، وأن يجعل جنة الفردوس مأواه وايانا ، وأن ينفعنا بما بينه ، فلقد بين دين نبيه صلى الله عليه وسلم على رغم أنف كل جاحد ، وصار علما للحق حين طمس ، ومصباحا للهدى حيث درست أعلامه ونكس ، وأطفأ الله به الشرك بعد ظهوره حين عبدت الأوثان صرفا بلا رمس ، ولم يزل ـ من الله عليه برضاه ـ ينادى : أيها الناس هلموا الى دين نبيكم الذي بعث به ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ، ثم لم ينقم منه وعليه الا أنه يقول : أيها الناس اعبدوا ربكم وأعطوه حقه الذي خلقكم لأجله ، وخلق لكم ما في السموات وما في الأرض جميعا منه ، ان الله تعالى

يقول (وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون) ، وقال (ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت) ، وقال (وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا) ، وقال (فان حاجوك فقل أسلمت وجهي لله ومن اتبعن) وفسر اسلام الوجه بالقصد في العبادة ، فاذا دعا غير الله أو نذر لغير الله أو استغاث بغير الله أو توكل على غير الله أو التجأ الى غير الله ، فهذه عبادة لمن قصد بذلك ، هذا والله الشرك الأكبر ، وانا نشهد بذلك ، وقمنا مع أهله ثلاثين سنة ، وعادينا من أمر بتجريد التوحيد العداوة البينة ، التي ما بعدها عداوة .

فالواجب علينا اليوم نصر الله ودينه وكتابه ورسوله ، والتبرى من الشرك وأهله ، وعداوتهم وجهادهم باليد واللسان ، لعل الله أن يتوب علينا ويرحمنا ، ويستر مخازينا ، وأكبر من هذا البدو الذين لا يدينون دين الحق ، لا يصلون ولا يزكون ولا يورثون ، ولا لهم نكاح صحيح ، ولا حكم عن الله ورسوله يدينون به صريح ، ونقول هم اخواننا في الاسلام (سبحانك هذا بهتان عظيم) ومكابرة لما جاء به رسول رب العالمين ، فنقول : لا خلاف أن التوحيد لا بد أن يكون بالقلب واللسان والعمل ، فان اختل من هذا شيء لم يكن الرجل مسلما ، فاذا عرف التوحيد ولم يعمل به فهو كافر معاند كفرعون وابليس ، وان عمل بالتوحيد ظاهرا وهو لا يفهمه ولا يعتقده بقلبه فهو منافق شر من الكافر ، أعاذنا الله واياكم من الخزي يوم تبلى السرائر .

فالواجب علينا وعلى من نصح نفسه أن يعمل العمل الذي يحصل به فكاك نفسه ، وأن يعبد الله ولا يعبد غيره ، فالعبادة حق الله على العبيد ليس لأحد فيها شرك ، لا ملك مقرب ولا نبي مرسل ، فضلا عن السفلة والشياطين . وحق الله علينا أن نجأر اليه بالليل والنهار والسر والعلانية في الخلوات والفلوات ، عسى أن يتوب علينا ، ويعفو عنا ما فات ، ويعيذنا من مضلات الفتن ، فالحق بحمد الله وضح وابلولج (وماذا بعد الحق الا الضلال) ولا حول ولا قوة الا بالله ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين ، وسلم تسليما كثيرا الى يوم الدين . انتهى ما قاله بعض المحققين في الرد على (جلاء الغمة) .

قوله : وقال رجل آخر يوما لمحمد بن عبد الوهاب : كم يعتق الله كل ليلة في

رمضان ؟ فقال له يعتق كل ليلة مائة ألف ، وفي آخر ليلة يعتق مثل ما أعتق في الشهر كله ، فقال له : لم يبلغ من اتبعك عشر عشر ما ذكرت ، فمن هؤلاء المسلمون الذين يعتقهم الله تعالى وقد حصرت المسلمين فيك وفيمن اتبعك ؟ فبهت الذي كفر ٠اهـ٠

أقول : جوابه على وجوه :

(الأول) عدم الاعتماد على خبر الفاسق الكاذب المفتري الا بعد التبين ٠

و (الثاني) أن في نفس هذا الخبر والحكاية ما يقتضي كذبه من أن محمد بن عبد الوهاب قال له « يعتق في كل ليلة مائة ألف ، وفي آخر ليلة يعتق مثل ما أعتق في الشهر كله » فان هذا العدد لم يقع في حديث صحيح ولا حسن ، انما وقع في رواية ضعيفة شديدة الضعف أو موضوعة [1] ومحمد بن عبد الوهاب بحمد الله تعالى كان من نقاد أهل الحديث ، فكيف يتصور أن يجيب بهذا الجواب السخيف الساقط ؟ نعم جاء في حديث « ولله عتقاء من النار وذلك كل ليلة » وفي حديث « انه يغفر لأمته في آخر ليلة من رمضان » وعلى هذا فليس فيه اشكال ، على أن هذين الحديثين أيضا فيهما مقال ، أما الأول فلأن الترمذي قال في جامعه بعد ذكر هذا الحديث : وحديث أبي هريرة الذي رواه أبو بكر بن عياش حديث غريب، لا نعرفه من رواية أبي بكر بن عياش عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة الا من حديث أبي بكر ، وسألت محمد بن اسماعيل عن هذا الحديث ، فقال أخبرنا الحسن بن الربيع ، أخبرنا أبو الأحوص عن الأعمش عن مجاهد قوله قال « اذا كان أول ليلة من شهر رمضان » فذكر الحديث قال محمد : وهذا أصح عندي من حديث أبي بكر بن عياش ، وأما الثاني فلأن في سنده هشام بن زياد أبا المقدام ، ضعفه أحمد وغيره ، قال النسائي : متروك ، وقال ابن حبان : يروى الموضوعات عن الثقات ، وقال أبو داود : كان غير ثقة ، وقال البخاري : يتكلمون فيه ٠ كذا في الميزان ٠

و (الثالث) أن عدد المعتقين الواقع في الرواية المذكورة في هذه الحكاية ان

(١) الرواية موضوعة قطعا ، ولو عقل هذا المفترى لعلم أن ما أورده على الشيخ يرد على أتباع النبي صلى الله عليه وسلم في عصره ٠ اذ لم يكونوا يبلغون عشر هذا العدد في الحديث الموضوع ٠ وكتبه محمد رشيد رضا ٠

كان في كل زمان ، فهذا في غاية السقوط ، فانه لا يصدق في زمان بداية الاسلام ، حين كان المسلمون قليلين لم يبلغوا هذا العدد ، وان كان في بعض الزمان فقد بلغ أتباع الشيخ محمد بن عبد الوهاب في بعض الزمان أضعاف العدد المذكور، على أنه لو فرض عدم بلوغ أتباع الشيخ هذا العدد فأي محذور على هذا التقدير ؟ اذ وجود المسلمين قبل زمان الشيخ أو بعده موافقا لهذا العدد كاف في صدق هذه الرواية .

و (الرابع) أن صدقه في كل زمان من أوضح الأباطيل ، اذ يجيء في قرب الساعة زمان يقبض فيه روح كل مؤمن ، فكيف يصدق هذا الحديث ؟ فهو اما باطل أو مؤول ، بأن يحمل على زمان يبلغ فيه عدد المسلمين هذا المبلغ أو يزيد ، وهذا التأويل كما يمكن من جانب من ليس من اتباع الشيخ كذلك يمكن من جانب اتباعه من غير فرق .

و (الخامس) أن بناء هذا التشنيع على أن يكون الشيخ قائلا بحصر المسلمين في نفسه وأتباعه ، وقد علم فيما تقدم أن هذا افتراء على الشيخ صريح .

وأما قول المؤلف في حق الشيخ : (فبهت الذي كفر) فجرأة عظيمة على النار والكفر ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أيما رجل قال لأخيه يا كافر فقد باء بها أحدهما » والشيخ رحمه الله بحمد الله تعالى بريء من الكفر فقد باء بها هذا المؤلف .

قوله : ولما طال النزاع بينه وبين أخيه ، خاف أخوه أن يأمر بقتله فارتحل الى المدينة المنورة وألف رسالة في الرد عليه وأرسلها له فلم ينته .

أقول : هذا كان حين تبين غيه وضلاله ومخالفته للشيخ ، وأما بعده فقد رجع أخوه عن مذهبه الأول ، وقد استبان له التوحيد والايمان ، وندم على ما فرط من الضلال والطغيان ، وقد علمته فيما تقدم .

قوله : وألف كثير من علماء الحنابلة وغيرهم رسائل في الرد عليه ، وأرسلوها له فلم ينتـه .

أقول : جوابه من وجـوه :

(الأول) أن كثيرا من العلماء المحققين أجابوا عن تلك الرسائل وانتصروا للشيـــخ •

و (الثاني) أن رد كثير من العلماء على الشيخ لا يقتضى بطلان ما عليـــه الشيخ وحقية ما عليه خصومه ، انما معيـــار الحقيقة شهادة الكتاب العزيز والسنة المطهرة ، واذا كان قوله وعمله موافقا للثقلين [1] فلا مبالاة بمخالفة أحد كائنا من كـــان •

و (الثالث) أن غير واحد من علماء الصحابة والتابعين وتبع التابعين قـــد خالفـــه كثير من العلماء فهذا مما يشارك الشيخ فيه غيره فلا وجه للطعن •

قوله : وقال له رجل آخر مرة ـــ وكان رئيسا على قبيلة بحيث أنه لا يقدر أن يسطو عليه ـــ : ما تقول اذا أخبرك رجل صادق ذو دين وأمانة ، وأنت تعرف صدقه • بأن قوما كثيرين قصدوك ، وهم وراء الجبل الفلاني ، فأرسلت ألـــف خيال ينظرون القوم الذين وراء الجبل ، فلم يجدوا أثرا ولا أحدا منهم ، بل مـــا جاء تلك الأرض أحد ، أتصدق الألف أم الواحد الصادق عندك ؟ فقال : أصدق الألف ، فقال له : ان جميع المسلمين من العلماء الأحياء والأموات في كتبهـــم يكذبونك فيما أتيت به ويزيفونه ، فنصدقهم ونكذبك ؟ فلم يعرف جوابا لذلك •

أقول : الجواب عليه من وجـوه : (الأول) عـــدم الاعتماد علـــى هـــذا النقـــل •

(الثاني) أن ما حكاه عن الشيخ في جواب الصورة المفروضـــة من أنه قال « أصدق الألف » لا يتصور أن يكون جوابا صحيحا عموما ، بل اذا كان الألف ذوى صدق ودين وأمانة ، ممن لا يخافون في الحق لومة لائم ، وأما من ليـــس بذى صدق أو دين أو أمانة ، أو يخاف الناس كخشية الله ، فليكن الجواب على عكس ما حكى عن الشيخ ، وحين حكى الجواب عموما ، فهذا أدل دليل علـــى كذب هذه الحكايـــة •

---

(١) أي كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم •

(الثالث) [1] أن هذا المثل ليس في محله ، فان ما عليه الشيخ ليس خبر رجل صادق ذى دين وأمانة . بل هو (قول رسول كريم ، ذى قوة عند ذى العرش مكين ، مطاع ثم أمين) فلا اعتداد بقول من خالفه وان كانوا ألوفا ، اذ الشيخ لم يدع الى رأيه ، أو الى رأى أحد من الصحابة أو التابعين أو تبع التابعين ، أو رأى غيرهم من العلماء ، انما دعا الى اخلاص التوحيد الذي هو منطوق صريح لغير واحدة من الآيات [2] .

(الرابع) أن قول السائل « ان جميع المسلمين من العلماء الأحياء والأموات في كتبهم يكذبونك فيما أتيت به ويزيفونه » كذب صريح ، هذا شيخ الاسلام ابن تيمية وابن القيم وابن كثير وابن عبدالهادى وغيرهم من أهل التوحيد ممن قبل الشيخ يصدقون الشيخ فيما أتى به ، بل لو ادعى أن جميع المسلمين من العلماء الأحياء والأموات موافقون للشيخ لكان له وجه [3] فان كلهم يقولون : ان الدعاء عبادة ، وعبادة غير الله شرك .

---

(١) الأولى أن يقال : فان ما عليه الشيخ لا ينطبق على هذا التصوير في هذه الحكاية ، لأن الشيخ لم يعتمد في دعوته على خبر رجل صادق ذي دين وأمانة كما صور صاحب الحكاية ، ولم يكن الشيخ أيضا مقلدا لهذا الرجل ، وانما كان مقتديا بخاتم الأنبياء رسول ذى العزة والجلال الذي لا يسع أحدا مخالفته لقول سواه ولو كان آلاف الآلاف كما قال تعالى (وان تطع أكثر من في الأرض يضلوك عن سبيل الله) فليس العبرة بالكثرة وانما العبرة بموافقةهدى المصطفى صلى اللهعليه وسلم ورسالته ولا عبرة قطعا بمن ابتدع في الدين ما كان مخالفا لهديه مهما بلغ عدد المخالفين . وكتبه عبد الرحمن الدوسري .

(٢) بل آيات التوحيد بأنواعها تعد بالمئات .

(٣) الحق الواقع أن ما دعا اليه الشيخ من التوحيد هو ما دعا اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وخلفاؤه وأصحابه وجميع المسلمين في خير القرون ، ثم نجمت قرون الشرك وسمى بغير اسمه ، فلما فشا في العوام كان شيخ الاسلام ابن تيمية أول من قاومه وأطال الحجج في دحض شبهاته وتفنيد خرافاته ، ولم يخالفه في هذا أحد من علماء عصره ، بل قال بعضهم : انه نبهنا لأمر كنا غافلين عنه ، اللهم الا ابن البكري ألف رسالة في الرد عليه ، وعرضها على علماء الأزهر وغيرهم ليجيزوها ، فلم يوافقه عليها أحد ، وكان من فروعها بدع الزيارة وشد الرحال ، خالفه فيها تقي الدين السبكي ، ولكنه لم يبح دعاء غير الله تعالى لا النبي صلى الله عليه وسلم ولا غيره ، وانما كثر المضلون في هذه المسألة ، بعد ظهور الشيخ محمد بن عبدالوهاب لأن الجهل بالتوحيد صار أعم ، ولأن الله تعالى سخر له آل سعود ، فأسسوا للاسلام دولة عربية أفزعت الدولة التركية ، فقاتلت الدولة العربية ، وجعلت دعوى الدين حجة لها . وكتبه محمد رشيد رضا .

قوله : وقال له رجل آخر مرة : هذا الدين الذي جئت به متصل أم منفصل؟ فقال له مشايخي ومشايخهم الى ستمائة سنة كلهم مشركون ، فقال له الرجل : اذا دينك منفصل لا متصل ، فعمن أخذته ؟ فقال : وحي الهام كالخضر ، فقال له : اذا ليس ذلك محصورا فيك ، كل أحد يمكنه أن يدعى وحى الالهام الذي تدعيه •

أقول : هذا افتراء على الشيخ واضح ، لم يقل الشيخ قط ان مشايخي ومشايخهم الى ستمائة سنة كلهم مشركون ، وان ديني وحى الهام • وراويه أحد الكاذبين ، ومن يدعى صحته فعليه البيان •

قوله : ثم قال له : ان التوسل مجمع عليه ــ الى قوله ــ فلا وجه لك في التكفير أصلا •

أقول : لعل هذه الحكاية مجعولة ، فان الشيخ قد قال في الرسالة التي كتبها الى عبدالله بن سحيم في جواب هذا الطعن (سبحانك هذا بهتان عظيم) •

قوله : هذا حجة عليك ، فان استسقاء عمر بالعباس انما كان لاعلام الناس بصحة الاستسقاء والتوسل بغير النبي صلى الله عليه وسلم •

أقول : هذا ادعاء بلا دليل ، بل يرده لفظ الحديث ، فان فيه أن عمر رضى الله عنه قال : اللهم انا كنا نتوسل اليك بنبينا صلى الله عليه وسلم فتسقينا ، وانا نتوسل اليك بعم نبينا فأسقنا • هذا لفظ البخاري ، وهو عند الاسماعيلي من رواية محمد بن المثنى عن الأنصارى باسناد البخارى الى أنس قال : كانوا اذا قحطوا على عهد النبى صلى الله عليه وسلم استسقوا به فيستسقى لهم فيسقون ، فلما كان في امارة عمر •• فذكر الحديث ، هكذا في الفتح •

قوله : وكيف نحتج باستسقاء عمر بالعباس وعمر هو الذي روى حديث توسل آدم بالنبى صلى الله عليه وسلم قبل أن يخلق ؟•

أقول : قد عرفت فيما تقدم أن هذا الحديث واه جدا لا يصلح لأن يحتج به•

قوله : فبهت وتحير وبقى على عماوته ومقابحه الشنيعة •

أقول : هذا كذب فيما أظنه بين ، كيف وقد يعلم ضعف حديث التوسل من له أدنى المام بفن الجرح والتعديل ، فلا وجه للبهت والتحير •

قوله : ومن مقابحه أنه لما منع الناس من زيارة النبى صلى الله عليه وسلم خرج ناس من الأحساء وزاروا النبى صلى الله عليه وسلم .

أقول : هذا كذب وافتراء ، فان الشيخ قال في جواب اثنتى عشرة مسألة ،منها انكار زيارة قبر النبى صلى الله عليه وسلم ما نصه : فهذه اثنتا عشرة مسألة جوابى فيها أن أقول : (سبحانك هذا بهتان عظيم) . هكذا قال الشيخ في الرسالة التي كتبها الى عبد الله بن سحيم .

قوله : وبلغه مرة أن جماعة من الذين لم يتابعوه من الآفاق البعيدة قصدوا الزيارة والحج .

أقول : هذا افتراء بحت ، ألم تر أن الشيخ نفسه قد قصد مدينته عليه الصلاة والسلام وأقام فيها شهرين ثم رجع بعد ذلك فائزا بأجر الزيارة والمناسك ، كذا في (روضة الأفكار) ، وقد نقلت فيما تقدم عبارتها الطويلة .

قوله : وكان ينهى عن الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم — الى قوله — وأحرق دلائل الخيرات وغيرها من كتب الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم .

أقول : قد أجاب الشيخ في بعض رسائله عن هذا بقوله : وأما دلائل الخيرات فلذلك سبب ، وذلك أنى أشرت على من قبل نصيحتي من اخوانى أن لا يصير في قلبه أجل من كتاب الله ، ويظن أن القراءة فيه أنفع من قراءة القرآن [1] .

---

(1) ان أصحاب الطرائق وضعوا للناس أورادا وأحزابا مدونة ، من اذكار وادعية وصلوات يتعبدون بها في أوقات معينة كالصلوات الخمس ، فهذا العمل منتقد شرعا من عدة وجوه : (أ) أن فيها اوصافا لله تعالى ولرسوله صلى الله عليه وسلم مخالفة للثابت في الكتاب والسنة ، (ب) أن فيها ما لا يقبل مثله الا بنص منهما ، لأنه توقيفي على الراجح المختار عند أئمة الأمة كما قاله صاحب الجوهرة :

واختير أن اسماه توقيفيه كذا الصفات فاحفظ السمعيه

(ج) أن التزامها وتقييدها في الأوقات المعينة ، والاجتماع لبعضها ، ورفع الصوت بها وجعلها من قبيل الشعائر ، يدخلها في عموم البدعة الاضافية ويخرجها من عموم العبادات المطلقة على فرض ورودها فيها كما حققه الامام الشاطبي في الاعتصام ، (د) أنهم آثروها على التعبد بتلاوة القرآن التي هى أعلى العبادات المطلقة واذكار السنة ، كما حققناه في تفسير المنار (راجع صفحة ٣٧٤ جزء ١٠) .

وأما احراقه والنهي عن الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم بأي لفظ كان فهذا من البهتان ، كذا في (روضة الأفكار) • وأيضا فيها : وأما قوله وأحرق أيضا « روض الرياحين » وسماه روض الشياطين فهذا من الكذب والزور المبين • اهـ

وأما قوله وأبطل الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم في يوم الجمعة وليلتها ، فهذا الكلام مع بشاعة لفظه فيه ايهام وابهام ، وتشنيع بظاهره عند العوام ، وتنفير لهم من توحيد الملك العلام ، فان الشيخ رحمه الله لم ينه عن ذلك ولم يبطله ، الا الفعل الذي يفعل في كثير من البلدان ، وقد أبطله جماعة قبله من الأعيان ، وأنكره جماعة من نقاد هذا الشأن ، وقالوا لا يتقرب الى الله تعالى (به) ولا يدان ، لأنه بدعة محضة أظهرها في مقام العبادة الشيطان • اهـ

وقال أيضا فيها وليعلم القارىء لهذا الكتاب ، والواقف على هذا الخطاب، أن البيان عن ذلك في الجواب ، أن الذي أنكره من غير شك ولا ارتياب ، هو ما يفعل في غالب الامصار ، ويعمل في كثير من الأقطار ، لا سيما الحرمين كما صح بالمشاهدة والأخبار ، وذلك أن يصعد ثلاثة أو أكثر على رؤوس المنار ، ويقرءون آيات من القرآن ، ويصلون على النبي بأرفع صوت واعلان ، ويأتون بقبيح الألحان ، وأصوات تحاكي غناء القيان ، ويمططون آيات الله الكريمة ، ويغيرون حرمة أسمائه العظيمة ، وينقلونها من معناها الى معنى [1] وكفى به اثما ووهنا ، وتغييرا لما أراده الله بأسمائه وصفاته [2] • لقد خسر والله من ضل سعيه وهو يحسب أنه يحسن صنعا • اهـ •

وقال الشيخ في الرسالة التي كتبها الى عبدالرحمن بن عبدالله : والحاصل أن ما ذكر عنا من الأسباب غير دعوة الناس الى التوحيد والنهي عن الشرك فكله من البهتان اهـ • وللسيد العلامة امام العصر محمد بن اسماعيل الأمير اليمنى نظم في مدح الحديث مشتمل على فصول حكم في فصل منها على دلائل الخيرات بالتحريق فقال :

---

(١) كذا في نقل الأصل ولعله : الى ما ليس له معنى ، أو الى ما لا يصح له معنى.
(٢) لعله في أصله زيادة ((الحسنى)) • وكتبه محمد رشيد رضا •

وحرق عمــدا للدلائل دفترا أصاب ففيها ما يجل عن العــد
غلو نهى عنه الرسول وفريــة بلا مرية فاتركه ان كنت تستهدى
أحادبث لا تعزى الى عالم ولا تساوى فلسا ان رجعت الى النقد
وصيرها الجهال للدرس ضرة يرى درسها أزكى لديه من الحمد

ولمـا اطلع الشيخ الفاضل العلامة ناصر بن حسين المحبش الصنعاني على هذه الأبيات أرسل اليه نظما سأل فيه عن وجه هذا الحكم ، فأجاب السيد العلامــة أولا [على] النظم بالنظم ، ثم حرر أدلة على دعواه في النثر على وجه الاتقان • وهذا السؤال والجواب كلاهما يتيسران في بلاد اليمن ونواحيه ، ذكره السيــد العلامة مولانا السيد صديق حسن سلمه الله تعالى في كتابه (اتحاف النبلاء) •

ماكان عليه الوهابية من الاتباع والاجتهاد

في الأصــول والفــروع

قوله : وكان يمنع أتباعه من مطالعة كتب الفقه والتفسير والحديـــث ، وأحرق كثيرا منها ، وأذن لكل من اتبعه أن يفسر القرآن بحسب فهمه حتى همج الهمج من أتباعه •

أقول : قد فرغ الشيخ من جوابه بما قال في الرسالة التي كتبها الى عبدالله ابن سحيم في المسائل التي شنع بها ، منها ما هو البهتان الظاهر وهي قوله انــى مبطل كتب المذاهب ، وقوله انى أدعى الاجتهاد ، وقوله انى خارج عن التقليد اهـ ملخصـــا •

وقال في الرسالة التي كتبها الى عبدالرحمن بن عبدالله : وأخبرك أنــى ولـــه الحمد متبع ولست بمبتدع • عقيدتي وديني الذي أدين الله به مذهــب أهــل السنة والجماعة الذي عليه أئمة المسلمين مثــل الأئمة الأربعة وأتباعهم الى يوم القيامة ، لكنى بينت للناس اخلاص الدين ، ونهيتهم عن دعوة الأحيـــاء والأموات من الصالحين وغيرهم • ا هـ •

قال عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب في رسالة اختصرت من الرسائل المؤلفة للشيخ محمد بن عبدالوهاب : ان مذهبنا في أصول الدين مذهب أهل السنة والجماعة ، وطريقتنا طريقة السلف ، ونحن أيضا في الفروع على مذهب الامام أحمد بن حنبل رحمه الله ، ولا ننكر على من قلد أحد الأربعة دون غيرهم لعدم ضبط مذاهب الغير كالرافضة والزيدية والامامية ونحوهم ، فلا نقرهم على شيء من مذاهبهم الفاسدة ، بل نجبرهم على تقليد أحد الأئمة ، ولا نستحق مرتبة الاجتهاد المطلق ولا أحد لدينا يدعيها ، الا أننا في بعض المسائل اذا صح لنا نص جلي من كتاب أو سنة غير منسوخ ولا مخصص ولا معارض بأقوى منه وقال به أحد الأئمة الأربعة أخذنا به وتركنا المذهب ، كارث الجد والاخوة ، فانا نقدم الجد بالارث وان خالف مذهب الحنابلة ، ولا نفتش على أحد في مذهبه ولا نعترض عليه . الا اذا اطلعنا على نص جلي كذلك مخالف لمذهب بعض الأئمة وكانت المسألة مما يحصل بها شعار ظاهر كامام الصلاة ، فنأمر الحنفى والمالكى مثلا بالمحافظة على نحو الطمأنينة في الاعتدال والجلوس بين السجدتين لوضوح دليل ذلك [1] بخلاف جهر الامام الشافعي بالبسملة فلا نأمره بالاسرار وشتان بين المسألتين ، فاذا قوى الدليل أرشدناهم للنص وان خالف المذهب ، وذلك انما يكون نادرا جدا ، ولا مانع من الاجتهاد في بعض المسائل دون بعض ، فلا مناقضة لعدم دعوى الاجتهاد المطلق ، وقد سبق جمع من أئمة المذاهب الأربعة الى اختيارات لهم في بعض المسائل مخالفين للمذهب الملتزمين تقليد صاحبه ، ثم انا نستعين على فهم كتاب الله بالتفاسير المتداولة المعتبرة ومن أجلها لدينا تفسير ابن جرير ومختصره لابن كثير الشافعي ، وكذلك البيضاوي والبغوى والخازن والحداد والجلالين وغيرهم ، وعلى فهم الحديث بشروحه كالقسطلاني والعسقلاني على البخارى ، والنووى على مسلم والمناوى على الجامع الصغير ونحرص على كتب الحديث خصوصا الأمهات الست وشروحها ، ونعتنى بسائر الكتب في سائر الفنون أصولا وفروعا وقواعد وسيرا وصرفا ونحوا ، وجميع علم الأمة . ولا نأمر باتلاف شيء من المؤلفات أصلا ، الا ما

(1) **يزاد عليه أن من لم يقل بفرضية الطمأنينة يقول بأنها هى السنة العملية ، بل صرح الحنفية بوجوبها .**

اشتمل على ما يوقع الناس في الشرك كروض الرياحين ، أو يحصل بسببه خلل في العقائد كعلوم المنطق فانه قد حرمه كثير من العلماء على أنا لا نفحص عن مثل ذلك ، وكالدلائل الا ان تظاهر به صاحبه معاندا أتلف عليه • وما اتفق لبعض البدوان من اتلاف بعض كتب أهل الطائف انما صدر لجهله وقد زجر هو وغيره عن مثل ذلك •

ولا نرى قتل النساء والأطفال ، وأما ما يكذب علينا سترا للحق ، وتلبيسا على الخلق ، بأنا نفسر القرآن برأينا ونأخذ من الحديث ما وافق فهمنا ، من دون مراجعة شروح ، ولا نعول على شيخ ، وأنا نضع من رتبة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم بقولنا : النبي رمة في قبره ، وعصا أحدنا أنفع له منه ، وليس له شفاعة ، وان زيارته غير مندوبة ، وأنه كان لا يعرف معنى لا اله الا الله حتى أنزل عليه (فاعلم أنه لا اله الا الله) مع كون الآية مدنية ، وأنا لا نعتمد أقوال العلماء ، وتتلف مؤلفات أهل المذاهب لكون فيها الحق والباطل ، وأنا مجسمة وأنا نكفر الناس على الاطلاق أهل زماننا ومن بعد الست المائة الا من هو على ما نحن عليه • ومن فروع ذلك أن لا نقبل بيعة أحد حتى نقرر عليه بأنه كان مشركا ، وأن أبويه ماتا على الاشراك بالله ، وأنا ننهى عن الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ونحرم زيارة القبور المشروعة مطلقا ، وأن من دان بما نحن عليه سقطت عنه جميع التبعات حتى الديون • وأنا لا نرى حقا لأهل البيت رضوان الله عليهم ، وأنا نجبرهم على تزويج غير الكفؤ لهم ، وأنا نجبر بعض الشيوخ على فراق زوجته الشابة لتنكح شابا اذا ترافعوا الينا فلا وجه لذلك ــ فجميع هذه الخرافات وأشباهها لما استفهمنا عنها من ذكر أولا ما كان جوابنا عليه في كل مسألة من ذلك الا (سبحانك هذا بهتان عظيم) فمن روى عنا شيئا من ذلك أو نسبه الينا فقد كذب علينا وافترى ، ومن شاهد حالنا ورأى مجلسنا وتحقق ما عندنا ، علم قطعا أن جميع ذلك وضعه علينا وافتراه جماهير أعداء الدين ، واخوان الشياطين ، تنفيرا للناس عن الاذعان باخلاص التوحيد لله بالعبادة وترك أنواع الشرك الذي نص الله أنه لا يغفره ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ، فانا نعتقد أن من فعل أنواعا من الكبائر كالقتل للمسلم بغير حق والزنا والربا وشرب الخمر ، وتكرر ذلك منه ، لا يخرج بفعل ذلك عن دائرة الاسلام ولا يخلد به في دار الانتقام ، اذا مات موحدا لله بجميع أنواع العبادة •

والذي نعتقــده في مرتبة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم أنها أعلى مراتب المخلوقات على الاطلاق ، وأنه حي في قبره حياة برزخية أبلغ من حيـاة الشهداء المنصوص عليها في التنزيل ، اذ هو أفضل منهم بلا ريب ، وأنه يسمع سلام من يسلم عليه ، وتسن زيارته الا أنه لا يشد الرحل الا لزيارة المسجد والصلاة فيه ، واذا قصد مع ذلك الزيارة فلا بأس ، ومن أنفق نفيس أوقاته في الاشتغال بالصلاة عليه الواردة عنه فقد فاز بسعادة الدارين وكفى همه كما جاء في الحديث .

قوله : وتارة يقول ان الشريعة واحدة ، فما لهؤلاء جعلوها مذاهب أربعة ؟ .

أقول : قال عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب في ديباجة الرسالة المذكورة ما نصه : ونودى بالمواظبة على الصلوات في الجماعات وعدم التفرق في ذلك بأن يجتمعوا في كل صلاة مع امام واحد يكون ذلك الامام من أحد المقلدين للأربعة رضوان الله عليهم . اهـ . وقد تقدم أيضا قوله : بل نجبرهم على تقليد أحد الأئمة الأربعة . فعلم بذلك أن هذا افتراء بحت .

قوله : وكان الشيخان المذكوران يعني الشيخ محمد بن سليمان الكردي ، والشيخ محمد حياة السندي الحنفي وغيرهما من أشياخه يتفرسون فيه الالحاد والضلال ، ويقولون : سيضل هذا ويضل الله به من أبعده وأشقاه ، فكان الأمر كذلك ، وما أخطأت فراستهم فيه .

أقول : هذا النقل مما لا اعتماد عليه .

قوله : وكان والده عبد الوهاب من العلماء الصالحين ، فكان أيضا يتفرس في ولده المذكور الالحاد ، ويذمه كثيرا ، ويحذر الناس منه .

أقول : هذا كذب صريح ، فان والده قد أثنى عليه ثناء بليغا كما يظهر من عبارة (روضة الأفكار) وقد نقلت فيما تقدم .

قوله : وكذا أخوه سليمان بن عبد الوهاب فكان ينكر ما أحدثه من البـدع والضلال ، والعقائد الزائغة ، وتقدم أنه ألف كتابا في الرد عليه .

أقول : نعم قد كان أخوه سليمان في أول الأمر كما قال هذا القائل ، ثم رجع عن مذهبه الأول وندم على ما فرط من الضلال والطغيان ، كما يلوح من كتابه الذي

كتب الى أحمد بن محمد التويجري وأحمد ومحمد ابنى عثمان بن شبانة ، وقد نقل فيما سبق فتذكر •

قوله : وكانت ولادة محمد بن عبد الوهاب سنة ألف ومائة وأحد عشر •

أقول : هذا غلط والصحيح ما في (الروضة) من أنه رحمه الله ولد سنة خمس عشرة بعد المائة والألف كما تقدم •

قوله : ولما أراد اظهار ما زينه له الشيطان من البدعة والضلالة •

أقول : هذا بهتان عظيم ، فان الشيخ رحمه الله سعى سعيا عظيما في ازالة البدعة والضلالة ، وانما دعا الناس الى التوحيد الخالص واتباع السنة ، وترك الشرك والبدعة •

قوله : ويفهمهم أن ما عليه الناس كله شرك وضلال •

أقول : هذا بعمومه افتراء بحت •

قوله : وكان يقول لهم : اني أدعوكم الى الدين ، وجميع ما هو تحت السبع الطباق ، مشرك على الاطلاق ، ومن قتل مشركا فله الجنة •

أقول : هذا كله افتراء بلا ريب على الشيخ يعرفه من له رائحة من الايمان والعلم والعقل •

قوله : وكانوا ملكوا الطائف في ذي القعدة سنة ١٢١٧ قتلوا الكبير والصغير، والمأمور والآمر ، ولم ينج الا من طال عمره ، وكانوا يذبحون الصغير على صدر أمه ، ونهبوا الأموال ، وسبوا النساء ــ الى قوله ــ فانهم كانوا يحكمون على الناس بالكفر منذ ستمائة سنة ، وغفلوا أيضا عن استباحتهم أموال الناس ودماءهم، وانتهاكهم حرمة النبي صلى الله عليه وسلم بارتكابهم أنواع التحقير له ولمن أحبه ، وغير ذلك من مقابحهم التي ابتدعوها وكفروا الأمة بها ، وكانوا اذا أراد أحد أن يتبعهم على دينهم طوعا أو كرها يأمرونه بالاتيان بالشهادتين أولا ، ثم يقولون له : اشهد على نفسك أنك كنت كافرا ، واشهد على والديك أنهما ماتا كافرين ، واشهد على فلان وفلان أنه كان كافرا ، ويسمون له جماعة من أكابر العلماء الماضين ، فان

شهدوا بذلك قبلوهم ، والا أمروا بقتلهم ، وكانوا يصرحون بتكفير الأمة منذ ستمائة سنة ، وأول من صرح بذلك محمد بن عبد الوهاب فتبعوه على ذلك ، واذا دخل انسان في دينهم وكان قد حج حجة الاسلام قبل ذلك يقولون له حج ثانيا ، فان حجتك الأولى فعلتها وأنت مشرك فلا يسقط عنك الحج ، ويسمون من اتبعهم من الخارج المهاجرين ، ومن كان من أهل بلدتهم يسمونهم الأنصار ، والظاهر من حال محمد بن عبد الوهاب أنه يدعى النبوة ، الا أنه ما قدر على اظهار التصريح بذلك ، وكان في أول أمره مولعا بمطالعة أخبار من ادعى النبوة كاذبا كمسيلمة الكذاب ، وسجاح ، والأسود العنسي ، وطليحة الأسدي وأضرابهم ، فكأنه يضمر في نفسه دعوى النبوة ، ولو أمكنه اظهار هذه الدعوة لأظهرها ، وكان يقول لأتباعه : اني أتيتكم بدين جديد ، ويظهر ذلك من أقواله وأفعاله ، ولهذا كان يطعن في مذاهب الأئمة وأقوال العلماء ، ولم يقبل من دين نبينا صلى الله عليه وسلم الا القرآن ، ويؤوله على حسب مراده ، مع أنه انما قبله ظاهرا فقط لئلا يعلم الناس حقيقة أمره فيكشفوا عنه ، بدليل أنه هو وأتباعه انما يؤولونه على حسب ما يوافق أهواءهم ، لا بحسب ما فسره به النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه والسلف الصالح وأئمة التفسير ، فانه كان لا يقول بذلك ، ولا يقول بما عدا القرآن من أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم وأقاويل الصحابة والتابعين ، والأئمة المجتهدين، ولا بما استنبطه الأئمة من القرآن والحديث ، ولا يأخذ بالاجماع ، ولا بالقياس الصحيح ، وكان يدعي الانتساب الى مذهب الامام أحمد رحمه الله كذبا وتسترا وزورا والامام أحمد بريء منه .

أقول : الجواب على هذه الأقوال كلها أنها على طولها وكثرتها كاذبة خبيثة ، فلا تعجبك كثرة الخبيث .

قوله : حتى أخوه سليمان بن عبد الوهاب ألف رسالة في الرد عليه كما تقدم .

أقول : قد عرفت فيما تقدم أن الشيخ سليمان قد رجع عن قوله الأول ، فالاستناد بالقول المرجوع عنه عجيب .

قوله : وتمسك في تكفير المسلمين بآيات نزلت في المشركين فحملها على الموحدين .

أقول : انما تمسك الشيخ في تكفير الذين يسمـــون أنفسهم مسلمين وهم يرتكبون أمورا مكفرة بعموم آيات نزلت في المشركين ، وقد ثبت في علم الأصول أن العبـــرة لعموم اللفظ ، لا لخصوص السبب ، وهـــذا مما لا مجال لاختلاف فيـــه لأحد .

قوله : وقد روى البخاري عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما في وصف الخوارج أنهم انطاقوا الى آيات نزلت في الكفار فجعلوها في المؤمنين .

أقول : قد وصله الطبري في مسند علي من تهذيب الآثار من طريق بكير بن عبد الله بن الأشج أنه سأل نافعا : كيف كان رأى ابن عمر في الحرورية ؟ قال : كان يراهم شرار الخلق انطلقوا الى آيات الكفار فجعلوها في المؤمنين ، قلت : وسنده صحيح قاله الحافظ في الفتح ، والشيخ رحمه الله تعالى بريء من هـــذا الصنيع بحمد الله ؛ والدليل عليه أنه ذكر في كتاب التوحيد باب اثم من فجر بالقرآن حديث أبي سعيد الخـــدري المروي في الخوارج وذكر هـــذا الأثر [(١)] ، فكيف يرتكب ما يشنع به على الخوارج ؟ نعم قد استدل الشيخ رحمه الله على كفر عباد القبور بعموم آيات نزلت في الكفار ، وهـــذا مما لا محذور فيه ، اذ عباد القبور ليسوا بمؤمنين عند أحد من المسلمين [(٢)] .

قوله : وفي رواية أخرى عن ابن عمر عند غير البخاري أنه صلى الله عليهوسلم قال « أخوف ما أخاف على أمتي رجل متؤول للقرآن يضعه في غير موضعه » .

---

(١) ينظر ما هـــذا الكتاب الذي يعنيه المؤلف ؟ فان (كتاب التـــوحيد) المشهور للشيخ محمد بن عبد الوهاب لا يوجد فيه (باب اثم من فجر بالقرآن) ولا حديث أبي سعيد الخدري في الخوارج ولا أثر ابن عمر : انطلقوا الى آيات الكفار فجعلوها في المؤمنين . فأما براءة الشيخ محمد بن عبد الوهاب من صنيع الخوارج فأمر لا شك فيه . وكتبه اسماعيل الأنصاري .

(٢) ان المؤلف يختصر في دحض هذه المفتريات لـمـا سبق له من التفصيل فيمـا يفندها من بطلان النقل وأدلة الشرع . ومن عجائب جهل دحلان وأمثاله أنهم يظنون أن ما بينه القرآن من بطلان شرك المشركين خاص بهم لذواتهم ، وليس حجة على من يفعل مثل فعلهم ، كأن من ولد مسلما يبـــاح له الشرك لجنسيته الاسلامية ، وان أشرك بالله في كل ما عده كتاب الله شركا ، وعلى هـــذا لا يتصور وقـــوع الردة في الاسلام ، لأن من سمي مسلما يجب أن يسمى كفره وشركه اسلاما ، أو يعد مباحا له او حراما على الأقل ، وقد يعدونه مشروعا بالتأويل ! وكتبه محمد رشيد رضا .

أقول : في هذا الكلام خطأ من وجوه :

(الأول) أن هذا الحديث من رواية عمر بن الخطاب ، لا من رواية ابن عمر كما ستعرفه عن قريب .

و (الثاني) أن المتبادر من قوله عند غير البخاري أن غير البخاري من الأئمة الستة قد أخرجوه ، مع أنه ليس له أثر في شيء من الكتب الستة ، فهذا تدليس واضح ، وان كان المراد بغير البخاري الطبراني فقط فكان التصريح بالطبراني أولى بالديانة من هذا الابهام والتلبيس .

و (الثالث) لفظ الحديث هكذا عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أكثر ما أتخوف على أمتي من بعدي رجل يتأول القرآن يضعه على غير مواضعه ، ورجل يرى أنه أحق بهذا الأمر من غيره » رواه الطبراني في الأوسط ، كذا في مجمع الزوائد ، والمؤلف قد أخطأ في نقل هذه الرواية في غير ما موضع كما لا يخفى .

و (الرابع) في سنده اسماعيل بن قيس الأنصاري ، وهو متروك الحديث كذا في مجمع الزوائد ، قال الذهبي في الميزان : اسماعيل بن قيس بن سعد بن زيد بن ثابت الأنصاري أبو مصعب عن أبي حازم ويحيى بن سعيد الأنصاري ، قال البخاري والدارقطني : منكر الحديث ، وقال النسائي وغيره : ضعيف ، وقال ابن عدي : وعامة ما يرونه منكر . اهـ ملخصا .

و (الخامس) أن صدقه على الشيخ محمد بن عبد الوهاب غير مسلم ، ومن يدعي فعليه البيان .

وقد ورد في هذا المعنى أحاديث أخر :

منها حديث حذيفة ، قال الحافظ أبو يعلي : حدثنا أبو موسى حدثنا أبو عمرو ابن عاصم حدثنا المعتمر عن أبيه عن قتادة عن الحسن بن حندب بن عبد الله أنه بلغه عن حذيفة — أو سمعه منه — يحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه ذكر « إن في أمتي قوما يقرءون القرآن ينثرونه نثر الدقل ، يتأولونه على غير تأويله » لم يخرجوه ، كذا في تفسير الحافظ ابن كثير .

ومنها حديث علي بن أبي طالب رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اني لا أتخـوف على أمتي مؤمنا ولا مشركا ، فأما المؤمن فيحجزه ايمانه ، وأما المشرك فيقمعه كفره ، ولكن أتخوف عليكم منافقا عليم اللسان ، يقول ما تعرفون ، ويعمل ما تنكرون » رواه الطبراني في الصغير والأوسط من رواية الحارث وهو الأعور ، وقد وثقه ابن حبان وغيره •

ومنها حديث عمران بن حصين رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ان أخوف ما أخاف عليكم بعدي كل منـافق عليم اللسان » رواه الطبراني في الكبير والبزار ورواته محتج بهم في الصحيح ، ورواه أحمد من حديث عمر بن الخطاب ، كذا في الترغيب والترهيب للمنذري ، وقال في مجمع الزوائد : رواه البزار وأحمد وأبو يعلي ورجاله موثقون •

ومنها حديث معاذ بن جبل قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اني أخاف عليكم ثلاثا وهن كائنات : زلة عالم ، وجـدال منافق بالقرآن ، ودنيا تفتح عليكم » رواه الطبراني في الثـلاثة ، وفيه عبد الحكيم بن منصور وهو متروك الحديث •

ومنها حديث معاذ بن جبل أيضا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم « اياكم وثلاثة : زلة عالم ، وجدال منافق بالقرآن ، ودنيا تقطع أعناقكم • فأما زلة عالم فان اهتدى فلا تقلدوه دينكم ، وان يزل فلا تقطعوا عنه أعمالكم • وأما جـدال منافق بالقرآن فان للقرآن منارا كمنار الطريق ، فما عرفتم فخذوه ، وما أنكرتم فردوه الى عالمه • وأما دنيا تقطع أعناقكم فمن جعل الله في قلبه غنى فهو غنى » رواه الطبراني في الأوسط ، وعمرو بن مرة لم يسمع من معاذ ، وعبد الله بن صالح كاتب الليث وثقه عبد الملك بن شعيب بن الليث ، ويحيى في رواية عنه ، وضعفه أحمد وجماعة •

ومنها حديث عمرو بن عوف قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « اني أخاف على أمتي من ثلاث : من زلة عالم ، ومن هوى متبع ، ومن حكم جائر » رواه البزار وفيه كثير بن عبد الله بن عوف وهو متروك ، وقد حسن له الترمذي •

ومنها حديث عمر بن الخطاب قال : حذرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم كل منافق عليم اللسان ، رواه البزار وأحمد وأبو يعلي ورجاله موثقون ٠

ومنها حديث عقبة بن عامر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « اني أخاف على أمتي اثنتين : القرآن واللبن ٠ أما اللبن فيتبعون الريف ويتبعون الشهوات ويتركون الصلاة ، وأما القرآن فيتعلمه المنافقون فيجادلون به الذين آمنوا » رواه أحمد والطبراني في الكبير ، وفيه دراج أبو السمح وهو ثقة مختلف في الاحتجاج به ، كذا في مجمع الزوائد ٠

وعن زياد بن حدير قال : قال لي عمر : هل تعرف ما يهدم الاسلام ؟ قال قلت لا ، قال : يهدمه زلة العالم ، وجدال المنافق بالكتاب ، وحكم الأئمة المضلين ٠ رواه الدارمي ٠

وعن عمر بن الأشجع أن عمر بن الخطاب قال : انه سيأتي ناس يجادلونكم بشبهات القرآن فخذوهم بالسنن ، فان أصحاب السنن أعلم بكتاب الله ٠ رواه الدارمي ٠

و (السادس) أن المراد في الحديث ــ على تقدير ثبوته ــ رجل يبتغي تأويل ما تشابه من القرآن ، يدل عليه ما أخرجه أبو القاسم في المعجم الكبير عن أبي مالك الأشعري أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « لا أخاف على أمتي الا ثلاث خصال : أن يكثر لهم المال فيتحاسدوا فيقتتلوا ، وأن يفتح لهم الكتاب فيأخذه المؤمن يبتغي تأويله (وما يعلم تأويله الا الله ، والراسخون في العلم يقولون آمنا به) الآية ، وأن يروا ذا علمهم فيضيعوه ولا يبالون عليه » كذا في تفسير ابن كثير ٠

وقبح تأويل ما تشابه من القرآن ثابت بالكتاب ، أى قوله تعالى : (فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله الا الله) الآية ، وبالسنة الصحيحة وهو ما روي عن عائشة رضى الله عنها قالت : تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم (هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات) وقرأ الى (وما يذكر الا أولوا الألباب) قالت : قال رسول الله صلى الله

عليه وسلم « فاذا رأيت ــ وعند مسلم : رأيتم ــ الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سماهم الله فاحذروهم » متفق عليه . والخوارج داخلون فيهم دخولا أوليا ، بل ان قيل انهم هم المراد في الحديث الذي ذكره صاحب الرسالة في الآية لم يكن بعيدا ، فان أول بدعة وقعت في الاسلام هى فتنة الخوارج ثم تشعبت منهم شعوب وقبائل وآراء وأهواء ومقالات ونحل كثيرة منتشرة ، ثم انبعثت القدرية ، ثم المعتزلة ، ثم الجهمية . وغير ذلك من أهل البدع ، فهم أصل كل أهل البدعة ورأسهم [1] ويهديك اليه ما أخرجه الحافظ أبو يعلي عن الحسن ابن جندب بن عبد الله أنه بلغه عن حذيفة أو سمعه منه يحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه ذكر « ان في أمتي قوما » الحديث وقد ذكر آنفا .

وما أخرجه أحمد عن أبي غالب قال : سمعت أبا أمامة يحدث عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى (فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه) قال : هم الخوارج . وفي قوله تعالى (يوم تبيض وجوه وتسود وجوه) قال « هم الخوارج » وقد رواه ابن مردويه من غير وجه عن أبي غالب عن أبي أمامة فذكره ، كذا في تفسير ابن كثير ، فالفرد الكامل للحديث والآية هو الخوارج ، ولكل أهل بدعة كفل منها على قدر بدعته ، حتى الخلف من الذين يسمون أنفسهم أهل السنة، ومنهم صاحب الرسالة ، فانهم يؤولون آيات الصفات وأحاديثها .

واذا عرفت هذا فاعلم أن الشيخ ليس مصداق هذا الحديث بيقين ، فانه يشنع تشنيعا بليغا على من يبتغي تأويل المتشابهات ، فكيف يكون مصداقه ؟ وقد عقد في كتاب التوحيد بابا لما جاء في اتباع المتشابه ، وقد ذكر فيه حديث عائشة المذكور ، وأثر عمر رضى الله عنه : هل تعرف ما يهدم الاسلام ؟ الحديث ، وقال : ولما سمع صبيغا يسأل عن الذاريات وأشباهها فعل به عمر ما فعل ، والقصة مشهورة [2] .

---

(١) نسى المصنف هنا غلاة الشيعة كالسبأيين ، فهم قبل الخوارج وشر منهم .

(٢) (كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد) مشهور متداول من تاليف الشيخ محمد بن عبد الوهاب ولكن ليس فيه باب بعنوان (باب اتباع المتشابه) ولم يذكر فيه حديث عائشة وأثر عمر المشار اليهما ولا قصة صبيغ فلعل ذلك في غيره من كتبه أو كتب بعض أولاده أو احفاده . وكتبه اسماعيل الأنصاري .

وقال في الرسالة التي اختصرت لأهل مكة : فأخبرناه بأن مذهبنا في أصول الدين مذهب أهل السنة والجماعة ، وطريقتنا طريقة السلف التي هى الطريق الأسلم والأعلم والأحكم ، خلافا لمن قال : طريقة الخلف أعلم ، وهى أنا نقر آيات الصفات وأحاديثها على ظاهرها ، ونكل معناها الى الله تعالى ، فان مالكا ــ وهو من أجل علماء السلف ــ لما سئل عن الاستواء قال : الاستواء معلوم ، والكيف مجهول ، والايمان به واجب ، والسؤال عنه بدعة .

قوله : وأعجب من ذلك كله أنه كان يكتب الى عماله الذين هم من أجهل الجاهلين : اجتهدوا بحسب فهمكم ، وانظروا حكما بما ترونه مناسبا لهذا الدين .

أقول : هذا كذب بحت ، فان الشيخ قال في الرسالة التي اختصرت لأهل مكة: ونحن أيضا في الفروع على مذهب الامام أحمد بن حنبل رحمه الله ، ولا ننكر على من قلد أحد الأربعة ، دون غيرهم لعدم ضبط مذاهب الغير كالرافضة والزيدية والامامية ونحوهم ، فلا نقرهم ظاهرا على شيء من مذاهبهم الفاسدة بل نجبرهم على تقليد أحد الأئمة الأربعة [1] ولا نستحق مرتبة الاجتهاد المطلق ولا أحد لدينا يدعيها ، الا أننا في بعض المسائل اذا صح لنا نص جلي من كتاب أو سنة غيرمنسوخ ولا مخصص ولا معارض بأقوى منه وقال به أحد الأئمة الأربعة أخذنا به وتركنا المذهب كارث الجد والاخوة فانا نقدم الجد وان خالف مذهب الحنابلة ، ولا نفتش على أحد في مذهبه ولا نعترض الا اذا اطلعنا على نص جلي مخالف لمذهب بعض الأئمة وكانت المسألة مما يحصل به شعار ظاهر كامام الصلاة فنأمر الحنفي والمالكي مثلا بالمحافظة على نحو الطمأنينة في الاعتدال والجلوس بين السجدتين لوضوح دليل ذلك ، بخلاف جهر الامام الشافعي بالبسملة وشتان بين المسألتين ، فاذا قوى الدليل أرشدناهم بالنص وان خالف المذهب ، وذلك انما يكون نادرا جدا ، ولا مانع من الاجتهاد في بعض المسائل دون بعض فلا مناقضة لعدم دعوى الاجتهاد المطلق ، وقد سبق جمع من أئمة المذاهب الأربعة الى اختيارات لهم في بعض المسائل مخالفة للمذهب الملتزمين تقليد صاحبه . اهـ .

---

(١) تقدم أن مذاهبهم مدونة .

قوله : وقد اعتنى كثير من العلماء من أهل المذاهب الأربعة للرد عليه •

أقول : قد اعتنى كثير من العلماء من أهل التحقيق بالجواب على ذلك الرد •

قوله : وسألوه عن مسائل يعرفها أقل طلبة العلم ، فلم يقدر على الجواب عنها ، لأنه لم يكن له تمكن في العلوم •

أقول : تمكنه في العلوم الدينية مما لا مجال للكلام فيه ، فان الشيخ امام الموحدين ، ورأس العلماء العاملين ، وغرة الأئمة المحققين ، كان حفظ القرآن عن ظهر قلبه قبل بلوغه العشر ، وكان حاد الفهم ، سريع الحفظ • اشتغل في العلم عن أبيه ، وأخذ في القراءة على والده في الفقه ، ورحل في العلم وسار ، وجد في الطلب فزاحم فيه العلماء الكبار ، وأخذ العلم عن جماعة منهم الشيخ عبد الله بن ابراهيم النجدي ثم المدني ، وقد سمع رحمه الله الحديث والفقه من جماعة بالبصرة كثيرة وقرأ بها النحو وأتقن تحريره ، وكتب الكثير من اللغة والحديث • فلله دره من جهبذ عالم ، وداع الى توحيد الله قائم ، وناصح لله ملازم ، ومجدد لتلك المشاهد السنية والمعالم • كذا في الروضة للشيخ حسين بن غنام الأحسائي ، وقال عالم صنعاء وشيخها :

قفي واسألي عن عالم حل سوحها ... به يهتدي من ضل عن منهج الرشد
محمد الهادي لسنة أحمد ... فيا حبذا الهادي ويا حبذا المهدي
لقد سرني ما جاءني من طريقه ... وكنت أرى هذى الطريقةلي وحدي

وقال عالم الأحساء وشيخها :

لقد رفع المولى به رتبة الهدى ... بوقت به يعلو الضلال ويرفع
وجرت به نجد ذيول افتخارها ... وحق لها بالألمعي ترفع

وقد عرف طلب الشيخ ورحلته في تحصيله كما ذكره صاحب التاريخ الشيخ حسين بن غنام الأحسائي ، وقد اجتمع بأشياخ الحرمين في وقته ومحدثيها وأجازه بعضهم ، ورحل الى البصرة ، وسمع وناظر ، والى الأحساء وهي اذ ذاك آهلة بالعلماء فسمع من أشياخها ، وباحث في أصول الدين ومقالات الناس في الايمان وغيره ، وسمع من والده ومن فقهاء نجد في وقته ، واشتهر عندهم بالعلم والذكاء • كذا قاله بعض المحققين في تأليف رد فيه على (جلاء الغمة في تكفير هذه الأمة) •

وللشيخ رسائل وتأليفات تدل على سعة علمه ، منها (كتاب التوحيد) وكتاب (أصول الايمان) و (استنباط الأحكام من بعض السور) وغيرها . وحكاية السؤال عن المسائل ، وعدم القدرة على الجواب عنها حكاية رجل خائن لا يعتمد على حكايته .

قوله : فمن جملة ما سأله عنه قوله : أسألك عن قوله تعالى (والعاديات ضبحا) الى آخر السورة التي هي من قصار المفصل كم فيها من حقيقة شرعية وحقيقة لغوية وحقيقة عرفية ــ الى قوله ــ وما فيها من احتراس وتتميم ، وبين لنا موضع كل ما ذكر ، فلم يقدر محمد بن عبد الوهاب على الجواب عن شيء مما سأله عنه .

أقول : الكلام فيه من وجوه : (الأول) عدم الاعتماد على هذه الحكاية . و (الثاني) عدم القدرة على جواب مثل هذا السؤال لا يدل على عدم تمكنه في العلوم الدينية من الحديث والتفسير والفقه . و (الثالث) أن هذا السؤال من جنس محارات العلماء وهي غير جائزة ، بل من جنس الأغلوطات وهو منهي عنه ، لما روى أبو داود عن معاوية قال : ان النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن الأغلوطات ، وعن تميم الداري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « كل مشكل حرام ، وليس في الدين اشكال » رواه الطبراني في الكبير ، وفيه الحسين بن عبدالله ابن ضميرة وهو مجمع على ضعفه .

وعن ثوبان عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « سيكون أقوام من أمتي يتعاطون فقهاءهم عضل المسائل ، أولئك شرار أمتي » رواه الطبراني ، وفيه يزيد بن ربيعة وهو متروك ، كذا في مجمع الزوائد . قال الذهبي في ترجمة الحسين بن عبد الله بن ضميرة كذبه مالك ، وقال أبو حاتم متروك الحديث ، وقال أحمد لا يساوي شيئا ، وقال ابن معين ليس بثقة ولا مأمون ، وقال البخاري منكر الحديث ضعيف ، وقال أبو زرعة ليس بشيء ، اضرب على حديثه . اهـ .

وقال في ترجمة يزيد بن ربيعة الرحبي الدمشقي : قال البخاري أحاديثه مناكير ، وقال أبو حاتم وغيره ضعيف ، وقال النسائي متروك ، قال أبو مسهر كان يزيد بن ربيعة فقيها غير متهم ما ننكر عليه أنه أدرك أبا الأشعث ، ولكن أخشى

عليه سوء الحفظ والوهم ، وقال الجوزجاني أخاف أن تكون أحاديثه موضوعة ، وأما ابن عدي فقال أرجو أنه لا بأس به • اهـ •

وحديث تميم الداري وثوبان وان كانا ضعيفين ولكن يكفيان للاستئناس والتقوية ، لا يقال ان حديث ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ان من الشجر شجرة لا يسقط ورقها ، وانها مثل المسلم فحدثوني ما هى » ؟ الحديث رواه البخاري يدل على خلاف ما رواه أبو داود عن معاوية • قلت : دلالته على الخلاف غير مسلمة ، فان حديث ابن عمر يدل على أن امتحان العالم أذهان الطلبة بما يخفى مع بيانه لهم ان لم يفهموه جائز ، وأما حديث معاوية فمحمول على صعاب المسائل مما لا نفع فيه ، أو ما خرج على سبيل تعنيت المسئول أو تعجيزه ، كذا قال الحافظ في الفتح ، ولا ريب أن السؤال الذي ذكره المؤلف خرج على سبيل تعنيت المسئول وتعجيزه •

و (الرابع) أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضى الله عنهم ، وأهل بيته رضوان الله عليهم أجمعين ، وأهل العلم من التابعين وتبع التابعين ولا سيما الأئمة الأربعة من الفقهاء ، والأئمة الستة من أهل الحديث ، لو سئلوا عن أمثال تلك المسائل فهل يقدرون على الجواب عن شيء منها أم لا ؟ على الثاني فللشيخ رحمه الله تعالى أسوة حسنة في هؤلاء السادة الكبار ، والأول مستبعد جدا ، فان رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كان يعرف شيئا من حقيقة شرعية ، وحقيقة لغوية ، وحقيقة عرفية ، ومجاز مرسل وغيرها من الأمور المذكورة في هذا السؤال ، وكذا أصحابه وأهل بيته رضى الله عنهم ، وكذلك أهل العلم من التابعين وتبع التابعين ، وكذلك الفقهاء الأربعة والأئمة الستة [1] •

(١) ليت المؤلف السهسواني رحمه الله أتى بغير هذه العبارة الشنيعة مثل أن يقول : (الرابع) أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه وأهل بيته واهل العلم من التابعين وتبع التابعين رضي الله عنهم لم يؤثر عنهم الخوض في تلك التقسيمات والاصطلاحات التي سأل عنها ذلك السائل ولعل ذلك هو السبب الوحيد لعدم مبالاة الامام محمد بن عبد الوهاب بتلك الأسئلة حرصا منه على الاتباع والدعوة اليه ولو صنع المؤلف هذا لأصاب • كتبه اسماعيل الأنصاري •

قوله : وقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم عن هؤلاء الخوارج في أحاديث كثيرة فكانت تلك الأحاديث من أعلام نبـوة النبي صلى الله عليه وسلم لأنها من الاخبار بالغيب ، وتلك الأحاديث كلها صحيحة بعضها في صحيحي البخاري ومسلم وبعضها في غيرهما •

أقول : كون الشيخ محمد بن عبد الوهاب وأتباعه مصداق تلك الأحاديث ، وكذلك كون تلك الأحاديث كلها صحيحة محل نظر ، كما ستقف عليه ان شاء الله تعـالى •

قوله : فمنها قوله صلى الله عليه وسلم « الفتنة من ههنا ، الفتنة من ههنا » وأشار الى المشرق •

أقول : رواه البخاري في كتاب الفتن من حديث ابن عمر ولفظه هكذا : عن سالم عن أبيه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قام الى جنب المنبر فقال « الفتنة ههنا ، الفتنة ههنا ، من حيث يطلع قرن الشيطان » أو قال « قرن الشمس » ، وفي رواية عنه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مستقبل المشرق يقول « ألا ان الفتنة ههنا ، من حيث يطلع قرن الشيطان » ، وفي رواية عنه قال ذكر النبي صلى الله عليه وسلم « اللهم بارك لنا في شامنا ، اللهم بارك لنا في يمننا » قالوا : وفي نجـدنا ؟ قال « اللهم بارك لنا في شـامنا ، اللهم بارك لنا في يمننا » قالوا : يا رسول الله وفي نجدنا ؟ فأظنه قال في الثالثة « هناك الزلازل والفتن ، وبها يطلع قرن الشيطان [1] » • انتهى •

قال الحافظ في الفتح قوله « الفتنة ههنا ، الفتنة ههنا » كذا فيه مرتين ، وفي رواية يونس « ها ان الفتنة ههنا » أعادها ثلاث مرات ، قوله « من حيث يطلع قرن

---

(١) قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري:وقال الخطابي « نجد من جهة المشرق• ومن كان بالمدينة كان نجده بادية العراق ونواحيها ، وهي مشرق أهل المدينة • وأصل (النجد) ما ارتفع من الأرض ، وهي خلاف (الغور) فانه ما انخفض منها ، وتهامة كلها من الغور ، ومكة من تهامة انتهى ، ثم قال ابن حجر : وعرف بهذا وهاء ما قاله الداودي ان نجدا من ناحية العراق ، كانه توهم أن نجدا موضع مخصوص ، وليس كذلك ، بل كل شيء ارتفع بالنسبة الى ما يليه يسمى نجدا ، والمنخفض غورا ا هـ وانظر كتاب (مع الرعيل الأول) فصل « هل أخطأ الأحنف » ص ١٩٢ ـ ١٩٥ •

الشيطان » أو قال « قرن الشمس » كذا هنا بالشك ، وفي رواية عبد الرزاق « ههنا أرض الفتن » وأشار الى المشرق يعني حيث يطلع قرن الشيطان . وفي رواية شعيب « ألا ان الفتنة ههنا » يشير الى المشرق حيث يطلع قرن الشيطان ، وفي رواية يونس مثل معمر لكن لم يقل : أو قال « قرن الشمس » بل قال : يعني المشرق .

ولمسلم من رواية عكرمة بن عمار عن سالم سمعت ابن عمر يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يشير بيده نحو المشرق ويقول « ها ان الفتنة ههنا » ثلاثا « حيث يطلع قرن الشيطان » ، وله من طريق حنظلة عن سالم مثله ، لكن قال « ان الفتنة ههنا » ثلاثا ، وله من طريق فضيل بن غزوان سمعت سالم بن عبد الله بن عمر يقول : يا أهل العراق ، ما أسألكم عن الصغيرة وأركبكم للكبيرة ! سمعت أبي يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « ان الفتنة تجيء من ههنا » وأومأ بيده نحو المشرق « من حيث يطلع قرنا الشيطان » كذا فيه بالتثنية ، وله في صفة ابليس من طريق مالك عن عبد الله بن دينار عن ابن عمر مثل سياق حنظلة سواء ، وله نحوه من رواية سفيان الثوري عن عبد الله بن دينار أخرجه في الطلاق ثم ساق هنا من رواية الليث عن نافع عن ابن عمر مثل رواية يونس الا أنه قال « ألا ان الفتنة ههنا » ولم يكرر ، وكذا لمسلم ، وأورده الاسماعيلي من رواية أحمد بن يونس عن الليث فكررها مرتين . اهـ .

قلت : قد عرفت من هنا أن زيادة لفظة « من » لا تعرف في شيء من طرق الحديث ، ولعلها من أغلاط المؤلف ، ولا يستبعد ذلك منه ، فانه كثيرا ما يغلط في نقل الروايات ، لأنه ليس من أهل هذا الشأن ، وهذا الحديث لا شك في صحته ، وقد وردت في هذا المعنى أحاديث صحيحة أخر :

منها ما روى البخاري في المناقب عن أبي مسعود يبلغ به النبي صلى الله عليه وسلم قال « من ههنا جاءت الفتن ـ نحو المشرق ـ والجفاء وغلظ القلوب في الفدادين أهل الوبر عند أصول أذناب الابل والبقر ، في ربيعة ومضر » ولفظ مسلم هكذا عن أبي مسعود قال : أشار النبي صلى الله عليه وسلم بيده نحو اليمن فقال « ألا ان الايمان ههنا وان القسوة وغلظ القلوب في الفدادين عند أصول أذناب الابل حيث يطلع قرنا الشيطان في ربيعة ومضر » .

ولمسلم عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « رأس الكفر نحو المشرق ، والفخر والخيلاء في أهل الخيل والابل الفدادين أهل الوبر ، والسكينة في أهل الغنم » •

وله في رواية عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « الايمان يمان ، والكفر قبل المشرق ، والسكينة في أهل الغنم ، والفخر والرياء في الفدادين أهل الخيل والوبر » •

وله في رواية عنه قال : سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول « جاء أهل اليمن ، هم أرق أفئدة وأضعف قلوبا ، الايمان يمان والحكمة يمانية ، والسكينة في أهل الغنم ، والفخر والخيلاء في الفدادين أهل الوبر قبل مطلع الشمس » •

وله في رواية عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أتاكم أهل اليمن هم ألين قلوبا وأرق أفئدة ، الايمان يمان والحكمة يمانية ، رأس الكفر قبل المشرق » •

وله عن جابر بن عبد الله يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « غلظ القلوب والجفاء في المشرق ، والايمان في أهل الحجاز » •

قال الحافظ في الفتح : وقال غيره — أى غير الخطابي — كان أهل المشرق يومئذ أهل كفر ، فأخبر صلى الله عليه وسلم أن الفتنة تكون من تلك الناحية فكان كما أخبر ، وأول الفتن كان من قبل المشرق فكان ذلك سببا للفرقة بين المسلمين ، وذلك ما يحبه الشيطان ويفرح به ، وكذلك البدع نشأت من تلك الجهة • ا هـ •

وقال القسطلاني : انما أشار عليه الصلاة والسلام الى المشرق لأن أهله يومئذ أهل كفر فأخبر أن الفتنة تكون من تلك الناحية ، وكذا وقع فكان وقعة الجمل ووقعة صفين ثم ظهور الخوارج في أرض نجد والعراق وما وراءها من المشرق ، وكان أصل ذلك كله وسببه قتل عثمان بن عفان رضى الله عنه ، وهذا علم من أعلام نبوته صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم • ا هـ •

وقال أيضا : يبدأ من المشرق ومن ناحيتها يخرج يأجوج ومأجوج والدجال ، وبها الداء العضال ، وهى الهلاك في الدين • اهـ •

وقال النووي : والمراد بذلك اختصاص المشرق بمزيد من تسلط الشيطان ومن الكفر ، كما قال في حديث آخر « رأس الكفر نحو المشرق » وكان ذلك في عهده صلى الله عليه وسلم حين قال ذلك ، ويكون حين يخرج الدجال من المشرق ، وهو فيما بين ذلك منشأ الفتن العظيمة ، ومثار لكفرة الترك الفاسقة العاتية الشديدة البأس • اهـ •

وقال صاحب مجمع البحار : ومنه حديث « قرنا الشيطان قبل المشرق » أى جمعاه المعنويان أو شيعتاه من الكفار ، يريد مزيد تسلطه في المشرق وكان ذلك في عهده صلى الله عليه وسلم ، ويكون حين يخرج الدجال من المشرق ، وهو فيما بين ذلك منشأ الفتن العظيمة ومثار الترك العاتية • اهـ •

ولا يخفى عليك أن لفظا من ألفاظ هذا الحديث لا يقتضي أن كل من يولد في المشرق أو يسكن فيه يكون مصداقا لهذا الحديث ، حتى يثبت ما ادعاه المؤلف من كون الشيخ مصداقا له ، والمؤلف لم يبين وجه الاستدلال به حتى يتكلم فيه ويجاب عليه ، ومجرد وقوع الفتنة في موضع لا يستلزم ذم كل من يسكنه •

ألا ترى الى ما روى الشيخان عن أسامة بن زيد قال : أشرف النبي صلى الله عليه وسلم على أطم من آطام المدينة فقال « هل ترون ما أرى » ؟ قالوا : لا • قال « فاني لأرى الفتن تقع في خلال بيوتكم كوقع المطر » •

والى ما روى أبو داود عن أبي ذر قال : كنت رديفا خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما على حمار ، فلما جاوزنا بيوت المدينة قال « كيف بك يا أبا ذر اذا كان بالمدينة جوع ، تقوم عن فراشك ولا تبلغ مسجدك حتى يجهدك الجوع » ؟ قال قلت : الله ورسوله أعلم • قال « تعفف يا أبا ذر » • قال : « كيف بك يا أبا ذر اذا كان بالمدينة موت يبلغ البيت العبد حتى أنه يباع القبر بالعبد » ؟ قال قلت الله ورسوله أعلم • قال « تصبر يا أبا ذر » قال « كيف بك يا أبا ذر اذا كان بالمدينة قتل تغمر الدماء أحجار الزيت » ؟ قال قلت : الله ورسوله أعلم • قال « تأتي من أنت

منه » قال قلت وألبس السلاح ؟ قال « شاركت القوم اذا » قلت فكيف أصنع يا رسول الله ؟ قال « ان يبهرك شعاع السيف فألق ناحية ثوبك على وجهك ، ليبوء باثمك واثمه » [1] .

والى ما روى البخاري عن ابن المسيب قال : وقعت الفتنة الأولى — يعني مقتل عثمان — فلم يبق من أصحاب بدر أحد . ثم وقعت الفتنة الثانية — يعني الحرة — فلم يبق من أصحاب الحديبية أحد ، ثم وقعت الفتنة الثالثة فلم ترفع وبالناس طباخ .

وهذه الأحاديث وغيرها مما ورد في هذا الباب دالة على وقوع الفتن في المدينة النبوية ، فلو كان وقوع الفتنة في موضع مستلزما لذم ساكنيه لزم ذم سكان المدينة كلهم أجمعين ، وهذا لا يقول به أحد ، على أن مكة والمدينة كانتا في زمان موضع الشرك والكفر ، وأي فتنة أكبر منهما ؟ بل وما من بلدة أو قرية الا وقد كانت في زمن أو ستصير في زمان موضع الفتنة ، فكيف يجترىء مؤمن على ذم جميع مسلمي الدنيا ؟ وانما مناط ذم شخص معين كونه مصدرا للفتن من الكفر والشرك والبدع والظلم ، وأما مجرد تولده في موضع الفتنة أو سكناه فيه مع كونه ماحيا للفتن ، ومحييا للسنن ، فليس سببا للذم والعيب ، بل موجب للثناء والوصف الجميل ، كيف لا وهو كالمقاتل خلف الفارين ، وكغصن أخضر في شجر يابس ، ومثل مصباح في بيت مظلم ؟ كما ورد في الحديث .

وملاك الأمر في كون الرجل أولى الناس بالرسول هو تقواه من كان وحيث كان ، يدل عليه ما روى الامام أحمد بن محمد بن حنبل عن معاذ بن جبل قال : لما بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم الى اليمن خرج معه رسول الله صلى الله عليه وسلم يوصيه ومعاذ راكب ورسول الله صلى الله عليه وسلم يمشي تحت

---

(١) هذا الحديث أخرجه البغوي في المصابيح وعزاه مخرجوه وصاحب المشكاة الى أبي داود ، وهو غير موجود في نسخ أبي داود التي في الأيدي بهذا اللفظ ، ولكنه جاء فيه بلفظ آخر يشير الى أنه سبقه غيره . وأحجار الزيت مكان في المدينة معروف ، قال بعضهم : هو الموضع الذي وقعت فيه الوقعة في زمن يزيد بن معاوية حين استباح المدينة وهو من جهتها الغربية ، وقوله ((تأتي من أنت منه)) وعند أبي داود ((عليك بمن أنت منه)) معناه : الزم اهلك وعشيرتك ولا تنغمس في الفتنة ، وقيل الزم امامك الذي بايعته . وكتبه محمد رشيد رضا .

راحلته ، فلما فرغ قال « يا معاذ انك عسى أن لا تلقاني بعد عامي هذا ، ولعلك أن تمر بمسجدي هذا وقبري » فبكى معاذ جشعا [1] لفراق رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم التفت فأقبل بوجهه نحو المدينة فقال « ان أولى الناس بي المتقون ، من كانوا ، وحيث كانوا » .

قوله : وقوله صلى الله عليه وسلم « يخرج ناس من قبل المشرق ويقرءون القرآن لا يجاوز تراقيهم ، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية : لايعودون فيه حتى يعود السهم الى فوقه ، سيماهم التحليق » والفوق بضم الفاء موضع الوتر .

أقول : الحديث أخرجه البخاري في كتاب التوحيد عن معبد بن سيرين عن أبي سعيد الخدري رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « يخرج ناس من قبل المشرق ويقرءون القرآن لا يجاوز تراقيهم ، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية ، ثم لا يعودون فيه حتى يعود السهم الى فوقه » قيل ما سيماهم ؟ قال « سيماهم التحليق ، أو قال : التسبيد » . ا هـ . وليس فيما نقله المؤلف لفظة « ثم » ولا لفظة « قيل ما سيماهم » .

وأخرج مسلم عن أبي نضرة عن أبي سعيد أن النبي صلى الله عليه وسلم ذكر قوما يكونون في أمته ، يخرجون في فرقة من الناس سيماهم التحالق ، قال « هم شر الخلق أو من أشر الخلق ، يقتلهم أدنى الطائفتين الى الحق » قال فضرب النبي صلى الله عليه وسلم لهم مثلا أو قال قولا « الرجل يرمي الرمية — أو قال : الغرض — فينظر في النصل فلا يرى بصيرة ، وينظر في النضى فلا يرى بصيرة [2] وينظر في الفوق فلا يرى بصيرة » قال : قال أبو سعيد : وأنتم قتلتموهم يا أهل العراق . اهـ.

وفي رواية له عن سهل بن حنيف قال « يتيه قوم قبل المشرق محلقة رءوسهم » .

(١) الجشع بالتحريك : الجزع لفراق الالف ، وهو المراد هنا كما في اللسان وغيره قال : والجشع أسوأ الحرص وقيل أشده على الطعام وغيره . وكتبه محمد رشيد رضا .

(٢) النضى كغنى : قدح السهم ، أو ما جاوز الريش منه الى النصل . والبصيرة : أثر الدم .

وأخرج أبو داود عن أبي سعيد الخـدري وأنس بن مالك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « سيكون في أمتي اختلاف وفرقة ، قوم يحسنون القيل ويسيئون الفعل ، يقرءون القرآن لا يجاوز تراقيهم ، يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية ، لا يرجعون حتى يرتد على فوقه . هم شر الخلق والخليقة ، طوبى لمن قتلهم وقتلوه ، يدعون الى كتاب الله وليسوا منه في شيء ، من قاتلهم كان أولى بالله تعالى منهم » قالوا : يا رسول الله ما سيماهم ؟ قال « التحليق » . وله عن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم .. نحوه ، قال « سيماهم التحليق والتسبيد[1] فاذا رأيتموهم فأنيموهم » .

وأخرج النسائي عن شريك بن شـهاب قال : كنت أتمنى أن ألقى رجلا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أسأله عن الخـوارج ، فلقيت أبا برزة في يوم عيد في نفر من أصحابه ، فقلت له : هل سمعت رسـول الله صلى الله عليه وسلم يذكر الخوارج ؟ فقال : نعم سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم بأذني ورأيته بعيني : أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بمال فقسمه ، فأعطى من عن يمينه ومن عن شماله ولم يعط من وراءه شيئا ، فقام رجل من ورائه فقال : يا محمد ما عدلت في القسمة . رجل أسود مطموم الشعر [2] عليه ثوبان ابيضان ، فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم غضبا شديدا وقال « والله لا تجدون بعدي رجلا هو أعدل مني » ثم قال « يخرج في آخر الزمان قوم كأن هذا منهم ، يقرءون القرآن لايجاوز تراقيهم ، يمرقون من الاسلام كما يمرق السهم من الرميـة ، سيماهم التحليق ، لا يزالون يخرجون حتى يخرج آخرهم مع المسيح الدجال ، فاذا لقيتموهم فاقتلوهم ، هم شر الخلق والخليقة » قال أبو عبد الرحمن : شريك بن شـهاب ليس بذلك المشهور . اهـ .

وأخرج ابن ماجه عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

---

(١) التحليق المبالغة في حلق الشعر ، والتسبيد بالباء استئصاله ، فهو بمعناه . وقيل هو التشعيث بترك الغسل والدهن ، وفي نسخة والتسميد بالميم وهو بمعناه . وكتبه محمد رشيد رضا .

(٢) أي محلوقه .

« يخرج في آخر الزمان ــ أو في هذه الأمة ــ قوم يقرءون القرآن لا يجاوز تراقيهم أو حلوقهم ، اذا رأيتموهم ــ أو اذا لقيتموهم ــ فاقتلوهم » • اهـ •

قال الحافظ في الفتح : وقد ذكر صلى الله عليه وسلم للخوارج علامة أخرى ، ففي رواية معبد بن سيرين عن أبي سعيد قال : ما سيماهم ؟ قال « سيماهم التحليق » وفي رواية عاصم بن سمح عن أبي سعيد : فقام رجل فقال : يا نبي الله هل في هؤلاء القوم علامة ؟ قال « يحلقون رءوسهم ، فيهم ذو ثدية » وفي حديث أنس عن أبي سعيد « هم من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا » • قيل : يا رسول الله ما سيماهم ؟ قال « التحليق » هكذا أخرجه الطبري ، وعند أبي داود بعضه • اهـ •

هذا ما اطلعت عليه من الأحاديث التي فيها ذكر الحلق ، وليس فيها اللفظ الذي نقله المؤلف ، ولعل هذا من أوهامه وأغلاطه •

قوله : وقوله صلى الله عليه وسلم « سيكون في أمتي اختلاف وفرقة ، قوم يحسنون القيل ويسيئون الفعل » الحديث •

أقول : قد عرفت فيما سبق أن الحديث أخرجه أبو داود من حديث أبي سعيد الخدري وأنس بن مالك ، ولكن أخطأ المؤلف في نقله في مواضع : (الأول) أنه زاد لفظة « ايمانهم » حيث قال لا يجاوز ايمانهم تراقيهم • و (الثاني) انه قال لفظة « يعود » موضع يرتد • و (الثالث) أنه زاد لفظة « السهم » • و (الرابع) انه قال لفظة « الى » موضع على • و (الخامس) أنه قال « لمن قتلهم أو قتلوه » بأو ، والموجود في سنن أبي داود « لمن قتلهم وقتلوه » بالواو •

قوله : وقوله صلى الله عليه وسلم « سيخرج في آخر الزمان قوم أحداث الأسنان ، سفهاء الأحلام ، يقولون قول خير البرية » الحديث •

أقول : هذا حديث علي قد أخرجه البخاري عن سويد بن غفلة قال علي رضى الله عنه : اذا حدثتكم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثا فوالله لأن أخر من السماء أحب الى من أن أكذب عليه ، واذا حدثتكم فيما بيني وبينكم فان الحرب خدعة ، واني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « سيخرج قوم في آخر الزمان حداث الأسنان سفهاء الأحلام ، يقولون من خير قول البرية ، لا يجاوز

ايمانهم حناجرهم ، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية ، فأينما لقيتموهم فاقتلوهم فان في قتلهم أجرا لمن قتلهم يوم القيامة » ، وفي لفظ له « يأتي في آخر الزمان قوم حدثاء الأسنان سفهاء الأحلام ، يقولون من خير قول البرية ، يمرقون من الاسلام كما يمرق السهم من الرمية ، لا يجاوز ايمانهم حناجرهم ، فأينما لقيتموهم فاقتلوهم ، فان قتلهم أجر لمن قتلهم يوم القيامة » ، وأخرجه مسلم ولفظه هكذا : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « سيخرج في آخر الزمان قوم أحداث الأسنان سفهاء الأحلام . يقولون من خير قول البرية ، يقرءون القرآن لا يجاوز حناجرهم ، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية ، فاذا لقيتموهم فاقتلوهم فان في قتلهم أجرا لمن قتلهم عند الله يوم القيامة » ا هـ ، وأخرجه أبو داود ولفظه هكذا « يأتي في آخر الزمان قوم حدثاء الأسنان سفهاء الأحلام ، يقولون من خير قول البرية ، يمرقون من الاسلام كما يمرق السهم من الرمية ، لا يجاوز ايمانهم حناجرهم ، فأينما لقيتموهم فاقتلوهم فان قتلهم أجر لمن قتلهم يوم القيامة » ، وأخرجه النسائي ولفظه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « يخرج قوم في آخر الزمان أحداث الأسنان سفهاء الأحلام ، يقولون من خير قول البرية لا يجاوز ايمانهم حناجرهم ، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية ، فاذا لقيتموهم فاقتلوهم ، فان قتلهم أجر لمن قتلهم يوم القيامة » ، وأخرجه الترمذي وابن ماجه من حديث عبد الله بن مسعود .

أما لفظ الترمذي فهكذا قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يخرج في آخر الزمان قوم أحداث الأسنان سفهاء الأحلام ، يقرءون القرآن لا يجاوز تراقيهم ، يقولون من قول خير البرية ، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية » .

وأما لفظ ابن ماجه فهكذا قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يخرج في آخر الزمان قوم أحداث الأسنان سفهاء الأحلام ، يقولون من خير قول الناس ، يقرءون القرآن لا يجاوز تراقيهم ، يمرقون من الاسلام كما يمرق السهم من الرمية، فمن لقيهم فليقتلهم ، فان قتلهم أجر عند الله لمن قتلهم » . ا هـ .

واللفظ الذي نقله المؤلف لا يوافق شيئا مما ذكر من الروايات ، أما الرواية

الأولى للبخاري فلأن لفظ البخاري « سيخرج قوم في آخر الزمان » ونقل المؤلف « سيخرج في آخر الزمان قوم » ولفظ البخاري « حداث الأسنان » والمؤلف قال « أحداث الأسنان » ولفظ البخاري « يقولون من خير قول البرية » والمؤلف قال « يقولون قول خير البرية » وزاد لفظة « يقرءون القرآن » وهذه اللفظة ليست في تلك الرواية وحذف لفظة « ايمانهم » وانما لفظ هذه الرواية هكذا « لا يجاوز ايمانهم حناجرهم » ولفظة الرواية « فأينما لقيتموهم » وقال المؤلف « فاذا لقيتموهم » والمؤلف زاد لفظة « عند الله » من عند نفسه ولفظة الرواية هكذا « لمن قتلهم يوم القيامة » .

وأما الرواية الثانية له فأيضا تخالف ما ذكره المؤلف من وجوه ، وهي أن لفظة هذه الرواية « يأتي في آخر الزمان قوم » وقال المؤلف « سيخرج في آخر الزمان قوم » وفي الرواية « حدثاء الأسنان » وقال المؤلف « أحداث الأسنان » ولفظ الرواية « يقولون من خير قول البرية » وقال المؤلف « يقولون قول خير البرية » وزاد المؤلف لفظ « يقرءون القرآن » وليس هذا اللفظ في تلك الرواية أصلا ، ولفظ الرواية « لا يجاوز ايمانهم حناجرهم » وليس لفظ ايمانهم فيما نقله المؤلف ، وجملة « يمرقون من الاسلام كما يمرق السهم من الرمية » قبل قوله صلى الله عليه وسلم « لا يجاوز ايمانهم حناجرهم » في الرواية ، وفيما ذكره المؤلف عكس القضية ، ولفظ الرواية « يمرقون من الاسلام » وفيما نقله المؤلف « يمرقون من الدين » ولفظ الرواية « فأينما لقيتموهم » وفيما نقله المؤلف « فاذا لقيتموهم » ولفظ الرواية « فان قتلهم أجر » وفيما نقله المؤلف « فان في قتلهم أجرا » وزاد المؤلف لفظ « عند الله » من عنده نفسه وهذا اللفظ ليس في الرواية .

وأما رواية مسلم فهي وان كانت أقرب الروايات الى ما ذكره المؤلف ولكنها ليست عينه ، فان لفظ الرواية « يقولون من خير قول البرية » وقال المؤلف « يقولون قول خير البرية » .

وأما رواية أبي داود فعين الرواية الثانية للبخاري فحالها حالها .

وأما رواية النسائي فأيضا مخالفة لما ذكره المؤلف ، فان لفظ الرواية « يخرج قوم في آخر الزمان » والمؤلف قال « سيخرج في آخر الزمان » والرواية

« يقولون من خير قول البرية » ونقل المؤلف « يقولون قول خير البرية » وزاد لفظ « يقرءون القرآن » وحذف لفـظ « ايمانهم » والرواية « فان قتلهم أجر » وقال المؤلف « فان في قتلهم أجر » وزاد « عند الله » من عند نفسه .

وأما رواية الترمذي فأيضا مخالفة لما ذكره المؤلف ، فان الرواية « يخـرج في آخر الزمان » وقال المؤلف « سيخرج » وفي الرواية جملة « يقرءون القرآن لا يجاوز تراقيهم » قبل قوله صلى الله عليه وسلم « يقولون من قول خيرالبرية » وفيما ذكره المؤلف عكس القضية ولفظ الرواية « تراقيهم » وفيما ذكره المؤلف « حناجرهم » وفي الرواية « يقولون من قول خـــير البرية » والمؤلف نقـــل « يقولون قول خير البرية » وقوله « فاذا لقيتموهــم » الحديث ليس في رواية الترمـــذي .

وأما رواية ابن ماجه فأيضا تخالف ما ذكره المؤلف ، فان الرواية « يخرج » والمؤلف زاد لفظ السين والرواية « يقولون من خير قول الناس » والمؤلف ذكر « يقولون قول خير البرية » والرواية « تراقيهم » وذكر المؤلف « حناجرهــم » والرواية « يمرقون من الاسلام » والمؤلف قال « يمرقون من الدين » والرواية « فمن لقيهم فليقتلهم » والمؤلف قال « فاذا لقيتموهم فاقتلوهم » والرواية « فان قتلهم أجر عند الله لمن قتلهم » والمؤلف قال « فان في قتلهم أجرا لمن قتلهم عنـد الله يوم القيامــة » .

قوله : وقوله صلى الله عليه وسلم « أناس من أمتى سيماهم التحليق يقرءون القرآن لا يجاوز تراقيهم ، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية ، هــم شر الخلق والخليقة » .

أقول : قد راجعت الأمهات الست وسنن الدارمي والموطأ وزوائد مسند البزار فما وجدت الحديث بهذا اللفظ ، فعلى مدعى صحته بيان تخريجه واثبات دعواه .

قوله : وقوله صلى الله عليه وسلم « يخرج ناس من المشرق يقرءون القرآن لا يجاوز تراقيهم ، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية ، لا يعودون فيه حتى يعود السهم الى فوقه ، سيما هم التحليق » .

أقول لفظه قريب مما رواه البخاري في آخر كتاب التوحيد من طريق معبد ابن سيرين عن أبى سعيد الخدرى ، وقد تقدم ، ولكن ليس عينه ، فان الرواية « من قبل المشرق » والمصنف هنا أسقط لفظ « قبل » والرواية « ويقرءون القرآن » باثبات الواو ، والمؤلف قد حذفها هنا ، والرواية « ثم لا يعودون فيه » والمؤلف لم يذكر لفظ « ثم » والرواية « قيل ما سيماهم ؟ قال » والمؤلف لم يذكر هذا ، وهذا الحديث قريب من ثاني الأحاديث التي ذكرها المؤلف ، بيد أنه ليس في هذا اللفظ « قيل » والواو على رأس يقرءون •

وبالجملة واجب على المؤلف تخريج هذين الحديثين ـ أى الثاني والسادس ـ واثبات الفرق بينهما وتبيين صحتهما ، ودونه خرط القتاد •

قوله : وقوله صلى الله عليه وسلم « رأس الكفر نحو المشرق ، والفخر والخيلاء في أهل الخيل والابل » •

أقول : الحديث أخرجه البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة ، وتمام الحديث هكذا « الفدادين أهل الوبر ، والسكينة في أهل الغنم » •

قوله : وقوله صلى الله عليه وسلم « من ههنا جاءت الفتن » وأشار نحو المشرق •

أقول : أخرجه البخارى في المناقب من حديث أبى مسعود ، لكن فيه « وأشار نحو المشرق » وقد تقدم •

قوله : وقوله صلى الله عليه وسلم « غلظ القلوب والجفاء بالمشرق ، والايمان في أهل الحجاز »

أقول : أخرجه مسلم من حديث جابر بن عبدالله كما تقدم ، ولكن المؤلف قال «بالمشرق» وفي صحيح مسلم « في المشرق » وفي زوائد مسند البزار للهيثمي : حدثنا محمد بن اسماعيل ، حدثنا اسماعيل بن أبي أويس ، حدثنا ابن أبي الزناد عن موسى بن عقبة عن أبى الزبير عن جابر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « غلظ القلوب والجفاء في أهل المشرق ، والايمان يمان ، والسكينة في أهل الحجاز » •

قلت : رواه مسلم ، خلا قوله : « والسكينة في أهل الحجاز » قال البزار : قد روى عن جابر من غير وجه ا هـ • وقال في مجمع الزوائد : رواه البزار ، وفيه ابن أبي الزناد وفيه خلاف ، وبقية رجاله رجال الصحيح • اهـ •

قوله : وقوله صلى الله عليه وسلم « اللهم بارك لنا في شامنا ، اللهم بارك لنا في يمننا » قالوا : يا رسول الله وفي نجدنا » [1] الحديث •

أقول : أخرجه البخاري في أبواب الاستسقاء (باب ما قيل في الزلازل والآيات) ولفظه هكذا : حدثني محمد بن المثنى قال حدثنا حسين بن الحسن قال حدثنا ابن عون عن نافع عن ابن عمر قال : قال « اللهم بارك لنا في شامنا وفي يمننا » قال قالوا : وفي نجدنا ؟ قال فقال : « اللهم بارك لنا في شامنا وفي يمننا » قال قالوا وفي نجدنا ؟ قال قال « هنالك الزلازل والفتن ، وبها يطلع قرن الشيطان » • اهـ •

قال الحافظ في الفتح : حديث ابن عمر « اللهم بارك لنا في شامنا » الحديث وفيه قالوا : وفي نجدنا ؟ قال « هناك الزلازل والفتن » هكذا وقع في هذه الروايات التي اتصلت لنا بصورة الموقوف عن ابن عمر « قال اللهم بارك » لم يذكر النبى صلى الله عليه وسلم • وقال القابسى : سقط ذكر النبى صلى الله عليه وسلم من النسخ ولا بد منه ، لأن مثله لا يقال بالرأى • اهـ وهو من رواية الحسين بن الحسن النصرى من آل مالك بن يسار عن عبدالله بن عون عن نافع ، ورواه أزهر السمان عن ابن عون مصرحا فيه بذكر النبى صلى الله عليه وسلم كما سيأتي في كتاب الفتن • ويأتى الكلام عليه أيضا هناك ، ونذكر فيه من وافق أزهر على التصريح برفعه ان شاء الله تعالى •

وأخرجه في كتاب الفتن ولفظه هكذا : حدثنا على بن عبدالله حدثنا أزهر ابن سعد عن ابن عون عن نافع عن ابن عمر قال : ذكر النبي صلى الله عليه وسلم « اللهم بارك لنا في شامنا ، اللهم بارك لنا في يمننا » قالوا : يا رسول الله وفي نجدنا ؟ قال « اللهم بارك لنا في شامنا ، اللهم بارك لنا في يمننا » قالوا : يا رسول

(١) انظر الهامش في ص ٤٩٦ ، وسيأتي قريبا في ص ٥١١ •

اللــه وفي نجدنا ، فأظنه قال في الثالثة « هناك الزلازل والفتن وبها يطلع قــرن الشيطــان » • اهـ

قال الحافظ في الفتح : كذا أورده عن على بن عبدالله عن أزهر السمان ، وأخرجه الترمذي عن بشر بن آدم ابن بنت أزهر حدثنى جدى أزهر بهذا السند أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال • ومثله للاسماعيلي من رواية أحمــد ابن ابراهيم الدورقي عن أزهر • وأخرجه من طريق عبيد الله بن عبد الله بن عون عن أبيه كذلك ، وقد تقدم من وجه آخر عن ابن عون في الاستسقاء موقوفــا ، وذكرت هناك الاختلاف فيه • اهـ •

وقال في مجمع الزوائد : وعن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « اللهم بارك لنا في شامنا وفي يمننا » فقال رجل : وفي شرقنا يا رسول الله ؟ فقال « اللهم بارك لنا في شامنا وفي يمننا » فقال رجل : وفي شرقنا يا رسول الله ؟ قال « اللهم بارك لنا في شامنا وفي يمننا » ان من هناك يطلع قرن الشيطان وبــه تسعة أعشار الكفر وبه الداء العضال » رواه الطبراني في الأوسط واللفظ لــه ، وأحمد ولفظه : ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « اللهم بارك لنــا في شامنا ويمننا » مرتين فقال رجل في مشرقنا يا رسول الله ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من هناك يطلع قرن الشيطان وبه تسعة أعشار الشرك » ورجال أحمد رجال الصحيح ، غير عبدالرحمن بن عطاء وهو ثقة وفيه خلاف لا يضر •اهـ

وفى موطأ مالك أنه بلغه أن عمر بن الخطاب أراد الخروج الى العراق فقال له كعب الأحبار : لا تخرج اليها يا أمير المؤمنين فان بها تسعة أعشار السحــر ، وبها فسقة الجن ، وبها الداء العضال • اهـ •

قوله : وقوله صلى الله عليه وسلم « يخرج ناس من المشـــرق يقرءون القـــرآن لا يجاوز تراقيهم ، كلما قطع قرن نشأ قرن آخـــر حتى يكــون آخرهم مع المسيح الدجال •

أقول : لم أقف على اللفظ ، ولكن أخرج معناه النسائي من حديــث ابى برزة وقد ذكرناه فيما سلف ، وأخرج ابن ماجه أيضا معناه من حديث ابن عمر

ولفظه : ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « ينشأ نشء يقرءون القرآن لا يجاوز تراقيهم ، كلما خرج قرن قطع » قال ابن عمر : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « كلما خرج قرن قطع أكثر من عشرين مرة حتى يخرج في عراضهم الدجال » . اهـ .

وفي مجمع الزوائد عن عبدالله بن عمرو قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « يخرج ناس من قبل المشرق يقرءون القرآن لا يجاوز تراقيهم ، كلما قطع قرن نشأ قرن حتى يكون مع بقيتهم الدجال » رواه الطبراني واسناده حسن . اهـ .

وكل من تيك الأحاديث لم تصل الى درجة الصحة ، أما حديث أبى برزة فلأن راويه شريك بن شهاب مجهول ، قال النسائي : شريك بن شهاب ليس بذلك المشهور . قال الذهبى في الميزان : شريك بن شهاب عن أبى برزة لا يعرف الا برواية الأزرق بن قيس عنه اهـ . وأما قول الحافظ ابن حجر في التقريب : مقبول . فلا يقتضى الصحة .

وأما حديث ابن عمر فلأن راويه هشام بن عمار بن نصير قد كبر فصار يتلقن ، قال الذهبى في الميزان : صدوق مكثر له ما ينكر ، قال أبو حاتم : صدوق قد تغير فكان كل ما لقنه تلقن . وقال أبو داود : حدث بأربعمائة حديث لا أصل لها . ا هـ ملخصا وهو وان وثقه جماعة ، لكن لا نسلم وصول ما انفرد به الى درجة الصحة .

وأما حديث عبدالله بن عمرو فاسناده وان سلم كونه حسنا كما قال الهيثمى ، ولكن حسن الاسناد لا يقتضى حسن الحديث فضلا عن صحته .

* ● *

هذا الكلام منا كله كان متعلقا بتخريج الأحاديث وصحتها ، والآن ننظر في ما ادعاه المؤلف من كون الشيخ محمد بن عبدالوهاب وأتباعه ممن يصدق عليهم تلك الأحاديث فنقول بحول الله وقوته :

ان جهة المشرق منشأ الفتن ومبدؤها ، قال الحافظ في الفتح تحت قوله

صلى الله عليه وسلم « رأس الكفر نحو المشرق » الواقع في كتاب بدء الخلق : وفي ذلك اشارة الى شدة كفر المجوس ، لأن مملكة الفرس ومن أطاعهم من العرب كانت من جهة المشرق بالنسبة الى المدينة ، وكانوا في غاية القسوة والتكبر والتجبر حتى مزق ملكهم كتاب النبى صلى الله عليه وسام كما سيأتي في موضعه، واستمرت الفتن من قبل المشرق كما سيأتى واضحا في الفتن •

وقال الحافظ في الفتح تحت قوله صلى الله عليه وسلم « هل ترون ما أرى » ؟ قالوا لا • قال « فانى لأرى الفتن تقع خلال بيوتكم كوقع القطر » الواقع في كتاب الفتن : وانما اختصت المدينة بذلك لأن قتل عثمان رضى الله عنه كان بها ، ثم انتشرت الفتن في البلاد بعد ذلك • فالقتال بالجمل وبصفين كان بسبب قتل عثمان ، والقتال بالنهروان كان بسبب التحكيم بصفين ، وكل قتال وقع في ذلك العصر انما تولد عن شيء من ذلك أو عن شيء تولد عنه •

ثم ان قتل عثمان كان أشد أسبابه الطعن على أمرائه ثم عليه بتوليته لهم ، وأول ما نشأ ذلك من العراق وهى من جهة المشرق ، فلا منافاة بين حديث الباب وبين الحديث الآتى « ان الفتنة من قبل المشرق » • اهـ •

قال الحافظ في الفتح تحت قوله صلى الله عليه وسلم « اللهم بارك لنا في شامنا » الحديث :

وقال الخطابى : نجد من جهة المشرق ، ومن كان بالمدينة كان نجده بادية العراق ونواحيها ، وهى مشرق أهل المدينة ، وأصل النجد ما ارتفع من الأرض ، وهو خلاف الغور فانه ما انخفض منها ، وتهامة كلها من الغور ومكة من تهامة اهـ• وعرف بهذا وهاء ما قاله الداودى : ان نجدا من ناحية العراق ، فانه توهم ان نجدا موضع مخصوص ، وليس كذلك بل كل شيء ارتفع بالنسبة الى ما يليه يسمى المرتفع نجدا والمنخفض غورا • اهـ

وقال الحافظ في الفتح : (باب قتل الخوارج) وأصل ذلك أن بعض أهل العراق انكروا سيرة بعض اقارب عثمان ، فطعنوا على عثمان بذلك ، وكان يقال لهم القراء لشدة اجتهادهم في التلاوة والعبادة ، الا أنهم كانوا يتأولون

القرآن على غير المراد منه ويستبدون برأيهم ويتنطعون في الزهد والخشوع وغير ذلك ، فلما قتل عثمان قاتلوا مع على ، واعتقدوا كفر عثمان ومن تابعه ، واعتقدوا امامة علي وكفر من قاتله من أهل الجمل الذين كان رئيسهم طلحة والزبير ، فانهما خرجا الى مكة بعد أن بايعا عليا فلقيا عائشة وكانت حجت تلك السنة ، فاتفقوا على طلب قتلة عثمان ، وخرجوا الى البصرة يدعون الناس الى ذلك ، فبلغ عليا فخرج اليهم فوقعت بينهم وقعة الجمل المشهورة [1] ، وانتصر علي وقتل طلحة في المعركة ، وقتل الزبير بعد أن انصرف من الوقعة . فهذه الطائفة هي التي كانت تطلب بدم عثمان بالاتفاق ، ثم قام معاوية بالشام في مثل ذلك ، وكان أمير الشام اذا ذاك [2] ، وكان علي أرسل اليه لأن يبايع له أهل الشام ، فاعتل بأن عثمان قتل مظلوما ، وتجب المبادرة الى الاقتصاص من قتلته ، وأنه أقوى الناس على الطلب بذلك ويلتمس من علي أن يمكنه منهم ، ثم يبايع له بعد ذلك ، وعلي يقول ادخل فيما دخل فيه الناس وحاكمهم الى أحكم فيهم بالحق ، فلما طال الأمر خرج علي في أهل العراق طالبا قتال أهل الشام ، فخرج معاوية في أهل الشام قاصدا الى قتاله [3] ، فالتقيا بصفين فدامت الحرب بينهما شهرا ، وكاد أهل الشام أن ينكسروا ، فرفعوا المصاحف على الرماح ونادوا : ندعوكم الى كتاب الله ، وكان ذلك باشارة عمرو بن العاص وهو مع معاوية ، فترك جمع كثير ممن كان مع علي ـ وخصوصا القراء ـ القتال بسبب ذلك تدينا ، واحتجوا بقوله تعالى (ألم تر الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يدعون الى كتاب الله ليحكم بينهم) الآية ، فراسلوا أهل الشام في ذلك ، فقالوا ابعثوا حكما منكم وحكما

---

(١) وفي الليلة التي تقدمت الوقعة حصل التفاهم بين الفريقين على يد القعقاع رضى الله عنه ، وبات أبناء هؤلاء عند هؤلاء وأبناء هؤلاء عند أولئك ، فلما ايقن قتلة عثمان ان الصلح سيكون على رقابهم ودمائهم بيتوا الفتنة والشر ، وفي الفجر فاجأوا الفريقين بانشاب القتال ، فهب كل فريق يدافع عن نفسه ويحسب أن الغدر وقع عليه من الفريق الآخر ، ولم يعلموا أن قتلة عثمان هم الذين أنشبوا القتال في الجانبين . محب الدين .

(٢) وهو كبير بني أمية والولي عنهم بطلب اقامة الحد على قتلة أمير المؤمنين عثمان ابن عفان .

(٣) أى أن خروج جند الشام الى صفين كان بعد خروج جند علي الى النخيلة متجهين نحو الشام . وهذه حقيقة تاريخية لا يختلف عليها أحد .

منـا ، ويحضر معهما من لم يباشر القتال ، فمن رأوا الحق معه أطاعوه ، فأجاب علي ومن معه الى ذلك ، وأنكرت ذلك تلك الطائفة التي صاروا خوارج •

وكتب علي بينه وبين معاوية كتاب الحكومة بين أهل العراق والشام : هذا ما قضى عليه أمير المؤمنين علي ومعاوية ، فامتنع أهل الشام من ذلـك وقالوا اكتبوا اسمه واسم أبيه • فأجاب علي الى ذلك ، فأنكره عليه الخوارج أيضا • ثم انفصل الفريقان على أن يحضر الحكمان ومن معهما بعد مدة عينوها في مكان وسط بين الشام والعراق ويرجع العسكران الى بلادهم الى أن يقع الحكـم • فرجـع معاوية الى الشام ورجع علي الى الكوفة ، ففارقه الخوارج وهم ثمانية آلاف ، وقيـل كانوا أكثر من عشرة آلاف ، وقيـل ستة آلاف ، ونزلوا مكانا يقال له (حروراء) بفتح المهملة وراءين الأولى مضمومة ، ومن ثم قيل لهـم الحرورية ، وكان كبيرهم عبدالله بن الكواء بفتح الكاف وتشديد الواو مـع المد اليشكرى ، وشبث بفتح المعجمة والموحدة بعدها مثلثة التميمى ، فأرسـل اليهم علي ابن عباس فناظرهم ، فرجع كثـير منهم معه ، ثم خرج اليهم علـي ، فأطاعوه ودخلوا معه الكوفة معهم رئيساهم المذكوران ، ثم أشاعوا أن عليا تاب من الحكومة ولذلك رجعوا معه ، فبلغ ذلك عليا فخطب وأنكر ذلك ، فتنادوا من جوانب المسجد : لا حكم الا للـه ، فقال : كلمة حق يراد بها باطـل ، فقال لهم : لكم علينا ثلاثة ، أن لا نمنعكم من المساجد ، ولا من رزقكم من الفيء ، ولا نبدأكم بقتال ما لم تحدثوا فسادا • وخرجوا شيئا بعد شيء الى أن اجتمعوا بالمدائن ، فراسلهم في الرجوع فأصروا على الامتناع حتى يشهد على نفسه بالكفر لرضاه بالتحكيم ويتوب ، ثم راسلهم أيضا فأرادوا قتل رسوله ، ثم اجتمعوا على أن من لا يعتقد معتقدهم يكفر ويباح دمه وماله وأهله ، وانتقلوا الى الفعـل فاستعرضوا الناس ، فقتلوا من اجتاز بهم من المسلمين ، ومر بهم عبدالله بن خباب ابن الأرت وكان واليا لعلي على بعض تلك البلاد ومعه سرية وهي حامل ، فقتلوه وبقروا بطن سريته عن ولد ، فبلغ عليا فخرج اليهم في الجيش الذي كان هيـأه للخروج الى الشام ، فأوقع بهم بالنهروان ، ولم ينج منهم الا دون العشرة ، ولا قتل ممن معه الا نحو العشرة ، فهذا ملخص أول أمرهم • اهـ •

وقال الحافظ في الفتح آخر كتاب التوحيد تحت قوله صلى الله عليه وسلم « يخرج ناس من قبل المشرق » : تقدم في كتاب الفتن أنهم الخوارج وبيان مبدأ أمرهم وما ورد فيهم ، وكان ابتداء خروجهم في العراق وهي من جهة المشرق بالنسبة الى مكة المشرفة . اهـ .

وأخرج البخاري عن يسير بن عمرو ، قال : قلت لسهل بن حنيف : هل سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول في الخوارج شيئا ؟ قال سمعته يقول — وأهوى بيده قبل العراق — « يخرج منه قوم يقرءون القرآن لا يجاوز تراقيهم ، يمرقون من الاسلام مروق السهم من الرمية » وفي رواية لمسلم وأشار بيده نحو المشرق ، وفي رواية قال « يتيه قوم قبل المشرق محلقة رءوسهم » .

وقال الحافظ في الفتح : أخرج الطبراني في الأوسط بسند جيد من طريق الفرزدق الشاعر أنه سمع أبا هريرة وأبا سعيد وسألهما فقال : انى رجل من أهل المشرق وان قوما يخرجون علينا يقتلون من قال لا اله الا الله ويؤمنون من سواهم ، فقالا : سمعنا النبى صلى الله عليه وسلم يقول « من قتلهم فله أجر شهيد ، ومن قتلوه فله أجر شهيد » اهـ ، وفي رواية لمسلم عن أبي سعيد قال : قال أبو سعيد وأنتم قتلتموهم يا أهل العراق .

فعلم من تلك الروايات أن الخوارج يخرجون من المشرق والعراق ، وأن أهل العراق والمشرق هم الذين يقتلونهم ، وهذا يدل دلالة واضحة على أن جميع أهل العراق والمشرق ليس ممن تصدق عليهم هذه الأحاديث التي فيها ذكر الخوارج ، بل منهم من يقتلونهم ، وكذلك المراد بنجد في حديث ابن عمر « هناك الزلازل والفتن » نجد العراق ، قال بعض المحققين : وأما قوله صلى الله عليه وسلم لما قيل له وفي نجدنا « تلك موضع الزلازل والفتن ومنها يطلع قرن الشيطان » فالمقصود بها نجد العراق وشرق المدينة ، وقد ورد ذلك صريحا في حديث ابن عمر ، ونص عليه الخطابى وغيره ، وقد ترك الدعاء للعراق جملة بل وذمها .

وقد روى الطبراني من حديث عبدالله بن عمر رضى الله عنهما أن النبى صلى الله عليه وسلم قال « دخل ابليس العراق فقضى فيها حاجته ، ثم دخل

الشام فطردوه ، ثم دخل مصر فباض فيها وفرخ وبسط عليها عبقريه » • ولا يقول مسلم بذم علماء العراق لما ورد فيها ، وأكابر أهل الحديث ، وفقهاء الأمة ، وأهل الجرح والتعديل أكثرهم من أهل العراق ، وامام السنة أحمد بن حنبل وشيخ الطريقة الجنيد بن محمد وعلم الزهاد الحسن وابن سيرين وأبو حنيفة وأصحابه ، وسفيان الثورى وأصحابه ، واسحاق بن ابراهيم بن راهويه ، ومحمد بن اسماعيل [1] ومسلم بن الحجاج وأبو داود ، وأصحاب السنن ، واصحاب الدواوين الاسلامية كلهم عراقى الدار مولدا أو سكنى ، والليث بن سعد ومحمد بن ادريس وأشهب ومن قبل هؤلاء كلهم سكن العراق ومصر ، وجملة من أكابر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن التابعين بعدهم ، ومن عاب الساكن بالسكنى والاقامة في مثل تلك البلاد فقد عاب جمهور الأمة وسبهم وآذاهم بغير ما اكتسبوا ، وقد داول الله تعالى الأيام بين البقاع والبلاد ، كما داولها بين الناس والعباد ، قال تعالى (وتلك الأيام نداولها بين الناس) •

وكم من بلد قد فتحت وصارت من خير بلاد المسلمين بعد أن كانت في أيدى الفراعنة والمشركين والفلاسفة والصابئين والكفرة من المجوس وأهل الكتابين ، بل الخربة التي كانت بها قبور المشركين صارت مسجدا هو أفضل مساجد المسلمين بعد المسجد الحرام ، ودفن بها أفضل المرسلين وسادات المؤمنين•

ولا يعيب شيخنا بدار مسيلمة الا من عاب أئمة الهدى ومصابيح الدجى بما سبق في بلادهم من الشرك والكفر المبين ، وطرد هذا القول جرأة على النبيين وأكابر المؤمنين ، وهذا المعترض كعنز السوء يبحث عن حتفه بظلفه ولا يدرى، وقد قال بعض الأزهريين : مسيلمة الكذاب من خير نجدكم ، فقلت : وفرعون اللعين رأس مصركم ، فبهت • وأين كفر فرعون من كفر مسيلمة لو كانوا يعلمون • اهـ •

وأيضا قال وقد تقدم أن طرد هذا الكلام يوجب ذم كل من سكن بلدة من بلاد المسلمين التي سكنها قبله أعيان المشركين ورؤوس الكافرين ، فأى أحد يبقى لو طرد هذا ؟ وقد قال النبى صلى الله عليه وسلم « لو كان الايمان معلقا

---

(١) أى البخاري •

بالثريا لناله رجال من فارس » مع أن بلادهم من شر البلاد ، عبدت فيها الأوثان والنيران ، وكفر فيها بالله الذي لا اله الا هو الرحمن ، اهـ .

وأيضا قال : وسكنى الدار لا تؤثر ، فان الصحابة سكنوا مصر وبلاد الفرس ، وفضلهم لا يزال في مزيد ، وايمانهم قهر أهل الكفر والشرك والتنديد ، وعادت تلك البقاع والأماكن من أفضل مساكن أهل التوحيد . اهـ .

وجملة القول أن الأحاديث التي ذكرها المؤلف في هذا المقام منها ما هو خاص باجماع المسلمين بالحرورية الخارجين على علي رضى الله تعالى عنه ، وهو ما عدا حديث ابن عمر « الفتنة ههنا الفتنة ههنا » وحديث ابى هريرة « رأس الكفر نحو المشرق » وحديث أبى مسعود « من ههنا جاءت الفتن » وحديث جابر « غلظ القلوب والجفاء في المشرق » وحديث ابن عمر « اللهم بارك لنا في شامنا وفي يمننا » الحديث قال بعض المحققين : والجواب أن يقال هذا كذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لم يصف أهل نجد وأهل اليمامة بهذا ، ولا دخل في وصفه من يؤمن بالله ورسوله منهم ولا من غيرهم ، بل الموصوف باجماع المسلمين هم الحرورية الخارجون على علي الذين قاتلهم علي من أهل الكوفة والبصرة وما يليها ، وفيهم من بنى يشكر ومن طى وتميم وغيرهم من قبائل العرب ، ودارهم ومسكنهم بالعراق ولا يختلف في هذا ، ودولتهم وشوكتهم كانت هناك دون النهر ، ولذلك نسبوا اليه فقيل أهل النهروان ، وحروراء بلدة هناك نسبوا اليها فقيل الحرورية . اهـ ملخصا . وبعض الفاظ الحديث في بعض الطرق دال على تلك الخصوصية كما وقع في رواية البخارى عن أبى سعيد « يخرجون على حين فرقة من الناس » قال أبو سعيد : أشهد سمعت من النبى صلى الله عليه وسلم وأشهد أن عليا قتلهم وأنا معه ، جيء بالرجل على النعت الذي نعته النبى صلى الله عليه وسلم ، وفي رواية لمسلم عن أبى سعيد « تمرق مارقة عند فرقة من المسلمين يقتلها أولى الطائفتين بالحق » . اهـ .

ولا شك أن هذا لا يمكن صدقه على الشيخ محمد بن عبدالوهاب وأتباعه، لا يقال وقع في رواية النسائي عن أبى برزة « لا يزالون يخرجون حتى يخرج

آخرهم مع المسيح الدجال » وفي رواية ابن عمر وابن ماجه « كلما خرج قرن قطع أكثر من عشرين مرة ، حتى يخرج في عراضهم الدجال » اهـ ، لأن كل من يأتي بعد قوم خرجوا على علي رضي الله عنه ممن يصلي ويتخشع ويقرأ كتاب الله الى يوم القيامة ويجتهد في التلاوة والعبادة لا يكون من الخوارج بالضرورة، والا لزم أن يكون معظم الأمة من أهل الفقه والحديث من الخوارج ، بل انما يكون من الخوارج من يستن بسنة هؤلاء الذين خرجوا على علي رضي الله عنه ويسلك مسلكهم ، من قتل أهل الاسلام ، وودع أهل الأوثان ، وتكفير من لا يعتقد معتقدهم ، واباحة دمه وماله وأهله . وأن عثمان وعليا وأصحاب الجمل وصفين ، وكل من رضي بالتحكيم كفار ، وان كل من أتى كبيرة فهو كافر مخلد في النار أبدا ، وان من لم يخرج ويحارب المسلمين فهو كافر ، ولو اعتقد معتقدهم ، وابطال رجم المحصن ، وقطع يد السارق من الابط ، وايجاب الصلاة على الحائض في حال حيضها ، وكفر من ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ان كان قادرا ، وان لم يكن قادرا فقد ارتكب كبيرة ، وحكم مرتكب الكبيرة عندهم حكم الكافر . وسائر معتقداتهم الفاسدة ، وأعمالهم الزائغة . ولا يتحقق شيء من عقائدهم وأعمالهم في الشيخ وأتباعه ، بل مذهبهم في أصول الدين مذهب أهل السنة والجماعة . وطريقتهم طريقة السلف التي هي الطريق الأسلم ، بل والأعلم والأحكم ، وهم في الفروع على مذهب الامام أحمد بن حنبل ، ومن روى عنهم شيئا من تلك أو نسبه اليهم فقد كذب عليهم وافترى . وهذا ظاهر لمن طالع كتابه (كتاب التوحيد) وسائر الرسائل المؤلفة للشيخ .

ومن ثم عرفت فساد ما قال السيد محمد أمين المعروف بابن عابدين الحنفي في (رد المحتار على الدر المختار) في باب البغاة تحت قول الماتن (ويكفرون أصحاب نبينا صلى الله عليه وسلم) : علمت أن هذا غير شرط في مسمى الخوارج ، بل هو بيان لمن خرجوا على سيدنا علي رضي الله عنه ، والا فيكفي فيهم اعتقادهم كفر من خرجوا عليهم كما وقع في زماننا في أتباع عبدالوهاب الذين خرجوا من نجد وتغلبوا على الحرمين ، وكانوا ينتحلون مذهب الحنابلة ، لكنهم اعتقدوا أنهم هم المسلمون ، وأن من خالف اعتقادهم مشركون ، واستباحوا بذلك قتل أهل الشر وقتل علمائهم ، حتى كسر الله تعالى شوكتهم

وخرب بلادهم ، وظفر بهم عساكر المسلمين عام ثلاث وثلاثين ومائتين وألف • اهـ

وكذا فساد ما على هامش سنن النسائي المطبوع في الهند في المطبع النظامي سنة ست وتسعين بعد الألف ومائتين ، في ص ٤١٢ : ثم ليعلم أن الذين يدينون دين عبدالوهاب النجدى ، ويسلكون مسالكه في الأصول والفروع ، ويدعون في بلادنا باسم الوهابيين وغير المقلدين ، ويزعمون أن تقليد أحد الأئمة الأربعة رضوان الله عليهم شرك ، وأن من خالفهم هم المشركون ، ويستبيحون قتلنا أهل السنة ، وسبى نسائنا ، وغير ذلك من العقائد الشنيعة التي وصلت الينا منهم بواسطة الثقات ، وسمعنا بعضا منهم أيضا ، هم فرقة من الخوارج ، وقد صرح به العلامة الشامى في كتابه (رد المحتار) • اهـ •

وكذا فساد ما في هامش سنن النسائي المذكور في ٦٣٤ حيث قال : وقد وقع خروجهم مرارا أفاده العيني • وقال الشامى : كما وقع في زماننا خروج أتباع عبدالوهاب • اهـ •

وجه الفساد أن الشيخ وأتباعه لم يكفروا أحدا من المسلمين ، ولم يعتقدوا أنهم هم المسلمون وأن من خالفهم هم مشركون ، ولم يستبيحوا قتل أهل السنة وسبى نسائهم ، ولم يقولوا ان تقليد أحد الأئمة الأربعة شرك • ولقد لقيت غير واحد من أهل العلم من أتباع الشيخ ، وطالعت كثيرا من كتبهم فما وجدت لهذه الأمور أصلا وأثرا ، بل كل هذا بهتان وافتراء [1] ، وليعلم أن ابن عابدين

---

(١) بل في هذه الكتب خلاف ما ذكر وضده : ففيها أنهم لا يكفرون الا من أتى بما هو كفر باجماع المسلمين ، وأنهم في الأصول على مذهب جمهور السلف الصالح ، وفي الفروع على مذهب الامام احمد ، وانهم يحترمون مذاهب الائمة الأربعة ، ولا يفرقون بين أحد من مقلديهم • وانما قال ابن عابدين ومن تبعه ما قاله ، تصديقا لأكاذيب الشيخ أحمد دحلان ومفترياته ، مع عدم وجود شيء من كتب الشيخ وكتب أولاده وأحفاده في الأيدي • ونحن كنا نصدق هذه الاشاعات التي اشاعتها السياسة التركية عنهم ، تصديقا لابن عابدين وأمثاله ، وقد طبعت كتبهم وكتب أنصارهم في عصرنا ، فلا عذر لأحد في تصديق الحشوية والمبتدعة واهل الأهواء فيهم •

وقد ذكرت هذه الاشاعات مرة بمجلس الأستاذ الأكبر الشيخ أبي الفضل الجيزاوي، شيخ الأزهر ، في ادارة المعاهد الدينية ، فاستحضرت لهم نسخا من كتاب الهدية السنية ، فراجعها الشيخ الأكبر وعنده طائفة من أشهر علماء الأزهر ، فاعترفوا بأن ما فيها هو عين مذهب جمهور أهل السنة والجماعة • وكتبه محمد رشيد رضا •

وصاحب الهامش قد أخطـآ في قولهما (عبدالوهاب) والصـواب محمد بن عبدالوهـاب .

وأما بقية الأحاديث التي ذكرها المؤلف في هذا المقام فأولاها بأن يشنع به على الشيخ وأتباعه حديث ابن عمر « اللهم بارك لنا في شامنـا وفي يمننـا » الحديث . فانه ذكر فيه نجدا وقال صلى الله عليه وسلم في شأنه « هناك الزلازل والفتن وبها يطلع قرن الشيطان » والشيخ من أهل نجد .

(والجواب) أن المراد بنجد نجد العراق كما عرفت فيما تقـدم ، ومما يؤيد هذا حديث ابن عباس رضى الله عنهما قال : دعا نبى الله صلى الله عليـه وسلم فقال « اللهم بارك لنا في صاعنا ومدنا ، وبارك لنا في شامنا ويمننا ، فقال رجل من القوم يا نبى الله وعراقنا ؟ قال « ان بها قرن الشيطان وتهيج الفتـن ، وان الجفاء بالمشرق » رواه الطبراني في الكبير ، ورواته ثقات كذا في (الترغيب والترهيب) للمنذرى ، وان عمر بن الخطاب أراد الخروج الى العراق فقال لـه كعب الأحبار : لا تخرج اليها يا أمير المؤمنين ، فان بها تسعة أعشار السحر ، وبها فسقة الجن ، وبها الداء العضال ، وقد تقدم تخريجه ، وحديث سفيـان بن أبى زهير رضى الله عنه أنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقـول : « تفتح اليمن ، فيأتى قوم يبسون ، فيتحملون بأهليهم ومن أطاعهم ، والمدينـة خير لهم لو كانوا يعلمون . وتفتح الشام ، فيأتى قوم يبسون ، فيتحملون بأهليهم ومن أطاعهم ، والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون . وتفتح العراق ، فيأتى قـوم يبسون ، فيتحملون بأهليهم ومن أطاعهم ، والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون » أخرجه البخاري ومسلم ، فانه ذكر في هذا الحديث ـ في مقابلة اليمن والشام ـ العراق لا نجد العرب ، وكذلك في أحاديث أخر مثل حديث ابن حوالة وهو عبد الله قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « سيصير الأمر أن تكونوا أجنادا مجندة : جند بالشام وجند باليمن وجند بالعراق » قال ابـن حوالة خر لى [1] يا رسول اللـه ، ان أدركت ذلك ؟ فقال « عليك بالشام ، فانها خيرة الله مـن أرضـه ، يجتبى اليها خيرته من عباده ، فأما ان أبيتم فعليكم بيمنكم ، واسقوا

(1) خر بكسر الخاء أمر من خار له يخير (ككال يكيل) اذا اختار له ما هو خير هذه الأماكن . وكتبه محمد رشيد رضا .

من غدركم فان الله توكل ــ وفي رواية تكفل ــ لى بالشام وأهله » رواه أبو داود وابن حبان في صحيحه والحاكم ، وقال صحيح الاسناد كذا في (الترغيب والترهيب) للمنذرى ، وحديث العرباض بن سارية رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قام يوما في الناس فقال « يا أيها الناس توشكون أن تكونوا أجنادا مجندة ، جند بالشام ، وجند بالعراق ، وجند باليمن » الحديث كذا في (الترغيب والترهيب) للمنذرى : وحديث أبي الدرداء عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « انكم ستجندون أجنادا ، جندا بالشام ومصر والعراق واليمن » الحديث كذا في زوائد مسند البزار ، ويكفى لذم العراق حديث سهل ابن حنيف الذي أخرجه البخاري وفيه قال : سمعته يقول وأهوى بيده قبل العراق « يخرج منه قوم » الحديث وقد تقدم .

وقد ورد الأمر باللحوق بنجد في حديث رأيته في زوائد مسند البزار ، ولفظه : حدثنا محمد بن عبدالله بن المفضل الحرانى حدثنا عثمان بن عبدالرحمن الحرانى حدثنا عبدالرحمن بن ثابت عن أبى العوام عن عبدالملك بن مساحق عن ابن عمر عن النبى صلى الله عليه وسلم قال « انكم ستجندون أجنادا » فقال رجل : يا رسول الله خر لى . فقال « عليك بالشام فانها صفوة الله من بلاده ، فيها خيرة الله من عباده ، فمن رغب عن ذلك فليلحق بنجده ، فان الله تكفل لى بالشام وأهله » قال البزار : لا نعلمه يروى عن ابن عمر الا بهذا الاسناد . اهـ .

ولا يغرنك أن نجدا موضع مخصوص من العرب ، فكيف يراد به العراق ؟ لأن أصل النجد ما ارتفع من الأرض ، وهو خلاف الغور فانه ما انخفض منها ، كما ظهر من كلام الحافظ في الفتح . وهذا يصدق على العراق ، ومع أنه قد ورد ذم العراق في غير واحد من الأحاديث ، لا يقول مسلم بذم علماء العراق ، لأن أكابر أهل الحديث ، وفقهاء الأمة ، وأهل الجرح والتعديل أكثرهم من أهل العراق ، وجملة من أكابر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومن التابعين بعدهم قد سكنوا العراق ، ألا ترى الى ما أخرج البخارى عن ابراهيم قال : ذهب علقمة الى الشام ، فأتى المسجد فصلى ركعتين ، فقال : اللهم ارزقنى

جليسا ، فقعد الى أبى الدرداء فقال : ممن أنت ؟ قال : من أهل الكوفة ، قال : أليس فيكم صاحب السر الذي كان لا يعلمه غيره ؟ يعنى حذيفة . أليس فيكم ـ أو كان فيكم ـ الذي أجاره الله على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم من الشيطان ؟ يعنى عمارا . أو ليس فيكم صاحب السواك والوسادة ؟ يعنى ابن مسعود ، كيف كان عبدالله يقرأ (والليل اذا يغشى) قال (والذكر والانثى) فقال : ما زال هؤلاء ، حتى كادوا يشككوننى ، وقد سمعتها من رسول الله صلى الله عليه وسلم . اهـ .

وهذا ظاهر لمن تتبع أحوال الصحابة والتابعين ، وقد ذكرت فيما تقدم رواية مسلم عن أبى سعيد وفيها « وأنتم قتلتموهم يا أهل العراق » فعلم أن أهل العراق هم الذين قتلوا الخوارج ، فكيف يجوز ذم جميع أهل العراق ؟ وان سلم أن المراد بنجد نجد العرب ، فالجواب أنه كما لا يجوز ذم جميع أهل العراق ، لورود أحاديث في ذمه ، كذلك لا يجوز ذم جميع أهل نجد ، بعد تسليم ورود ذمه في حديث .

وقد ورد في الأحاديث الصحيحة [1] أن رسول الله صلى الله عليه وسلم غزا قبل نجد وبعث سرية قبل نجد ، وبعث خيلا قبل نجد فجاءت برجل من بنى حنيفة يقال له ثمامة بن أثال ، فربطوه بسارية من سوارى المسجد ، فخرج اليه النبي صلى الله عليه وسلم فقال « ما عندك يا ثمامة » ؟ فقال : عندي خير يا محمد ، ان تقتلني تقتل ذا دم [2] ، وان تنعم تنعم على شاكر ، وان كنت تريد المال فسل تعط منه ما شئت ، فترك حتى كان الغد ثم قال له « ما عندك يا ثمامة »؟ فقال : ما قلت لك ، ان تنعم تنعم على شاكر ، فتركه حتى كان بعد الغد فقال « ما عندك يا ثمامة » ؟ قال : عندي ما قلت لك . فقال « أطلقوا ثمامة » فانطلق الى نخل قريب من المسجد ، فاغتسل ثم دخل المسجد فقال : أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا رسول الله ، يا محمد والله ما كان على الأرض وجه

(١) أخرجه الشيخان وأبو داود والنسائي من حديث أبي هريرة ، ولم يتذكر المؤلف منها الا البخاري .

(٢) يعنى بذي الدم المستحق للقتل . وكتبه وما قبله محمد رشيد رضا .

أبغض الى من وجهك ، فقد أصبح وجهك أحب الوجوه الى ، والله ما كان من دين أبغض الي من دينك ، فأصبح دينك أحب الدين الى ، والله ما كان من بلد أبغض الى من بلدك ، فأصبح بلدك أحب البلاد الى ، وان خيلك أخذتني وأنا أريد العمرة ، فماذا ترى ؟ فبشره رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمره أن يعتمر ، فلما قدم مكة قال له قائل : صبوت ؟ قال : لا والله ولكن أسلمت مع محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا والله لا يأتيكم من اليمامة حبة حنطة حتى يأذن فيها النبى صلى الله عليه وسلم . أخرج البخارى تلك الأحاديث في صحيحه .

قوله « فبشره » قال الحافظ في الفتح : أي بخيري الدنيا والآخرة ، أو بشره بالجنة ، أو بمحو ذنوبه وتبعاته السابقة . اهـ .

فلو لم يكن في أهل نجد خير ما غزا قبل نجد ، فان الغزو المقصود منه بالذات اسلام أهله ، وما قبل اسلام ثمامة بن أثال ، ولم يبشره بخيري الدنيا والآخرة أو بالجنة ، أو بمحو ذنوبه وتبعاته السابقة .

وأخرج البخارى ومسلم عن طلحة بن عبيدالله يقول : جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من أهل نجد ، ثائر الرأس ، نسمع دوى صوته ولا نفقه ما يقول ، حتى دنا ، فاذا هو يسأل عن الاسلام ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « خمس صلوات في اليوم والليلة » فقال هل علي غيرها ؟ قال « لا الا أن تطوع » قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « وصيام رمضان» قال هل على غيره ؟ قال « لا الا أن تطوع » قال وذكر له رسول الله صلى الله عليه وسلم الزكاة ، قال : هل على غيرها ؟ قال « لا الا أن تطوع » قال فأدبر الرجل وهو يقول : والله لا أزيد على هذا ولا أنقص . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أفلح ان صدق » . اهـ .

فهذا الرجل من أهل نجد بشره صلى الله عليه وسلم بالفلاح ــ وقد وقت رسول الله صلى الله عليه وسلم لأهل نجد قرن المنازل ، كما وقت لأهل المدينة ذا الحليفة ، ولأهل الشام الجحفة ولأهل اليمن يلملم ، فلو لم يكن في نجد خير فأي حاجة الى تعيين الميقات لأهلها ؟ فقد علم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أهل نجد يأتون للحج ، كما أن أهل المدينة وأهل الشام وأهل اليمن يأتون له ،وقد

ورد فضل بني تميم في الحديث ، والشيخ ابن عبد الوهاب منهم ، وهم من أهـل نجـد •

أخرج البخاري عن أبي هريرة قال : ما زلت أحب بني تميم منذ ثلاث سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فيهم ، سمعته يقول : هم أشد أمتي على الدجال : قال وجاءت صدقاتهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « هذه صدقات قومنا » ، وكانت سبية منهم عند عائشة فقال « أعتقيها فانها من ولد اسماعيل » اهـ•

وفي زوائد مسند البزار عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر بني تميم فقال « هم ضخام الهام ، ثبت الأقدام ، نصار الحق في آخر الزمان ، أشد قومنا على الدجال » قال البزار : سلام هذا أحسبه سلام المدائني ، وهو لين الحديث •

وأيضا فيه عن أبي هريرة قال : ربما ضرب النبي صلى الله عليه وسلم على كتفي وقال « أحبوا بني تميم » قال البزار : لا نعلمه يروى عن النبي صلى الله عليه وسلم الا من هذا الوجه •

فان قلت : قد جاء في حديث عمران بن حصين رضى الله عنه ما يشينهم • قال : جاء نفـر من بني تميم الى النبى صلى الله عليه وسلم فقـال يا بني تميـم « أبشروا » قالوا : بشرتنا فأعطنا • فتغير وجهه ، فجاءه أهل اليمن فقال « يا أهل اليمن اقبلوا البشرى اذ لم يقبلها بنو تميم » قالوا قبلنا ، الحديث أخرجه البخاري •

قلت : هذا مقولة الجفاة منهم ، منهم الأقرع بن حابس ، ذكره ابن الجوزي كذا في الفتح •

قال الحافظ ابن كثير في تفسـير قوله تعالى (ان الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون * ولو أنهم صبروا حتى تخرج اليهم لكان خيرا لهم والله غفور رحيم) وقد ذكر أنها نزلت في الأقرع بن حابس التميمي رضى الله عنه فيما أورده غير واحد ، قال الامام أحمد حدثنا عفان حدثنا وهيب حدثنا موسى بن عقبة عن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن الأقرع بن حابس أنه نادى رسـول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا محمد ، يا محمد ، وفي رواية : يا رسول الله • فلم

يحبه ، فقال : يا رسول الله ان حمدي لزين • وان ذمي لشين ، فقال : « ذاك الله عز وجل » : وقال ابن جرير حدثنا أبو عمار الحسين بن حريث المروزي حدثنا الفضل ابن موسى عن الحسين بن واقد عن أبي اسحاق عن البراء في قوله تبارك وتعالى (ان الذين ينادونك من وراء الحجرات) قال جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا محمد ، ان حمدي زين وذمي شين ، فقال صلى الله عليه وسلم: ذاك الله عز وجل » • وهكذا ذكره الحسن البصري وقتادة مرسلا ، قال الحافظ في تفسير سورة الحجرات تحت حديث ابن أبي مليكة قال : كاد الخيران أن يهلكا أبو بكر وعمر رضي الله عنهما ، رفعا أصواتهما عند النبي صلى الله عليه وسلم حين قدم ركب بني تميم فأشار أحدهما بالأقرع بن حابس أخي بني مجاشع وأشار الآخر برجل آخر قال نافع لا أحفظ اسمه ، فقال أبو بكر لعمر : ما أردت الا خلافي ، قال ما أردت خلافك ، فارتفعت أصواتهما في ذلك ، فأنزل الله (يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم) الآية •

قوله (يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم) الآية زاد وكيع كما سيأتي في الاعتصام : الى قوله (عظيم) ، وفي رواية ابن جريج : فنزلت (يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله) الىقوله (ولو أنهم صبروا) وقد استشكل ذلك ، قال ابن عطية : الصحيح أن سبب نزول هذه الآية كلام جفاة العرب •

قلت : لا يعارض ذلك هذا الحديث ، فان الذي يتعلق بقصة الشيخين في تخالفهما في التأمير هو أول السورة (لا تقدموا) ولكن لما اتصل بها قوله (لا ترفعوا) تمسك عمر منها بخفض صوته ، وجفاة الأعراب الذين نزلت فيهم هم من بني تميم ، والذي يختص بهم قوله (ان الذين ينادونك من وراء الحجرات) قال عبد الرزاق عن معمر عن قتادة ان رجلا جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم من وراء الحجرات فقال : يا محمد ، ان مدحي زين ، وان شتمي شين ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم « ذاك الله عز وجل » ونزلت •

قلت : ولا مانع أن تنزل الآية لأسباب تتقدمها ، فلا يعدل للترجيح مع ظهور الجمع وصحة الطرق • ا هـ •

وقال الحافظ تحت قوله (باب ان الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم

لا يعقلون) : وروى الطبري من طريق مجاهد قال : هم أعراب بني تميم ، ومن طريق أبي اسحاق عن البراء قال : جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا محمد ، ان حمدي زين ، وان ذمي شين . فقال « ذاك الله تبارك وتعالى » وروى من طريق معمر عن قتادة مثله مرسلا ، وزاد : فأنزل الله (ان الذين ينادونك من وراء الحجرات) الآية . ومن طريق الحسن نحوه . ا هـ .

وقال الحافظ تحت قوله (باب قوله : ولو أنهم صبروا حتى تخرج اليهم لكان خيرا لهم) . هكذا في جميع الروايات الترجمة بغير حديث ، وقد أخرج الطبري والبغوي وابن أبي عاصم في كتبهم في الصحابة من طريق موسى بن عقبة عن أبي سلمة قال : حدثني الأقرع بن حابس التميمي أنه أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا محمد اخرج الينا . فنزلت (ان الذين ينادونك من وراء الحجرات) الحديث ، وسياقه لابن جرير ، قال ابن منده : الصحيح عن أبي سلمة أن الأقرع - مرسل ، وكذا أخرجه أحمد على الوجهين .

وقد ساق محمد بن اسحاق قصة وفد بني تميم في ذلك مطولة بانقطاع ، وأخرجها ابن منده في ترجمة ثابت بن قيس في « المعرفة » من طريق أخرى موصولة . ا هـ .

وقال الترمذي في جامعه : حدثنا أبو عمار الحسين بن حريث أخبرنا الفضل بن موسى عن الحسين بن واقد عن أبي اسحاق عن البراء بن عازب في قوله تعالى (ان الذين ينادونك من وراء الحجرات) قال : قام رجل فقال : يا رسول الله ان حمدي زين ، وان ذمي شين ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم « ذاك الله عز وجل » هذا حديث حسن غريب .

وقد جاء في الأحاديث « فضل العرب عموما » أخرجه البخاري عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « بعثت من خير قرون بني آدم قرنا فقرنا حتى كنت من القرن الذي كنت فيه » . ا هـ .

وأخرج الترمذي عن العباس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « ان الله خلق الخلق فجعلني في خيرهم ، ثم جعلهم فرقتين فجعلني في خير فرقة ، ثم جعلهم

قبائل فجعلني في خيرهم قبيلة ، ثم جعلهم بيوتا فجعلني في خيرهم بيتا وخيرهم نفسا » وقال : هذا حديث حسن •

وأخرج الترمذي عن سلمان قال : قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم « يا سلمان لا تبغضني فتفارق دينك » قلت : يا رسول الله كيف أبغضك وبك هداني الله ؟ قال « تبغض العرب فتبغضني » وقال : هذا حديث حسن غريب •

وأخرج عن عثمان بن عفان قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من غش العرب لم يدخل في شفاعتي ، ولم تنله مودتي » وقال : هـذا حديث غريب لا نعرفه الا من حديث حصين بن عمر الأحمسي عن مخارق ، وليس حصين عند أهل الحديث بذاك القوى •

وأخرج الترمذي عن محمد بن أبي رزين عن أمه قالت : كانت أم الحرير اذا مات أحد من العرب اشتد عليها ، فقيل لها : انا نراك اذا مات الرجل من العرب اشتد عليك ، قالت : سمعت مولاى يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من اقتراب الساعة هلاك العرب » قال محمد بن أبي رزين : ومولاها طلحة بن مالك ، هذا حديث غريب لا نعرفه الا من حديث سليمان بن حرب [1] •

وأخـرج مسلم عن أم شريك أنها سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول « ليفرن الناس من الدجال في الجبال » قالت أم شريك يا رسول الله فأين العرب يومئذ ؟ قال « هم قليل » وأخرجه الترمذي أيضا وقال : هذا حديث حسن صحيح غريب •

وأخرج مسلم عن جابر قال : قال رسـول الله صلى الله عليه وسلم « ان الشيطان قد يئس من أن يعبده المصلون في جزيرة العرب ، ولكن في التحريش بينهم » كذا في (مشكاة المصابيح) وأخرجه الترمذي بغير لفظ (في جزيرة العرب) وقال : وفي الباب عن أنس وسليمان بن عمرو بن الأحوص عن أبيه : هـذا حديث حسن • اهـ •

---

(1) سليمان بن حرب الأزدي الواشجي البصري القاضي بمكة امام حافظ ، روى عنه الجماعة كلهم كما في التقريب • وكتبه محمد رشيد رضا •

وفي زوائد مسند البزار للهيثمي عن علي رضى الله عنه يقول : أسندت النبي صلى الله عليه وسلم الى صدري فقال « يا علي أوصيك بالعرب خيرا » قال البزار لا نعلمه يروى عن علي الا بهذا الاسناد ، وأبو المقدام هو ثابت الحداد روى عنه منصور بن المعتمر وسفيان الثوري ، وهو أبو عمرو بن ثابت .

وأيضا فيه عن أبي موسى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اني دعوت للعرب فقلت : اللهم من لقيك منهم مصدقا بك موقنا فاغفر له » قال البزار لا نعلم رواه عن ثابت الا مروان ، ولا عنه الا الحسن بن بشر . اهـ .

وفي زوائد مسند البزار في فضل جزيرة العرب : حدثنا محمد بن العلاء حدثنا الحسن بن عطية حدثنا قيس عن يونس يعني ابن عبيد عن الحسن عن الأحنف بن قيس عن العباس بن عبد المطلب قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لقد برأ الله هذه الجزيرة من الشرك ما لم يضلهم النجوم » حدثنا أحمد بن محمد بن الوليد حدثنا موسى بن داود حدثنا قيس عن يونس عن الحسن عن الأحنف عن العباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال بنحوه ، قال البزار : لا نعلم رواه الا العباس ، ولا له عنه الا هذا الاسناد . حدثنا ابراهيم بن زياد حدثنا ابراهيم بن أبي العباس حدثنا عبد الحميد بن بهرام عن شهر بن حوشب عن عبد الرحمن بن غنم عن أبي الدرداء قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ان الشيطان قد يئس أن يعبد في جزيرة العرب ، ولكن قد رضى بالمحقرات » .

قال البزار : قد روى من غير طريق عن أبي الدرداء ، حدثنا الفضل بن سهل حدثنا معاوية بن عمرو حدثنا أبو اسحاق الفزاري عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ان الشيطان قد يئس أن يعبد بأرضكم هذه ، ولكن قد رضى منكم بالمحقرات » قال البزار : قد رواه أبو اسحاق هكذا ورواه غيره عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة أو أبي سعيد . اهـ .

وأخرج الترمذي عن سليمان بن عمرو بن الأحوص عن أبيه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في حجة الوداع « أي يوم هذا » ؟ الحديث وفيه « وان الشيطان قد يئس أن يعبد في بلادكم هذه أبدا ، ولكن ستكون له طاعة

فيما تحقـرون من أعمالكم فسيرضى به » قال الترمذي : هـذا حـديث حسن صحيح . اهـ .

فقد علم من هذه الأحاديث فضل العرب على غير العرب ، وقد ورد في الصحيح عن أبي هريرة « لو كان الايمان عند الثريا لناله رجال من هؤلاء » (1) وقد وقع هكذا فان كثيرا من أهل الحديث من أبناء فارس ، واذا أمكن نيل جماعة من أهل فارس ــ الذين هم في الخيرية أدون من أهل نجد التي هي من العرب ، وشرهم أزيد من شر أهل نجد ــ الايمان ، فما ظنك بأهل نجد ؟ .

وجملة القول أن ورود مدح قبيلة أو موضع في الحديث لا يقتضي خيرية أفراده وجميع سكانه ، وكذلك ورود ذم قبيلة أو موضع في الحديث لا يقتضي شرية جميع أفراده وجميـع سكانه ، ألا ترى أن خيرية قريش والأنصار وجهينة ومزينة وأسلم وأشجع وغفار والأسد والأشعرين والأزد وحمير ، وذم عصية وبني تميم وبني أسـد وبني عبد الله بن غطفان وبني عامر بن صعصعة وربيعة ومضر وثقيف وبني حنيفة وبني أمية ، قد ورد في الأحاديث مع أن الأول قد جاءت منهـا أشرار أيضا ، والآخر قد جاءت منها أخيار أيضا .

وكذلك قد ورد مدح اليمن وأهله ، وذم المشرق والعراق وأهلهما ، مـع أن الأسود العنسي قد نشأ في اليمن ، وكثير من أهل الحديث من المشرق والعراق ، وهذا لا يخفى على من له أدنى المـام بفن التاريخ والرجال ، وحسبك من خيرية مضر كون النبي صلى الله عليه وسلم من مضر .

أخرج البخاري عن ربيبة النبي صلى الله عليه وسلم زينب ابنة أبي سلمة قال قلت لها : أرأيت النبي صلى الله عليه وسلم أكان من مضر ؟ قالت فممن كان الا من مضر ، من بني النضر بن كنانة . اهـ . وحسبك من خيرية ربيعة قول النبي صلى الله عليه وسلم لوفد عبد القيس لمـا أتوا النبي صلى الله عليه وسلم « من القوم ــ أو من الوفد ؟ ــ قالوا : ربيعة . قال « مرحبا بالقوم ــ أو بالوفد ــ غير خزايا ولا ندامى » فقالوا : يا رسول الله انا لا نستطيع أن نأتيك الا في الشهر الحرام ،

(1) الاشـارة الى الفرس لأنه صلى الله عليه وسلم قال هـذا ويده على سلمان الفارسي رضي الله عنه كما في الصحيحين .

وبيننا وبينك هذا الحي من كفار مضر ، فمرنا بأمر نخبر به من وراءنا ، وندخل به الجنة » الحديث ، أخرجه البخاري من حديث ابن عباس .

وفي زوائد مسند البزار عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « خير أهل المشرق عبد القيس » قال البزار لا نعلم أحدا رواه بهذا اللفظ الا ابن عباس ولا عنه الا أبو جمرة ولا عنه الا شبيل ، وشبيل بصري مشهور ، ولا رواه عنه الا ابن سواء . اهـ .

والمقصود أن ربيعة ومضر مع أن ذمهما قد ورد في الحديث ، ومن الأخيرة سيد المرسلين ، ومن الأولى وفد عبدالقيس،وقد أثنى النبي صلى الله عليه وسلم عليهم ، وأما ما عـدا ذلك من الأحاديث التي ذكرها المؤلف مما ذكر فيه « ان الفتنة من المشرق ، ورأس الكفر نحو الشرق ، وغلظ القلوب والجفاء بالمشرق » فالتشنيع بها على الشيخ وأتباعه تشنيع على معظم هذه الأمة من الفقهاء والمحدثين ، فان كثيرا منهم قد جاءوا من المشرق ، وهذا مما لا مجال لانكاره لأحد من أهل العلم ، بل هذا التشنيع من جنس تشنيع الرافضة على عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها بأن البخاري أخرج عن عبـد الله رضى الله عنه قال : قام النبي صلى الله عليه وسلم خطيبا ، فأشار نحو مسكن عائشة فقال « هنا الفتنة ــ ثلاثا ــ من حيث يطلع قرن الشيطان » بل هذا أخف منه على ما لا يخفى ، واذ لم يكن التشنيع الذي هو أشد سببا للذم عند أهل السنة فما ظنك بالأخف ؟

قوله : لأنهم كانوا يأمرون من اتبعهم أن يحلق رأسه ، ولا يتركونه يفارق مجلسهم اذا تبعهم حتى يحلقوا رأسه .

أقول : هذا كذب صريح وبهتان قبيح [1] .

قوله : ولم يقع مثل ذلك قط من أحد الفرق الضالة التي مضت قبلهم . الى قوله : فانه لم يفعله أحد من المبتدعة غيرهم .

---

(1) ان غرض دحلان من مبالغته في هذا الكذب هو الاحتراز من اعتراض أحـد عليه ، بأن جميع علماء المسلمين في الحجاز ومصر والشام يحلقون رءوسهم ، ليقول ان ضلال الوهابية هو المبالغة في الحلق بما افتراه عليهم هنا . وكتبه محمد رشيد رضـا .

أقول : هذا غلط صريح وخطأ شنيع ، قال الحافظ في كتاب المغازي من الفتح تحت قوله « محلوق » : سيأتي في أواخر التوحيـــد من وجه آخر أن الخوارج سيماهم التحليق ، وكان السلف يوفرون شعورهم ولا يحلقونها ، وكانت طريقة الخوارج حلق جميع رؤوسهم • انتهى •

وقال في أواخر (كتاب التوحيد) تحت قوله « التحليق » ثم أجاب بأن السلف كانوا لا يحلقون رءوسهم الا للنسك وفي الحاجة ، والخوارج اتخذوه دينا فصار شعارا لهم وعرفوا به • اهـ •

فالسلب الكلي غلط قطعا •

وقوله : وكان ابن عبد الوهــاب يأمر أيضا بحلق رءوس النســاء اللاتي يتبعنه • اهـ •

أقول : هذا البهتان الصريح •

قوله : جاء في رواية « قرنا الشيطان » بصيغة التثنية ، قال بعض العلماء : المراد من قرنى الشيطان مسيلمة الكذاب وابن عبد الوهاب •

أقول : هذه رواية مسلم من حديث سالم بن عبد الله بن عمر يقول : يا أهل العراق ، ما أسألكم عن الصغيرة وأركبكم للكبيرة ! سمعت أبي عبد الله بن عمر يقول : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « ان الفتنة تجيء من ههنا ـ وأومأ بيده نحو المشرق ـ من حيث يطلع قرنا الشيطان » الحديث •

قال النـــووي : وأما قرنا الشيطان فجانبا رأســـه ، وقيل هما جمعاه اللذان يغريهما باضلال الناس ، وقيل شيعتاه من الكفار ، والمراد بذلك اختصاص المشرق بمزيد من تسلط الشيطان ومن الكفر • اهـ •

قلت : لعل المراد بقرني الشيطان ربيعة ومضر ، والدليل عليه حديث أبي مسعود قال : أشار النبي صلى الله عليه وسلم بيده نحو اليمن فقال « ألا ان الايمان ههنا ، وان القسوة وغلظ القلوب في الفدادين ، عند أصول أذناب الابل ، حيث يطلع قرن الشيطان في ربيعة ومضر » أخرجه مسلم •

قوله : وجاء في بعض الروايات وبها ــ يعني نجد ــ الداء العضال .

أقول : هذه اللفظة قد وقعت في روايتين على ما أعلم :

(الأولى) رواية الطبراني عن ابن عمر ، كما نقلتها عن مجمع الزوائد ،و(الثانية) رواية مالك في الموطأ ، وقد ذكرت فيما تقدم ، وليس في واحد منهما لفظ « نجد » ، بل في الأولى « وفي شرقنا » وفي الثانية لفظ « العراق » فارجاع الضمير الى نجد جهـــل [1] .

قوله : وفي بعض التواريخ بعد ذكر قتال بني حنيفة قال : ويخرج في آخر الزمان في بلد مسيلمة رجل يغير دين الاسلام .

أقول : هذه رواية بلا سند فلا اعتداد بها ، على أن كون الشيخ مصداقا لها محل نظر [2] .

قوله : وجاء في بعض الأحاديث التي فيها ذكر الفتن قوله صلى الله عليه وسلم منها فتنة عظيمة تكون في أمتي لا يبقى بيت من العرب الا دخلته ، تصل الى جميع العرب ، قتلاها في النار ، واللسان فيها أشد من وقع السيف .

أقول : ما وجدته بهذا اللفظ ، وقد أخرج أبوداود عن عبدالله بن عمرو قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « انها ستكون فتنة تستنظف العرب ، قتلاها في النار ، اللسان فيها أشد من وقوع السيف » ورواه الترمذي وابن ماجه .

قوله : وفي رواية ستكون فتنة صماء بكماء عمياء .

أقول : الحديث أخرجه أبو داود من حديث أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « ستكون فتنة صماء بكماء عمياء ، من أشرف لها استشرفت له ، واشراف اللسان فيها كوقوع السيف » .

---

(١) بل هو من تعمد الكذب الذي ليس له عند دحلان حد .

(٢) يا لله العجب من التزام المصنف لهذه الاصطلاحات العلمية ، ووضعها في غير موضعها ، فمن المعلوم بالتواتر أن الشيخ رحمه الله تعالى جدد الاسلام في نجد وغير نجد ، فهل يصح أن يكتفي بقوله : ان دعوى تغييره للاســلام محل نظر ؟ وصاحب الدعوى كذاب مشهور ينقل عن تاريخ مجهول . وكتبه وما قبله محمد رشيد رضا .

أقول : هـذان الحديثان ليس فيهما لفظ يدل على تعيين الشيخ وأتباعه ، وجمهور العلماء حملوهما على الفتنة التي وقعت بين علي ومعاوية ، يدل عليه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « اللسان فيها أشد من وقوع السيف » يعني الطعن في احدى الطائفتين ومدح الأخرى مما يثير الفتنة ، فالكف واجب •

قوله : وفي رواية سيظهر من نجد شيطان تتزلزل جزيرة العرب من فتنته •

أقول : هذه الرواية لم أقف عليها ، ولم يذكر المؤلف سندها ، فلا يعتد بها •

قوله : منها حديث مروى عن العباس بن عبد المطلب رضى الله عنه عم النبي صلى الله عليه وسلم أسنده الى النبي صلى الله عليه وسلم قال فيه « سيخرج في ثاني عشر قرنا في وادي بني حنيفة رجل كهيئة الثور ، لايزال يلعق براطمه ، يكثر في زمانه الهـرج والمـرج • يستحلون أموال المسلمين ، ويتخذونها بينهم متجرا ، ويستحلون دماء المسلمين ويتخذونها بينهم مفخرا ، وهي فتنة يغتر فيها الأرذلون والسفل ، تتجارى بينهم الأهواء كما يتجارى الكلب بصاحبه » قال ولهذا الحديث شواهد تقوى معناه ، وان لم يعرف من خرجه •

أقول : اذا لم يعرف من خرجه فكيف يصح الاستدلال به ؟ •

قوله : وأصرح من ذلك أن هـذا المغرور محمد بن عبد الوهاب من تميم ، فيحتمـل أنه من عقب ذي الخويصرة التميمي الذي جـاء فيه حديث البخاري عن أبي سعيد الخدري •

أقول : لا شك أن الشيـخ من رأس تميم وأعيـانهم ، كما صرح به بعض المحققين في الرد على (جلاء الغمة) ولكن ليس في حديث البخاري ولا في غيره ما يدل على أن كل من هو من تميم أو من ضئضىء ذي الخويصرة مصداق لهـذا الحديث ، بل في الحديث لفظة «من» دالة على التبعيض المنافي لهذه الكلية ، واحتمال أنه من عقب ذي الخويصرة لا يقتضي كونه من عقب ذي الخويصرة جزما ، فضلا عن كونه مصداقا لهذا الحديث •

وتقرير دليل المؤلف على طريقة الميزانيين هكذا : محمد بن عبد الوهاب من

تميم ، وبعض من هو من تميم من عقب ذي الخويصرة ، فينتج أن محمد بن عبد الوهاب من عقب ذي الخويصرة ، ثم يجعل هذه النتيجة صغرى لقياس آخر فيقال : ان محمد بن عبد الوهاب من عقب ذي الخويصرة ، وبعض من هو من عقب ذي الخويصرة مصداق لحديث البخاري الوارد في شأن الخوارج ، فمحمد بن عبد الوهاب مصداق لحديث البخاري الوارد في شأن الخوارج .

ولا يخفى جهل هذا المستدل على من له أدنى المام بعلم الميزان ، اذ كلية الكبرى التي هى شرط لانتاج الشكل الأول مفقودة في القياسين ، وان ادعى كلية كبرى القياس فيقال : ان كلية كبرى القياس الأول بديهية البطلان ، اذ ليس كل من هو من تميم من عقب ذي الخويصرة ، وكلية كبرى القياس الثاني أيضا باطلة ، لأن الثابت بالحديث انما هو الجزئية التي يدل عليها لفظ « من » التبعيضية الواقعة في صدر الحديث .

قوله : ولما قتل علي بن أبي طالب رضى الله عنه الخوارج قال رجل : الحمد لله الذي أبادهم وأراحنا منهم ، فقال رضى الله عنه : كلا والذي نفسي بيده ان منهم لمن هو في أصلاب الرجال لم تحمله النساء ، وليكونن آخرهم مع المسيح الدجال .

أقول : فيه كلام من وجهين :

(الأول) أن المؤلف لم يذكر سنده فلا يصلح هذا لأن يحتج به .

و (الثاني) على تقدير ثبوته ليس في الحديث لفظ يقتضي أن المراد به الشيخ وأتباعه .

قوله : وجاء في حديث عن أبي بكر الصديق رضى الله عنه ، ذكر فيه بني حنيفة قوم مسيلمة الكذاب ، وقال فيه : ان واديهم لا يزال وادي فتن الى آخر الدهر ، ولا يزال في فتنة من كذابهم الى يوم القيامة . وفي رواية : ويل لليمامة ويل لا فراق له .

أقول : جوابه من وجهين :

(الأول) أنه لا بد على من يحتج به من ذكر سنده وتوثيق رواته ، واثبات اتصاله .

و (الثاني) أنه ليس فيه لفظ يقتضي أن الشيخ وأتباعه مصداق هذا الحديث ، فان الشيخ ليس من بني حنيفة بل هو من تميم ، قال بعض المحققين في الرد على (جلاء الغمة) : والجواب أن يقال لهذا الغبي : ان شيخنا رحمه الله تعالى من رءوس تميم وأعيانهم ، وليس من بني حنيفة ، وتميم قبل الاسلام وبعده هم رءوس نجد وساداته ، وهم ممن قاتل بني حنيفة مع خالد ، وأبلوا بلاء حسنا . اهـ . ملخصا .

ثم قال بعد ذلك قال تعالى (الأعراب أشد كفرا ونفاقا . وأجدر أن لا يعلموا حدود ما أنزل الله على رسوله والله عليم حكيم) ومع هذا فقد أثنى تعالى على من آمن بالله واليوم الآخر منهم واستثناهم من العموم ، قال تعالى (ومن الأعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر ويتخذ ما ينفق قربات عند الله وصلوات الرسول) الآية فمن آمن بالله ورسوله وكذب مسيلمة ولم يؤمن به فهو من المؤمنين ، وقد (وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ، ومساكن طيبة في جنات عدن ، ورضوان من الله أكبر ، ذلك هو الفوز العظيم) . وأما قول الصديق فالمراد به من آمن بمسيلمة وأدركه منهم كما وقع من ابن النواحة ، وأما من بعدهم من نسلهم وذراريهم المؤمنين فلا يتوجه اليهم ذم ولا عيب ، والصديق أجل من أن يعيب من لم يؤمن بمسيلمة ولم يشهد عصره ، وآباء أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم واسلافهم كانوا على جاهلية وشرك وعبادة للأصنام والأحجار وغيرها ، ولا يتوجه عيب على أحد منهم بأسلافهم : وقد يخرج الله من أصلاب المشركين والكفار من هو من خواص أوليائه وأصفيائه ، ولما استأذن ملك الجبال رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يطبق عليهم الأخشبين لما رجمه أهل الطائف ، ودعا بدعائه المشهور وهو قوله « اللهم اليك أشكو ضعف قوتي ، وقلة حيلتي ، وهواني على الناس ، أنت رب المستضعفين ، وأنت ربي ، الى من تكلني ؟ الى بعيد يتجهمني ، أو الى عدو ملكته أمري ؟ ان لم يكن بك غضب على فلا أبالي، غير أن عافيتك هي أوسع لي ، لك العتبى حتى ترضى ، أعوذ بنور وجهك أن ينزل

بي سخطك أو يحل بي غضبك » فاستأذنه الملك عند ذلك فقال : « بل أتأنى بهم لعل الله أن يخرج من أصلابهم من يعبده ولا يشرك به شيئا » .

اذا عرفت هذا! فشيخنا ليس من بني حنيفة أصلا ، والقصد بيان كلام الصديق وما أريد به . اهـ .

ثم قال : ثم لو فرض أن من بني حنيفة عالما يدعو الى الله تعالى ، فما وجه عيبه وذمه بقومه ، وقد خالفهم في الايمان والدين ؟ وسلمان الفارسي وصهيب الرومي وبلال بن رباح من أفضل الناس ، وأسلافهم من شر الناس ، بل والرسل أفضل الخلق وأكرمهم على الله تعالى والمكذبون لهم من قومهم أكثر من المستجيبين، وابن نوح على أبيه السلام لم ينتفع بايمان أبيه ورسالته ، ولم ينل بذلك ما يوجب سعادته وفلاحه ، وهذا المعترض جاهلي الدين والمعرفة والمذهب . اهـ .

وقال في موضع آخر : وهل عاب الله ورسوله أحدا من المسلمين أو غيرهم ببلده ووطنه وكونه فارسيا أو زنجيا أو مصريا من بلاد فرعون ومحل كفره وسلطته، وعكرمة بن أبي جهل من أفاضل الصحابة وأبوه فرعون هذه الأمة . ومن العجب أن يقول في المؤمنين (فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا) وهو كما ترى من أكثف الناس حجابا ، وأغلظهم ذهنا ، يعيب من زكاهم الله ورسوله بالايمان به ، ومتابعة رسوله ، ببلاد قد كفر فيها بالله وعبد معه غيره ، وهو يعلم أن بلاد الخليل ابراهيم حران دار الصابئة المشركين عباد النجوم ، ودار يوسف دار فرعون الكافر اللعين ، وسكنها موسى بعده وأكابر بني اسرائيل ، وكذلك مكة المشرفة ، سكنها المشركون ، وعلقوا الأصنام على الكعبة المشرفة ، وأخرجوا نبيهم وقاتلوه المرة بعد المرة ، أفيستحل مؤمن أو عاقل أو جاهل أن يلمز أحدا من المهاجرين ، أو من مسلمة الفتح أو من بعدهم من المؤمنين بما سلف في مكة من الشرك بالله رب العالمين . اهـ.

قوله : وفي حديث ذكره في (مشكاة المصابيح) « سيكون في آخر الزمان قوم يحدثونكم بما لم تسمعوا أنتم ولا آباؤكم ، فاياكم واياهم ، لا يضلونكم ولا يفتنونكم » .

أقول : لفظ المشكاة هكذا : وعن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله

عليه وسلم « يكون في آخر الزمان دجالون كذابون يأتونكم من الأحاديث بما لم تسمعوا أنتم ولا آباؤكم ، فاياكم واياهم لا يضلونكم ولا يفتنونكم » رواه مسلم ، ولفظ المصابيح هكذا وقال « يكون في آخر الزمان دجالون كذابون يأتونكم من الأحاديث بما لم تسمعوا أنتم ولا آباؤكم ، فاياكم واياهم ، لا يضلونكم ولا يفتنونكم » رواه أبو هريرة .

وفي صحيح مسلم من حديث أبي هانىء عن أبي عثمان مسلم بن يسار عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « سيكون في آخر أمتي أناس يحدثونكم بما لم تسمعوا أنتم ولا آباؤكم فاياكم واياهم » .

ومن حديث شراحيل بن يزيد يقول : أخبرني مسلم بن يسار أنه سمع أباهريرة يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يكون في آخر الزمان دجالون كذابون يأتونكم من الأحاديث بما لم تسمعوا أنتم ولاآباؤكم ، فاياكم واياهم ، لايضلونكم ولا يفتنونكم » . اهـ .

والمقصود من نقل هذه العبارات أن ما نقله المؤلف من المشكاة لا يوافق المشكاة ولا المصابيح ولا ما أخرجه مسلم ، على أن الشيخ وأتباعه لا يتصور كونهم مصاديق هذه الأحاديث ، فان المراد في الحديث قوم يتحدثون بالأحاديث الكاذبة ، ويبتدعون أحكاما باطلة ، واعتقادات فاسدة ، والشيخ وأتباعه برآء من التحديث بالأحاديث الكاذبة ، وابتداع الأحكام الباطلة ، والاعتقادات الفاسدة ، بل هم على طريقة السلف الصالح كما تشهد له رسائل الشيخ وأتباعه [1] .

قوله : وأنزل الله في بني تميم (ان الذين ينادونك) .

أقول : نزل هذا في جفاة بني تميم ، وهذا لا يقتضي ذم بني تميم كلهم ، وقد ورد في ثنائهم ما ورد وقد ذكر فيما تقدم .

قوله : وأنزل الله فيهم (لاترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي) .

---

(1) ولكن كتاب الشيخ دحلان هذا يشهد عليه بأنه من هؤلاء الدجالين الذين يحدثون الناس بما لم يسمعوا هم ولا آباؤهم الذين دونوا لهم كتب السنة ، وهو نفسه يعترف ببعضها أنه لم يعرف له راو ، وكتبه محمد رشيد رضا .

أقول : هذه الآية لم تنزل في بني تميم ، بل في أفضل الأمة أبي بكر وعمر ، أخرج البخاري عن ابن أبي مليكة قال : كاد الخيران أن يهلكا أبو بكر وعمر رضى الله عنهما ، رفعا أصواتهما عند النبي صلى الله عليه وسلم حين قدم عليه ركب بني تميم ، فأشار أحدهما بالأقرع بن حابس أخي بني مجاشع ، وأشار الآخر برجل آخر ـ قال نافع : لا أحفظ اسمه ـ فقال أبو بكر لعمر : ما أردت الا خلافي ، قال : ما أردت خلافك ، فارتفعت أصواتهما في ذلك ، فأنزل الله تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم) الآية قال ابن الزبير : فما كان عمر يسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد هذه الآية حتى يستفهمه ، ولم يذكر ذلك عن أبيه ، يعني أبا بكر . اهـ .

فان كان نزول هذه الآية موجبا لذم من نزلت فيه كما زعم المؤلف لزم ذم أبي بكر وعمر رضى الله عنهما ، أعاذنا الله منه [1] .

قوله : قال السيد العلوي الحداد المذكور آنفا : ان الذي ورد في بني حنيفة وفي ذم تميم ووائل شيء كثير .

أقول : قد تقدم ما ورد في ذم بني تميم والجواب عليه ، وما ورد في مدحهم . وأما بنو حنيفة فقد ورد فيهم حديث عمران بن حصين قال : مات النبي صلى الله عليه وسلم وهو يكره ثلاثة أحياء : ثقيفا ، وبني حنيفة ، وبني أمية ، رواه الترمذي قال : هذا حديث غريب لا نعرفه الا من هذا الوجه ، وهذا لا يقتضي ذم جميع بني حنيفة ، ألا ترى الى ثمامة بن أثال الذي مر حديثه فيما تقدم ، بشره رسول الله صلى الله عليه وسلم بخيري الدنيا والآخرة أو الجنة ، أو بمحو ذنوبه ، وهو رجل من بني حنيفة ، وأما وائل فلم يذكر المؤلف في ذمهم شيئا ولم أقف عليه .

قوله : وجاء عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال « كنت في مبدأ الرسالة أعرض نفسي على القبائل في كل موسم ، ولم يجبني أحد جوابا أقبح وأخبث من رد بني حنيفة » .

---

(1) بل الآية تدل على فضل من نزلت فيهم ، اذ شرفتهم بخطاب الله لهم ، وشهادته لهم بالايمان ، وتاديب الله لهم شرف عظيم . وكتبه محمد رشيد رضا .

أقول : فيه كلام من وجوه :

(الأول) المطالبة بسند هذا الخبر •

و (الثاني) ان الشيخ ليس من بني حنيفة بل من رءوس تميم •

و (الثالث) على تقدير ثبوته لا يقتضي هذا الخبر ذم جميع بني حنيفة •

قوله : وأما ما نقل عن بعض العلماء أنه استصوب من فعل النجدي جمع البدو على الصلاة ، وترك الفواحش الظاهرة وقطع الطريق ، والدعوة الى التوحيد، فهو غلط ، حيث حسن للناس فعله ، ولم يطلع على ما ذكرناه من منكراته ، وتكفيره الأمة من ستمائة سنة ، وحرق الكتب الكثيرة ، وقتله كثيرا من العلماء وخواص الناس وعوامهم ، واستباحة دمائهم وأموالهم ، واظهار التجسيم للباري تبارك وتعالى ، وعقده الدروس لذلك ، وتنقيصه النبي صلى الله عليه وسلم وسائر الأنبياء والمرسلين والأولياء ونبش قبورهم ، وأمر في الأحساء ان تجعل بعض قبور الأولياء محلا لقضاء الحاجة ، ومنع الناس من قراءة (دلائل الخيرات) ومن الرواتب والأذكار ، ومن قراءة مولد النبي صلى الله عليه وسلم ، ومن الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم في المنائر بعد الأذان ، وقتل من فعل ذلك ، وكان يعرض لبعض الغوغاء الطغام بدعواه النبوة ، ويفهمهم ذلك من فحوى كلامه ، ومنع الدعاء بعد الصلاة ، وكان يقسم الزكاة على هواه ، وكان يعتقد أن الاسلام منحصر فيه وفيمن تبعه ، وأن الخلق كلهم مشركون ، وكان يصرح في مجالسه وخطبه بتكفير المتوسل بالأنبياء والملائكة والأولياء ، ويزعم أن من قال لأحد يا مولانا أو سيدنا فهو كافر ، ولا يلتفت الى قول الله تعالى في سيدنا يحيى عليه السلام (وسيدا) ولا الى قول النبي صلى الله عليه وسلم للأنصار « قوموا لسيدكم » يعني سعد بن معاذ رضى الله عنه ، ويمنع من زيارة النبي صلى الله عليه وسلم ويجعله كغيره من الأموات ، وينكر علم النحو واللغة والفقه ، والتدريس بهذه العلوم ويقول ان ذلك بدعة •

أقول : قوله « غلط » عجيب ، فان جمع البدو على الصلاة ، وترك الفواحش الظاهرة ، وترك قطع الطريق ، والدعوة الى التوحيد ، مما لايرتاب أحد من المسلمين في كونها صوابا ، وأما ما ذكره من مطاعن الشيخ فالجواب عنها أن منها ما هو

البهتان الظاهر وهي تكفير الأمة من ستمائة سنة ، وحرق الكتب الكثيرة ، وقتله كثيرا من العلماء وخواص الناس وعوامهم ، واستباحة دمائهم وأموالهم ، واظهار التجسيم للباري تعالى ، وعقده الدروس لذلك ، وتنقيصه النبي صلى الله عليه وسلم وسائر الأنبياء والمرسلين والأولياء ، ونبش قبورهم ، وأمره أن يجعل قبور الأولياء محلا لقضاء الحاجة ، ومنع الناس من الرواتب والأذكار ، وقتل من قرأ (دلائل الخيرات) ، ومن قرأ مولد النبي صلى الله عايه وسلم ، ومن صلى على النبي صلى الله عليه وسلم على المنائر بعد الأذان ، وادعاء النبوة ، وقسمة الزكاة على هواه ، واعتقاد أن الاسلام منحصر فيه وفيمن تبعه ، وأن الخلق كلهم مشركون ، وتكفير المتوسل بالأنبياء والملائكة والأولياء ، وتكفير من قال لأحد : يا مولانا وسيدنا ، والمنع من زيارة النبي صلى الله عليه وسلم ، وجعله كغيره من الأموات ، وانكار علم النحو واللغة والفقه ، والتدريس بهذه العلوم ، فالجواب في هذه المطاعن كلها : (سبحانك هذا بهتان عظيم) .

أما مسألة منع النـاس من قراءة (دلائل الخيرات) فأجاب عنها الشيخ في الرسالة التي كتبها الى عبد الرحمن بن عبد الله حيث قال : وأما (دلائل الخيرات) فله سبب ، وذلك أني أشرت على من قبل نصيحتي من اخواني أن لا يصير في قلبه أجل من كتاب الله ، ويظن أن القراءة فيه أجل من قراءة القـرآن ، وأما احراقه والنهي عن الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم بأي لفـظ كان ، فهـذا من البهتـان : اهـ .

وأما قراءة مولد النبي صلى الله عليه وسلم فلا شك في كونها بدعة محدثة ، فأي محذور في المنع منها . وكذلك الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم على المنائر بعد الآذان بدعة ، وازالة المنكر والبدعة وتغييرهما واجب ، بدلائل الأحاديث الصحيحة .

وأما الدعاء بعد الصلاة فان كان بالألفاظ الواردة في الأحاديث الصحيحة من غير رفع اليدين ، كما ورد في الصحيحين عن المغيرة بن شعبة أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول في دبر كل صلاة مكتوبة « لا اله الا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير ، اللهم لا مانع لمـا أعطيت ولا معطي لمـا

منعت ، ولا ينفع ذا الجد منك الجد » وكما ورد عن سعد بن أبي وقاص أنه كان يعلم بنيه بهؤلاء الكلمات ، كما يعلم المعلم الغلمان الكتابة . ويقول : ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يتعوذ بهن دبر الصلاة « اللهم اني أعوذ بك من البخل ، وأعوذ بك من الجبن ، وأعوذ بك أن أرد الى أرذل العمر ، وأعوذ بك من فتنة الدنيا ، وأعوذ بك من عذاب القبر » رواه البخاري .

وكما ورد عن أم سلمة أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول اذا صلى الصبح حين يسلم « اللهم اني أسألك علما نافعا ، ورزقا طيبا ، وعملا متقبلا » رواه أحمد وابن ماجه ، وكما ورد عن معاذ بن جبل رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له « أوصيك يا معاذ ، لا تدعن دبر كل صلاة أن تقول : اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك » رواه أحمد وأبو داود والنسائي بسند قوى .

وكل هذه الأحاديث نقلتها عن (المنتقى) و (بلوغ المرام) فالشيخ لا يمنع منه ، ولا أحد من أتباعه ، بل ولا أحد من أهل الحديث ، وان كان الدعاء بالألفاظ غير المأثورة أو برفع اليدين ، فللعلماء فيه قولان : (أحدهما) الجواز والاستحباب (والثاني) الكراهة ، فان اختار الشيخ أحد القولين فما وجه الطعن عليه [1] .

وأما مسألة قولنا لأحد : يا مولانا وسيدنا . فنذكر ما ورد في الباب : (منها) ما أخرجه مسلم عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا يقولن أحدكم عبدي فكلكم عبيد الله ، ولكن ليقل فتاى ، ولا يقول العبد ربي ولكن ليقل سيدي — وفي رواية له — ولا يقل العبد لسيده مولاى » وزاد في حديث أبي معاوية « فان مولاكم الله عز وجل » وفي رواية له « ولا يقل أحدكم ربي ، وليقل سيدي ومولاى ، ولا يقل أحدكم عبدي أمتي ، وليقل فتاى فتاتي غلامي »

(1) الصحيح من القولين في الأذكار والأدعية المأثورة بعد الصلاة أنها مستحبة من غير تقييد لها بالاجتماع أو رفع الصوت الذي يجعلها من الشعائر وهى ليست منها ، اذ لم يأمر النبي صلى الله عليه وسلم بهذا التقييد ، ولا فعله أصحابه ولاغيرهم من السلف ، وهذا التقييد لما أطلقه الشارع يطلق عليه العلامة الشاطبي اسم « البدع الاضافية » كما حققه في كتابه الاعتصام . وكتبه محمد رشيد رضا .

وأخرج هذا الحديث أبوداود عن مطرف قال : قال أبي : انطلقت في وفد بني عامر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلنا أنت سيدنا فقال « السيد الله » قلنا وأفضلنا فضلا وأعظمنا طولا فقال « قولوا بقولكم أو بعض قولكم ، ولا يستجرينكم الشيطان » وأخرج أبو داود عن عبد الله بن بريدة عن أبيه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا تقولوا للمنافق سيد ، فانه ان يك سيدا فقد اسخطتم ربكم عز وجل » • اهـ •

فقد علم من تيك الأحاديث أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن اطلاق لفظ السيد والمولى على أحدنا ، ورخص فيهما أيضا ، ووجه التوفيق أن للسيد والمولى معان ، فالنهي باعتبار بعض المعاني ، والرخصة باعتبار البعض الآخر •

قال في النهاية في مادة (السود) السيد يطلق على الرب والمالك والشريف والفاضل والكريم والحليم ، ومتحمل أذى قومه ، والزوج والرئيس والمقدم •

وقال في مادة (الولي) وهو اسم يقع على جماعة كثيرة ، فهو الرب والمالك والسيد والمنعم والمعتق والناصر والمحب والتابع والجار وابن العم والحليف والعقيد والصهر والعبد والمعتق والمنعم عليه اهـ • فالنهي عن اطلاق لفظ السيد والمولى على غير الله محمول على السيد والمولى بمعنى الرب ، والرخصة محمولة عليهما بمعنى آخر من سائر المعاني • فان ثبت أن الشيخ قد منع من اطلاق لفظ السيد والمولى على غير الله ، فمراده السيد والمولى بمعنى الرب ، وأما بالمعنى الآخر فكيف يتصور أن يمنع الشيخ منه ؟ فانه عقد بابا في كتاب التوحيد بهذا العنوان (باب لا يقول عبدي وأمتي) وأورد فيه حديث أبي هريرة المروى في مسلم الذي تقدم ذكره آنفا وفيه هذا اللفظ « وليقل سيدي ومولاى » فهذا اللفظ صريح في جواز اطلاق لفظ السيد والمولى على غير الله بالمعنى الآخر [1] •

وأما قول المؤلف : ولا يلتفت الى قول الله تعالى في سيدنا يحيى عليه السلام (وسيدا) ولا الى قول النبي صلى الله عليه وسلم للأنصار « قوموا لسيدكم » يعني سعد بن معاذ رضى الله عنه ففيه كلام من وجهين :

---

(١) وفيه وجه ثالث وهو أن يكون فيه مبالغة في الذل من قائله ومبالغة في الكبرياء من المقول له • وكتبه محمد رشيد رضا •

(الأول) أن لفظ الحديث « قوموا الى سيدكم » لا « لسيدكم » فالمؤلف أخطأ في نقل الحديث . وهذا ليس بأول خطأ من المؤلف بل مثله كثير ، ووجهه أن المؤلف ليس من أهل هذا الشأن .

و (الثاني) أن لفظ السيد في قول الله تعالى في يحيى عليه السلام (وسيدا) وقوله صلى الله عليه وسلم « قوموا الى سيدكم » ليس بمعنى الرب ، فالشيخ ان ثبت منعه من اطلاق لفظ السيد على غير الله ، فانما هو من السيد بمعنى الرب ـ فالآية والحديث لا ينافيان قول الشيخ ولا يصلحان ردا عليه .

وليعلم أن لفظ السيد قد جاء في سورة يوسف في قوله تعالى : (وألفيا سيدها لدى الباب) وفي غير واحد من الأحاديث : (منها) حديث ابن عمر رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « كلكم راع ومسئول عن رعيته » وفيه « والخادم في مال سيده راع ومسئول عن رعيته » أخرجه البخاري .

(ومنها) حديث أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أنا سيد ولد آدم يوم القيامة » رواه مسلم . وحديث أبي هريرة في الحساب وفيه « أى فل ألم أكرمك وأسودك وأزوجك ؟ » رواه مسلم ، وحديث أبي سعيد قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر » رواه الترمذي ، وحديث عمر قال : أبو بكر سيدنا وخيرنا وأحبنا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم رواه الترمذي ، وحديث أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أبو بكر وعمر سيدا كهول أهل الجنة من الأولين والآخرين ، الا النبيين والمرسلين » رواه الترمذي ، وحديث أبي بكرة قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر ، والحسن بن علي الى جنبه ، وهو يقبل على الناس مرة وعليه أخرى ويقول « ان ابني هذا سيد » رواه البخاري ، وحديث أبي سعيد قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة » رواه الترمذي وحديث عائشة قالت : كنا أزواج النبي صلى الله عليه وسلم عنده فأقبلت فاطمة ، وفيه قال « يا فاطمة أترضين أن تكوني سيدة نساء أهل الجنة » متفق عليه .

وحديث عبد الله بن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « ان العبد اذا نصح لسيده وأحسن عبادة الله فله أجره مرتين » متفق عليه ، وحديث أبي هريرة

قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « نعما للمملوك أن يتوفاه الله يحسن عبادة ربه وطاعة سيده ، نعما له » متفق عليه .

وكذلك لفظ المولى جاء في غير واحد من الأحاديث : (منها) حديث البراء ابن عازب قال : صالح النبي صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية على ثلاثة أشياء ، وفيه وقال لزيد « أنت أخونا ومولانا » متفق عليه . وحديث زيد بن أرقم أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « من كنت مولاه فعلي مولاه » رواه أحمد والترمذي ، وحديث البراء بن عازب وزيد بن أرقم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نزل بغدير خم . الحديث وفيه « اللهم من كنت مولاه فعلي مولاه ، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه » فلقيه عمر بعد ذلك فقال : هنيئا يا ابن أبي طالب أصبحت وأمسيت مولى كل مؤمن ومؤمنة ، رواه أحمد .

فعلم من ههنا أن اطلاق السيد والمولى بمعنى غير الرب على الأنبياءوالصديقين والشهداء والصالحين جائز ، لا وجه للمنع منه ، نعم زيادة لفظ « سيدنا » وكذا لفظ « مولانا » في تشهد الصلاة ، كما يفعله أهل الحرمين في زماننا ، وكذلك زيادتهما في تشهد الأذان ، كما يفعله أهل القدس ، وكذلك زيادتهما في التصلية على النبي صلى الله عليه وسلم في الصلاة بدعة ، لا بد من تغييرها ، فان ألفاظ التشهد والأذان والتصلية في الصلاة توقيفية ، منقولة من الشارع لا يجوز الزيادة عليها ، ولا النقصان منها ، (ويؤيده حديث البراء بن عازب رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (اذا أتيت مضجعك فتوضأ وضوءك للصلاة ، ثم اضطجع على شقك الأيمن وقل : اللهم أسلمت نفسي اليك ، وفوضت أمري اليك ، وألجأت ظهري اليك ، رهبة ورغبة اليك ، لا ملجأ ولا منجى منك الا اليك ، آمنت بكتابك الذي أنزلت ، ونبيك الذي أرسلت). فان مت مت على الفطرة ، واجعلهن آخر ما تقول » فقلت استذكرهن : وبرسولك الذي أرسلت ؟ قال : لا ، ونبيك الذي أرسلت » اهـ . أخرجه البخاري .

قوله : ثم قال السيد العلوي الحداد في كتابه المتقدم ذكره : والحاصل أن المحقق عندنا من أقواله وأفعاله ما يوجب خروجه عن القواعد الاسلامية ، لاستحلاله أموالا مجمعا على تحريمها ، معلومة من الدين بالضرورة ، بلا تأويل سائغ ، مع

تنقيصه الأنبياء والمرسلين ، والأولياء والصالحين ، وتنقيصهم تعمدا كفر باجماع الأئمة الأربعة .

أقول : الجواب عنه أن هذا كله بهتان صريح .

قوله : كان رجل صالح من علماء البلدة التي تسمى بالزبير اسمه الشيخ عبد الجبار يصلي اماما في مسجد تلك البلدة ، فاتفق أن اثنين تجادلا في شأن هذه الطائفة بعد أن جاء ابراهيم باشا الى الدرعية ودمرها ودمر من فيها ، فقال أحد الرجلين المتجادلين : لا بد أن يرجع أمر هذا الدين كما كان ، وترجع هذه الدولة كما كانت ، وقال الآخر : لا يرجع أمرهم أبدا كما كان ، ولا ما كانوا عليه من البدعة ، ثم اتفقا على أنهما يذهبان في غد ، ويصليان صلاة الصبح خلف الشيخ عبد الجبار ، وينظران ماذا يقرأ بعد الفاتحة في الركعة الأولى ، ويجعلان ذلك فألا يحكمان به فيما اختلفا فيه ، فذهبا وصليا خلفه ، فقرأ بعد الفاتحة في الركعة الأولى (وحرام على قرية أهلكناها أنهم لا يرجعون) فتعجبا من ذلك ورضيا بذلك الفأل حكما [1] .

أقول من شرط الفأل أن لا يقصد اليه ، يدل عليه حديث أبي هريرة قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « لا طيرة ، وخيرها الفأل . قالوا : وما الفأل ؟ قال الكلمة الصالحة يسمعها أحدكم » متفق عليه ، وحديث أنس « أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يعجبه اذا خرج لحاجة أن يسمع : يا راشد يا نجيح » رواه الترمذي .

قال الحافظ في الفتح : وأما الشرع فخص الطيرة بما يسوء ، والفأل بما يسر ، ومن شرطه أن لا يقصد اليه فيصير من الطيرة . اهـ . وهذا الفأل كان بالقصد فلا يكون فألا بل طيرة فلا يجوز ، ومن ثم يعلم مسألة الفأل من القرآن ، ومن كتب

---

(١) لقد كذب الله فألهم ، ودعوة الشيخ عادت على ابرك ما يكون وأقواه ، والحمد لله رب العالمين الذي بنعمته تتم الصالحات . اهـ . محمد بن عبد الرزاق حمزة .

الصالحين ، فانه ليس بفأل بل طيرة ، فيكون جبنا وشركا وحراما [1] .

وهذا آخر ما أردناه من الرد على كتاب (الدرر السنية)
لأحمد بن زيني دحلان

● ● ●

(١) وهذه الحكاية من الترهات التي لا تجوز كتابتها ولا الاصغاء اليها ولكن دفعهم الى ذلك ما في قلوبهم من الضغينة ، وصدق المثل : كل اناء ينضح بما فيه . والبارزون من سكان الزبير النجديين كانوا ممن شرق بالدعوة وحاربها حتى اضطروا الى الجلاء للزبير و (لا يزال بنيانهم الذي بنوا ريبة في قلوبهم) . وكتبه عبد الرحمن ابن محمد الدوسري .

مصادر الكتاب صفحة ٥٤٧ ــ ٥٤٨

فهــرس عــام « ٥٤٩ ــ ٥٥٩

مصـــادر الـــكتاب

كتب التفســـير

فتح القدير للشـوكانى
تفسـير أبى السعود
تفسـير البيضـاوى
تفسـير ابن كثير
معالم التنزيل للبغوى
مفاتيح الغيب للفخر الرازى
مدارك التنزيل للنسفى
فتح البيان لصديق حسن خان
الاكليل للسيوطـى
الفتوحـات الربانية

كتب الحديث وشروحها

صحيح البخارى
صحيح مسلم
جامع الترمذي
سنن أبى داود
سنن النسائى
سنن ابن ماجه
سنن الدارمى
سنن الدارقطنى
الترغيب والترهيب للمنذرى
مجمع الزوائد للحافظ الهيثمي
تلخيص الحبير للحافظ ابن حجر
الاذكار للنـووى
شرح صحيح مسلم له
تخريج الاذكار للحافظ ابن حجر
شرح الاذكار لابن علان
فتح البارى للحافظ ابن حجر
شرح البخاري للقسطلانى
تلخيص سنن ابى داود للحافظ المنذرى
تخريج أحاديث الهداية للزيلعى
تخريج أحاديث الشفا للسيوطى
الحصن الحصين لابن الجزرى
نزل الابرار للنواب صديق حسن خان
شرح الموطأ للزرقانى
شرح معانى الآثار للطحاوى
بلوغ المرام للحافظ ابن حجر
مسك الختام شرح بلوغ المرام لصديق حسن خان
منتقى الاخبار للمجد ابن تيمية
مشكاة المصابيـح
المقاصـد الحسنة للسخاوى
تنزيه الشريعة المرفوعة، عن الاخبار الشنيعة الموضوعة ، لأبى الحسن على بن محمد بن عراق الكنانى

كتب الرجال والمصطلح والسيرة والتاريخ

تهذيب التهذيب للحافظ ابن حجر
تقريب التهذيب « «
لسان الميزان « «
ميزان الاعتدال للحافظ الذهبي
الكاشف « «
خلاصة أسماء الرجال « الخزرجي
تدريب الراوي للحافظ السيوطي
علوم الحديث « ابن الصلاح
الأنساب للسمعاني

توضيح الافكار لمحمد بن اسماعيل
الأمير الصنعاني
فتح المغيث للحافظ السخاوي
تنقيح الافكار على توضيح الافكار
تاريخ نجد لابن غنام
الرياض النضرة للمحب الطبري
المواهب اللدنية للقسطلاني
شرح المواهب للزرقاني
الخصائص الكبرى للسيوطي

كتب الفقة وأصوله والجدل ونحوها

زاد المعاد في هدى خير العباد لابن القيم
اغاثة اللهفان الكبرى «
تبعيد الشيطان مختصر اغاثة اللهفان
رد المحتار لابن عابدين
الميزان الكبرى للشعراني
الفتاوى الحديثية لابن حجر الهيتمي
الاشباه والنظائر لابن نجيم
الصارم المنكي للحافظ ابن عبدالهادي
الجوهر المنظم لابن حجر الهيتمي
تلبيس ابليس لابن الجوزي
مجالس الابرار لملا سعد الرومي

البرهان شرح مواهب الرحمن فقه حنفي
المحلى على جمع الجوامع
حاشية السعد على العضدي
التلويح على التوضيح للسعد
تطهير الاعتقاد للصنعاني
الدر النضيد في اخلاص كلمة التوحيد
للشوكاني
جلاء العينين للسيد نعمان الآلوسي
منهاج التأسيس للشيخ عبداللطيف بن
عبدالرحمن بن حسن
مصباح الظلام . له

كتب اللغة

الصحاح للجوهري
المصباح المنير للفيومي
النهاية لابن الاثير

مجمع البحار للفتني
تهذيب الاسماء واللغات للنووي
القاموس المحيط للفيروز ابادي

فهــــرس

صفحة

فهرس كتاب صيانة الانسان

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة

فهرس كتاب صيانة الانسان

صفحة

تم الفهرس

تصحيح الأغلاط

يقول مصححه عبد الله بن عبد الرحمن الجبرين لقد حرصت التثبت في التصحيح وبذلت جهدا كبيرا في مراجعة الأصول التي نقل منها فعثرنا على اغلاط كبيرة وكثيرة تلافيناها في هذه الطبعة فلم يبق الا أخطاء يسيرة يندر ان يسلم من مثلها في كتاب بهذا الحجم وأهمها ما وقع في الأبيات التي بحاشية ص ٢٢٩ س ١٩، ٢٠ في البيتين ١١ ، ١٢ وترتيبهما كالآتي :

لصدهم عن باطل وارتفاعهم
بأنفسهم في فعل كل فضيلة

فلا عذر للمحتج بالقدر الذي
يسائل فيه العلج (ما وجه حيلتي)

واليك تصويب الأخطاء التي عثرنا عليها في الجدول الآتي :

ص	س	خطأ	صواب
٥	١	تدور	تقرر
٥٣	١٢	وقصة	وقصه
٧٢	٩	عثانه	عثانة
١١٨	١٩	عن	عن
١٢٩	١٥	نحكم	تحكم
١٨٦	٢١	يعظونهم	يعطونهم
٢٣٢	٢٥	فتعطيك	فتعطيك
٢٦٢	١١	واتفق	واتفق
٣٢٨	٢١	لتعلقون	لمتعلقون
٥٢٧	١٥	يهرام	بهرام